

الوزير لسان الدين به الخليل

روضة النعريف بالحب الشريف

تحقيق وتعليق وتقديم

عبد القادر أحمد عطا

مكتبة الطباعة والنشر
دار الفكر العربي



الوزير لسان الديّة به الخطيب

روضة النخريف

بالحب الشريف

« الكتاب الذي أثار ضجة عند الحروفية في
المغرب، راح ضحيتها لسان الدين بن الخطيب »

تحقيق وتعليق وتقديم

عبد القادر أحمد عطا

عبد الستار

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربي

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .

[صدق الله العظيم]

تصدير الكتاب

بقلم

حضرة صاحب الفضيلة ، أستاذنا الجيب ،

العارف بالله تعالى العلامة ، سيدى الأستاذ

الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى

الخلوتى ، الشاذلى ، النقشبندى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

يخطئ من يظن أن التصوف أمر غريب أو مبتدع ، أو أضيف إلى الدين الإسلامى ، وإنما هو فى حقيقة جزء جوهري من الرسالة المحمدية ، ونهج أصيل فى الإسلام الذى ارتضاه الله ديناً للبشرية عامة . ذلك لأنه يستمد أصوله مباشرة من منابع الإسلام العافية ، وهما صوره الأصلية : كتاب الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة النبوية الطاهرة ، وما كان صاحبها صلوات الله وسلامه عليه ينطق عن الهوى .

فالتصوف الإسلامى هو الكمال فى الإسلام ، والكمال فى الإيمان ، والكمال فى الإحسان ، والكمال فى العمل ، والكمال فى كل شأن من شئون الحياة .

هو لب الدين ، وحقيقة الإيمان ، وثمره اليقين .

إنه الأفق الأهل للفكرة الإسلامية ، والوجه الأكمل المشرق لأدائها ومثلها العليا .

إنه أسمى صور الإيمان فى العقيدة الإسلامية ، يعيش صاحبه فى ظل التوحيد الحق ، فيرى الله فى كل شيء ، ويقصد الله فى كل أمر من أموره ، ويراقب الله فى كل حركاته وسكناته ، بل يراقبه فى كل نفس من أنفاسه ، مراقبة ذكر قلبى تحيا به الأرواح ، وتطمئن القلوب ، لأنه تعالى يعلم خواطر النفس ، وهمسات القلب ، وخائنة الأعين ، وما تخفى الصدور : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

* * *

وإلى هذه الصورة الوضيفة دعا سيدنا ومولانا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وهو المبعوث للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

وورثها أصحابه ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ومنهم كثير اقتنى أثره ولزم نهجه ، وتابعه - صلوات الله وسلامه عليه - في أقواله وأفعاله وأحواله ، وفي التخلق بأخلاقه الربانية ، والتكامل بكمالاته النفسية . وتبعهم في هذا السلوك جمع كبير من التابعين ، وتابعي التابعين ، رضوان الله عليهم ، يدعون إليه ، ولا يجحدون عنه ، مستمدين من الكتاب والسنة ، مع خلوص النية ، وصدق الاخلاص في العمل .

وهؤلاء جميعاً هم قادة التصوف الاسلامي ، قبل أن يطلق اسم « الصوفية » عليهم ، وإن كان قد أطلق على المتأخرين منهم اسم « العباد » أو « الزهاد » .

ومن هنا كان وجود التصوف سابقاً لهذه التسمية بقرن على الأقل ، ولاحقاً من عهد الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده .

— ٢ —

ولما اتسعت الفتوحات ، وانفسحت رقعة العالم الاسلامي ، واختلط العرب بالعجم ، وتعددت شعوب الاسلام وأممه ، وترجمت كتب اليونان والفرس ، وتسربت فلسفتهم إلى المسلمين ، وقد بعد ما بينهم وبين الوحي وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخلت الدنيا بزخرفها على الناس ، وأخذت الشهوات والنزوات والآهواء والمطامع تلعب دورها ، وتعترف بالقلوت عن عقيدتها .

لما كان ذلك كذلك هب فريق من الزهاد والعباد يقفون على حدود الله ، ويحفظون جوهر الإسلام وروح العبادة ، ويدعون إلى المثل العليا ، والعقيدة الصافية ، كما ورثوها عن أسلافهم الصالحين .

وعرف هؤلاء بالطائفة الصوفية ، وتميزوا بهذا الاسم قبل تمام المائتين من الهجرة النبوية ، وقد قاموا على طريق الحق ، وهدفوا إلى تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن بالأداب الإسلامية الرفيعة ، والمحبة الصادقة لله ، والاشتغال به عن سواه .

ومن هنا استقرت مدارس التصوف في عواصم الاسلام ، فقامت مدرسة البصرة بريادة الامام الصوفي الجليل « الحسن البصري » رضى الله عنه ، الذى أخذ عن الصحابي الجليل سيدنا « حذيفة بن اليمان » رضى الله عنه ، وتخرج على يديه جمع من فحول التصوف منهم : مالك بن دينار ، وأيوب السخيتاني ، ومحمد بن واسع ، وثابت البناني وغيرهم رضى الله عنهم .

وقامت في بغداد مدرسة أخرى بريادة التابعي الجليل « سعيد ابن المسيب » رضى الله عنه .

كما قامت مدرسة اخراسان على مشيخة إبراهيم بن أدهم رضى الله عنهم أجمعين .

وعن هذه الطائفة الطاهرة وعلمهم يقول ابن خلدون في مقدمته عن التصوف :

« هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده . وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، اخصص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » .

ولقد كان للتصوف وأهله أكبر الأثر في سيادة الإيمان ، وصيانة العقيدة ، حين ماجت الحياة الإسلامية بالفلسفات الرافدة الدخيلة . واستطاع إبان ازدهاره أن ينشر الدعوة الإسلامية بلا غزو أو سلاح ، فما من شك في أن الصوفية هم الذين حملوا نور الاسلام وهداه إلى إفريقيا وأقطارها التي لم تفتحها الجيوش الإسلامية : وكان لهم القسط الوافر في نشر تعاليمه بين ربوع آسيا في الهند ، وأندونيسيا ، والفلبين ، والصين وغيرها من الأقطار النائية ، وينشرونه بالقدرة الطيبة ، والخلق الاسلامي الزكي ، ولا زلنا في عصرنا هذا في أمس الحاجة إلى إتاحة فرصة لرجال التصوف المخلصين ليعرفوا بالاسلام تلك الملايين التي تجمله جملا تاما في بلاد أوربا وأمريكا ، بل وفي كثير من أقطار إفريقيا ، بل إن من هؤلاء من عرفوا الاسلام في صورة غير صورته الأصلية ، التي تفيض بالسماحة والجمال في كل حقيقة ومظهر .

لقد كان الكثير من المرابطين الذين يعيشون على الحدود الإسلامية يدافعون عنها ، ويصدون غارات الأعداء . والتصوف هو الذي وقف ثابتاً في وجه تيارات الالحاد ، وغزوات الانحلال ، وهو الذي وقف حصناً منيعاً يدفع عن شعوب الاسلام وأمه وثنية التتار ، وعصية الصليبيين ، وطغيان الاستعمار .

فهذا صاحب « تاريخ بغداد » يقرر أن المتوكل العباسي حينما عصفت الحروب بالدولة نادى أهل الفتوة الصوفية ، فهرعوا إليه من كل مكان ، فكانوا جيشه الكبير المنتصر الذي حمى ديار الاسلام ، وصان حدوده . وهذا الشيخ الأكبر « محي الدين بن عربي » رضى الله عنه يكتب إلى الملك الكامل ، حينما لم يصمد للصليبيين : « إنك دنى الهمة . . . فانهمض بالقتال ، أو نقاتلك كما نقاتلهم » .

وهذا سلطان العلماء ، والصوفي الكبير الشيخ عز الدين بن عبد السلام

يفقى بالقبض على الممالك ، ويبيعهم فى الأسواق ، وضم أثمانهم إلى بيت مال المسلمين ، لأنهم خانوا أمانة المسلمين ولأن صلاح الدين لم يعتقهم .
والجبرقى يؤكد أن هزيمة الفرنسيين فى مصر إنما كانت على أيدى رجال المقاومة الشعبية من أبناء الصوفية وشيوخها .
ومن قبل ذلك كان للصوفية الفضل الأكبر فى هزيمة التتار فى عين جالوت ، وفى كسر شوكة الصليبيين فى حطين ، وأسر قائدهم « لويس التاسع » فى دار ابن لقمان على أرض مصر .
وحينما تخرج موقف المسلمين بالأندلس كتب الإمام الغزالى رضى الله عنه إلى « يوسف بن تاشفين » ملك المغرب يقول : « إما أن تحمل سيفك فى سبيل الله لنجدة إخوانك بالأندلس ، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى يهض بحقهم سواك » .

ولا يزال التصوف إلى الآن - بحمد الله - يحمل ميراث النبوة المحمدية آمينا عليها ، يفتح القلوب ، وينير البصائر ، ويدعو إلى صدق العبودية لله رب العالمين ، ويقف على أهبة الاستعداد لخوض المعارك الدامية فى سبيل الله .

- ٣ -

ولقد أثار التصوف الإسلامى منذ تميز جدلا وحوارا - ولا يزال - فى الفكر الإسلامى ، والحياة الإسلامية ، واثارت ضده خصومات - ولا تزال - تنكر منهجه فى التربية والسلوك .
وفى الحق أن ذلك ليس بدعا ولا غريبا ، فالأمر فيه كما يقول ابن السبكي فى طبقاته : الناس أعداء ما جهلوا ، فكل فريق من الناس يخاصم من الآراء الرأى الذى لم يعرفه ، والعلم الذى لم يتذوقه » .
وهذا قول حق ، فأهل السنة الذين يقولون : إن الدين نص تفسره . أسباب النزول واللغة والرواية . والمعتزلة الذين يقولون : إن الدين نص يفسره العقل ويوضحه . هما قوتان إسلاميتان تصطرعان وتتنازعان قبل

أن تتحدد مدارس الصوفى وتتميز كعلم وعمل ، وكلتاها تتسكروا على
الأخرى مسلكتها ومنهجها، وهما معاتسكروا على الصوفية منهمجهم ومسلكتهم
حين أصبحوا القوة الإسلامية الثالثة ، التى لا هى نصبة فقط. كأهل السنة ،
ولا هى عقلية فقط. كالمعتزلة ، ولكنها إلى جانب هذا وذاك بصيرة وضاعة
وروح صافية وشهود حق فى حق بحق ، وانكشاف يجلى كل خفى فى الأكون ،
وكال فى مقام الإيمان ، وكال فى مقام الاحسان ، فلم تعاد هذه ولا تلك ،
ولم تشترك فى صراعهما ، وصانت جوهرها من أن يفنى فى حوار طائفى
ما كان أغنانا نحن المسلمين عنه .

— ٤ —

وكما كان لهؤلاء وهؤلاء مدارس علم وتدوين ، وكما نشأت مدارس
الحديث ، ومدارس التفسير ، ومدارس الفقه ، ومدارس علم الكلام ،
ودونت قواعدها وأصولها وفروعها مستمدة من الكتاب ، نشأت كذلك
مدارس للتصوف ، واجتهد رجاله ، ودونوا معارفهم فى العبادات
والأخلاق ، مناهجهم فى السلوك وعلل التنفوس ، ونوازع الخير والشر ،
وأنوار الذكر ، ومقومات الشخصية الإسلامية الكاملة ، وكان مستمدهم
فى ذلك أيضاً الكتاب والسنة ، وحسن متابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم ، فى ميراثه الروحى ، لا يزيفون فيه ، ولا يحيدون عنه .
يقول الجنيد سيد هذه الطائفة وإمامهم كما يصفه القشيري :
« من لم يحفظ القرآن ، ويكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر ،
لأن علينا هذا مقيد بالكتاب والسنة » .

وقال :

« الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا على من اقتفى أثر الرسول
صلى الله عليه وسلم ، واتبع سنته ، ولزم طريقته » .
ويقول سهل التستري ، معبراً عن أصول التصوف :
« أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والابتداء بالسنة ،

«وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم التوبة ،
وإ أداء الحقوق » .

— ٥ —

ولسان الدين بن الخطيب عرف بين المفكرين بالأدب والشعر ،
ولم يعرف بينهم بالدراسات الصوفية .
ولكنه كان مع دراساته الصوفية الواسعة فقيهاً أصولياً مؤرخاً
خطيباً ، كان رجلاً متعدد المواهب ، ولكن الشيء الذي لا يعرفه أكثر
الدارسين هو أنه كان متصوفاً أكثر منه شاعراً وأديباً كما يبدو من كتابه
« روضة التعريف بالحب الشريف » .

لا شك في أن لسان الدين قد سلك طريق التصوف ، وأخلص
سلوكه ، وإن كنا لم نقف على سلسلة شيوخه في الطريق ، فنحن مع ذلك
نرجح أن يكون شيخه في الطريق هو « ابن الحاج » صاحب المدخل ،
وتبدو ملامح سلوكه من حديثه عن الروحانية الصوفية ، وأنوار الذكر ،
حديث الذائق لا حديث الدارس لمجرد الدراسة فحسب ، وأما خفاء
شيوخه فيرجع إلى أن سلوك هذا الطريق كما ذكرنا في آخر كتابه كان
عزيباً ، ولم يكن بين المدعين للسلوك مخلص منهم ، ولعل هذا مع اضطراب
الدولة ، وحرصه على العودة بها إلى نهجها الديني القويم في جو تسوده
نزعات النفاق والانتهازية ، هو الذي جعل لسان الدين يضطرب هو الآخر
في سلوكه السياسي حتى هاج الدهاء بدهاء مثله ، وانحرف به الدهاء فأقصى
منافسيه ولم يعتزل السياسة كما اعتزلها الشيخ الأكبر « محي الدين بن عربي »
حينما وجد الظروف غير ملائمة لسيادة مذهب الروح على المادية الطاغية .
ولقد كان ابن الخطيب غريباً في تبويبه لكتابه هذا ، حتى عد بحق
من أمهات الكتب التي عرضت للتصوف في معينه الأول وهو الحب
الإلهي عرضاً فريداً من نوعه ، يتجلى فيه الذوق الأدبي الرفيع مع الذوق
الروحي العميق . والامسام العلمي الشامل ، فكان الكتاب ذخراً لا بد أن

تحظى به المكتبة العربية بعد طول رقاد في الخزائن الخاصة والعامة .
والكتاب من الكتب التي افتقدتها المكتبات في الجمهورية العربية
المتحدة ، وقد حاول المستشرق « ماسينيون » أن يحفز همم تلاميذه إلى
تحقيقه ، ولكنهم لم يفعلوا ، ولعل ذلك كان راجعاً إلى اضطراب النسخ
الموجودة منه وعدم تكاملها ، حتى رفق الله ولدنا السيد الكامل : الأستاذ
عبد القادر أحمد عطا ، إلى العثور على نسخة كاملة من الكتاب أثناء
وجوده بالمدينة المنورة ، فمكف على تحقيقه وإخراجه ، مجلياً ما دق
فهمه ، واستغلق معناه ، وبذل من ذات نفسه في سبيل ذلك جهداً ملموساً
محرداً مشكوراً .

* * *

وقضية كتاب روضة التعريف ، هي قضية الإنكار على الصوفية
بوجه عام .

ذلك أن من ذاق عرف ، ومن لم يذق لم يعرف ، ومن هنا نجد من
لم يتذوقوا علم التصوف ، ولم تنهياً استعداداتهم لفهم حقيقته يرمون
المتصوفين بادعاءات باطلية في أذواقهم ومشاربهم ، وفي علومهم ومعارفهم ،
وفي مواجيدهم وأحوالهم ، فيما بينهم وبين ربه ، وفي نظراتهم السامية
العميقة في هذا الوجود ، وفي أسرار الملكوت ، كما يدق عليهم فهم كثير
من عباراتهم التي يرمزون بها إلى معان كريمة لا تخرج عن دائرة التوحيد
الصافي ، والتنزيه المطلق .

ولو أن هؤلاء المنكرين قد أخذوا أنفسهم بمنزل ما أخذ به الصوفية -
أنفسهم من تربية وسلوك ، واتقوا الله حق تقاته ، وعبدوا الله كعبادة من ..
يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، لو أنهم فعلوا ذلك ما أنكروا على
القوم شيئاً ، وما رموهم بما يرمونهم به .
وحسبنا دفاعاً في قضية هذا الكتاب ما فند به محققه براهين القضاة
المالكية الذين حكموا على ابن الخطيب بالزندقة ، وحسبنا دفاعاً عن الله وفيه .

بوجه عام ما قاله الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، وهو أكثر أئمتهم حظاً من الاتهامات الباطلة إذ يقول :

« لقد أجمع أهل التصوف جميعاً على أنه لا تحليل ولا تحریم بعد شريعة رسول الله ، وخاتم النبيين ، صلوات الله عليه ، وإنما هو فهم في القرآن يعطى لرجال الله كما ثبت من حديث علي بن أبي طالب : وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه ، فألهمه وجعل له نوراً ... » .

ولقد جمع الشيخ الكبير سيدي أحمد زروق أسباب الإنكار على الصوفية في قواعد ، فقال في القاعدة (٢٠٨) .
« دواعي الإنكار على القوم خمسة :

أولها : النظر لكمال طريقهم ، فإذا تعلقوا برخصة ، أو أتوا بإساءة أدب ، أو تساهلوا في أمر ، أو بدر منهم نقص أسرع الناس للإنكار عليهم ، لأن التنظيف يظهر فيه أقل عيب ، ولا يخلو العبد من عيب ، ما لم تكن له من الله عصمة أو حفظ .

الثاني : رقة المدارك ، ومنه وقع الطعن على علومهم في أحوالهم ، إذ النفس مسرعة لانكار ما لم يتقدم لها عليه .
الثالث : كثرة المبطلين في الدعوى ، والطالبين للأغراض بالديانة ، وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى ، وإن أقام عليها الدليل لاشتباهه .

الرابع : خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتبار لظاهر الشريعة ، كما اتفق لكثير من الجاهلين .

الخامس : شحة النفوس بمراتبها ، إذ ظهور الحقيقة مبطل الحقيقة ، ومن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من سواهم ، وتسلب عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم ، وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور أو معذور إلا الأخير والله أعلم .

لقد كان الشيخ ابن الخطيب مؤرخ التصوف ومذاهب الحب الإلهي ،
والوصلة بين ذوق الشاعر وذوق الصوفي يقرب بين مشاربها حتى لم يبق
إلا تصفية النفوس من شوائبها فإذا السكل من هواة الحب الإلهي الأسمى ،
وكان إنكار الساسة عليه زحفا ماديا جارفا كان لابد أن تصاب به الدولة
الاسلامية آنذاك ، ليمحص الله الذين آمنوا ، ويعدم بقوة الايمان الخوض
معركة العزة الممنوحة من الله لرسوله وللمؤمنين .

- ٦ -

ومن الانصاف أن نعترف بأن التصوف الاسلامي قد دخل عليه
- في عصوره الأخيرة - ما ليس منه ، وانتسب إلى المتصوفة كثير من
الادعاء ، وطاف حول مناهجه الاصلية ضباب وغبار ، وأصابه
ما أصاب مناحي الحياة الاسلامية من جمود وضعف ، وعادات وتقاليد
لا تتفق مع جلاله وكاله ورسالته ، ومن هنا نشأ لدى البعض جهل
بالتصوف وبمكائنه في دنيا الإسلام .

* * *

وإن الأمة العربية وشعوب الإسلام قد استيقظت من سباتها ،
وأخذت تنفض عن معدنها غبار ماض بغيبض ، فرضه عليها طغيان
الاستعمار ، وبغى اليهود ، وتعصب الصليبية .

وإنها في بعثها الجديد لنى أشد الحاجة إلى أن تتسلح بزازد الايمان ،
بقوة اليقين ، ولباس التقوى ، وروح الاسلام ، وعزيمة الجهاد .
وجماع ذلك كله التصوف ، فهو الايمان في أسمى إشرافاته ، والخلق في
أرفع مثله ، والعلم في أصفى موارد ، والجهاد في أعلا ذراه .

وتلك هى الأسس التى ارتكزت عليها دولة الإسلام في نهضتها ،
واستندت إليها شعوبه في نباتها ، وهى الملاح الاصلية لأعظم قوة روحية
عرفها العالم ، وأسمى دعوة إنسانية وعاما التاريخ .

* * *

وقامت ثورة الثالث والعشرين من يوليو ، عام ١٩٥٢ ، وجاء معها البعث والتوثب ، وأشرق الغد بنور الأمل ، وانبعث الغافى للجهاد والعمل .

ومشت روح جديدة تحرك القوى ، وتوظف الأحلام ، والتفتت الجماهير الإسلامية إلى ماضيها ، توقظ آمالها ، وتحيي تراثها ، وكان للتصوف حظه من ذلك ، فسا كان له - وهو العنوان الخالد لمجد الإسلام وقوته الروحية الدافعة - أن يتخلف عن موكب النهضة ، بل كان كما همدهته الدنيا سباقا يتقدم الصفوف ، فأشرق نوره يغمر الحياة في رزاة وقوة وإصرار .

ومن ذلك أن صدرت مجلات تنشر مبادئ التصوف ، وتجلى للناس آدابه ومثله ، وتدعو إليها ، كما نشرت رسائل في مفاهيمه وتعاليمه ومناهجه .

وهذا الكتاب الذى اختاره ولدنا « الأستاذ عبد القادر أحمد عطا » هو واحد من أعمال قام بها فى مجال التصوف ، وفى سبيل تنمية الوعى الروحى بين المسلمين .

والله المسئول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به الناس ، وأن يجزى صاحبه من الفضل كفاء ما بذل .

والله ولى التوفيق ؟

مصطفى عبد الخالق الشبراوى

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

ابن الخطيب ونشأته

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماي ، المعروف « بلسان الدين بن الخطيب » . ولد في « لوشة » ، على عشرة فراسخ من « غرناطة » ، في الخامس والعشرين من رجب ، عام سبعمائة وثلاث عشرة من الهجرة .

وينسب إلى « سلمان » ، وهو حي من « مراد » من عرب اليمن ، انتقل إلى الشام ، ثم هاجر إلى الأندلس ، فسكن « قرطبة » أولا ، ثم « طليطلة » ، ثم « لوشة » ، وأخيرا استقر في غرناطة ^(١) .

ولا يمكن القطع بالوقت الذي هاجرت فيه هذه الأسرة من اليمن إلى الشام ، ثم من الشام إلى الأندلس ، لكن الظاهر أن المجرتين كانتا تبعاً للموجتين المائلتين التي كانت الأولى منهما إلى الشام في حكم الأمويين ، حيث كان اليمينيون في دمشق - حاضرة العرب والإسلام آنذاك - مركز ممتاز ، وكانت الثانية . إلى الأندلس ، بعد أن فتحها العرب ، وأسسوا فيها مملكة زاهرة رغدة للعيش ، فأسرع إليها الناس من كل فج ، وخاصة من الشام ، بدايل تسميتهم بعض بقاع الأندلس بأسماء البقاع الشامية ^(٢) .

كان بيت لسان الدين بيت علم ونفوذ وسيادة ، وكان يعرف قديما « بيت الوزير » ، حتى ظهر « سعيد » الجلد الأعلى لسان الدين ، وكان من أهل العلم والدين ، وكان خطيبا في لوشة ، وهو أول من استوطنها منهم ، فعرف هذا البيت حينئذ « بيت الخطيب » .

وكان جده الأدنى سعيد من أهل القرآن والخط والحساب والأدب ، وتوفي عام ثلاث وثمانين وستائة من الهجرة .

(١) ترجمة لسان الدين لنفسه في آخر « الإحاطة في أخبار غرناطة » وانظر « نفح الطيب ٣/٢ » .

(٢) راجع مقدمة « الممجة البدرية لسان الدين » نشر « محب الدين الخطيب » ط القاهرة

وأبوه « عبد الله » كان أول من انتقل من هذا البيت إلى « غرناطة »
 وخدم ملوك بنى الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام ، وكان من العلماء بالأدب
 والطب ، وقرأ على « أبي الحسن البلوطي » ، و « أبي جعفر ابن الوزير » ،
 وغيرهما ، وأجازة طائفة من أهل المشرق ، وتوفي شهيدا بطريف ، عام واحد
 وأربعين وسبعائة من الهجرة .

في هذا الوسط العلمي نشأ لسان الدين « محمد » فكان من الطبيعي أن
 يتجه إلى ما اتجه إليه أسلافه من تحصيل العلم ، والكلف به ، وساعده على تدمية
 مواهبه الموروثة كثرة العلماء من حوله ، وسهولة التحصيل ، وعناية أهل العصر
 بالعلم والعلماء ، واستمداده الشخصي ، وطموحه الذي يبدو في كل مرحلة من
 مراحل سيرته .

قرأ القرآن الكريم على « أبي عبد الله بن عبد اللوى العواد » فأتقنه
 كتابة وحفظا وتجويدا ، وقرأ كذلك على « أبي الحسن القيحايطي » وأخذ
 عنه العربية ، وقرأ على الخطيب « أبي القاسم » والشيخ « ابن الحاج » صاحب
 للدخل ، ولأزم قراءة العربية والفقه والتفسير على الإمام « أبي عبد الله الفخار
 الألبيري » شيخ النحويين في عهده ، وقرأ على قاضي الجماعة « أبي عبد الله بن
 بكر » ، وتأدب بالرئيس « أبي الحسن بن الجياب » سلفه في الوزارة ، وأخذ
 الطب وصناعة التعديل عن الإمام « أبي زكريا بن يحيى بن هذيل » ولأزمه
 وألف في هذين العلمين .

مصنفاته ومنزله :

لابن الخطيب مصنفات كثيرة في علوم مختلفة تدل على سمعه اطلاعه ،
 وجودة استيعابه ، وتعدد جوانب عظمته ، إذا أخذنا في اعتباره ما كان يحيط به
 من مشا كل السياسة في عصره ومن هذه المصنفات :

- ١ - الإحاطة في أخبار غرناطة .
- ٢ - الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة .
- ٣ - الملحمة البدرية في الدولة النصرية .
- ٤ - طرفة العصر في دولة بني نصر .
- ٥ - رقم الحلل في نظم الدول .
- ٦ - المكتيبة السكامة في أدباء المائة الثامنة .
- ٧ - إعلام الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام .
- ٨ - بستان الدول (أتم منه ثلاثين سفرا) .
- ٩ - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب .
- ١٠ - خطرة الصيف ورحلة الشتاء والصيف .
- ١١ - مفاضلة بين مائقة وسلا .
- ١٢ - معيار الأخبار .
- ١٣ - التاج الحلى في مساجلة القدر الممل .
- ١٤ - الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظام التاج من الجواهر .
- ١٥ - ربحانة الكتاب .
- ١٦ - السحر والشعر .
- ١٧ - جيش التوشيح .
- ١٨ - الصيب والجهام (ديوان شعره) .
- ١٩ - النثر في غرض السلطانيات .
- ٢٠ - عائد الصلة .
- ٢١ - الذفاية بعد السكفاية .
- ٢٢ - المختصر في الطريقة الفقهية .
- ٢٣ - الألفية في أصول الفقه .

٢٤- روضة التعريف بالحب الشريف (وقد قتل بسبب هذا الكتاب) .

٢٥- المسائل الطبية .

٢٦- اليوسفي في الطب .

٢٧- عمل من طب لمن يحب .

٢٨- استنزال اللطف الموجود في أسر الوجود . وقد ذكره المقرئ باسم استنزال اللطف الموجود في سر الوجود^(١) .

وليس أدل على منزلة ابن الخطيب في الأدب من شهادة رجل كان صديقا له وكان خصما له يزاوجه على المنصب والشهرة في الوقت نفسه ، هو العلامة « عبد الرحمن بن خلدون » حين يقول « وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والدثر ، والمعارف والأدب ، لا يساجل مداه ، ولا يهتدى فيها بمنزل هداه »^(٢) .

وقد برع كما هو واضح من فهرس مصنفاته في التاريخ والأدب والفقه والأصول والطب والتصوف ، وهو منهج ليس غريبا بين علماء القرون الماضية الذين لا يؤمنون بقضية التخصص في فرع واحد من فروع العلم ، تلك القضية التي لازال يؤيدها بعض المفكرين في العصر الحديث ، ولها في جانبها أنصار وخصوم .

في ميدان السياسة :

كثير الوزراء الأدباء في المصور الأولى للإسلام ، بل كان النبوغ في الأدب هو المؤهل الأول للوزارة ، واسكن الوزير الأديب العالم الفقيه الأصولي

(١) نفح الطيب : ٢٤٤/٤ . راجع أيضا [بروكلمان ٢/٢٦٢ ، والملحق ٢/٣٧٢] . حيث ذكر المراجع عنه ومؤلفاته .

(٢) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا « لابن خلدون ، ١٥٥ ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الطبيب الصوفي هو النموذج الذي يقل بين وزارة التاريخ الإسلامي .
وقد كانت حاجة الأندلس إلى هذا اللون الموسوعي من الوزراء ماسة
بمقدار ما في التيارات المهاجمة من قوة ، فقد انقسمت الأندلس إلى دويلات ،
واشتد الهجوم عليها حربيا وفكريا من أجناس ليست عربية ولا إسلامية ،
وكانت الأسلحة الفكرية تختلف باختلاف الميدان الذي تلعب فيه دورها ،
فهى بين العامة تشكيك وهدم وبين العلماء اتهام بالزندقة والإلحاد ، وكان كثير
من العلماء يؤثر على السكسب الرخيص على الصالح العام ، ولذلك كان العلم
والأدب والسياسة ضريبة لازمة على من يتولى الوزارة فى تلك الأيام ، لا سيما
وأنة لم يخل الجو الإسلامى الخالص من نزعات المزاحمة وما تتطلبه من تجريح
ودس ونفاق ، شأن الدول المضطربة التى تقترب من النهاية .

كان ابن الخطيب من هذا اللون الذى حذى العلم والأدب والسياسة ،
وحذى لذلك الاستبداد بالدولة والتحكم فى سائر أحوالها ، وكان الاستبداد فى
ذلك الوقت لازماً لزوم بقاء الدولة الفاتحة المهتدة بالسقوط . وحياة الدين الجديد
فى هذه الأصقاع . وإن كان هذا اللون من سياسة الدول فى حاجة إلى ضمير وعدل
كان مفتقدا حتى فى بطلنا هذا .

لقد تسلل ابن خلدون إلى السلطان فاشتمله فترة من الزمن حتى ارتضى
ابن الخطيب لذلك ^(١) وأدرك ما يحول فى صدر صديقه من الميل إلى التصدر
الذى يؤديه احتراف السياسة ، ويستلزم فى الوقت نفسه إقصاء المنافس على غفلة
وغرة ، وشعر الداهية ابن خلدون بمشاعر ابن الخطيب ، فلم يرد أن يعان خبيثة
نفسه ، بل عاج الأمر علاجا سياسيا ، قد يؤدى فى كثير من الأحوال إلى
تجريح الخصم واستدراار العطف نحو الخادم المضطهد الدخيل . فاستأذن السلطان

(١) « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا » ٨٤ ، ٩٣ ، ٢ .

فِي السَّفَرِ إِلَى صَاحِبِ « بَحَايَةِ » فَبَارَكَ ابْنَ الْخَطِيبِ تِلْكَ الرِّحْلَةَ ، وَسَرَّهَا فِي أَعْمَاقِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَتَبَ إِلَى ابْنِ خَلْدُونِ بَعْدَ رَحِيلِهِ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الدَّهَاةِ مِنَ السَّاسَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا مَا دَعَا دَاعٍ مِنَ الْقَوْمِ بِاسْمِهِ وَثَبَّتْ وَمَا اسْتَثْبَتَ شَيْمَةَ هَيَّانَ
وَتَا اللَّهَ مَا أَصْنَعْتَ فِيهِ لِعَاذِلٍ تَحَامَيْتَهُ حَتَّى ارْعَوَى وَتَحَامَى

بَدَأَ ابْنُ الْخَطِيبِ حَيَاتِهِ السِّيَاسِيَّةَ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ « أَبِي الْحِجَاجِ » سَابِعِ مُلُوكِ بَنِي نَصَرٍ الْمَعْرُوفِينَ بِبَنِي الْأَحْمَرِ ، فَالتَّحَقَّقَ بِدِيَوَانِ الْكِتَابَةِ مَرَّةً وَسَا بِأَسْتَاذِهِ « ابْنَ الْجِيَابِ » شَيْخَ الْعُدُوتَيْنِ فِي النِّظَمِ وَالنَّثْرِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَاسْتَقْلَ « ابْنَ الْجِيَابِ » رِثَاةَ دِيَوَانِ الْكِتَابَةِ إِلَى أَنْ هَلَكَ بِالطَّاعُونَ عَامَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَخَلَا الْجَوْلَانُ ابْنَ الْخَطِيبِ ، فَوَلَّاهُ السُّلْطَانُ رِثَاةَ دِيَوَانِ الْكِتَابَةِ ، وَتَنَاهَا بِالْوِزَارَةِ ، وَلَقَّبَهُ بِهَا ، ثُمَّ دَاخَلَهُ السُّلْطَانُ فِي تَوَلِيَةِ الْعَمَالِ عَلَى يَدَيْهِ بِالْمَشَارِطَاتِ ، فَجَمَعَ لَهُ بِهَا أَمْوَالًا طَائِلَةً ، وَبَلَغَ بِهِ مِنَ الْخَالِصَةِ إِلَى حَيْثُ لَمْ يَبْلُغَ بِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ .

وَسَفَرَ ابْنُ الْخَطِيبِ عَنْ « أَبِي الْحِجَاجِ » إِلَى السُّلْطَانِ « أَبِي عَنَانَ » مَلِكِ بَنِي مَرِينٍ بِالْعُدُوتِ ، فَخَلَّى فِي أَغْرَاضِ سَفَارَتِهِ ، حَتَّى قَتَلَ « أَبُو الْحِجَاجِ » يَوْمَ الْعِيدِ ، وَبَوَيْعَ ابْنِهِ « مُحَمَّدٍ » فَأَفْرَدَ « ابْنَ الْخَطِيبِ » بَوِزَارَتَهُ ، كَمَا كَانَ لِأَبِيهِ وَاتَّخَذَ لَلْكِتَابَةِ غَيْرَهُ ، وَجَعَلَهُ رَدِيفًا لَهُ ، وَبَعَثَهُ إِلَى « أَبِي عَنَانَ » مَرَّةً أُخْرَى مُسْتَعْدِيًا لَهُ عَلَى الْعُدُوِّ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشَدَ قَصِيدَةَ طَوِيلَةَ قَبْلِ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ جَاءَ فِيهَا :

وَدَافَعْتَ عَنْكَ كَفَّ قُدْرَتُهُ مَا لَيْسَ يَسْطِيعُ دَفْعُهُ الْبِشْرَ
وَالذَّنَاسَ طَرَأَ بِأَرْضِ أَنْدَلُسٍ لَوْلَاكَ مَا أَوْطَنُوا وَلَا عَمَرُوا

فَاهْتَزَّ السُّلْطَانُ ، وَأَذِنَ لَهُ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ : مَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ إِلَّا بِجَمِيعِ عَطَائِهِمْ ،

وفي ذلك يقول القاضي . . « أبو القاسم الشريف » : إنه لم يسمع بسفير قضي سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ثم بدأ نجمه في الأفول بسقوط سلطانه ، واضيق المتغلب عليه في محبسه حتى سفر له أحد أصدقائه عند ملك المغرب ، فشنع فيه وأطلقه .

كان ابن الخطيب من السياسيين المستبدين الذين لا يحبون من الحقائق أن نظيراً له يمكن أن يتحدث الناس عن مواهبه وأن يلهجوا باسمه ، ولذلك كان بارعا في إقصاء منافسيه على الاستقلال بالسلطان ، شأنه في ذلك شأن كبار الموظفين الذين يعملون في الخفاء ضد كل عبقرية تلمع ، أو مقدرة تظهر ، فهم لأنفسهم ولو حطموا في سبيل ذلك العبثيات ، وداسوا القدرات ، لا يحبون أن يشاركهم في الهواء المحيط بالسلطان إنسان ولا حيوان .

كان « عثمان بن يحيى » مقدم القوم في « غرناطة » فلما أعاد السلطان « ابن الخطيب » إلى مكانه من الدولة ، أدركته الغيرة من عثمان ، وأنكر على السلطان الاكتفاء به وخوفه على ملكه من أمثاله ، واشتد نكيره حتى نكبه السلطان وأباه وإخوته في رمضان عام أربع وستين وسبعائة من الهجرة . وخلا الجو لابن الخطيب ، وغشى بابه الخلاصة والكافة ، فأصيب بالوشاة الحاقدين كذلك ، وتوافق منافسوه على السعاية به ، وأصم السلطان أذنيه عن هؤلاء ، وعلم ابن الخطيب بذلك ، فجرد همته في الإيقاع بهم .

وكان « عبد الرحمن بن أبي يفلوس » ابن عم « أبي الحسن » ملك العدو شيخا للفرقة في الأندلس ، وكان بارعا ، فأغرى ابن الخطيب سلطانه عليه وعلى « ابن ماسي » فقبض عليهما .

وكان أمر حاسديه قد اشتد لكثرتهم وتوافقهم ، فأوجس ابن الخطيب منهم ، وأجمع أمره على التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان

في تفقد الثغور الغربية ، وسار إليها في لمة من فرسانه ، فلما حاذى « جبل الفتح » اضطر إلى اجتياز العدو ، فخرج قائد الخيل لتلقيه ، وأجازه إلى (سبتة) فسار يقصد السلطان ، عام ثلاث وسبعين وسبعمائة من الهجرة ، بمقامه من (تلمسان) فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأرسل يطلب أهل ابن الخطيب وولده فجاءوا على أكرم حال .

ولخط المنافسون في شأنه ، وأغروا بقتل عثراته ، وشاع على السنة أهدائه كلمات من الزندقة أحصوها عليه ، ونسبوا إليه ، ورفعت إلى قاضي الحضرة « الحسن بن الحسن » فاستدعاه ، وسجل عليه بالزندقة ، وأرسل إلى السلطان « عبد العزيز » في الانتقام منه ، فأبى السلطان أن يخفر جواره .

ولما مات السلطان عبد العزيز ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير « أبي بكر بن غازي » فنزل بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن ، واغتراس الجفات .

ولما استولى أبو العباس على (البلد الجديد) أوائل عام ست وسبعين وسبعمائة من الهجرة . ثار الدخان حول ابن الخطيب ، فهدسوا له عند السلطان ، بأنه كان يفرى السلطان عبد العزيز بملك الأندلس ، وانتهى الأمر بنجاح سليمان بن داود في القبض على ابن الخطيب ، وإحضاره في مجلس الشورى ، وعرضوا عليه كلمات وقعت له في كتابه (روضة التعريف بالحلب الشريف) الذي تقدم له ، وعظم عليه الفكر فيها ، ونسكل به وامتنحن بالمذاب ، ثم تشاوروا في قتله ، وأقضى بعض العلماء بذلك ، ولكن سليمان بن داود ، أسرع فهدس له بعض الأوغاد من حاشيته فدخلوا عليه سجنه ليلاً وخفقوه ، وأضرمو النار حول جثته حتى احترق شعره واسودت بشرته . ثم أودع حفرته .

وكان لسان الدين يتوقع نكبتة في سجنه فيبكي نفسه ويقول :
بعدنا وإن جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما وكنا نقوت فيها نحن قوت
إلى أن يقول :

فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له فقل يفرح اليوم من لا يموت
ويروي « التنبكتي » في « كفاية المحتاج فيمن ليس في الديباج »^(١) أنه
رأى نفسه بقوله :

قف لترى مغرب شمس الضحى بين صلاة العصر والمغرب
واسأترحم الله قتيلا بها كان إمام العصر في المغرب
ويعلق على ذلك بقوله : وكان قتله والحكم بكفره وصمة في جبين قضاة
المالكية بالمغرب ، حيث كانت فتوى بلا برهان .
كتاب روضة التعريف بالحلب الشريف :

المخطوطة التي عثرت عليها بالمدينة المنورة لهذا الكتاب تم نسخها في ضحوة
الخميس ، حادى عشر من شوال ، عام ألف ومائة وتسع عشر من الهجرة ،
بالمدينة المنورة ، على يد الشيخ « محمد بن مصطفى بن عمر الأسكداري ثم اللدني »^(٢)
وتقع في مائة وثلاثين ورقة ، ومسطراتها ثلاث وثلاثون سطرا ، وهي بخط نسخي

(١) من مخطوطات مكتبة الشيخ هارف حكمت بالمدينة المنورة وقد وقعت عليه أثناء
وجودى هناك .

(٢) حدثني علامة المدينة المنورة المرحوم الشيخ « أحمد بن الحيارى » رضى الله عنه
بالمدينة المنورة عام ١٩٦٠ ميلادية أن هذا النسخ كان أحد كبار العلماء بالمدينة المنورة
وكان يقرأ المتوحات المكية على طلابه بالحرم النبوى الشريف ،

جميل جدا ، وعليها تقييدات بخطوط مختلفة ، ونقول من كتب الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، ومن كتب الشيخ العارف عبد الوهاب الشعراني وغيرهما .

وقد دخلت النسخة في نوبة الشيخ علي بن عثمان المدني ، المعروف بمفتي زاده ، عام « ألف ومائة وثلاث وعشرين من الهجرة » ، وفي أسفل صحيفة العنوان كتب « حلى بك عاصم » ، خادم السلطنة بدار الهجرة ، أنه استعار هذا الكتاب من صاحبه المذكور وأخذه معه إلى استامبول لنسخه وإعادة .

والنسخة جيدة الخط مشكولة الحروف ، وبها تحريف قليل ، وسقط أكثر قليلا من التحريف ، فاتخذتها أساسا للتحقيق ، لاسيما وأنها مراجعة على نسخة ثانية ، وأثبت مراجعها بعض القروق على الهامش ، ولم أجد لهذا الكتاب نسخة خطية أخرى ، غير اختصار له بالمسكبة التيمورية بدار المسكبة المصرية ، ولذلك قمت بتصوير أقدم النسخ من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

١ - نسخة الظاهرية بدمشق :

صورت من نسخة خطية بالظاهرية وتقع في ١٢٤ ورقة ، ومسطرتها ثلاثة وعشرون سطرا ، وتم نسخها في يوم ، الأحد سابع شهر رمضان المعظم سنة خمس وخمسين وثمانمائة من الهجرة ، على يد « عمر بن عبد الله بن محمد المظراوى » وخطها جيد ، ولكنها رديئة جدا ، وكثيرة التحريف والسقط والتصحيف ، ولكننا استفدنا منها في إضافة كثير مما سقط من الأصل ، وليس عليها تقييدات ويبدو أنها ونسخة أسعد أفندى تنتهيان إلى أصل واحد لتفاقهما غالبا في السقط والتحريف . وهي فيلم مصور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية .

٢ - نسخة أسعد أفندى بتركيا :

كتبها : أحمد بن عمر بن عبد القادر الشربيني . وفرغ من كتابتها يوم الخميس المبارك عاشر شهر شعبان المكرم سنة أربع وخمسين وثمانمائة من الهجرة ، وتقع في ٢٨١ ورقة ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا ، وهي بخط نسخي جميل جدا ، وليس عليها تقييدات .

وهي قليلة التحريف بالنسبة إلى نسخة الظاهرية ، ولكن بها بعض السقط وقد انفتت مع نسخة الظاهرية في كثير من مواضع التصحيح ، وقليل من مواضع السقط .

ولكنها تعتبر من النسخ الجيدة . وهي من مصورات معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية كذلك .

منهج الكتاب ومزاياه :

ألف ابن الخطيب كتابه هذا معارضا به «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة التلمساني ، ويقول عنه في رسالة بعثها لابن خلدون : إن كتابا وقع للسلطان من تصنيف «أبي حجلة» من المشاركة ، فأشار الأصحاب بمعارضته ، فعارضته وجعلت الموضوع أشرف ، وهو محبة الله تعالى ، فجاء كتابا ادعى الأصحاب غرابته ، وقد وجه إلى المشرق بحجة تاريخ غرناطة ، وتعرف تمجيدسه بخانقاه سعيد السعداء^(١) . ولا وجود لهذه النسخة ولا لصورة منسوخة منها ، ولعلمها نهبت إلى مكتبة خاصة أو فقدت . ونرجح أن تكون هي أصل النسخة المدنية لكثرة المهاجرين للجواررة من مصر إلى المدينة المنورة من العلماء ، ونشاط التصوف في الحرمين الشريفين في تلك الأزمان . ولأن أغلب المهاجرين للجواررة كانوا من صوفية العلماء الذين كان يمتزج بهم خانقاه سعيد السعداء ، فمن القريب إلى

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا : ١٢١ ط القاهرة

العقل أن تكون قد نسخت على يد أحد الصوفية الذين صحبوها معهم إلى دار
المجرة المباركة .

أما نسخة أسعد افندي ونسخة الظاهرية فنرجح أن تكونا ترأين من أصل
تركي .

ويقول لسان الدين في مقدمة كتابه : إن السلطان هو الذي أمة بمعارضة
الكتاب ، ولا غرابة في اختلاف كلامه الموجه لابن خلدون وكلامه المذكور
في المقدمة ، فقد يكون السلطان أسره بالمعارضة بقاء على رغبة الأصحاب .

ومنهج الكتاب غريب في بابه ، فهو منهج لم يتفق لمؤلف قبله ، ويعتبر
يحق خطوة في سبيل التجديد الصوفي لم يسبق إليها ، فهو يقول في المقدمة « وقد ذهبت
في ترتيبه أغرب المذاهب ، وجعلته شجرة وأرضا ، فالشجرة المحبة مناسبة
وتشبيها ، وإشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتنبئها ، والأرض النفوس التي
تفرس فيها ، والأغصان أقسامه التي تستوفيها ، والأوراق حكاياتها التي تحكيها ،
وأزهارها أشعارها التي تحييها ، والوصول إلى الله ثمزتها التي ندخرها ونقتنيها .

ويقول كذلك « إنه لم يترك فنا إلا جمع بينه وبين مذاهبه ، ولا نوعا
إلا ضمه إلى ما يليق به ، فاستكثر من الشعر لأنه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي
يحرك عذبات أفنانها ، وهو اللزمار الذي ينفخ الشوق في براعته ، واجتلب
الكثير من الحكايات لأنها وسائد مجاس الرقائق ، وصراوح النفوس من كد
الأفكار ، ونقل شواهد من الحديث والخبر تجري صائحها مجرى الزكاة من
الأموال ، ويجري ما سواها من غير الصحيح مجرى الأمثال » .

فالكتاب على هذا كما يقول مؤلفه « مسرخ للفاره وغيره ، يجد فيه كل
ميدانا لسيره ، وملقطا لطيره ، ومحكا لغيره ، فمن فاق كلف بأصوله ، ومن
قصر قنع بفصوله » .

ولم يهمل المؤلف مسائل الحب غير الإلهي ، لامن جهة الأسباب ولا من جهة الغايات وهو وإن لم يبوب عليه أصلا ، فإنه أدرجه ولم يهمله ، بل استبحث في كثير من المواضع طوائف المحبين لغير الله أن ينطلقوا من حبهم المقيد إلى جنات الحب المطلق ، حتى ينبته الله المبات الحسن ، فتنتشر في إيالة القلب دعامته ، ويظهر في أقطار الروح سلطانه ، ويقود جنوده للتفكير ، ويأخذ بهمشه الإخلاص ، ويزرع جنائيه المحاسبة ، وتقرر أحكامه العزيمية ، ويقرب إليه الشهود ، ويحقق زينته الغناء ، وتظفر باستخلافه الولاية .

وبرى المؤلف أن الحب الإلهي هو أصل طريق التصوف ، وأساس الوعى الروحى ، وأن الأرض التى يغرس فيها الحب الإلهي وهى النفس لابد من تنظيمها من الشكوك ، ثم إروائها من جداول العقل والنقل ، بعد تمييز ما يصالح منها لاغتراس الحب الإلهي ومالا يصلح .

ثم يتحدث عن أسباب الحبة ، ويبدأ بتحقيق الفرق بين الحبة والمعرفة ، وأيهما شرط لازم لصاحبه ، ويخلص إلى أن المعرفة العامة تسبق الحب ، وتقدمه المعرفة الخاصة . وأسباب الحب عنده النبوة ، والإيمان ، واليقظة ، والقبول ، والنفكر ، ومعرفة الجمال والكمال .

والسلوك إلى الحب بالذكر ، وبالسيمياء التى عفن بعضها وبقي الانتفاع ببعضها ، وبعد ذلك يتحدث عن الحبة وأنواعها واشتقاقاتها

ثم بعد ذلك يتحدث عن العارف وأوصافه وعلومه ، ثم عن البدايات ، والأبواب والسمالات ، والأخلاق ، والأصول ، والأودية ، والأحوال ، والولايات ، والحقائق ، والنهايات .

ثم يتحدث عن أنواع المحبوبات . ثم عن المحبين من الفلاسفة الأقدمين

والإنشراقيين والإسلاميين والمسلمين ، وأهل الوحدة المطلقة ، والصوفية سادة المسلمين .

ثم يتحدث عن علامات المحبة ، ما يرجع من ذلك إلى حقوق المحبوب ، أو إلى ظاهر الحب ، أو باطنه ، ثم عن أخبار المحبين ، ثم عن جوائح الشجرة ثم عن تغريد الطائر الصادح في أعلا الشجرة ، أى شجرة الحب الشريف .

وأنت ترى مدى غرابة تبويب الكتاب ، وتأثره بالذوق الأندلسي الرفيق حتى جاء على عمقه في العلم آية من آيات الإبداع والسهولة وبسر الفهم ، اختلط فيه الذوق الأدبي بالحقائق العلمية ، فساغ النظر فيه ، وخف على العقل ، واستراحت له النفوس ، واجتأب إليه الكثيرون من القراء ، وتلطف في جذب البعيدين إلى حضرة القرب .

ومادة الكتاب العلمية دلالة واضحة على سعة أفق المؤلف العلمي ، وإلمامه بالمذاهب الفلسفية المختلفة ، وقضايا الكلام والتصوف ، ولانستطيع أن نقول إنه ثمرة درس خال من السلوك ، لأن التصوف العلمي يمكن تمييزه عن التصوف العملي من اللهجة العامة ، والذوق الرقيق ، والإشعاعات التي تغمر القلب من قول السالك الحق : وهو ما يجده في كل سطر من سطور الكتاب ، ولعله درس أصول التصوف على شيخه « ابن الحاج » صاحب المدخل ، فقد كان صوفيا متشربا ، لأننا لم نستطيع الوقوف على سلسلة مشايخ المؤلف في التصوف ، مع البحث الطويل ولقد أيد القول بسلوك ابن الخطيب للطريق أستاذنا العلامة الصوفي الكبير سيدي الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوي ، ولا يطمئن عليه في سلوكه اشتغاله بالسياسة ، فلهذه كان يريد أن يسود التصوف بمبادئ السياسة ، كما حاول الشيخ الأكبر « محيي الدين بن عربي » وإن لم ينجح مسعاه .

والكتاب مزايا يفرد بها وأهمها ما أتى :

١ — جاء سجلا جامعا لمذاهب الحجة عند مختلف المذاهب والطوائف ما كان منها على هدى ، وما كان منها في ضلال مبين ، بل وبين مظاهر السكون بعضها مع بعض ، وبين الأفلاك والأكوان ، وبين الألحان الموسيقية ، وهو مالم يستغل به تأليف قبله .

٢ — جاء سجلا جامعا كذلك لكل ما يحتاج إليه الإنسان لتقويم وعيه الدينى ، من التشريع ومسائل الكلام والمقيدة ، وترقية الذوق ، وتطهير النفس ، وتصفية الروح .

٣ — يعرض القضايا العلمية في صورة أدبية محببة للنفس بحيث لا يمل قارئه ، بل ينساق معه حتى نهايته ، دون ملل ولا توقف . ولكل نوع من العلماء فيه مجال .

٤ — الكتاب عرض شامل لمذهب التصوف ، وتحديد دقيق لاتباعاته ، وأحواله ، ومقاماته ، وثمراته ، وحقائقه . وقل أن نجد كتابا جامعا لذلك كله .

٥ — يفتى للباحث عن كتب كثيرة ، فهو يضع أمام القارئ مذاهب شتى في موضوع واحد فتسهل المقارنة بينها .

٦ — يقرر للغة العربية أصالة الذوق الأدبي في عالم المعاني ، فهو يربط بين أقوال الشعراء في المعاني المقاربة لمعاني الصوفية ، فلم يبق إلا توجيه قليل يصبح بعده جميع الناطقين بالعربية من رواد الوعي الروحي .

هذا إلى كثير من المزاي الفرعية ، كتتحقيق لفظ الحجة ، وأنواعها ونقد المذاهب المضلة ، وغير ذلك ، وإن كان في كثير من مواضعه قد اقتبس من كتب الأقدمين مثل « حكمة الإشراق للسهرودى ، وشرحها الشيرازى ،

وفصوص الحكم للشيخ الأكبر، والتدبيرات الإلهية له أيضا ولم ينفه على اقتباسه بينما نبه على ذلك في تقوله عن فلاسفة اليونان وغيرهم غالبا .

قضية الكتاب :

قتل ابن الخطيب بسبب هذا الكتاب ، أو كان هو السبب المباشر لقتله وإن كانت الأسباب تضرب بمحذورها إلى الحقد والسياسة . وقيل في سببه ذلك : إنه يقرر في كتابه مذهب الوحدة المطلقة الذي يجر إلى القول بالحلل والائحاد ، وغير ذلك من أقاويل الزندقة والإلحاد .

ولا أدري كيف حكم القضاة المالكيون على الرجل بالقول بالوحدة المطلقة إلا إن كانوا قد استقوا هذه التهمة من أفواه أعدائه ، دون رجوع إلى أصول الكتاب ، وتلك سابقة غير حميدة في القضاء المالكي بالمغرب .

وسواء رجعوا إلى أصول الكتاب أم لم يرجعوا ، فالحكم على الرجل بسبب كتابه هذا لا يبرئ قضية المالكية من تعظيم سور المداة وانتهاك حرمة الدين ، لا شيء إلا لأن هذا الكتاب يخلو تماما من التهمة التي وجهت إلى مؤلفه بالمعنى الذي يريده القانون والمعدل ، لا بالمعنى الذي تريده السياسة والكسب الرخيص آنذاك .

١ - لقد عرض المؤلف لمذاهب الحبيين كما أسلفنا . وعرض من جلته مذهب أهل الوحدة المطلقة ، بل مذهب الطبيعيين ، وعرض للمذاهب لايمتثل للقول باعتناق المؤلف لها والحكم عليه من أجل عرضها .

٢ - في حديثه عن « جذرة الحلل والائحاد » يقول : « وما من مقالات النصراني ... وهو باطل » . ثم ساق الأدلة على بطلانها عقلا ونقلا ، ثم قال : « وما يلزم ذلك من غلاة الصوفية فهو يوم هذا الباب وليس به ... » (٣ - روضة التعريف)

وليس مرادهم أن شيئين صاروا واحداً ، إنما مرادهم : أن التوحيد الحقيقي هو التخلص من ضيق عالم الحدوث ، إلى فسحة القدم ، وهو ثلاث درجات :

الأولى : العرفان التام المترجم عنه « بأننا » وليس إلا الله حقيقة وللسالك وهما لاحت للمعارف منهم حالة في نفسه ليس في الدلالة اللسانية ما يدل عليها ، فساق أقرب الألفاظ الدالة عليها ، مع علمه في الحال بأن الله لا يتحد به شيء ولا يحل في شيء .

الثانية : مقام الحاضر في مقام المكاشفة ، الغائب عن الغيبة ، وترجمته « أنت » ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنت كما أنثيت على نفسك » .
الثالثة : مقام الغائب المستدل بالأثر ، المحجوب عن العيان بالخبر ، وترجمته « هو » .

فمن زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره ، وصار معه شيئاً واحداً لم يكن من الصوفية المحققين في شيء ، وهو إلى الهذيان أقرب .

ومن زعم أنه تلاشت رسومه ، وفنى عن وجوده ، وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته ، وفنى من لم يكن ، وبقي من لم يزل ، ترك وتوقف فيه . لأنها لا تعلم حقيقتها بالبرهان ، ومدعيها من أهل الاستقامة ، ولا يصح الحكم على حاله يعرف ، إنما مستند هذه الدعوى الوجدان ، وهي من باب خرق العوائد ، لمكن ينبغى ألا يصدق فيها كل مدع ، وأسرار الله لا يفكر فيها الغامض والأغمض

٣ — ويقول المؤلف في حديثه عن مراتب الذكر : « ومن ليس له قدم ثابتة أو هم الجحد ، ثم يفنى بعد ذلك الفناء الثاني ، ثم أبقى بالشرعية ، ويعبر عنه بمقام : كنت سمعه وبصره ، وكثير من الطوائف تدعى الحلول والاتحاد ، ولذلك متفقون على أنه لا يبقى في ذلك المقام إلا الله ، ومن كلف الحادثات

العبارة عن هذا المقام فقد ظلمه وعرضه للفضيحة الدائرة بين الكفر والحماقة .

٤ - ثم يقول بعد ذلك « وإن كانت نفسه في رتبة النفس الكلية أدرك العقل السكلي والأول وهو ذاته ، فابق له ذات يعاين بها ذات الله ، وإنما يدرك ذات نفسه ، فلا يدرك ذات الله إلا الله » .

٥ - وأورد في نهاية مذهب أهل الأنوار من الأقدمين عدة أدلة على بطلان الاتحاد .

وقال في نهاية حديثه عن مذهب أهل الوحدة المطلقة : « قلت و واهر الكثير من هذه الألفاظ توهم معارضة الشرائع ، ومنشأ هذا الرأي على الاتحاد ، وقد تبين بطلانه ، وفضلاء نحلتهم يتراوون عنه » . ثم يقول : « وهم محسوبون من المحبين ، فن طمع إلى شيء ، وتهالك في الوصول إليه ، وتأكّد إليه ميّله ، وفي التوحد به طمعه ، وعظم إليه اشتياقه ، فهو محب من غير نزاع ، ميزانه في المحبة راجع بزعمه » .

هذه أقوال المؤلف التي اتهم بالزندقة من أجلها ، فهل هو زنديق حقاً ؟

الحق أنه يخالف مذهب الوحدة والحلول والاتحاد ، فهو يعد من زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره ، وصار معه شيئاً واحداً إلى الهذيان أقرب منه إلى مذهب الصوفية ، بل هو من الغلاة الذين ضلوا وأضلوا .

وأما توقفه فيمن زعم أنه تلاشت رسومه وفقى عن وجوده . . . ولم يبق إلا الله ، فلا يلزمه سوى الزندقة بأي حال . وقد أقام الدبيلي القاطع على جواز التوقف في حق هذا النوع ، لأن البراهين العقلية لا تثبت هذا النوع من المسائل ، بل إن الوجدان الشخصي هو مستند هذه الدعوى ، وحيث كان الوجدان الشخصي لا يمكن كشفه بدليل ، فالتوقف جائز بل واجب لأنه

أولى من تكفير المسلم بشبهة . لاسيما وأن أصل حال المسلم مبني على الإصلاح والستر ، ولا يجوز العدول عنه إلا يرجع ، فإذا انعدم المرجع بقى الأصل على حاله .

وفتأوى أهل السنة من العلماء لا تحكم بتكفير الصوفي إذا نطق بالفاظ غامضة غير مألوفة ، فضلا عن تكفير من أبدى رأيه فيها دون أن ينطق بها .

جاء في « باب الردة » من شرح الروض لشيخ الإسلام « زكريا الأنصاري » رضى الله عنه : « والصوفية كلهم أخيار ، وكلامهم جار على اصطلاحهم ، وهو حقيقة عندهم في مرادهم ، وإن افتقر عدد غيرهم إلى التأويل ، واللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره ، فاعتقادهم بمعناه اعتقاد صحيح . . . لأنه قد يصدر من المعارف بالله تعالى إذا استغرق في بحار التوحيد والعرفان بحيث تضيع ذاته في ذاته وصفاته في صفاته عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان الحالة التي ترقى إليها ، لست منها بشيء » .

وذكر مثل ذلك القاضي البيضاوي ، والحافظ ابن حجر ، والتقي السبكي ، والسراج البلقيني وسليمان العلماء عز الدين بن عبد السلام^(١)

وقد شهد « ابن مفلح للقدس الحنبلي » بما شهد به الشيخ الأنصاري وغيره ، وهو من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الذي كان يقوم الصوفية بمجده كله . قال : « يخطر بقلوب العلماء نوع يقظة ، فإذا نطقوا بها وبحكمها نفرت منهم قلوب غيرهم من العلماء . . . كقول بعضهم : لست أجدر الرقيب والعقيد حشمة . فظاهر هذا كفر لأنه تهوين بحفظة الله ، وكشف السر عن ذلك ؛ أنه يريد : غلبت على هيبة زبي ومن يشهدني فسقط من عيني حشمة من يشهد على وكنت .

(١) البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر .

تأجد الحشمة لها لفظة أعقبها صحو . . . فاحذر من الإقدام على الطعن على العلماء مع عدم بلوغك إلى مقاماتهم ، واختلاف أحوالهم ، حتى أنهم في حال كشخص ، وفي حال آخر كشخص آخر ، فن علم أن الخلق لا يستوون في الأحوال ولا في اللقال فلا يقد الظن ببادرة الواقع فيقع ناقصاً^(١) .

ولم يقل أحد من أهل العلم بتكفير هؤلاء العلماء الذين برأوا ساحة الصوفية ، فكيف يقال بكفر ابن الخطيب الذي توقف ولم يزد على قوله « وأسرار الله لا ينكر فيها الغامض والأغمض » ، وكان حريصاً كل الحرص فقال : « ولا يصدق في هذه الدعوى كل أحد » . وحكم صراحة على أهل الوحدة المطلقة بالأنحراف .

اعتقد بعد ذلك أن ساحة ابن الخطيب بريئة ، وأن الحكم بكفره كان دعوى بلا برهان ، وكان وصمة في جبين قضاة المالكية في المغرب لن يغتفروا الله ولا التاريخ . فقد كانت تلك الدعوى سبباً في حبس هذا الكتاب عن الظهور فترة طويلة من الزمن ، وكانت السياسة هي المسئولة عن تلك الجريمة وأمثالها ، كما كانت في الوقت نفسه صورة للأمم التي تتأهب للسقوط من قمة الحضارة ، ودليلاً على اضطهاد الوعي الروحي في أخريات الدولة الأندلسية .

ساجتنا إلى مثل هذه الكتب :

كان الوعي الروحي في صدر الإسلام نشاطاً كل النشاط ، ولذلك سادت مذاهب الورع والزهد والضمير الحى ، ولم يكن المجتمع في حاجة إلى سيف السلطان إلا في حالات نادرة لا تخلو منها أمة من الأمم . وكان الإيثار مبدأ سائداً بين الناس ، فاعتدل المنحرف ، واستقر الأمن والنظام ، واستراح القاضي

وعمل الكل في سبيل الله والوطن دون تقييم مادي للأعمال ، فالتأم شمل الأمة وقوى بنيانها ، واندفع هؤلاء السادة إلى خارج الجزيرة ، وتوجوا التاريخ كله بتاج العز والفخر ، وركزوا راية العدل في الأمم المفتوحة ، ونشروا الدين الجديد في أصقاع بعيدة .

وجاء العصر الأموي ، فتهاون الحكام مع أنصارهم ، وأقاموا الحدود على معارضهم وبدأت للمادية في السيطرة على الروحية ، فاختل النظام ، وآذن الأمة شر وليد ، واعتزل أمثال سعيد بن المسيب رضى الله عنه بعد ماضعات صرخات أمثاله بين رنين الذهب ، وبهرج اللادة الزائف . أما من هلع من أنصار الوعي الروحي من الزحف للمادى للدمر فقد لجأوا إلى المغارات وقلل الجبال والخلوات ، يقيمون مذهبهم في خاصة أنفسهم ، وفيمن أرادهم من الناس ، وبدأت سيوف الحكام تجترق رقاب هؤلاء الأعلام واحداً بعد الآخر ، وقد نبه الشعراء رضى الله عنه في طبقاته على كثير من هؤلاء الشهداء الذين أهرقت دماءهم ، لا لذنوب إلا لأنهم صرخوا وسط الجماهير أن عودوا إلى الإيثار وقاوموا سلطان المال ، يعد لكم مجدكم ، وتكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس . كان هؤلاء يسبّرون على نهج الزحف المقدس إلى الأمة العالمية التي يسود فيها الإسلام الإبراهيمي . الحمدي كل العالم تحقيقاً لوعده القرآن حتى : « لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » وكان للماديين يشدون الشعوب إلى الأرض وإلى استكانة وذلة ذاق المسلمون أهوالها منذ هذا التاريخ حتى محو المسلمين بعد احتلال اليهود لفلسطين ، كان الوعي الروحي صمام الأمن من الانحدار ، وكانت للمادية همة الانحدار بعينه . كانت الروحية راحة الشعوب ، وكانت للمادية يؤس الشعوب .

وتجاءت الدولة العباسية ، فارسية الأصل عربية الظاهر ، واستحكم سلطان المال بين الناس ، وجر عليهم من الموبقات الخجالات الشيء الكثير ، ونشط

للعلم في روحانياته وماديته وإلخاديته ، واضطرب الناس أمام هذه الأكداس
المائلة من التراث وتطلبت نزعة الشر لأنها أقرب إلى الطوائف البشرية ،
وأُسرع في السيادة من النزعات الخيرة ، وإن لم يخل المجتمع من حملة مشاعل
الوعي الروحي الأقوياء .

ثم انحلت الدولة الإسلامية بأسرها ، وانقض عليها أخطا من القراصنة
وشيوخ المذاهب الهدامة ، واشتد شأن الفرق الضالة ، وخدعت شملة العلم ،
وصار التراث الإسلامي آثارا محفوظة إلى نهاية العصر التركي حيث استقامت
للعقول تماما عن كل نشاط بناء .

بل لقد انحدر التراث العربي إذ ذاك إلى الأوفاق والأزياج والطلسات
والسحر ، ومخاطبة الأرواح والاستعانة بالساقط منها على حل مشا كل الأمة ،
فأعاد هذا التراث إلى الذاكرة غضبة الله على كنعان ، حينما تمت جريمتهم ،
وهلكت حضارتهم ، كما أعاد إلى الذاكرة وصايا موسى لبني إسرائيل حينما
عدلم جرائم كنعان محذرا إياهم من التردى في مثلها .

ولم يكن من طارق سوى غفران قد سبق للمحمدين ، ولعنة سبقت على
كنعان وإسرائيل .

وانتقلت قيادة الفكر من أيدي العرب إلى أيدي الأوروبيين ، ولكنه
كان فكرا ماديا إلخاديا لا أثر فيه للروح . وانتقلت تلك الأفكار المادية إلى
المسلمين والمسيحيين في الشرق حتى صارت وسيلة من وسائل الشهرة في يوم من
الأيام ، فألحد محترفوا الشهرة من مختلف الطبقات والمستويات .

وجاء القرن العشرون ونشطت المعامل وسهر العلماء على المادة يسبرون
أغوارها ، فأفلقت من أيديهم ، وظهر زيفها فعاد العلماء هناك إلى الروحانية
والإيمان العميق .

ولم ينجعل محترفوا الشهرة في الشرق، بل ساروا على نهجهم دون أن يظهر جديد من هؤلاء المحترفين إلا أوشاب لا تبدى* في عالم الفكر ولا تعيد .

ونحن أصحاب التراث الذي عاد إليه علماء أوروبا في العصر الحديث ، وقد جر بنا خير العيم على المجتمع الإسلامي في عصر زاهر حبيب إلى كل نفس مؤمنة، ونحن الذين نعاني من ويلات الشره والأثرة والجشع شرور لا يعلم مداها إلا الله والحكام الذين ضاقوا بملاجها .

ومع ذلك ينادى كثير من المنقذين ضد الوعي الروحي الذي يعتبر الملاذ الأخير لإصلاح مشر بناء . وكثير من هؤلاء يقدون غيرهم في الدعوة ضد الفلسفة الروحية، دون أن يعملوا نظرا، أو يقرأوا كتابا، وبمضهم قرأ ودرس وتبوا مناصب الأستاذية، واسكنه لا زال يؤمن بخرافة التجديد التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر لدى الأوروبيين . فهل علم أن أساتذته من الأوروبيين هجروا تلك الخرافة ، واتجهوا اتجاهها روحيا كنا نحن أولى بالسبق فيه !!!

وبعضهم مدفوع بإغراء المال . فكان ولاؤه لهيئات أجنبية لها أهداف خافية، يحاولون إظهارها باسم الدين والحفاظ عليه ، كما كانت تعمل فروع « الوهابية » في العالم الإسلامي، وفروع « اليهوديين »^(١) في العالم المسيحي . الشرق .

وكذلك ما تفعله فروع « الأدفنتست » في العالم الشرق عامة والمسيحي

(١) جامعة تسمى باسم «شهود يهوه» أو «برج المراقبة» لكتاب المقدس والكراريس مسيحية الظاهر ، يهودية الأهداف ، ولهم مجلة واسعة الانتشار باسم « برج المراقبة » وتطبع بما يزيد على ثلاثين لغة ، ومطبوعات كثيرة مختلفة المناهج (راجع من منشوراتهم كتاب : الحق بمركم . وكتاب : ليسكن الحق صادقاً) وكان لها فرع بالقاهرة .

صفه خاصة وما ساست به «الماسونية» للفكرين في العالم كله، والشرق خاصة، تلك الجماعة التي تعتبر بحق أساسا خطيرا من أسس اضطراب الفكر، وقيادته في مهارة وسرية وخفاء نحو أهدافهم المزعجة في العالم كله، ولا سيما العالم الإسلامي، الذي استعصت عليهم عقيدته، فلم يستطيعوا تحريرها كما حرقوا غيرها .

وقد أثبت تحقيق كثير من علماء الدين والفلسفة في الغرب أن صلة مقبنة بين الماسونية واليهودية العالمية، وبينهما وبين الانحراف الفكري، والانحلال الديني، والفكر المادي، وانخفاض مستوى الذوق في الشرق^(١) .

وقد تأثر بها كثير من قادة الفكر في هذا العصر، فوجهوا الأجيال، نحو تحرير جوارحهم وعقولهم من كل قيد، غافلين عن التخريب الذي يمدته خرس جامع لا يضبطه لجام ولا قائد .

لقد غزت هذه الجماعة الخطيرة ميادين العلم في العالم كله، ولا زال كثير من مذاهب اليهود الهدامة يدرس باعتزاز في جامعات الشرق مثل نظريات الطبيب النمساوي اليهودي « فرويد » .

(١) راجع . الخطر اليهودي . أو بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسي، والسرميسون في شيعة الفرسمون، للأب لويس شيخو اليسوعي . وهذه هي للماسونية . ترجمة بهيج شعبان ط بيروت . ومؤلفات لإدريس راغب عن الماسونية .

وانظر . لمعرفة الروابط بين الإسماعيلية والماسونية . عقائد الباطنية، لياثي نسر عزت الططار ومنشورات إسماعيلية، نسر . د . خادل العوا . ط دمشق .

وانظر لمعرفة الروابط بين البهائية والماسونية واليهودية العالمية . كتاب « البيان » الذي ادعى بهاء الله لإحياء الله تعالى إليه به . ، ومعاورات عبد البهاء . ، والحجج البهية لأبي الفضائل الجرفادقاني ورسائل البهاء في مفتاح باب الأبواب . والأبواب .

ويجب ملاحظة أن شهود يهوه، والبهائية، والإسماعيلية، يقوم سلوكها على درجات تتراوح بين سبع درجات واثنى عشرة درجة . وأن الماسونية أسبق إلى هذا الترتيب وأحكم سياسته له .

لقد اتجهت حركة المدم الموجه ضد الإسلام إلى الأساس الذى قام عليه بناء العالم الإسلامى ، وهو العقيدة ، فزلزله بالمال ، والطقوس الماسونية المعجينة التى تضرب بجذورها إلى عهد « سليمان بن داود » عليه السلام ، وبالتعاون الأخرى إلى أقصى الحدود ، وبإشباع نواحي النقص فى كل مفكر ، ثم استغدامه فى تأسيس مبدأ الانحلال ، منذ نشأة الفرق إلى الآن .

لقد أجمع علماء الغرب الآن على تأثر الأدب والفكر عندهم بعلماء التصوف المسلمين ، فقد تأثر « دانتي الأليجيري » بقصة المعراج النبوى الشريف ، و « ريموند لال » بالشيخ الإكبر « ابن عربى » ، واتجهوا كذلك إلى الاستفادة من هذا التراث العزى فى دراساتهم وأبحاثهم ، كما نشطوا فى نشر التراث الصوفى منذ زمن طويل وفهارس المكتبات خير شاهد على ذلك .

لقد نشط المستشرقون فى كل ذلك ، ونحن لا زلنا نردد أن التراث الصوفى دخیل على الإسلام . ولئن كان اتجاه الإنكار إلى كلمة « التصوف » فما أيسر أن نحوها من قاموس الثقافة الإسلامية ، ولستنا نستطيع ، ولن نستطيع التاريخ أن يمحو خلو النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى غار من عزل بظاهر مكة ، ولا أنه ربط الحجر على بطنه من ألم الجوع من غير قلة ، ولا أنه قام الليل حتى تورمت قدماء الشريفتين من غير حاجة إلى هذا الجهد العنيف . فقد غفر الله تعالى ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأذهب الرجس عن أهل بيته وطهرهم تطهيرا ، ولا يستطيع التاريخ كذلك أن يمحو تلك الآثار الجليلة التى زخرت كتب الحديث والشمال ، والتى تعتبر أساسا لتلك الرياضة الروحية التى تؤهل المسلمين لأرقى المسكنات فى سلم التطور التاريخى ، تلك الرياضة التى أطلق عليها اسم « التصوف » فقبولت بالإنكار والتجريح :

يجب أن نفرق بمقول ناشتقا ، ونوجهها نحو روحانية الإسلام القوية .

الخلاقة ، حتى يكون لهم من وعيهم ما يميزون به خبيث القول من طيبة ،
وغث العلم من سمينه ، وحتى يكونوا جيلا مأمونا على تاريخهم ونهضتهم .

كما يجب أن ينهض رجال التصوف لإزاحة ذلك الركام الذي غطى على
معالم مذهبهم ، فلم يتبين الناظر فيه حقا من باطل ، ولم يأنس بقلبه إلى تلك
الكثرة من المدعين والمرتزة ، وحينئذ تتلاءم الأسس السليمة مع الدين الحنيف ،
فلا جدال بعد ذلك ، بل ترابط ووثام ، وصلى الله على خاتم رسله ، سيدنا محمد
وآله وسلم .

الحب الإلهي وبناء المجتمع

قدم وفد من بني أبندي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا رسول الله ، قدمنا إليك بركة أموالنا ، قال : هلا رددتموها على فقرائكم ؟ فقالوا : ما قدمنا إلا بما فضل عن فقرائنا ، فقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، ما رأيت وفدا كهذا . فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وأقام الوفد أياما ، ضيوفا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأجازهم بما يميز به الوفود ، ثم قال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام حدث خلفناه على رجالنا ، قال : أرسلوه إلينا . فجاء الغلام إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فأجازه بما أجاز به الوفد ، فقال الغلام : يا رسول الله ، ادع الله لى أن يغفر لى ، ويرحمنى ، ويعمل غناى فى قلبى . فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم اجعل غناه فى قلبه .

وفى العام التالى جاء الوفد مرة أخرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، نحن بنو أبندي الذين أتوك آنفا . قال : ما فعل الغلام الذى كان معكم ؟ قالوا : والله إنه لأزهدنا فى الدنيا ، وأرغبنا فى الآخرة ، وإنه يذكرنا بأمر ديننا ، حتى لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر إليها ، ولا التفت نحوه ، فقال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله ، إنى لأرجو أن يموت جميعا . قالوا : أوليس يموت الرجل منا جميعا يا رسول الله ؟ قال : تتفرق أهواؤه ونهمومه فى أودية الدنيا ، فلعل أجله أن يدركه فى بعض تلك الأودية ، فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك .

هذا اللون من التربية النبوية السامية يهيب بنا أن نحفظ أنفسنا من التخبط في أودية الدنيا، فلا نوغل فيها بأهوائنا ونحب زيفتها وجاهها، وفيتها، وسحرها، ويهيب بنا كذلك إلى وحدة الفكر التي تنبع من السكامة النبوية الشريفة الجامعة : إني لأرجو أن يموت جميعا .

أى أن تتجمع الأحاسيس الإنسانية كلها ، وتتبلور في إحساس واحد بعيد عن المحسوسات ، ألا وهو الحب الإلهي ، الذي يعصم الإنسان من الزلل حينما يزاول أمور دنياه ، فلا خوف عليه ولا حزن . ذلك الحب الذي حدا بالشهيد الحلّاج رضى الله عنه إلى أن يقول :

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدهم إلا وأنت حديثي بين جلالي
مالي وللناس كي يلهونني سفها ديني لنفسى ودين الناس للناس

وحدة الإحساس بالحب ، ووحدة الحب نفسه هي الغاية القصوى للتربية الإسلامية ، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما سلك الصوفية رضى الله عنهم اقتداء بمحضته ، وبصحابه وتابعيه ، ومن أجل ذلك عملوا في الحياة ، وانتجوا في جميع المجالات دون أن تضطرب نفوسهم ، ومن ثم دون أن يضطرب بناء المجتمع كله .

ولقد توسع لسان الدين بن الخطيب في الحديث عن الحب الإلهي ووسائله وغاياته وثمراته توسعا لم يسبق به ولم يلحق ، ولكننا نريد أن نوضح ناحية هامة في الموضوع لم يتعرض لها لسان الدين ، لأنها لم تسكن من مواضيع الساعة في عصره ؛ تلك هي صلة الحب الإلهي بوحدة المجتمع المحلي . ثم وحدة المجتمع القوي ، ثم وحدة المجتمع العالمي . تلك الفكرة التي تعمل لها جهات عليا في السياسات العالمية على هدى التعاليم اليهودية التي تتطلب سيادة جذع « يهي » .

من الأسباط على العالم كله ، أى سيادة « المسيا » وارث ملك سليمان بن داود ابن يسى على الكرة الأرضية كلها .

إن مظاهر الحب الإلهى ودلائله العملية لا تقوم إلا فى الوحدة والشمول ، ولا تنهدد وتقلشى إلا فى الاضطراب والكثرة ، فمن أجل الوحدة شرع الحب الإلهى مركزا فى الرسالة السماوية الواحدة ، والعمل الإيمانى الواحد الشامل ، والمجتمع المتآخى الواحد ، ثم الدولة العالمية الواحدة .

تلك فكرة تكمن فى شريعة الحب الإلهى وإن لم يفتن إليها باحث من من قبل ، ولكننا نحاول أن نوضح فى مجالة سريعة مافصلنا الحديث عنه فى كتاب مستقل نرجو أن يظهر للقراء قريبا ، إذ هو موضوع الساعة الذى يجب أن يدركه المسلمون وأهل الكتاب جميعا فى هذه الساعات الحرجة من تاريخ العالم ، التى تشبه ساعة الخاض ، حيث تولد فكرة العالمية الإبراهيمية المحمدية ، على أنقاض الإلحادية للمادية المعروفة بالحضارة الغربية .

وحدة الرسالة السماوية منذ ابراهيم حتى محمد عليهما السلام :

الإسلام هو الرسالة الإلهية التى بعث من أجلها أبو الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام ، مافى ذلك جدال ولا نقاش .

وهو الرسالة التى جاء من بعده الأنبياء جميعا يبشرون باقتراب شمولها وسيادتها على العالم كله ، مافى ذلك شك لدى أى دارس بصير .

ومحمد صلى الله عليه وسلم هو القائم على تنفيذ تلك السيادة العالمية ، مافى ذلك كلام لأى مكابر .

حينما أراد ابراهيم أن يمتزل عزلة الإيمان صحب معه ابن أخيه « لوط » عليه السلام ، ولسكنه فضل ألا يصحب عمه ابراهيم فى عزله ، وآثر أن يعيش حياة رغدة فى سهول الأردن ، فقال له ابراهيم « اعتزل عنى » ، فأقام

تلوط خيمته في مواجهة « سدوم » ومضى الخليل في عزلة الله وفي سبيل الحب الإلهي ، وأراد الله أن يكشف له عن المستقبل فأوحى إليه : « قم امش في الأرض سلولها وعرضها ، لأني لك أعطيها » .

وعد عجيب ، وامتحان قاس للإيمان والحب العميق لله ، اقترن بوعدين آخرين هما أقرب تحقيقا من هذا الوعد الذي يتطلب أجيالا وأحقابا طويلة .

أما أولهما فولد من صلبه ، لم يحققه الله لإبراهيم إلا بعد عشرين عاما ، ولكن إبراهيم لم يفقد إيمانه وحبه العميق لله خلال تلك السنوات العشرين التي يتحول إيمان العامة فيها إلى كفر وتكذيب لطول الزمن بين الوعد وتحقيقه .

وأما ثانيهما فوعد لنسل إبراهيم بأن يعبر الأردن فيملكوا الأرض من النيل إلى الفرات ، ولم تعبر إسرائيل الأردن في محاولة لتحقيق هذا الوعد إلا بعد أربعة أجيال من صدور هذا الوعد الإلهي ، فكيف جيل يمكن أن تمضي حتى يتم فتح الأرض كلها تحت لواء إبراهيم الخليل ؟

عشرون عاما مضت حتى حقق الله وعده لإبراهيم بولد من صلبه ، وأربعة أجيال كاملة حتى بدأ يشوع بن نون ينفذ وعد الله بامتلاك الأرض من النيل إلى الفرات ، وهي بقعة إذا قيسست نسبيا للعالم كله كان الزمن الذي يستغرقه تحقيق الوعد بإقامة دين إبراهيم على الأرض كلها يزيد بكثير على خمسة آلاف سنة ، كان تدريب العالم فيها تدريبا محليا على أيدي عدد كبير من الأنبياء حتى نضجوا على سلم الحب الإلهي وتهياؤوا لقمتهما في الدعوة المحمدية الشاملة ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم هو أولى الناس بدعوة أبيه إبراهيم . الخليل عليه السلام يركل ماتحمله الكلمة من أغوار وأبعاد :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » .

ولقد دعا ربه أن يحفظ الإسلام على ذريته وهو يرفع قواعد البيت مع ولده اسماعيل .

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

وقد استجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعاءه ، وحذر من الانحراف عن دعوته ، أو تسميتها بغير اسمها الذي أعلنه فقال :
« ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم ، قال : أسلمت لله رب العالمين » .

وأكد إبراهيم دعوة الإسلام لله ، وهو الحب الإلهي بعينه في صورة وصية وصى بها « بنيهِ ويعقوب : إن الله اصطفى لسكُم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

وفنذ يعقوب وصية الخليل فاحتفظ بالإسلام ديناً ، ولم ينس أن يذكر أبناءه بتلك الدعوة السامية ، وذلك الوعد الإلهي للمنوح لإبراهيم وأول الناس به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، لثلا يسلمهم طول الزمن حبههم لله وإيمانهم بصدق وعده ، فجمعهم وهو يحتضر ، وسألمهم : « ماتعدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب إلهاً واحداً ونحن لله مسلمون » .

ولكن أسباط بني إسرائيل الذين وصفهم التوراة بالصلف وغلف الرقبة تناسوا هذه الوصاية ، وأرادوا أن يبدلوا كلام الله بعد ما عقلوه ، فابتكروا دعوة خبيثية غيروا بها المقاييس الإلهية للرسالات ، وادعوا أن ابن الجارية (اسماعيل) لا يكون منه نبي أبداً ، وأنه « لا يبقى في البيت إلى الأبد » .

كانت قيمة الإله العلي الذي ليس كمثل شيء ، قد هبطت عندهم إلى أنه

مجرد إله شعبي وضيع تمثله « البعليم » وغيرها من الآلهة المنزلية .

لقد تعهدوا تحت سفح جبل سيناء « بأن يفعلوا كل ما تكلم به الرب » على يد موسى ، ثم عادوا بعد ستة أسابيع من هذا العهد ، ورفضوا حول للمجمل الذهبي رقعا خليعا في غيبة موسى ، ثم عادوا ووقفوا مع يشوع بن نون خليفة موسى ونسوا سقطات الماضي ، وهزأوا بمخاوفه التي افترضها هذا النبي البطل من إمكان ارتدادهم مرة أخرى وصرخوا قائلين : « لا ، بل نعبد الرب » .

كانت عبادة الآلهة المنزلية قد نفشت بين هذا الشعب منذ تاريخهم الطويل الذي يحفظ لنا : كيف سرقت « راحيل » بعض الآلهة من بيت أبيها « لابان » وكيف أن يعقوب قد جمع كل تلك الآلهة المنزلية ، والأفراط الذهبية فطمرها تحت البطملة التي عند « شكيم »^(١) وكيف أنهم بعد انتصارات يشوع وتأكيدياته وتحذيراته فعلوا الشر في عيني الرب ، وعبدوا « البعليم » ، وتركوا الرب إله آبائهم^(٢) . ولذلك ذكرهم « أشعيا » بتاريخهم لعلهم يتراجعون منه ، ويعودون إلى شرعة آبائهم إبراهيم عليه السلام فقال : « فانظروا يا إسرائيل إلى الصخر الذي منه قطعتم ، وإلى نقرة الجب التي منها حفرتم »^(٣) ، ثم نودى في وسطهم نداء الاعتماد لتحقيق وعد الله للخليل عليه السلام فقال : « صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب ، قوموا سبيله »^(٤) « لكي يؤسس الله سلطانا أبديا لا يزول ، وملكا لا ينقرض »^(٥) ذلك الملك الذي يحيا الناس فيه في سلام ووثام ، حيث « يسكن الحق في البرية ، والعدل في البستان يقيم ، ويكون صنع العدل

(١) سفر التكوين : ٣٥/٢ - ٤ .

(٣) أشعيا : ١/٥١ .

(٥) دانيال : ١٤، ١٣/٧ .

(٢) سفر يشوع : ٢٤/٤

(٤) أشعيا : ٣/٤٠ .

(٤ - روضة التعريف)

سلاما ، وعمل العدل سكونا وطمانينة إلى الأبد ، وبصير السراب أجما ، والتمتعشة
يفابيع ماء ^(١) .

ونفس الإنذارات والتبشيرات باقتراب تحقيق ملكوت الله الدائم للشامل
للعالى جاءت على لسان المسيح عليه السلام ، إذا كان « يكرز ببشارة
الإنجيل ويقول : قد كل الزمان واقرب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا
بالإنجيل » ^(٢) .

ثم جاء سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بعد كل ذلك يعلن : « أنى أمر
الله فلا تستعجلوه » وكانت الأوامر الإلهية قد صدرت إليه بقر العالم على
وحدة شاملة تتحقق فيها الصفات التى أعلنت من قبل على لسان أشعياء
ودنئال والمعمدان والمسيح عليهم السلام : « وقتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله » .

سحق الفتنة ، وتحقيق العدل والسلام ، والملك الإلهى الذى يبش للناس
فى ظله فى سلام ووثام ، لم يتحقق إلا فى التجربة الأولى التى نفذها محمد صلى
الله عليه وسلم وسار على هديها أصحابه ، ثم انحدرت ولم تفشل لهدف تربوى
سام حتى يقوم الله وسط جنده الغالبين بعد احتلال اليهود لفلسطين فى عام
١٩١٨ ، فى تلك الدورة الجديدة التى نهض فيها العرب والمسلمون لتحقيق أسنى
وعد وعد الله به الخليل وأولى الناس به محمد صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

تلك رسالة واحدة باسمها وهدفها غيرها بنو إسرائيل ، وضالوا فى سبيل
هذا التحريف أهل الكتاب جميعا فوقفوا عندنصوص لم يتجاوزوها إلى غيرها ،

(١) أشعياء : ٤٢/١٦ و ١٧ وانظر ٧/٣٥

(٢) إنجيل مرقس : ١٤/١٠

(٣) تفصيل ذلك فى كتابنا « الدولة العالمية فى القرآن » تحت الطبع ، وكذلك انظر مقدمة
كتابنا « الصلاة مدرسة الوعى الحضارى » ط مكتبة القاهرة بالأزهر .

ولم تكن لهم تلك النظرة الشاملة ، ففقدوا الحب الإلهي الشامل وقنعوا بحب مقيد ، ولكن الله تعالى أعلن للمحمدين أن يصبروا حتى يحقق الله على أيديهم وحدة العالم في حرب ميدانية شاملة :

« وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . »

وحدة الإيمان وشمول العمل :

عقد الإيمان للبر بين كل إبراهيمي محمدي وبين الله يلزم كل قابل له بالجهاد في سبيل الله بالمال وبالنفوس ، وتلك أقصى درجات الحب التي فصلها لسان الدين في كتابه روضة التعريف ، وهو مع ذلك عقد يتسم بسمة الإيجابية في العمل ، التي انفردت به سياسة الإسلام من دون السياسات العالمية في أحقاب التاريخ السابقة واللاحقة .

فما هو معلوم أن سبيل الله الذي طوبى المحمديون بالجهاد من أجله هو العمل على الإصلاح في الأرض وفي مصلحة ما كنيها بصفة شاملة لا تختص بمكان دون مكان ، لا كما كان الحال في جميع الرسائل السابقة التي كانت تنحصر في نطاق القبيلة أو المكان المحدود ، إذ أرسل الله صالحا إلى ثمود ، وهودا إلى عاد ، وشعيبا إلى مدين ، وهكذا جميع الرسائل .

أما الرسالة المحمدية فهي النهج التنفيذي لرسالة إبراهيم التي وعد فيها بامتلاك الأرض كلها ، ومن أجل ذلك كان منهاج العمل المحمدي غير مقيد بمكان ولا زمان : « وأرسلناك للناس كافة » .

وقد فصل القرآن مسألة الجهاد في سبيل الله بالمال والنفوس على النحو الذي أوضحناه ، والذي يلزم المسلمين بنشر العدل ومقاومة الفساد في قوله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة إيجابية في العمل على الإصلاح، وقع الفساد تنفرد بها سياسة القرآن للفرد والمجتمع المحلي، والمجتمع العالمي بصفة شاملة تحقق انقراض الفتنة كما جاء في القرآن، وإحلال الرغد والطمأنينة في الأرض كما جاء في نبوءات بني إسرائيل عن ملكوت الله الإبراهيمي الحمدي العالمي.

ولا بد من توضيحات يقدمها للمؤمن إذا جاهد بنفسه أو بماله في هذا السبيل، إذ أن المؤمن لا بد أن يكافح نزوات نفسه، ويقمع شهواتها، ويقف موقفًا روحياً من مواقف الحب الإلهي، تفنى معه تلك النزوات والشهوات من النفس، ليحل مكانها الحب الإلهي الذي يبقى الفاني، ويهدى الضال، وينقذ المائل، ويؤوي اليتيم، وحينئذ يمكن أن يقال: إن الفتنة قد قضت نجبتها داخل نفس هذا المؤمن، وأصبح روحانياً يحيا نفوس الموات، ويحرك الروح الخاملة بمجرد النظر، أو بمجرد كلمات تنساب من قلبه إلى مسامع الناس.

وليتسكن الإنسان من الحصول على هذه المنزلة لا بد أن يتفازل عن كثير من شهوات نفسه، تلك الشهوات التي تسبب المشاكلة الاجتماعية والاقتصادية، وتوقف ركب الصعود كما هو مشاهد ملموس.

إن الضمير الذي يحصل عليه المجاهد لنفسه في سبيل الله يندر أن يتهاون لأعقاب الدراسة النظرية والتهذيب الخطابي. بل يكاد يستحيل. والضمير هو الحارس الأمين الذي يدفع بالأمم نحو غاياتها في سرعة وأمان.

ولا هدف للإبراهيمي الحمدي من تلك التوضيحات سوى أن يعمل في إخلاص عميق من أجل الله الذي أحبه ففنى في حبه، وأطاع الأمر بمجرد الأمر

لا لحكمة الأمر ، وهو حينئذ أصلح مخلوق في المجتمع لمداية غيره من أجل الحفاظ على وحدة البشرية في مجتمعه .

والحفاظ على وحدة المجتمع في سلام وعدل يتطلب الإيمان الذي هو القاعدة الأولى لبناء صرح الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله .

وليس الإيمان مجرد تعريفات كلامية كالتى قضينا في دراستها العمر دون جدوى ، بل هى عمل في بضع وسبعين شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إمالة الأذى عن الطريق .

هذا هو الإيمان كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا كما عرفه زيد وعمر من المجتهدين . بضع وسبعون خلقا وعملا لابد أن يحصيها المؤمن ويعمل بها جهد المستطاع ، وما تلك الشعب إلا رباط الحب بين الجميع ، أى إنها الانعكاس العملى للحب الإلهى المطلق في صورة بشرية مقيدة .

الرحمة ، الشفقة على المحروم ، إطعام الجائع ، الإيثار ، التواضع ، تفقد الجار ، احترام الفقير ، صلة الرحم ، ضبط الاستهلاك من أجل الآخرين ، وهكذا تسير الشعب البضع والتسعون ، تصنع كل شعبة منها رباطا من الحب والتماطف والتراحم والأخوة التى طوبى بها المسلمون : « إنما المؤمنون إخوة » . وما الأخوة إلا ذروة الحب المقيد المنعكس عن الحب الإلهى المطلق ، النابع من قمع شرور النفس والتضحية بها من أجل حب الواحد الأحد القاهر .

لا احتكار ، لا استبداد ، لا استغلال ، لا تبعية ، لا فقر ، لا ذل ، كل تلك المآسى الاجتماعية التى تجهد الحكومات أجهزتها في سبيل القضاء عليها تفنى وحدها في نطاق الحب الإلهى ، وتعود تلك النفوس التى قد كانت شريرة بالأمس عونا للحاكم دافعا له إلى قبة التاريخ .

واسكن الحكومات ليست مطالبة بأن تقوم وحدها ببعث تلك الأخلاق

في المجتمع ، وإلا فإن رجل الحكم يضطر في هذه الحالة إلى سوق الأمة نحو الأخلاق قهرا ، ومع ضرورة هذا العمل فإن الله لا يريد من عباده ، بل يريد أن يكونوا على خلق الإيمان العظيم عن ذوق وحب ، ولكن إذا جد الجد وتدلل للإنسان ، وهرب من نطاق الإيمان العاطف الخاني ، فإن سوقه وقهره وتجريده من آلات الفساد أمر لازم محتوم بأنهم ولي الأمر وتأنم الأمة بالتماون فيه .

لقد مثل عثمان بن عفان في مجلس الخلافة ليحقق معه الخليفة الصديق رضي الله عنه ، إذ أنه لم يرد على عمر رضي الله عنه السلام . وجاء عثمان بعذره إذ لم يكن قد سمع السلام من عمر لفنائه في فكرة ذوقية استولت عليه^(١) . فهل يترك اللص الأنهم الذي يمتص دماء المسلمين دون أن يدفعه سيف السلطان ؟

ومن هذا المجتمع للثالثي تنسج القاعدة حتى تشمل أهل الكتاب رقعا بهم ، وتبصيرا لهم بمبادئ إبراهيم الخليل عليه السلام ، الذي وضع أساس العمل من أجل الله منذ آلاف السنين . وفقى على أثره خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما التبصير لهم بالإسلام فإنه يدخل تحت قاعدة تأليف القلوب بمعناها الواسع ، فقد روى الإمام « أبو يوسف » صاحب الإمام الأعظم^(٢) : أن سيدنا « عمر » مر في شوارع المدينة فرأى يهوديا يسأل الناس على الأبواب ، فأخذه إلى بيته ، ووضح له بشيء ، ثم استدعى خازن بيت المال ، وعنفه على وجود تلك الحالة الشاذة بين المجتمع الإسلامي ، أي وجود إنسان جائع بين المسلمين ، وكان مما قاله : « كلنا شبيته صغيرا وتركناه كبيرا . ودافع خازن بيت المال عن نفسه : بأن هذا السائل يهودي . وأجاب إمام المجتهدين قائلا : « إنما

(١) راجع باب فضل « السلام في « حياة القلوب » لابن طرخان « السنون » مخطوط في الحديث نسخة خاصة .

(٢) كتاب المراجع : ١٥٦ .

الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء من المسلمين ، والمساكين من أهل الكتاب » ، والسلوك الحمدي في هذا المجال أكثر من أن يحصى .

وأما أنه عمل حق لوجه الحق بمعنى أنه عمل لا يقصد عليه أجر ، ولا يهدف إلى تحقيق منفعة شخصية ، بل إنه إسهام في بناء مجتمع العدل الذي يريد الله من العباد ، فذلك منهج إبراهيم الخليل ، وخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليهما .

فحينما اعتزل « لوط » عن عمه « إبراهيم » ، وأقام خيمته في مواجهة « سدوم » كان ملك « عيلام » وهو « كدر لعومر » قد تحالف مع ثلاثة ملوك آخرين^(١) ، وأعدوا جيشاً ضخماً كامل العتاد والعدة ، وهجموا على « سدوم » وأسروا من أسروا « لوطا » وأهله جميعاً ، وكر الخليل صلوات الله عليه مع تلك المجموعة القليلة من الناس الذين كانوا معه بأسلحتهم الهزيلة ، وتعبوا « الميلايين » وخلفاءهم حتى أسوار دمشق القديمة ، وهزمهم واستردوا الأسرى والغنائم كلها .

وكانت دهشة ملك سدوم بالغة لهذا النصر المعجيب في تاريخ الحروب ، فاستدعى الخليل عليه السلام ، وعرض عليه أن يسترد منه نفوس الأسرى ، أما الغنائم فتكون لل خليل وصحبه جزاء ما صنعوا . فقال الخليل :

« رفعت يدي إلى الرب الإله العلي ، مالك السموات والأرض ، لا آخذن خيطاً ولا شراك نعل ، ولا بد من كل ما هو لك ، لئلا تقول : أنا أغنيت أبرام »^(٢) .

(١) تحالف كدر لعومر ملك عيلام مع ملك « شنعار » وملك « الاسار » وملك

« جوم » انظر سفر التكوين ١٤ .

(٢) سفر التكوين ١٤ :

وهو نفس السلوك الذى أعلنه سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، حينما ازدحم الصحابة عليه عند تقسيم غنائم حنين إذ أمسك يوبرة من وبر الجمال بين سبافته ووسطاه ، وقال : « والله مالى من فيثكم ولا هذه الوبرة ، وإنما هو الخمس وهو مردود فيكم » . وهو السلوك الذى امتدح القرآن من أجله الإمام عليا كرم الله وجهه إذ يقول تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

ومن أجل أن تنسج قاعدة العمل الإيماني الشامل لشعبه كلها بحيث تشمل أهل الكتاب والمسلمين صدر هذا البيان الأوسع في قول الله تعالى :
« وكونوا عباد الله إخوانا » .

فإذا أحكنا العمل على المستوى القومى هكذا فإن القاعدة القرآنية الخاتمة لجميع القواعد السياسية تتجه نحو المجتمع العالمى بصورة واضحة في قوله تعالى :
« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

وتلك هى ذروة الوحدة العالمية الآمنة العادلة التى وصفها القرآن الكريم بأنها وحدة لا فتنة فيها ، ووصفها التوراة بأنها وحدة العدل والحق ، ووصفها الإنجيل بأنها « ملكوت الله » الذى بشر المسيح عليه السلام باقتراب تحقيقه .

ومن أجل توطيد دعائم الحب بين الجميع انمكاساً عن ذوق الحب الإلمى المطلق كان الإسلام إيجابيا فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فشرع التزامات يلتزم بها الإنسان نحو الإنسان فى سبيل الحفاظ على توازنه النفسى ، وعلى كرامته الإنسانية ، والعمل على بقاء روحه المعنوية فى حالة تسمح له بالعمل فى عزه وإباء ، ولم يدع هذه التبعة ملقاة على كواهل أولى الأمر وحدهم لئلا

يفقد المجتمع تفاعله فيما بين بعضه والبعض ، ولثلاث تفتر جذوة الحب السارية بين أوصاله .

تلك الجذوة التي شرعت من أجل بقائها تلك الالتزامات المفروضة في صورة الزكاة ، والالتزامات المددوبة والمسنونة في صورة العلاقات الودية بين الجميع ، متمثلة في الصدقة الحرة ، وفي اللقاء الباسم ، والكلمة الطيبة ، مع الحفاظ على كرامة المسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئا » :

« قول معروف ومفخرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ومن هنا نجد المجتمع كله ملتزما بالكلمة الطيبة ، وباللقاء الباسم ، وبجميع متطلبات الأخوة الإيمانية ، ونجد الطبقة الموسرة ملتزمة لمن هم أدنى منهم قدرا في المال بالالتزامات تحفظ كرامتهم من أن تنهار تحت وطأة الجوع .

وهكذا نرى شمول عقد الإيمان يتدرج من المجتمع المحلي ، إلى المجتمع القومى ، إلى المجتمع العالمى على هذه الصورة الشاملة التي أوجعناها ، والتي لم تشرع إلا لتحقيق الدولة الإبراهيمية الحمديّة الموعودة في التوراة والإنجيل والقرآن ، والتي صدر الإذن الإلهى بها في نصريحات قرآنية متعددة ، منها : « ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » .

« وهو الذى جعلكم خلائف في الأرض ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبلوكم فيها آثاكم » .

« وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » .

والقاعدة التي يقوم عليها بناء هذه الوحدة العالمية هي الحب للجميع ،

والحب للجميع قبس من الحب الإلهي ممنوح للمؤمنين ، والمؤمنون ليسوا هم المصلون الصائمون المؤتون للزكاة ، الحاجون عند الاستطاعة ، الشاهدون لله وللرسول فحسب ، بل هم المتكافلون المتراحون المتحابون المتراصون في وحدة متماسكة قوية ، الرحاء فيما بينهم ، والأشداء على كل هادم لصرح الإصلاح الإيماني الشامل .

وهذا الحب المنعكس عن الحب الإلهي هو الحل الأمثل لجميع المشكلات البشرية التي تعاني منها المجتمعات النامية والقوية على السواء .
المسكينة لا تكون مشكلة ، مادام التعاطف والتراحم والحب والاحترام المتبادل .

المبودية لا تشكل مشكلة مادام الخطأ الذي يرتكبه المؤمن يجعل من عتق الرقيق شرطاً أساسياً لقبول التوبة . الاستغلال لا يشكل مشكلة ، لأن الإيثار هو مذهب المحبين لله ، لأنهم آثروا على أنفسهم ، وأخلق عبيد الله يؤثرونهم كذلك على أنفسهم ، من أجل الحب في الله لا من أجل مطمح شخصي من مطامع النفس ، لأن النفس حينئذ أصبحت لا تطمح إلى مافي يد الخير ، ولكنها تطمح في إتيان العمل ، والإخلاص فيه ، ونشر مبادئ المحبة العالمية على هدى الشريعة التي لاتهادن الفساد في أى صورة من صورها مهما قل شأنها بين الناس ، قياساً على استجواب الخليفة الثاني لعثمان بن عفان كما أساقفا الحديث عن تلك الواقعة .

فالجهنم لله هم طليعة الوحدة العالمية ، لأنهم ورثة القرآن الذي أمر بقمع الفتنة على وجه الأرض كلها ، وسيادة الاستسلام لله ، ولا يتهاون الجهنم لله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنهما قوام العمل على قمع الفتنة بين صفوف المسلمين الإبراهيميين .

هكذا يبنى الحب الإلهي المجتمعات ، وهكذا يقوم شيوخ الصوف على إتمام هذه العاطفة في الإنسان ، حتى لقد طالعنا التاريخ الصوفي بروائع الإيثار والتسامح ، وهما قوام الإيمان الرحيم .

والصوفية كما أشار حضرة أستاذنا ، شيخ الشيوخ العلامة سيدي الأستاذ الشيخ مصطفى الشبراوي لا تشغل وقتها بمهارات كلامية ، ولا جدل عقيم ، بل إنها كما قال فضيلته : تصون جوهرها من كل ما يعكر صفو الإخلاص والحب الساري من الله إلى أهلها ، باعتبارهم أنابيب الرحمة على وجه الأرض تصل إلى الخلائق ، وتدفع الطالب إلى آفاق السمو الروحي العامل اليقظ البناء .

الصوفي عامل بناء في مجتمعه على هدى الحب الإلهي ، لأنه وارث أخلاق السلف منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد صحابته وتابعيه ، والحافظ لسنته ، وليس في هذا المذهب تواكل ولا تعطل ، ولا تكلف للناس ، ولا انقطاع للمشيجة على حساب الآخرين ، كان السكل عاملاً في الصدر الأول جنوداً محاربين ، وعاملين في كسب أقواتهم ، حتى لقد خرج الصديق إلى السوق كعادته ليبيع ثياباً يكتسب منها قوت يوم ، لولا أن منعه الصحابة من ذلك ، لاجلالاً لهيبته فحسب ، وإنما كانت الحجة الأولى : أن الناس محتاجون إليه في كل وقت .

هذا هو الإيمان الصوفي الذي يبارك العمل ، ويحظى بفيض عظيم من حب الله : « يحبهم ويحبونه » . والصوفي لا يمزج من البلية ، لأنه ذاق من سعادة الحب الإلهي وفيضه مأمكنه من احتمال العظائم ، لأنها بلاد من محبوب هو الله ، ولأن الله يلهمه في البلايا من العلوم والمعارف والمشاهد ما تتلشى فيه البلية

بحيث تصبح في ذوقه نعمة من نعم العلم والشاهدة ، تفصر دونها آمال النخول
من علماء السطور .

والصوفي يبالي في الحفاظ على وحدة صفوف المجتمع ، ووحدة كلمتهم ،
ووحدة اتجاههم ، لأن الإسلام في طوقه اليومية تدريب خمس مرات على
وحدة الاتجاه ، ووحدة المشاعر ، ووحدة الصفوف واستقامتها ، في الصلاة
المكتوبة ، لأن السنة النبوية حثت على المحافظة على وحدة الشعب من
الاختلاف .

قال سيدي أحمد سرزوق في القاعدة « ٨٩ » من قواعده ، وهو الصوفي
الذي يعتبر بحق واضع أصول المجتمع الصوفي الحق :

« حفظ النظام واجب ، وسراعاة المصلحة العامة لازم ، فلذلك أجمعوا
على تحريم الخروج على الإمام بقول أو فعل ، حتى انجر إجماعهم إلى الصلاة
خلف كل بر وفاجر من الولاة وغيرهم ، ما لم يكن فسقه في عين الصلاة ،
وكذا يرون الجهاد مع كل أمير من المسلمين ، وإن كان فاجرا ، لا غيره .
وزعم ابن مجاهد إجماع المسلمين ، وأنكره ابن حزم ، وفيه كلام لها والقول
عليه المنع بكل حال ، فلقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما سب قوم أميرهم
إلا حرموا خيره » . وقال : « المؤمن لا يذل نفسه » . قال ابن عباس : يتعرض
للسلطان وليس له منه النصف ... ويجمعه قوله عليه السلام : « من حسن
إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، والقوم أبعد الناس مما لا يعنيهم » .

تلك نظرة فاحصة بالغة العمق حقا . فلا يخلق المشاكل في المجتمع شيء
غير دخول الناس فيما لا يعنيهم ، وتركهم ما يعنيهم ، يشغل وقته في إشاعة الفتنة
بين الناس ، وخلق بذور السكراهية بين الشعب وحكامه ، فيعطل العمل الذي

وكلفه الدولة للقيام عليه ، ويستغل أموال الدولة في العمل ضدها ، ولو قام كل إنسان بعمله الذي يعنيه ، وأضرب عما سواه ، فإن مجتمعا تسوده هذه الروح لا يمكن أن يشكو من أى لون من المقاعب .
هذه نظرة إيجابية لاسلمية كما يبدو من ظاهرها ، لأنها تشغل الوقت كله فيما يعنى الإنسان ، لافيا معنى غيره .

إن الصوفية ترفع شعارها الجيد من قوله تعالى :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

دور الشيوخ في ريادة الحب الإلهي

طالما سمعنا وعظ المنابر والخطبات يدعو به الداعون إلى الحب الإلهي ،
وامتثال أمر الله تنفيذاً لعقد الحب ، ولكنا لانحس استجابة فعلية لهذا الوعد
إلا في حالات نادرة .

وطالما وقعت أنظارنا على السمت العام لأحد العارفين من شيوخ التصوف
فذابت شهواتنا ، وتلاشت نزواتنا ، وعشنا في تيار رقيق من الإحساس
المشرق ، يفتح له القلب ، ويفرغ له لون من الحبوز تقصر دونه الأفلام
والأفكار .

ولكننا نتمجب من الفارق بين الحالين ، فالصوفية كما يقول سيدي
« بشر الخافي » تحيا القلوب بذكرهم ، فكيف بمرآهم ، وكيف بمجالسهم .
وقد يكون غيرهم من الداعين إلى الله كما يقول بشر الخافي أيضا من « تموت
القلوب برؤياهم » .

لا ينكر أحد منا مطلقا أن لأبي إنسان مفعنة توحى بأحاسيس معينة
إلى قلب رائية أو محدثة ، فنحن نكتب غاية الاكثاب بمجرد وقوع أنظارنا
على شخص ، ونسر غاية السرور برآى إنسان آخر ، بل لقد تنهار القوى
البشرية العاقلة أحيانا لدى بعض الناس أمام الجمال البشري بصورة لا تدع
شكاً في أن شخصية الإنسان العامة هي قوام نجاحه في هداية الآخرين
أو إضلالهم ، أو تجميد مشاعرهم على ما هي عليه .

فإذا افتقر الإنسان من عوامل التأثير هذه افتقر سامعوه والناظرون إليه
من التأثير به إيجاباً أو سلباً ، وإذا أثرى الإنسان من عوامل التأثير في الآخرين ،
فإنما أن تكون عوامل التأثير فيه خيرة باطنية ، أى غير محسوسة بإحدى

الحواس الخمس الظاهرة ، وفي هذه الحالة تنقمع جميع الغرائز والنزوات لمراعى هذا الإنسان ، أو المتول في مجاسه ويبرز الإحساس الروحي العميق . وأما إذا كانت عوامل التأثير لديه ظاهرة ملموسة فهي الفتنة التي تطبق القلوب ظلما ، والمجتمع حيدة واضطرابا .

فتنة المال ، فتنة المظهر ، فتنة الشهوة ، وكلها فتن تقضى في الحال على الأساسيس الروحية ، وتوقظ الغرائز والنزوات في صورة طائشة بشعة تعيث في الأرض الفساد ، وفي القلوب التخريب والجود . فإذا كان هذا اللون من الناس ضالا بطبيعته فهو الوبال ، المالحق على الفرد والمجتمع ، وهو النفاق والتعدي لحدود الله ، والإجرام بين الناس .

هو هيك العرض ، واستغلال الإنسان للإنسان ، وإذلاله له ، واحتقار النذل العليا ، والدعوة إلى الفساد على الصورة التي لا يجهها إنسان في أى مجتمع من المجتمعات .

ومن السهل أن تثور الغرائز ، ويستشرى خطرهما بين الناس ، ومن الصعب أن تقمع هذه الغرائز ، وتخضع لحكم الروح ، فلا يصدر عنها إلا العقل الكامل لسكل الأمور .

والمذاهج النفسية النظرية التي ندرسها لتحقيق التكامل الشخصى في داخل الإنسان ربما كانت صحيحة في بعض نظرياتها ، ولكن الصحيح منها يفقد المنصر الفعل في تقويم النفس ، ألا وهو التكامل الشخصى ، والقذوة الحسنة العملية عند كثير من مروضى النفوس على المنهج النظرى الفلسفى للسمى بالحديث .

شخصية المروض مشحونة بالفرور ، شاعرة بالنقص لأنها لا تستقل بعلم ، بل هى شخصية راوية لا تزيد شيئا عن جهاز التسجيل ، ومن أجل هذا نصنع لنفسها قناعا من الفرور الزائف تحسبه عظمة ، ثم توازر النفس تلك الشخصية ،

فتخذهما ، وتزين لها القناع بالحركات والسكنات ، والمظهر الفارغ المؤسف المبكى .

هذا هو حال الأكثرين من أطباء النفوس على المنهج المسمى بالحديث ، وإن كنا لا ننكر أن لبعضهم نوعا من التكامل الشخصى ربما نقصته التأملات السحيقة فى حال تشبه حال انقضاء الصوفى ، حيث يتفجر ينبوع البصيرة والكشف الصادق .

وتأثير هذا النوع المفروغ فى تلاميذه معروف مشهور : عجز وتمييع فى تطبيق النظريات ، وبأس من تحقيق تجاح ذى قيمة ، ثم عودة إلى العفنة النظرية ، وإغراق فيها ، والتواء فى المنطق ، بل وربما تمييع فى المظهر نفسه .

أما شيخ التصوف فهو لا يبنى من مظهره إلا بما يحقق الشريعة الإبراهيمية الحميدة ، لا بما يحقق للعرف كيانه ، لأن الشريعة فاقت العرف آثانا وسلاما وفاعلية ، وعملا .

النظافة ، الطهارة ، اللطيف ، التواضع ، سكن الله فى القلب بصفة دائمة ، الأدب فى الحديث ، التبرؤ من الحول والقوة ، الاستخاء ، المراقبة الدائمة لله دون تعطيل عن العمل ، الإخلاص فى العمل لوجه الله ، عدم التدخل فيما لا يعنى ، إلى غير ذلك من الأخلاق الإبراهيمية الحميدة التى يحارب أكثرها العرف ، فلا يجوز لذلك أن يخضع الشيخ للعرف ، لأنه يهدف إلى سيادة العرف الأخلاقى الشرعى على كل عرف ، وهى القاعدة المشهورة فى السلوك « بخرق العوائد » ، ومن خرق عوائد نفسه انفلتت له الأكوان .

الشيخ لا يرجو من عمله أجرا ، ولا يقيد عمله بروتين معين ، ولا بوقت ولا زمان ، فهو يزاول تربيته لمريديه فى البيت ، وفى الطريق ، وفى المسجد ، وفى كلمات بسيطة نقية ، لا نقول فيها ولا تعقيد ، ولا يشعر مريده بكلفة الاستماع ، وروتين المدارس .

ثم هو ينظر إلى البشرية كلها كوحدة لا اختلاف بين أجزائها ، فإلى الله
تصير الأمور ، والكل على الطريق إلى الله طائعين أو كارهين ، وكل ما يفرق
بين الناس هو أن هذا درج على سلم الصعود ، وجاهد بنفسه في سبيل الله ،
حتى وصل إلى درجة معينة من العرفان ، بينما تخلف عنه الكثيرون ، لأنهم
يتعثرن في السير ، أو تنقصهم المهمة الحافزة لهم على السير والعمل ، هؤلاء
ضعفاء لا يبالون من شيخ التصوف سوى الرحمة بهم ، والتلطيف بنفوسهم
حتى يمكن إخضاعها لسلطان الروح ، بينما يحظون من أبطال الدراسات الحديثة
بنظرة احتقار عابرة .

الكل في مجلس شيخ التصوف سواسية ، فهو لا يجعل من جليس ،
ويقتصر بآخراً إلا في مجال القدوة الحسنة ، أما المظهر فلا اعتبار له لديه .

ثم إن هناك ناحية هامة جداً في تأثير شيوخ الطريق في المريدين ، لا يمكن
إدراكها إلا بالتجربة ، وإن أمكن تقريبها للأذهان بعض الشيء ، تلك هي
نفس الأحاسيس التي تنطلق من قلب الشيخ وروحه إلى روح المريـد وقلبه ،
وهي التي شرحها لسان الدين بن الخطيب في كتابه حين تحدث عن
أنوار الذكر .

إنها إشعاعات رقيقة نشطة ، هادئة جارفة ، يختلط فيها الجبور بالهيبة
الآمنة ، وتنطلق من قلب الشيخ العارف الحقق الباقي مع الله ، إنها القبس
الوضئ من حب الله الذي عمر به قلب الشيخ الحق ، حتى صار نبعاً صافياً
للحب يتدفق في كل اتجاه ، ليتلقاه قلب مستعد جاذب ألمى ، هذا القلب هو
قلب المريـد الحق .

ومن هنا كان الأدب والاستسلام ، وحبس الخواص الظاهرة وإغلاقها
تماماً ، والتوجه الكلى الباطنى نحو روح الشيخ للربى ، حتى تتسلل تلك
(٥ - ووضه التعريف)

ثلاً نوار إلى القلب في بسر ، وتعمل عملها في النفس في نجاح .

إن الحبور الذي يحصل عليه المريد هنا يحول اتجاهه فجأة إلى الاستزادة من هذا الفيض ، والحياة في تلك السعادة الغامرة ، والزهد في كل لذة زائفة ، والرحمة بالمتريدين في أحوال تلك الذات والذات ، وتنعكس تلك الأحاسيس على ظاهر المريد تواضعاً وأدباً وعزة إيمانية تنبع من التفاعل بينه وبين الناس في التعاون على البر والتقوى .

وهنا يجد المريد نفسه متمسكاً لمجلس أستاذه ، مستزيداً من هذه الحاسة الجديدة ، مجرباً للاستعداد على البعد بنفس التوجه الباطني ، كما يشعر بالأبوة الحانية من شيخه ، فيتملق به ؛ ويسلم إليه قياد نفسه ليربها ، ويدفعها إلى أسمى ذرا الإيمان والاحسان .

وهنا تبرز ألمعية الشيخ وخبراته فهو لا يوجه مريداً بما يوجه به مريداً آخر ، لأن لكل إنسان ميوله المستقلة عن ميول الآخرين .

فالشيخ يعالج مناطق النفور من نفس المريد ، مستغلاً هذا الحب العارم ، فيكلفه بأذكار وصلوات ، وأدعية هي من صميم القرآن والسنة ، وفي أوقات مختلفة ، تتيح للمريد العمل في ماشه على هدى للمراقبة لله ، كما تعصمه من اللل والسامة ، وقسوة التكليف .

ويحس المريد نور عمله ، فيملاً قلبه منه ، ويستحث روحه على النهضة ، لأن الحال نتيجة للعمل بالعلم . وهذا الحال هو شعور راضٍ يعتبر بمنزلة الحادي الذي يحدو الروح إلى غايتها السامية .

وقد يجد الشيخ من مريده قوة ، فيكلفه ساعة من السحر يدفع فيها بسحر الجمال المتجلى في الأكوان . وهي ساعات مباركة للسلك والثمرات ، حث الله عليها :

« وبالأَسْحار هم يستغفرون » .

« تتجاني جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم » .

« ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .

وهكذا يسير الشيخ بمريده يبصره بأفات النفس ، وبوقظه إذا كسل ، ويؤازره إذا ابتلاه الله ، فيشده النعمة في البلية ، نعمة العلم ، والتعرفات الإلهية السامية .

فإذا نضج ، واجتاز امتحانات الله لإيمانه ، قاضت عليه المعارف وشهد من الخفيات مالا يشهده غيره من الدارسين . الأمر الذي قال فيه الصوفية :
« نصل بالشيخ في لحظات إلى مالا نصل إليه بدونه في سنين » .

ولذلك كان الحب هو دين الصوفية ، الحب لله والنفاء في أمره ، والصبر على ابتلائه ، والسعادة بهذا الابتلاء .

ثم الحب لإخوانهم من السالكين إلى الله والعارفين به ، قياساً على حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك الذي يظهر واضحاً في التبرك بآثاره في حياته ، إذ كانوا يتقاسمون شعره الشريف إذا حلق ، حتى لقد كانوا يقرعون على الشعرة الواحدة .

يعتبر هذا السلوك الذي وضعه الشيوخ للمجتمع الصوفي فيما بين بعضهم وبعض تدريجاً على إنكار الذات إنكاراً تاماً للوصول بالأعمال كلها إلى المحبوب سبحانه وتعالى .

إنهم يدربون تلاميذهم على الحب ، بادئين بتوجيه حب المرید نحو الشيخ نفسه ، ثم نحو إخوانه ، ثم نحو المجتمع المحيط به كله ، ثم نحو الحيوان والنبات والجماد ، أى نحو كل ما يتصل بحياة الإنسان نفسه ، وهو السكون كله حيث

لا يستغنى إنسان في الوجود عن أى شئ في الوجود . وفي ذلك يقولون :
« إذا فرت القطة خوفاً منك فأنت سيء الخلق » .

ولا يفرض الشيخ على مريده أن يحبه لفرض في نفسه ، بل إن الأمر لا يعدو تدريب المريد على الحب والطاعة فحسب ، ولذلك نجد المريد الصوفي يصطدم دائماً بمقبة شديدة جداً حينما يقترب من نهايات السلوك ، وذلك لأنه يقيم على تعلقه بشيخه ، وحبه إياه حباً يملك عليه كل قلبه في الوقت الذي ينازل فيه مقام الحب الإلهي ، وخطأ المريد هنا أن يفرق بين حبه لشيخه وحبه لله ، فلا يحس أن حبه لشيخه إنما هو لله ، ومن أجل أنه دليله إلى الله ، وأنبوبه للفيض من الله إليه ، وزارع شجرة الحب الإلهي في قلبه . بل إنه يحب في شيخه ومن شيخه صفاء الكشف ، وصدق الفراسة ، وسطوع الكرامة ، واجتماع سراء الناس وعامتهم إليه ، والدعاء المحاب إلى غير ذلك مما فيه هوى النفس ، وشوائب الغيرية والشرك الخفي .

والحقيقون العارفون من الشيوخ العلماء لا يقيمون تلاميذهم في هذا المشهد أبداً ، لأنهم لا يقولون أن يحتملوا مغبة بعث الشرك الخفي في قلوب المؤمنين ، وإفساد عقائدهم ، وخلطها بفلسفات الحلول والاتحاد وغيرها . بينما يشجع الجهلاء من مدعى التصوف هذه النزعة ، ويشجعون دعائها بين المريدين لحاجات في نفس يعقوب ، والصوفية والتصوف منهم براء .

ويختلف الحقيقون العارفون من الشيوخ العلماء في علاج المريدين من هذه الورطة ، ومعاونتهم على اجتياز هذه العقبة . ولكنهم جميعاً يتفقون على أن يظهروا لهذا اللون من المريدين بوجه يخالف مقتدم فيهم ، إذ يكررون أمامهم خطأ الفراسة والكشف ، ويظهرون بمظهر الضعف والعبودية والافتقار إلى الله ، والرجاء منه وحده ، والمعجز عن التصرف . وقد يلجأ بعضهم من

« الملامتية » إلى إسقاط الجاه بما هو مباح من الأعمال ، كالأكل في الطريق والجلوس فيه ، وبذالة اللبس والظهور وغير ذلك مما يوقف المريد على حقيقة الشيخ ، ولا يوقعه في أحوال الشرك الجلى والخلق على السواء . فإذا المريد محب لله وحده ، محب لطريقه ، محب لدليل طريقه وهو الشيخ من حيث أنه دليل على الله ، لامن حيث بشريته ، وظاهره المهيب ، وجاهه العريض .

لا شرك في شريعة التصوف على الإطلاق كما يقوم بعض الناس ، لأن مجتمع التصوف هو المجتمع الذى تنفى فيه كل الوجوه إلا الوجهة إلى الله ، إذ تتحد النيات لله فى كل أعمال الحياة .

لا عمل إلا لله ، ولا عمل من أجل مخلوق ، بل إنه لا عمل من أجل الثواب ، ولا ترك العمل من أجل الخوف من العقاب ، فليس فى شريعة الحب خوف من عقاب ، ولا رغبة فى ثواب . والخوف والرجاء عديم مستقلا عن العمل تمام الاستقلال . أى إنهم يعملون لأشياء سوى الله . ويرجون ويخافون لأشياء من الأعمال .

ومن أجل ذلك كان مجتمع الصوفية هو مجتمع السلام والأمن والعمل .

الصوفية فى مجال السياسة

يؤمن الصوفية بصفة مبدئية بأن كل ما يتوجه من الله على العباد فإنما هو لحكمة يعلمونها تماما ، فهم يصبرون إذا تجلى عليهم الحق بثوب الجلال ، ويشكرون إذا تجلى عليهم بثوب الجمال ، ولا ينافزون سبحانه شيئا مما خص به نفسه ، وهو ملك الكون دون شريك .

ليس لأنفسهم حظ من الحياة سوى أن يجدوا فى العمل الشامل ابتغاء بوجه الله ، لا لتحقيق أهداف نفسية خاصة ، وكل ما فيه راحة النفس وهواها

فهو خطأ وفشل في سلوك طريق العبودية لله ، ولهذا كان الصوفي يرثى من استقلال الإنسان لأى غرض في نفسه ، أو لتحقيق نفع خاص ، لأنه يؤمن بالجماعية في العمل ، كما يؤمن بالفردية والتوحيد لله وحده .

وهناك ظواهر في التاريخ تؤيد فكرتنا عن الصوفية تمام التأيد . فالصوفية تضطهد دائماً حينما يقبل الإقطاع السياسى والمادى والفكرى والفردية ، وتدبر الشورى والتعاونية والإخلاص .

فلقد قتل الحجاج كثيراً من الصوفية في عهد الأمويين ، وتعقب العباسيون كبارهم بالقتل والجلد والتشريد . ولا شك أن هذين العصرين كانا مرحلتين من مراحل التحول من تعاونية الإسلام إلى فردية النفس الفاسدة لدى أى مستبصر في البحث ، دقيق النظرة للتاريخ .

ولم يتحدث التاريخ مطلقاً عن أى تكتلات قام بها الصوفية في هذين العصرين لمقاومة نظام الحكم وإسقاطه عن كرسى جبروته الفارغ . ولم يؤثر عن الصوفية المحققين تكوين سرى لأى جماعة من جماعات الاغتيال رغم قسوة رجال الحكم ضدهم ، وبشاعة الفظائع التي ارتكبت معهم ، والتمثيل بمجتهم على مرأى من الجميع^(١) في الوقت الذي كان يمكنهم فيه بسهولة أن يردوا الصاع صواغاً . ولكن إخلاصهم البالغ لربهم والطريق حبه يزرعهم عن الانتقام للنفس ، لأن في ذلك منازعة لله في شأن من شئونه ، وحجتهم في ذلك متواترة مشهورة ، إذ كان الصديق رضى الله عنه في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاعتدى عليه أحد الجالسين بالقول ، فسكت والرسول يبتسم ، فلما رد الصديق عن نفسه غاضت البسمة في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) راجع الجزء الأول من طبقات الشمراني . ففيه الكثير من أخبارهم في هذا المجال .

فلما استفسر منه الصديق قرر له القاعدة التي سار عليها الصوفية ولا يزالون يسرون على هداها : وهي أن ملائكة السماء كانوا مع الصديق حينما كان صامتا ، فلما رد عن نفسه فارقوه .

إنكار الذات هو أساس مذهب الصوفية الذي هو امتياح من فيض النبوة ، فإذا برزت الذات بأهاجيسها النفسية ، وكدر أغراضها فلا صوفية ولا تصوف ، ولذلك لم ياجأوا في أى عصر من العصور إلى تكوين الخلايا السياسية ، ومناهضة نظام الحكم ، لاسيما وأن حفظ النظام واجب عندهم في المجال السياسي كما قرر الشيخ أحمد زروق في قواعده ، وذكرناه آنفا .

ولكنهم مع ذلك لم يهملوا جانب النصح لولى الأمر . ولم يكتفوا على منكر رأوه ، ولا شاركوا في مخالفة صريحة لقواعد الحياة الاجتماعية في الإسلام .

فهذا سعيد بن السيب رضى الله عنه يهمل شأن الخليفة الأموي ولا يقوم لتحتيته ، ويرسل إليه الخليفة قدرا من المال ليستعين به على الحياة ، فيرده عليه قائلا : إن هناك من هو أحق منه وهو الأمة كلها ، أما هو فلا حاجة له بدنانير الخليفة .

وقصص بكاء الخلفاء بين يدي وعظ الصوفية لهم أشهر من أن يعاد سردها ، وقصص احتفاظهم بكيانهم أن تجترفه الزخوف المادية ، كذلك أكثر وأشهر من تعاد^(١) شأنها شأن قصص الإيمان بالمبدأ واحترامه ، وعدم التضحية به من أجل أى إنسان .

(١) راجع طبقات الشعراء . وطبقات الصوفية للسلي ، وصفوة الصفة لابن الجوزي ، وحلية الأولياء لأبي نعيم .

وقد يقول قائل : إن ثورة « البكتاشية » في تركيا ، وخروج « الحسن الصباح » زعيم جماعة « الحشاشين » على الدولة ، وهو من تلاميذ الشيخ «لصوفي الجليل « موفق الديسابورى » كل ذلك ينقض تلك الدعوى .

ونقول : إن « البكتاشية » ليسوا من الصوفية في قليل ولا كثير ؛ فهم من غلاة الشيعة أولاً ، وقد تستروا بالتصوف حتى يأنس إليهم الناس ، وهم مع ذلك في موضع التهمة الشنعاء إذا قرأنا أدعيتهم وأورادهم فوجدنا فيها ثعفا صريحا للخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل ، وهو أمر مدون مشهور في كتبهم ، فوق أنه أمر يخرج تلك الجماعة عن الإسلام .

أما « حسن الصباح » فقد تنبأ له شيخه بالفشل في سلوك الطريق ، وبالخروج عن الإسلام إلى الإلحاد . كما تنبأ لنظام الملك بالبروز في ميدان السياسة والحكم . وما كان في الصوفية ولا في الإسلام ادعاء الألوهية ، ولا ادعاء القيام على الخلق بالثواب والعقاب ، ولا تخدير المسلمين بالحشيش للإيهامهم بالخيالات والأباطيل ، وتلك بعض خلال « الصباح » إذ ننف عن ذكر مستبشعاتها .

كل ما فيه تحقيق للمطامع الشخصية محظور في شرعة التصوف ، والسكوت عن المنكر محظور كذلك في سلوك التصوف ، ولذلك اكتفى الصوفية بالنصيحة ، وآثروا حفظ النظام كما آثروا صيانة النفس عن أن تدنسها الفردية المخربة الطائشة .

أما الثورات الدينية السياسة التي قامت بها جماعات سرية وعلمية في التاريخ فإن غايتها هي تحقيق المطامع الشخصية، وحب التسلط والسيطرة والسيادة الفردية مما يشهد له التاريخ في جميع العصور ، وما ينفر منه التصوف كل النفور في الوقت نفسه .

والمصوفية لا يهتمون — مع ذلك — دورهم في إصلاح المجتمع كما ذكرنا ،
ولكنهم لا يطالبون بالحكام بالإصلاح بقدر ما يطالبون به أنفسهم ، فهم يجهلون
أنفسهم في العمل على القضاء على الفقر والجهل ، وما آفة المجتمع الأولى ،
فيطعمون الطعام ، ويمدون يد العون لكل محتاج ، ويمشون أبناءهم على هذا
العمل ، كما يقضون على الجهالة في مجتمعاتهم الطليقة من قيود الروتين ، كما يقفون
في الصفوف الأولى لجيش الإسلام إذا أغار على بلاده مغير ، دون أن يطلبوا
تأجرا على جهادهم إلا الشهادة في سبيل الله .

والمصوفية يستندون في مسلكهم هذا إلى القرآن أولا ، وإلى السنة
ثانيا ، وإلى سلوك الصحابة ثالثا ، فالقرآن يقول : « أطيعوا الله ورسوله
وأولى الأمر منكم » .

والسنة تقول : « اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي . . . » .

وعثمان رضي الله عنه أبى أن يثير حربا مسلحة للدفاع عن نفسه ،
والجند من حوله مستعدون لتلبية أى إشارة ، وآثر أن يحقن دماء المسلمين
بدمه للمهراق الزكي .

ولا يخفى ما أحدثته الثورة ضد سيدنا عثمان من اضطرابات وبلبلية في
الصف الإسلامي لازلنا نعانى منها إلى الآن ، كما لا يخفى أنها كانت دسيسة
يهودية تزعمها « السبئية » ومن نحأ نحوم .

أقول : يجب أن نفرق بين شهداء الصوفية ، وبين قتلى للذاهب المنحرفة ،
فإذا ضحك خالد القسري بالجمد بن درهم للحد يوم العيد تحت المنبر في المسجد ،
فإنما كان ذلك لصيانة الأمة من للذاهب البخيلة المادمة ، ولا يجوز أن يقاس
على هذا وأمثاله قضية شهداء الصوفية في العصرين الأموي والعباسي ، ولا قضية
السان الدين بن الخطيب شهيد الصوفية بالمغرب .

إن قتل المعطلين لقضية الإيمان ، البناء الشامل لجميع نواحي الإصلاح ، وأنصار المذاهب الهدامة الدخيلة التي تؤكد الفردية والانعزالية التي يأبأها الإيمان ، والعاملين على فعم عروة الأخوة بين طبقات الدولة ، قتل كل أولئك لا يقاس عليه قتل لسان الدين بن الخطيب وأمثاله من الصوفية في العصر الأموي والعباسي ، وهما أحفل العصور بدماء الصوفية الطاهرة .

وهناك نوع من الصوفية قتل في أحداث فردية كالحلاج ، والسهروردي المقتول صاحب « حكمة الإشراق » وغيرهما ، وقُتل هؤلاء ما كان اضطراراً . للتصوف وأهله ، وإنما كان لأنهم قد تسكلموا في عناصر من التوحيد لا يجوز الحديث بها بين العامة ، لأنها بالنسبة لهم قد تكون من أخطر الأمور على العقيدة نفسها ، حتى أن الإمام الصوفي أبا القاسم الجنيد أقر قتل ابن أخيه الشهيد الحلاج .

كلمة أخيرة :

وإننا إذ نقدم كتاب « روضة التعريف بالحب الشريف » في طبعته الأولى للجمهور نقدم أعظم سجل لمذاهب الحب الإلهي يمكننا من الموازنة بسهولة بين الاتجاه الصوفي ، والاتجاه غير الصوفي ، كما أنه يستهطن نماذج كثيرة من كتاب مجهول لم نقف عليه لأبي القاسم البغدادي اسمه كتاب « السياسة » وقد أطال ابن الخطيب النقل عنه ، كما يوقفنا على كثير من الشعر الصوفي لابن الخطيب نفسه .

اللهم اجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات . من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك .

٧٥

اللهم خلس أعمالنا من الرياء ، وطهر قلوبنا من رجس البغضاء ، واجعل
حبك سابقا منك إلينا ، ليسكون حبنا تابعا إليك منا .
ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألك رسولك محمد صلى الله عليه وسلم .
عز الدنيا بالإيمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والشاهدة .

إنك سميع قريب مجيب ؟

حدثني شبرا ، في { ١١ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ
٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٦٦ م }

عبد القادر أحمد عطا

الرموز المستعملة في التحقيق

نسخة مدرسة أسعد أفندي بتركيا	س :
نسخة للمكتبة الظاهرية بدمشق	ظ :
كلمات أضيفت لتوضيح المعنى	[] :
كلمات أو عبارات ساقطة من أحد الأصول	() :

كتاب
روضـة التعريف
بالحب الشريف

للوزير : محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلفاني
المعروف بلسان الدين بن الخطيب

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (١). (قال الشيخ الإمام ،
العالم للعلامة ، والبحر الفهامة ، وحيددهره ، وفريد عصره ، لسان العرب ،
وحجة الأدب ، لسان الدين محمد بن عبد الله الخطيب لطف الله به وأعلقه
بسيده (٢) .

اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة ، وعلل بجريال
حبك جوانح أرواحنا العاشقة ، واستخدم في تدوين حمدك شبا أعلامنا
المباشقة ، ودل على حضرة قدسك خطوات خواطرننا (٣) الذائقة ، وابن
لنا سبل السعادة التي جعلت فيها الكمال الأخير لهذه الأنفس الناطقة ،
واصرقنا عند سلوكها عن القواطع المائقة (٤) ، حتى نأمن مخاوف جبالها
الشاهقة ، وأحزبنا (٥) المنافقة ، وأوهامنا (٦) الطارئة الطارقة ، وبرازخها
الغاشية الفاسقة (٧) ، فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة (٨) ،
ولا تحجبنا عنك (٩) العوارض الجسمية اللاحقة ، ولا الأنوار المغالطة

(١) في « س » (وصلواته على محمد) .

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل ، س .

وفي « ظ » بدل كلمة البحر « الحبر » وبعد حجة الأدب « إمام الأئمة الأعلام وشمس
الأنام » وبدل « لطف الله به وأعلقه بسيده » تقدمه الله برحمته وأسكنه فسيح جنته .

(٣) في « ظ » خطواتنا .

(٤) في « ظ » (المائقة) .

(٥) في « ظ » (أجزأها)

(٦) في « س و ظ » (أوهامنا) .

(٧) في « س و ظ » (الفاسية) وفي الأصل الفاسقة وقد رجعتنا ما على هامش الأصل

من نسخة ثانية .

(٨) في « ط » (السارقة) .

(٩) في « ط » (عند) .

البارقة ، ولا العقول المفارقة ، يا من له الحكمة البالغة والعناية السابقة ،
وصل على عبدك ورسولك (سيدنا (١)) محمد درة عقود أجابك المتناسقة ،
وجالب بضائع توحيدك النافقة ، المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات
الخارقة ، ما أطلعت أدواح الأفلاك (٢) زهر أزهارها الرائقة ،
وحدث (٣) قطار السحاب حداة رعوها السائقة ، وجمعت ربح الصبايين
قدود غصونها (٤) المتعانقة .

أما بعد :

فإنه لما ورد على هذه البلاد الأندلسية المحروسة بمحدود الله حدودها ،
الصادقة بنصر الله للفتة القليلة على الفتة الكثيرة (٥) وعودها . وصل الله
عوائد صنعه الجميل لديها ، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن
عليها . « ديوان الصباية (٦) » وهو الموضوع الذي اشتمل من أبطال
العشاق على الكثير ، واستوعب من أقوالهم (القديمة) (٧) والحديثة كل
نظيم وثير ، وأسدى في غزل غزلهم (٨) وألحم ، ودل على مصارع شهدائهم
من وقف وتزحم ، فصدق الخبر والمخير ، وطست اللجة التي لا تعبر ،
وتأرجح من مسراه المسك والعنبر . وقالت العشاق عند طلوع قمره
« الله أكبر » :

مررت بالعشاق قد كبروا وكان بالقرب صبي كريم

-
- (١) ساقطة من « س و ظ » .
(٢) في « س و ظ » (أفلاك الأدواح) والأصل أرجح .
(٣) في « س » (وجدت)
(٤) في « س و ظ » (أغصاتها) .
(٥) يشير إلى قوله تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .
(٦) لأبي العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني الأديب الصوفي . وكان
بكثر الخط على أهل الوحدة المطلقة وعارض ديوان ابن الفارض بقصائد نبوية وامتنح لذلك
وقد طبع ديوان الصباية بمصر ١٣٠٢ هـ .
(٧) ساقطة من « ظ » وفي « س » (الحديثة والقديمة) .
(٨) في « س و ظ » (غزله) .

فقلت له ما بالهم قال لي ألقى للحب كتاب كريم
لاغرو أن قام بهذه الآفاق أسواق الأشواق ، وزاحم الزفرات في
مسالك الأطواق ، وأسال جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقائق
وفتك (١) نسيمه الضعيف (٢) العهد والميثاق بالنفوس الرقاق :

جنى النسيم علينا وما تبينت عذره
إذ صير الأرض نجدا والخلق أنباء عذره

فوقع للحجة (٣) المصرية التسليم ، وقالت السنة الأفلام معربة عن
السنة الأقاليم :

سليت لمصر في الهوى من بلد يهديه هوى لذ في استنشاقه (٤)
من ينكر دعوای فقل عنى له يكفى امرأة العزيز من عشاقه

فهمر المحافل والمجالس ، واستجلس الراكب واستركب الجالس ، يدهو
الأدباء [١١] إلى مادبته فلا تتوقف ، ويلقى عصا سحره المصرى فتلقف ،
ماشتت من ترتيب غريب ، وتطرب من بيان (٥) أريب ، يشير إلى الشعر
فتنقاد إليه عيونهم ، ويصبح بالأدب النثر (٦) فتلبيه فنونه ، (ويلم بالحديث
العذب فتشير الشجون شجونه (٧) وأنهى خبره إلى العلوم (الشريفة (٨)
المقدسة ، ومدارك العز الموطدة المؤسسة ، وسما به الجد صعدا إلى المجلس
السلطاني ، مقر السكالك ، ومطمح (٩) الأبصار والآمال ، حيث رفارف

(١) في « ظ » (قتل) .

(٢) في « ظ » (ضعيف العهد) .

(٣) في « س » ، ظ » (الحجة) .

(٤) في « س و ظ » (يهديه هواه لدى استنشاقه) .

(٥) في « س » ، ظ » (بنان) .

(٦) في « ظ » (بالأدب الشد) تحريف .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من « س » ، ظ » .

(٨) ساقطة من « س » ، ظ » .

(٩) في « ط » (مطمح) .

العز قد انسدت ، وموازن القسط قد عدلت ، وفصول الفضل قد اعتدلت ،
وورق أوراق المحامد (والممادح ^(١)) قد هدلت ، مجلس السلطان المجاهد ،
القناص الزاهد ، شمس أفق المللة ، (وفخر ^(٢)) الخلفاء الجلالة ، بدرهالات
السروج ^(٣) المجاهدة ، أسد الأبطال البارزة ، إلى حومة الهياج الناهدة
معشى الأبصار المشاهدة ، مظهر رضى الله عن هذه الأمة الغريبة ^(٤) عن
الأمصار والأقطار ، من وراء أمواج البحر الزخار ، باختياره لها واعتيامه ،
وملبسها برد الأمن واليمن ^(٥) ببركة أيامه ، ومن أطلع الله أنوار الجمال
من أفق جبينه ، وأنشأ أقطار السحاب من غمام يمينه ، وأجرى في الأرض
المثل السائر (بفضله ^(٦)) وحلمه ، وبسالته ودينه ، أمين الله على عهدة
الإسلام بهذا القطر وابن أمينه ^(٧) ، فخر الأقطار والامصار ، مطمح
الأيدي وملح الأبصار ، وسلالة سعد بن عبادة سيد (ولد ^(٨)) الانصار ،
من لو نطق الدين الحنيف لحياه وفداه ، أو تمثل السكمال صورة ماتعداه ،
مولانا السلطان الإمام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله بن
مولانا السلطان الإمام المجاهد المقدس ^(٩) أبي الحجاج ^(١٠) يوسف بن مولانا
الإمام المجاهد المقدس : أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر الانصارى

(١) ساقطة من « س ، ظ » .

(٢) في « س » (هو الملك) .

(٣) ساقطة من « ظ » .

(٤) في « ظ » (السيوف) ولعلها : السيوف ، يريد أنه سيد الفرسان .

(٥) في « ظ ، س » (القريبة) .

(٦) في « س ، ظ » (اليمن والأمان)

(٧) ساقطة من « ظ » .

(٨) في « س ، ظ » (وابن ابن أمينة) .

(٩) ساقطة من الأصل ، ظ

(١٠) بدل هذه العبارة في ألقاب السلطان في « س ، ظ » (مولانا أمير المسلمين) فقط

(١١) في الأصل « أبو الحجاج »

الحزرجى جعل الله ثغر الشجر مبتسما عن شنب نصبره ، والفتح المبين
مذخورا^(١) لعصره ، كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره ،
وسوغه من أشات مواهب السكال ماتعجز الألسنة عن حصره ، ولا زالت
أفنان أعلامه تتحف الأقاليم بجنى فنون فخره ، فخصته عين استحسانه -
أبقاه الله - بلحظة لحظ وما يلقاها إلا ذو حظ ، فصدرت^(٢) إلى منه
الإشارة السكرية بالإملاء في فنه ، والمناداة على بنت ذنه ، وحسب
الشحم^(٣) والله يجعلنى عند حسن ظنه ، ومتى قورن المثرى بالمترب ، أو
وزن المشرق بالمغرب ، شتان بين من تجلى الشمس منه فوق منصتها ، وبين
من يشره^(٤) أفقه المغربى لا بتلاع قرصتها ، لكننى^(٥) امتثلت ورشت
ونثلت^(٦) ، ومكرها لا بطلا مثلت^(٧) ، وكيف يتفرغ للتأليف ويتبرع
بالوفاء بهذا التكليف ، من حمل الدنيا فى سن الكهولة على كاهله ، وحمل
طير الكرى عن مناهله ، وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله ،
واشترى السهر بالنوم^(٨) ، واستنفد سواد الليل وبياض اليوم ، فى بعث
يجهن ، وفرصة تقتبز ، وثغر للدين يشد ، وأزر للملك يشد ، وقصة ترفع
ووساطة [اب] تنفع ، وعدل بحرص على بذله ، (وهوى يجهدى عذله)^(٩)
وكریم قوم ينصف من فذله ، ودين تزاح الشوائب عن سبله وسياسة تشهد
للسلطان نبيله ، وإصابة نبهه ، ما بين سيف وقلم ، وراحة وألم ، وحرب وسلم

(١) فى « س ، ط » (مذخورا) بالذال المهملة -

(٢) فى « س ، ط » (وصدرت)

(٣) تورية بقوله أبى تمام أعينها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

(٤) العبره أشد الحرس وأسوؤه .

(٥) فى « س » لكى .

(٦) يريد : أ كلب إستعدادى للتألف كما يستمد الراى بإعداد سهامه وقوسه .

(٧) تورية بالمثل « مكره أخاك لا بطل » .

(٨) تورية بقول الشاعر :

ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عمين

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من « س » .

ونشر^(١) علم أو علم ، وجيش يعرض ، وعطاء يفرض ، وقرض حسن
 لله يفرض ، في وطن توفر العدو على حصره ، ودار به دور السوار على
 حصره ومملك قصر الصبر والتوكل على قصره ، وعدد نسبته من العدد
 العظيم الإطاقة^(٢) الشديد الإضافة ، تشبة الشعرة من جلد الناقة ، وبالله
 نستدفع المكروه وإليه نمد الأيدي ونصرف الوجوه ، وسألت منه أيده
 الله القنوع بما يسره^(٣) الوقت ، بما لا يناله المقت ، والذهاب بهذا الغرض
 لما يليق بالترتيب والسن ، ويؤمن من اعتراض الإنس والجن ، وما كنت
 بمن آثر الجدل على الهزل ، واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة^(٤)
 الجزل ، ولا آنف من ذكر الهوى بعد أن خضت غماره واجتليت ثماره ،
 وأقت مناسكه ورमित جواره ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة ،
 فلهوى أول تيمة قلدتني الداية ، والترب التي عرقتها في البداية ، وأنا
 الذي عن عروته نبت ، وأنا الذي^(٥) ، بعثت إلى الرصافة^(٦) لأرق
 فذبت^(٧) ، إلى أن تبين الرشد من الغي ، وصار النشر إلى الطي ، وتشايخ
 ولدان الحمى ، (وتذكر القهم لأيام الرى)^(٨) كذلك كنتم من قبل فن
 الله عليكم .

جزى الله عنى زاجر الشيب خير ما جزى فاصحا فازت يداى^(٩) بخيره

(١) في « ظ » ونشد علم .

(٢) في « س » ظ (الطاقة) .

(٣) في « ظ » (يسره) .

(٤) في « س » ظ (بريمة) . والجزل . القوى . أى لاني لازلت أهوى الغزل الرقيق .

(٥) ساقطة من « س » ط .

(٦) قصر بناء عبد الرحمن الداخل شمال غرب قرطبة وتقل إليه من الشام كثيرا من
 أشجار الفاكهة والأزهار وسماء باسم رصافة جده هشام بن عبد الملك [مجمع البلدان ٧/٢٥٧]
 (٧) يقصد طي بن الجهم الشاعر العباسي لما كان خشن اللفظ بدوى اللهجة فأقاموه بالرصافة
 فرق شعره وعذب .

(٨) ساقطة من « س » وفي « ظ » (وتذكر القهم لأيام الرى) والقهم الأرض المنعشة :

(٩) في « م » (يداى) .

ألفت طريق الحب حتى إذا نهى نعوذت حب الله عن حب غيره
 حال السواد فحال (١) الفؤاد ، وصوح المرعى فانقطع الرواد (٢) ،
 ونهاني ازوارار خيال الزوارا ، والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحورا ،
 وكيف الأمان وقد طلع منه النذير العريان ، يدل على الخبر بخبره ، ويتقرر
 بهاذم اللذات على أثره ، والله در القائل :

دعني عينك نحو الصبا دعاء يردد في كل ساعة [١٢]
 فلولاً وحقك عند المشي ب لقلت لعينيك ممعاً وطاعة
 ولولا أن طيف هذا الكتاب الوارد طرق مضجعي وقد كاد يبدو
 (الحاجب) ويضيع (٣) من الغرض الواجب ، ويعجب من نوم الغفلة العاجب (٤)
 لجريت معاً في ميدانه وعقدت بناني بنانه ، وتركت شاني - وإن رغم الشاني -
 لسانه (٥) ، وقلت معتذراً عن التهميم (٦) في بعض أحيانه :

أهلا بطيفك زائراً أو عائداً تفديك نفسي غائباً أو شاهداً
 يامن على طيف الخيال أحوالي أظن جفني مثل جفنيك راقداً
 ما نمت لكن الخيال يلم بي فيجمله طرفي فيطرق ساجداً
 ومن العصمة ألا تجدد . هلا قبل المشيب ، ومع الزمان (٧) القشيب (٨)
 وقبل أن تمنحس القربة ، وتبني الخانقة (٩) والترية ، وتؤنس بالله الغربية
 وعلى ذلك فقد أثر ، ويا قلبي المعتر اللهم لا أكثر .

(١) في « س ، ظ » (بحال الفؤاد) أي ذهب سواد شعري فتاب قلبي عن هواه

(٢) في « ط » (فانقطعت الدودا) وهو خطأ .

(٣) ساقطة من « ط » .

(٤) في « س ، ظ » (الواجب) والتقصود واجب الوجود سبحانه .

(٥) في « ط » لسانه .

(٦) التهميم أي العودة أحياناً إلى خلق الشباب .

(٧) في « س ، ظ » مع الزمن .

(٨) الجديد .

(٩) الخانقة - والخانكة . بيت العباد المنقطعين للعبادة .

وبداله من بعد ما اندمل الهوى

برق نألق موهنا لمعانه

يبدو كعاشيه الرداء ودونه صعب الردى متمنع أركانه
(فبد الينظر كيف لاح فلم يطق نظراً إليه ورده أشجانه) (١)
فالدار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

وجعلت الإملاء على حل مؤازرته أيده الله علاوة ، وبعد الفراق من
ألوان ذلك الخوان حلاوة ، وقلت أخاطب مؤلف كتاب الصباية
بما يتغمده جانب إنصافه ، ويفضى عن (٢) نقص إن وقع فيه كمال
أوصافه .

(يامن أدار من الصباية بيننا قدحانيم المسك من رياه) (٣)
وأنى بريحان الحديث فكلما صبح الزديم براحه حياه
أنا لا أهمم بذكر من قتل الهوى لكن أهمم بذكر من أحياه [٢ب]

وعن لى أن أذهب بهذا الحب المذهب المنادى إلى البقاء (٤) ، الموصل
إلى ذروة السعادة فى معارج (٥) انزرتقا ، الذى غايته نعيم لا ينقضى أمدده .
ولا ينفد مدده ، ولا يفصل وصله ، ولا يفارق الفرع أصله ، حب الله الموصل
إلى قربه المستدعى لرضاه وحبه ، المؤثر (٦) بالنظر إلى وجهه ، ويالها من
غاية ، تلقى رحل المتصف بها بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولاية (٧) ،
وكنت وقفت من السكتب المؤلفة فى المحبة على جملة منها كتاب شيدله (٨)

(١) البيت ساقط من «الأصل» .

(٢) فى «س ، ظ» (ويصلى على نقص) .

(٣) البيت ساقط من «ظ» .

(٤) فى «س ، ظ» (معراج) .

(٥) فالحب عند الصوفية يدفع إلى الفناء فى المحبوب ، ثم الفناء عن الفناء ، ثم البقاء .

(٦) فى «ظ» (المؤثر) .

(٧) أى إن الحب الإلهى يصل بصاحبه إلى الولاية بعد فناء نفسه وأهوائها .

(٨) هو عزيزى بن عبد الملك الشافعى انظر - تاج العروس .

له ، كتاب يشهده العوام ، ويستحسنه (١) الهوام ورسالة ابن واطل (٢) ، رسالة مداره ، تطفر من دارة إلى دارة ، في مطاردة هرة (٣) وفارة ، وكتاب ابن الدباغ القيرواني ، كتاب مفرقع . ووجه المقصود فيه متبرقع ، وكتاب ابن خلسون . وهو أعد لها لولا بدارة (٤) تسم الخراطوم ، وتناسب الجمل المخطوم . فكنت بما ذكر لا أفنع . وأقول ما أصنع ، الله يعطى ويمنع .

قلت للساخر الذى رفع الأنف واعتلى
أنت لم تأمن الهوى لا تعيب (٥) فتبتلى
وعذلت أهل العشق حتى ذقتهم فعجبت كيف يموت من لا يعشق
ومن المنقول : لا تظهر الشهامة بأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك (٦) .
بلانى الحب فيك بما بلانى فشانى أن تفيض غروب شانى
أجل . بلانى بالغرض الذى هو من القلوب (محل) (٧) سر أسرارها .
ومن أفنان الأذهان بمنزلة أزهارها ، ومن الموجودات وأطوارها (٨)
قطب مدارها ، ليكون كتابي هذا المقدم على الماذق المملك ، المشبع (٩)
بمالا يملك ، وإن لم يقع الانصاف ، فعسى أن يشفع الإنصاف ، والافتراق
يدرأه الاعتراف ، أنا عند المنكسرة قلوبهم (١٠) ولا تجود يد إلا بما نجد ،
وكل ينفق مما آتاه الله ، [١٣]

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

(١) في « ظ » (ويستحقه) .

(٢) في الأصل (ابن أبي واطل) .

(٣) في « س » ظ « هر وفارة »

(٤) في « ظ » (بداية) .

(٥) في « ظ » (تعين) .

(٦) هذا من قواعد الحب المتبادل بين المسلمين ، ومن دلالات الإيمان الصحيح .

(٧) ساقطة من « س » ظ « .

(٨) في « ظ » (وأطوارها) .

(٩) في « س » ظ « (المشبع) والماذق : غير المستساغ .

(١٠) من حديث قديمى [راجع الانوار للشيخ الاكبر ابن عروج]

وعسى الذى أنطق شوقاً أن يُنطق ذوقاً ، والذى حرك سفعلاً أن يحرك فوقاً ، والذى يسره مقالاً ، أن يكيفه حالاً ، فأول الغيث طل ثم ينسكب الحرب أول ما تكون الحاجة وإن الحرب أولها^(١) السلام ونحمد الله على الكلف بهذه الطريقة ، فلا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، وللأرض نصيب من كأس الكرم .

أليس قليل نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل . فأتى أن أرى الديار بطرفي فعلى^(٢) أرى الديار بسمعي وعلى ذلك فذهبت في ترتيبه أغرب المذاهب ، وقرعت في القاموس الاغاثة [٣ ب] باب الجواد^(٣) الواهب ، وأطلعت فصوله في ليل [الخبر] طلوع نجوم الغياهب^(٤) ، وعرضت كتاب العزائم عرضاً^(٥) . وأقرضت الله قرصاً . وجعلته شجرة وأرضاً ، فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيهاً ، وإشارة لما ورد في الكتب المنزلة وتبيينها^(٦) ، والأرض النفوس التي تغرس فيها ، والأغصان أقسامها التي تستوفى فيها ، والأوراق حكاياتها التي نحكيها ، وأزهارها أشعارها التي نجنيها ، والوصول إلى الله ثمرتها التي ندخرها^(٧) بفضل الله ونقتنيها^(٨) شجرة لعمر الله يانعة ، وعلى الزعازع تمانعة . ظلمنا ظليل ، والطرف عن مداها قليل ، والفائز بجناها قليل . رست في التخوم ، وسمت إلى النجوم ، وتزهت عن أعراض الجسوم ، والرياح الجسوم ، وسقيت بالعلوم ، وغذيت بالفهم ، وحملت كائنها بالزهر المكتوم ، ووفت ثمرتها بالغرض المروم ، فاز من استأثر بجناها^(٩) ، وتغنى من غنى بلفظها دون معناها ،

(١) في الأصل : أوله .

(٢) في « س ، ظ » فعلى أن أرى الديار) وهو خطأ . (٣) في الأصل « الجود » .

(٤) العبارة في « ظ » (وأطلعت فصوله في ليل طلوع القاموس نجوم الغياهب) وفي « س » .

وأطلعت فصوله في ليل طلوع نجوم الغياهب) وهما غاية في الاضطراب .

(٥) في « س ، ظ » (وعرضت كتاب العزائم عرضاً) .

(٦) في قوله تعالى « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » .

(٧) في « ظ » (ندخرها) .

(٨) في « ظ » وتقتنيها .

(٩) في « ظ » يجنيها .

فمن استصبح بدهنها استضاء بسناها ، ما أبعدھا وما أدناها ، عينا (١) ملأت
الأكف بغناها ، كم بين (أوراقها من) (٢) قلب مقلب ، وفي هوائها
من هوى مغلب ، وكم فوق أفتانها (٣) من صادق ، وكم في التماس سقيطها
من كادح ، وكم دونها من خطب فادح ، ولأربابها من هاج ومادح ، تنوعت
أسمائها ، ولم تنوع أرضها ولا سماؤها ، فسميت غلة تهر ونجى ، وزيتونة
مباركة يستصبح بزيتها الأسنى ، وسدرة إليها ينتهى المعنى ، أصلها للوجود
أصل ، وليس لها كالشجر جنس ولا فصل ، وترتبا روح ونفس وقلب
وعقل ، وشرفها يعضده (٤) بديهة ونقل ، يحيط الهائمون بفنائها ، ويصعد
السالكون فوق بنائها ، [٤] تخترق السبع الطباق ببراقها ، وتمحوها ظلم
الحس بنور إشراقها ، فسبحان الذى جعلها قطب الأفلاك ، ومتنافس (٥)
الأضواء والأحلاك ، ومفرد طيور الأملاك ، وسبب انتظام هذه الأسلاك ،
لم يتحل بها طريد بعيد ، ولا اتصف بصفاتها إلا سعيد ، ولا تعلق (٦)
بأرجها هارٍ فى حضيض ولا تمحض لبرهانها متخبط فى شرك نقيض ،
ولا تعرض لشيم (٧) بوارقها متسم بسمه بغيض : الحمد لله الذى هدانا
لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ومنه نستزيد (٨) الاستغراق
فى بحارها ، والاستنشاق لنواسم (٩) أسجارها (١٠) والاستدلال بذرى

(١) فى « الاصل » عينا .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل وفى « ظ » كم من بين أوراقها .

(٣) فى « ظ » أفتانها تحريف .

(٤) فى « س » ط (يقصده) تحريف .

(٥) فى « س » (ومدافن) وفى « ظ » (ومسافن) تحريف .

(٦) فى « س » ط (ولا اعتلق) .

(٧) فى الأصل . (لشيم بوارقها) .

(٨) على هامش الاصل ، (ونستفيد) من نسخة ثانية .

(٩) فى « ظ » (لنواسم) .

(١٠) فى « ظ » (أسجارها) .

أفنانها عليه ، والوصول بسببها إليه ، إنه ولي ذلك سبحانه ، فطالب لعمري المنبت والنابت ، وسمى الفرع الباسق ورسي الأصل الثابت ، تفاوت الأفنان ، وزخرفت الجنان ، وتعددت الأوراق والزهرات والأغصان ، ولم أترك فنا إلا جمعت بينه وبين مناسبة ، ولا نوعاً إلا ضممته إلى ما يليق به ، واستكثر من الشعر لذكره من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها ، ويؤدي إلى الأنوف روائح ريحانها (١) ، وهو المزمارة الذي ينفخ الشوق في براعته ، والعزيمه التي تنطق بجنون الوجد من ساعته ، وسلعة السن العشاق ، وترجمان ضمير الأشواق ، ومجلى صور المعاني الرقاق [ب] ومكان قناص الأذواق ، به عبر الواجدون عن وجدهم ، وأشار (٢) المحبون إلى قصدهم ، وهو رسول الاستلطاف ، ومتنزل (٣) الألفاظ ، اشتمل على الوزن المطرب ، والخيال (٤) المعجب المغرب ، وكان للألحان مركبا ، ولا نفعال النفوس سببا ، فلا شيء أنسب منه للحديث في المحبة ، ولا أقرب للنفوس الصبة ، واجتلبت (٥) الكثير من الحكايات وهي نوافل فروض الحقائق ، ووسائد مجالس الرقائق ، ومرآح النفوس من كد الأفكار ، وإحماض (٦) مسارح الأخبار ، وحظ جارحة السمع من منح الاعتبار ، وبعض الجواذب لنفوس المحبين ، والبواعث لهمم السالكين ، وحجتها واضحة بقوله تعالى « وكلا نقص عليك في القرآن المبين » (٧) ونقل شواهد من الحديث والخبر تجري صحتها بجري الوكاة من الأموال ، والخواطر من الأحوال ، ويجري ماسواها من غير الصحيح بجري الأمثال

(١) في « س ، ظ » (يستانها) .

(٢) في « س ، ظ » (وأمشا) .

(٣) في « س ، ظ » (ومنزل) .

(٤) في « س ، ظ » (والخيال) .

(٥) في « س ، ط » (واجتلبت) .

(٦) يريد أن الحكايات تخفف من شدة الأخبار كما يخفف الحمى من حدة الدسم .

(٧) يشير إلى قيمة القصة في التربية الصاعدة والذوقية .

ليكون هذا الكتاب بعموم خيره مسرحا للفاره وغيره، ويجد كل ميدانا لسيره، وملقطا لطيره، ومحكما لغيره، فنفاق كلف بأصوله، ومن قصر قنع بفصوله، ومن وصل حمد الله على وصوله، وسميته «روضة التعريف بالحب الشريف»، ويحتوى على أرض زكية، وشجرات فلكية، وثمرات ملكية، وعيون غير بكية، والحب حياة النفوس الموات، وعله امتزاج المركبات، وسبب ازدواج الحيوان والنبات، وسر قوله عز وجل «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات» ليس كالحب الذي دون فيه المدرون، ولعبت بكرة أقياسه صوالج الجنون وقاد الهوى أهله بحبل الهون، وساقط فيه المنى للنبون، حين نظرت النفس من سفلى الجنتين^(١)، ورضيت الأثر عن العين، وباعت الحق بالمين، ولم تحصل إلا على خفي حنين، وارتحلتا لعشاق الصورة^(٢)، وسباق ملاهب الهوى والهورة^(٣)، لقد أكلفوا بالخاراف الحائنة الحائلة، والمحاسن الرائقة الزائلة، وسلع الجبانة، وبضائع الإهانة (وفضائح الميضات، ومنازف الحيضات، وظروف القذا، وتملات القذا، ونفسامبيوت الأذى)^(٤) أزمان التمتع بهم قصيرة، والآنكاد عليهم مغيرة، قترام ما بين طعين بعامل قد، ومضرج بدم خد، وأسير ثغر قد أعوزه فداؤه، وسقيم طرف سقيم قد أعضل دأؤه، وما شئت من ليل يسهر، وفداية نجمهر، وجيوب تشق، وبصائر تحطف أبصارها إذا لمع البرق، وفواسم تحمل التحيات، وخلع أمل تتلقى بخلع الأرجيات^(٥)،

(١) سفلى الجنتين هي جنة الدنيا .

(٢) في س، ظ (الصور) .

(٣) في س، ظ (المور) وهي من التهور والآنذفاع .

(٤) ما بين الحاصرتين، ساقط من «س، ط» .

(٥) في «ظ» (الأرجيات) .

وربما اشتد الخبل ، وأصاب النبل ، فكان الخبل ، قلوب اشتغلت عن الله
فشغلها الله بغيره ، وهب أن ^(١) الحب الجسماني لا تبعث عليه [هـ] شهوة
بهيمة ، ولا تدعو إليه قوة وهمية ، أليست الداعية مرتفعة والباعثة
منقطعة ، وصورة الحسن دائرة ، وأجزاءه المتناظرة متناثرة أليس الجزء
العنصري عائد إلى أصله ، أليس الجنس مقارنا لفصله ، والله در القائل :

(لا تلتفت بالله يا ناظري	لأهيف كالغصن الناضر
يا قلب وأصرف عنك وهم النقا	وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب ما البان وما لعلح	ما الخيف ما ظبي بنى عامر
جمال من سميته دائر	ما حاجة العاقل بالدائر
وإنما مطلبه في الذي	هام الورى في حسنه الباهر
أفاد لشمس سنك الذي	أعاره للقمر الزاهر
فالشعث فالغبر كنلى أنا	أنى من اجل الأول الآخر
أصبحت فيه مغرما حائرا	لله در المغرم الحائر ^(٣)

وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه ^(٢) وقد نظر إلى قدح الماء لما أراد
أن يشرب وعن الاعتبار أعرب ، فقال : كم فيك من خد أسيل وطرف
كحيل ، فأواه مكررة مرددة ، ووالهفاء معادة مجددة ، على قلب أصبح
يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خارية على عروشها ويقول يا ليتنى لم
أشرك ربى أحدا ، وحسبنا مرارة الفراق ذلا ، وفقر الفقد قلا ، والغفلة
عن الله شقاء محتوما ، والكتابة على الفاتت شوما .

صدنى عن حلاوة التشيع اتقأى مرارة التوديع
لم يقيم أنس ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع
وإن كانت الشهوة فأخسب بها داعية ، وإلى الفضيحة ساعية ، خسبك

(١) ساقطة من « س ، ظ » .

(٢) الأبيات كلها ساقطة من « س ، ظ » .

(٣) فى س ، ظ . (وقد در على رضى الله) .

من حمار يعلو بندااء المحبة نهاقه ، ويقذفه على السياق اھتياجه إلى السفاد واشتياقه ، أسير خيال^(١) وصريع مبال ، أولى له ثم أولى له ، لو تأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها المطرى وأخبت زخرفها المغرى ، وأقصر مدة استمتاعها ، وأكثر المساوىء تحت قناعها .

على وجهى مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا مائم إلا أنفاس تركد وتخبث ، وعلل تنشأ ثم تحدث^(٢) ، وزخارف حسن تعهد ثم تنسك ، وتركيب يطلبه التحليل بدينه ، ويأخذ أثره بعد عينه ، وأنس يفقد^(٣) ، واجتماع (كأن لم يعقد)^(٤) ، وفراق إن لم يكن فسكان قد .

ومن سره ألا يرى مايسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقد
- منحص العيش لا يأوى إلى دعة من كان ذا بلد أو كان ذا ولد .
والساكن النفس من لم ترض همته سكنى مكان ولم يسكن إلى أحد
وقلت (٥) وقد مات سكن عزب على أيام التغرب ، أسلى عظم جزع على
ياقلب كم هذا الجفا (٦) والخفوت ذماك استبق لثلا يفوت
فقال لا قول ولا حول (٧) لى قد كان ما كان فحسي السكوت [هـ]
فارقى الرشيد وفارقت لما تعلق بشيء يموت
والزمان لا يعتبر ، وحاصله خبر (٨) ، والحازم من نظر فى العواقب ،
نظر المراقب وعرف الإضاعة ، ولم يجعل الحلم بضاعة ، إنما الحب الحقيق

(١) فى س ظ (خيال) .

(٢) فى « ط » . (وتحدث) .

(٣) فى ظ (يعقد) .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط .

(٥) فى س ، ط (قلت) .

(٦) فى « س » ظ (الجوى) .

(٧) فى س ، ط (الاحول ولاقول) .

(٨) على هامش « الأصل » : (وحاصله أثر) من نسخة ثانية .

حب يصعدك ويرقيك ، ويخلدك ويقلبك ، يطعمك ويسبقك ، ويخلصك
إلى ما فيه (١) السعادة بمن يشقك ، ويجعل لك السكون روضا ، وشرب
الحق حوضا ، وبجنيك زهر المنى ، ويغنيك عن أهل الفقر (٢) والغنا ، ويخضع
التيحان لنعلك . ويجعل السكون متعريف فعلك (٣) . ليس إلا الحب ثم
الوصل والقرب . ثم الشهود ثم البقا . بعد ما اضمحل الوجود ففشيت
الآلام وسقط الملام . وذهبت الأضغاث والأحلام . واختصر الكلام ،
ومحيت الرسوم وخفيت الأعلام . ولمن الملك والسلام (٤) . فالحذر الحذر
أن يعجل للنفس سيرها ، ويفارق القفص طيرها . وهي بالعرض (٥)
الفاني (٦) متبذلة . وبناء الثقل مرتبطة وبضحية الفاني مغتبطة . (فآلمه
مع من أحب . يموت المرء على ما عاش عليه (٧)) أن تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله
هداني لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة
فأكون من المحسنين) وفي مثل ذلك قلت :

أعشاق غير الواحد الآخر الباقي	جنونكم والله أعيت على الراقى
جنتكم بما يفتنى ويبقى مضاضة	تعذب بعد البين مبهجة مشتاق
وتربط بالأجسام نفسا حياتها	مباينة الأجسام بالجواهر الراقى
فلا هي فازت بالذى علقت به	ولا رأس مال كان ينفعها باقى
فراق وقسر وانقطاع وظلمة	فما البعد عن عين (٨) السعادة يا وراقى

(١) في « س ، ظ » (إلى فئة) .

(٢) في « س » (الفقد) .

(٣) يرى الصوفية أن العارف تنفصل له الأكوام بإذن الله كرامة له .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى مخاطب الخلائق يوم الجمع « لمن الملك اليوم ؟ » فلما خدعت
الأسوات وعنت الوجوه - أجاب سبحانه نفسه بقوله « لله الواحد القهار » .

(٥) في س ، (الفرض) .

(٦) في ظ . (الثاني) .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : « س ، ظ » وهما مما ورد في الأحاديث .

(٨) في س ، ظ (من نيل) .

كأنى^(١) بهما من بعدما انكشف الغطا صريعة أحزاب لذیعة أشواق
 تقلب كفيها بخيط موصل وثيقة قد دون سبعة أطباق
 فلا تطعموها السم في الشمد ضلة فذلك سم لا يداوى بدرياق
 بما اكتسبت تسعى إلى مستقرها فإما يوفر بحسب أو ياملاق
 وليس لها بعد التفرق حيلة سوى ندم يذرى مدامع آماق
 ولو كان مرمى الحزن منها إلى مدى لكان الأسى ما بين وخذ^(٢) وإعناق
 فجدوا فإن الأمر جد وشمروا
 بفضل ارتياض أو بإصلاح أخلاق
 ولا تطلقوا في الحسن^(٣) ثنى عنانها
 وشيموا لها^(٤) للحق لحة إشراق
 ودسوا لها المعنى رويدا وأيقظوا
 بصيرتها من بعد نوم وإغراق
 ومهما أفاقت فافتحوا لاعتبارها -
 مصاريع أبواب وإقفال أغلاق
 وعاقبة الفانى اشرحوا وتلطفوا
 بأخلاقها المرضى تلطف إشفاق
 فإن سكرت واستشرفت عند سكرها
 لماهية السقيا ومعرفة الساق
 أطلوا على روض الجمال خطورها
 إلى أن يقوم الحب^(٥) فيها على ساق
 وخطوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا
 إلى الوجد في مسرى رموز وأذواق [١٦]

(١) في « م » (كأن) .

(٢) في ظ (وجد) . والخذ والإعناق ضربان من السير .

(٣) في ظ (في الحسن) وق « س » (في الحق) .

(٤) في س ، ظ (بها) .

(٥) في س ، ظ (الوجد) .

فما هو. إلا أن تحط رحالها
بمشوى (١) التجلى والشهود بإحلاق
وتغنى إذا ما شاهدت من شهودها
وقد فنى الفانى وقد بقى الباقى
هنالك تلقى العيش تصفو ظلاله
وتنعم من عين الحياة برقراق
وما قسم الأرزاق إلا عجيبة
فلا تطرد السؤال يا خير رزاق

أخذ الكلام فى هذا الافتتاح حده ، وبلغ النهر مده ، فلناخذ (٢)
إثر هذا الذى سردت ، فى تقرير ما أردت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت
والله أنيب

فنعول : ينقسم هذا الموضوع إلى أرض وشجر غرض ، كل منها
ميسور حدة وفن على حدة ، ما شئت من مرأى ومستمتع فمن شاء أفرد
ومن شاء جمع (٣) ، فنبدأ بالأرض والفلاحة . والتكسير والمساحة ، وتعيين
حدود تلك المساحة ، ثم نأتى بالشجرة التى تؤمل جناها وننظر إناها ،
ونجعل الزاد مبلغ (٤) معناها . قل بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا) (٥)
هو خير مما يجمعون .

(١) ط (يمتنى والمراد تجلى الاسم والصفة معا والمراد بمافى «الأصل» مكان التجلى الذى
يفهم منه المشاهد .

(٢) فى س ، ط (فلاخذ) .

(٣) بوى بإفراء الحج عن العبارة أو الجمع بينهما فى نية واحدة .

(٤) فى سن ، ظ (المبلغ) .

(٥) ساقطة من « ظ » .

بُزْنَانِجْ هَذَا الْكِتَابِ

الذى يحصر ^(١) الأجناس والفصول ، ويرد الفروع إلى الأصول ،
وييسر للباحث عن مسائله سبب ^(٢) الوصول بحول الله وقوته .

(١) في ظ (بجضر) تعريف .

(٢) و ظ (بسبب) .

خطبة الأعراس وتوطئة الغراس

وتنحصر في جملتين .

الجملة الأولى :

في صفة الأرض وأجزائها وجعل الاختيار بإزائها وفيها رتب .

الرتبة الأولى^(١)

رتبه الأطباق المعروضة والاعتبارات المعروضة وفيه مقدمة وأطباق

المقدمة :

في تعيين الأرض المذكورة .

الطبق الأول :

طبق القلب .

الطبق الثاني :

طبق الروح .

الطبق الثالث :

طبق العقل

الطبق الرابع :

طبق النفس (٢) .

الرتبة الثانية :

رتبة العروق الباطنة والشعب الكامنة وفيها فصول .

الفصل الأول :

في العروق المعدنية .

(١) ساقطة من (ط) .

(٢) في س و ط (الطبق الثالث طبق النفس ، الطبق الرابع طبق العقل) .

الفصل الثاني :

في التقارير^(١) العينية .

الفصل الثالث :

في المدبرات البدنية .

الفصل الرابع :

في البحوث البرهانية .

الجملة الثانية :

في صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بنيل الأمل ، وفيها اختيارات :

الاختيار الأول :

فيما يصلح للاعتماد من هذه الأرض وفيه فصول .

الفصل الأول : في أرض النفس المطمئنة .

الفصل الثاني : في أرض النفس الأمانة .

الفصل الثالث : في أرض النفس اللوامة .

الاختيار الثاني : في محركات العزيمة لاعتماد هذه الأرض السكرية وفيه فصول :

الفصل الأول : في الجذبة وما يتعلق بذلك .

الفصل الثاني : في الوعظ المثمر في البقعة .

الفصل الثالث : في ذم الكسل .

الاختيار الثالث : يشتمل على جلب الماء لسقي هذه الأرض من عين العلم

في حدود النقل المحرر والعقل المقرر ، وفيه مقدمة في فضل العلم وأجتناسه

وفيه فصول :

الفصل الأول : في جدول العقل

الفصل الثاني : في جدول النقل

(١) في : س ، ظ (التقارير) .

الفصل الثالث : في مقدار الماء المجلوب (للفلح المطلوب) (١)

الفصل الرابع : في غبار التسكرين وسبب التلويح .

الاختيار الرابع : في الحرث وإخراج ابن هذه [٦ ب] الفلاحة من ابن ،
الفرث والدم (٢) وفيه أقسام

أولها : القلب الأول .

ثانيها : القلب الثاني الذي عليه المعول .

ثالثها : في سكة الازدراع والتعمير ، وهو مظنة التشمير (٣)

الاختيار الخامس : في تنظيف الأرض المعتمرة من الأرض الخبيثة ،
والجدر (٤) المعترضة المذمومة . وفيه فصول :

الفصل الأول : في إزالة شكوك تسبق إلى المعتقد غالبا .

الفصل الثاني : في قلع الشجر الذي يضر بهذه الشجرة ويعاديها بالطبع .

الاختيار السادس : في أمور ضرورية تلزم هذه الفلاحة ، وفيه فصول :

الفصل الأول : في أمراض يشرع في علاجها ، مما يرجع لطبع
الأرض ومزاجها .

الفصل الثاني : في اختيار أعوانها وأجزائها .

الفصل الثالث : في أقوال تليق بأشخاص الفلاح وأصحابه (٥) ، عند ملاحظته

عجائب الكون وآثاره .

الفصل الرابع : في الوقت المختار للخراسة

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في س ، ظ (الرم والفرث) تحريف .

(٣) في جميع الأصول : مظنة التشمير . وما أثبتناه على هامش الأصل من نسخة ثانية .

(٤) في ظ (والجدال) .

(٥) على هامش « الأصل » (وأصحابه) من نسخة ثانية وكذا في س . وفي ظ .

(وأصراجه) والإصحاح السبر في «المصنف» .

الأسباب في الخُب اللباب

وتنحصر في مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية .

المقدمة العلمية : في ترتيب المحبة والمعرفة .

والجرثومة الجرمية : تنقسم إلى بيان يعطى الصورة ، ويشرح الضرورة ،

وإلى بطن وظهر ، وسر وجهر ، وباسط وبرزخ واسط .

مالباطن : الشرع والنقل وينقسم إلى أصول :

الأصل الأول : الكلام في النبوة من حيث العقل

(الأصل الثاني : الكلام فيها من حيث النقل^(١))

الأصل الثالث : الكلام في الإيمان والاعتبار العامى

الأصل الرابع : الكلام فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة في حق^(٢)

المحتاج إلى ذلك

الأصل الخامس : الكلام وتقرير العناية والتوفيق في حق غير المحتاج

إلى ذلك .

الأصل السادس : في الموعظة والسماع من حيث تهذيب الجميع

والظاهر : الطبع والعقل وينقسم إلى أصول :

الأصل الأول جزء الفلسفة العلى والعملى .

الأصل الثاني في سلامة الفطرة في حق المستغنى عن ذلك

الأصل الثالث في السلوك بالفكر والتشبه بالمبدع الأول

الأصل الرابع في الاعتبار الخاص

الأصل الخامس في معرفة الجمال والكمال^(٣)

(١) ساقطة من الأصل وتقرر لذلك ترتيب الأصول .

(٢) في س ، ظ . (في حق غير المحتاج إلى ذلك) .

(٣) في س ، ظ (رضى الأصل الخامس مكان الثالث والثالث مكان الخامس .

والباسط والبرزخ الواسط الصاعد من التخوم إلى النجوم . وهو من
أخص الأشياء بباطن الشجرة المعتبرة ويشتمل على ثلاثة أصول :
الأصل الأول : أصل الأدعية والأذكار وله عشر شعب .
الأصل الثاني : أصل الأسماء وهي أصول الأرض والسماء وله
تسع وتسعون شعبة .

الأصل الثالث أصل السيمياء وهو الذى عفن بعضه وبقي الانتفاع ببعضه .
العمود المشتمل على القشر والعود والجنى الموعود : ينقسم قسمين .
قشر وخشب ودر خشلب ، والقشر ظاهر يكسو ويحذو ، وباطن ينمى
ويغذو ، فظاهره الذى يكسو ويحذو يتضمن الكلام فى المحبة من حيث
اللسان ، لامن حيث الإنسان ، وباطنه الذى ينمى ويغذو يتضمن الشاء (١) .
على المحبة طبعاً وعقلاً وشرعاً ونقلاً .

الحشب الذى يتخذ منه الفشب . ينقسم إلى أقسام :
القسم الأول [١٧] فى الحدود والمعرفات والأسماء الدالة عليها والصفات .
القسم الثانى فى معقول معناها المتجلى فى نور سناها (١) .
القسم الثالث ارتباطها بالمقامات واختصاصها فيها بالكرامات .
القسم الرابع تعيين ضرورتها (٢) وإيضاح مزيتها
الفرع الصاعد فى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم
إلى منتهى الوجود الدائم .

ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف .
القشر : الحدود المعرفة والرسوم وخواص العارف التى هو المعروف
بها والموسوم وينقسم إلى فصول :

(١) فى ظ (فى الشاء) تحريف .

(٢) نى س ، ط (فيه نور سناها) .

(٣) س ، ط (ضرورتها) .

الفصل الأول : (في حدود (١)) المعرفة ورسومها وما قيل فيها .

الفصل الثاني : في أوصاف العارف .

الفصل الثالث : في تفصيل العارف .

الفصل الرابع : في علوم العارف .

والجزم الشريف من الفرع المنيف : ينقسم إلى ظاهر وباطن وقلب
فالظاهر ينقسم إلى أقسام : الكلام في الأخلاق ومنشئها وطبائعها بحسب
القوى النفسانية وإفراطها وتفریطها واعتدالها وعلاجها وفيه المجاهدات .
والباطن : يتضمن الكلام في أن النظر إلى وجه الله هو السعادة
الكبرى بكل نظر واعتبار .

والقلب : قلب الغصن يتضمن الرياضة والسلوك على المقامات كلها
ويتفرع منه عشرة غصود

الغصن الأول غصن فروع البدايات

الغصن الثاني غصن فروع الأبواب

الغصن الثالث غصن فروع المعاملات

الغصن الرابع غصن فروع الأخلاق

الغصن الخامس غصن فروع الأصول

الغصن السادس غصن فروع الأودية

الغصن السابع غصن فروع الأحوال

الغصن الثامن غصن فروع الولايات

الغصن التاسع غصن فروع الحقائق

الغصن العاشر غصن فروع النهايات

ولكل فرع أوراق ويلحق به صورة السلوك بالذكر حتى يتأتى الوصول
وعلى المقصود الحصول ، والكلام على زهرات الطوائع واللوائح

(١) (ساقطة من س ، ظ) .

والبواده والواردات ونختم بالجنى المقترن بنيل المنى (من بعد العنا
واقحام الظبا والقنا) (١) وهى الولاية .

تفرع (٢) ضخام الغصون من شجرة السر المصون . وهى غصن المحبوبات
وأقسامها المكتوبات .

وتنقسم إلى أربعة أفنان :

الفن الأول فن الرب المحبوب .

الفن الثانى فن العبد المحبوب .

الفن الثالث فن الدنيا المحبوبة .

الفن الرابع فن الآخرة المحبوبة .

غصن المحبين وأصنافهم المقربين (٣) : ينقسم إلى مقدمة بيان وستة أفنان .

الفن الأول فى رأى الفلاسفة الأفديمين .

الفن الثانى فى رأى أهل الأنوار والإشراقين

الفن الثالث فى رأى الحكماء الإسلاميين

الفن الرابع فى رأى المكلمين بزعمهم المتممين (٤) .

الفن الخامس فى رأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين

الفن السادس فى ذكر الصوفية سادة المسلمين (نفع الله بهم أجمعين) (٥)

غصن علامات المحبة وشواهد النفوس الصبة : وينقسم إلى ثلاثة أفنان

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من (س ، ظ) .

(٢) فى ظ (تفرع) .

(٣) فى س ، ظ ، المرتبين وكذا على هامش « الأصل » من نسخة ثانية .

(٤) فى ظ (المتممين) .

(٥) ساقطة من اس ، ط .

الفن الأول فيما يرجع إلى حقوق المحبوب .

الفن الثاني فيما يرجع إلى باطن المحب .

الفن الثالث فيما يرجع إلى ظاهره

غصن أخبار (١) المحبين في ميدان جهادهم وتباين أحوال أفرادهم : وهو (٢)
ثلاثة أفنان

الفن الأول في المجاهد (٣) الصريح [٧ ب] .

الفن الثاني في المثبت الجريح (٤)

الفن (٥) الثالث في الصريح الطريح

جوائح الشجرة ومضار فلاحتها المعتبرة : وتنقسم إلى جوائح من
نسبتها بالنظر إلى مائها وتربتها وإلى ماهوراجع إلى الخواطر وهي على
عدد الرياح وإلى ما سببه غفلة الفلاح .

عذر الطائر الصادح على فرض القادح ووجود الهاجى والمادح

صورة الشجرة ذات الحسن الباهر والجنى والأزاهر وآثارها للحس
الظاهر بفضل الله المؤيد (٦) القاهر لا إله إلا هو الملك القادر .

(١) في س ، ظ (اختيار) .

(٢) في ظ (وحى) .

(٣) في س (فن) وفي ظ (فن) .

(٤) في س ، ظ (استعملت كلمة الفن بدلا من الفن في الفهرس كاه) .

(٥) في س (فن) وفي ظ (فن) .

(٦) في س ، ظ ، هامش الأصل المرید .

خطبة الأعراس ، وتوطئة الغراس

وتنقسم على جملتين :

الجملة الأولى : في صفة الأرض وأجزائها ، وجعل الاختيار بإرائها

الجملة الثانية : في صفة الفلاحة والعمل ، المتكفل فيها بفيل الأمل

الجملة الأولى

من كتاب روضة التعريف بالحب الشريف

في صفة الأرض [١٨] وأجزائها وجعل الاختيار
بإزائها، وفيها مراتب

الرتبة الأولى

رتبة الأطباق المفروضة والاعتبارات المعروضة ،
وفيها مقدمة وأطباق

المقدمة

قال المؤلف رحمه الله ^(١)

وإذ لا بد لكل شجرة من أرض ، عليها يستقل عمودها ، ويرتكز
لهاؤها ، وبثراها تستفلك جرثومتها ، وبمغرسها تثبت أصولها وشعبها
فوجب ^(٢) أن تكون الأرض المختصة بشجرة الحب ، الشجرة الشماء ،
التي أصلها ثابت وفرعها في السماء [هي] الأجزاء الناطقة والمقومات
الفاعلة والأفئدة المميزة من عالم الإنسان المفضل بخصوصيتها ، للمعلم
بمزيتها وحليتها . والمميز بشريف اسمها ، ومنيف ^(٣) رسمها « ولقد كرمنا
بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على

(١) في ظ (رضى الله عنه) وسقط من « س » .

(٢) في س ، ظ (بواجب) .

(٣) في الأصل « حنيف » والتصحيح على الهامش من نسخة ثانية وكذلك في (س ، ظ) .

كثير من خلقنا تفضيلاً ، وهى الجواهر الروحانية ^(١) المشار إليها
بالقلب والروح والنفس (والعقل ^(٢)) .

(١) فى ظ (الربحية) - والجواهر ماهية إذا وجدت فى الأعيان كانت لا فى موضوع -
وينحصر فى خمسة : هوى وصورة وجسم ونفس وعقل - وينقسم إلى : بسيط روحانى
كالعقول والنفوس المجردة ، وإلى بسيط جسمانى كالعناصر ، وإلى مركب فى العقل دون الخارج ،
كالأهيات الجوهرية المركبة من الجنس والقتل ، وإلى مركب منهما كالموادات الثلاثة -
(٢) ساقطة من « من ، ظ » -

الاطباق المفروضة

وكما أن الأرض تطلق على ما اختلفت أنواعه في البقعة الواحدة من رمل وجص وقلوبيا^(١) ودمث وغراز^(٢) ورخو ومعدني وصالح للفلاحة ، فكذلك أرض هذه الشجرة^(٣) ، ينقسم الكلام فيها إلى أطباق ، من قلب ، وروح ، ونفس ، وعقل .

ولما كانت مدلولات هذه الأسماء مظاهر للطائف ، وكلها وإن تعددت الأسماء إدراكات نور واحد ، والخلاف اللفظي لا يعارض غرضنا^(٤) ، ورأينا أرباب هذه الطرق كثيرا ما يأخذون^(٥) بعضها مكان بعض ، جعلناها بمعنى واحد ، ونسبنا الأرض المذكورة للنفس من تلك الأقسام لكثرة دورها على ألسن القدماء والمتأخرين ، وإن كان إصطلاح الصوفية فيها يقتضى خلاف ذلك^(٦) ، وتكلمنا على كل واحد بعد استعانة الله القوي المعين سبحانه :

الطبق الأول طبق القلب

قال المؤلف رحمه الله^(٧) : القلب يطلق على معنيين :

الأول منهما الشكل اللحمي الصنوبري الحسي المعلق في الصدر ، وهو معروف . وهو معدن الروح الحيواني لكل حيوان ، من إنسان وغيره .

(١) في ظ (وينموليا)

(٢) في ظ (وعزنا) وهو خطأ .

(٣) في « س ، ظ » (فكذلك هذه الأرض) .

(٤) في « س ، ظ » (عرضا) .

(٥) على الهامش في الأصل « يحدون » من نسخة ثانية .

(٦) كل ما كان بالنفس عند الصوفية لا يعتد به ولا يعول عليه ، وأول مرتبة يمد بها عندهم مرتبة القلب وتليها مرتبة الروح وتليها مرتبة السر ، ثم سر السر ثم الخفاء^(٧) ، الأخفى .

(٧) في « س ، ظ » (رضى الله عنه)

والثاني : لطيفة ربانية من العالم الروحاني ، هي حقيقة الإنسان ،
والشيء العالم العارف المدرك منه ، قال الله عز وجل : « أفلم يسيروا في
الأرض فتسكون لهم قلوب يعقلون بها ^(١) » وهو المعنى الثابت المعاقب ،
والمخاطب والمخاطب ، وله العلاقة بالقلب الجسداني ، وحده لطيفة
روحانية ربانية لها بالقلب الجسداني تعلق ، وفي رأى الحكماء من
الإشراقيين (في القسم الذي يتضمن أقسام المحبين من هذا الكتاب) ^(٢)
يتضح الأمر فيه بحول الله وقوته .

وحيث ورد في القرآن والسنة القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من
الإنسان . ويعرف حقيقة الأشياء . (والكلام في القلب بهذا المعنى إنما
جارينا فيه المتصوفة الذين يعدون القلب والروح والسر ^(٣) . وهو كله عند
المتقدمين في ضمن العقل والنفس ^(٤)) ويكنى عنه بالعنصر المسمى قلبا
للعلاقة به . قال الشاعر :

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في قلبه
رب وارده على فقد عيل صبري في تطلبه

الطبق الثاني طبق الروح

قال المؤلف رحمه الله ^(٥) : تطلق الروح على معنيين :

أحدهما : يراد به جسم لطيف بخارى يتكون من لطافة الأخلاط
تكون الأعضاء عن كثافتها ^(٦) . ومنبعه من أيسر تجويفي العضو
الصنوبري اللحمي المسمى بالقلب . وهو مركب السر الإلهي الأمرى

(١) سورة :

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

(٣) أى يعدون كلامها على حدة .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ط » .

(٥) في « س ، ط .. » (رضى الله عنه) .

(٦) في « س ، ط » (من كثافتها) .

ومتعلقه ، والذي استعد لقبوله لاعتداله ، [١٨] وقربه من العوالم السماوية حتى اتصل به ، ومنه ينتشر بواسطة العروق إلى سائر أجزاء البدن فيفيده الحياة ، ويفيض عليه أنوارها .

والثاني : الروح المتقرر العلاقة بهذا ^(١) الروح الأول . وحده : لطيفة ربانية عالمة مدركة ^(٢) من الإنسان . وإذا ركبت الروح المذكورة . وسرت في البدن . كانت في العين بصرا . وفي اللسان ذوقا . وفي الأذن سمما . وفي الأنف شمما وفي الجلد لمسا . ظاهرة عليها صفات المبدأ [الإلهي] الذي هو مع كل شيء بصورة ذلك الشيء . وليس له هو صورة تقبده ، ولو كانت له صورة تقبده لكان مع تلك الصورة فقط .

عجبت مني وأمرى كله عجب خذ شاهدي فهو المغنى عن الخبر
ظهرت مع كل موجود بصورته ولم أقف مع مفروض من الصور
وهذه اللطيفة هي الأمر العجيب الذي تعجز العقول والأفهام عن إدراك حقيقته ، وباب البحث مسدود عنه شرعا . قال الله عز وجل :
« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ^(٣) » . ومن الناس من عد ذلك جوابا كالإمام أبي حامد (الغزالي ^(٤)) . فالروح الأول هو الروح الحيواني والروح الثاني هو الروح الأمري .

وقال بعض الخائضين في ذلك : حار الناس في أمر الروح . فأدركوا وجوده . وجعلوا كنهه . فلم يعرف حقيقته إلا من عرف الله . وثبت أنه ليس داخل الجسم ولا خارج الجسم .

(١) في « س » (من الروح) وفي « ط » (بهما من الروح)

(٢) في « ط » (مذكورة)

(٣) سورة .

(٤) ساقطة من (س ، ط)

قال : وهذا عند المحققين فيه عين الخبر . وقال في قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »^(١) معناه أن من أوتي منه كثيرا أدركه وعرفه^(٢) .

الطبق الثالث طبق العقل :

قال المؤلف رحمه الله^(٣) : العقل ينطلق بالاشتراك على معان ، فلا يشمل الحد الواحد جميع معانيه .

أما بحسب اللسان . فعلى تعقل الأشياء ، وبمعنى إدراكها وضبطها . وأصله من عقل الناقة إذ كان يعقل العلوم . وقيل : يعقل النفس عن الشهوات .

وأما بحسب استعمال أهل الصنائع العلمية ، والأنظار الحكيمة ، فيطلقونه على أنحاء ، منها : العقل الفعال ، وهو أول موجود أو جده الله وقال بعض الشيوخ المتأخرين : فيه شعاع الحقيقة . وجده : « جوهر بسيط روحاني يحيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية » وهو عندهم الكلمة المرددة ، والآنية المنفصلة ، وولد النفس . وصاحب الوجودين إذا أفاد أو استفاد . أى بنظره إلى البارى وإلى الأشياء .

قال بعضهم في قوله تعالى : « مثل نوره كشكاة فيها مصباح » . المشكاة هي النفس الكبرى المشرقة من نور الله^(٤) . وهو العقل الكلى المبدع الأول ، وهو المصباح ، والزجاجة الهيولى الأولى الشفافة والكوكب الدرى الصورة المجردة . والشجرة المباركة نفس الكل ذات الفروع . لاشرقية

(١) لأن علم الانسان محدود لا يتصف بالشمول الذى يتصف به العلم الإلهى .

(٢) وهذا يوضح رأى الإمام الغزالي .

(٣) ص ، ظ (رضى الله عنه)

(٤) فى ص ، ظ « من نوره »

ولا غريبة ، ولا مؤلفة ولا مركبة ، ولا ذات حية ^(١) .

وقال ^(٢) آخرون في قوله : ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، هو العقل الأول ، والعالم ظل ذلك العقل . قالوا : وإليه الإشارة بقوله تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا » وإن حركته إنما هي طلبه لكمال الصمدية ، وهي السكون والشبه بالمبدأ الأول الذي لا حركة فيه ولا شوق ^(٣) ، وكل شيء يتحرك مشتاق إليه سبحانه .

تنبیه [٨ ب]

ومتى ما ذكر أهل هذه الطريقة السر ، كنوا به عن العقل ، أو كأنه باطنه الذي هو محل المشاهدة ، كما أن الأرواح محل المحبة ، والقلوب محل المعرفة .

وقالوا : سر السر ، وبينه وبين السر فرق ، فإن السر ما لك عليه إشراف ، وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق .

وقال الحكيم ^(٤) في كتاب البرهان . العقول ثمانية :

أحدها : التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة ، والعقل النظري والعقلي . والأول قوة للنفس تقبل بها ماهيات الأمور الكلية ، والثاني قوة مبدأ لتحريك القوة الشوقية إلى ما يختار من الجزئيات لأجل

(١) أوضح من هذا التفسير في باب التفسير الرزى قول أبي القاسم القشيري « مثل نوره كشكاة » . أراد بهذا نور قلب المؤمن وهو معرفته . فشبه صدره بالمشكاة وشبه قلبه في صدره بالتقديل في المشكاة وشبه معرفته بالمصباح في التقديل وشبه التقديل الذي هو قلبه بالسكوكب الذي ، وشبه إمداده لمعرفة بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الاشتعال [لطائف الإشارات في أسرار التنزيل مخطوط ٢٦٦ تفسير دار الكتب المصرية]

(٢) في الأصل « فقال »

(٣) في ط (ولاشرق) تحريف .

(٤) ابن سينا في كتابه « البرهان من كتاب الشفا »

غايات مظلونة ، ويقال لقوى كثيرة من العقل النظرى عقل . فمن ذلك العقل الهولاني ، وهو قوة للنفس مستعدة لقبول الأشياء مجردة عن المادة ، والعقل بالملكة ، وهو استكمال هذه القوى ^(١) حتى تصير قوة قريبة من العقل ، ومنها العقل بالفعل ، وهو استكمال النفس ^(٢) بصورة ما ، ومنها العقل المستفاد ، وهو ماهية مجردة عن المادة مرتسمة في النفس على سبيل الحصول من خارج ، والعقل الذى يطلق على العقول الفعالة ، وهى كل ماهية مجردة عن المادة ، والذى نجابه إلى هذا الغرض هو الوصف الذى يتميز به الإنسان من البهيمية ، واستعد لقبول العلوم النظرية ، وحل الاجناس إلى أشخاصها ، وركب الاشخاص إلى أجناسها ودبر الصنائع ، وصرف الفكر والروية ، وحده : غريزة يتبها بها درك العلوم النظرية ، وفي هذا الطبق مباحث في بقائه وفي جوهره وفي أنواعه ، ونحن نجتزئ عن ذلك بمثله من المباحث في النفس لكونه مشترك الإلزام

الطبق الرابع طبق النفس

(قال المؤلف رحمه) ^(٣) الله : وهو الذى نفرده بمعنى الجميع ، ونجمله بحكم التسامح ارض هذه الشجرة ، وليس من جعل قسا للكل ، ولكنه بمنزلة اللف لما نشر ، والإجمال لما فسر ، فقد قيل إن العقل والروح والنفس والقلب بمعنى واحد ، ورد هذه المعاني ^(٤) إلى معنى واحد في هذا العرض الذى قصدنا إليه لا يخل ^(٥) بشيء منه إن شاء الله .

وأرض الشجرة في الحقيقة إتمام النفس ، وما ذكرناه من الأطباق مندرج فيها إن شاء الله ، ومماثال ^(٦) النفس والعقل والقلب والروح إلا كملك مدينة

(١) في ط ، س (القوة)

(٢) في س ، ط (لأنفس)

(٣) ما بين الحاصل ساقط (من س ، ظ .)

(٤) في س . (الأمور)

(٥) في س ، ظ (لا يخل)

(٦) في « سي ، ط » (مثل)

سكن - لأول استيلائه عليها وتديره إياها - داراً فتوسطها ، كثيرة الحجب والأصونة والمسالك المفضية إلى نواحيها ، وله بأعلاها قلعة سامية ، جامعة لمعاني الملك ، (وبها الخزائن والحفاظ والكتاب)^(١) ، وإليها تقصد البرد بالأخبار ، وأمره ونهيه بها قائم ، وقد عمر أمره المسكنين . وأفرد الزمانين وصار في السكل عين العين ، وله بأعلى رتبها ، وأشرف مستشرفاتها (وأصوتها)^(٢) مرآة يبصر بها وجهه ، ويدرك ماخفي عنه ، فوجوده في القلب يسمى روحاً^(٣) ، وفي الدماغ يسمى نفساً ، وفي المرأة المائلة بالطف أهباءه عقلاً ، وبمجموع هذه المعاني المتعددة من قلب وروح ونفس وعقل هو « الملك » وهو السر الذي ينزل بأمر الله سبحانه :

تعددت الأسماء واتحد المعنى وأصبح فرداً ما مررت به مثنى
وعادت لعين الجمع وهي كثيرة مما كل فرق^(٤) مجتلى وجهك الأسنى [١٩]
تعبدت الأفكار آثارك العلى وقيدت الأبصار ووضت الغنا
وقصرت الألفاظ عن نيل غاية ببعض الذي أبدته ذاتك من معنى
فإذا أفاد الحياة ، ونفذت في أقطار المدنية طاعته ، وجرت أفعاله^(٥)
فيها تامة من غير عائق ، سعى (روحاً)^(٦) .
وإذا أدت إليه الطلائع والبرد الأخبار (فنقشها)^(٧) وتأملها واستحفظ
الحفظة والخزان بعضها ، وكلف الآخرين تعاهدها وذكرها ، وحرك
الحرس والجيش من أجلها ، سعى نفساً .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من «س» .

(٢) ساقطة من «س»

(٣) أى الروح بالمعنى الأول وهو « الجسم اللطيف البخارى المتكون من لطافة الأخلاط كما تتكون الأعضاء عن كثافتها كما سبق في طبق الروح .

(٤) فى س ، ط « برق » .

(٥) فى س « أفاعله » .

(٦) أى الروح بالمعنى الثانى وهو « لطيفة ربانية عالمة مدركة من الإنسان » [راجع طبق الروح] والكلمة ساقطة من الأصل

(٧) فى ط وس « بنفسها » .

فإذا انفرد بها مجردة ، وحلل في معانيها وركتب ، واتحد بها في مرآة
نصحه ، وميزان عدله^(١) سمي عقلا .

وإذا تقرر هذا فما الفائدة في التعداد ، وتسخير حدود القراطيس
بدموع المداد ؟ ولذلك جعلنا^(٢) الشكل موضوع المحبة على سبيل المسامحة ،
وسميناه «نفسا» فالنفس تربة هذه الشجرة^(٣) التي توفى أكلها كل حين بإذن
ربها ، ولم تراع^(٤) الترتيب في هذه الأطباق ابتغاء الأنسب لغرضنا بحول
الله فنقول :

النفس لفظ مشترك يقال على أشياء ، كما يقال العين على الذهب والماء
والجارحة ، وهي في اللسان حقيقة الشيء ، وعين ذاته ، تقول جاءني زيد
نفسه ، قال :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والإقداما
وفي استعمال أهل التصوف الخلق : الأصل^(٥) الجامع للصفات الذميمة
من الإنسان ، ولذلك قالوا : مجاهدة النفس . وفي الحديث : « أعدى
عدوك نفسك التي بين جنديك » .

وفي استعمال القدماء والمتأخرين من الحكماء : جوهر نوراني حي إلى
لا يتبد قواها ولا تنقطع ، وهي كلية وجزئية على خلاف بينهم فيه .

فالكلية نفس العالم بأسره ، وهي التي لا يتبد قواها ولا تنقطع أفعالها ،
لصدورها عن الموجود الأعظم ، أوله مصادر عن إبداع الله ، وهو العقل ،

(١) في س ، ط « عقله » .

(٢) في الأصل ، س ، ط « ما جعلنا » ولا يستقيم بها المعنى على ما قرره المؤلف .

(٣) أى باعتبار بدء غراسها وإلا فلا يكثر الحب عند الصوفية ما لم يكن بالروح وبما هو

أرق من الروح من المسكات كالسر وسر السر .

(٤) في الأصل « ولنزع » والتصحيح من س ، ط .

(٥) في الأصل : الأصل . والتصحيح من س ، ط .

وقبولها منه الفيض المتصل بالمتناخ من بحر نور الله ، وهي محيطة بالفلك المحيط ، وقوتها سارية في جميع أجزاء العالم وأشخاصه بالتدبير والصنعة والإحكام ، نافذة في كل ما تحويه من الأجسام ، ولها قوتان : إحداهما : علامة تكمل بها ذاتها ، بما تبرز من حد القوة إلى حد الفعل من العلوم الخفية^(١) والآراء الصحيحة ، والصنائع المحكمة^(٢) ، والأخرى فعالة بها تتم الأجسام ، وتكملها بما ينتقش فيها من الصور والأشكال والهيآت والزينة والجمال ، يسرى ذلك منها فيما دونها من الفلك المحيط إلى مركز كرة الأرض ، كمریان ضوء الشمس في جميع أجزاء الهواء ، والعقل الفعال يمدّها بالقوة^(٣) والنور دائماً بحسب استمداده من خالقه وخالقها الذي هو سبب وجود كل شيء .

والجزئية : نفس شخص (شخص)^(٤) من أشخاص العالم كالسكواكب والأفلاك ، وهي التي تفيد الحياة ، وتدبره بتدبير^(٥) النفس السكلية ، إذ هي صادرة عنها صدور^(٦) السكلية عن العقل ، ولشكل جسم حي متحرك نفس ، والمقصود المحتلب هي النفس الناطقة التي تخص الإنسان وهي صورته وحقيقته ، وسر الحياة والحركة والإرادة والفسكر والروية ، والمعنى المتصل منه بالعوالم الإلهية [٩ ا ب] .

وخدها الذي اختاره المعلم الأول هو : تمام لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة . وفيه نظر . ولم يكشف فيه قناعاً ولا أفاد إقناعاً ، غير أنها تمام شيء ،

(١) في ظ « الحفيقة » تحريف

(٢) في س « الحسكية »

(٣) في س ، ظ « القوة » تحريف

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) في س « تدبير »

(٦) في س ، ظ (صدر) تحريف

ولم يشرح حقيقته ذلك التمام (على اختياره) ^(١) (وتطرق بهذا الحد ^(٢) إليها شكوك مع انفاقهم على اختياره) ^(٣).

قال بعض غلاة الصوفية وهي كرتبهم المتلقفة، وغايتهم المتلقفة : جوهر النفس مجهول الذات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : من عالم الأمر أمر بمعنى الكلمة وهي المفيدة الوجود لاسكل موجود، وأمر بمعنى المفارق للمادة، وهو كل ذات لا تتصل بجسم ، ولا هي جسم ، ولا في جسم . وأمر هو أجنبي طرفه عند الولي ، ومنتهاه المشيئة الأولى الواجبة ، وغايتها الوتر ^(٤).

وقالت طائفة أخرى منهم : جوهر النفس معنى يعال ولا يفهم ، ويعلم ولا يعلم ، وجهله بذاته وجوده في عالم الملك ، ومعرفته بذاته وجوده في عالم الملكوت وخروجه عن جهاته حلوله في الجبروت ، وزواله عن جميع ذلك ، وموته الذي يعقل منه ما يعقل من العدم المطلق وصوره اغايته . وهذا يشتم من قدره رائحة مطبخ اوحدة المطلقة ، وهذا الكتاب ليس بكتاب استقصاء لهذا الغرض ، وهو عما لا تعلم حقيقته إلا بنور من الله ، ومن عرف نفسه عرف ربه ،

قال المؤلف رحمه الله ورضي عنه ^(٥) : وتعذر إدراك حقيقة هذا الجوهر الذي احتجب بحجاب سفوره ، وخفى لشدة ظهوره ، كونه أثر النور الذي مثل نوره ، ومولى القوم منهم ^(٦).

ملك إذا عاينت نور جبينه	فارقة النور فوق جبينه
وإذا ثقت بيمينه وخرجت من	أبوابه لثم الملوك يميني

(١) ساقطة من الأصل ، ظ

(٢) في ظ (الحديث)

(٣) ما بين الحاصرين ساقطة من « س »

(٤) في س ، ط « الوند » وهو خطأ

(٥) في س ، ظ (رضي الله عنه)

(٦) المولى من أسماء الأضداد يطلق على العبد والسيد . وهناك « مولى الموالاة » ، وهو أن شخصاً مجهول النسب آخى معروف النسب ووالى معه فقال : إن جنت يدي جناية فيجب ديتها على عاقلتك ، وإن حملت لي مال فهو لك بعد موتي ، فتقبل المولى هذا القول . ويسمى هذا القول موالاة ، والشخص المعروف مولى الموالاة .

الرتبة الثانية من الجملة الأولى

رتبة العروق (الباطنة) ^(١) والشعب السكمنة

وفيها فصول ، قال المؤلف رحمه الله ورضي عنه : ^(٢) ولهذه (الأرض) ^(٣) النفسانية التي تنرس فيها شجرة المحبة عروق معدنية ، ومقررات عينية ، ومدبرات بدنية ، وبحوث برهانية ، حتى لا تعثر فيها آلة الإثارة ، ولا يتوقف ماعون العمار ، فعروقها المعدنية قواها ، وبحوتها البرهانية ماسواها .

الفصل الأول في العروق المعدنية

وتشتمل على عدة قوى منها الحواس الخمس ، وهي : السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس . وقوة الخيال ، وقوة الفكر ، وقوة الحفظ ، وقوة الصنع ، وقوة الوهم ، وقوة النزوع .

أما حاسة اللمس : فقوة تدرك من الملموسات سطوحها من خشانة وملاسة ، وكيفيتها من حر أو برد ومثل ذلك ، والملموسات كثيرة وأجناسها محصورة ، وبحاسة اللمس وحصولها يسكون الحيوان حيواناً ، وهي له بالإضافة إلى القوى الأخرى قوة مقومة لوجوده ، إن فقدت ارتفع عنه معنى الحيوانية ، إذ بها يصير حساساً وهو فصله من الجماد ، ومحل هذه القوة الجلد ، وأعدله جلد الراحة .

وأما حاسة الذوق : فهي تدرك المطعومات ، وموضع الطعم الرطوبة ، ولذلك متى فقدت الرطوبة إذا يبدست المطعومات فقدت ، ومحلها اللسان ، وأجناس مدركات هذه الحاسة من الطعوم على الأكثر الحلاوة ، والمرارة ،

(١) ساقطة من « ظ » .

(٢) في س « رضى الله عنه » وغير واضحة في « ظ » .

(٣) ساقطة من : ظ .

والملوحة ، والدسومة والخوضنة ، والحرافة ، والعفوصة ، والعذوبة ،
والقبوضنة ، وهي موجودة في أكثر الحيوان أو كله ، وضرورية في معناه
وأما حاسة الشم [١٠] ففي أكثر الحيوان ذى الاستنشاق والرثة ،
ومحلها الخياشيم والأنف ، فإن وافق المحسوس^(١) مزاج الحاس^(٢) قيل للرائحة
طيبة^(٣) ، أو بالعكس قيل خبيثة ، وهذه الحاسة في بعض الحيوان هي
للعاشة (كالثملة فإن طريق غذائها من حاسة الشم)^(٤) وهي في غير الناطق
أقوى ، وهي تقوم له مقام التمييز (فينا)^(٥) .

وكتب الحكيم إلى الإسكندر : عليك يا إسكندر باللباس^(٦) الحسن
والأكل^(٧) المتوسط ، والمشعوم الطيب ، فاللباس (الحسن)^(٨) يحفظ
بدنك ويزينك ، ويقم جاهدك ، والأكل المعتدل يدبر بدنك ، وهو الطبيب
لك ، والرائحة الطيبة تقوى نفسك ، وتشوقك لعالمك ، كما يفعل المسموع
الحسن :

وأما حاسة البصر : فالبصر السكالم الأول للعين الباصرة ، وكما لها الأخير
الإبصار . ومحلها الرطوبة الجليدية ،^(٩) ويدرك من الموجودات الألوان
وسطوح الأجسام (بذواتها)^(١٠) وشكل كل جسم على صورته ، والأبعاد
والنور والظلمة ، وحركات الجسم وسكونه ، وهيأتها ووضعها ، والمدرک
الحقيقي الذي يظهر بذاته ، وتظهر به الأشياء هي النور لا غير ، ولا تدرك هذه

(١) في : س ، ظ (المحمول) .

(٢) في : س (الحامل) .

(٣) في : ظ (قيل الرائحة طيبة) .

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من س ، ظ ولم تقف على صحة هذه الدعوى .

(٥) - اقطنة من : س ، ط

(٦) في س ، ط - باللباس .

(٧) ساقطة من الأصل .

(٨) ساقطة من : س ، ظ .

(٩) في ظ (الجلدية) .

(١٠) - اقطنة من : س ، ظ ،

الحاسة إلا بواسطة الهواء ، والبصر : المدرك من خارج بانطباع الشكل في العين .

(وأما) ^(١) حاسة السمع ، ففعلها إدراك التغيير الحادث في الهواء عن تصادم جسمين وتوجههما ، ومخها الصماخ من الأذن ، ومدركات هذه الحاسة (أصوات ذوات أرواح ، وتصادم جمادات ، وهذه الحاسة) ^(٢) وحاسة البصر تفارق مدركاتها ، وسائر مدركاتها بما سمته ^(٣) ، وهي المغفيدة للحيوان العاقل تعلم العلوم .

تنبيه :

وما من حاسة من هذه الحواس إلا ولها من نفسها على مبدعها الحق الواجب الوجود دلالة ، سيما السمع والبصر ، إذ لا تنزاح فيها المدركات - وإن ملأت الآفاق - في خروث ^(٤) ضيقه ، ومنافذ حرجة ، وإدراك ما قرب منها ونأى في غير زمان ^(٥) « وهو الذي خلق لكم السمع والأبصار ، والأفئدة قليلا ما تشكرون » .

أراك الحمى قل بل بأى وسيلة توسلت حتى قبلتك ثغورها
(توسلت بالقوم الذين صدورهم إذا استودعوا الأسرار فهم قبورها) ^(٦)
والقوى الباطنة : أروها الحس المشترك المسمى « فنتاسيا » وهي قوة مرتبة في التجويف الأول من الدماغ ، تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس متأدية إليها .

(١) ساقطة من : ظ

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٣) بل السمع والبصر كذلك يدركان مدركاتهما بمعاسة الموجات الصوتية لصماخ الأذن والخيوط الضوئية لنبكة العين ولعله يقصد المفارقة . بمعنى الملاصقة لمصدر الاحساس .

(٤) الخروث : الثقوب

(٥) بل أنبت العلم الحديث زمانا وسرعة لسير الضوء والصوت

(٦) البيت ساقط من « س ، ظ »

والقوة الخيالية والمصورة : وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف
المقدم ، لحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية ، وتبقى فيه بعد
غيبية المحسوسات ، فكأن الخيال باطن الحس المشترك ، وهى لكثير من
الحيوان غير الناطق ، وللناطق (١) متممة ، وشأنها أن تدفع الموجود الذى
أدته إليها الحواس فى العصبات المتصلة (٢) من مقدم الدماغ بأصول
الحواس إلى القوة المفكرة .

والقوة المفكرة : قوة من قوى النفس الناطقة ، تجول فى الأشياء ،
وتمحض الوجود من حيز الإجمال ، وتحققه فى النفس ، ومنها يقع الانفعال
فى القوة الزوجية . والقوة المفكرة هى العلة الفاعلة لصورة المعلوم
فى نفس العالم ، والخيالية المادة ، وهى الباحثة المقومة المتممة ، والمقومة
للشئ هى أسبابه .

والقوة الذاكرة : تذكر الأشياء الكامنة فى النفس بالبحث والطلب ،
والتذكر طلب القوة المفكرة اجتلاب الأشياء المغيبة بانبعاث فى القوة
المفكرة ، والقوة الذاكرة خادمة للقوة المفكرة ، ومتأخرة عنها [١٠ ب]
وجودا ، ومحلها فى مقدم الدماغ .

والقوة الحافظة هى : ثبوت الصورة فى النفس على ما هى عليه فى
الخارج من الذهن وداخله ، ومحلها فى المؤخر من الدماغ . وكانها
والذاكرة من المتلازمات .

والقوة الصانعة : أثر النفس المتأخرة عن غيرها من القوى ، كما تريد
النفس الناطقة أن تعلم بالعلوم التى تحصلت لها نفسها أخرى ، فتؤلف الآلف ظ

(١) فى : س ، ط (الناطق)

(٢) فى : س ، ط (المستقلة) تحريف

من الحروف التي تتوصل بها إلى الأشياء بواسطة^(١) الصوت ، ثم ترى أن حقائقها لا تثبت ، فتجعل^(٢) تلك الألفاظ في موضوع يقيدتها ، وهي صناعة الكتابة ، فقل لها صانعة ، لأنها صنعت لها من الحروف^(٣) أشكالاً تبقى ، وكذلك الحكم في كل صناعة تحتاج أن يعلم بها الغير .

والقوة الوهمية : قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، تدرك المعاني غير المحسوسة ، الموجودة في المحسوسات الجزئية ، كالقوة الموجودة في النشأة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه ، والخروف معطوف عليه ، وجعلها هؤلاء الإلهيون في الترتيب تالية لقوة الخيال .

والقوة النزوعية الشوقية : هي القوة التي إذا ارتسم في التخيل صورة مطلوب أو مهروب عنه حملت القوة المتحركة على التحريك بتشجيع العضلات ، وإرسال الأعضاء ، فرارا أو التماسا ، ولها شعبتان : شعبة تسمى « قوة شهوانية » ، وشعبة تسمى « قوة غضبية » (فالقوة الشهوانية تبعث على تحريك يقرب من الأشياء المتخيلة ضارة كانت أو نافعة طالبا للذة)^(٤) .

والقوة الغضبية^(٥) تبعث على تحريك يدفع به الشيء المتخيل ضارا كان أو نافعا^(٦) ، طالبا للغلبة ، وهذه القوى الباطنة قد أتينا بأكثرها وإن كان ما يحتمل أكثر .

تنبه :

والفرق بين الحواس وبين هذه القوى : أن الحواس لا تدرك

(١) في الأصل ، ظ (بواسطة) والترجيح من س . .

(٢) في ، س (فتجعل) تحريف .

(٣) في . س (صنعت من الحروف لها) .

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من « س » .

(٥) في . س (الشهوانية) خطأ .

(٦) في . س . (أو مقسدا) وهو خطأ .

المحسوسات إلا في الهيولى (١) ، وإدراك هذه القوى رسوم المعلومات
يكون إدراكا روحانيا من غير هيولى .

ومنزلة الجميع من القوة المفكرة بمنزلة الملك من خدامه . فالحواس
أرباب الأخبار ، وخدام البريد في نواحي المملكة ، وودون ماوردوا به
من الكتب إلى صاحب الخريطة ، ومستقر الرقاع وهو الخيال ، ثم يطالع
بها القوة المفكرة ، (وهي الملك) (٢) ، فيدفعها إلى القوة الحافظة ، وهي
الخازن ، (ويطلبها إذا احتاج إليها) (٣) فيجلبها إليه من الخزانة خادماً
الذكر ، وهي القوة الذاكرة ، ويحكم سائر القوى ، فسبحان الحكيم العليم .

(١) الهيولى لفظ يوناني معناه : الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح : هي جوهر في الجسم ،
قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ، محل للصورتين الجسمية والنوعية .
(٢) ما بين الحاصلين ساقط من . س
(٣) في سن ، ط (فتطلبها إذا احتاج إليها) . . .

الفصل الثاني

في التقريرات العينية

والنفس رتب متعددة ، منها ما فتح لها الباب في اكتسابه ، ومنها ما وقع المنع من طور جنابه .
فالنفس قبل أن تكتسب العلوم الضرورية ، والقضايا الوجدانية ، تسمى نفسا بسيطة ساذجة .

وعقلا عزيزياً إذا حصل لها كمال التمييز ، وتنام الحواس ، واستقامت فكرتها ورويتها ، وحقت المعاني الكلية ، وعقلا بالملكة إذا حصل لها التصرف في الموحودات على اختلافها (علما) (١) ، وربطت الأسباب بمسبباتها ، وفصلت القبيح من ضده ، ونظمت القياس البرهاني ، (واقترنت النتائج من الحدود الوسطى ، وخلصت من البرهان) (٢) من الشكوك (٣) وعقلا مكتسبا إذا تعشقت بالحكمة [١١] وكلفت بالكمال ، وقهرت الطباع . وحصلت على استيفاء معنى الإنسانية .
وعقلا بالفعل إذا حصلت لها المعلومات الإلهية الكلية ، وتوحدت بها ، ولم يتميز عليها من معلومها (٤) ، وتصورت الأمور الروحانية ، والجواهر المفارقة ، وأحاطت بذلك كله .

تويع الانسان :

نات بكونه ينمو ويتغذى وتتباعده أقطاره ويتحرك .
وحيوآن بهيمى من حيث يحس ويشتهى ويتخيل .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من . . س ، ط

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س

(٣) فى الاصل (على النكوك) وكذا فى . س ، ط

(٤) أى صار عليها بالله ومن الله « واقفوا الله وسلمكم الله » والصوفية لا يسمونها فى هذه الحالة عقلا بل روحا منفادة لبارئها للاحول لها ولا قوة إلا به تعالى .

ونفس ناطقة من حيث يعلم الأمور المرتبة على أسبابها ، ومتفقهها
ومختلفها ، ويسأل فيجيب على حد السؤال ، ويستعمل الفكر والروية .
ونفس صالحة من حيث يشتاق إلى الكمال ويقلق من النقص ، ويجرّص
على الخير ، ويهتم بالنجاة ، ولا ينهض^(١) لغير ذلك .

ونفس حكيمية من حيث نظره في أجناس العلوم ، ومعرفته بالمذاهب ،
ويسبح في بحر التوحيد ، ممتدّياً بنجوم الاستدلال ، وبحقق مفهوم
الصفات ، وسر الوحدةانية ، ويستكشف معنى السعادة ، وبحقق (معنى)^(٢)
الاصطلاح^(٣) من حيث يتكلم في الهوية^(٤) والوحدة ، الإلهية^(٥)
المطلقة ، والجواهر الروحانية الملكية الصادرة عن الذات ، ومادونها من
مدبرات الطبيعة ، ويباحث المحققين في الكلمة الصادرة ، وكيف نشأت
منها جميع الجواهر ، [وفي] سريانها في العوالم الروحانية والكونية^(٦) ،
(الصادرة عن الذات ومادونها من مدبرات الطبيعة ، ويباحث المحققين في
الكلمة والكونية)^(٧) ، وأمثال هذا بما تقف عليه بعد في آراء فرق المحبين .
ونفس نبوية . من حيث يأتي بالمثل على السعادة ، ويقم البراهين السهلة
والمفهومة ، ويخاطب بالخطابة الملائمة ، ويتحدّى بالمعجزة ، ويكشف
القناع ، ويقطع المعارض ، ويرد عليه الوارد من الغيب ، ويتلقى وحى
الله من الملك ، ويرجع من بعد الوصول إلى الهداية^(٨) ، ويسوق الكافة
بعضى النصيحة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن إلى الله ،

(١) فى . س ، ظ (ولا ينقص) تحريف

(٢) ساقطة من . ظ

(٣) فى الأصل ، ظ (وبحقق إصطلاح) والتصحيح من « س »

(٤) الهوية : الحقيقة الخالصة المستقلة على الحقائق استمال الواء على الشجرة فى الغيب المطلق

(٥) فى الأصل (الإلهية)

(٦) فى . ظ (الروحانية الملكية)

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ومن « س »

(٨) أى يرجع إلى الملقى بعد فوائده فى الحق .

وشروط كثيرة معروفة ، وما وراء هذه المرتبة مرمى ، ومراقها النفس السكية عندهم في الخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، وما دونها من النفوس الجزئية الفلكية لغيره من الأنبياء ، وهو العلة المتممة في الجميع .

وجميع هذه المراتب مما يكتسب إلا رتبة النفس النبوية ، فإنها محجورة ممنوعة ، لا طمع فيها بسلوك ولا رياضة ولا غير ذلك (٥) ، وهو مما عده الإنسان ، وهو في طبع نوعه ، فإن النفس النبوية كأنها كلى من الكليات ومبدأ من المبادئ .

وتبين أن محركات الإنسان جملة ، منها النفس النباتية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الناطقة ، والنفس الشوقية ، والنفس الحكيمية العارفة ، والنفس النبوية ، وأن النفس النبوية منها هي الروح القاسم به حقائق الأرواح ، وهي عندهم مستوى الأسماء الخزونة القدسية ، والألواح التي في ضمنها علم الأولين والآخرين ، وبرياضتها تتجرد سائر النفوس من المواد ، وبفتحتها تتصل بالعوالم المجردة ، وسعادتها بقدر قربها من الله ، ولذتها بقدر حبها له ومن استولى على النفس النبوية من المخصوصين باصطفاء الله تناول ما شاء من حيث شاء ، وقام من مجلسه من حيث شاء ، وأطاعه بالله معقول التعريف .

تنبيه :

والفرق بين [١١ ب] النفس النبوية والحق افتقارها (١) في إيجادها (إليه) وعدم اتصافها (بالاتصال) (٢) والانفصال (٣) وأن كلام الحق (٤) لا يدخل تحت الزمان ، ومثل ذلك (عما) (٥) جلبناه ردعا للغلاة ، والكلام في هذا الباب يدعو إل الإطالة والغرض هنا غيره .

(١) في الأصل (افتقارها) أى افتقار النفس النبوية للحق

(٢) ساقط من هذا أى عدم اتصاف النفس النبوية بالاتصال بالله اتصال حلول أو اتحاد .

(٣) في «س» (بالانفصال والاتصال)

(٤) في ظه (كلامها) ، وفي الأصل (وان كلامها) واستقامة المعنى نفتضى ما أتيناها

(٥) ساقطة من الأصل

الفصل الثالث

في البحوث البرهانية

وأما بحوثها البرهانية فنلعب منها ببعض للضرورة ، حتى يكون الكتاب مناهية في عيون ، ومتمتعاً في شئون .

البحث الأول :

في أن النفس جوهر غير جسم ، تقريره : كل جسم فهو ذو جهات ، وليس يمكن الجسم أن يتحرك إلى جهاته الست (١) دفعة واحدة ، وكل جسم يتحرك إلى جهة دون جهة فلسبب ، فظهر أن السبب جوهر آخر غير الجسم ليس بجسم ولا في جسم ، وقولنا : جوهر آخر . لأن العرض لا يفعل له ، والجسم قد تبين أنه لا يفعل ولا يتحرك إلا بغيره .

البحث الثاني :

في أن النفس باقية بعد الموت ، لا تفسد بفساد الجسد .
تقريره : إذا فارقت النفس الجسد ، فهي في التقدير ، إما حية وإما أن تدثر (٢) .

فإن كانت باقية بعد فراقها الجسد ، فلا محالة أنها باقية لاتموت .
وإن كانت دائرة فلا فرق بينها وبين الجسد ، ولا بد حينئذ من ثالث (كان) (٣) يربط بينها وبين الجسد في حال الحياة ، فإن الذي هو حي بالقوة

(١) في س ظ . (الاربع) .

(٢) أي تدثر من ونبيد .

(٣) ساقطة من س ، ظ .

أخرج حياته من القوة إلى الفعل ، ما كان وجوده إما بالقوة وإما بالفعل ، فإن كان الخرج موجودا بالقوة لم يقدر على إخراجها ، إذ هو والجسد سواء في ذلك ، فلم يبق من القسمة العقلية إلا أنه بالفعل وهى النفس . فالنفس حية بالفعل ، والجسد حياته بالقوة ، والحياة للنفس بالذات ، والحياة للجسم بالعرض .

آخر من البرهان :

على أنها لا تفسد بفساد الجسد أن لها أفعالا خارجة عن ذات الجسم في المواضيع النائية عن الجسم ، من سياسة وإدراك أشياء نائية عن الجسم ، فلا محالة أن جوهرها يابى بعد فساد الجسم ، وإلا كان فعلها أشرف من جوهرها ، وهذا قبيح .

البحث الثالث :

في أنها ليست صورة ملازمة للجسم . إن كانت النفس صورة لازمة للجسم غير مفارقة كالصورة الطبيعية ، فكيف تجول عند النوم ، وتفارق البدن بلامباينة ، وتعقل الأشياء التى تحصل لها منها مقدمة المعرفة ، فتبشر^(١) (البدن)^(٢) وتذمر ، وكذلك فعلها في اليقظة إذا رجعت إلى ذاتها ، ورفضت عنها الأمور الجسدانية ، ولو كانت تماما للبدن لما فارقت ، ولما علمت^(٣) الشيء البعيد ، ولما كانت لا تعلم إلا الشيء (الحاضر)^(٤) كالحواس ، ولو كانت صورة تمامية للبدن لم تخالفه في حياته .

البحث الرابع :

في الرد على من قال هى صورة المزاج ، حدثت عند وجوده ، وتنفى

(١) فى : (فنفس)

(٢) ساقطة من س ، ظ .

(٣) فى س (ولا علمت) .

(٤) ساقطة من الأصل .

بالتحلال بسائطه . وتقريره : أن النفس موجودة قبل الائتلاف ، وهي التي أبدعت الائتلاف في البدن ، وهي القيمة عليه ، وهي التي تقمعه وتمنعه عن كثير الأفاعيل الخسيسة .

وأما الائتلاف فلا يفعل شيئاً ، فالنفوس جوهر ، والائتلاف ليس بجوهر ، والائتلاف إنما يحدث من امتزاج الأجرام ، وإذا كان حسناً متقناً فإنما تعرض منه الصحة فقط ، من غير أن يعرض منه حس أو وهم أو علم البتة .

آخر :

الجسم قد علم منه أنه يتحرك إلى الوسط ، أو على الوسط [١٢ - ١]
أو من الوسط . فالنار^(١) والفلك والإنسان بمجموع من جسيم يتحرك من الوسط ، وإلى الوسط ، فلو كانت النفس من امتزاج الطبائع لوجب أن يكون نازلاً طالعا في زمان واحد ، ونحن نجده يتحرك الحركات الإرادية الاختيارية ، ويقهر الجسم عن طبعه ، فصح أن الذي يقهره ويرد عن طبعه شيء ليس بجسم ولا عرض .

آخر :

لو كانت مركبة ، أوجدت عن مركب ، لكان الجزء منها يعقل ، وإن جعلنا أجزائها متساوية لزمننا ما تقدم من عدم الحياة في الجسم ، وإن جعلناها روحانية وقلنا فيها مركبة ، لزمننا التناقض ، لأن الروحاني مفارق للمادة ، فالنفس ليست بمركبة ، ولا بمزاج ، ولا ما حدث عن مزاج .

البحث الخامس :

في تعقب حدها المشهور . إن قيل : انفق الأفاضل على أن النفس كمال

(١) في ظ (كائنار) .

البدن الطبيعي ، والكمال ليس بجوهر ، فالنفس ليست بجوهر ؛ لأن تمام الشيء ليس من جوهر الشيء . قلنا : الكمال نوعان : تمام مفارق ، وتمام غير مفارق . التمام المفارق كالملاح للسفينة ، والراكب للفرس ، وهو (الذي)^(١) يفسد إذا فارق الموضوع ، والتمام غير المفارق كحرارة النار ، وبرد الثلج . فالنفس للجسم الطبيعي تمام مفارق ، فلا يدخلها الفساد بدخوله على الجسم .

البحث السادس :

في سبب نزول النفس إلى هذا العالم ، وإن كان غير برهاني ، يختلف القدماء فيه على وجوه :

ف قيل : إن علة هبوطها إلى هذا العالم سقوط رئاتها ، يعني نقصها نقصاً لا يكمل إلا بإهاباطها . فإذا ارتأست ارتقت إلى عالمها الأول الحق . وقال بعض القدماء : إن منها ما أهبط خُطِيئة أخطأتها ، فهي تجازي في هذا العالم وتعاقب على خطيئتها وسيئتها ، وهو باطن حديث آدم .

وقال الحكميم في كتاب « ثولوجيا » في هذا المعنى : وليس كل نفس وردت إلى عالم السكون تكون محبوسة فيه ، كما أنه ^(٢) ليس كل من دخل السجن يكون محبوساً فيه ، فإنه ربما دخله من أخرج إخراج المسجونين ؛ وإنما وردت النفوس النبوية إلى عالم السكون والفساد لاستنقاذ النفوس المحبوسة في سجن الطبيعة ، الغريقة في سجن الهيولى ، الأسيرة في الشهوات الجسمانية .

وقيل : إن النفس إنما صارت في هذا العالم من قبل الباري ، ليكون العالم جياً دائماً ذا عقل ، كما جعل العالم الأعلى ذا عقل ، لأنه وجب في

(١) ساقطه من « س و ظ » .

(٢) في س « أن » .

إحكامه وإتقانه أن يكون ذا عقل ، ولم يكن ذلك من دون نفس ، فأرسلها إليه ، وأسكنها فيه ، ثم أرسل النفوس وربطها بالجسم [إذ] يقبل منها كل بحسبه ، ففي النبات قليل ، وفي الحيوان أكثر ، وفي الإنسان أكملها ، ليسكون العالم تاما كاملا ، ولئلا تكون غير شبيهة بالعالم العقلي الأول ، إذ هي ظله .

وإلى أنها أهبطت لتعلم ما لم تكن تعلمه ، (بسيطة)^(١) عند هبوطها ، أشار الرئيس الحكيم أبو علي بن سينا في آياته (الشهيرة)^(٢) التي أولها . وفيها (٣) :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
إن كان أهبطها الإله لحكمة خفيت على الفطن اللبيب الأروع
فهبطها لاشك ضربة لازب لتكون سامعة لما^(٤) لم تسمع

ويرحم الله الشاعر حيث يقول : [١٢ ب]

هوى مع الركب اليماني مصعده جنيب وجناني بمكة موثق
عجبت لمسراها وأنى تخلصت إلى وباب السجن دوني مغلق
ألمت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت الروح تزهق

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) ساقطة من « س ، ط » .

(٣) ساقطة من « س » وفي ط « يقول فيها » .

(٤) في س « ما » وهو خطأ .

الفصل الرابع

في المدبرات البدنية

وأما مدبراتها البدنية ، وهى الكلام على الجسد بالانجرار والاستتباع ، فنقول : لما كان الجسد من هذه النفس مركز دورها ، ومن هذه الأرض بمنزلة ثورها^(١) ، ومن العوالم منتهى طورها ، وقرارة غورها ، ثم منبت نورها ، رأينا الإلمام نحوه^(٢) بالإشارة ، والتعريج^(٣) على طلل البائد بعبارة العبارة ، حتى يلتقى طرفا الدائرة بعد الافتراق ، وتصير من الدليل^(٤) إلى أقصى العراق ، والخليج إذا استنفد السكر ، شرب العكر ، قال المؤلف (رحمه الله)^(٥) ورضى عنه^(٦) :

أحب لها جملى ورحلى وعزى والقتادة^(٧) والطريقا
ومن أخشاه من سبع ولص فكيف فريقها سلموا فريقا
وكيف أخص باسم الحب إن لم أحب لأجلها إلا صديقا

فاعلم أنه لما كان اسم الإنسان يقع على المجموع من نفس وروح وجسد ، وهو جملتها ، كان للنفس بمنزلة البيت ، وإن كانت لا تحل في شيء ،

(١) لعله يفصد أن الجسد آلة لإصلاح النفس ، أو أن الجسد كالثور الذى يحمل الأرض ، إذ كانت فكرة سائدة عند كثير من العلماء فى العصور الغابرة ، ولكننا نجل رجاحة عقله ابن الخطيب عن ذلك .

(٢) و : س (بجده) تحريف .

(٣) فى الأصل (اتصريح) .

(٤) فى : س ، ظ (الذبل) .

(٥) ساقطة من : س ، ظ .

(٦) فى : س ، ظ (رضى الله عنه)

(٧) التناد : الشوك .

وهو مع ذلك لا يتصف بالشرف ولا بالحنسة ، ولا بالسعادة ولا بغيرها ،
والكلام فيه من وظائف (صنائع) (١) آخر ، لأن النظر في عجائبه
ومقاصده المعلومات بغاياتها (٢) أشد فائح لباب الأغيار (٣) .

قال المؤلف رحمه الله (٤) : ويجرى في هذه الأوضاع أن الإنسان
نسخة من العالم ، وأنه عالم صغير ، حتى يقول الشاعر :

إذا كنت كرسياً وعرشاً وجنةً وناراً وأفلاكاً تدور وأحلاماً
وكنيت من الكل نسخة كله وأدركت هذا بالحقيقة إدراكاً
فقيم التاني في الخصب مبطاً مقبلاً مع الأسرى أما أن مسراكاً
وقلت من قصيدة :

أنا نسخة الأكوأن أدمج خطها فسر ذوى التحقيق في طي أوراقى
فن عالم الأشباح ليلي وظلتي ومن عالم الأرواح نورى وإشراقى
ونحن نبين شيئاً من ذلك ونجعله من الاعتبار الخاص فتقول : العالم
الكونى كله من البداية البشرية إلى النهاية الترايبية مجموع أمرين : من
ظاهر وباطن .

أما الباطن فيعبر عنه بالأمير ، وأما الظاهر فيعبر عنه بالخلق ، قال
الله سبحانه وتعالى : « أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين »
فعالم الامر بمجموع خمسة عوالم : عالم السر ، وعالم العقل ، عالم الروح ،
وعالم الصورة . وانهى الامر إلى باطن العرش المجيد .
وعالم الخلق أيضاً بمجموع خمسة عوالم : عالم الطبيعة ، وعالم الأفلاك ،

(١) ساقطة من : ط .

(٢) فى : س ١ بغايتها .

(٣) فى الأصل (الاعتبار) ، لأن الباحث عن شرف الإنسان قد يهرع عن السلوك وليس

ذلك ما يرجوه الصوفية .

(٤) فى : ط (رضى الله عنه) وسقطت من : س .

وعالم الكرسي ، وعالم اللوح ، وعالم القلم^(١) وانتهى الخلق إلى ظاهر العرش المجيد .

فأما عوالم الأمر فهي روحانيات ، وأما عوالم الخلق فهي جسمانيات . والعرش روحاني من حيث باطنه المتصل بالروحانيات ، وجسماني من حيث [١٣] ظاهره المتصل بالجسمانيات ، وتفاصيل كل عالم منها لا يعلمها إلا الله .

وإن الله عز وجل خاطب هذه العوالم بخطاب يليق بكل جزء من أجزائها ، بصلاح حالها ، ودوام بقائها ، فخاطب عالم السر بخاصية العلم « إنه يعلم السر وأخفى » . وخاطب العقل بالأمر والنهي « أقبل وأدبر » ، وخاطب عالم الروح « قل الروح من أمر ربي » ، وخاطب النفس بالوعد والوعيد « يا أيها النفس المطمئنة » و « إن النفس لأمارة بالسوء » وخاطب الصورة بما تسعه الإحاطة « وسعني^(٢) قلب عبدى المؤمن » وخاطب العرش بالتوحيد . « إذا قال العبد لا إله إلا الله اهتزل له العرش » . وخاطب القلم بحقيقة العلم « اكتسب علمي في خلقى » وخاطب اللوح بالحفظ « في لوح محفوظ » وخاطب عالم الكرسي « وسع كرسيه السموات والأرض » ، وخاطب الأفلاك بالتصريف « كل في ملك يسبحون » وخاطب الطبيعة بالكون والفساد « كل من عليها فان » .

فما من عالم علوى أو سفلى إلا والله عز وجل يخاطبه بخطاب على الجملة ، وخطاب على التفصيل ، والإنسان يخاطب بهذه المخاطبات كلها ، فإذا كان العالم جملة من تفاصيل^(٣) الإنسان فهو العلة ، وما سواه معلول له ، والنور الآدمي حقيقة الإنسان ، والنور المحمدى علة هذه الحقيقة ، وبه وصارت حقيقة ،

(١) في الأصل (الخلو) والتصحيح من : س ، ط .

(٢) في الأصل (وسعني) وكذا في « س وط » .

(٣) في س ، ط (تفاصيله) والأصل أرجح لأن الإنسان هو العالم الصغير وقد انطوى فيه العالم الأكبر فهو المحمل والعوالم تفاصيل له .

وهذا النور هو حقيقة الرسالة ، وسر القرآن ، والرحمة المنزلة ، وهي العناية في الدنيا ، وسر الإيجاد ، ومقتضى الإرادة العلية ، ومعنى الكون ، وعين الشهادة من الغيب « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » .

ونزيد المطلب إيضاحا وتفسيرا فنقول : الكون المعنى به عالمان : كبير ، وصغير جزئى ، والجزئى فى قوة الكل .

أما العالم الكلّى فهو ذات يطلق عليها الوجود . ومجموعها أرواح مجردة وأنوار مجسمة ، وأجسام منورة ، وأجسام مظلمة ، أما الأرواح المجردة فأربعة : عالم العقل الفعّال ، وعالم الروح الكلّى ، وعالم النفس المطلقة ، وعالم الصورة الفياضة . وأما الأنوار المجسمة فأربعة : العرش المجيد ، والكرسى الواسع ، والقلم الرفيع ، واللوح المحفوظ . والأجسام المنورة والأفلاك السبعة ، والفلك المكروك الثامن ، وهي عالم الجنان () عندهم ، وأما الأجسام المظلمة فعالم الطبيعة ، والنار ، والهواء ، والماء ، والتراب ؛ فهذه العوالم عشرون .

ونرجع إلى العالم الجزئى فنقول : هو ذات يطلق عليها الإنسان

(١) فى : س ، ط (الجنات)

(١) فصل هذا الموضوع « سيدى محمد وفا » فى كتاب « فائس العرفان من أنفاس الرحمن » مخطوط تحت رقم « ٢٢٣ » تصوف . كذلك أنظر علم القلوب للسكى طبع القاهرة ، باب التوحيد والتفريد . « والتذلات الإلهية على ثلاث أقسام : بالذات ، والصفات ، والأفعال ، فلما أظهر الرحمن مراتب الأكوان وأحكمها فى أحسن تقويم ، وأعدل ميزان ، استخلص منها خلاصة كل مرتبة ، وسريرة كل موجود ، فجمعها فى آدم ، فتنفرت الأكوان من الأسرار الإلهية ، والتجليات الربانية ، والحضرات الرحمانية ، وصارت إلى الحضرات الإنسانية ، واستقرت فى البنية الإنسانية ، وكذلك سجد لها الساجدون ، وسجد لها ما فى الأملاك من الخلق أجمعين ، ثم نزلت فى النبويات ٠٠٠ وحتى التتمه الختامية ، ظهر الجامع الأعظم ، والوجه الكريم الأكرم ، واحتضنت إليه الأرواح النبوية بما فيها من الأسرار الإلهية ، والحضرات الرحمانية ، والمظاهر الربانية فتنفرت لللل والنجل ، « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » .

بمجرعها عقل وروح ونفس وفكر وتصور وذكر وضغط وحس ودماع وطحال
ومرارة ومعى وورثة وكليتان وكبد وصفراء ودم وسوداء وبلغم . عشرون
عالمًا وفقًا للعوالم المتقدمة . يجمعها الجسم والروح ، وتطبيق ذلك هو المقصود .
أما العقل فجزء من العقل الفعال . وهذا الجزء هو المقصود من الخطاب .
الأول بأقبل وأدير .

وأما الروح فجزء من الروح السكلى ، وهذا الجزء هو محل الفهم عن
الله بالمحل الأمري الإلهى ، الاختصاصى « قل الروح من أمرى » .
وأما النفس فجزء من النفس المطلقة ، وهذا الجزء هو المخاطب ،
بيأتها النفس .

وأما القلب فهو فيض من الصورة الفياضة ، وهذا الفيض هو القابل .
لفيض [١٢ ب] العقل والروح والنفس .

وأما محل الفكر وهى الخزانة فى مقدم الدماغ ، وسلطانة فى الطبقة
القلبية ، وهى البضعة المعبر عنها بإذا صلحت صلح الجسد ، وفيها السر
القلبي ، فذلك المحل يشبه العرش المجيد .

وأما محل التصور (١) وهى الخزانة الوسطى من الدماغ وسلطانة فى
الطبقة الفؤادية الوسطى من البضعة التى فيها السر الفؤادى ، (وذلك المحل
يشبه الكرسي الواسع .

وأما محل الذكر فهو الخزانة المؤخرة من الدماغ ، وسلطانة فى الطبقة
السريدائية من البضعة المذكورة . وهى السفلى التى فيها السريدائية (٢) ،
وذلك المحل هو شبه القلم .

وأما محل الحفظ ، وهو برزخ بين خزائى الفكر والتصوير من الدماغ
وسلطانة فى البرزخ الذى بين الطبقة القلبية والفؤادية ، وذلك المحل يشبه
اللوح (٣) المحفوظ .

(١) فى : ط (التصوير)

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من « ط » ولا ينجى ما أخطأ فيه من تشبيه محل التصور بالقلم

(٣) فى ط (الروح)

وأما محل الخس ، وهو في الجوارح الخمس ، وهو توليد^(١) ما تقدم من
الخرزائن والطبقات ، فيشبه الفلك الثامن المسكوكب ، والطحال يشبه فلك
زحل ، والدماغ يشبه فلك المشتري ، والكبد يشبه فلك المريخ ، والقلب
يشبه فلك الشمس ، والكلى تشبه فلك الزهرة ، والمرارة تشبه فلك عطارد ،
والرئة تشبه فلك القمر ، والصفراء تشبه كرة النار ، والدم يشبه كرة
الهواء ، والبلغم يشبه كرة الماء ، والسوداء تشبه كرة الأرض ، فهذه النسبة
الثانية هي المقصود من العالم وهي علة الأولى ، ولا تفارق معلولها ، وهذه
العلة الثانية معلولة بمحمد صلوات الله وسلامه عليه . أصل الوجود وسبب
الكون ، وعين الرحمة المنزلة من المائة^(٢) ، قال الله سبحانه وتعالى :
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، ثم تفصل هذه المطابقة عندهم إلى
جزئيات : فتعين للأعضاء الباقية خطوط من البروج ، فتبين ما أردناه من
شرح قولهم : « الإنسان نسخة من الأعلى » . ولولا التطويل لزدناه بيانا .

(١) في ط (نولية)

(٢) يشير إلى الحديث مامعناه . « إن لله مائة رحمة ، جعل عنده تسعا وتسعين رحمة ، وجعل

في الارس رحمة واحدة » .

الجملة الثانية

في فلاحه هذه الأرض ، وعلاجها ، وعمارتها لإيادها شجرة المحبة

وكما أن الأرض لاتصلح لإيداع البذور^(١) واختيار الغراسه إلا بعلاج
يديرها ، وتنظيف يطهرها ، وسقى يأخذ صلاحيتها بالتليين ، وتحريك يهيء
للتكوين ، وإزالة العشب العائد على غلتها بالضرر المبين ، قال الله عز وجل :
« فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شققاً ،
فأنبتنا فيها حبا ، وعنباً وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة
وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم . قد علم كل مشربه ، وهياً له الاستعداد أربه ،
فلإنسان من هذه الشجرة رطب مثاله^(٢) ، والبهيمة^(٣) ورق أو حنالة .
على قدرك الصهباء تعطيك نشوة وليس على قدر السلاف تصاب
ولو أنها تعطيك يوما بقدرها لضافت بك الأكوان وهي رحاب
وهذه الجملة تشتمل على اختيارات ستة :

(١) في : س ، ط (البذر) .

(٢) في : س ، ط (مثاله) .

(٣) في : ط (والبهيمة) وفي . س (في البهيمه) .

الاختيار الأول من الجملة الثانية

فيما يصلح الاعتبار ، وغرس الأشجار ، من أنواع هذه الأرض
وفيه فصول

الفصل الأول

(من الاختيار الأول)^(١) من الجملة الثانية

في النفس المطمئنة

قال الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً
مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي [١٣ ب] عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » .
عما يتقرر في هذا الفصل أن النفس التي وصفها الله عز وجل هي نفس
رضى عنها ، وخلقها صافية مقدسة مستيقظة ، مقبلة عليه من ذاتها ، معرضة
عن غيره ، وهي نفوس الأنبياء والخووص من الأولياء ، وأهل الجذبة^(٢)
أشرق عليها نور الحق فقبلته لصفائها ، وروى جلالتها ، وهي نزلة الجسد
الصحيح (شديد)^(٣) البنية ، القوى التركيب ، المعتدل المزاج ، الذي
لا يعرف العلل ، ولا يحتاج إلى العلاج ، ولا يخاف عليه من سوء التدبير ،
سبقت لها الحسن^(٤) ، وارتضيت للزنى ، وسهل لها طريق^(٥) الرجعى ،
فلا يغرس فيها مانحن بسيله ، فإنها معمورة بالقلمح ، محرزة بالنجح^(٦) ، قد

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٢) الذين يفقح عليهم قبل السلوك أو بلا سلوك واسكن من الموعين أحكام مبسطة في
موسوعات السلوك .

(٣) ساقطة من س ، ط

(٤) سبقت لها العناية في الأثر والقبول على مفتضى الحب الإلهى السابق .

(٥) فى س ، « - بيل »

(٦) فى س ، ط « للنجاح »

آتت أكلها ، وشربت نهلها وعللها^(١) ، وأخرج الله عشبها المؤذية وسلمها ،
وهي التي تنظر من الجنبه العليا فقط ، ويتمحض انحيازها إلى جهة الوجود
« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ، « ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده »

(ما أحسن الجود بلا علة وأكرم العقو مع الذنب
يارب حقق فيك ظني ولا تخيب الآمال يارب)^(٢)

(١) التهل الشرب أولا والعلل الشرب ثانيا .

(٢) البيتان سرقطان من « س ، ط » .

الفصل الثاني^(١)

في النفس الأماره

قال الله عز وجل : « إن النفس لأماره بالسوء إلا ما رحم ربي »
والنفس الأماره هي التي أعرضت عن الله بالكيفية ، ولم تؤت حظاً من
نوره ، فغلب عليها حب المحسوسات وشهوات الأجسام ، وضلت في ظلمات
الآوهام ، وأنكرت اللذات الروحانية ، والعالم العقلية ، وأعزل دأؤها
على أطباء الله ، وأرباب رسالته ، فيئسوا من صحتها وقطعوا بهلاكها ،
وتكاثفت الحجب بينها وبين الحق ، وأفسد الصدا صفح مرآتها ، حتى
استأصل جوهرها ، وأياسها من إصلاح الصقال ، ولم تتعين لها جنبه تنظر
إليها ، إلا الجنبه السفلى ، فهي هاوية أبدا ، منتكسة مطروده عن جناب
الله ، لا مطمع في نجاتها بحال . نعوذ بالله من سوء قضائه ، وهي أنفس
الآشقياء المرادين بقوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط »
وهذه النفس لا يقع عليها الاختيار فإنها حجر صلد ، غير قابلة للقلع
ولا مائلة لشمس الحق .

تليسه :

إن قيل : كيف يطلق هذا الحكم على النفس الأماره والصديق يقول في
نفسه المشهور (٢) ، « إن النفس لأماره بالسوء » .

الجواب : وقع الخلاف بين المفسرين هل ذلك من كلام الصديق ، أو

(١) في : ظ « الأول » وهو خطأ .

(٢) في : ظ « في قصصه المشهورة » والمراد يوسف عليه السلام .

من كلام المرأة ، فعلى كونه من كلام المرأة نفسها [فـ] لا كبير حذر . وعلى كونه من كلام الصديق ، فقد قال صاحب كتاب الكشف أراد الجنس أى أن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه ^(١) بما فيه من السموات « إلا مارحم ربى » [أى] إلا البعض الذى رحمه بالصمت .

(١) فـ : « س ، ط » (ويحمله عليه بما فيه)

الفصل الثالث

في النفس اللوامة

وهي التي تلوم صاحبها على التقصير في معاملة الله . قال تعالى : « لا أقسم
بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة »^(١) وهي التي أقبلت على لذات
المحسوسات ، إقبالا وسطا وبق فيها حظ من اليقظة والفتنة ، تدرك به المعاني
العقلية ، وهي موضوع^(٢) الرياضة^(٣) ، والمرجوها للخلاص ، إذ ما تقدم
ذكره قد ارتفع الكلام فيه حصولا أو يأسا .

ولهذه النفس جنبتان ونظران : نظر إلى الأعلا ، بما فيها من اليقظة ،
ونظر إلى الأسفل بما فيها من الأعراض الطبيعية . وهي وإن [١٤ - ١]
كانت محجوبة عن الكثير من الأنوار الإلهية ، ففي قوتها أن تنزكي بالرياضة
وتستضيء في ظلماتها بنور الهداية^(٤) النبوية ، وتلتحق برتبة السعادة على
قدر ما توصلها إليه الرياضة من معارج الكمال .

فمنها ما تعلق بأولى عرى الفوز ، وتعدى درج الشقوة ، واستقر في حيز
النجاة . قال (الله)^(٥) تعالى : « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » .
ومنها من^(٦) أمعن به المعارج إلى الدرجات العلى . قال الله تعالى :
« فأولئك لهم الدرجات العلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »

(١) سورة القيامة ١ ، ٢ .

(٢) في ظ (موضع) .

(٣) الرياضة تهذيب الأخلاق النفسية ، وتمحيصها عن خالطات الطبع ونزعاته ، بوسائل
أهمها : الصمت ، والجوع والسهرة ، والعزلة [راجع رسالة الخلوة . ورسالة حلية الابدال .
للشيخ الأكبر عبي الدين بن عربي] .

(٤) في : س ، ظ (الهدايا) .

(٥) ساقطه من : س ، ط .

(٦) في : س ، ظ (ب) .

ومنهم من تخطى الكثير من مراتب أهل السعادة إلى الغاية من النظر إلى وجهه
«الله والتنعيم بتجليات نوره قال تعالى : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» .

فتعين أن مطلوب الرياضة إنما هو في حق هذا القسم الثالث الممكن
هلاجه ، لأن الأصل للنفس الزكاة والنور وما حصل من الظلمة طار عليها ،
والطاري يمكن زواله ما لم يستحكم^(١) كالأمراض والصدأ الذي يفسد
جوهر المرأة .

وعلاجها بالتشويق إلى مطالعة الجمال الكلي ، ومشاهدة الأنوار
الخفية^(٢) حتى تحصل لها المحبة ؛ وتستلزم المحبة القرب ، ويستلزم القرب
السعادة والسناء ، وعلى هذه الأرض بخصوص وقع الاختيار ، وفيها تكون
الفلاحة والاعتماد ، وعلى مثلها تستقل الأشجار ، في رسالة العمل ،
وفضل الله كفيل بالأمل ، سبحانه لا قوة إلا بالله^(٣) .

(١) في « ظ » (تستحكم) .

(٢) في « ظ » (الحقيقية) .

(٣) في « ظ » (لا إلا إله هو) .

الاختيار الثانى

فى محركات العزيمة للفلاحة الكريمة ، من جذب ويقظة
وفيه فصول

الفصل الأول

فى الجذبة وما يتصل بذلك

ومحرك الجذبة لا يعمل ، وهى توقد مصباح الهمة ، فى ديجور الغفلة
المدهمة ، وترفع جميع القواطع المأولة ^(١) الملمة ، وتولى الوجه شطر
المقصود ، وترفع بصر البصيرة على نجم الشهود ، إلا أن صاحب الجذبة
إذا وقعت (له) ^(٢) المعرفة ، كان حفاعليه الاجتهاد فيما ينقل الخطا ، ويضاعف
العطا « ياداو د أعنى على نفسك بكثرة السجود » . قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « أفلا أكون عبدا شكورا » . وهناك تتضاعف المعارج
وتطول المراحل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه بمن استأثر بهم
الجذب ، وأوصلتهم العناية ، وكثير من الأوليام .

قال أبو الفرج ^(٣) ، لما سبق الاجتيا لاقوام ، جذبوا بعد الزلق فى هوة
الهوى ، إلى نجوة النجاة .

يا عمر كيف حالك ؟ . قال :- كنت مشغولا بهبل ، فسمعت هاتف
« ففروا إلى الله » فخرجت على المنادى ، فإذا أنا فى دار الخيزران .

(١) فى ظ (المؤلة) تحريف .

(٢) سافطة من « س »

(٣) هو أبو الفرج بن الطيب البغدادى صاحب كتاب (السياسة) الذى ينقل عنه المؤلف
كثيرا جدا ولم أقف على هذا الكتاب فى القهارس .

يا فضيل ، من أنت ؟ قال : أخذت في قطع الطريق فأخذت في قطع الطريق ^(١) .
 يا عتبة الغلام من أنت ؟ قال : كنت عبد الهوى ، فقصدت مجلس ^(٢)
 عبد الواحد فصرت عبد الواحد .
 يا سبتى من أنت ؟ قال : كنت ابن الرشيد ، فعرض لى رأى رشيد ،
 فإذا عزمى قد أخذ المرء ومر .
 يا ابن آدم من أنت ؟ قال : أخذنى حبه من منظرى ^(٣) فجعلنى
 ناطور ^(٤) البساتين .
 يا رابعة من أنت ؟ قالت : كنت أضرب الدف بالطبل ، فما سمع غيرى :
 بالله يا ربح الصبا مرى على تلك الربى
 وبلغنى رسالتى بنصها أهل قبا
 واحربا وهل يرد فائتسا واحربا
 قال العباد الأصمهانى ^(٥) [٤ اب] فى الإشادة ^(٦) ، بفضل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على الأنبياء : وكلهم من أهل الجذبة والاختصاص ، فن كان
 فى روض القرآن شرح ^(٧) ، ظهر له الفضل بين رب اشرح لى ^(٨)
 والم نشرح ^(٩) .

-
- (١) أى قطع طريق الصوفية بالسلوك وقطع الطريق الأولى ضرب من اللصوصية الجريئة .
 (٢) على هامش الأصل (أمر) من نسخة ثانية .
 (٣) فى س ، ظ . من (منظرى) .
 (٤) الناطور : ما ينصب فى البستان من شبه لإنسان لإخافة الطيور والوحوش والحيوانات .
 (٥) و « ظ » الأصمهانى ، وهو صاحب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » .
 (٦) فى الأصل (الإشارة) .
 (٧) « لى ظ ، س » (اشرح) تحريف .
 (٨) فى « ظ » (له) خطأ .
 (٩) يريد بذلك قول موسى عليه السلام « رب اشرح لى صدرى » وقول الله تعالى .
 لسيدهنا محمد صلى الله عليه وسلم « ألم نشرح لك صدرك ؟ » على سبيل الاستفهام التقريرى .
 فوسى عليه السلام طلب من ربه ما من به سبحانه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،
 حيث شرح له صدره دون دعاء منه بذلك .

الفصل الثاني

من محركات العزيمة وهو اليقظة^(١)

قلت : والمحركات المشتركة في باعث اليقظة كثيرة ، منها الوعظ
للناسيق بمقود الشارد عن الله ، إلى مرتبط التوبة . ومحرك العزيمة الوعظ
يردد^(٢) أذانه على نوام أهل الكهف ، وقد ضرب نوم الغفلة على آذانهم ،
حتى يحول بينهم وبين شأنهم ، ويركبهم ظهر الرياضة التي تلحقهم بالمجذوبين
من إخوانهم ، ولما كان^(٣) حب الدنيا هو المانع عن الشروع في إطلاق
العمل ، والقاطع له بعده . لم تجد أساة خيل^(٤) الهوى ، وجنون الكسل
أنجع من رقى العذل والتأنيب ، وتقبيح المحبوب ، سيما إذا انزعجت نبال
نبله ، عن حنيات ضلوع الصدق . قال بعضهم : الكلام إذا خرج من القلب
دخل القلب .

أوقد النار من رسالة ليلى واحذر السيل بعدها من دموى
ولا كعذل الواعظ البليغ باللسان الفصيح ، والقلب القريح ، فإذا رأيت
الأرض قد اهتزت وربت ، وهضاب القلوب القاسية قد تقلبت ، فشم
للغراس والزرع عن الذراع ، واغتتم (خفقان)^(٥) الشراع ،
والإسراع الإسراع .

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة^(٦) سكونا

حقر لها ما في يديها بدأة واضمن لها عوضا وإن لم يحضر

(١) اليقظة هي المهيمة عن الله تعالى ما هو المقصود من زجره [التعريفات للجرجاني] .

(٢) في : الأصل ، ظ (يرد) .

(٣) في الأصل (كانت) .

(٤) في س ، ظ . (خيل) والأصل أرجح .

(٥) ساقطة من س ، ويقصد خفقان شراع السفينة التي تسير بالسالك إلى شاطئ المحبة

(٦) في « ظ » (عاصفة) .

وارباً بنفسك عن تسامح بائع واغتم إذا سامتك شهوة مشترى
قالوا : الوعظ يضرب وجه النفس عن البسط (١) في بساط اللذات ،
وينقل خطوانا عن خطو في ملعب الخطيئات ، ويمثل لها المصير عيانا ،
ويبين العواقب المحجوبة بيانا ، ويشيئ سحاب الحزن في أجواف أجوائها ،
ويذكرها (٢) بمآلها واتهايها ، ويعرض عليها مصارع فنائها (٣) ، وخراب
بنائها ، وفراق حبايها ، وأبنائها ، عند نزول هاذم اللذات بفنائها ،
فترجع إلى الله بحكم الاضطرار أفكارها ، وتخشع من خيفة الله وجلاله
أبصارها .

والواعظ يكون بلسانين ، ويوجد فنين : لسان حال ، ولسان مقال ،
وربما كان لسان الحال أبلغ ، وهو يسمع من القبور الموحشة ، والقصور
الحالية ، والعظام البالية ، وفيه حكايات وأخبار ، ولسان مثال كقوله
تعالى : « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا
بهم ، وضربنا لكم الأمثال » : وهو سليل الله التي بحث بها النبيين ، وضمن
فصولها الكتاب المبين ، والسوط الذي يحمل على الآوبة ، ويسوق ذود
المتطهرين إلى غدير التوبة ، ونحن نجعله هنيئة بين يدي الغراسة ، ومظنة
لتزكية النفوس إن صدقت الغراسة (ونجتزئ به بيسيره عن كثيره ، ونجلب
منه ما يطمع في تأثيره) (٤) .

فمن ذلك ما صور عن لسان واعظ :

الحمد لله الولي الحميد ، المبدى المعيد ، البعيد في قربه من البعيد ، القريب
في بعده فهو أقرب إليه من جبل الوريد ، محي ربوع العارفين (بحياة

(١) ن : س (التذبط) وف « ط » (التثبت) . .

(٢) في الأصل (ويذكر) .

(٣) في الأصل (نوائها) .

(٤) ما بين الحاصرين ، ساقط من « س ، ط » .

تحيات) (١) التوحيد ، ومعنى نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العرض الزهيد ، ومخلص [١١٥] خواطر المحققين من سجون رهون التقيد ، إلى فسيح التجريد (٢) .

نحمده وله الحمد المنتظمة درره في سلوك الدوام ، وسمو التأييد ، حمد من نزه أحكام وحدانيته ، وأعلام فردانيته ، عن مرابط التقليد (٣) ، ومخاطب (٤) الطبع البليد .

ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو شهادة تتخطى بها معالم الخلق (٥) إلى حضرة الحق على كبد التفريد (٦) ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله قلادة الجيد المجيد ، وهلال العيد ، وفذلك الحساب وبيت القصيد ، الخصوص بمنشور الإذلال (٧) ، وإقطاع السكمال بين مقام المراد ومقام المرید (٨) الذي جعله السبب

(١) سقطت من : س .

(٢) إخلاص التوحيد لله في الاسم والصفة والفعل .

(٣) أى نحمده حمد العارفين به لا حمد المقلدين لتعظيم .

(٤) أى ما يتخبط فيه البليد من حمد الله على نعمه فقط دون حمد على الضراء .

(٥) أى شهادة بوحدة الله واستحقاقه للعبادة بعد الفناء عن مظاهر الخلق وتخليص الفكر من كل الصور النفسية .

(٦) التفريد : ألا يرى الموحّد فاعلا في الوجود غير الله ، ويقف بالحق في هذا المقام ، وكأن الحق هو قوى البعد بقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت سمعه وبصره . . » الحديث .

(٧) في « ظ » (الإذلال) وهو خطأ .

(٨) مقام الإذلال مقام تتجلى فيه على عبده بالحب بحيث يكون له ما شاء عبده ، فهو في هذه الحالة مراد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم مع مقامه هذا أكثر السكمال في العبودية وهو مقام المرید ووقف بينهما . لأن الوقوف مع الإذلال وحده دون العبودية سوء في الطريق الصوفي .

والمرید هو المنقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه ما يقع في الـكون إلا ما يريد تعالى ، لا ما يريد غيره ، فيبحر إرادته في إرادة الله ، فلا يريد إلا ما يريد الحق .

والمراد هو المجذوب عن إرادته ومن خصائص المحبوب ألا يتلب بالشدائد والمشاق في =

الأوصل في نجاته الناجي وسعادة السعيد ، وغاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتي الوعد والوعيد ، فكان بما أوحى به إليه ، وأنزل الملك به عليه من الذكر الحميد ، ليأخذ بالحجز والأطواق من العذاب الشديد .
(ولا أوعظ من كتاب الله جل جلاله الذي يدبر القرائح بصدقه ، وينشئ سمعائب المدامع وميض برقه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١) : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ؛ (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » . وقال : « شربوا أمانكم بذكر مكدر اللذات » ، وقال : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهده في الدنيا » ، وقال : « كفي بالموت واعظاً » (٢) صلى الله عليه وعلى آله (وأصحابه) (٣) صلاة تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتسرى إلى تربته الزكية من طهور المواجه الحية على البريد :

قعدت لتذكير ولو كنت منصفا لذكرت نفسي فهي أحوج للذكرى
إذا لم يكن مني لنفسى واعظ فيا ليت شعري كيف أفعل في أخرى

== أحواله فإن ابتلى فذلك محب لا غير . أما ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم مما ظاهره ابتلاء فهو ابتلاء في نظرنا ، ولكنه في الحقيقة قوة النعمة ، إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يفزع من كل ذلك ولا يجد في صدره حرجا مما قضى الله .

(١) بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ . » .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ . » .

(٣) ساقطة من الأصل وس ، وزيدت من ظ .

آه . آه . . أى وعظ بعد وعظ الله يا أحبابنا يسمع ، وفيماذا وقد تبين
الرشد من الغنى يطمع ، يامن يعطى ويمنع ، إن لم تقم الصنعة فماذا نصنع ،
أجمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع ، وابن حديدنا بنار خشيتك ، فقد
استعاذ نيك من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع .

اعلموا يرحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال
والأحوال ، ومن الجماد والحيوان ، وألسنة الملوان ، فإن الحق نور
لا يضره أن يصدر من الخامل ، ولا يقصر بمحموله احتقار الحامل ، وأنتم
تمدرون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة ، ولا يتأتى
معها إقامة ولا مهلة ، من الأصلاب إلى الأرحام ، إلى الوجود إلى القبور
إلى النشور ، إلى إحدى دارى البقا ، أفى الله شك ؟ ، فلو أبصرتم مسافراً
فى البرية يبني ويغرس ، ويمهد ويفرش ، ألم تكونوا تضحكون من جهله ،
وتعجبون من ركاكته (١) عقله ، والله ما أموالكم ولا أولادكم وشواغلكم
عن الله التى فيها اجتهدكم إلا بناء سفر فى قفر (٢) ، أو إعراس فى ليلة
قفر (٣) ، كأنكم بها مطر وحة تعبر فيها (٤) المواشى ، وتنبو العيون عن (٥)
خبرها المتلاشى ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ،
ما بعد المقيال إلا الرحيل ، ولا بعد الرحيل إلا المنزل الويل ، وإنكم
تستقبلون أهوالاً سكرات الموات بواكر حسابها ، وعتب أبوابها ،
فلو كشف الغطاء منها عن ذرة لذهلت العقول ، وطاشت الأحلام (٦) ،

(١) فى « ظ . » (وكالة) وهو خطأ .

(٢) فى الأصل (بناء فى سفر قفر) .

(٣) أى كانه دخول بالزوجة فى ليلة النفر من عرفات إلى منى فى الحج وهو مطل للحج
شهرها ، ويجوز أن يكون المعنى ، زواج فى ليلة نفرة للحرب . فهى أفراس مشوبة بأفراح .

(٤) فى الأصل (تصرفها) والتصحيح من س ، ظ .

(٥) فى : ظ (فى) .

(٦) فى : س ، (الأبواب) .

وما كل حقيقة يشرحها الكلام .

(ذكر أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة ، فلما توسط القبور بكى ثم قال : إن الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها هرم ، وحبا ميت ، فلا تغرنكم بآمالها ، مع معرفتكم بزوالها ، المغرور من اغتربها ، أين سكانها الذين شيدوا مدائنهم ، واغترسوا أشجارها ، واقتطفوا ثمارها ، واغترسوا بصحتهم ، وكانوا بها مغبوطين (١) ليت شعري ! ما صنع التراب بأبدانهم ، والديدان بأوصالهم ، إذا مررت بهم فانظر إلى تقارب منازلهم ، وسل عنهم ما لقي غنيهم من غناه ، وفقيرهم من فقره ، وسل عن الألسن الذي كانوا بها يتكلمون ، والأعين التي كانوا بها للذات ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما فعل بها البلى ، فحى الألوان ، وأكل اللحان ، وعفر الوجوه ، ومزق الأشلاء ، وأين حجابهم وخدمهم وقبايهم ، والله ما زدوهم فراشا ولا وضعوا لهم متسكا ، ألبسوا في منازل الخلوات والفوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ، قد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبنائهم ، واقتسمت أموالهم وضاعت آمالهم ، وتوزعت القرابات ديارهم وآثارهم (٢) .

يأبها الناس إن وعد الله حق [١٥ ب] فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . أفلا أعددتُم لهذه الورطة حيلة ، وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة ، أنعويلا على عفوهِ مع المقاطعة ، وهو القائل : « إن عذابي لشديد » . أأنا من مكره مع المنابذه ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أطمعنا في رحمته مع المخالفة وهو يقول : « سأكتبها للذين يتقون » . أو مشاقة ومعاذة « ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد

(١) النبطية أن يرجو العبد لنفسه نعمة مثل نعمة غيره ولا يرجو زوالها عن الغير .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من « س ، ظ » .

العقاب . أشكا فيه فتعالوا نعيد الحساب ، ونقرر العقد وتصف بدعوة الحق أو غيرها من اليوم ، تفقدوا عقد العقائد عند اتساهل بالوعيد ، فالعاقب يدهن الإصبع الوجعة ، والعارف يضمدها مبدأ العصب .
هكذا هكذا يكون التعامى هكذا هكذا يكون الغرور

« يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن » وما عدا عما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم ، الرؤوف الرحيم يقول لكم ، « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ، فعلام بعد هذا المعول ، وماذا يتأول .

اتقوا الله في نفوسكم وانصحوها ، واغتنموا فرص الحياة واربحوها (١) ، « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين » . (وتنادى أخرى « هل إلى مرد من سبيل » « ياليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ») (٢) وتقول أخرى « رب ارجعونا » ، وتستغيث أخرى « هل إلى مرد من سبيل » ، فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب نفسه ، وقدم لغده من أمس .

واعلم (٣) أن الحياة تبحر (٤) إلى الموت ، والغفلة تبحر (٥) إلى الفوت ، والصحة مركب الألم ، والشيبة سفينة تقطع إلى ساحل الهرم .

وإن شاء قال بعد الخطبة : إخوانى . ما هذا التوائى ، والكلف بالوجود الفانى ، عن الدائم الباقى ، والدهر يقطع بالأمانى ، وهادم اللذات (٦) قد

(١) فى : ظ (واربحوها) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، ظ .

(٣) فى : ظ (وعلم) تحريف .

(٤) فى : س ، ظ (تبحرى) .

(٥) فى : س ، ظ (تقود) .

(٦) كناية عن الموت .

شرع في نقض المباني ، ألا معتبر في معالم هذه المعاني ، ألا مرتحل عن مغايب
هذه المغاني :

ألا أذن تصني إلى سميمة أحدثها بالصدق ما صنع الموت
مددت لكم صوتي فأواه حسرة على ما بدا منكم فلم يسمع الصوت
هو الغرر الآتي على كل أمة فتوبوا سراها قبل أن يقع الفوت
يا كلفا بما لا يدوم ، يا مفتونا بغرور الموجود المهدوم ، يا صريع
جدار الأجل المهدوم ، يا مشتغلا ببنيان الطرق قد ظهر المنهاج (١) وقرب
الهدوم ، يا غريقا في بحار الأمل ، ما عساك تقوم ، يا ملك (٢) الطعام
والشراب ولمح السراب لا بد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم ، دخل
سارق الأجل بيت عمرك فسلب النشاط وأنت تنظر ، وطوى البساط
وأنت تكذب ، واقتلع جواهر الجوارح وقد وقع بك البهت ، ولم يبق إلا
أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد :

لو خفف الوجد عني دعوت طالب ثأري
كلا إنها كلمة هو قائلها ، كيف التراخي ، والموت مع الأنفاس ينتظر ،
كيف الأمان وهاجم الموت لا يبقى ولا يذر ، كيف الركون إلى الطمع
الفاضح وقد صح الخبر ، من فكر في كرب الخمار تنغصت عنده لذة التبيذ ،
من أحس بلفظ الحريق فوق جداره لم يضع السمعة إلى نغمة العود ، من
يقن بذل العزلة هان عنده عن الولاية .

ما قام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ما قل منك وما كفي
أوحى الله إلى موسى صلوات الله (على نبينا وعليه) (٣) : أن ضع يدك
على متن ثور ، فبقدر ما حازته من شعره تعيش سنين ، فقال : يارب وبعد

(١) في س . (المنأخ) .

(٢) على هامش الأصل (يا ملأ) من نسخة ثانية ، وكذا في س ، ط .

(٣) في س « بدل هذه العبارة (وسلاما عليه) وفي ط (صلوات الله عليه) .

ذلك ، قال أنموت (قال : يارب . فالآن^(١))

رأى الأمر يفضى إلى آخر فصير آخر أولاً^(٢)
إذا شعرت نفسك بالميل إلى شيء ، فأعرض عليها غصة فراقه ، ليملك من
هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، فالمفروح به هو المحزون عليه ،
أين الأحباب مروا ، فبليت شعري أين استقروا ، استكانوا والله
واضطروا ، واستغاثوا بأوليائهم فقرروا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضرروا ،
فالمنازل من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابطة ذابطة^(٣) ، والعظام من
بعد التفاضل^(٤) متشابهة متساوية ، والمسكن تنذب في أطلالها الذئاب العاوية .

صحت بالربع فلم يستجيبوا ليت شعري أين يمضى الغريب
وبجنب الديار^(٥) قبر جديد منه يستسقى المسكن الجديد
غاض قلبي فيه عند التماحي قلت هذا القبر فيه الحبيب
لا تسلى^(٦) عن رجعتى كيف كانت إن يوماً للبين^(٧) يوم عصيب
باقترابي للموت^(٨) عللت نفسي بعد إلى كل آت قريب
أين المعمر الخالد ، أين الولد أين الوالد ، أين الطارف أين التالد ، أين
المجادل أين المخالد^(٩) هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً .

وجوه علاهن الأثرى وصحائف تنص وأعمال على الله تعرض

(١) أى : فالآن أريد الموت .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) و : ظ (ذابطة ذابطة) .

(٤) في : س (التفاضل) .

(٥) في : س ، ط (الدار) .

(٦) في : س ، ط (لا تسأل) .

(٧) في : س (يوم البين) وفي الأصل (يوم للبين) .

(٨) و : س ، ط (باقتراب الموت) .

(٩) المجادل : المخارب .

بحسب الذهاد والعباد ، والعارفون والأوتاد (١) ، والأنبياء الذين تهتدى بهم العباد عن سبب الشقاء الذى لا سعادة بعده . فلم يجدوا إلا البعد عن الله ، وسببه حب الدنيا . لن تجمع أمتى على ضلالة : هجرت حباتي من أجل ليلي فإلى بعد ليلي من حبيب وماذا أرنجى من وصل ليلي ستجزي بالقطيعه عن قريب وقالوا : ما أورد النفس الموارد وفتح عليها باب الختف إلا الأمل (٢) ، كلما قومتها مثاقب (٣) الحدود ، فتح لها أركان الرخص (٤) ، كلما عقدت صوم الزعامة (٥) ، أهداها طرف الغرور فى أطباق حتى ، وإذا ، ولكن ، وربما . فأفرط القلب فى تقلبها حتى أطر :

ما أوبق الأنفس إلا الأمل وهو غرور ما عليه عمل
يفرض منه الشخص وهما ماله حال ولا ماض ولا مستقبل
ما فوق وجه الأرض نفس حية إلا قد انقض عليها أجل
لو أنهم من غيرها قد كونوا لا مثلاً السهل بهم والجبل
ما ثم إلا لقم قد هيئت للموت (٦) وهو الآكل المستعجل

(١) الأوتاد عند الصوفية : عبارة عن أربع رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم . الشرق والغرب والشمال والجنوب ، كل واحد منهم مقامه فى تلك الجهة (تعريفات الجرجاني ٢٧ و تعريفات ابن عربى ٢) .

(٢) الأمل المخطور شرعا هو الأمل الذى يلهم عن العبادة والتأمل قال تعالى « ذرهم يحوضو ويلعبوا ويلهمهم الأمل فسوف يعلمون » أما الأمل المقترون بالعبادة والفكر فلا غبار عليه راجع (التنوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله الكندري) فـكاه فى هذا الباب .

(٣) آلات تعدل بها قوائم الرماح .

(٤) الرخص ما شرع للتيسير على من يشق عليهم العمل كالفطر للمسافر .

(٥) الزعامة ما شرع للأقوياء فى العبادة كالصوم للمسافر .

(٦) جم طريقة وهى ما يهتدى الناس بعضهم لبعض والمراد أن الأمل يحل عقد الزعامة بين العبد وربّه بهذه الألفاظ « حتى . إذا . لكن . ربما » يزم العبد على التوكل وعلى إلقاء مقاليد لربه ، فيحل الأمل هذا الزم بقول غريب هو : ولكن الله خلق العقل لتدبر به مما شأنا والحق أن العقل خلق لتدبير شأن العبادة : ولا يخفى ما فى أسلوب المؤلف من ثورية بمصطلحات العلوم فقد كان مغرماً بذلك .

(٧) فى الأصل (لقم للموت قد هيئت) .

والوعد حق والورى فى غفلة
أين الذين شيدوا واغترسوا
أين ذوو والراحات زادت حسرة
لم تدفع الأحباب عنهم غير أن
الله فى نفسك أولى من له
لا تتركها فى عى وحيرة
حقر لها الغنى وحاول زهدا
وقد إلى الله بها مضطرة
هو الفناء والبقاء بعده
يا قرة العين ويا حسرتها
قد خدعوا بعاجل وضلوا [١٦١]
ومهدوا (١) وفرشوا وغللوا
إذ جنبوا إلى الثرى وانتقلوا (٢)
بكوا على فرقم وأعولوا
ذخرت (٤) نصحا أو عتابا يقبل
عن هول ما بين يديها تعقل
فيه وشوقها لما يستقبل
حتى ترى السير عليها يسمل
والله عن حكته لا يسأل
يوم يوفى الناس ما قد عملوا

يا طرداه المخالفة إنكم مدركون ، فاستبقوا باب التوبة فإن رب تلك
الدار يجير ولا يجار عليه ، « فإذا أمنتم فاذكروا الله كما هداكم » ، ياطفيلية
الهمة دسوا أنفسكم بزم التائبين وقد دعوا إلى دعوة الحبيب فإن (لم) (٥)
يكن أكل فلا أكل من طيب الوليمة .

قال بعض العارفين : إذا عقد التائبون الصلح مع الله انتشرت رعايا
الطاعة فى عمالة الأعمال ، وأشرقت الأرض بنور بها ووضع الكتاب
معاقى هذا المجلس والله نسيم سحر إذا انتشفه خمر الفخلة أفاق ، سوط (٦)
هذا الوعظ ينفض إن شاء الله ركة (٧) البطالة ، إن الذى أنزل الداء أنزل

(١) فى س (وافرشوا) .

(٢) فى الاصل (وانهلوا) .

(٣) فى : س (ترع) .

(٤) فى : س : ذخرب .

(٥) ساقطه من : ظ .

(٦) فى : ظ ، (سقوط) وهو تحريف .

(٧) أى أكده من البطالة .

الدواء ، إكسير هذا العتاب ، يقلب بحكمة جابر القلوب المنكسرة (١) ، عين من كان له قلب (٢) ، « إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعثهم الله » .

إلهى دلهما من حيرة تضل فيها إن هويت الدليل ، وأجلها (٣) من غمرة ، وكيف إلا بإعانتك السيل ، نفوس صدى على من الأزمان منها الصقيل ، وبنا بحومتها (٤) عن الحق المقيبل ، وآذان أهبطها (٥) القول الثقيل ، وعثرات لا يقبلها إلا أنت يامقيل العثار يامقيل ، أنت حسبتنا ونعم الوكيل .

وبما صدر أيضاً عن المؤلف فى هذا الغرض :

إخوانى : صمت الأذان والنداء جهير ، وكذب العيان والمشار إليه شهير
أين الملك وأين الظهير ، أين الخاصة وأين الجماهير ، أين القليل والعشير ،
أين كسرى أين أزدشير ، صدق والله الناعى وكذب البشير ، وغش المستشار
وأثم المشير (٦) ، وسئل عن الكل (٧) فأشار إلى التراب المشير .

خذ من حياتك للمات الآتى وبدار مادام الزمان مواتى
لا تغترر فهو السراب بقية قد خودع (٨) الماضى به والآتى
يامن يؤمل واعظا ومذكرا يوما ليوقظه من الخفلات

(١) إشارة إلى الحديث القدسى . أما عند المنكسرة قلوبهم .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

(٣) فى : س : (أخلها) وهو تحريف .

(٤) فى : س . (يحنونها) ، وهو تحريف .

(٥) فى : س ، ط . (أنفها) تحريف .

(٦) فى : ط (المستشير) .

(٧) فى الاصل (عن التراب) .

(٨) فى الاصل (خدع) والترجيع من : س ، ط : ، رجعاها اكمال التفعلة العروضية .

هلا اعتبرت ويالها من عبرة
قف بالبقع وناد في عرصاته
درجوا وليس^(١) بحالد من بعدهم
والله ما استهلك^(٢) حيا صارخا
لا فوت عن درك الحمام لهارب
كيف الحياة لدارج متكاف
أسفا علينا معشر الأموات لا
ويغرنا لمع السراب فنغتدى
والله مانصح امرأ من غشه
والحق ليس بخافت المشكاة

بمدافن الآباء والأماث
فلكم بها من خيرة^(٣) ولدات
متميز عنهم بوصف حياة
إلا وأنت تعد في الأموات
والناس صرعى معرك الأماث [١٦١]
سنة الكرى بمدارج الحيات
تنفك عن شغل بهاك وهات
في غفلة عن هاذم اللذات
والحق ليس بخافت المشكاة

يامن غدا وراح ، وألف المزاح ، يامن شرب الراح ، بمزوجة بالعذب
القرح ، وقعد لعيان صروف الزمان مقعد الاقتراح ، كالك والله باختلاف
الرياح ، وسماع الصباح ، وهجوم غارة الاجتياح ، فأديل الخفوت من الارتياح
ونسيت^(٤) أصوات الغناء برنات كالنباح^(٥) ، وعوضت غرر النوب
القباح^(٦) من غرر الوجوه الصباح ، (وتناولت الجسم الناعمة أيدي
الاضطراح . وتتوسيت العهود الكريمة بمر المساء عليها والصباح^(٧)) ،
وأصبحت كآة النطاح من تحت البطاح ، وحملت المهتدة والرماح كيلة^(٨)
من بعد الجمح .

لو كان هول الموت لاشيء بعده لمان علينا الأمر واحتقر الهول

(١) في الأصل : (حرة) .

(٢) في : س ، ظ (ولست) .

(٣) في : ظ (استهلك) وهو تحريف .

(٤) في الأصل (ثبت) تحريف .

(٥) في : س ، ظ (كالنباح) :

(٦) أي البلايا العظيمة .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٨) في : س ، ظ . (ذليلة) .

ولكنه حذر ونشر وجنة ونار وما لا يستقل به القول

يامشتغلا بداره ، ورم جداره ، عن إسراعه إلى النجاة وبداره ، يامن
صاح يا نذاره شيب عذاره ، يامن صرف عن اعتذاره بأقذاره وأقذاره ،
يامن قطعه^(١) بعد مزاره ، وثقل أوزاره ، يامتعلقا^(٢) ينتظر^(٣) هجوم
جزاره ، يا مختلسا للأمانة ، يرتقب مقتش ماتحت إزاره ، يامن أبعن في
نهر الهوى خفف من إسكاره ، يامن خالف مولى رقه خفف من إنكاره ،
يا كلفا بعارية ترد ، ويا مفتونا بأنفاس تعد ، يامعولا على الأقامة والرحال
تشدد ، كأن بك وقد أوثق الشدد ، والتصق بالوساد النخد ، والرجل تقبض
والأخرى تمد ، واللسان يقول : ياليتنا نرد ، .

إنا إلى الله وإنا له ما أشغل الإنسان عن شأنه
يرتاح للآثواب^(٤) يزهى بها والخيط مغزول لا كفافه^(٥)
ويخزن الفلاس لورائه مستنفذا مبلغ أكوانه
قوض عن الفاني^(٦) رحال امرئ مد إليه عين عرفانه
ما ثم إلا موقف زاهر^(٧) قد وكل العدل بميزانه
مفرط يشقى بتفريطه ومحسن يحزى بإحسانه

يا هذا خفي عليك مرض اعتقادك ، فالتبس الشحم بالورم ، جهلت قيم

-
- (١) في الأصل (قطع) .
(٢) في : س ، ظ (متعلقا) .
(٣) في : س ، ظ (ينظر) .
(٤) في : ظ (لآثواب) تحريف .
(٥) في : ظ لآثوابه تحريف .
(٦) في : ظ (حال) تحريف .
(٧) في الأصل (دع) .

المعادن فبعث الشبه^(١) بالذهب . فسدحس ذوقك فتفكمت بحظلة ، أين
 حرصك من أجلك ، أين قولك من عمالك ، يدركك الحياء من الطفل فتتحاجي^(٢)
 حى الفاحشة فى البيت بسببه ، ثم تواقعها بعين خالق العين ، ومقدر
 الكيف^(٣) والآن ،^(٤) بالله^(٥) ما فعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده ،
 « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا
 أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم
 القيامة إن الله بكل شئ عليم » ، تعود عليك مساعى الجوارح التى سخرها
 لك ، بالقناطير المقتطرة من الذهب والفضة [١٧] فتبخل منها فى سيده
 بفلس ، وأحد الأمرين لازم ، إما التكذيب وإما الحماقة ، وجمعك بين
 الحالين^(٦) عجيب ، يرزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك وتسمى
 الظن به فى يوم يوجب (الظن)^(٧) الحسن ، وتعتذر بالغفلة ، فما بال التماذى ،
 تعترف بالذنب فما الحجة فى الإصرار ، « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن
 ربه . والذى خبت لا يخرج إلا نكدا » ، أيا مدعى النسيان ماذا فعلت
 من بعد التذكير ، يامعتذرا بالغفلة أين ثمرة التفهيم ، يامن قطع بالرحيل
 أين الزاد ، ياذبابة الحرص كم ذا تلجج فى ورطة الشهد ، يانائما ملء عينيه
 حذار الأجل قد أنذر ، ياثمل الاغترار قرب خمار الندم ، تدعى الحذق
 بالصنائع وتجهل هذا القدر . تبذل النصح لغيرك وتغش نفسك بهذا الغش ،
 أندمل جرح توبتك على عظم ، قام بنساء عرشك^(٨) على رمل ، نبئت

(١) الجواهر الزيفة .

(٢) فى : ط (فتتحاجى) تحريف .

(٣) الكيف هيئة قارة فى النفس لا تقتضى قسمة ولا نسبة للذات .

(٤) الأين حالة تعرض للشيء سبب حصوله فى المكان [راجع تعريجات الجرجاني] .

(٥) فى : س (نال) .

(٦) فى : س ، ط (الحاليتين) .

(٧) ساقطة من الأصل ، س .

(٨) فى الأصل (عزمتك) .

خضراء دعوتك على دمنه ، عقدت كفك من الخلق على قبضة ماء ، « أفن
زين له سوء عمله فرآه حسنا ، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء »
وإذا عام جوهر المجلس ، وابتدأ رش غمام^(١) الدموع ، قالت النفس الأماره
حوالينا لعلينا فدالت^(٢) رياح الغفلة وسحاب الصيف هفاف ، كلما شد^(٣)
طفل العزيمة على درة التوبة صانعه ظئر^(٤) الشهوة عن^(٥) ذلك بعصفور
إذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الأمل حدود الجار ، قال بعض الفضلاء :
كانوا إذا فقدوا قلوبهم تفقدوا مطلوبهم . ولو صدق الوادع لآثر ، اللهم
لا أكثر ، طيب يذاوى الناس وهو عليل ، والخطب جليل ، والمتفطن قليل
فهمل إلى الخلاص سبيل . اللهم انظر إلينا بعين رحمتك التي وسعت الأشياء
وشملت الأموات والأحياء ، يادليل الحائرين دلنا ، ياعزيز وارحم^(٦) ذلنا ،
ياولى من لاولى له كن لناكلنا ، إن اعرضت عنا فن لنا ، نحن المذنبون
وأنت غفار الذنوب ، فقلب قلوبنا يامقلب القلوب ، واستر عيوبنا ياستر
العيوب ، يا أمل الطالب ، ويا غاية المطلوب (يا أرحم الراحمين^(٧)) ،
وخطاب المواقف من استدعى منه الموعدة^(٨) (بقوله^(٩)) .

إذا لم أنح يوما على نفسى التى لجرائها^(١٠) أحببت^(١١) كل حبيب

(١) فى الأصل (عموم) .

(٢) فى : ظ ، س (فنلت) .

(٣) فى : ط (اشتد) .

(٤) فى : ظ ، س (طبر) والظئر : المرصع .

(٥) فى : ظ (على) .

(٦) فى : س ، ط (ارحم) .

(٧) ما بين الحاضرين : ساقط من : ط .

(٨) على هامش الأصل « فخطبت من استدعى من الموعدة بقولى » من نسخة ثانية .

وكذا فى ظ

(٩) ساقطة من : س ، ظ

(١٠) فى : س ، ط (بجرائها)

(١١) فى : س ، ط (أحببت) .

وقد صبح عندي ن عادية لردى (١) . أتدب لها ، والله كل ديب
فن ذا الذي يبكي عليها بأدمعى إذا كنت موصوفا برأى لبيب

كم قد نظرت إلى حبيب ، تغار من لرسال طرفك بكتاب الهوى إلى إنسانه
وقد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه ، وذوت وردة خده ، واصفرت لمغيب
الفراق شمس حسنه ، وهو يجود بنفسه التي كن ييخل من وصلها بالنفس ،
يخاطبك لسان حاله (٢) مسترحا ، وليت الفجل يهضم نفسه (٣) ، وأنت
على أثر مسحبه الى دست الحكم (٤) ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، تالله
لو لم يكن المخبر صادقا ، لنشبت (٥) بحلق العيش بعده شوكة الشك .

ولو أنا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي [١٧]
ولكننا اذا متنا بعثنا ونسأل بعد ذا (٦) عن كل شى

فالحازم من بتر الأمل طوعا وقال « يدي لا يد غمر » ، يأبها الناس
ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، قال
أمير الوعاظ رحمه الله : ويضد هاتين الأشياء ، يامقتولا ماله طالب (٧)
يريد (٨) الموت مطلق الأعنة في طلبك ، وما يحملك حصن ، ثوب حياتك
منسوج من طاقات أنفاسك ، والأنفاس تستلب ذرات ذاتك ، وحركات
الزمان قوية في النسج الضعيف ، فيا سرعة التمزق ، يارابطا مناه يخيظ الأمل
انه ضعيف القتل ، صياد التلف قد بث الصقور ، وأرسل العقبان ، ونصب

(١) في : ظ (الروى) وهو تحريف .

(٢) في : س ، ظ (يخاطب بلسان حاله) .

(٣) أى لأنه سيصبح حبة كالعجل غير المضموم .

(٤) أى مسوق إلى الحساب أمام الحكم العدل سبحانه وتعالى .

(٥) في : س ، ظ (لنشبت) .

(٦) في : س ، ظ (بعده) .

(٧) ساقطة من : س ، ظ .

(٨) في : ظ (يريد) وهو تحريف .

الأشراك وقطع الموارد^(١) فكيف السلامة ؟ تهباً لسرعة الموت ، وأشد منه
تقلب القلب^(٢) ليت شعري لما يقول [إليه] الأمر :

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد جد البين أو أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه
مركب الحياة تجري في بحر البدن ، برخاء الأنفاس ، ولا بد من عاصف
قاصف يفككه ، ويغرق الركاب :

فاقصوا ما يربكم هجسالا إنما أعماركم سفر من الأسفار

(وقال) :^(٣) كأنك بحرب التلاف قد قامت على ساق ، وانهرمت جيوش
الأمل ، وإذا بملك الموت قد بارز الروح ، يجتذبها^(٤) بخطاطيف الشدائد
من بنان العروى ، وقد شد كتاف الذبيح ، وحرار البصر لشدة الهول ،
وملائكة الرحمة عن البين قد فتحو أبواب الجنة ، وملائكة (العذاب)^(٥) عن
الشيأ (٦) قد فتحو أبواب النار وجميع الخلائق (٧) تستوكف الخبر ،
والكون كله قد قام على صيحة ، سعد فلان أو شقي (فلان)^(٨) ، فهناك تنجلي
أبصار الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى ، ويحك اتبها لتلك الساعة ،
حصل زاد قبل العوز^(٩) .

تزود من شميم عزار نجد فما بعد العشيّة من عرار

(١) في : س ، ط (الموارد)

(٢) في جميع الأصول : (قلب القلب) وما أثبتناه أوضح . وهو يشير إلى الحديث
المشهور « قلب المؤمن بين أصابع الرحمن ، يقلبهما كيف يشاء » .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) في : س ، ط (يجذبها) .

(٥) ساقطة من : ط .

(٦) في : س ، ط (اليسار) .

(٧) في : س (المخلوقات) وفي : ط (اللوكرات) .

(٨) ساقطة من ط وقد تأثر المؤلف هنا بكتاب التوهم للحارث بن أسد الحماسي .

(٩) في : س ، ط (العوز) تحريف .

وقال أبو العتاهية :

خانك الطرف الطموح^(١) أيها القلب انجوح
 لدواعي^(٢) الخير والشر دفو ونزوح
 كيف إصلاح قلوب إنما هن قروح
 أحسن الله بنسأ أن الخطايا لا تفوح
 فإذا المستور^(٣) منا بين ثوبيه فضوح
 كم رأينا من عزيز طويت عنه الكشوح
 صاح منه برحيل طائر الدهر الصدوح
 سيصير المرء يوما جسدا مافيه روح
 بين عيني كل حي علم الموت يلوح
 لبني الدنيا من الد نيا غبوق^(٤) وصبوح^(٥)
 رجن في الوشي وأصبحن عليهن المسوح^(٦)
 كل نطاح من الدهر سر له يوما نطوح
 نخ عن نفسك يامسكين إن كنت تروح
 لتروحن وإن^(٧) عمرت ماعمر تروح

(وقال في المعنى)^(٨)

لمن طلل أساتله معطلة مناهله^(٩)

-
- (١) في : ظ (الجروح) خطأ .
 (٢) في الأصل (لدواعي) تحريف .
 (٣) في الأصل (فإذا المشهور) .
 (٤) الغبوق : شراب المساء من الخمر .
 (٥) الصبوح : شراب الصباح من الخمر .
 (٦) المسوح : لباس الرهبان .
 (٧) في : س ، ظ : (ولو) .
 (٨) ساقطة من الأصل . وزيدت من : س ، ظ .
 (٩) في : ط (مناهله) تحريف .

غداة رأيت تنفي أعاليه أسنائه
 وكنت أراه مأهولا^(١) ولكن باد آمله
 وكل لا عتساف الدهر سر معرضة مقالته [١١٨]
 (وما)^(٢) من مسلك إلا ورب الدهر شامله
 فيصرع من يصارعه وينضل من يناضله
 ينازل من بهم به وأحيانا يخالته^(٣)
 وأحيانا يؤخره وتارات يعاجله
 كفأك به إذا نزلت على قوم كلاكه^(٤)
 وكم قد عز من ملك تحف به قبائله
 (تحاف الناس صولته ويرجي منه نائله)^(٥)
 ويش عطفه مرحا وتعجبه شمالكه
 فلما أن أتاه الحق ولي عنه باطله
 فقمض عينه للبوت واسترخت مفاصله
 فما لبث السياق به إلى أن جاء غاله
 فجبره إلى جدث سيكتر^(٦) فيه خاذله
 ويصبح شاحط المثنوى^(٧) مفجعة ثواكله
 تخمشة نوادبه مسلبة خلائله
 وكل قد طال من أمل قلم يدركه آمله
 رأيت الحق لا يخفى ولا تخفى شواكله

(١) في : ظ . (مأهولا) خطأ .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) يخالته : يأخذه على غرة وغفلة .

(٤) الكلاكل : جمع كلكل وهو في صدر الجمل يشبه الحف .

(٥) البيت ساقط من : س .

(٦) في ظ : (سكن) . وهو تحزيف والجذث : القدر .

(٧) شاحط المثنوى : بعيد مكان الإقامة .

ألا فانظر لنفسك أى زاد أنت حامله
 المنزل وحدة بين ال منازل أنت ناله
 قصير السمك قد رصت عليك به جنادله
 بعيد تراور الجيران ضيقة مداخله
 أيتها المقابر فيه لك من كتنا ناوله
 ومن كتنا نتاجره ومن كنا نعامله
 ومن كنا نعاشره ومن كنا نداخله
 ومن كنا نشاربه ومن كنا نواكله
 (ومن كنا نفاخره ومن كنا نطاوله
 ومن كنا نراقبه ومن كنا نراسله
 ومن كنا نكلمه ومن كنا نجامله
 ومن كنا له إلفا قليلا ما نزاله (١)
 ومن كنا له بالأمس إخوانا نواصله (٢)
 فكل محلة من حلها صرمت خباته
 ألا ن المنيّة منهل والخلق ناهله
 وأخر من نرى يقنى كما فنيت أوائله
 بعمره ما استوى فى الأمر عالمه وجاهله
 ليعلم كل ذى عمل بأن الله سائله
 فأصرع فائز بالخير قائله وفاعله

وهذا الغرض بحر ، ويكنى من جوانبه عرض ، ومن بيت ماله قرض
 إن شاء الله .

تفسيه :

يشتمل هذا القصد على سؤالين : أحدهما أن يقال : الوعظ غير مناسب

(١) فى : س ، ظ (تراوله) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

للمحبة إذ لا تحصل إلا بعد الفراغ واليقظة ، وثانيها (١) أن يقال : عظمتم الحسرة لفراق عالم الحس ، وأطلتم في القشور (٢) ، فنجيب عن الأول ، بأننا لم نجلب الوعظ إلا بين يدي تأميل حصول المحبة ، فكأنه يجري مجرى الأسباب ، فإن الغرض منه (٣) صرف وجهة النفس من جو السرور واللعب بالزور ، إلى جو الحزن والارتماض (٤) . ومن هنا لك تأخذ بخطاها . أيدى الاضطراب ، فتحصل اليقظة ثم التوبة ، ومنها يستقيم الطريق في منازل السائرين إلى الحق .

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وعند ذلك يطوى بساط الزجر والوعظ ، ويمد بساط الاعتبار والحب . إن شاء الله - فإنها كائنكل بطبعها ، لما فارقت من عنصر نور الله (٥) ، والعالم الروحانية التي هي الشعار والدثار ، والأهل (٦) والدار ، والحياة والجمال ، والوجود (٧) والكمال ، وإن كانت لا تشعر بالسبب ، ولا تستحضر ذكر العلة ، فإذا ذكر الفراق أنت ، أو نوشدت الآثار حنت ، ويطرقها الحزن عند الألحان الشجية ، ونحس بعض الأحيان بالمواعد العشقية .

وقالوا أنيكي كل قبر رأيت لقبر نوى بين اللوى بالدكادك (٨)
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كله قبر مالك [١٨ ب]
وعن الثاني : أن كثيرا من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحس فضلا

(١) في : ظ ، س . ١ . والثاني .

(٢) في ظ ، س . (قشور) .

(٣) في الأصل « به » ، وكذا في : س ، ظ .

(٤) الارتماض : الاحتراق من الألم والحزن .

(٥) في : ظ (من نور عنصر نور الله) وهو تحريف .

(٦) في : ظ ، س (والأهل) .

(٧) في : ظ ، س (والوجود) .

(٨) اللوى واسكارك مكانان .

عن النظر فيه ، وإن شعرت بذلك عدمها نبلا ، ومن كان بهذه المثابة ،
لا سبيل لندائه إلا من باب القشور « أولئك ينادون من مكان بعيد » .
إلى أن يأتي النداء من باب اللب (١) بفضل (الله) (٢) .

فالنفوس الشخصية ، غير متساوية ، وهي في مهوى الهوى هاوية ،
فالقريب منها يجذب بالأنامل ، والبعيد بالجدل الكوامل ، وعلى قدر المحمول .
تكون قوة الحامل ، يضع المبيت (٣) مواضع النقب (٤) .

يكفي اللبيب إشارة مكتومة وسواه يدعى بالنداء العالى
وسواهما بالزجر من قبل العصا ثم العصا هي رابع الأحوال

(١) فى . س . الله .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) فى : س ، ط . الها . والمعنى معه غريب .

(٤) النقب الخرق فى الجدار . والمقصود أن الواقع يصنع الشيء فى موضعه .

الفصل الثالث في ذم الكسل

الذى يشغب^(١) عن إجابة ما يرغب ، ونحن نجلب بعض الأمثال في ذمه بما يسهل حفظه ، ويجب لحظه .

فمن ذلك : الكسل مزلة الریح^(٢) ومسخرة الصبح ، إذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة ، لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير^(٣) ، المندمة^(٤) في الكسل كالسم في العسل ، الكسل آفة^(٥) الصنائع ، وأرضة في البضائع ، والعجز والكسل يفتجان الخول^(٦) ولا تسل ، الفلاح إذا مل الحركة عدم البركة .

ظهران لا يبلغان المرء إن ركبا باب السعادة ظهر العجز والكسل
وفي أغتنام الأيام : من أضاع الفرصة تجرع النصبة ، إن كان لك من زمانك شيء فالحال وما سواه محال ، تارك أمره إلى غد لا يفلح أبدا ، الإنسان ابن ساعة ، فليحفظها من الإضاعة ، التسويف سم الأعمال ، وعدو الكمال . لم يحرم المبادر إلا في النادر . ما درجت أفراخ عز إلا من وكر طاعة^(٧) ، ولا بسقت^(٨) فروع ندم إلا من جر ثومة إضاعة . العزم سوق

() أى يمنع من نيل المطلوب .

(٢) في : س ، ط : الريح .

(٣) سورة تبارك .

(٤) في ط (الندمة) .

(٥) في ط (آفات) .

(٦) في ط (يفتجان الخول) ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك

من العجز والكسل .

(٧) على هامش الأصل (ما درجت أفراخ ذل إلا من وكر طاعة) من نسخة ثاقبية ،

وكذا في : ط .

(٨) في ط (سبقت) تحريف .

والتاجر الجسور مرزوق . من وثق بعهد الزمان علفت يدها بجبل الحرمان .
الريح في ضمن الجسارة ، والمضيق أولى بالخسارة .
ومن أمثالهم في في نظر الإنسان لنفسه قبل غروب شمس قوهم : اعلم
إن كل حكيم صانع إذا فكر في أمره ، ونظر في العواقب ، علم أنه لا بد
يوماً أن يجرب دكانه الذي هو محل صناعته ، وتحل أنقاضه وتكل أدواته
وتضعف قوة بدنه ، وتذهب أيام شبابه . فنبادر واجتهد قبل خراب الدكان ،
واستغنى عن السعي ، فإنه لا يحتاج بعد ذلك إلى دكان آخر ، ولا إلى أدوات
مجددة فليجتزى بما أنشأه ، ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسب ،
وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد ، فبادر واجتهد ، واحرص واستعجل
وتزود قبل خراب دكانك ، وهدم بيتك^(١) فإن خير الزاد التقوى .
قال حسان :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى وأبصرت بعد اليوم^(٢) من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كشله ولم تترصد^(٣) مثل ما كان أرصدا

وقال أبو الفرج بن الطيب البغدادي^(٤) في كتابه في السياسة : والآراء
الفاضلة يجب^(٥) أن تقيد وتمثل ، فإن الفكر مضطرب متشوش بكثرة نوازع
النفس واختلاف قواها ، والعمى في بعض الأوقات ، فإذا منح للنفس
وقت فاضل بصفاء جوهرها ، وأبرمت قانوناً أو صورة متوسطة فاضلة ،
يجب أن تقيد بذلك في وقت سعد [١٩] ربما لا يعاد أو يعاود^(٦)

(١) في : س ، ط (بيته) .

(٢) على هامش الأصل من نسخة ثانية « الموت » .

(٣) في : ط (يتوصل) تحريف .

(٤) لم نثر على كتابه في الفهارس

(٥) في ط (يجب) نصحيح .

(٦) في : ط (لا يعاود أو ينادر)

الاختيار الثالث

يشتمل على جلب الماء لسقي هذه الأرض الموصوفة ، من عيون العلم
في جدول العقل المقرر ، والنقل المحرر
(وفيه)^(١) مقدمة وفصول

المقدمة

في شيء من فضل العلم ، وتعدد أجناسه

قال المؤلف (رحمه الله ورضي عنه)^(٢) ، العلم وصف كمال لله عز
وجل ، وبه شرف الملائكة والأنبياء ، وهو جامع بين سعادة
الدنيا والآخرة .

أما الدنيا فيأفادته الإجلال من الملوك والسوقة^(٣) ، وظهور الفضل
ووجوب الاحترام ، وهذا - إذا اعتبرته - حظ فان ، ويجني ثمرة حرمان .
وأما الآخرة ، فأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية ،
وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إلى نيلها ، ولا يتوصل إليها على سبيل
الاكتساب إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية
العمل^(٤) ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة العلم .

(١) ساقطة من : ظ

(٢) في : س ، ط (رضى الله عنه)

(٣) في : س ظ (السوي) جمع سوقه

(٤) وعلى ذلك جاء تفسير حديث « طالب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقد رجح
أبو طالب المكي أن المراد طلب علم الأركان الخمسة وكيفية أدائها وشروطها وأركانها وهكذا
رأى الحارث المحاسبي [علم العلوب الذي من تحقيقنا] طبع الناهرة بب معنى قوله صلى الله
عليه وسلم طلب العلم فريضة . . . الحديث . والنصائح الدينية للعجاسي . مخطوط رقم
٤٢٣ . نصوف دار الكتب المصرية وقد حفظناه ونشره محمد علي صبيح .

إلا أن الفلاح لا يحتاج^(١) من العلم إلا لما ينفعه ، فيما هو بسبيله ، والماء الذي تحتاج إليه هذه الأرض المباركة وهو (العلم)^(٢) قليل لغناها وغبطها ودسمها ونداءة ثراها^(٣) ، وتنام القول في هذا الغرض ينظر في فضل المقدار . وفضل العلم من كثرة القول وتبحره ، وشهرته بحيث لا يحسن أن نطول به .

وأجناس العلوم إلى زماننا هذا لمن تشوف^(٤) بكمال استعداده إلى تحصيلها ، هي المشهورة بين عالم الإنسان بحسبه مطلقا (أو بحسبه)^(٥) ، مقيدا ، ما بين قديمها وحديثها تحصيليا بحسب به من أهلها ، ويصح له الاتصاف بها ، وهي درجة ذوى الملوك العامة من النظار ، المتبحرين كالرئيس أبى على وأمثاله . فقد حكى من سيرته ما يدل على ذلك ، ولا يبعد عنه غيره ، وكان قاضى (أبى الوليد)^(٦) بن رشد وأمثالهما .

وأجناس العلوم منها لسانية أدبية ، كصناعة النحو ، وهي التى تنظر في أحكام العوامل^(٧) وأحكام تصريح الكلمات ، وما يتعلق بذلك . واللغة وهي علم مدلول مفردات لسان العرب ، والشعر وهو^(٨) عند العرب الكلام الموزون ، والعروض ميزانه الذى ترجع إليه أجزاؤه ، وهو من أجزاء صناعة اللحن ، مقيدا ببعض الألسنة والأغراض . والقوافى وهي أحكام في بعض فن الشعر من جهة اللسان . والكتابة وهي تصريح

(١) فى : ها (ما يحتاج)

(٢) ساقطة من : س ، ط

(٣) فى : س ، ط (مرأها) وقد أسس الشيخ الأكبر طريقة على العلم . وتحدث عن فضله

حديثا رائعا فى أول كتابه « مواقع النجوم »

(٤) فى الأصل (تشرف) وفى ط (تشوق)

(٥) ساقطة من : الأصل

(٦) ساقطة من : س

(٧) فى : ط (العوامل) تعريف

(٨) فى : ط (هو)

السكلام المسجع والمرسل في الأغراض خبرا واستخبارا ، وطلبا وغيره .
 بشروط ذلك ، ويتعلق به علم البيان ، وهو ينظر في أحوال المعاني من الفنين .
 وصنعة البديع وتنظر في أحوال الألفاظ وما يعرض لها عند الإضافات
 والتركيبات التماسا لكمال واجتنابا لضعده ، والتاريخ وهو الأخبار الماضية
 ويتعلق به النسب والسير ، وحسبه بعض الناس من علوم الأدب . والزجر ،
 وهو الاستدلال بالألفاظ وحركات الحيوان على أمور مستقبلية . والسحر
 وهو الحيلة على استمالة النفوس حتى يقع التصريف . والمسيما من هذا
 القليل . والعزائم رقى بداوى بها الجفون الذى يلم بالإنسان^(١) . والحيل
 والناجيات إما مغالط أو خواص . والشرعية كتاب الله وعلم مدلوله
 من قصص وأحكام [١٩ ب] وموعظة وقرارات وناسخ ومنسوخ^(٢) وهذا
 هو علم التفسير . وعلم الحديث . وهو المعرفة بالمتون والآسانيد والأغربة
 والناسخ^(٣) . والرجال . وعلم أصول الدين وهو (علم^(٤)) الكلام ، وهو
 الاستلال على ما يحتاج في العقد إلى الاستدلال من أمور المعبود وصفاته
 والنبوة والمعاد ، وعلم أصول الفقه . وهو السكلام في الأحكام الشرعية
 عن الأدلة والفروع ، وهى الآراء المستنبطة من الأصول في الأحكام
 الجزئية . وعلم الوعظ وهو التزهيد في الدنيا ، والترغيب في الآخرة .
 وعلم التخلق ، (وهو)^(٥) مكانم الأخلاق طرائق أهل الصوفية . وعلم
 المنامات . وما يدل عليه أصنافها ، وهو علم العبارة للرؤيا . والعلوم القديمة

(١) في جميع الأصول . الذى تنسب للمامها بالإنسان .
 (٢) النسخ في اصطلاح الأصوليين : إماماء حكم شرعى . وإحلال حكم آخر بدله بنص شرعى
 جاء دليلا على انتهاء الحكم الأول . والناسخ هو النص الأخير الذى ارتفع الحكم الأول بمقتضاه
 وهو يلغى النص السابق . والحكم الملغى هو المنسوخ .
 (٣) فى الأصل (والمنسوخ) .
 (٤) ساقطة من : ط .
 (٥) ساقطة من : س ، ط .

المنسوبة إلى الفلسفة . تشتمل على طبيعيات ورياضيات ، وما بعد الطبيعة
فالتطبيقات وهو الأسفل وينظر (فيه) (١) في الآثار العلمية السائدة في الجو
من البروق والرعود وغيرها ، (ويعطى)^(٢) أسبابها (٣) ، السائدة في
الأرض ، والعلم بالنبات والحيوان ، ويدخل فيه الطب والبيطرة والبزرة
والفلاحة ، والرياضيات وهو الأوسط ، فينظر (٤) فيه في العدد وهو الحساب
وخواصه (وحيله وفي الهندسة وهو المقادير والسطوح)^(٥) والمجسمات وفيه
المساحة والتنجيم والهيئة وصناعة الألحان . والعلم الأعلى وهو ما بعد
الطبيعة ، والعلم الإلهي ينظر فيه في وحدانية الله وما يوصف به ، وكيف
صدر عنه الخلق ، وفي السياسات من ذات ومنزل ومدينة ، ويستعمل في
جميع أنحاء الفلسفة صناعة المنطق وصناعة المنطق تشتمل على قوانين (٦) إذا
روعت حصل بها اليقين في كل صناعة أو علم :

-
- (١) ساقطة من الأصل
(٢) ساقطة من : س ، ط
(٣) في ط (أسبابهما)
(٤) في س ، ط (ينظر)
(٥) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل
(٦) في : ط (قولين) وهو تحريف

الفصل الأول

جدول النقل^(١)

وفيه مذنبان (٢)

شرط الوجوب ، وشرط الكمال :

فشرط الكمال أن يعلم بعض هذه العلوم ، فيعلم من علم الكلام مسائل يناظر بها عن اعتقاده ، كوجوب وجود الله عز وجل ، وإثبات الصفات واعتقاد رأى الأشعرية فيها ، وحدوث العالم وصدق النبوة والمعاد . مستدلاً على ذلك ، ومن فروع الفقه ما يضطر إليه في العبادات ويخص بخلته ومعاشه من قسم المعاملات ، ويعرف تأويل ما يجب تأويله من كتاب الله ، ويحفظ كثيراً منه من المفصل فسادونه لصلاته ، وأن يحفظ من السنة شيئاً لأدابه ، ونهج سبيل اقتدائه ، ومن النحو ولو شيئاً من المبادئ ومن اللغة كذلك لكونهما آلة لهذه البضاعة ، ويترك باطنه فسيحاً لما به علم الآخرة .

وشرط الوجوب من جدول النقل أن يعلم كلتي الشهادة ، ويفهم معناه ، ويحقق مدلولهما ، وهو قول « لا إله إلا الله محمد رسول » مريحاً نفسه عن كشف ذلك لنفسه بالنظر والاستدلال وإقامة البرهان ، بل إعتقاده إياه ، وتصديقه به قطعاً وبقيناً من غير شك ولا ريب ولا تردد نفس ، فإن هذا [الكشف] يحصل للثومنين بمجرد التقليد والسمع ، من غير بحث ولا برهان . ويلحق بذلك كلمتا الإيمان ، الإيمان بالجنة والنار

(١) في س ، ظ (البقل) . تصحيف .

(٢) هذا الفصل مؤخر على الفصل التالي له في س ، ظ

والنشر والحشر ، حتى يؤمن بذلك ، إذ يلزمه من تصديق الرسول فهم
المعنى من رسالته التي جاء بها وبلغها ، وأن من أطاع الرسول الله الجنة ،
ومن تصادف له النار ، [٢٠] .

ثم علم الطهارة والصلاة جميعا ، وإتقان ذلك مع سائر الأركان حسبا
يتحصل من اختيار الحرث ، وفيه الأعمال ، وهذا القدر كاف مع مداومة
العمل ، وإحاض الوجهة إلى الله سبحانه ، ورفض الشواغل البدنية ، والترك
إلى الورع ، والانسلاخ من رق عالم الشهادة ، وما يضطر إليه من علم بعد
هذا يحصل له نتيجة عن التقوى حسبا وعد الله إذ يقول : « واتقوا الله
ويعلمكم الله » .

الفصل الثاني

جدول العقل

وفيه مذهبان

شرط كمال ، و شرط وجوب .

فشرط الكمال فيه أن يعلم وجود ذات الله وقدمه وبقائه ، وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا تتعين له جهة ، ولا يستقر في مكان ، وأنه واحد وأنه مرتئي في الآخرة ، ويعلم أنه حي عالم قادر سميع بصير متكلم ، منزّه عن طروق الحوادث وإرادته كل ذلك قديم ، وأن أفعال عبادته مخلوقة له . وأنها مرادة (١) له ، ومكتسبة لعباده (٢) وأن خلقه الخلق على سبيل التفضل وأنه يفعل ما يريد . ويكلف ما لا يطاق ، ولا يلزمه مراعاة الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع وأن بعث الأنبياء من الجائزات ، وأن نبوة رسول الله (محمد) (٣) صلى الله عليه وسلم بنوة صحيحة ، ثابتة مؤيدة بالمعجزات ، وأن الحشر والنشر وعذاب القبور وسؤال الملكين ، والميزان والصراط ، وخلق الجنة والنار كل ذلك حق ثابت ، وإن اكتسب (٤) الاستدلال على ذلك أو أكثره كان إبراء له من مراعاة اعتقاد وجود الله وصفاته لا يخلص فيه التقليد ، ويسمى كمال الكمال .

مثل أن يستدل على حدوث العالم بأن أجسامه لا بد أن تكون ساكنة أو متحركة ، ولا يعقل جسم ببدية العقل إلا ساكناً أو متحركاً ، والحركة

(١) في : س ، ط (مراد)

(٢) في : ط (عبادته) تحريف

(٣) ساقطة من : س

(٤) في : ط (الكسب) وهو تحريف

والسكون حادثان مما تبين ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

وعلى وجود الله : بأن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب يحدثه ،
وقد تبين أن العالم حادث ، فإذا لا يستغنى في حدوثه عن سبب .

وعلى قدمه بأنه لو كان حادثا لافتقر إلى محدث والمحدث إلى محدث ، ولزم التسلسل (١) وهو محال .

وعلى أزايته وأبديته (٢) وأنه يعدم ، فلو جاز أن يعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد بنفسه ، فكما (٣) احتاج حصول الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج حصول العدم لسبب ، ولا يعدم بعدم (٤) يضاده لأنه لو كان قديما لاستحال وجوده معه ، وقد ثبت القدم ، وإن كان الضد حادثا كان محالا ، إذ ليس الحادث في مضادته للقديم (٥) - حتى يقطع وجوده - بأولى من القديم في مضادته للحادث برفع وجوده ، والقديم أقوى (٦) من الحادث .

[و] على كونه ليس بجوهر ولا متحيز ، أن كل جوهر متحيز مختص بحيزه ، ولا بد أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه ، فلا بد من الحركة أو السكون وهما حادثان ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

(١) هو ترتيب أمور غير متناهية ، وأقسامه أربعة . لأنه إما أن يكون في الآحاد المخلصة في الوجود أو لا يكون فيها كالتسلسل في الحوادث والأول إما أن يكون فيها ترتيب أولا . الثاني كالتسلسل في النفوس الناطقة والأول إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعيا كالتسلسل في الملل والمولودات والصفات والموصوفات أو وصفا كالتسلسل في الأجسام ، والأخير دون الأول (تعريفات الجرجاني ٢٩)

(٢) الأول استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي والأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة في جانب المستقبل . والأزلي مالا يكون مسوقا بالعدم .

(٣) في س ، ط (فلما)

(٤) في س ، ط : (بعدم)

(٥) في ط (القديم)

(٦) في ط (أولى)

وعلى أنه ليس بجسم مؤلف من جواهر (١) ، إذ الجسم عبارة (٢) عن المؤلف من الجواهر ، وإذا بطل كونه جوهر اختصاصا بجزء ، بطل كونه جسما .

وعلى أنه ليس بعرض (٣) قائم بجسم : ولا حال في محل ، أن العرض ما محل في الجسم ، وكل جسم فهو حادث ، ويكون محدثه موجودا قبله ، فكيف يكون حالا في الجسم ، وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ، ثم أحدث الأجسام ، والأعراض بعدها .

وعلى أنه عالم قدير [٢٠ ب] وهذه مستحيلة على الأعراض ، وقد تحصل من هذه الأصول أنه مستقل بذاته ليس بجوهر ولا عرض .

وعلى تنزيهه عن الاختصاص بالجهة : أن المعقول من كونه بجهة أنه مخصص بالخير أو مخصص بالجواهر اختصاص العرض ، وقد استحال ذلك ، وعلى تنزيهه عن المكان ، وأن الاستواء على العرش بطريق القهر والاستيلاء ، وقد استوى بشر على العراق ، فلنزل على المسلمين والاستقرار لزم كونه جسما ماسا للعرش وهو محال .

وعلى كونه (٤) مرتباً بالبصر في الآخرة . كما جاز (٥) أن يعلم من غير كيفية ولا صورة جاز أن يرى كذلك .

وعلى أنه واحد قوله : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

(١) سبق التعريف بالجواهر

(٢) في : س ، ط (من المؤلف)

(٣) العرض ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاءه بعد وجوده .

(٤) في : ط « لونه » وهو تحريف

(٥) في ط « جاء » وهو تحريف

وعلى أنه قادر أنه من رأى ثوبا حسن الرقم ، ثم توهم أن يتجه صدوره
عن ميت ، أو إنسان من غير قدرة لم يعد من العقلاء .
وعلى أنه عالم . لا دليل أقرب من قوله : « ألا يعلم من خلق » فقد
أرشدنا إلى الاستدلال بالخلق على العلم :

وعلى أنه حي . من ثبت علمه (وقدرته)^(١) ثبتت حياته .
وعلى كونه مربدا لأفعاله . أن كل فعل صدر عنه أمكن صدور ضده .
وما لا ضده أمكن أن يصدر ضد (٢) ذلك منه بعينه قبله أو بعده ، والقدرة
تناسب المندبين والوقتتين مناسبة واحدة ، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة
إلى أحد المقدورين .

وعلى أنه سميع بصير . بأن السمع والبصر كال ، فكيف يكون الخلق
أكل (من خالفه) (٣) وعلى أنه متكلم بكلام هو وصف قائم بذاته ليس
بحرف ولا صوت . الكلام في الحقيقة كلام النفس ، والأصوات قطعت
الحروف للدلالة . وقال الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
ومن قال لسانى حادث ، وما يحدث فيه بقدرته الحادثة قديم ظاهر الجهل .
وعلى أن كلامه القائم بنفسه قديم ، وكذلك جميع صفاته ، فإنه يستحيل أن
يكون محلا للحوادث (بل يجب لصفاته من نعت القديم ما يجب لذاته .
لأن محل الحوادث)^(٤) لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وإنما يثبت نعت الحدثان للأجسام .

(١) ساقطة من الأصل

(٢) فى : ظ « ضده »

(٣) ساقطة من : س ، ظ

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من : س

ويتفرع من هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث الأصوات الدالة عليه .

وعلى أن علمه قديم ، وأنه لم يزل عالما بذاته وبما يحدثه . وبه حدثت المخالقات ، وهي متشوقة له قبل حدوثها . إذ لو خلق لنا العلم بقدم زيد عند الفجر ، ودأب ذلك العلم تقديرا حتى طلوع الفجر ، لكان قدوم زيد عند طلوعه معلوما بذلك العلم من غير تجديد علم آخر .

وعلى أن إرادته قديمة متعلقة في القدم بإحداث الحادثات في أوقاتها ، على مقتضى العلم ، أنها لو كانت حادثة بذاته لصار محلا للحوادث ، وفي غير ذاته لم يكن هو مريدا بها ، ويفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى ، ثم أخرى ويتسلسل .

وعلى أنه حي بحياة ، وعالم بعلم ، وكذلك جميع الصفات ، بأن قول القائل عالم بلا علم وحي بلا حياة ، كقوله سخاء بلا مال ، وعلم بلا عالم ، وهو غير متصور ، فإنها متلازمات ولا يتصور فعل بلا فاعل ، ولا فرق بين جواز انفكاك العلم عن العالم ، وانفكاكه عن المعلوم .

وعلى أن كل حادث في العالم اختراعه ، وكل فعل لخلقفه فهو فعله ، إن قدرته تامة [٢١] متعلقة بحركة أبدان العباد ، والحركات متعاقبة ، وتعلق القدرة بها لذاتها ، فما الذي قصر تعلق القدرة على بعض الحركات ؟ وإحكام بعض الحيوان للصنائع مسح كونها ليست ذوات فبكر ولاورية من الدلائل (١) .

وعلى كونه متفضلا بالإيجاد من غير وجوب . أن المراد بالواجب ، إما الفعل الذي في تركه ضرر ، إما آجل ، كما يقال يجب على العبد طاعة مولاه ، أو عاجل ، كما يقال يجب على العطشان أن يشرب الماء حتى لا يموت ،

(١) لأن مناط الاختراع عند المخالفين وهو العقل مفقود عندها فلم يبق إلا التفسير بالإلهام الإلهي ، وذلك مثل إحكام الطيور لأعشاشها ، وامتداء سمك السلمون لوطنه بعد إبعاده عنه

أو يراد به الذى عدمه يؤدى إلى محال ، كما يقال وجود المعلوم واجب ، إذ عدمه يؤدى للمحال ، فإن أراد بأن الخلق واجب عليه بالمعنى الأول فقد عرضه للأضرار^(١) أو الثانى فهو مسلم ، إذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم ، (أو الثالث فهو غير مفهوم)^(٢) ، فإن قال يجب لمصلحة عبادة فهو فاسد ، لأنه إذا لم يتصور ترك مصلحة العباد لم يكن للوجود^(٣) فى حقه معنى .

وعلى جواز تكليف ما لا يطاق عليه . أنه لو لم يحز لاستحالة سؤال رفعه^(٤) ، وقد سئل فى القرآن ، وأخبر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم)^(٥) بأن أبا جهل لا يصدق ، ثم أمره أن يصدق ، وعلى أن له إيلا من الخلق من غير جرم سابق ، فإنه متصرف فى ملكه ولا يتصور أن يعدو ملكه ، والظلم التصرف فى ملك الغير ، وهو محال عليه ، ولا يستل عما يفعل ، لأنه لا يجب عليه شيء ، ولا يعقل فى حقه الوجوب .

وعلى أن معرفة الله وطاعة واجبة بإيجاب الله والشرع لا بالعقل . أن العقل إن أوجب الطاعة . فلغير فائدة . وهو محال . إذ العقل لا يعي ، أو لفائدة . فيرجع [العوض] إلى المعبود ، وهو منزّه عن الأعراض والفوائد ، أو للعبد^(٦) وهو لا غرض له فى الحال بما يتعبه ويصدق^(٧) عن شهواته وليس فى المال إلا ثواب وعقاب . ولم يميز ذلك إلا الشرع .

(١) فى : س « للضرار » .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من « ط » أما عدم فهم ، فلأنه تحصيل حاصل وهو الوجوب العقلى لأن عدم وجود المعلوم يؤدى إلى المحال

(٣) فى الأصل « الوجود » والتصحيح من « س » ، ط » .

(٤) فى « س » ، ط » (دفعه) ولا تحتمل ما لا طاقة لنا به

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل « وزيد من . س » .

(٦) فى : س . والعبد .

(٧) فى : س : (ويصرفه) والمقصود أنه لفائدة تعود على العبد عاجلاً من ترك الشهوات

ومن المجاهدة فى العبادة .

وعلى أنه لا يستحيل بعث الأنبياء لكون العقل مندوحة عنهم ، أن العقل لا يهتدى إلى الأفعال المنجية في الآخرة ، فإن العقل لا يهتدى للأدوية المنجية من المرض ، كذلك لا يهتدى المنجية في الآخرة سواء . فالنبي طبيب يعرف صدقه بالمعجزة ، كما يعرف صدق الطبيب بالتجربة .

وعلى أن الله نسخ بشريعة نبينا (محمد) ^(١) صلى الله عليه وسلم الشرائع وختم به النبيين ، المعجزات ^(٢) ، ونطق الجمادات ^(٣) ، والقرآن الذي قطع به معارضة العرب في عنفوان البلاغة ، وعصمته مع الإجماع على قتله ، وإتيانه بالحكم ، وإنباؤه بالغيب مع الأمية ^(٤) ، ووجه دلالة المعجزة على صدقه : أن كل ما عجز عنه البشر : لا يمكن أن يكون فعله إلا الله ، فهما كانا مقرونا بتحدى النبي ، نزل بمنزلة قوله صدقت . كقول ^(٥) من يخاطب الرعية عن الملك بين يديه ويقول : إن كنت صادقاً قم عن ^(٦) سريرك ثلاثاً واقعد . فإنه إن فعل الملك ذلك ؛ حصل العلم الضروري أن قوله بمنزلة قوله صدقت .

وعلى صدق ما أخبر به من حشر ونشر . إمكانيه عقلاً . ومعناه الإعادة : أنه مقدور له كابتداء الإنشاء ، والإعادة ابتداء ثان ، فهو ممكن كالأبتداء الأول .

وعلى فتنة القبر والملكين : بأنه ممكن ، إذ ليس يستدعي إلا إعادة ^(٧) (الحياة) ^(٨) مجزء من الأجزاء يفهم به الخطاب . وهو ممكن إذ النائم

(١) ساقطة من : س ، ط

(٢) في الأصل « بالمعجزات »

(٣) في : س « الجماد »

(٤) في : ط « الأئمة » تحريف

(٥) في : ط « لنول » تحريف

(٦) في : ط ، « إلى سريرك »

(٧) في : س ، ط . « الإعادة »

(٨) ساقطة من : س ، ط

سأكن بظاهره ، وهو يدرك الآلام بباطنة ، ويحس بأثر هذا^(١) عند (التنبيه)^(٢) وعلى الميزان والصراط أن (الله)^(٣) القادر على الإيجاد ، قادر أن يحدث في الأعمال وزنا تصير به [٢١ ب] معلومة . وكما يسير الطير في الهواء ؛ يسير^(٤) الإنسان على صراط .

وعلى خلق الجنة والنار ، إجراء قوله « أعددت » على الظاهر ؛ فهذه تفاصيل من^(٥) البرهان والإقناع ، وما وراء ذلك من إقامة القواعد فمى من السمعيات ؛ وشأنه منه شأن غيره ؛ ولو وجدنا أقرب إلى النفوس العامة مما جلبنا لجلبناه ؛ فكتابنا مقصوده غير هذا ، ولو فرغناه للكلاميات لأجهدنا واخترنا وانتقينا ؛ والأحاطة لله .

وشرط الوجوب في هذا الجدول مع الاختصار ؛ هو لباب (ما)^(٦) تقرر من هذه المسائل الجارية بحرى الاستدلال ؛ وترك ما يقع فيه التوقيف إلى التوفيق^(٧) ؛ والقصد به إلى الأهم فالأهم ؛ والله ولى الإرشاد سبحانه (لا إله إلا هو)^(٨) (رب العرش العظيم)^(٩) .

(١) فى : ظ . باثرها ، وفى س . ويحس بها

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من س ، ظ

(٣) ساقطة من : س ، ظ

(٤) فى : ط . بصير

(٥) فى الأصل : بن . والبرجيج من : س ، ط

(٦) ساقطة من : ظ

(٧) فى : ط ، س . التوقيف خطأ

(٨) ساقطة من : ط

(٩) ساقطة من : س ، ظ

الفصل الثالث

في المقدار المحتاج إليه من هذا الماء

قال المؤلف (رحمه الله) (١)

ولما كانت حركات الفلاحة في غرس الأشجار ، وبذر أصناف النبات
يحصرها زمان محدود ، وفصل موجود ، يسمى العمل في أوله مبادرة وتبكيراً
وفي وسطه توسطاً واعتدالاً ، وفي آخره تأخيراً ونفويثاً ، وإن أفرط سمي
خساراً وتضييعاً وإن فرط (٢) خرج الوقت ، ولم ينظر في الإسم ولا في المسمى ،
ولا يمكن رد الوقت ، ووقع الندم ، وتقطعت الأسباب ، وضفرت الكف
وكذلك هذه الفلاحة ، فصلها المقدر لها العمر . بين (٣) إئارة مدره
واجتناء ثمره ، ولم يتبين حده ، ولا تعين غرضه .

ومباشرها وهو الفلاح يتوقع الفوت ، وخروج الفصل مع الأنفاس ،
فإن تشاغل صاحب هذه المهنة باستمظام المياه ووزنها ، والاستكثار من
تعرف أوصافها ، والنظر في المياه بحكم الانجرار : من أجاج وملح ،
وعذب ومشروب ، وزعاف متروك ، وإحصاء المنافع وهيئاتها (٤) ، ونسبها
إلى الأماكن ، وذكر ما تمر به في جداولها من الأحواز ، وما تنبته حافاتها
من العشب على اختلاف ، ([ف] قد) (٥) ضاع له الوقت في غير فائدة ،

(١) في : س ، ط ، (رضى الله عنه)

(٢) في جميع الأصول (ولأن زد خرج الوقت) وما أثبتناه أوضح .

(٣) في : ط (من إئارة مدره)

(٤) في : ط (ومستأها) وهو تحريف . وفي : س (وحياتها)

(٥) ساقطة من : ط ، س

وكذلك إن جلب من هذا الماء (مقداراً^(١)) فوق الحاجة مع غنى هذه الأرض وودكها^(٢) وكرمها، ساء أثره، وأفسد المسالك والمشارب إكثاره، وغمر، طبيعة الأرض برده، وحشد^(٣) الخصب كثيره، ومرج الأرض نفعه، وكثر العشب إغراقه^(٤) وركوده، وتعذر على الفلاح عند الضجر به قطعه، وأعياءه من شدة ردمه، وكان بعلاجه عن ضرورات الفلاحة شغله، وضايقه في مصلحة الأرض همه به وفكره، والله در القائل .

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهى

والأستصحاب^(٥) عند خوف الإفساد مشروع، ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم «حوالبنا لأعلينا» معروف، وقوله «نافعا غير ضار» مشهور، ولا حاجة بصاحب الفلاحة إلى علم مالا يفيد عمل الفلاحة، من حيث كونه فلاحاً، ومالا يحقق^(٦) به أصولها وفصولها، وبقدر^(٧) توافر اقتدائه بمشيختها، أولى الشهرة وأعلام الاقتداء، الذين أثروا من كدها، واستغنوا عن محاولتها^(٨) تكون قرة عينه، وصلاح غلته، وزكاه ريعه، إذا وافق مشيئة ربه .

وقد قطع كثير من الناس في زماننا وقبله الاشتغال بعلم هذه الفلاحة عن عملها في المدن والمجتمعات، فكانت لهم الشهرة [١٢٢] بالكلام

(١) ساقطة من : س . وفى : ط (كذا فوق الحاجة)

(٢) الودك دسم اللحم واستعير هنا للأرض الخصبة

(٣) فى : ط « حشر » تحرر

(٤) فى : س ، ط : وكثر العشب إغراقه

(٥) أى استصحاب العلم المناسب للفلاحة والأدعية . وفى : ط . الانحضر

(٦) فى الأصل « تحيقف » نصحيف

(٧) فن : ط : « بعلى » نصحيف

(٨) فى الأصل « عن محاولتها »

في الآلات ، وأوصاف السائمة ، وتفصيل الحبوب^(١) ، وتقدير الشروب
والمهارة في معرفة الأنواء والتراؤس على الزارعين ، وكانوا عند فوز
العاملين بنتائج كدهم ، وفوائد إيمانهم عالة يقفون^(٢) بين يدي الفائز بالجني ،
العائد من نصيب الكد بذيل المني ، ينادون « تصدق علينا إن الله يجزي ،
المتصدقين » ولا يجمل بذى المروءة أن يكون كلا على غيره ، ولا يحك جلد
أحد مثل ظفركه^(٣) . جعانا الله بمن أرشد سعيه ، ووفق قصده .

وعند أخذ الكفاية من السقي ، وصرف الوكد^(٤) ، إلى رعى مصلحة
الأرض وتحليه ما بينهما وبين شمس تجلى الحق ، ألقت ما فيها بإذن ربها
جل جلاله ، فلاح العجائب الغائبة ، ووقع الانتقال من درجات المعاملة
إلى الكشف ، ثم اعتلقت اليد بالعروة الوثقى ، « والله يجتبي إليه من يشاء
ويهدي إليه من ينيب » .

(١) في الأصل « المحبوب » .

(٢) في الأصل « يقفون »

(٣) شير إلى قول الشاعر :

ما لك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

(٤) ن : ط « الولد » تحريف .

الفصل الرابع

في غبار التكوين، وسبب التكيف والتلوين

قال المؤلف (رحمه الله)^(١)

وبحسب دمن هذه الأرض يكون ريعها .

وهو قسمان :

حلال يركى الفلاحة وينفعها ، وحرام يذهب البركة ويرفعها ، فنزلة
الحلال لديها منزلة إدامتها بما جرب غبطه ، وخبر نفعه . وظهر على الخضر
سره ، ومنزلة الحرام منها منزلة إدامتها بالرماد والجيار ، وذريع البحار^(٢)
يملاً الأرض سما ، ويوسعها ضرا ، ويقطع منها النبات رأسا .

وتم غرض ثالث : وهو ما نخل^(٣) من قشم^(٤) الحلال بمنخل الورع
حتى لم يبق فيه العلاج حجرا صلدا ، ولا عظما صلبا ، ولا بذرا مضرا ،
وأرض هذه الشجرة بخصوص لا تحتاج من هذا الغرض إلا بلغة يسيرة ،
مما عولج بمنخل الورع ، فهي لزكاتها عنه غنية ، وبالزهد فيه كريمة سنية ،
والتشوف إلى أصنافه محال على كتب الفقه فلينظره فيها من أراد .

(١) في : س ، ط «رضى الله عنه» .

(٢) ما يجلبه الماء للآح من فساد الأزرع

(٣) في : ط (يخل) تحريف .

(٤) من معاني القشم تنقية الطعام الرديء من الجيد والمراد هنا تصفية المباح مما فيه شبهة

بميزان الورع ، وهو تحرى الحلال الخالص من شبهة الحرمة ، ولو كان مباحا .

الاختيار الرابع

في الحرث وإخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم والفرث
وينقسم إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول من الاختيار الرابع

في القايب الأول

قال الله عز وجل :

« من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » .

وهذا القليب هو شق الأرض بمحراث التكليف ، وتتهيئها لما يراد منها من إيداع بذر ، وغرس نواة ، والمقصود به الطهارة من الأحداث الظاهرة ، والأحداث والنجاسات من [تناول] جماد أو حيوان أو أجزائهما ، حسبما فصل في كتب العبادات من الفقه .

والمستعمل في إلزائها جامد كالخجر ، ومائع وهو الماء الذي لم يفاحش تغيره ، وصورة الطهارة تنظيف الجوارح الخاصة ، ثم تنظيف البدن على العموم ، من استنجاء ، ووضوء ، وطهارة كبرى^(١) ، وكل ما لا يتوصل إلى واجب العبادة إلا به .

وصورة التيمم النائب عن الماء إذا تعذر ، كل ذلك متداول معلوم

(١) هي الفسل من الجنابة .

الشروط والأركان ، معروف المظان من كتاب ، ومعلم أهل الأسواق كثير الوجود والحمد لله .

ثم الصلاة ، وحركاتها ، وكونها من نية وتسكير وقراءة ودكوع وسجود وقيام وقعود وتشهد معروف أيضا [١٢٢] ، واختلافها في العدد والسر والجهر بحسب ليل ونهار وجمعة وعيد وجنازة وخوف واستسقاء ونافلة معروف ، [وما] يتخللها من آداب ومنهيات ، وإصلاح علل ، وإزاحة خلل ، ودعوات ووسائل كثير ، وموجود مشهور ، معقود الخلق مفتاح الفلق .

ثم الزكاة ، وأنواع الزكاة من النعم السائمة ، والنقدين (١) ، والتجارة ، والمعادن ، والركاز ، والمعشرات (٢) ، وزكاة الفطر ، وشروطها من الملك والنصاب ، وحلول الحول ، وتحقيق نوع المزكي ، وجعل ذلك في الأصناف الثمانية المذكورة في القرآن (٣) .

ثم الصوم ، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والمواقعة من (٤) فجر اليوم المصوم (فيه) (٥) ، إلى مغيب شمس (٦) بشروط ذلك : من رؤية (٧) الأهلة في الفرض ، والنية والإمساك عمدا ، و [ما] يتبعه من الفضائل سحورا وسواكا ، واعتكافا وكفا للسان ، ويلحق به من التطوع والأوراد ماهو أيضا معروف والحمد لله .

(١) في الأصل (النقدان) خطأ .

(٢) الركاز المال المدفون . والمعشرات ما يجب فيه العشر أو ربع العشر .

(٣) جمعت هذه الأصناف في قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعلماء » عليها

وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » .

(٤) في : ظ (في) تحريف .

(٥) ساقطة من : ط ، س .

(٦) في : ط ، س (شفقه) .

(٧) في : ظ (رواية) تحريف .

ثم الحج وما يشتمل عليه من ركن وشرط ، بحسب مراعاة حجة الإسلام وغيرها ، كالوقت والدين والبلوغ والحرية والعقل والاستطاعة والإحرام والسعي والطواف والحلق ، وأحكام العمرة وما يتبع ذلك كله من أدب ونسك ودعاء ونية ، ثم كمال زيادة ، وهذا أيضا كله مقرر معروف ، حتى لا يخلو مصر من حاج قد تعلمه ، ومن رفقائه ^(١) تعلمه ^(٢) ، والحمد لله .
ويكون هذا القلب الأول لنظر ناظر الإسلام ، ولنقتصر منه على هذا القدر .

(١) في الأصل (رفقائه) .

(٢) في الأصول (تسلمه) . وما أثبتناه أوضح .

القسم الثاني ، وهو إعادة السكة^(١)

وهو في الطهارة وتطهير الجوارح من الجرائم والآثام ، بكفها عما ينكر شرعا من وظائف أذن وعين ولسان وفم ويد وفرج ورجل ، ولكل واحد من هذه الأعضاء تصرفات تخصه :

ثم في الصلاة ، وهو تحصيل المعافى التي تتم بها حياة الصلاة ، من الحضور بالقلب ، والتفهم للذكر ، والتعظيم لله ، والهيبة لمناجاة الله ، والحياء من الله .
ثم في الزكاة . وهي أن تعلم أن الزكاة تمام للوفاء بكلمة التوحيد ، للاستهانة بالمحبوب للنفس وهو المال ، في سبيل المحبوب الموحد ، وتطهير النفس من صفات البخل ، وشكر نعمة المال وأمثال ذلك .

ثم في الصوم كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام كما تقدم .

وفي الحج يجعل الوجهة إليه أنمر ذجا من القدوم على الله ، ومفارقة الأهل بقصد السفر بمفارقتهم برحلة الموت (والزاد ، إشارة إلى زاد التقوى ، والراحلة الموت)^(٢) إلى الدار الآخرة ، وهي الجنائز المقطوع بركوبها ، والثوب غير المخيط للإحرام السكفن ، ولفه فيه ارتداؤه ، وأمثال ذلك من التلبية ، وإجابة أذان الله ، وإقبال الخلق من كل فج عميق حشرهم وازدحامهم في عرصات القيامة ، والطواف بالبيت حال الملائكة الحافين من حول العرش^(٣) ، والنظر إلى البيت النظر إلى صاحب البيت جل جلاله ، وأمثال هذا . ويكون هذا الحرت الثاني لنظر ناظر الإيمان .

(١) السكة : أى المرة من حرت الأرض ، والمراد تعاهد النفس بالبرية والرقية مرة بعد مرة .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) في : س . (بعرض الله) وفي الأصل ، ظ . (يحول العرش) وما أثبتناه أوضح

القسم الثالث ، فى الطهارة

[وهى] تطهير القلب عما سوى الله ، ووضوؤه (١) تنقيته (٢) عن الأخلاق المذمومة ، والشهوات الممقوته .

وفى الصلاة صحة وجهته [٢٣] ، وانتصابه فى قبلة التوحيد .

وفى الزكاة خروجه عن قنية عوائده .

وفى الصوم صومه عما سوى الله ثم صومه عن رؤية صومه (٣) ، ويحصل الفطر من هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله .

وفى الحج بخروجه عن نفسه إلى مقام التجريد عن أهواء (٤) (نفسه) (٥) وموته عن عوالم عوائده .

وبالجملة فى الجميع تطهير السر عن السوى ، وصرف وجهه (٦) الهمة إلى الحق ، وبذل كل محبوب سواه ، والصوم عن رؤية الصوم ، والحج إلى فضاء الشهود (٧) ، ويكون هذا الحرث الثالث لنظر ناظر الإحسان .

وهذه العارة منها ما يتقدم الغرس ، ومنها ما يتأخر عنه ، ويتخلل هذه الأعمال من نكث (٨) العمل ، وفوافل الخير ، ودواعى تأكد الميل ، وتحرك قوى المحبة كثير ، والله عنده حسن المسأب .

(١) فى الأصل (وضوئه) .

(٢) فى الأصل ، س ، ظ (وتنقيته) .

(٣) أى لبيان صومه . وعدم النظر فيه على أنه عبادة لله ، بعد عقد النية ابتداء . وذلك هو الفناء عن العمل .

(٤) فى : س . (وأهوائه) .

(٥) ساقطة من : س .

(٦) فى : ظ (وجه الهمة) .

(٧) أى أن العابد يجب أن ينفى أعمال العبادة ويتوجه أننا ها إلى الشهود الانهائى الخالى من التشبيه والتمثيل .

(٨) فى : ظ (منكر نكث العمل) تحريف .

وعند تمام العمل ، وفوز اليد بالغلة ، والنظر إلى هذه الفلاحة بعين الجمع (١) يتجلى له سر قوله تعالى : « أفرايتم ماتحروثون . أنتم تزرعون أم نحن الزارعون » ، وتعام الإشارة يلمح من طاق أقسام المحبة إن بلغنا الله إليه (٣) .
(قال (٤)) أبو الفرج : إذا استصلح القدر أرض قلب ، قلبها بمحراث الخوف ، وبذر فيها حب المحبة ، وأدار فيها دولاب العلم (٥) ، وأقام ناطور المراقبة ، فاستوى زرع التقى على سوقه .

تنبئ به :

ولا يعارض إحكام عمل الفلاحة كون ما يفرس (٦) شجرة لاجبوا ،
ففلاحة الأرض أصل لما يزرع (٧) ، ثم إننا نجعل عوض العشب الذسيم عشباً
كربما ، ولا بد في هذا كله من الإثارة ، وتسميم عمل الفلاحة .

(١) الجمع يستدعي الكلام عن التفرقة ، والفرق مالمسب إليك ، والجمع مالمسب عنك ، ومعناه أن ما يكون كسبا للعبد من إقامة وطائب العبودية ، وما ياتي بأحوال البشرية فهو فرق . وما يكون من قبل الحق من إبداء معان ، وإبتداء لطب وإحسان فهو جمع . ولا بد للعبد منهما . فن لا تفرقة له فلا عبودية له ، ومن لا جمع فلا معرفة له ، وقد جمع بينهما في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فالفرق بداية الإرادة والجمع نهايتها . الجمع هو شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة إلا بالله . وأما جمع الجمع فهو الاستهلاك بالسكينة والقاء عما سوى الله وهو مرتبة الأحدية .

(٢) سورة الواقعة .

(٣) في : ظ « به » .

(٤) ساقطة من : ظ ، س ،

(٥) في جميع الأصول « دولاب العين » وما أثبتناه أوضع . والمراد بإدارة دولاب العين نزع الدموع . التي تقوم مقام عين الماء للزرع .

(٦) في : ظ ، س ، يفرسه » ،

(٧) في : ظ ، س « يفرس » .

الاختيار الخامس

في تنظيف الأرض المعتمرة ، من الأصول الخبيثة
والحجارة المعترضة ، والعشب المذموم
وفيه فصول

الفصل الأول

في قلع الأصول المفسدة

وهي جذرة ^(١) قدم ^(٢) العالم ، وجذرة أن الله لا يعلم الجزئيات ، وجذرة
الاتحاد والحلول ، وجذرة الكسب والجبر والقدر ، وجذرة التماسخ ،
وجذرة الإباحة .

وهذه هي أمهات الشكوك ، التي تعارض السكة أصولها ، وتضايق الشجرة
جرائيمها ، فإذا نقيت الأرض منها وجدت عروق الشجرة مسارب ^(٣) في
الأرض فسيحة ، ومسالك في انترب نافذة ، فليحل الفلاح عليها أفوس
الأدلة ، ويجتهد في الإراحة من هذه العلة .

جذرة قدم العالم ^(٤) يخرجها من الأدلة العقلية تقدير أن جميع العالم جائز
الوجود لا واجبه ، بدليل جواز الآحاد ، والجمل متركبة منها ، ولأن العقل
ينظره ^(٥) لا يحيل انتفاء كونه (ثم) وجود ^(٦) الآحاد على اختلاف صفات

(١) الجذرة الواحدة من البسات .

(٢) في : س ، ظ (حدث لعالم) وهو خطأ لأن اعتقاد حدوث العالم ليس من أمهات

الشكوك . كما قرر المؤلف .

(٣) في : س (مشارب) .

(٤) في الأصل : جذرة حدوث قدم العالم . وفي س ، ظ حدوث العالم .

(٥) في : ظ (ينظر) .

(٦) ساقطة من ظ ، س .

وأحوال وأوقات دليل على أنه (١) متخصص باختيار ، والمتخصص بالاختيار يلزم في العقل أن يكون فعل فاعل مختار ، فثبت بهذا حدوثه وجود محدث مريد قادر .

ومن السمعية : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض » . « الله خالق كل شيء » . « إنا كل شيء خلقناه بقدر » . « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » . « والله خلقكم وما تعملون » .

ومن الحديث « كان الله ولا شيء معه » وهو معنى اسمه الأول . وهو الأول والآخر .

وانتفتت الشرائع أن مبدأ نوع الإنسان : إنسان هو أبو البشر كلهم : آدم .

جدة علم الله الجزئيات ، خلافا لمن ذهب إلى إنكار ذلك [٢٣ ب] . يخرجها من الأدلة العقلية : تقدير أن اختلاف آحاد العالم بالصفات والأحوال والأوقات يستلزم في العقل تخصيصا بإرادة ، والمراد يجب أن يكون معلوما ، إذ لا يتوجه القصد إلا على ما يدخل في العلم ، فلا يقع من المقدير جزء ما (٢) إلا تخصيصا بالإرادة التابعة للعلم .

ومن السمعية : « إن الله بكل شيء عليم » . « وأن الله قد أحاط بكل شيء علما » ، « وأحصى كل شيء عددا » ، « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها » [ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين] ، « وهو بكل خلق عليم » « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

(١) أي العلم .

(٢) في : ظ . س (جزاما) تحريف ،

تفسيه :

فإن قيل : ما لا يتناهى من الممكنات لا يصح دخوله في الوجود . لأن وجود المخلوق متناه . فكيف يصح في العلم وهو حاصر للمعلوم ، والحصر تناء (١) . قيل : هذا نظر في كيفية تناول العلم القديم لمعلومه ، وذلك مجاوز للعقل (٢) ، وهكذا في جميع الكيفيات المضافة إلى القديم ، ولا قياس في العلم القديم الذى لا يتناهى ، على العلم الحادث المتناهى ، لاسيما والعلم المخلوق قاصر متعدد بتعدد المعلومات ، والعلم القديم واحد عام (٣) ، فهو تعالى يعلم ما لا يتناهى بعلم لا يتناهى .

وقول من قال في العلم القديم : إنه يتعلق بالكليات . إن أرادوا بالكليات نسبة جامعة لجزئيات المعلومات ، فلم يخالفوا . وإن أرادوا أن الأحاد والجزئيات غير معلومة ، فإن كانت مما سيوجد فيلزم أن تتعلق بها (٤) الإرادة بالسكون ، ولا يصح في العقل أن يراد ما لا يعلم ، وإن كانت مما لا يوجد . وتلك النسبة أمر عام - فهذا غير معقول . إذ لا يعقل أن تعلم نسبة جامعة لحقائق (٥) إلا مع العلم بتلك الحقائق .

(١) أى كيف يصح دخول ما لا يتناهى في العلم بينما العلم يحصر المعلوم والحصر تناء في الوجود والأعراض جندل صرف كما ترى ..

(٢) في الأصل (مجاز العقل) وكذا في . س وفي : ظ (مجاز العقل) .

(٣) أى عيط إحاطة شاملة أزلية أبدية . مثلاً . إذا رأينا نخلة فإن حدود علمنا . أنها زربت سنة كذا وعلبت فسبلتها من مكان معلوم وزرعها فلان وبيع بعض ثمرها في سوق كذا ويهدى بعضه وبأكل بعضه . أما عام الله تعالى فيتوغل في الأزل في نسبها . ويعلم من الأزل إلى الأبد تحديد كل ثمرة ومن سبأ كلها ونواها وما يزرع منه وزارعه والأرض التي تزرع فيها وعدد ما ينبت منها من نخل وما يطعم منها من حيوان أو يداس في الوحل ، وما يصنع منها من أدوات . وكل ما يتصل بها يعلمه الله قبل أن يوجد .

(٤) في الأصل (به) .

(٥) أى نسبة عدم الوجود للجزئيات التي لا توجد لا يمكن أن تعلم هذه النسبة أو هذا الحكم بعدم الوجود . إلا بعد العلم بتلك الحقائق التي حكم عليها بعدم الوجود .

جعدة الاتحاد والحلول:

وهما من مقالات النصارى، وأن الإلهية حلت في عيسى أو اتحدت به ، وبذلك كان يرى^١ الأكمة والأبرص ويحيى الموتي ، وهذا لا يكون إلا بالقدرة القديمة (١) وهو باطل .

ومن أدلته العقلية : أما الحلول فيلزم منه الافتقار والحاجة إلى محل ، والمجاسة (٢) والانتقال ، وهذه صفات الأجسام .

و [أما] الاتحاد فتقرير الرد عليه : أن الثنوية إذا اجتمعت ، إن هي بقيت فلم تنحد ، وإن زالت فلم تجتمع ، (٣) وإن أرادوا أن الصفة التي هي القدرة القديمة حلت أو اتحدت ، فزائلة الصفة القديمة لموصوفها محال في العقل ، ولا يصح عليها حلول ولا اتحاد بجسم ، ولا انتقال للجسوم .

وأدلة السمع في هذا الباب كثيرة واضحة ، قال الله تعالى : ورسولا إلى بني إسرائيل . . الآية ، وإنما (٤) فعل الله ذلك آية ومعجزة . وقوله « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » .

(١) أي القدرة القديمة الحالة في عيسى بزعمهم .

(٢) في الأصل « وللمجاسة » . تحريف .

(٣) نقل الشمراني في اليواقيت والجواهر عن الشيخ الأكبر قوله : « أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان القمر يجلي لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه . . والمراد بالاتحاد حيث ورد في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق كما يقال بين فلان وفلان اتحاد إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه .

وعلمك أن كل الأمر أمرى هو المعنى المسمى باتحاد

[راجع أيضا . المدح للطوسي مطبوعة نيكاسون : ٤٣٣]

(٤) الاتحاد لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر . فإن بقيت الثنوية أو الثالث بقاء بالإسم . لم تنحد ، وإن زالت الثنوية أو الثالث فليس هناك اجتماع وعليه فلا اتحاد .

(٥) في : ظ « كأنما » .

تنبيه:

ولو جاز أن يحل في شيء أو يتحد به لأمكن ذلك في زيد وعمرو
وذبابه ونملة .

فإن قالوا : إنما قلنا ذلك في عيسى لوجود الدليل من الإبرام والإحياء
فيقال : لا يلزم من عدم الدليل ^(١) عدم المدلول ، بل يفتنى التجويز لما صح
في العقول . تعالى الله علوا كبيرا .

وما يلزم من ذلك غلاة الصوفية ^(٢) فهو يوم هذا الباب وليس (به) ^(٣)
إذ هم قسمان :

(قسم زعم أنه تلاشت رسومه) (٤) ، وقسم تدرج في المراتب غير
المكانية ولا الزمانية يبتغى القرب من الله حتى صح أن [ذلك] حقيقته
العدم ، يعنى أن خلق الله صفته ، فالأشياء سواء أفعاله [٢٤] وصفاته
مع وجود الله عدم . وأنه إنما يتعين وجود وجوده بإدراكه ، وإدراكه
بالله لا بذاته . وفي ذلك أنشدوا :

تمنى المحب يرى علوة وقد شاع في حبه وصفها
أعارته طرفا يراها به فكان البصير لها طرفها .

ويظهر ذلك عند حب الله إياه ، وأنه سمعه وبصره ويده ، فإذا : ليس
ثم إلا الله وأن الخلق له ، ثم به ، ثم لاشيء إلا الله في الوجود . ألا كل

(١) أى من عدم الدليل على الحلول في النمل والذباب وزيد وعمرو ، ووجود الدليل في
عيسى بزعمهم فعدم الدليل في الحالة الأولى لا يلزم منه عدم المدلول أى عدم الحلول في الذباب
وغيره فيلزمهم لذلك القول بالحلول في كل المخالقات وهو محال .

(٢) من أئمة الصوفية الذين دار حولهم الحديث في هذا المعنى . ابن عربى ، والجللى ،
صاحب الإنسان الكامل ، ومحمد بن عبد الجبار النفرى . صاحب المواقف ، والملاحج ، وحلال الدين
الروى صاحب المتنوى .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

٢٠٣

شيء ما خلا الله باطل (١) ، وليس مرادهم أن شيئين صاروا واحدا ، إنما مرادهم أن التوحيد الحقيقي ، هو التخلص من ضيق عالم الحدوث ، إلى فسحة القدم ، وهو ثلاث درجات :

[الأولى] : العرفان التام المترجم عنه بأنا ، وليس إلا الله حقيقة وللسالك وهما (٢) لما استترت البشرية في نور المعرفة ، واتحد العاقل والمعقول ، والعالم والمعلوم ، لاحت للعارف منهم حالة في نفسه ، ليس في الدلالة اللسانية ما يدل عليها ، فساق أقرب الألفاظ الدالة [عليها] ، مع عليه في الحال (الثابت) (٣) بأ (ن الله) (٤) لا يتحد به شيء ، ولا يحل فيه .

والثانية : مقام الحاضر في مقامات المسكافة والمشاهدة ، الغائب عن الغيرية ، وترجمته : أنت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا اصى ثناء عليك ، أنت كما أئنتيت على نفسك » .

والثالثة (مقام) (٥) الغائب المستدل بالآثر ، المحجوب عن العيان بالخبر وترجمته : هو . وهو خطاب الجمهور « هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو » فمن زعم أنه اتحد بالله بعد أن كان غيره وصار معه شيئا واحدا لم يكن من الصوفية والمحققين في شيء ، وهو إلى الهذيان أقرب .

(١) يشير إلى قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

(٢) أجمع الصوفية على أن الخلق لا يجوز أن يكون في رتبة الحق أبداً كما لا يصح أن يكون المعلوم في رتبة العلة .

(٣) ساقطة من الأصل . وفي : س . الحال الثابتة .

(٤) ساقطة من الأصل

(٥) ساقطة من : ظ .

[القسم الثاني]:

ومن زعم أنه تلاشت رسومه ، وفقى عن وجوده ، ثم قى عن فنائه ، وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته ، [الإنسانية] وفقى من لم يكن ، وبقي من لم يزل (١). ترك وتوقف فيه ، إذ الحكم لا يسع على تلك (٢) الحال برد ولا إنبات (٣) لأنها لا تعلم حقيقتها بالبرهان ولا بالنقل ، ومدعيها من أهل الاستقامة ، ولا يصح الحكم على ما لا يعرف ، إنما مستند هذه الدعوى ، الوجدان ، وهى من باب خرق العوائد ، لكن ينبغي ألا يصدق في دعواها كل مدع وأسرار الله لا ينكر فيها الغامض والأغمض ، وهو على كل شيء قدير ، وكان حق هذا الفصل أن يجعل مع الثرة ، لكن استدعته جرثومة الاتحاد ، ويتم الكلام عليه في محله إن شاء الله .

جذرة الجبر والسكسب (٤) والقدر :

وتقرير الحق فيه : أما السكسب فهو فعل يخلقه الله تعالى في العبد ، مقرون بما يخلقه له ، أى متعلقا بذلك الفعل ، من قدرة وإرادة وعلم ، وعلى محاذاتها ، فيضاف ذلك الفعل إلى الله خالقا ، لأنه خالق ذلك كله له ، ويضاف إلى العبد كسبا ، لأنه محله الذى قام به ، ومتعلق صفته ، وعلى

(١) ليس هذا من كمال العبودية عند الصوفية . قال الشيخ الأكبر في لوائح الأنوار .. من كمال العرفان شهود عبد ورب ، وكل عارف في شهود العبد في وقت ، ليس هو بعارف وإنما هو في ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده .

(٢) في : ظ ، س « ذلك » .

(٣) يظهر أن النقاد ، لم يفهموا تلك المسألة جيدا . فن قى عن وجوده ، ثم قى عن فنائه وفقى من لم يكن ، وبقي من لم يزل لا يرى نفسه متعبا بالله تعالى إلا إذا كان زنديقا . بل هو يرى أن وجوده المستعار لا يحكم عليه بحقيقة الوجود ، بل حقيقة الوجود لله تعالى فلا موجود على الحقيقة إلا الله ، أما حال اللاشى التى يحسها فهو مزلة الأقدام ، فن وفقى سلوكه ، شهد في حال التلاشى آثار الأسماء والصفات في أخفى مراتبها ومن المناطق التى لاتصل إليها إلا الأرواح النافذة ، ومع ذلك لاتصل إلى الذات بأى حال من الأحوال ولا يمكن فهم هذه الحالة إلا سلوكا وذوقا .

(٤) في : س « والسكسب » خطأ .

محاذاتها ، وإذا كانت العرب تقول : حركت القضيب فتحرك ، فتجعل الحركة بين فاعلين : حركة المتحرك ، [و] ، فعلا (١) للمحرك ، وذلك (٢) أقرب لمكان القصد والعلم والقدرة .

ثم الطاعة والمعصية للعبد من حيث الكسب ، ولا طاعة ولا معصية من حيث الخلق (٣) ، وما للعبد من الكسب ، لا يجوز أن يضاف إلى الرب من الوجه الذي يضاف إلى العبد ، [٢٤ ب] لأنه من ذلك الوجه نقص ، إذ هو محل له ، مطيع له أو عاص ، وما لله من الخلق ، لا يصح أن يضاف إلى العبد ، لأنه إيجاد من عدم ، والفعل موجود بالقدرة القديمة ، لعموم تعلقها ، لا بالقدرة الحادثة ، فالحادثة تتعلق ولا تؤثر ، وهي تصلح للتأثير لولا الممانعة ، وهي بالمنع أحق من القدرة القديمة عند التوارد ، وكلتاها متعلقة به ، ولا نكير في قدرة متعلقة ولا تؤثر ، فإن القدرة القديمة في الأزل متعلقة بالممكنات كلها ، ولا أثر في الأزل لها .

وهذه الطريقة السنية جمعت الدلائل السمعية قال تعالى في الخلق : « الله خالق كل شيء » . « إنا كل شيء خلقناه بقدر » « والله خلقكم وما تعملون » . وفي مخاطبة العباد بحسب حظهم « تعملون » . « تفعلون » . « تكسبون » . « تصفون » . وأخبر عنهم [فقال] « من يعمل من

(١) في : س ، ظ . كررت كلمة « فعلا » مرتين

(٢) في الأصل « بذلك » وكذا في : س ، ظ

(٣) حينما خلق الله الذهب والفضة ، لم يكن يجري عليهما حكم الحلال والحرام ، أو الطاعة والمعصية ، بل هما من حيث الخلق مجردان من الحكم بأحدهما فلما وجد الناس وتكاثروا حكم على من يكثر الذهب بالمعصية ، وعلى من يسرف فيه بالمعصية وعلى من يتدل وينفق بالطاعة ونفس إمسك الذهب وأفتنائة لا يحكم عليه بطاعة ولا معصية ، ولكن الطاعة والمعصية من حيث سياسة العبد للذهب والفضة . ولا يقال إن الله يخل على يد فلان ، ولكن يقل : إن فلانا يخل بما أعطاه الله حللا فصار معصية يخله هو .

الصالحات » « ومن يكسب خطيئة أو إثما » . « فاتقوا الله ما استطعتم » .
« لمن شاء منكم أن يستقيم » .

وأما الجبر فنفي الكسب وإثبات الخلق (١) ، وأن العبد في قبضة القدر
كالميت بين يدي الغاسل لا علم له ولا اختيار ولا قدرة . هذا مذهب الجبرية .
جحدوا الضرورة ، وخالفوا الأدلة المسموعة ، تقريره : أما جحدهم
الضرورة فلأن الإنسان منا (٢) يفرق من نفسه بطريق الوجدان بين حركة
اختيار واضطرار ، فحركة المختار تبين حركة المرئش . فجحدوا بما

(١) وخلاصة مذهب الصوفية في الكسب . . أن العباد لا يتحركون ولا يتنفسون
إلا بقوة يحدتها الله تعالى فيهم ، واستطاعة يتلقاها لهم مع أفعالهم ، لا تتقدم ولا تأخر
من الفعل ، وللعبد كسب يثاب عليه ويعاقب ، وهو مناط التكليف ومعناه أن يفعل بقوة محدثة
ويرى بعضهم أن الكسب أن يفعل لجر منفعة أو دفع ضررة لقوله تعالى : لها ما كسبت .
وعليها ما اكتسبت . وأجمعوا على أن الناس يختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا بمحمولين
ولا مستكرهين ولا مجبرين ، ومعنى أنهم يختارون عندهم أن الله خلق لنا اختيارا فاتفقوا الإكراه
في الأفعال وليس ذلك على النفوس . وفي ذلك يقول الحسن بن علي رضي الله عنهما . . « إن
الله لا يطاق إكراه ولا يعصى بخلية ولا يهمل العباد من المملكة » . ويقول سهل التستري
رضي الله عنه . « إن الله تعالى لم يقو الأبرار بالجبر إنما قوام باليقين » ويقول بعضهم « من
لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر » وجهورهم على أن الجبر
مستحيل ، قالوا إن الجبر لا يكون إلا بين المتنعين ، وهو أن يأمر الأمر ويمتنع المأمور فيجبره
الأمر عليه ، ومعنى الإخبار أن يستكره العامل على إتيان فعل هو له كاره ، ولغيره مؤثر ،
فيختار الجبر إتيان ما يكرهه ، ويترك الذي يحبه ، ولولا إكراهه له وإجباره إياه لفعل المتروك
وترك المفعول ، ولم نجد هذه الصفة في اكتسابهم الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، بل
اختار المؤمن الإيمان وأحبه واستحسنه وأراد وأثره على ضده ، وكره الكفر وأبغضه
واستقبحه ولم يرد ، وأثر عليه ضده ، والله خلق الإختيار والاستحسان ، والإرادة للإيمان
والبيض والكراهة والاستقباح للكفر . قال تعالى « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم
وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان » واختار الكافر الكفر واستحسنه وأحبه وأراد
وأثره على ضده وكره الإيمان وأبغضه واستقبحه ولم يرد وأثر عليه ضده والله خلق ذلك
كله قال تعالى « كذلك زين لكل أمة عملهم » وقال « ومن يرد أن يضل يجهل صدره
ضيقا حرا » وليس أحدهما بمنوع من ضد ما اختاره ومحمول على ما اكتسبه ولذلك وجبت
حجة الله عليهم [التعرف للكل بأذى القاهرة ص ٤٧ - ٤٨ - ٤٩] .

(٢) س ن س ، ظ (ما يفرق) - تحريف -

٢٠٧ .

ذهبوا إليه ضرورة الوجدان ، وأما مخالفة السمعيات : فإنهم أخذوا
بآيات الخلق ، وأهملوا آيات الكسب ، وما أثبت الله من الصفات للعبد ،
وساوا بين شرب الرجل الخمر وإيجارها (١) في حلقة ، وهما في حكم الشرع
مختلفان ، وفيما يرجع إلى الحس والوجدان متباينان .

وأما القدر فبروز الأشياء للوجود على قدر ما سبق في علم الله ، لسبق
العلم بها (٢) أزلا . قال سهل : علم الله الأشياء وكتبها بالكتاب « يحسب الله
ما يشاء ويثبت » .

والقضاء هو الحكم المثبت ، والقدر الشيء الواقع ، لأنه على قدر ما علم
وكتب ، والعلم قد أتى على ذلك كله ، ويشهد لما قاله في القضاء
والقدر قوله تعالى : « إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » وقوله :
« إنا كل شيء خلقناه بقدر » . فجعل القضاء قبل الكون والقدر بعده .

ومن الدليل السمعى أيضا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل
لما فسر الإيمان قال : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وأنكرت القدرية القدر وزعمت أن الأمر آنف ، أى مستأنف لم
يسبق به علم ولا كتاب ، وإنما يعلم عند كونه ، ولا خبر له قبل ذلك .

والقدرية يرون أن العباد يستقلون بخلق أفعالهم ، فأهملوا ما جاء من
السمعيات في صوم الخلق إلى الله ، « والله خلقكم وما تعلمون » ، « الله
خالق كل شيء » .

وقددلت رؤيا النوم من ناحية الحس والوجود على سبق العلم من حيث
المحاذاة والموافقة قبل الوقوع ، وثبتت الرأى متواتر ، وهو دليل وجدانى .

(١) في : س ، ظ (إيجارها) .

(٢) في : س ، ظ (به) .

وجدره مذهب الإباحية: وهي طائفة أباحت الأشياء كلها ، وما حرمت شيئاً منها ، وربما استدلوا بقوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » . « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » .

وهم ثلاثة أخصاف : صنف لم يبال بالتكليفات ، وأهمل تحريم المحرمات ، وقال قائلهم . الخبيث نحن جميع من . [١٢٥] بنى آدم . لا يحرم الورد على الآس ، وهذا كفر صراح ، بجحد ما علم من دين الأمة قطعاً ، ولا معارضة بما ذكر من الآي ، لأنها في معرض الامتنان على الجملة ، أو يكون خلق لكم ذلك ، أي لتتناولوه نعمة إما مشكورة وإما مكفورة . والكافر أنعمت عليه النعمة ليتناولها ولا يشكرها .

وصنف يتأول ما ورد من السمعيات في الواجبات والمحرمات ، وهم قوم من الباطنية^(١) . كما يقول بعضهم في إقامة الصلاة ، معناها إقامة وجهة القلب خاصة ، والاجتزاء بذلك ، وفي إيتاء الزكاة أن يحمل الإنسان غيره على إقامة الوجهة القلبية مثلاً ، وهكذا يفسرون آي القرآن بوجوه من الهذيان ، فمؤلاء جمعوا إلى جحد ما علم من دين الأمة ، ومن يبان صاحب الشريعة ، الافتراء على الله سبحانه وتعالى ، وإخراج القرآن عن أسلوب لسان العرب الذي به أنزل .

وصنف حملوا التكليف على أحوال البدايات ، وأسقطوها عند النهايات ، وقالوا : يتطوق المسكف طوق التكليف فيفعل ما يجب ، ويترك ما يحرم ، حتى إذا طالت المدة به ، وبرز في أعمال القربة ، خلع ،

(١) اتحدر هؤلاء حتى لو بأن الإمام يملك إسقاط التكليف الشرعية [راجع عقائد الباطنية للجاني] القاهرة — وقالوا إن الإمام هو النبي المعاقب يوم القيامة وطلق عليه اسم الإله [راجع منشورات إسماعلية نشر عادل الدوا] دمشق وكذلك [منشورات درزية] دمشق .

تلك الربة ، وسقطت عنه الكلفة ، فالذى يصطفيه الملك صاحب المخالصة^(١) ومحل الخطوة .

وربما اغتر هؤلاء بقوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعمالوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » ، فوضعوها غير موضعها ، وصرفوا وبدلوا في فهمها ، وحملوا آيات التكليف على لفيف من الناس وأهل البدايات ، وهذا ضلال بعيد^(٢) . فإن آيات التكليف لا دلالة فيها على ذلك التخصيص .

وقد علم من دين الأمة ضرورة خلاف مذهبهم ، إذ كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام أخشى الخلق لله ، وأعلمهم بما يتق ، وهو كان أقرب الخلق إلى الله ، وقام حتى تورمت قدماه ، وكان عمله ديمة ، كما أخبرته عائشة (رضى الله عنها)^(٣) . ثم إن أصحابه (بعده)^(٤) ، والتابعين بعدهم لم يذكر عنهم^(٥) جنوح إلى الدعة ، ولا تقصير في الطاعة ، بل كانوا في ازدياد وجد واجتهاد ، حتى لقوا الله تعالى .

= وقد قرر سيدى أحمد زروى : أن التأويل هو أصل الانحراف الذى وقع فيه الباطنية عامة وأن الفرق بينهم وبين الصوفية أن الصوفية أstood معانى الكتاب والسنة وحققوا مبايعة وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى ، وأما الباطنية فحملوا الكل على الإشارة فلم يثبتوا معنى ولا عبارة فخرجوا عن الملة ورفضوا الدين كله [قواعد التصوف ص ٢٧ القاهرة] .

(١) فى : س ، ط « المحالسه » .

(٢) ماورد مما يوم ذلك فى كلام أئمة التصوف كإسقاط الكلفة لايراد به إسقاط التكاليف الشرعية ، بل المراد أنهم أحسوا الله تعالى فأطاعوه بقلوبهم ووجدانهم ، فلم يتعروا بمشقة في مجاهداتهم الشاقة بينما كانوا فى بداياتهم تنق عليهم هذه الأعمال .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س ، ط .

(٤) ساقطة من . س .

(٥) فى الأصل « عنه »

والآية التي تأولوها على غير تأويلها ، محلها عند المفسرين على ما جاء من أنه لما أنزل تحریم الخمر ، قال قوم من الصحابة : يا رسول الله . كيف بمن مات منا وهو يشربها ، ويأكل الميسر ، ونحو هذا من القول ، فيما كان حلالا ثم حرم . فأخبر الله في الآية ، أن الذم والجناح إنما يلحق من جهة المعاصي ، فمن اتقى الله ، واستعمل الحلال فلا جناح عليه فيه ، وإن حرم يعد ذلك . وقال عمر رضي الله عنه : « إنك إذا اتقيت الله ، اجتنبت ما حرم الله » .

جودة القول بالتناسخ :

ومعناه انتقال النفس من جسد الى جسد آخر ، وقد نفاه أهل السنة ، وأثبتته من الروافض الغلاة ، ومنع منه كبار الفلاسفة .

والمتبوتون مختلفون : فمنهم المجوز ، ومنهم الملتزم .

ثم اختلفوا أيضا (اختلافا آخر)^(١) ، فمنهم من يقول : لا بد من حفظ الصورة النوعية في الأشخاص ، فلا تنتقل من شخص إلى إنسان إلا إلى شخص إنسان .

ويسمى هذا الانتقال عندهم : « نسخا » .

ومنهم من لا يرى ذلك [٢٥ ب] بل قد يكون الانتقال من صورة إنسان إلى غيرها (من صور الحيوان)^(٢) ويسمى ذلك : « مسخا » .

ومنهم من جوز الانتقال منها إلى النبات ويسمى : « فسخا » .

ومنهم من جوزة إلى سائر الجمادات وسماه : « رسخا » .

والذين التزموا حفظ الصورة النوعية قالوا : إن كانت من النفوس^(٣)

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) في : س « النفس » .

الجاهلة الخبيثة المؤذية ، تعلق بيدن دنى . ثم قالوا : إن النفوس^(١) لا تزال تفتقل من جسد إلى جسد إلى أن تكمل النفس فتصير طاهرة عن جميع العلائق الجسدية ، حينئذ تتخلص^(٢) إلى عالم القدس والطهارة الثابتة^(٣) .

ومن قال بانتقالها إلى البهائم من الحيوان ، قال : ذلك عذاب لها ، لأنها تكون هنالك في نهاية الظلمة والشدة ، وهذا كله خبط كثير ، وتحليل طویل من غير أصل يستند إليه ، ولا دليل ، بل هو تحكم على الله (في خلقه)^(٤) . وتقول عليه فيما هو من غيبه ، لاسيما وهو إخبار عن أمر وقوعي يطلب فيه من الأدلة ما يقتضى الجزم ، ولا يكفي ما يفيد الظن ، بخلاف العمليات في باب التكليفات ، فإنه يكفي فيه الظنيات .

وبرهان كتاب الشفاء الذى عول عليه الرئيس ، وإن كان فيه بعض الطول . قال بعد أن أثبت أن النفس الإنسانية لا تفسد : وقد أوضحنا أن النفس إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ من الأبدان ، على أن تهيؤ الأبدان موجب أن يفيض^(٥) وجود النفس لها من العلل المفارقة ، وظهر من ذلك أن هذا لا يكون على سبيل الاتفاق البحت ، حتى يكون وجود النفس الحادثة ليس لاستحقاق هذا المجاز نفسا حادثة تدبره ، ولكن قد كان وجدت نفس ، وانفق أن وجد معها بدن فتعلق بها ، فإن مثل هذا لا يكون علة ذاتية ألبتة للتكثير ، بل عسى أن تكون عرضية .

وقد عرفنا أن العلل الذاتية هي التي يجب أن تكون أولا ، ثم ما يليها

(١) ق : س « النفس » .

(٢) في الأصل « تنعق » .

(٣) ق : س ، ط « الثانية » .

(٤) ما بين الحاضر من ساقط من : ط ، س .

(٥) ق : ط « يقتضى » .

[من] العرضية ، فإن كان ذلك كذلك ، فكل بدن يستحق مع وجود مزاج هادته حدوث نفس له ، وليس بدن يستحقه ، وبدن لا يستحقه ، فإذا اشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تتقوم ، وليس (١) يجوز أن يكون بدن إنسان يستحق نفسا بها يكمل ، وبدن آخر هو في حكم مزاجه بالنوع ولا يستحق ذلك ، بل إن اتفق كان ، وإن لم يتفق لم يكن . فإن هذا حينئذ لا يكون من نوعه ، فإذا فرضنا أن نفسا (تناسختها أبدان . وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفسا) (٢) تحدث له (٣) وتتعلق به ، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معا . ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هو على سبيل الانطباع فيه كما بينا مرارا . بل العلاقة التي بينهما هي علاقة الاشتغال من النفس بالبدن ، حتى تشعر النفس بذلك البدن ، وينفعل البدن عن تلك النفس ، وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفسا واحدة ، وهي المصرفة والمندبرة للبدن . الذي له ، فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ، ولا هي (٥) نفسه ولا تشغل (٦) بالبدن فليست له علاقة مع البدن ، لأن العلاقة (٧) لم تكن إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه .

(١) في : س ، « ولا يجوز » .

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : س .

(٣) في : س ، ظ « تحدث معه » .

(٤) في : س ، ظ « للبدن » .

(٥) في : س ، ط « ولا هو نفسه » .

(٦) في : س « يستقل » .

(٧) في : ط « لا تكن » تحريف .

الفصل الثاني

حتى إزالة العشب التي تضر بالشجرة المغترسة بالطبع [١٢٦]

وتعادها بالجواهر

وهي الخلق الذميم^(١)، والعشب التي تضر بجوارنها بغراس المحبة هي التي جعل الله يذنها وبين تلك الشجرة منافرة طبيعية، كما يقع بين الحيوان والنبات من المضادة الجوهرية، إما معلومة السبب، وإما منسوبة إلى باب الخواص.

فما زعم أرباب الفلاحة فيه، وقوع العداوة بين الآس والورد، وأنه إن اغترس الورد حوالى الآس أفسده. وشجرة السكرت تفسد شجرة العنب (قاروا إن أغصان شجرة العنب) (٢) تفرعها (٣)، وإن أجزاء السكرت إذا وضع في الخمر أسرع إليه (٤) التخليل، وذلك لذهاب روحها به، فنقسم عشب الأخلاق المذمومة - التي تضر بشجرة الحب ولا تصلح إلا مع إزالتها، وتنقية أرضها منها، لكي يأمن الفلاح من عودتها - إلى ثلاثة أقسام: سبعية، وبهيمية، وشيطانية. وكل واحدة منها لا يثق الفلاح بالراحة منها، ولا يأمن (٥) استئناف نباتها، حتى يزرع عوضا من كل عشب اقتلعه منها عسبا نافعا، يكون بينه وبين شجرة الحب من المودة والوفاء ضد ما كان بينها وبين المقتلع، تقدير العزيز العليم، خالق الخلق والأخلاق، الذي أنارنا آياته في الآفاق، وفيها مع الآفاق.

(١) في: س « الذميمة ».

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من: س.

(٣) في: س « بفرعها » تحريف.

(٤) في: س، ط « إليها ».

(٥) في: س، ط « ويأمن ».

قسم العشب البهيمية :

الراجع إلى نوع القوة الشهوانية . يشتمل على مثل الوقاحة ، والخبث ، والتبذير ، والتقتير ، والسكر ، والنهم ، والشبق ، والهتكة ، والزنا بأنواعه^(١) وما في معناه ، والمجانة ، والعبث ، والحرص ، والجشع ، والملق ، والحسد ، والشماتة ، فإذا قلع ذلك بآلة العزم واليقين والتوفيق المشحودة^(٢) ، في رحي العقل ، غرس مكانه طبيعياً^(٣) أو كسبا أضداده التي تعمر مكانه ، وتختلف وجوده ، وتذهب عينه ، وتقطع نسله^(٤) (من) العشب الشريفة ، كالعفة ، واليقانة ، والهدوء ، والزهد ، والورع ، والتقوى ، والانبساط ، وحسن الهيئة ، والظرف ، والحياء ، والمساعدة ، وأمثال ذلك .

قسم العشب السبعية :

الراجع إلى بذر القوة الغضبية ، فكالتهمور ، والبذالة^(٥) ، والبذخ ، والصلف ، والاستشاشة ، والكبر ، والعجب ، والاستمزاز ، والاستخفاف ، واحتقار الخلق ، وإرادة الشر ، وشهوة الظلم ، وما أشبه ذلك ، ويغرس مكانه ما يعنى على أثره ، ويظهر الأرض من ضرر أصوله ، ويمنع من عودته ، مثل عشب الشجاعة ، والكرم ، والنجدة ، وضبط النفس ، والصبر ، والحلم ، والاحتمال ، والعفو ، والثبات ، والنبيل ، والشهامة ، والوقار ، والرعى .

قسم العشب الشيطانية :

الراجع^(٦) إلى بذر مشترك من القوتين ، مثل عشب المسكر والخديعة ،

(١) و : س « وأنواعه » .

(٢) في : ط « المشحودة » .

(٣) الأصل « طبيعية » وكذا و : س .

(٤) ساقطة من : ط .

(٥) و : ط و « النذالة » .

(٦) و : ط ، « الراجع » .

والحيلة، والغدر، والنكث، والدهاء، والجريرة، والتلبس، والتضريب^(١)،
والغش، والكذب، ويغرس مكان ذلك الصفات الربانية، من العلم،
والحكمة، (والمعرفة)^(٢) والإحاطة بحقائق الأشياء.

تتميم:

وأصول هذه العشب المجتلبة الحميدة وأصله قواها إلى حبة هذه الشجرة،
وإلى أصلها وجرتومتها، ومعها تسرى إليها قوى شمس الحق،
واعتماد حد الحكمة^(٣)، وهي التي تحيط عليها نداوة سقى العلم.
ويجب على متولى الفلح، أن يتعاهد ماغرس، فكثيرا ما تطرقه قبل
أن تعلق العوائق بشوب^(٤) بذر ضده، [٢٦ ب] وجرتومة عدوه (مكانه،
ومن أمثال أولى الفلاحة في الثناء على ذوى نجاحها)^(٥) : أنه لا يفتقر إذلة
زل الحاجة الإنسان عن اقتلاع العشب بيديه، تشاغلا بشأنه، ونشاطا في
خدمة بستانه^(٦).

(١) في : س « والتضريب » .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) على هامش الأصل من نسخة مانية «جو الحكمة» وكذا في : س .

(٤) أى بشوب من الخلق الحميد الذى يحمل عمل القدم .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٦) وفي الفلاحة الفسفة يشمل أوقاته كلها بتفقد أحواله وهو المبرع عنه عمد المصروفية بمحاسبة
النفس فقد بواتر عن كثير من كبارهم أنهم كانوا يخلون بأنفسهم كل يوم لاستعراض أعمالهم،
وكثراً ما ذرفوا الدمع على مخالفة الأولى .

الاختيار السادس

في أمور ضرورية تلزم هذه الفلاحة ، من بعد الإلاحة
وفيه فصول

الفصل الأول

من الاختيار السادس ، في أمور تطرأ على الأرض من جهة
الطبع والمزاج وما يقصد به من العلاج

قال المؤلف رحمه الله^(١) : وكما أن الأرض تتصف بكيفيات ، من حر
والتهاب ، وجود ، واعتدال هو واسطة بين طرفين ، فكذلك هذه الأرض
التي نفرضها القلب والنفس ، تتصف بكيفيات الخواطر ، والخواطر هي
المؤثرات في القلب التي تكيفه^(٢) ، بعد أن يكون غافلا ، وهي محركاته
لإرادته .

فبدأ أفعاله خواطر ، وتحرك الخواطر الرغبة ، ويحرك الرغبة العزم ،
ثم يحرك العزم الثبات ، ويحرك الثبات الأعضاء .

وهي تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر على اختلافه ، وهو ما انصف^(٣) به
الطرفان الخارجان عن طبيعة الاعتدال ويضر في العاقبة ، ويسمى
وسواسا ، ويسمى سببه شيطانيا . وإلى ما يدعو إلى الخير على اختلافه ،
ويتصف به الوسط المعتدل ، وينفع في الآخرة ، ويسمى إلهاما ، ويسمى
سببه ملكيا . وهي حال مزدوجة افتضتها حكمة مالك تلك الأرض ،

(١) في س ، ط « رضى الله عنه » .

(٢) في : س ، ط « التي ، كلفه » .

(٣) في : ط « النصف » تحريب .

الذي^(١) يملك باطنها وظاهرها ، بخلاف غيره من الملاك ، في بعض آراء الفقه . طبعها^(٢) على ذلك^(٣) لما سراها ، فألهمها فجورها وتقواها . وهذا المزاج الذي تهيأت به الأرض المذكورة لغلبة أحد الطرفين المنحرفين عليها (يسمى إغراء وخذلانا ، والمزاج الذي تهيأت به لغلبة الوسط المعتدل)^(٤) . يسمى توفيقا : « ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي من هاد » . وفيهما قال الحسن رحمه الله : « إنما هما هيمان يجولان في القلب : هم من الله تعالى ، وهم من العدو ، فرحم الله عبدا وقف عند همه ، فما كان لله أمضاها ، وما كان من عدوه جامده » .

فيجب على متولى فلاحه هذه الأرض أن يلاحظها ملاحظة الطبيب الماهر ، ويصرف في ذلك قصدى الطب^(٥) : من حفظ الصحة على المزاج المعتدل ، حتى لا يميل إلى طرف من الأطراف المنحرفة ، ومعالجة المرض من رد الطرف المنحرف إلى الاعتدال ، الذي خرج منه .
قالوا : وإلى الحالة الأولى من الجهاد ، في ثبوت حالة الاعتدال ، الإشارة بقوله : « وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » . وإلى الثانية الإشارة بقوله « لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » . ودواء ذلك وعلاجه العام المجرب ، هو الذكر ، ونبين أقسامه وفوائده وصورة استعماله في دكان الأسباب^(٦) ، الذي نحكم فيه (صيدانيه ، إن)^(٧) أعان الله على ذلك بحوله وقوته .

(١) في الأصل ، س ، ط « التي » .

(٢) في : س « طبعها » .

(٣) في : س « على تلك الأرض » .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ويريد من : س ، ط .

(٥) في : ط « الطلب » .

(٦) في : س « الأنساب » خطأ .

(٧) « ساقطة من . ط » .

فإذا ذهب الفلاح الذى هو طبيب هذه المدرة والشجرة هذه المذاهب (١)، فسقى عند الإحساس باللميب ، وأعطش عند الإحساس بضرر التبريد والترطيب ، ومثل هذا من اللحظ العجيب ، والفلح النجيب ، كان جديراً بالعيش الخصيب ، والرأى المصيب ، إن شاء الله (تعالى) (٢) .

(١) فى س ، ظ « هذا المذهب » .

(٢) ساقطة من : س ، ظ .

الفصل الثاني

في اختيار أعوان^(١) هذه الفلاحة وأجزائها ، ورجال خدمتها
وآرائها ، من تلخيص [١٢٧] السياسة

الصديق باطلاق : المشارك في حاله لصديقه . والصداقة ثلاثة أقسام :
أحدها مشاركة فهم وعلم وتعليم ، وثانيها : الراحة ، وثالثها : المنفعة . ولكل
قسم شرط يصحب به .

فصديق الفهم والعلم والتعليم^(٢) ، يحتاج منه^(٣) إلى حسن الفهم متعلما ،
وحسن البيان معلما ، أو مقارنا^(٤) ، وألا يكون محبا للغلبة والظهور ،
ولا حسودا متلونا ، ولا متملقا ، ولا خبيثا . وشرها الحسد ، وحب الغلبة .

وصديق الراحة : أن يكون ظريفا ، حسن الخلق ، مساعدا .

وصديق المنفعة : أن يكون أمينا ، ناصحا ، مجتهدا (مخبرا^(٥)) بميزا
بنوع المنتفع به ، ويعم الجميع جملة واحدة : أطراح الحسد ، والخبث ،
والعداوة ، وسوء النية . وسوء الظن ، وحب الإضرار ، والبغى ، والمطالبة ،
والاستنفاص ، وحب الغلبة .

والأصل المتفرع عنه هذه الطبائع المذمومة حب^(٦) النفس وشرها بالطبع .
والذي يعامل (به)^(٧) واحد واحد من الأصناف : [أن] صديق العلم .

(١) في : ظ « أنواع » خطأ .

(٢) في : س ، ط « العلم » والأصل أرجح انبعا لفروع القسم الأول من الصدقة .

(٣) في الأصل « فيه » .

(٤) في : ط « مقارفا » وفي : س « معارفا » .

(٥) ساقطة من : س ، ط .

(٦) في الأصل « خبث النفس » .

(٧) ساقطة من : ط .

يستعمل معه حركات العلم من غير انبساط وانهماءك في أسرار العلم الإلهي ،
وصديق الله واستعمل معه ما إن قيل عنك لم تبال به ، وصديق المنفعة أطرح
معه قوى النفس (جملة) ^(١) ، والقه متوقرا ، وشاركه في أمور الدنيا ^(٢) ، بمثل
ما يشاركك به ولا تزد ، والمعارف تبني المعاملة ^(٣) على اختلافهم ، فمنهم
الشرير الخبيث الفاسد النفس ، وهذا يدارى بالسلام . ولا يخاط ، فإن ألم
عرج بالوقار من غير كبير ، والسكون حتى تثقل عليه جهتك ، وأثن عليه
الجميل ، وتحيل عليه في عدم لقائه ، حتى ينسأك . ويشغل بغيرك . وسائر
المعارف بالسلام ، والسؤال عن أحوالهم ، والبشاشة في اللقاء ، وترك
المخالطة جملة ، إلا من شورك في شيء من الأغراض المذكورة ، وسائر
العوام بالوقار من غير تكبر ، والسكوت والسكون ، حتى لا يطلع أحدهم
على مذهب ولا طريقة ولا حركة .

ومن اختيار المؤلف (رحمه الله (٤)) قال :

. ينقسم إلى أغراض : من يصاحب في الله ، ومن يجتنب فيه ، وصور
الصحبة .

الأول : من يصاحب في الله ، ممن يكون (عاقلا) ^(٥) حسن
الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا . هذه هي الأصول
[ر] على قدر اعتناء المصاحب فيها ، والإمعان في معانيها ، والتعلق في

(١) ساقطة من س ، ظ .

(٢) في : س ، « من أمور الدنيا » .

(٣) في س (نبي المعاملة) وفي ط (شيء الماملة) تحريف .

(٤) ساقطة من س ، ظ .

(٥) ساقطة من الأصل .

أجزائها (١) وتوابعها (٢) يكون النفور عن صحبته . ومن يجتنب أصدقاء هذه ، من كافر أو مبتدع داع إلى بدعته ، أو قاصر عن ذلك ، أو فاسق في نفسه بشرب خمر ، أو ترك واجب ، أو مقارفة محظور .

وقال سهل بن عبد الله : « اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبارين الغافلين ، والقراء (٣) المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين » .

[الثالث] حقوق الصحبة . واطلب بها نفسك أولا ، والنفس في سواك ، وكل في الأول ، واقتنع في الثاني . وهي على جهتين . بحسب الصحبة مطلقا ، في المال والنفس واللسان والقلب . فال [لئال با] لمساهمة في السراء والضراء (والشدائد (٤)) والنفس بالمشاركة في الضرائر والشدائد ، واللسان (٥) بالصمت عما يكره ، وبالعكس تحت قانون الشرائع ، والقلب بالرحمة (٦) والشفقة ، والعفو عن الزلات ، والتخفيف (٧) [٢٧ ب] وترك التكليف ، وبحسب الإسلام . أن تبدأه بالسلام ، وتجيبه إن دعاك ، وتعوده إن مرض ، وتشتمه إن عطس ، وتبر قسمه (إن حلف) (٨) وتبخر جنازته إن مات ، وتنصحه حيا ، وترعاه ميتا ، وتحفظه بظهر الغيب ، وتحب له ماتحب لنفسك .

فصل

الاصحاب الذين يستعين بهم الفلاح على إثارة أرضه ، وزراعة بذرته ، ومعالجة شجرته وسقيه ، من يكون مشارا إليه في معرفة الفلاح ، جلدا على .

(١) في : س ، ط « والتماق من أجزائها » .

(٢) في : ط « وباعها » تحريف .

(٣) في : س ، ط « العواد » .

(٤) ساقطة من : س ، ط .

(٥) في : س ، ط « وباللسان الصمت » .

(٦) في : س ، ط « وبالقلب الزحمة » .

(٧) في : س ، ط « وتخفيف » .

(٨) ساقطة في س ، ط .

العمل فيه ، قوى البنية في أهله ، ناصحاً في عمله . مغتبطاً (متغبطاً)^(١) به معينا عليه .

وقال عمر رضى الله عنه : « عليك يا خوان الصدق ، تعش في أكنافهم ، فإنهم زينة في الرخاء . وعدة في البلاء » .

وقال ابن أبي الحواري : « قال لي أستاذي : لا نصحب إلا أحد رجلين : رجلاً نتشفع به في دنياك ، أو رجلاً تزيد معه وتنتفع به في آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير » .
آخر :

« اصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مالك » .

« اصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإن نازعته أثرك ، وإن سكك ابتدأك ، وإن نزلت بك فاقة واساك ، بمن يجمع الإعانة بنفسه (لك)^(٢) مقدما حوائجك على ما يختص به ، ومن يسكت عن ذكر عيوبك غيبا ومشهدا ، ويتكلم بحاسنك من غير إطرأ ، ويعفو عن زلاتك ، ولا يخونك في حياتك ومماتك » .

قال بعضهم في تقييد الجوارح بحقوق الإخوان : ما يختص بالنظر أولا . بأن ينظر الرجل إلى إخوانه نظر الرحمة التي يعرفونها من عينيه ، وما يختص بالسمع ، فالالتذاذ^(٣) بما يسمع من كلامهم ، والاستبشار به ، وإعفاؤهم^(٤) من القواطع^(٥) والمرادة^(٦) ، والاعتذار إن عاق عائق عن

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) في : ط « والالتذاذ » تحريف .

(٤) في : ط « وإعفاؤه » تحريف .

(٥) في : س ، ط « من القطع » .

(٦) في : ط « والموادة » تحريف .

توفية الحق ، وألا يسمعهم ما يكرهون . واليد . ببسطها في كل ما تتعاطاه إعاتهم ، والرجل . بالمشى خلفهم تبعاً ، والقيام إذا أقبلوا ، فإذا انفتق رتق الإخاء طويت بسط التكليف ، حتى تكون المؤاخاة في الله ، ثم الله ، ثم بالله . وبالجملة فيأخوان الآخرة هم أصحاب هذه الفلاحة ، ويجتنب الكسل (عن العمل)^(١) المساد لحبال الأمل ، فإن الطباع تسرق العوائد ، فيجتنب الكافر ، والمبتدع ، والعاصي^(٢) المصير ، وظالم سواء ، من غاصب ، وشاهد زور . ومعروف بغيبة ، ومشاء بنميمة ، أو ظالم نفسه بشرب حرام ، أو أكله ، أو ترك واجب ، أو مباشرة محظور ، وأمر هؤلاء أخف . والغافل بكليته عن الله تعالى^(٣) ، والمستولى عليه العجز والكسل في حقوق الله ، قال الله عز وجل : « فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » والرفق والنظر إلى العصاة بعين الرحمة ، من حيث الاستبصار بأسرار القدر [وهذا] من شيم العارفين . وفي قسم تنظيف الأرض من العشب الذميمة ، ينظر الغالب عن من يصاحب (أو من يجانب)^(٤) إن شاء الله تعالى .

خاتمة :

سعيد بن اسماعيل النيسابوري : « الصحبة مع الله بحسن الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة (والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالاتباع ولزوم ظاهر العلم)^(٦) . والصحبة مع أولياء الله (تعالى)^(٧) بالاحترام والخدمة . والصحبة مع الأهل بحسن الخلق ، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ، والصحبة مع الجهال بالدعاء [٢٨] لهم . والرحمة » .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) ذ : ط « والعاصي » .

(٣) في : ط « تولى » تحريف .

(٤) ما بين الماصرتين . ساقط من . س .

(٥) ما بين الماصرتين . ساقط من الأصل ، ط .

(٦) ساقطة من : س ، ط .

الفصل الثالث

في الأدعية (التي تليق) (١) بأشخاص (٢) الفلاح وأصحابه ، عندما يشاهد من عجائب السكون وآثاره (٣)

قال المؤلف (رحمه الله) (٤) ولما كان الفلاح مفصحا أكثر زمانه عن بيوت الغفلة ، وسور الاستغراق ، ومشتغلا بما يعينه أكثر أمره ، ومباشرا من الآثار العلوية ما لا يباشره غيره ، بروفا وطوالع وشموساً ، وابتلاء في عمله ، واستبطاء لموعده (٥) نيجته ، وإصابة في ماله (٦) ، كان من الواجب عليه ، أن يجعل من الدعاء بإزاء كل لائحة فنا ، وأمام كل طالعة ذكرا .

وأن يقول عند رؤية الأهله إذا بدت بآفاق أرضه : « اللهم أهله علينا بالإيمان والأمان ، والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله . هلال (٧) ورشد وخير » ، ويكبر ثلاثا .

وعند ابتلاج (٨) فجر (٩) الحقائق وطلوع شمس السعود (١٠) : « اللهم

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) في : س ، ط . « بأشخاص » .

(٣) في : ظ « آثاره » .

(٤) في : س . ط « رضى الله عنه » .

(٥) في : ظ « بالموعده » .

(٦) في : ط « وإصابة ماله » .

(٧) في : ط « خلال » تحريف .

(٨) في : ط « ابتلاج » .

(٩) في : ط « فجر » تحريف .

(١٠) في : س ، ط « الشهود » ورجعنا الأصل . لأن الدعاء لا يناسب مقام الشهود .

فائق الإصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس القمر حسبانا ، أسألك
خير هذا اليوم ، وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شره ، وشر ما فيه ، وباسم
الله ماشاء الله (لا قوة إلا بالله ، كل نعمة فمن الله ، ماشاء الله) ^(١) ، والخير كله
بيد الله ، ماشاء الله ^(٢) لا يصرف السوء إلا الله ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام
دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ،
وإليك المصير .

وإذا غربت قال متأسفا ، وعلى ما ذهب متلهفا : أعوذ بكلمات الله
التامات ، وأسمائه كلها ، من شر ما ذرا وبرأ ، ومن شر كل (ذى) ^(٣)
شر ومن شر كل دابة (أنت) ^(٤) ربى آخذ بناصيتها إن ربي على صراط
مستقيم . وانظر الاستعاذة من الشرور والظلمات ، والإشفاق من فروب
شمس الذات .

وعند هبوب رياح المواجهد ^(٥) : اللهم إني أسألك خير هذه الرياح ،
وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ،
وشر ما أرسلت به .

وعند رعد الخوف : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من
خيفته .

وعند صواعق الصعق ^(٦) : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ،
وعافنا قبل ذلك .

وعند النظر في سماء التجريد ^(٧) من أقهى نجوم التقييد : ربنا ما خلقت

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأمل ، وفي : س . س «لا قوة إلا بالله ، كل نعمة
من الله ، ماشاء الله» .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : س وفي : ظ «ربى أنت» .

(٤) الواجد : ما يجده المسالك في قلبه من نتائج المجاهدات البدنية والروحية

(٥) في : س : الطمن .

(٦) التجريد ألا يأخذ المسالك من عرض الدنيا شيئا ولا يطلب على ما ترك منها عوضا
من عاجل أو أجل بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعة غيره ولا لسبب سواء ويتجرد
بسرته عن ملاحظة المقامات التي يحلها والأحوال التي ينازلها [التعريف ١١١] .

(١٥ - روضة التعريف)

هذا باطلا سبحانهك فقنا عذاب النار : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا
[وجعل فيها سراجا وقرا منيرا] » .

وعند قطر الأنس^(١) : اللهم سييها هينا ، وغينا نافعا : اجعله سيي
رحمة ، ولا تجعله سيي عذاب .

وإذا زارت سباع الخوف يقول : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ، ونعوذ
بك من شرورهم .

فإذا أحس بنعيم الفيض^(٢) قال : لا إله إلا الله (الحليم العليم)^(٣) ، لا إله إلا
الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع (والأرض)^(٤)
وَرَبَّ العرش العظيم .

وإذا خسر شيئا من عشب جنته قال : عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها
إنا إلى ربنا راغبون .

فإذا ابتدأ الغراسة قال : ربنا آتانا من لدنك رحمة وهى لنا من
أمرنا رشدا .

وإن أبطا جواب دعائه ، قال : الحمد لله على كل حال .

فإذا رأى ثمرة الاستجابة ، فليقل : الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم
الصلوات . وهذه كلمات مجربات مشهورات ، وعن أهل هذه الفلاحة
[٨، ب] الزكية المذكورات ، وربما تقدمت أسباب هذه الأدعية الغراسة^(٥)
أو تأخرت عنها فيجوزها إن شاء الله (سبحانه وتعالى)^(٦) ميسرة^(٧) .

(١) الأنس عند الجنيد رضى الله عنه ارتفاع الحشمه مع وجود الهيبة ومعنى ارتفاع الحشمه
أن يكون الرجاء أغلب من الخوف ، وعند التبلى الوحسة من المحبوب . وعند ذى الون المصرى :
أدنى معاملات الأُس أن يلقى السالك فى السار فلا يعيب عن أنس به [التعرف ١٠٧] .

(٢) فى الأصل « النقص » تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س ، ظ .

(٤) ساقطة من : س .

(٥) فى : « للخراسة » تحريف .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٧) فى : ط « ميسرة » تحريف .

الفصل الرابع

في اختيار الوقت للغرس

وأفضلها ذلك^(١) الليل الأخير إلى الفجر، ويتفق الاستدلال على فضل الوقت المشار إليه من وجوه سماع، ووجوه عقل.

من العقلي: أن قوى الإنسان الخيالية والفكرية، وما تباطن عنهما من الغضبية والشهوانية، تكون أول الليل^(٢) مملوءة بخيالات قضايا اليوم لقرب عهدها بالانتقاش، وغصاصة متأدياتها إلى الحس المشترك.

فاذا انغمزت القوى بالنوم، وانضمت الأرواح إلى مركزها عند غشيان الليل، بعد^(٣) بها عهدها، ونفت كثيرا من شوائبها، وعادت بعد اقتضاء^(٤) النوم نسيطة^(٥) صافية، فكان ذلك الوقت لباب أوقاتها، وأبعدها عن الأكدار.

وإلى ذلك فإن أكثر الخلق يعمرّون أوائل الليل بما يفضل عن بياض الأيام من الأعمال والمهن^(٦) والحساب والآراء والراحات، وفي آخر الليل يستوى الكل في راحة النوم، إلا من تعينت راحتهم في غير ذلك وهم القليل، فيحصل على تنهى الخلوّة والتمتع بنفسه.

ومن ذلك أن تكون الأرواح الطبيعية والحيوانية، وهى مراكب

(١) كررت «نلت الليل» مرّتين في: ظ. وما يفرس فيه، هو كل ما يوصل إلى حب الله تعالى

(٢) في: ظ «النهار» خطأ.

(٣) في ظ «بعدها».

(٤) في الأصل: «اقتضاء».

(٥) في: س، ط «نسيطة».

(٦) في: س، «والتين» تحريف.

الأرواح الإلهية . قد أخذت أقواتها من المواد الغذائية بدلاً مما تحلل في الزمن الماضي اليومي ، وهو (١) ظرف الحركة كما تقدم ، واتصلت بمجدها ، كما تأخذ السرج أقواتها من الدهن ، وذلك لا يتم غالباً إلا في ذلك الوقت ، لتسام الهضم بسبب النوم .

ومنها : لما يهب فيه (٢) من النواسم اللطيفة التي تعدل القلوب ببردها ، إذ الشمس تترك سطح الأرض سخناً لانعكاس أشعتها ، ففي ذلك الوقت يكمل اعتدال سطح الأرض ورجوعه إلى طبيعته ، وارتفاع ما تركت به شمس الأرض من السخانة ، فيمر به النسيم ، فيكسب بردا وعدوبة ، وإن (كان) (٣) هذا باعتبار الأكثر وفيه نظر (٤) .

ومن الدليل على تأثير النفوس فيه ، وارتياحها (٥) عنده الحال في الحيوان ، [فد] يانه تشتشعر أرواحه المستوحشة من طبيعة الظلام باقتراب شروق النير الأعظم ، الذي يحدث الليل بمغيبه (٦) ، وحلول جرم (٧) الأرض بينه وبين السطح المعمور منها ، فيكون الليل الظل ، ولا يزال يدور بدورانه حتى يصير مقابل النير ومدوداً على ما تنجب عن نوره ، فترتاح إليه وتستبشر لقربه ، وتتهز إلى لقاءه متحركة بالتغريد ، والصهيل ، والشهيق (٨) ، (والفحيح) (٩) والنهاق ، والبغام ، (والنعاق) (١٠) ، والزئير ، والرخاء ،

(١) في الأصل « وهي » .

(٢) في الأصل « فيها » .

(٣) ساقطة من : س ، ط .

(٤) لأن الشتاء والربيع لا يصلح فيهما هذا التعليل .

(٥) في : ط « وارتياحها »

(٦) في الأصل ط ، « مغيبه » على أنها فاعل ليحدث .

(٧) في : ط ، س « وجدول جزم » تحريف .

(٨) سقطت من س ، ط .

(٩) في الأصل « الشجج » و : س ، ط « التنجج » تحريف .

(١٠) في : ط « اليعار » تحريف .

والصراخ ، والزقاة ، والشعر ، والحداء ، والتسبيح ^(١) .
كل كنى عن شوقه بلغاته ولربما أبكى الفصح الأعجم
وقال الشاعر :

جمالك مطبوع على كل سكة وذكرك منقوش على كل خاتم
ورباك منشوق على كل نفحة ووردك معشوق إلى كل حاتم
— (ومن اعتاض قربه من حبيب علق الوهم بالخيال السارى) ^(٢)

ولا كالدبكة فى الشعور به وترجيل ركابه . قال أبو الفرج : يائئنا طول
الليل أما تمحس ^(٣) يبرد السحر ؟ لقد نم النسيم على الزهر ، ودلت أغاريد
الحمام على دنو الفجر [٢٩ ا] ، وصاح الديك فلم تنتبه ، فأعاد فلم تفق ،
فصفق بضرب الجناحين لظما على غفلتك .

صفق إما ارتياحا لسنى الفجر وإما على الدجى أسفا

ولانعرا لأنفس الإنسانية عن هذه المواقف ، فترق وتترنم ^(٤) ، وتنشد
الأشعار وتسبح وتستغفر ، مع أنها أغنى الجميع عنه ، لتوفر الأنوار يواطينها ،
ولكونها تعاض عنه كثيرا بالعلاج ، فتستصبح وتستضيء بالأنوار ،
والأشعة من السرج والمصابيح والنيرين ، فسبحان الحكيم العليم الملمم ،
نور السموات والأرض ، لا إله إلا هو .

ومن السمعيات التى تعضد ما تقدم . قال الله عز وجل : « الله يتوفى
الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت
ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » ، ولا شك أنها تعود عودا جديدا صافيا ،

(١) جاءت أسماء الاصوات هذه فى س ، ظ على غير هذا الترتيب .

(٢) البيت كله ساقط من : س ، ظ .

(٣) فى : ظ « تخشى » .

(٤) فى : ظ . وس « وتلو »

٢٣٠

وأن إدراكاتها (تكون)^(١) عند ذلك غير مشوبة . ونقل في بعض
الآخبار أن (الله)^(٢) ربحاً تسمى الصبحية^(٣) ، مخزونة تحت العرش ، نهب^(٤)
عند الأسحار^(٥) ، فتحمل الآنين والاستغفار .

قال الشاعر :

يانسيم الريح من كاظمة شد ما عجت الأمى والبرحا
الصبا إن كان لا بد الصبا إياها كانت لقلبي أروحا
اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

وقد ورد في ذكر هذا الوقت من الأخبار التي تعرف بتنزل الله إلى
السماء الدنيا فيه . تنزل (أمر)^(٦) ورحمة ، لانزل مسافة ، وقوله : هل من
سائل ؟ ما هو معروف . وانصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار^(٧)
وغير ذلك كما في حديث التعاقب .

قال الشاعر :

أني زائر من غير وعد وقال لي أجلك عن تعليق قلبك بالوعد
خليلي هل أبهرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشي إلى عبد
وقال في معنى حديث التنزل :
وإني فأشرق البلاد بنوره حسنا وأرسل بالشفاء^(٨) رسولا
ما كنت أحسب أن بدرأ قبلها نقل الخطأ شرفا وزار عليلا

(١) ساقطة من : ط ، س .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) في : س « تسمى ربيع الصبحه » .

(٤) في : ط « نهبت » خطأ .

(٥) في ط « الأسحار » خطأ . والحسن الدقني بالتجاوب الروحي وذلك الوقت يصدق ذلك الخبر .

(٦) ساقطة من الأصل .

(٧) إشارة إلى الحديث ، يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار .

(٨) في : س « بالنهار » وفي : ط « بالشار » .

ياعلة زار الحبيب لأجلها لله أنت اقد شفيت غلبلا^(١)
كيف السبيل إلى إزاحة علة وبها وجدت إلى الحبيب سبيلا
وقال الآخر :

كم قلت ما أجنى محبا غافلا حتى ابتليت فقلت ما أجفاني
زار الحبيب ولم يجدني باسطا لقدومه خدى ولا أجفاني
وقال الآخر :

لو عرفنا بحيثكم لفرشنا مهب القلب أو سواد العيون
وجعلنا من الجفون طريقا ليسكون الممر^(٢) فوق الجفون
ففي هذا الوقت يشتغل الفلاح بغراس شجرة المحبة إن شاء الله اختيارا
كاليا ، إذ الأوراق كلها صالحة لذلك والحمد لله ، إلا أن هذا الوقت مظنة
صفو ، وخلو^(٣) قلب ، وهدوء شغب . ثم يحمد الله وينشد بأعلى صوته
عند الفراغ مسمعا [٢٩ ب] من بجواره^(٤) :

غرست لكم شجرات الهوى بأرض أثار ثراها الجوى
و [أ] سقيتها بدموع الجفو ن فقد أينع الغرس لما ارتوى
ولما ترعرع منها البسو ق وأجمع ريعانها واستوى
نويت الجنى قيل يوم النوى وكل امرئ فله مانوى^(٥)
ثم يعيده^(٦) بعد صلاة العيد :
غرس الحب بقلبي شجر ، بعد أن نقي بجهد حجره

(١) في : ط « عليلا » تصحيف .

(٢) في : س ، ط « من فوق » خطأ .

(٣) في : ط « وخلوة » .

(٤) في : س « بمذاته » .

(٥) يورى بالحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

(٦) في : س ، ط « يعيده » .

وسفاها إثر ما أودعها كبد الأرض بدمع لجره
ومنى أبصر^(١) طيرا مفسدا حائما حول حاما زجره
فأنا اليوم ملىء بنجى هجر السعد مكانا هجره
نمت فى ظل ظليل تحتها روح القلب ونحى ضجره
ثم بايعت حبيبي وكذا بيعة الرضوان تحت الشجرة^(٢)

ثم يخاطب سره من خوخة باب الجمع^(٣) قائلا: أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم . وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى^(٤) ، وينفض كفيه وينصرف
راشدا منجحاً .

(١) فى : ظ « أفسد » خطأ .

(٢) تورية بقوله تعالى « أقدر رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة »

(٣) الجمع . اصطلاح صوفى . معناه : ملاحظة الرب فى كل مظهر وجودى والثناء عنه
الظاهر وردها إلى أصل العلم حتى لا يلاحظ الجامع إلا الله .

(٤) ويريد المؤلف بهذا الإنشاء وتلك المخاطبات : ما يناجيه العبد ربه وقت السحر من صلوات
وأوراد . ولله قد أثر فى اختياره هذا بورد السحر لسيدى مصطفى البكرى رضى الله عنه .

الأسباب في الحب اللباب

ويشتمل على مقدمة علمية ، وجرثومة جرمية :

المقدمة العلمية : في ترتيب المعرفة والمحبة ، ونسبة كل واحدة منهما إلى الأخرى ، بما يرفع عارض الشك ، ويسبك عويص العبارة أحسن السبك .

والجرثومة الجرمية : وهى السبب القريب لهذه الشجرة بكونها ^(١) كرسى عمودها ، ومنفرز لوائها ، وخزانة إمدادها ^(٢) ، والواسطة بين الفرع والأصل ، ومخرج ما فى القوة منها إلى الفعل ، فنقدم ^(٣) فيها بيان (ما) ^(٤) يعطى الصورة ، ويشرح الضرورة .

ثم ينقسم بعدها إلى : بطن وظهر ، وسر ، وجهر ، وباسط ، وبرزخ واسط ، يشتمل على شعب ووشائج ، ومقدمات تأتى بعدها نتائج .

والبيان الذى يشرح الجرثومة السببية للشجرة الحبية ^(٥) تقرر أن ظاهرها العقل وينقسم إلى أصول ، وباطنها الشرع والنقل ، وينقسم إلى أصول .

والباسط والبرزخ الواسط الصاعد بالجميع إلى الجو الرفيع ، ينقسم إلى ثلاثة أصول .

(١) فى : س ، ظ « بونكة » تحريف .

(٢) فى : ظ « أغرسها » وفى : س « إمدادها » تحريف .

(٣) فى : س ؛ ط « يتقدم » .

(٤) ساقطة من : س ، ظ .

(٥) فى : س « المحبة » تحريف .

المقدمة العلمية

من جرثومة الأسباب في الحب الباب

قال المؤلف^(١) (رحمه الله تعالى)^(٢) : هذه الجرثومة أول ما نتكلم فيها فيما خاض الناس فيه في شأن المحبة والمعرفة . و [قد] تكلم أهل هذه الطائفة في المعرفة والمحبة .

فقال طائفة : المعرفة تتقدم على المحبة بالذات ، إذ لا يعقل حب شيء إلا بعد معرفته ، فالمحبة للشيء أو السكرامية له - ما لم يكن ذلك طبيعياً كما في الحيوان - اشدتان (٣) عن معرفة الشيء ، فالمعرفة سبب في المحبة .

وقالت طائفة أخرى : المحبة تتقدم (على) (٤) المعرفة ، فإن المعرفة على ما زروا غاية بعيدة ، وما بعد معرفة الله شيء . وقد طوى العارف المقامات والأحوال ، ولم يقع ذلك إلا بباعث الإرادة والمحبة . ولو لم تكن الإرادة والمحبة متقدمة ، لم يقع ولم تتأت (٥) ، فتوقفت حقيقة كل واحدة منهما على الأخرى . ولم أقف في ذلك على ما يرفع الإشكال [٣٠] فمنهم من جعل المعرفة سبباً ، ومنهم من جعل الإرادة ، كالرئيس أبي علي^(٦) ابن سينا إذ قال : أول درجات العارفين ما يسمى عندهم « الإرادة » ، وقوله : عندهم . ثبت أنها إرادة الاصطلاح [الصوفي] .

وعسى أن يرتفع الإشكال بما ظهر لنا ، وهو أن نقول : هذا الخلاف

(١) في : ط « المصنف » .

(٢) في : س « رضى الله عنه » وفي : ط : سقطت العبارة كلها .

(٣) على هـ - أس الأصل « ثابتان » من نسخة ثانية . وكذا في : س ، ط .

(٤) ساقطة من : س ، ط .

(٥) في : ط ، س « ولا يتأتى » .

(٦) في الأصل « كالرئيس بن علي » خطأ .

نشأ من اشتراك اللفظ ، فإن المعرفة لفظ مشترك يطلق على المعنى اللغوي ، وهو تمييز الشيء من غيره ، وسبق العلم به ببعض الموصولات ^(١) ، من عين أو وصف على غيبة ، أو نائب مناب لسان ، من كتابة خاصة . وبحسب ما يعطيه ذلك المعنى من البيان تكون المعرفة بالشيء ، وبهذه السبل عرفت الأشياء ، أى حكم لها بالوجود والآنية . وله الإشارة في قول النظار : المعارف ، والتعريف التام ، والتام ، والتام ، وغيره .

وتقع أيضاً المعرفة على معنى اصطلاحى : وهو مقام من مقامات الصوفية ، شهير محسوب من الثمرات ، أو هو الثمرة قد حاز ^(٢) المحبة ^(٣) .

قال الشيخ أبو القاسم ^(٤) رحمه الله : « المعرفة صفة من عرف الحق بأسمائه (وصفاته) » ^(٥) ، ثم صدق في معاملاته ، ثم تنق من أخلاقه الردية وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه (وعكوفه) ^(٦) ، فخطى من الله بمجمل إقباله . وصدق الله في جميع أحواله ، وقطع الله عنه هواجس نفسه ، (ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعو إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنيا ، ومن آفات نفسه) ^(٧) بريئاً ، ومن المساكنات والملاحظات نقياً ، ودام في السر مع الله مناجاته ، وتحقق في كل لحظة إليه رجوعه ، وصار محدثاً من قبل الحق بتعريف أسرارهِ ، فيما يجريه من تصاريف أقداره ، سمي عارفاً ويسمى حاله معرفة ^(٨) .

(١) في الأصل « الموصولات » .

(٢) في : ط ، س « حاز » .

(٣) أى إلى المعرفة في اصطلاح « صوفية حازت المحبة وتضمنتها » .

(٤) هو أبو القاسم الجنيد البغدادي . تلميذ سري السقطي والمحاسبي وغيرهم . إمام شهير من أئمة التصوف ، انتهى إليه غالب الطرق « صوفية » .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) ساقطة من : ط ، س .

(٧) ما بين الخاضعين ساقط من : س .

(٨) من هذا القول يتبين أن لمعرفة الحب وصفات يعرف معنى صفات الحب ، وذلك مذهب « صوفية » .

وذكرها الهروي ^(١) متأخرة عن المحبة بمقامات. فن قال ^(٢) المعرفة متقدمة على المحبة ، فإنما أراد المعرفة الأولى اللغوية التخاطبية ، وهي إضافة تحصل بين المعروف و (بين) ^(٣) من عرفه بواسطة لفظ أو ما ينوب منابه ، وبحسب ^(٤) كمال ذلك أو تقصيره يكون العلم به .

ومن قال المحبة متقدمة على المعرفة عنى بالمعرفة المعرفة الثانية ، وهي المقام المعروف بمعرفة الله ، الذى لم يحصل إلا بياض محبته ، ولولا المحبة ماصح ، إذ المحبة هي الميل الأكيد للشيء ، والحركة إلى التماس الكمال لقربه ، فتكون المعرفة اللغوية سبباً أولاً للمحبة ، والمحبة وما قبلها سبباً للمعرفة الاصطلاحية ، وإذا ثبت هذا فلنجعل المعرفة الأولى بما لها سبباً للمحبة ، وجرتومة لها ، ونفزع عنها الأصول ، ونجعل الثانية من الثمرات ، أو الجزء المباشر للثمرة ، حسبما يأتى إن شاء الله تعالى .

(١) صاحب منار السائرين .

(٢) في ط : « فإ قال » تحريف .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) في : ط « وبكسب » .

البيان الذى يشرح الجرثومة ويفصلها

ويقرر منها القواعد ويؤصلها

قال المؤلف (رحمه الله ^(١)): وإذ قد افتتحنا هذه الأسباب بالمعرفة ^(٢) التى تتقدم (على ^(٣)) المحبة ، وبيننا ما المراد بها ^(٤) ، فنقول بعد ذلك : والأسباب القصوى تنحصر من هذه الجرثومة فى باطن هو الشرع والنقل ، وظاهر هو الطبع والعقل .

أولها : نبوة ترشد ^(٥) إلى سبيل ، وتهدى بمنار دليل ، وشأنها أن تبلغ ما تلقته من العالم الأعلى من الهدى [٣٠ ب] القولى والعملى ، وتبينه بالهدى الفعلى ، تصريحا فى الأول ، ومفهوما وفعلأ أو إقرارا له فى الثانى ، أخذاً أو تركا ، وجعل الوعد والوعيد فى ذلك حسابا ، فن انقاد كنى مؤنة الاستدلال ، ومن استراب كحلت بصيرته بميل المعجزة ، ومن أياس من نفسه [هدد] بالوعيد ، أو لعنة مصاحبة إلى عين الوعيد ، ومن أساء أوذن ^(٦) بحرب مريقة للدم ، أو مسترقة الرقبة ، مالم يتق بمجن الكلمتين ^(٧) . فإن ناصح فيهما نفسه (فلها ^(٨)) ، وإن غشها فيهما فعلها ، « اليوم أكلت لكم دينكم » .

والمنحاز إلى فئة الهدى ، إما مقتصر على قلادة العقد بحسب عقله وتلقيه ،

(١) فى : س ، ط (رضى الله عنه) .

(٢) فى : ط ، س (المعرفة) تحريف .

(٣) ساقطه من : ط ، س .

(٤) فى : ط ، س (مايرادها) .

(٥) فى ط (رشد) .

(٦) فى : ط (أذن) .

(٧) أى الشهادين .

(٨) ساقطة من : ط .

وفي نجاته نظر ، وحصولها ببعض الاعتبارات^(١) راجع بفضل الله . أو
باحث عما في يده ، ومنزلة الأول وهذا الثاني منزلة رجلين ، أصابا لقطي
جوهر نفيس ، وياقوت رفيع ، وكلاهما جاهل^(٢) بحبس ذلك ، فأحدهما لم
يوجب لما أصاب حقا ، ولا قدر له قدرا ، ولا أقام له وزنا ، ولا تهدد به
فقرا ، ولا أوجب له مزية ، فهو بصدد أن يشغله فيطرحة ، أو ينسأه
فيفقده ، أو يطرف به وليدة جاره . أو يساوم فيه بلقمة ، فيرى أنه قد
قمر^(٣) (ذلك^(٤)) المسام^(٥) ، وصاحبه كان أنبل منه ، فرأى ذلك الشيء
يفضل ما بين يديه وما خلفه من الحصا والحجارة بخواص كثيرة ، وأوصاف
عديدة ، منها الندور والانفراد ، والهيئة^(٦) وأثر الصنعة ، ومخايل الاغتباط ،
ونوهه^(٧) في نفسه وجود الشف والالاء ، فضنت به يده ، وقوى عنه
سؤاله ، وفيه بحبه ، فظهر له مع استبرام حاله قدر ما تحصل بيده فأثرى ،
ورآه استغنى ، وحسنت حاله ، وعز جناحه . كذلك من تسلم الدعوة ، بين
من سار مكبأ على وجهه ، نافرأ عن دعوة ربه ، فكان ما اتصل به من
دعوة الحق كالبذر الواقع في الرمال اليابسة ، والقفار الغامرة . ومن يرد أن
يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا ، وبين من لم يقبل ولا أصغى ، ولا سالم
ولا أعفى ، وهو الذي كذب وتولى ، وحارب وآذى ، « فأخذه الله نكال
الآخرة والأولى^(٨) » ، « أفأنت تسمع الهنم أو تهدي العمى ومن كان في
ضلال مبين » .

(١) كالتوكل والإخلاص ونزلة الحسنة ، ولعل الخي .

(٢) ق : ط . (جس) .

(٣) أى فاهمه بما أخذ من نعم فيما كسب المنرى ولما خسر .

(٤) ساقطة من : ط ، س .

(٥) ق : ط (الاستام) .

(٦) ق : ط ، س (الهيئة) .

(٧) أى نوه وجود الشف وعبره من الصفات عن فسة الجوهر ونهاسته .

(٨) سورة النازعات .

ومنهم من سمع شيئاً فكان اهتداؤه بمقدار ماسمع ، واقتداؤه على حسب ما فيه طمع ، : « فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »^(١) .

ومنهم من كانت جوارحه مسامع هدى ، فأثبت الله في قلبه حبة الإيمان النبات الحسن ، : « والله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب » حتى إذا استقر وتأنصل ، وتوشج جذر اليقين ، ووسمت^(٢) السعادة وجوه الذين كتب في قلوبهم الإيمان ، عرض الخبر على حذق الفطرة ، واختبر الحاصل بميزان الفكر والروية . ثم هاجر من ضيقة^(٣) الهواجس^(٤) والشواغب ، وبقي الشكوك^(٥) الخفية ، إلى فضاء الاعتبار ، بعد مشاهدة أدلته ، وأوقوف على عجائب فشفيت العلل ، وتدورك الخلل ، : « ويزداد الذين آمنوا إيماناً » .

فن كان مستصحب الاستقامة ، ولزيم التوفيق ، وحليف العناية ، ومعين الجذبة ، فهو على بصيرة من أمره ، [١٣١] : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً »^(٦) .

ومن كان صريع غفلة ، أو ضالاً على علم وبينة ، أخذ بحجزته ، وأوصل^(٧) نفس اليقظة إلى قلبه ، وغرزت شوكة الصيحة في مبدأ حسه ،

(١) سورة الزلزال .

(٢) في : ط (وسمت) . تحريف .

(٣) في : ط ، س (صنية) . .

(٤) في : ط (الهواجس) .

(٥) في : ط ، س (وكفى بالشكوك) تحريف .

(٦) من كلام سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٧) في : س (وأوصل) .

فأفاق وبادر سنوات^(١) نومه ، بسكب مياه التوبة على وجهه ، وضرب^(٢) وجمه نفسه المنتكسة^(٣) إلى قبلة ربه ، وولى شطر النجاة صفحة عزمه ، واستمسك بالعروة الوثقى لحينه ، وعلى قدر العناية به ، وقبول قصده ، يكون ما يفتح الله به على قلبه من أبواب الحق ، وبواطن الأمر ، وتقريب الطرق ، حتى يتأدى إلى جادة المعرفة في العاجل ، وثمرتها في الآجل ، : « وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

فإذا تحصلت اليقظة ، ثم التوبة ، قبضت اليد على زمام راحلة المحبة ، روقعت بين العبد والرب وصلة المعاملة ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . وإذا سبقت محبة الله ، تبعها محبة العبد^(٤) ، فإنهم سبب الهداية ، فاستقام في طريق المحبة الوخذ والزميل ، والإعناق والهملجة والركض^(٥) ، فمن سائر بسير ضعيف ، ومن راكض ملء عنانه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

وثانيهما^(٦) : عقل يهدي ، وفطرة سليمة إلى الصواب تؤدي ، وشأنه (بحسب)^(٧) ما فاض على محل^(٨) استعداده ، وهو القوابل الغنهرية من قبض العلل القصوى ، وساطة عن نور المبدأ الذى لا حياة لشيء إلا به ، ووفور قسمه^(٩) من نوره وعنايته ، حتى يظهر ما في القوة من الاستنتاج ، وإدراك

(١) في : ظ (سمات) تحريف ، وفي الأصل (سبات) والترجيح من . س .

(٢) في : س (وصف) .

(٣) في : ط (المستكة) تحريف .

(٤) يحبهم ويحبونه فحبة الله لا عبد سبب محبة الله لا عبد الله ، كما في النوبة . فتاب عليهم ليتوبوا .

(٥) أنواع من السير تختلف في السرعة والبطء .

(٦) تاني الأسباب القصوى التي نتقدم المحبة .

(٧) ساقطة من : س .

(٨) في : ظ (من محل) .

(٩) في : ظ (نسمة) .

الحقائق والمطلب عن الحدود الوسطى ، وبروزها إلى الفعل ، إذ يزعمون أن ذلك في قوة النفس الزكية ، وأنها لا تحتاج إلى قانون البرهان إذا صفت وفارقت (١) . لو تعلق العلم بالثريا لنا له رجال من هؤلاء .

أو يستعمل جزئى الحكمة قولها وهو الأمر - ، وفعلها وهو دون ذلك حتى يدرك الصواب بقانون الصناعة ، في كل صناعة وعلم ، وعند ذلك يجعل مصحف الاعتبار بين يديه ، فيحق الله الحق ويقطع دابر الكافرين ، فيأخذ بأزمة أيدي الآثار ، حتى تقف بين يدي المؤثر ، فإذا انقشع ضباب الشك ، وصدق الخبر دعوى الخير ، واتصلت العين بالعين ، وحصل لسان الحق ، أخذت صفات الله إقطاعها من أرض الإنبات ، وظهر عالم الخلق مستويا ، وعالم الأمر (٢) في العلم القديم مكتوبا (٣) ، وتجلى وجه التوحيد من ثنيه التفريد (٤) لامستراً ولا محجوباً ، وجال طرف الاستدلال على الصانع ، وبرهن الشاهد على الغائب ، وظهر انبثاث الأنوار من عنصرها ، وانسكاب العيون من منبعها ، وكلما أينعت العشبة ، أدت إلى الأصل ، أو سئلت القوة أخبرت بالكل ، واستقرت البنية أدت إلى الأم ، وأن إلى ربك المنتهى ، وأن إلى ربك الرجعى ، وله الآخرة والأولى ، ووجد العقل [٣١ ب] الجزئى سبب النور بينه وبين

(١) في : ط وفاقت : أى فارقت مألوفاتها المادية وفاقت غيرها وسيطرت عليها الروح فاطلقت ببسداً عن المحسوسات وعادت حيث لا يؤمن بالآلام التي تعوق عن الحب وتمددت وجهتها إلى الله ، وأحكمت الاستفاضة من الفيض الألهى وليس ذلك زعماً وإنما هو حقيقة . فقد ظهر من الأمين المتصوفين علماء أجلاء . كالديباغ ، والحواص ، وعجم بنت النفيس البغدادية رضى عنهم .

(٢) عالم الخلق طهور المخلوقات في صورها المادية وعالم الأمر وجودها في العلم القديم قبل بروزها إلى الوجود الحسى .

(٣) في : الأصل ، س ط . « مكتوما » .

(٤) التوحيد هو الإيمان بالله تعالى وحده والتفريد اعتزال الناس والمخلوقة للأمر التهى والتهذون بذكر الله تعالى [راجع : باب التوحيد والتفريد من كتاب « علم القلوب » لأبي طالب المكي ، ط القاهرة ١٩٦٤] .

العلل القصوى ممتدا ، ووسيلة الروح^(١) ، بالروح الأمرى متصلة المعنى ، فقال : من هنا نسبيح ، ومن هذا البيت نرحل^(٢) ، فألقته رواحل الفكر في حلال الجمال الجزقى ، ثم نقلته إلى حضرة الجمال الكلى ، ثم أسرى به فأشرف على فضاء الجمال المطلق ، وعند الصباح بحمد القوم السرى .

وإذا حصل الاستشراف إلى هذا العالم الذى هو إقطاع النبوة ، وقع الافتغار إلى تهذيبها ، والتماس إذنها ، فإن كان فى الرفقة من يتلطف لذلك انقلب الأخفاف قدما ، وخيض البحر ، وريح التجر ، وإن عدم منه العين والأثر ، انقطع السير ، ووقع البهت . وبحسب المخالفة والموافقة^(٣) ، والمقاربة والمنابذة ، وتقدم الحجة ، وابتغاء الوسيلة ، وظهور المقدرة ، تكون مواهب الشفقة واللفظ فى منازل البعد ، وانتشاق نواسم الرحمة على النأى ، « أولئك لهم نصيب مما اكْتَسَبُوا والله سريع الحساب » .

فباطن الجرثومة^(٤) وهو^(٥) الشرع والنقل ، ينقسم إلى أصل الكلام فى النبوة من حيث الشرع ، وإلى أصل الإيمان والاعتبار العامى ، وأصل اليقظة والتوبة فى حق المحتاج لذلك ، وأصل العناية والتوفيق فى حق المستغنى عنه ، وأصل السماع والموعظة فى حق الكل ، والتهذيب للجميع^(٦) .

وظاهرها وهو الطبع والعقل ، ينقسم إلى أصل جزء الفلسفة فى حق المحتاج إليه ، وإلى أصل سلامة الفطرة فى حق المستغنى عنها ، وإلى أصل

(١) فى : ط « الدوحة » .

(٢) على الهامش فى الأصل « من هنا نهج ومن هذه الثانية نرحل .. من لسخه ثانية » .

(٣) فى : ط . « والمفارقة » .

(٤) فى : ط « الجرثومة فباطن » تقديم وتأخير .

(٥) فى الأصل « وهى » وكذا فى : س .

(٦) فى الأصل . تهذيب الجميع .

النبوة من حيث النظر ، وإلى أصل الاعتبار الخاص في حق الجميع ، وإلى أصل معرفة الجمال ، ثم أصل التشبه^(١) بالخير المحض ، والفكر الموصل إلى الاتحاد^(٢) بالجواهر الباقية ، ليقب المتحد بها والذي يجوهرها ، وكان إياها بالفعل ببقائها ، ويقع تداخل هذه العروق ، في إثبات الفاعل الذي لأفاعل له ، والأول والآخر ، الذي لا أول له ولا آخر ، والاعتراف بالعجز عن إدراكه والإحاطة به ، وأن السعادة في حبه ، ثم في القرب منه ، ثم في مشاهدته ، ثم في البقاء به ، ويخرج من هذه الجرثومة ، بين هذين الأصلين ، باسط ، وبرزخ واسط ، له ثلاثة أصول . أصل الأذكار ، وفيه عشر شعب ، [و] أصل الأسماء ، وله تسع وتسعون شعبة ، [و] أصل السيمياء ، وهو الذي عفن بعضه ، وكان حق هذا الباسط ، أن يكون في فصول الرياضة ، لأن كل من يريد محبة الله ، لا يجد طريقا أقرب إلى غرضه من ذكره ، وهو مشترك لكل طالب ، قدس الله تعالى ، من صاحب عقل ، أو نقل ، [و] جعلناه في الأسباب ، وكملنا شكل الأصول ، ومثل هذا لا يخل بالعرض بحول الله ، وليت هذا الموضوع (المروح)^(٣) لم يكن فيه إلا هذا القدر ، قال الشاعر :

كفى المرء فضلا أن تعد معايبه .

(١) في : ط « النسبة » .

(٢) في : ط « الاتحاد » .

(٣) ساقطة من الأصل .

الأصل الأول من الباطن

في الكلام على النبوة من حيث الشريعة والنقل

قال المؤلف (رحمه الله)^(١) ومذهب أهل الحق : أن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب الله وشرعه لا بالعقل ، وبيانه : أن العقل إن أوجب الطاعة فيما [٢٢] أن يوجبها لغير فائدة وهو محال ، أو لفائدة ولا بد أن ترجع إلى الله ، وهو محال ، (أو للعبد)^(٢) وهو محال ؛ لأنه لا غرض له في ذلك عاجلاً ، بل هو تعب له ، ومنع عن لذاته وشهواته ، والمآل ليس فيه (إلا الثواب)^(٣) أو العقاب ، ومن أين يعلم أن الله يثيب على الطاعة ولا يعاقب عليها ، والطاعة والمعصية متساويتان في حقه ، لا ميل له إلى إحداها ولا اختصاص (به)^(٤) ، وإنما عرف ذلك بالشرع ، وأن الله عز وجل إنما بعث الأنبياء هداة الخلق ، ورعاة الحمل ، وأطباء النفوس ، ودعاة الله إلى السعادة الدائمة ، وأدلاء العباد على سبيل الله ، والدار الآخرة ، لطفاً منه ورحمة ، وفضلاً ونعمة ، بعد أن أخذ ميثاقهم في عالم الذر والهباء في ظهر آدم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألسن ربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا . (ثم نسوا بعد ذلك الذكرى ، وشغلوا بالحياة الدنيسا عن الآخرة ، وطال عليهم العمد ، وقطعهم عن الله القواطع والحجب ، وغمرت نفوسهم الشهوات ، واستدرجتهم الآمال ، واستحوذ عليهم الشيطان ، وأضلهم تقليد الآباء ، واتباع الأهواء ، وجعلوا طريق النجاسة ، وتاهوا في بيداء الضلالات ، وتوسيت)^(٥) تلك الفطرة التي فطروا عليها ، وتدورست

(١) في : س ، ط « رضى الله عنه » .

(٢) ما بين الماصرين ساقط من : ط .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) ساقطة من : ط .

(٥) ما بين الماصرين ساقط من : س .

تلك السبيل التي أمروا بسلوكها ، وإليه الإشارة بقوله : « وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » . وقوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا » ^(١) أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه ^(٢) ، أو يمجسانه » .

فعند ذلك استقبلتهم رحمة ، وتوجه إليهم لطفه ، فأرسل الأنبياء يدعونهم إلى النجاة ، ويذكرونهم عهده ، ويدلونهم على طريق الآخرة ، ويوضحون لهم حجة الله ، يأخذون بأيديهم وحجزهم عن النار .

قال الله عز وجل : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » . وقال : « قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير (فقد جاءكم بشير ونذير) ^(٣) » ، (فتصيحوا) وبلغوا ، وبيدوا حجج الله ، وأوضحوا صواعين ^(٤) بأمره ، مشيدين بوحيه ، مكشوفين بعصمته ، متعدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، عندما علم سبحانه وتعالى أن الجبل

(١) يرى بعض الصوفية أن المحبين لله حين قال ألست بربكم إنما أن يكونوا قد أحابوا عن همام حتى إجابة لرعان ، وإما أن يكونوا قد أحابوا نذيرنا عن سمع بالحق ، من سمع وهو عائد إلى أصله من الإيمان ولو انحرف عن الطريق في أنباء حياته ، والمفلد عائد إلى صلاله . هما سلك طريق الصلاح في أنباء حياته . [راجع تفصيل الموضوع في باب التوحيد من « علم العلو » لأبي طالب المكي ، ط القاهرة ١٩٦٤] .

(٢) في الأصل « وينظره » . تحريف

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل .

(٤) في : ط « صاعدين » تحريف .

كما لا يهدى إلى الأودية المفيدة للصحة ، والعشب (النافعة) من الأمراض
فكذلك لا يهدى إلى الأفعال المنجية في الآخرة .

وأن حاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ، لكن يعرف
صدق الطبيب بالتجربة ، وصدق الرسول ^(١) بالمعجزة كما تقرر .

وتبين ^(٢) أن النفوس التي أخذ عهدها لما أسكنها الأرض ، وغر بها
عن كريم جواره ، [٣٢ ت] ، وبعدت عن عنصر النور والسكون والعوالم
الروحانية ، وبجال الملائكة ، وتعشقت بالخرف ، وغرقت في الشهوات ،
حدث بها ما يحدث بالحيوان إذا نقل عن بلاده التي ألفها ، [وألف]
هواها وماءها ^(٣) اللذين اعتادهما من الأمراض والأسقام ، فأصابتهما
الأوباء الشاملة ، والأمراض العامة ، فكاد يستأصلها الهلاك ، وتفنيها تلك
الأمراض ؛ فبعث الله أطباءه ^(٤) المهرة بعلاج النفوس . من علل الذنوب
وأسقام الغفلات ، وزمانات الشرك والإلحاد . فنصحوا المرضى واجتهدوا
في طلب الشفاء ، وحذروا وبلغوا ، وبشروا وأنذروا ، فكان قليلها - وهو
البعيد من الاستعداد لقبول فساد الأهوية والمياه - في حيز السلامة ، وهم
بعث الجنة ، وأكثرها هالكة في سبيل الموتان .

فالأنبياء الهداة ^(٥) أولوا الزم ، وغيرهم من أرباب الصحائف
والهدايات وورائهم ، هم تلاميذ الأطباء المهرة ، ليحيى من حي عن بيته ،
ويهلك من هلك عن بيته .

(١) في هامش الأصل « النبي » في نسخة ثانية .

(٢) في : ما « تبين » .

(٣) في : س « ومائهما » تحريف .

(٤) في : ظ « أطباء المعجزة » .

(٥) على هامش الأصل « الهداة » في نسخة ثانية :

ثم قفى على آثارهم بخاتم أطباء القلوب ، و آخر أساة النفوس ، ومسيطر
أولئك الأطباء ، المثبت الماحى ، الناسخ المسخها ، المقرر لصفاتها^(١) ، ثم
من بعده من خليفة وبدل وقطب ، وتفاوت الكل فى العلاج ، بحسب الإمداد
والعناية والفتح والسابقة ، من قبل من^(٢) أنزل الداء وأنزل الدواء ،
فقعدها للناس يوقظونهم من نوم الغفلة : « ادع إلى سيد ربك بالموئظة
الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » بادئين بتقرير وجود الله ، ثم بتقرير
وحدانيته ، ثم بآثاره فى العالم ، ثم بأحكام آثاره ، مصدقين أخبارهم
بالمعجزة ، ثم خوفوا من عقاب الله ، ورغبوا فى ثوابه (بكل)^(٣) ما لآعين
رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فمن الناس من آمن بالغيب ،
ومنهم من آمن بالمعجزة ، ومنهم من لم يؤمن : فريقا هدى وفريقا حقت
عليهم الضلالة . قل مسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين .

وكان من بعدهم من طوائف الهداة ، والقادة إلى الله ، وأولى الاتباع
يتفاضلون فى المعرفة بالعلل ، بحسب ماسرى إليهم من أولئك الأطباء ،
وبمقتضى اجتهادهم وتوفيقهم .

(١) فى : الأصل « لصفاتها » .

(٢) فى : س ، ط « الذى » .

(٣) سائطة س ، ط فى : س « بما لآعين رأى » .

الأصل الثاني من الباطن

في الإيمان وما يتبعه من الاعتبار العامى

قال المؤلف (رحمه الله)^(١)

الإيمان عبارة عن التصديق ، قال الله عز وجل : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » . أى بمصدق ، وخصصه العرف بتصديق النبوة ، وكأنه نور أشرق في القلوب بوساطة النبي .

والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام للعمل^(٢) التكليفى ، والانقياد له بالجوارح ، ولأن^(٣) الإيمان أشرف أجواء الإسلام ، فكل إيمان إسلام ولا ينعكس . ولذلك ما كانت درجة الجمهور والمقنوع به منهم [إلا] الإسلام : « أمرت أن أقاتل الناس على ما هم عليه حتى يقولوا لا إله إلا الله » . ثم درجة الخاصة بالإيمان : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » . ثم درجة خاصة الخاصة بالإحسان وهو قوله صلى الله عليه وسلم « أن تعبد الله كأنك تراه » [٣٣] .

وعلى هذه المقامات بنى^(٤) الناس المقامات وبين الأئمة في ذلك خلاف أغنانا إشتهاره وشهرة الحديث الصحيح فيه عن الإعادة ؛ وعلى ما تقرر الاعتماد عليه إن شاء الله .

(١) في : س ، ط « رضى الله عنه » .

(٢) في : س ، ط (العمل) وعليه أى الاستسلام هو العمل التكليفى : والأصل أرجح .

(٣) في الأصل ، ط « وكأن » .

(٤) في : ط « في » تحريف .

فمعنى الإسلام : دخول الناس فيما دعاهم إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(١) من انقيادهم وقياسهم به : بنى الإسلام على خمس . وفي كون الإيمان يزيد بزيادة العمل ، وينقص بنقصانه ، وغير ذلك من أحواله ، كلام ينظره في محله من تشوق إليه^(٢)

وأما ما ينبع ذلك من الاعتبار العامي ، فنقول : قال الله عز وجل : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء . » وقال : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقنا هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار » . وقال : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » . قوله : أو لم يكف بربك . إشارة إلى أن الأولى معرفة الأشياء بالله ، لا معرفة الله من الأشياء^(٣) .

فالتفكر الذي يتقدم الاعتبار ؛ هو إحضار معرفتين في القلب ، ليستثمر منها معرفة واحدة . وتلك المعرفتان : إما أن يتلقاهما ويصحبهما من نفسه ، وإما أن يتلقاهما من غيره مقلدا إياه في صحتها ، كمال يقال : زيد وعمر وغنيان ، ذريا مال كثير^(٤) ، إلا أن زيدا ينفق المال في

(١) ما بين الحاضر من ساقط من : ظ .

(٢) الذي تستريح إليه النفس هو أن الريادة والنفس في الإيمان يمكن تصويرها بالشجرة بين حاتي الشرب والعطش فلا تقص في أصلها إن عطشت ، ولا زيادة في أصولها إن رويت ، ومع ذلك فالريانة أزبد في المعنى من العطشى .

(٣) ولذلك اتفق الصوفية جميع المتكلمين في استدلالهم على وجود الصانع بوجود الصنعة وقالوا الله دليل على وجود خلفه وأجلوا العكس واستدلوا بصحة القول بأن الأصل دليل على الفرع بقوله تعالى « وجعلنا الشمس عليه دليلا » فالطل متفرع عن وجود الشمس والأصل وهو الشمس دليل على وجود الطل . والواجب وهو الله تعالى أصل لوجود الممكن وهو الإنسان فرع الوجود ، فالواجب دليل على وجود الممكن . وفي : ظ . لا معرفة الأشياء من الله . تحريف

(٤) في : س ، ط . « كبير » .

في سبيل الله ، ومنفق المال في سبيل الله أفضل من مسكه ^(١) فريد أفضل من عمر . فاحضار المقدمتين في النفس بهذا الاستنتاج . يسمى تفكرا ، ويسمى اعتبارا ، ويسمى تذكر ، ويسمى تأملا وتدبرا . فمنها مترادفة كالتأمل والتدبر والتفكير ^(٢) ، وسائرهما يقع بينهما الفرق ، فالاعتبار يقع على إحضار المعرفتين من حيث أنه يقتضئ منهما المعرفة بالله مثلا ، فإن لم يقع الافتتناس ، ولم يكن إلا حضور المعرفتين ، سمي تذكر فقط .

وفائدة التفكير تكثير المعلومات ^(٣) ، واستجلاب معارف ليست حاصله ، وكلما ازدوجت المعارف على ترتيب مخصوص أثمر كل مزدوج منها ثالثا ، إلى غير نهاية ، إلى أن ينفصل تدبير النفس للبدن ، والتذكر ثان عن ^(٤) التفكير . وهو ثمرة ، ويتضمن : الإجابة . قال الله تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب . والاعتبار هو : دليل الله على نفسه ، الذي لا يحتاج إلى غيره ^(٥) فيه ، وفائدته في هذا الباب هي الاعتبار بكونها أقوى أسباب المعرفة التخاطبية والمقامية .

فإن من وقف على مصنوع بديع ، أو موضوع شريف ، أو مخترع عجيب ملئت نفسه تشوقا إلى اجتلاء صانعه ، ورؤية واضعه . وجل بعينه ، وحلا ^(٦) بقلبه ، بمقدار ^(٧) ما أدركه من مصنوعه ،

(١) في : ظ « مسكه » .

(٢) في : س « كالتدبر والتأمل والتفكير » وفي : ظ . « كالتدبر والتفكير والتأمل » وايمت هذه الألفاظ مرادفة ، فالتدبر يكون في القرآن والحديث وفقه الشريعة . أفلا يتدبرون القرآن . والتأمل مرحلة تسبق التفكير . والتفكير يكون في الأمور المسخرة للإنسان والى لا دخل له في عملها كالسحاب والشمس والقمر والنجوم أما التأمل فيكون فيها للإنسان فيه دخل وما ليس له فيه دخل .

(٣) في : ط ، س « معلومات » .

(٤) في : ظ « ج التفكير » .

(٥) في : س « غيرية » .

(٥) وفي س « وجل في عينه وحلا »

(٦) في : ظ « مقدار » .

وقاض (١) عليه من حكمته ، وتفطن له من إتقانه وإحكامه ، وعظم تشوقه إلى لقائه وتأدية حقه ، والنباهة بمعرفته ، سيما إذا نادى إليه سابق إنعامه (٢) ، وأن كل حبيب إليه هو الذى يسره وأحكمه ، (وكل مسكروه إليه هو الذى أفاده الحذر منه وألهمه) (٣) وأنه مالك موته وحياته ، [٣٣ ب] الذى لاملجأ منه إلا إليه ، اللطيف به المتكفل بأمره

ونحن إذا أطلقنا أعنة الاعتبار لم نقف عند غاية ، ولا أحصينا فى يوم ما أدر كنا من عجائب ذرة : « قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا » . « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر ينحدر من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله » .

ما ينتهى نظرى منكم إلى رتب
فى الحسن إلا ولاحت فوقها رتب
وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فلنلح من ذلك ببارقة فى الأنفس والآفاق ، كما قال الله سبحانه وتعالى ، تلهم الأنفس إلى بدنها (ونفمها) (٤) إذا طمحت عند حدها ، ونجعل ذلك فى الآفاق فنقول :

ومن نظر إلى السماء وقد أخضر أديمها ، واستقلت على غير عمد قبعتها ، وعمت نطاق كرة الأرض طنبها (٥) سقفا مرفوعا ، وسماك (٦) لا معتمدا ولا مدعوما ، قد أشرقت بها مصابيح النجوم بادية ، وفى الظلمات هادية ، مختلفة الأجرام والألوان والأبعاد والحركات ، كل يראה معنى غريب ،

(١) الأصل ، س وغاص .

(٢) فى : ط « إنعامه إليه » وفى : س « إنعامه عليه » .

(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من : س .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) فى : ط « طيمها » .

(٦) فى : ط « وسماكها » .

وحكمة باهرة^(١). ولا كاشمس والقمر إذ يسبحان في لجنها^(٢)، فيريان المولدات، وينتجان الحكمة البالغة، بين الحر والرطوبة والبرد واليبوسة، تسخن الشمس وتبسي مارطبه وبرده القمر، ويرطب القمر ويردما سخنته الشمس، ويطوف كراهما بالأرض، فيحدث لمغيها ومن ظلمها الليل، لسكن^(٣) الحيوان، وتعلل أرواح النبات، ويتعين بتدرجها في مدارج الميل فصول الزمان، من ربيع معتدل، لينشئ^(٤) النبات، ويقم قسطاس الطبائع^(٥)، وصيف يهيج السكلا، وينضج حب الحصيد، ويبلغ عالم العشب إلى غايته^(٦)، وخريف يكسر من سورته، ويتلف جنى الفواكه من يد صولته، ويكون فاصلا (ومدرجا بينه)^(٧) وبين صده. شتاء يهيء الأرض لقبول الفلح، ويشوق أرحامها لجنين البذر.

وقد وكل النيث بالفصل المعتدل يغذو ويربي، وأمسك^(٨) في الحر إعانة على ضم الأقوات، وتبييس^(٩) الغلات، وقدر في الخريف تعديلا لسورة القبط. واستكثر منه في الشتاء سقيا للحرث، وتيسيرا للإثارة والفلح وعدة في مخازن الجبال.

وقد تعين من هذا الجود الفياض رزق الثمة فما فوقها، وغذاء الورقة فما دونها: «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه»، «ولا رطب ولا يابس إلا

(١) في : ط «بالغة» .

(٢) في : ط «لجنها» .

(٣) في الأصل «لسكن» وفي : س «السكون» والترجيع من : ط .

(٤) في : س «ينشئ» .

(٥) في : س ، ط «الصنائم» .

(٦) في : ط «غاية» .

(٧) ساقطة من : س .

(٨) في الأصل «ويعسك» .

(٩) في : ط «ونيبس» .

في كتاب مبين» ، والاستغناء عنه في القطر الذي يفيض به النيل ترفعا عن فعل العبث^(١) أحق بالاعتبار^(٢) ، قد اطرء ذلك قانونا لاعتباره الفتور ، ولا يطرده الاختلال^(٣) .

ثم نقول : ومن نظر إلى عالم النبات واختلاف أنواعه ، وتباين ألوانه وشتى طعومه وروائحهم ، مع المنابت^(٤) القرية^(٥) ، والبقع المتحدة ، تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل . وإسقاطها الرياش [١٣٤] والأوراق في فصل الشتاء ، عند الفراغ من تدبير الثمرات وستر أجنة الفواكه ، واستئناف^(٦) الزينة ، ومعاودتها الكسوة ، عند حلول النير^(٧) « الأعظم بالمنقلب الربيعي الاعتدالي ، كأنها تنتظر وعده ، وترقب أمره ، فتلقح وتنمطر^(٨) ، وتخرج السندس والاستبرق من تلك الخزائن ، بتقدير الحكيم العليم ، متباينة القوى بين غذاء ، ودواء ، وضار ونافع وذى خواص^(٩) ، مما يقبل الإلقاح والتذكير ، والعلاج والتدبير ، وقال الشاعر :

أنظر إلى الأغصان في حركاتها	أشكرها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة تنثنى	وتقول أرباب الحقيقة تسجد
وإذا رجعت إلى اليقين فإنها	في شكر خالقها تقوم وتقع

(١) في : س ، ظ . العبث .

(٢) في : ظ « حفي كالأعبار » .

(٣) في : ظ « الإخلال » .

(٤) في س ، ظ « المباشنة » .

(٥) في : ظ « النرسه » .

(٦) في : س ، ط « واشتياقها » .

(٧) في : ظ « النيل » تحريف :

(٨) في : س « وننتظر » .

(٩) في : س ، ظ « وجفى خواص » .

وهذا الاعتبار هو العامى المتقدم على المحبة .

ثم نقول : ومن نظر إلى الحيوان وأصنافه . بين الطائر والماشى ، والمنساب والسائح ، قد أفرغت في قلوب^(١) الشبه أنواعها ، وظلمت^(٢) سطوحها المعرضة إلى الجور بالرياش والأشعار والأوبار ، والقشور والأخزاف ، وتمت ما ربهها قبل خلقها وإنشائها ، وهيئت^(٣) مصالحها قبل اختراعها وإبدائها ، فكانت بحرياتها - الى لا تنطق - مختصرة آلات الأصوات من المزامير والأعناق ، وساكنة الأرض خلدا^(٤) لا تبصر ، ومنتجعة الغدران بحرا ، فيه الأنامل . طويلة الأرجل . وسباعها مخططة المناخير متيسرة للنهش ، ولقطة الحبوب صلبة للكسر ، وحفرة الأرض كماول^(٥) الحفر ، ومصوتها^(٦) مختلفة الأصوات بحسب (التنفس)^(٧) والتنقير والسفالة ، ومنسوبة إلى الخف^(٨) والتنقل^(٩) إلى أحوازها الطبيعية من ماء وهواء وسهل وجبل يحدد لباسها في كل سنة بتدريج لطيف ، لتلا تقدم آلة الحركات دفعة ، مقدرا لها ذلك في فصول الدفء^(١٠) وقر الليل تسببا^(١١) للإعانة ، محصنة بالآنياب وآلات الدفاع . ومن لم يصلح ذلك فيه عوض^(١٢) بسرعة العدو وشدة الجرى فتراها محصنة بالقرون للدفاع ، متقلة بالحوافر والأظلاف ، لتلا يسحبها قرع الصفا والغراز وما صلب من الأرض .

(١) في : س ، ظ . قوايب .

(٢) في : ظ ، س « ضالت » تحريف

(٣) في : س ، ظ « وهبت » تحريف .

(٤) أى التى تسكن جحور الأرض خالدة إلى سطح الأرض ولا يبصرها الناس .

(٥) في الأصل « كماون » وكذا في : س ، ط .

(٦) في الأصل « ومصوتها » .

(٧) في (.) ساقطة من : ظ . وفي : س « التنقر » .

(٨) في : س ، ظ « منسوبة الخف » .

(٩) في : س ، ظ « والتعل » .

(١٠) في : ظ « فصول الرعى » وفي : س « كطول النهار » .

(١١) في : س ، ظ « سببا » .

(١٢) في : س ، ظ « عورض » .

مستورة المخارج بالأذنان إخفاء للعورات والقدر، وصونا عن ضرر الرياح، ذابة مؤذى الذباب بالأذيال، بميزة نافع العشب من ضاره بقوة التوهم، وقد ألهمها جل وتعالى جميع ما تفتقر إليه حياتها، وأتربت قلوبها الرحمة لصغارها، والتميز لنتائجها، والنفاذ من أعدائها، حتى يعرض الكلب^(١) عن فرخ السنور قبل أن يفتح عينيه ويبصر، فتبدو عليه النفرة والتأفف^(٢) والافشعرار، ويبيض الطائر البيضة المبكر أشبه شيء بالحصاة التي عهدا في الأودية والرمال، فيعكف عليها، برجي الغائب وينتظر القادم، كأنه أودع فيها الفرخ، أو كشف له عما في القوة. فسبحان المنعم الملمم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ثم الإنسان وانتصاب قامته طالبة^(٣) بذية العلو، وجعل عينيه طليعة في أعلى رأسه منه [٣٤ ب]، وحركة يديه ورجليه إلى جهتيهما، وصونهما بأطباق الجفون، وتهذيبهما بمذاب^(٤) الأشفار، وجعل^(٥) الحاجبين فوقهما رفرفا واقيا عما ينزل من الأعلى، وتهينة آلات الغذاء إذا كان منبثا على الأرض؛ بخلاف النبات. فجعل له الفم تمضى^(٦) منه الأغذية إلى جميع أجزائه ورتب فيه عظامه على اختلافها من آلة قطع ورض وكسر وطواحن تهيم المطعوم؛ واللسان يقبله فوق الطواحن، واللحاب المتفجر من جانبيه يهيء له الابتلاع، ولا تلبث له إلا عند الضرورة من فطام الرضاع، وتناول المطعومات بالتدريج، وأعجب من ذلك حال التوالد^(٧) واستقرار بذره في حرث الرحم براءة النسل؛ مشوقا إلى ذلك باللذة، مستدرجا بالشبق؛ وقد اشتمل البذر على كل جوهر موجود

(١) في الأصل: على فرخ السنور.

(٢) في: س « والعاقب » تحريف.

(٣) في: ط « ظالب ».

(٤) في: س « بأهداب ».

(٥) في: س « يجمل ».

(٦) في: س « ظ » تمضى.

(٧) في: س « التوليد » وفي: ظ « التولية » تحريف.

في الأب ، تبرزه القوة المصورة من القوة إلى الفعل ، وتهيمه أطوار السكون إلى قبول روح الأمر (١) من جانب الخالق البارئ المصور . فإذا برز إلى الوجود ، تحولت مادة غذائه في الرحم دما ، وإلى الثدي لبنا ، واستخلقت الألفاظ (٢) الإلهية عليه شفقة الأم تحذو فيه حذوها صونا وتتمجعا ، ورحمة من غير (ابتغاء) (٣) عوص إلى أن يستقل . فسبحان الله عما يصفون . ولا كعجائب (٤) مظهر به من أثر النفس العالم الشريف (الإلهي) (٥) المتجلى من مشاعر الحواس ، فتري الروح يقبض (٦) من إنسان ، ويدخل إليه من (خرت) (٧) أصغر من العدسة صور ما بين السماء والأرض .

(يا من على السر قد عثر لا تترك نظم ما أنتثر
حتى إذا عينه بدت لا تترك العين بالآثر) (٨)

وكذلك المسموعات . تتصل بها من ثقب الأذن ، والكل يستقر لديه في لوح الخيال ، فلا تتزاحم له المراتب والمسوعات ، ولا ماتدركه القوى النفسانية من المدركات ، فيدرك ما وراء الحجب الكثيفة ، ويتصل بها مع سكون الجثة ، ويستحضر البلاد والعباد وهو في كن بيته ، وفوق أريكية ، إدراكا مبينا لجسده ، ومعلوما لامن وظيفة جرمه ، إنما هو منوط بنور من نفخ (فيه) (٩) من روحه ، فكيف لانتهى النفوس في سبيل التقرب إلى هذا الحكيم العليم ، الذي إليه الرجى ، وله الآخرة والأولى ،

(١) في : س ، ط « لأمن » .

(٢) في الأصل ، س ، ط « أطف » .

(٣) ساقطة من : س ، ط .

(٤) في : ط « كعجائبه » .

(٥) ساقطة من : س .

(٦) في الأصل « ينس » تحريف .

(٧) الحروت الثقوب . وفي . ط « خرب » تحريف .

(٨) البيتان ساقطان من : س ، ط .

(٩) ساقطة من الأصل .

فهذا رأ مثاله مما يفتح (عين) (١) اليقظة (٢) ، ويفيه من نوم الغفلة ، ويذكر
بالبداة والرجعة ، ويقدر في القلب البليد ذبال (٣) الفطنة .

فإذا سالت أودية الفكر بقدرها ، واحتمل السيل زبد (الشك) (٤) ،
وأقصى إلى بحر الهيمان (في عالم الأمر) (٥) ، نبت في خميلته حب المحبة
بفضل الله ، فأخرج منها المرعى ، وجعله غشاء أحوى (٦) .

ولما قضينا من مفي كل حاجة ومسح بالآركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث (٧) بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح .

خاتمة :

قال (٨) أبو الفرج : لما كان الصانع عليا (٩) عن الإحساس ، سطرت
قدرته في ألواح التكوين عجائب الكائنات ، ثم وضعت الألواح في حجور
العقول ، لتقرأها أذهان أطفال الطباع ، فإذا حنق الصبيان ، وحفظ
المكتوب ، بحى اللوح : « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت » (١٠) .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) على هامش الأصل « جفن اليقظة » من نسخة ثانية . وكذا في س ، ط .

(٣) في . ط « بال الفطنة » .

(٤) ساقطة من : ط .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٦) سورة الليل .

(٧) في : ط « الحديث » تحريف .

(٨) في : ط « قول » .

(٩) في : س ؛ ط « غائبا » .

(١٠) سورة البكور .

الأصل الثالث من الباطن

فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة والرجاء :

اليقظة :

قال المؤلف رحمه الله^(١) : ومن هذه الثنية أعز، ثم اعتبار تشام بوارق اليقظة . قال الله عز وجل : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله . والقومة لله : اليقظة من سنة الغفلة ، والنهوض من ورطة [٣٥] الفترة ، وهو أول ما ينير^(٢) قلب العبد بالحياة لرؤية نور الثنية . وجعل آخرون مراتبها لحظ القلب إلى النعمة ، على اليأس من عدها ، والعلم بالتقصير في حقها ، ومطالعة الجنايات معها .

إلى لك الحمد الذي أنت أهله على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيرا زدني تفضلا كأنني بالتقصير أستوجب الفضلا

والتشهير مع ذلك للتدارك^(٣) ، وطلب النجاة لتجنبها ، ثم الالتجاء ثلاثاً ، والاعتذار من إصاعتها ، وصرف الوجد إلى الضنانة [بها] ، وتدارك الفائدة منها ، وتعميم ذلك كله بنور العقل ونظر المنة ، والاعتبار بما ابتلى [به] ومعرفة النفس^(٤) ، وتعظيم الحق ، وتصديق الخبر ، وسماع العلم ، وصحبة الصالحين ، وزمام ذلك كله خلع العوائد .

التوبة :

وحجة جعل التوبة سبباً من أسباب المحبة قول الله عز وجل :

(١) في : س ، ظ « رضى الله عنه » .

(٢) في الأصل « يستنير » وكذا في : س ، ظ .

(٣) في : س ، ظ « لتعزك » .

(٤) في : س « النفوس » .

«إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» (١). فجعل التوبة من سبب حبه لعبده. ومن المحال أن يحصل حبه للعبد - وهو كناية عن عنايته، وسابقة اختصاصه بقربه ورحمته - ولا يكون محبا من حيث السابقة، وحبه ثمرة السابقة والاختصاص، فصح أن التوبة سبب فاعل في محبة الله تعالى من حيث السابقة، وسبب متمم من حيث ارتباطه بالظاهر.

والتوبة: الرجوع. يقال: تاب أى رجع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه، وقال بعضهم: أهم مقامات قسم البدايات مقام التوبة. وهى: الرجوع من المخالفة إلى الموافقة، ومن الطبع إلى الشرع، ومن الظاهر إلى الباطن، ومن الخلق إلى الحق. وتدخل فيها اليقظة، والإجابة، والمحاسبة، بين متقدم ومصاحب وتابع، وليس بينهما كبير مهلة، وقال الشيخ (أبو القاسم) (٢): هى عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أشياء، يوجب أولها الثانى، وثانيها الثالث: علم، وحال، وفعل. العلم معرفة الذنوب وضررها، والحال الندم، والفعل العزم والإقلاع. ودلائل وجوبها قوله تعالى: «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون». وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا». والنصوح: الخالص. ووجوبها على الفور لا يستتراب فيه، قال الله عز وجل: «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب». وقال صلى الله عليه وسلم: «أتبع السيئة الحسنة تمحها».

(١) لا تقدر العصية على المحبة مطلقا. فهذا نعيان رضى الله عنه كان فيه مزاج، وربما كان يبتسم الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه. رفع إليه وقد شرب خذه ورفع إليه ثانية ثم ثالثه فلعنه بعض القوم في الرابعة، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تلغنه فإنه يجب الله ورسوله» - وسئل ذو النون المصرى عن الرجل يعصى ويحب الله فقال: «هذا رجل عاص يجب الله».

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة من: س، ط.

ودلائل قبولها . قوله : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات » . وقوله : « غافر الذنب وقابل التوب »^(١) . وقال [صلى الله عليه وسلم] : « إن الله يبسط يده بالتوبة » . وبسط اليد كناية عن الطلب ، (قاله الإمام أبو حامد)^(٢) . وشروطها : الندم ، والإقلاع ، والعزم على ألا يعود ، ورد المظالم .

ودرجاتها : التوبة من الذنب ، ثم التوبة من استكثار الطاعة ، ثم التوبة من استقلال المعصية ، ثم التوبة من تضيق الوقت ، ثم التوبة مما دون الحق (من)^(٣) التوبة^(٤) وغيرها^(٥) .

وأنواع المتوب^(٦) منه قسمان : قسم بين الله وبين عبده ، وقسم فيما بينه وبين مثله . الأول : كترك الواجبات المتعينة عليه ، والثاني : كقتل النفس ، وأخذ المال ، وتناول [٣٥ ب] الأعراض ، والأمر الثاني أغاظ^(٧) . وفي الأول ما لم يكن شركا أسهل^(٨) . والكبيرة كل ما نهى الله عنه ، وما سواه فصغيرة .

(١) سورة غافر .

(٢) ما بين الحاصرتين : ساقط من : س ، ظ .

(٣) ساقطة من : س ، ظ .

(٤) أى التوبة من التوبة . ومعنى ذلك أن يلاحظ التائب أن التوبة قد سبقت له من الله تعالى قبل أن ينطق بها بلسانه ، ويعزم عليها بقلبه ، لقوله تعالى : فتائب عليهم ليتوبوا . فالتائب لم يتب فى الحقيقة ، إنما الله هو الذى تاب عليه ويسرها له ، فيجب على العبد أن يتوب من اعتقاده أنه تاب إلى الله ورجع إليه ، ويجب أن يرد التوبة إلى أصلها وهو الله تعالى .

(٥) أى جميع أعمال التوبة ودرجاتها ، يتوب منها العبد كما تاب من فعله للتوبة وأسندها إلى موجدتها الأول والسابق بها إليه ، وهو الله تعالى وكذلك جميع العبادات والأعمال الظاهرة والباطنة التى يقوم بها العبد تجرى على هذا السنن المعبر عنه عند الصوفية بالفناء عن العمل . ثم الفناء عن الفناء فيه .

(٦) قى : س ، ظ « المتوبات » .

(٧) لأنه مختلفان : مخالفة أمر الله . والاعتناء على حق العبد وتعلقه به .

(٨) لأن الله يدع حقوقه بالاستغفار والندم والصدقة .

وعلاج مرض التوبة — وهو : أن يجرى على التائب الذنب المتروك —
أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها^(١) ، فيكون بمن خلط عملاً صالحاً وآخر
سيئاً^(٢) . وجنس الحسنة يدرأ السيئة بالقلب ، أو باللعان ، أو بالجوارح ،
وأن يكون في محل السيئة أوجب . فالقلب بالتضرع إلى الله في قبول
العفو ، وإضمار الخير للناس ، والعزم على الطاعة^(٣) ، واللسان بالاعتراف
بالظلم ، والاستغفار^(٤) ، والجوارح كالطاعات من أنواع الحركات
العبادية ، صدقة وغيرها .

قال أبو الفرج : إذا خرجت القلوب بالتوبة من حبس الهوى إلى
بيد الإجابة ، جرت خيول الدمع في حلبات الوجد كالمرسلات عرفاً ،
وإذا^(٥) استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقى ، ونهضت الزفرات
تحصد ، ودارت رحي التحير تطحن ، واضطربت نار القلق تذئج ، فحصلت
للقلب ملة يتقوتها في سفر الحب .

والتوبة بما يتقدم المحبة ، وربما تتأخر^(٦) عنها ، وكثيراً ما ينقدح على
أثرها زناد الرجاء فيورى ، وتؤيده الاستقامة ، وهى : استصحاب حال
التوبة ، فيضىء في بيت الله — وهو القلب — نور المحبة ، لتأنس النفس
بشروعها في رفع الحجب ، وصحوجو المعاملة ، وفي ضده قال^(٧) الشاعر :

إذ ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ وصدق ما يعتاده من توهم

(١) فى : س ، ظ « فيمحوها » .

(٢) خلط العمل الصالح والسيء . فيه لإحتال عفو الله . قال تعالى : « وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . عسى الله أن يتوب عليهم » .

(٣) والذكر الحنفى . والتأمل والتدبر والتذكر .

(٤) فى : ظ « بالاستغفار الجوارح » تحريف .

(٥) فى : س ، ظ « إذا استقام » .

(٦) فى : س ، ظ « تأخرت » .

(٧) فى : س ، ظ « يقول » .

ومادى محبيه لقول عذاته فأصبح في ليل من الشك مظلم
وحقيقة الرجاء :

ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده بعد تردد فيه . والفرق بينه
وبين المني والانتظار : أنه إن كان قد حصلت له بعض أسبابه سمي^(١)
« رجاء » ، وإن كانت الأسباب منخرمة أو مضادة سمي « غرورا » ، أو
مجهولة سمي « تمنيا » ، فتعريف الرجاء : ارتياح القلب لانتظار محبوب
تمهدت أسبابه الداخلة تحت الاختيار ، كرجاء الغلة من بعد تسبب^(٢)
الفلاحة ، والتمنى كقول العاجز .

لعل الله يأتيني^(٣) بسلمى فيطرحها ويلقيني عليها

والغرور : كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأحق من أتبع
نفسه هوأها ، وتمنى على الله الأمانى » .

وقال الله سبحانه : « تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون
عرض هذا الأدنى ، ويقولون سيغفر لنا » .

ومن دلائل فضله على الكفة الأخرى وهي^(٤) الخوف . قالوا : « العمل
على الرجاء أعلى منه على الخوف »^(٥) . ومن محر كاته . قال الله عز وجل :

(١) ن : س ط « تمنى وجاء » تحريف .

(٢) ن : ط « تسبب » .

(٣) ن : س ، ط « يأتى » تحريف .

(٤) ن : ط « وهو » .

(٥) الرأى الصحيح عند الصوفية : أن يستوى الخوف والرجاء بحيث يكون العابد بينهما | كالطائر بين جناحيه . وقالوا : إذا ما أحد جناحي الطائر عرض نفسه للسقوط ، فكذلك | الخوف والرجاء لا يجوز أن يقلب أحدهما الآخر . أما قولهم : العمل على الرجاء أعلى من العمل على الخوف . فهو يناسب البادئين في سلوك الطريق إلى الله ، كما أن الخوف يناسب كبار المعارفين ، والأولياء دائماً يقضون على مقام الخوف .
ون : ط « العمل على الرجال على منه على الخوف » تحريف .

« يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » . وقال : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » . وفى الحديث : « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها ، ما استغفرنى ورجأتى » . وقوله : « إن الله مائة رحمة ، اذكر منها تسعاً وتسعين ، وأظهر منها فى الدنيا واحدة ، بها يتراحم^(١) الخلق ، فتمن الوالدة على ولدها ، وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة . ضم هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين [١٣٦] فبسطها على جميع خلقه » .

ومن شواهد ارتباطه بالمحبة ما جاء فى الخبر : أن الله أرحم إلى داود : يا داود ، أحبنى وأحب من يحبني ، وحبنى إلى خلقى . فقال : يا رب كيف أحبيك إلى خلقك ؟ قال : اذكرنى بالحسن الجميل ، واذكر آلائي وإحسانى^(٢) . وذكرهم بذلك^(٣) . وروى أن « عثمان بن أبان » كان يكثر ذكر أبواب الرجاء ، فقيل له : ماذا لقيت ؟ فقال : أوقفني بين يديه ، وقال : ما فعلت ؟ فقلت : أدركت أن أحبيك إلى خلقك ، فقال : قد غفرت لك . فإذا أشربت^(٤) النفس معنى^(٥) الرجاء ، وعلقت آمالها بجود الله ، انقدحت فيها أنوار حبه وأنست ، وكان الرجاء أقوى أسباب المحبة . ومن أمثال العامة ، قيل للفقير : لآى شئ تحب الغنى ؟ أو تعظم الغنى ؟ فقال : لأن محبوبى^(٦) عنده وهو الدنيا . وكثيراً ما يصاحب النفس اللجاج

(١) فى : ط « تراحم » .

(٢) فى : ط « وأحياني » .

(٣) فى : ط « ذلك » .

(٤) فى : س ، ط « أشرفت » تحريف .

(٥) فى : ط « جاء معى الرجاء » .

(٦) فى : ط « محبوبه » تحريف .

مع شدة الخوف ، وظلام اليأس^(١) ؛ فأنها^(٢) كالصبي لا يستنزل عن
اللحمة في يده إلا بالمباشطة والرغبة والحيلة ، ولا تستخلص منه بالعنف
إلا عن مشقة .

(١) في ظ : « وكلامه الناس » تحريف .
(٢) و الأصل « بأنها كالصبي » تحريف .

الأصل الرابع من الباطن

في تقرير العناية والتوفيق في حق المستغنى عن ذلك من المستقيمين

قال المؤلف رحمه الله^(١) : أما العناية فإنها^(٢) راجعة إلى القابلية الأولى للتجلى الغيبى الباطنى ، ومنها سرى حكم السابقة المعبر عنها بالعناية الأزلية ، المشار (إليها)^(٣) بقوله : « لهم قدم صدق عند ربهم » . وذلك في الشخص بحسب قلة ميل حقيقته من الحضرة البرزخية إلى الحقيقة الإمكانية ، أو بحكم عدم ميلها^(٤) . إذ بمقدار البعد عن الطرف^(٥) الإمكانى في حضرة العاء تكون العناية والسعادة ، ثم بعد ذلك يقع الجذب عن المحبة^(٦) والأحكام ، ويخلص السر الوجودى^(٧) المفاض على الحقيقة إلى أصله بحكم ظهور أثره^(٨) . قبل من قبل لالعة ، وأعطى من أعطى لالقة ، وبموجب جذبه من جذبات الحق توازى عمل الثقلين .

(١) ن : س ، ظ « رضى الله عنه » .

(٢) ن : ظ « وأنها » .

(٣) ساقطة من : س .

(٤) ن : ظ (مثلها) .

(٥) ن : ظ (الطرق) تحريف .

(٦) ن : ط (في الحجب) وفي : س . (من المحبة) .

(٧) على الهامش (الأوحى) في نسخة ثانية .

(٨) : الحضرة العمائية . هي حضرة الغيب المطلق الذى لا يميز فيه ، والحضرة الإمكانية : هي حضرة ظهور المعلومات العمائية الغيبية إلى الحس . والحضرة البرزخية هي الحظ الوهمى الفاصل بينهما . تشرف على العاء بوجه الغيب ، وعلى الإمكان بوجه الظهور ، بمقدار بعد السالك عن حضرة الحس ، وقربه من حضرة البرزخ الفاصل بين العاء والإمكان يكون استعداده لتلقى النيس والجذب الحى من الله تعالى . فيعود سر الوجود إلى أصله ويتعلق به ويخلص توجهه إليه .

وهذا الباب مما التقي فيه ناظر العقل بجانب^(١) النقل ، وتأتي^(٢) في مناخ العجز عن تفهم العلة في العناية . وقال الشيخ تاج العارفين أبو مدبر : رأيت الحق عن يمينه نور ، وعن يساره أسودة . فقال : يا شعيب . ما ترى ؟ فقلت : يارب هذا عطاؤك ، وهذا قضاؤك ، فاجعله حيث شئت « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » . « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يسلك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده » .

سبق الحكم والجميع سواء شيخ مائل ونفس وروح
ليس كل الأمور تدرى ولا ما يفعل الحكام العزيز يلوح .

فالمجذوب إن ترك آب^(٣) ، وإن دعى أجاب ، وهو العروس الذي خطبته . المحبة ، « وجبت لى النبوة وآدم بين الماء والطين »^(٤) . والتوفيق مثل العناية . وقال بعضهم : التوفيق هو العناية التي للعبد عند الله قبل كونه ، المتفضل به عليه عند إيجاده إياه ، وتعلق خطابه به ، وقال تعالى : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » فصحت لهم هذه القدم قبل كونهم ، حيث لا قبل فى علم الله تعالى ، خصوصية منه [٣٦ ب] جل وعلا لهم ، وهى الرحمة التي كتبها على نفسه ، فلما أوجدهم فى أعيانهم بصفة الجود ، وأبرزهم فى الوجود ، تولاهم بلطفه ، فحققهم بحقائق التوفيق ، وبين لهم

(١) فى الأصل (يجالب) .

(٢) فى الأصل (وتأتى) .

(٣) فى : س ، (إن حرك تاب) .

(٤) نص الحديث : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » قال الفتنى فى تذكرة الموضوعات : ولم تقف عليه بهذا اللفظ فضلا من زيادة (وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين) وقال شيخنا : الزيادة صيغة ، والذي قبلها قوى ، وقال الصغاني : موضوع . وصححه الحاكم بلفظ (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) وورد الحديث بلفظ (كنت أول النبيين فى الخلق ، وآخرهم فى البعث) ، وله شاهد فى تاريخ البخارى . وهو من حديث سعيد بن بهر . قالوا لأبأس به وقيل ليس بقوى .

طريق النجاة الموصلة إليه ، بينة^(١) لأنبيائه بوساطة ملائكته ، ولأوليائه بوساطة أنبيائه ، وللملائكة بالجملة التي أوجدتهم عليها ، فاهتدوا على أوضح منهاج ، وعرجوا على أنجح معراج ، فما زال التوفيق يصحبهم في كل حال ، ويقودهم إلى كل عمل مقرب إلى الله من أعمال القلوب والنفوس والمعاملات المتوجهة على الخواص ، حتى استولى عليهم^(٢) فوق الهمم ، وأنزلهم في حضرة الجود والكرم ، فغرقوا في بحار المنن والآلاء ، من نعيم جنان ، ومضاهاة استواء ، على قدر ما أراد أن يمنحهم من نعماء ، ويهبهم من رحاه ، فعابثوا عند ذلك تولى الحق لهم في ذلك ، ولم يكونوا شيئاً مذكوراً ، ثم استصحب التولى لهم في محل الدعاوى ، بتقدسهم عنها ، فأرادوا الشكر (والحمد مع غاية الجود في ذلك والجهد ، ووقفوا في موقف الخيرة لما رأوا الحال فوق الشاء)^(٣) ففنتهم الحقيقة ، فكان الشاكر هو المشكور ، والذاكر هو المذكور ، فعجز العبيد عن الشاء ، ثم رأوا أن الذي حصل لهم من الشاء عليه إنما هو من عنده ، أثى على نفسه بفعله ، فقال عز من قائل : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » . والقليل معار عندنا ، وهبناه^(٤) عناية منه ، والكثير لم نصل إليه ، فليس لنا^(٥) شيء ندعيه . فالحق شبح منحوت إلا أنه مبخوت ، وصاحب الدعوى بمخوت ، وإلى هذا أشار الصادق صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . وينظر تمام هذا الفصل في غيره ، فقد استوفى فيه .

(١) في : ط . . بكه . تحريف .

(٢) في : ط . بهم . تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتين من : ط ، وى : س . جاء بعد قوله : الذاكر هو المذكور

(٤) في س ، ط . وهبنا .

(٥) ساقطة من : ط .

الأصل الخامس [من الباطن]

في السماع والموعظة في حق الجميع ممن ذكروا أو يذكروا^(١)

قال المؤلف رحمه الله (٢) : وهو في طريق (٣) القوم معروف ، وفي الجواز ذب إلى المحبة معدود ، تقول العرب : «حرك لها حوارها تحن» . والسماع من أكبر مصائد النفوس ، والدواعي إلى رقتها (٤) وحنيتها (٥) ، وإذا رقت

(١) في : ظ ، س . ممن ذكر أو يذكر .

(٢) في س ، ظ . رضى الله عنه .

(٣) في : ظ . وهي طريقة القوم . تحريف

(٤) في س رقتها .

(٥) قال سيدي عبي الدين بن عربي: السماع سر من أسرار الله تعالى في الوجود [التديرات ص ٢٢٣ ليدن] والصوفية لا يسمعون كما يسمع الناس ، وإنما يسرون على قاعدة بالغة الدقة والحفاة سأحاول تقريبها جهد الطاقة : كل ما في السكون ينطق بلحن صامت خاص به لا تسمعه إلا الروح البالغة النشاط على سلم التطور الروحي ، وتتقابل الأنغام كلها في لحن السكون الأعظم ، الذي يفوق كل ما يتصوره البشر ، والصوت يشغل وقته كله بالسير على هذا السلم الروحي حتى يبلغ مدى ما تبلغه أرقى الأرواح وأسمائها ، ينصت إلى السكون بعد أن يقضى على الألم ، فالآلام التي تصيب البشر في الحقيقة هي التي تعوقهم على تلك اللذة العظمى ، لذة الاستماع إلى لحن السكون الأعظم ، فهم يتعلمون من تلك الآلام ، ويحفظون أنغامها ويردونها إلى نظائرها من أنغام الروح السحيرة العميقة ، فتصبح الآلام بعد ذلك عندئذ بلألم ، وحينئذ يترك سمعهم لحن السكون حيث يقفله القضاء على الألم ، وتتراوح الحجب حجابا بعد حجاب حينا يحمل ذلك الصمت في لحن السكون إلى الروح العلم ، لأن ذلك العلم سياق ضوءا على حقيقة الحياة ويلقي على معضلاتها النور . وهكذا يعود العارف من السماع بروح رائدة ، وفتح جديد ، حيث يرى العالم كله امتدادا لنفسه هو ، ويحاول قراءة تلك الأجوبة العظمى ويتصدى لمشيخة الطريق . وقد سمع أحد العارفين المعاصرين طول الحرب وأنغام الحصار في « بدر » في المكان الذي جرت فيه أول معركة بين الإسلام والشرك حينا أقام فيها بعض الوقت ، وسماع الألحان من محركات الروح نحو هذا الهدف ، وإذا أراد الصوفي أن يوجه روحه نحو اللحن المسموع فإنه يركز بصره وبصيرته وجميع حواسه على قلبه ، ويحاول طرح بدنه بإخاد كل حواسه ويتركز روحه على القلب ، والصبر على ذلك دون حركة ظاهرة أو باطنة ، وحينئذ تصل روحه بعالمها فإن راحة الروح ستضفي على البدن هدوءا شاملا وسكونا عميقا ، ومن هنا يكون سماع العارف ولذته هذا الطريق وخوف الزوال فيه كره السماع جماعة من الصوفية . وقد أجاد سلطان العاشقين في بياب سموعات العارفين .

فريقس نلبي وارتناش مفاسلى يصنف كالشادى وروحى قينى

عشقت . ومن لوازمه في البداية الوجد والحزن . وهي مزعجان من مزعجات
العشاق . وإذا اقترن بالحنانه المناسبة لقوة النطق الحبيبة للنفس من الأقوال
الشعرية ، المتضمنة لذكر الهوى ، وأوصاف المحبين ومواجدهم ، وأحوالهم
التي بلغ بهم إليها السكف ووسائلهم ، برز السكمان ، وذاعت الأسرار ، سيما في
أرباب البدايات . فهم هممل لعصا راعيه ، ولحم على وضئ لشدة صواته .
وتأثيره (١) حتى في النفوس غير الإنسانية من الطير والبهائم معروف ،
فالطير قد شوهد تدليه من الفصون على أرباب الوترية والمنشدین أولى
النفثات الفائقة والجمال ، يقتلها (٢) (الحنين عند الحدام) (٣) ، فتأثر النفوس (٤)
الإنسانية أحق وأولى .

نعم لولاك ما ذكر العقيق ولا جابت له الفلوات (٥) نوق
نعم أسعى إليك على جفوني تداني الحى (٦) أو بعد الطريق
إذا كانت نحن (لك) (٧) المطايا فماذا يفعل القلب المشوق

ولذلك اتفق كثير من الأمم على اتخاذ آلة الموسيقى في متعبداتهم لتلطيف
الأسرار [٢٧] وتهذيب النفوس . وجعلت الحكماء صناعة الألحان في
ترتيب العلوم الرياضية متصلة بالعلم الإلهى . ويحكى عن بنى الله داود
ومزاميره ، وحنين (٨) الطير والوحوش ما هو معروف . ومن مثل

(١) فى : س (وتأثير) تحريف .

(٢) و : ط (فقبلها) . تحريف .

(٣) ما بين الحاصرتن ساقط من الأصل .

(٤) فى : س (فتوثر فبالنفوس) تحريف .

(٥) : ط (ولا حانت لم فى الفلوات) تحريف .

(٦) فى الأصل (الحب) .

(٧) ساقطة من : ط

(٨) فى : ط (حن -) . تحريف :

الإنجيل : غدينا لكم فلم تطربوا ، وزمرنا^(١) لكم فلم ترقصوا . أى شوقناكم
بدكر الله فلم تشتاقوا . سئل (أبو علي)^(٢) الروذبادى عن حقيقة السماع
فقال : المنطق الذى ظهر الحق به ، ونطق به فى الأزل ، صار كامناً فى نفوس
الخلق حين خاطبهم الحق بقوله : « ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى » . فبقيت حلاوة
الخطاب فى الأسرار ، فما كان فى القلوب من رقة ووجد وحقيقة فهو من
تلك الحلاوة التى خاطب بها فى النشء الأول ، لأن الأعضاء كلها ناطقة
بذكره مستطية لاسمه .

تنبه :

السماع محرك الحب على الإطلاق فما دام فى هذه الرتبة عد سبباً ، وإذا
حصل الحب اختلفت فيه أحوال العشاق بحسب ضعفهم وتمكينهم ، فمنهم من
يكون فى حقه معدلاً^(٤) ، ومنهم من يكون فى حقه مغرياً أو مهلكاً ، فإذا
حصل الرسوخ والتمكين لم يكن (به)^(٥) إحساس^(٦) . وقسمه الهروى ،

(١) فى : ظ (وزمرنا) .

(٢) ساقط من : ظ .

(٣) فى : ط (ترتيب) وفى س (ترتيب) .

(٤) فى ط (معدولا) .

(٥) ساقط من : ظ .

(٦) قال سيدى أحمد زروق « الواجدان لاحظ معنى فوجده أفاده علما أو عملاً أو قولاً مع
ميله للسكون والاستلقاء طاهراً فوجده من الحقيقة والمعنى ، وإن لاحظ الوزن والألمان فطبعي
سبباً إن وقع اضطراب واحتراق فى النفس ، وإن لاحظ نفس الحركة فشطاطى لاسبباً إن أعقبه
اضطراب وهوشة فى البدن واشتعال نارى ، فلزم اعتبار ذلك بوجه من التصديق تام . وإلا فترك
سببه أولى (قواعد التصوف ص ٥٠ القاهرة) وقال سيدى محي الدين بن عربى إن سماع النفس
لا يأتى يعلم ألبته وسماع العقل لا تكون معه حركة ، فن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل
بالحقائق (الديريات الالهية ص ٢٢٤ ليدن) .

وررى الكلاباذى عن أبى القاسم البغدادى : أن الحركة عند السماع لا تقدح فى التحقق
بالمسموع إذا كانت الحركة بعد أن تمتلئ الروح من قوتها وهوالنعمة فتشرف على مقامها الأصل فتعرض
عن تدبير الجسم ، فطهر عليه الاضطراب والحركة [التعريف ١٦١] وعن سيدى أحمد
زروق : أن صاحب هذا الحال من المحافين وأسقط اعتبار أفضاله ولم يجر عليه الأحكام لأن تحقق
وجود الحالة منه وألزمه باستدراك الفائت كالسكران ، لتسببه فى الأصل ، [القواعد : ٤٩]
وجمعا بين الآراء فالتحرك فى السماع وسط بين الجاهل والمعارف .

إلى سماع العامة والخاصة وخاصة الخاصة ، وبحسب منه الترجيع بالتلاوة والاذكار ، إلا أن أثر السماع أفضى . ومن آدابه أن تكون أقواله مما لا تنكرها الحشمة ، ولا يمنع منه الدين ، وآلته مما لا تناله خسة العادة ولا ضعة الاستعمال ، (واستعماله)^(١) وأغراضه مما لا يثير^(٢) محذور الشهوات . وزبدة آدابه أن يكون المطلوب منه تلطيف السر ، والاستجذاب لقوى النفس ، وتهيتها لعفيف العشق ، واستعمال ما يليق بالمريدين المحبين المسلوبين^(٣) ، المتأثرين بسماع العتاب والخطاب ، والرد والقبول ، والوصل والهجر ، وأمثال هذه الأحوال التي لا بد أن يوافق بعضها حال المريد فتجهم عليه لأجل ذلك الأحوال ، وتطرقة^(٤) المواجد^(٥) ، ثم يقضى به الأمر إلى سماع الواله المستغرق ، كالذى سمع البيت فقام يعدو على أجمة قصب محسود كالأسنة ليلة حتى تقطعت رجلاه ولا شعور لديه بذلك :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركما وسجودا
وهو من الأسباب التي توصل ولا تقطع^(٦) ، وقوابله البدايات ، ومن تستغزه الغواشي ، ثم يبطل في النهايات أثره . وأخبار العشاق ومصارعهم في السماع تذكر عند ذكر أخبار المحبين .

تفنيه :

زعم بعضهم أن السماع أدعى للوجد من التلاوة ، وأظهر تأثيرا .

(١) . ساقطة . من : س و ظ .

(٢) في س ؛ ظ (يسير) .

(٣) في س (المتدين) و في . ظ (المستزمن) .

(٤) في : ظ (وتطرقة) .

(٥) وسفار المريدين لا تطرقهم المواجد ، والسماع لهم جامع لشتات خواصهم ، ويحدد توجههم ، وعاصم لهم من التفرق في شئون الدنيا ، حتى تفضح مداركهم الروحية بناية الله بتوجيه الأستاذ .

(٦) في : ظ (ولا تقطع) .

والحجة عن ذلك : أن جلال القرآن لا تحتمله القوة البشرية المحدثة ،
ولا تحمله صفاتها المخلوقة ، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت
وتصدعت وتحيرت ، والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحفظ ، وإذا
هلقت الألحان بالشعر كانت خفيفة على الطباع ، لمشاكله المخلوق المخلوق ،
مادامت البشرية باقية . قاله أبو نصر السراج .

إحالة : وينظر الوعظ وما يناسب فيما مر من الكتاب .

ظاهر الجرثومة ينقسم إلى أصول الأصل الأول

جزء الفلسفة العلمى والعملى

أو القولى والفعلى . والحكمة القولية هى التى يجدها الإنسان بالعقل الأول ، وما يخص الحد والرسم وما يلزم عن ذلك من صور البراهين [٣٧ ب] والبحوث العقلية ، ولوازم الاستقراء . والحكمة الفعلية أو العملية : هى (١) التى يستعملها الحكيم لغاية ، إما لعمل (٢) بها فقط ، (أو لعمل فقط) (٣) ويسمى القسم العلمى الخير ، والقسم العلمى (٤) الحق .

وعلمو الحكمة : طبيعى ، وهو الذى يطلب فيه تعلم كيف (٥) الأشياء ، وموضوعه الجسم ، ومثاله عن أحوال الجسم من حيث هو جسم . ورياضى ، وهو الذى يطلب فيه تعلم كم (٦) الأشياء ، والحكم منه متصل ، كالسطوح ، والمجسمات ، والأبعاد . ومتفصل كالأعداد ، وموضوعه الأبعاد والمقادير . والإلهى : وهو الذى يطلب فيه تعلم ما الأشياء (٧) . وموضوعه الوجود المطلق ، ومسائله البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود ، ويكون تحصيل الجزء العلمى فى المطلوب شرط (وجوب) .

(١) فى : س (حتى) تحريف وعلى الهاش . لعله . (هى) .

(٢) فى : س ، ظ (لعمل به) .

(٣) ما بين الحاضرتين ساقط من : س ، ظ .

(٤) فى : س ، ظ (العقل) .

(٥) السكيف : هيئة قارة فى الشيء لا تقتضى قسمة ولا نسبة لذاته وهو لا يعسوس ،

أو نفسانى ، أو مختص بالكميات أو استعدادى [تعريفات الجرجاني ١٢٧] .

(٦) السك : هو العرض الذى يقتضى الانقسام لذاته . [تعريفات الجرجاني ١٢٦] .

(٧) فى : س (للشيء) .

والعملي شرط (١) كمال . وإذا جمع عندهم بين الحكمة والمصطلح (٢) [بها]
 بوجه أفضل ، وكان على بينة من أمره ، وقام على لواحق الدين
 وأسبابه ، ووجد الغايات التي لأجلها كان . قريب ذلك وبعيده ، ثم كان
 على بينة من كل علم وقع في أيام العالم ، ثم ما يدرك من الذوات الأزلية ،
 وشعر بغير المتعارف المألوف ، و [كانت] له فطر عديدة متفاضلة ،
 غير ما حصره الموضوع الطبيعي ، والأسرار والفضائل المطلقة تحت
 ملكته ، كان الكامل (٣) والوارث (٤) والقطب (٥) والخاتم (٦) .

(١) ما بين الحاصرتين . ساقط من : س .

(٢) على هامش الأصل : (والمصطلح) من نسخة ثانية .

(٣) الكامل : الجامع للصفات من بنى آدم . وهو من حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى
 بأم الكتاب ، ومن حيث قلبه كتاب الألواح المحفوظ ، ومن حيث نفسه كتاب الحلو والإثبات [تعريفات
 الجرجاني ٢٥]

(٤) الوارث : من برث النبي صلى الله عليه وسلم في حاله

(٥) القطب : وقد يسمى عوثاً باعتباره المنهج الملهوف إليه وهو عبارة عن الواحد الذي
 هو موضع طرأته في كل زمان . أعطاه الله . لم الأعظم من لدنه ، وهو بسر في الكون وأعيانه
 الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد . . . والقطب الكبرى مرتبة قطب الأقطاب :
 وهي باطن نبوه محمد عليه السلام . ولا تكون إلا لورثة لاختصاصه بالأكلية (تعريفات
 الجرجاني ١١٩)

(٦) الخاتم : من تختم به رتبة من المراتب ، أو تختم به المراتب جميعاً ولا يكون إلا لعهد

لاختصاصه بختم النبوة صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثاني من الظاهر

في سلامة الفطرة وجواز الاستثناء عن الصنائع والعلوم
ومعرفة الله دون ذلك كله

قال المؤلف رحمه الله (١) : ورأى بعض الناس أن فطرة الإنسان كافية لدرك الحق في البراهين المنطقية ، ولا حاجة بها إليها ، وكافية لمعرفة الله فلا يحتاج إلى بحث الرسل ، وقد تقرر الرد على المذهبين في محله . وأن المنطق وصناعة البرهان لم يتبا بفسكر واحد ، ولا عقل واحد ، وما كان كذلك فليس بمحصل على النمام في فطرة واحدة . وأن العقل لا يهدى إلى الأدوية النافعة في الأمراض ، فكذلك لا يهدى إلى الأعمال والأنوال التي تهدي إلى النفع في الذنوب .

وبالمجمل : فاعتقدوا أن الفطرة كافية ، وأن معرفة الله مركوزة (٢) في الفرائض . فإذا صحت واعتدلت ، وزكت وجاهدت الأخلاق المذمومة ، وتعرزت (٣) الملاذ ، واستعملت الأفكار ، وصرفت الروية ، وطلبت العقل بالتحليل والتركيب ، وارتباط الأسباب بمسبباتها ، وأدركت الحدود الوسطى بسلامتها ، واستقامة إدراكها ، كانت غنية عن السبيل التعللي ، لكونها (٤) كافية [لأن] تدرك الحق : ومثلها كن عشر بصفحة حديد ، أو قطعة سيف ، أو مرآة قد خالطت التراب ، وألفت الصدأ ، فنزعت نفسه إلى جلائها ، وإزالة ما علاها بالأحجار والأمور التي من شأنها ذلك . فلم

(١) في س ط (رضى الله عنه)

(٢) في ط (مذكوره) تحريف .

(٣) في س ، ط (وتحررت)

(٤) في الأصل ، ط (يكونها)

يكن إلا أن حصل لها جلاء وصقال ، فلاح في صورته وصور (١)
الاشياء التي تقابلها دفعة ، وكذلك النفس فيها معرفة الله ومعرفة الاشياء
كامنة . وتخرجها (٢) إما هداية إن اتفق ، أو اجتماع منها تدور (٣) به على
ذاتها غير معوقة بالشواغل ، ولا مزاحمة القوى النورانية بكدورات
الحواس ، وأن الآلة والسلم [١٢٨] لذلك (٤) [هو] الفطرة السليمة
خاصة ، وذكرها حكاية حي بن يقظان ، وهو الذي أشار إليه (٥) أبو الحسن
الششتري بقوله :

ولابن طفيل وإن رشد يتقظ رسالة يقظان اقتضت فتحه الجفنا

وفي بعض رواياتها: أن أرضا ببعض الأقاليم المعتدلة ، حصلت لها هيئة
من جميع الوجوه مكانا ومسامة الأشعة ، وهبوبا للرياح ، وأرضا (٦)
لا يسعها الحصر . فتخمرت فيها طينة طيبة ندية (٧) معتدلة ، وغالطت
الهواء فحدث فيها نفاخة هوائية ، [و] حل تجويفها هواء معتدلا مناسبا
للروح الحيواني المعتدل ، المتعلق به الروح الأمرى في الإنسان ، والطفه
الاستعداد ، إلى أن تعلق به الروح الأمرى ، وتبعته القوة المصورة .

(٨) وليست (٩) مادته الصورة الإنسانية (١٠) ، وحين انفتحت رتقه ،
استهل كالصبي صارخا ، فسمعت به ظبية (١١) قد فقدت ولدا ابن يومه

(١) في ظ . (وصوره) .

(٢) في : ظ (وخرجها . وفي : س (وخرجها)

(٣) في : س (بدور) .

(٤) في : ط (كذلك) تحريف

(٥) في الأصل « بها » .

(٦) في : ظ « وأرضاء » .

(٧) في : س ، ظ « لدنة » .

(٨) في : ظ « وليست » تحريف .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .

(١٠) في : ظ « خطبية » تحريف .

ببعض السباع والعوائق ، فظنته إياه فقصدت إليه ، وطافت به ، وتنزلت له حتى ألقيته حلبة نديها ، وتحملت على إرضاعه ، ولازمته مرييه^(١) مرضعة ، إلى أن تمكن له اتباعها ، ثم شب واقتدى بالحيوان في التمش^(٢) ، وتشبه به في الرياش والستر ، إلى أن مرضت الظبية وهو يباشر حركة روحها في التنفس ونور العين ، ثم ماتت الظبية وسكنت ، فلم يطق إيقافها ، ف شعر بأن داهية طرقتها أسكنت المتحرك (وأذهبتة ، وأن معناها الذي كان يؤنس به ويتمتع ويضر فيها كان الشيء المتحرك)^(٣) ، والامر الزائد على الجسد القديم الحركة المشارك للجاد ، فاحتال لينظر حيث كان محله قبل رحيله ، فشق صدرها ، ووقف منه على هيئة القلب ، ورآى رجوع الأجزاء الجسدانية إليه ، واستمدادها منه . ف علم أن ذلك المصباح كان موقد ذلك النور الذي ظعن عنها ، والسر الذي بعد^(٤) منها ، ولم يزل يبحث فأنشأ حتى علم ذلك السر ، واستدل عليه بالملويات وعليها ، واستدل بعد بالآثر على المؤثر ، حتى عرف نفسه ، وكان عارفا بالله وأصلا إليه . وهدى الخلق ودعاهم^(٥) إليه في حكاية شهيرة ، وكأنها عندهم باطن حديث آدم .

وربما يرد البحث المذكور أن الإنسان من بين الموالدات^(٧) الحيوانية (يكون) تكونه^(٧) على غير سبيل التوالد (بين رجل وامرأة) بعيد في العقل ، لبعده عن البساطة^(٨) ، وما يلزم من ترتيبه ، بخلاف الدود والحشرات .

(١) في الأصل « مؤقنة » تحريف ،

(٢) التمش : وسائل العيش .

(٣) ما بين الجاهلين ساقط من : ظ ، ح ،

(٤) في الأصل . فقه منها .

(٥) في : ظ « وداعهم » تحريف ،

(٦) في : ظ « المؤكبات » تحريف .

(٧) في : ظ « بكونه » ،

(٨) في : ظ « البساطة » تحريف ،

وقال بعض الحكماء بإمكانه ، إلا أن الطباع لا تفعل العيب ، ولا تذهب بأفعالها (١) إلا إلى الأسهل والأرجب . ولما فتح الفتاح العظيم باب التوليد ، وسلكته (٢) حكمته ، كان الكون على غير سبيله عبثا ، بمنزله من يعدل عن (٣) النهر العذب الذي (٤) يشرب منه متى شاء ، ويحضر الساقية العميقة ، ويدير عليها الفلاك ، لإخراج الماء بإزائه . والحق ألا يوصل إلى الله إلا نور النبوة .

(١) في : ظ ١ بأفعالها .

(٢) في : ظ (وملكته) .

(٣) في الأصل . (يقول على) تمر به .

(٤) في الأصل (التي) .

الأصل الثالث

من الظاهر في الكلام في النبوة من حيث النظر

قال المؤلف رحمه الله^(١) : اتفق كثير من الأفدين وحكام الملة على أن باري النسم ومخترع العالم ، جعل الكثير من أجزائه^(٢) ، وأجزاء أجزائه ، معلولا بالغاية ، كان^(٣) يخلق الظفر [لحاجة الإنسان]^(٤) إلى حرك جسده ، أو نزع ما ينشب به من شوك أو غيره ، وتناول الأمور الدقيقة^(٥) ، كما يتناول الصواغ بآلة اللقط ، والاستعاضة بها من المدي والسكاكين في كثير من الشق والفصل ، [٣٨ ب] وأن تكون في أطراف الأنامل بمنزلة الآسنة والنصال ، لأن يلقي [بها] الأمور الجارحة والأجسام الصلبة ، وإلى ذلك ما يحصل بها من الزينة ، وهذا كله لم تقع الحاجة إليه في الخارج إلا بعد ما هيء وعلم ورب في الباطن ، واستقر على أكمل أحواله في العلم القديم ، في علم مقدر المصالح ، ومعلق^(٦) بعضها ببعض حتى لا ينسب^(٧) للحكمة القصور ، ولا للعناية الفتور .

وكيف يهمل بحث الأنبياء الذي لا يستقيم أمر البشر إلا به .
وبيانه : أن الإنسان يفارق سائر الحيوان ، فإنه لا تستقيم معيشته مع انفراده وتوليده أمر نفسه من غير شريك يعينه على ضرورياته ، حتى

(١) في : س ، ط : رمى الله عنه .

(٢) في جميع الأصول : (ومخترع العالم الذي جعل الكثير من أجزائه) ، ولد ربحنا
محذف اسم الوصول لغرض خبر إن مع إنبائه ،

(٣) في : ط (حتى يخلق) ،

(٤) في الأصل . ط ، س (ثلاثدعو الإنسان الحاجة) وهو ظاهر الاضطراب ،

(٥) في : ط (الأمور الرفيعة) .

(٦) في : الأصل (ومعلق) . والراجع ما في ط ، س للسنيان ،

(٧) في : ط ، س (ينسب) ،

يكون مكفيا بآخر من نوعه ، بعضه مع بعض . إذ لابد من غطاء وغذاء^(١) وكن^(٢) ، فيكون هذا يخطط وهذا يخبز ، وهذا يصيد وهذا يزرع وهذا يفسج وهذا يبنى وهذا يتجر . ولهذا اضطروا إلى التمدن^(٣) والاجتماع ، فكان الإنسان مدنيا بالطبع . وبحسب^(٤) استجاداته لما يضطر إليه ، ويزيد فيه ، أو بعده من الكمالات الإنسانية ، يكون شغوف تمدنه^(٥) على غيره .

وإذا كان ذلك كذلك ، فلا بد في بقائه وحياته من مشاركة (غيره ، ولا تتم تلك المشاركة إلا بمعاملة وأخذ ، وإعطاء واتفاق ، واستجادة ومشاركة)^(٦) فيما يستفاد بالحيلة والسكد . ولم يكن في تلك المعاملة بد من حدود يوقف عندها ، وشروط وعدل وسنة يوضع فيها ، ولا بد لتلك السنة والحكم والعدل من بيان^(٧) ومعدل^(٨) يلزم فيه ما يليق بذلك من صدق . ومن شروطه أن يكون من جملتهم ، ليخاطبهم^(٩) ويربهم بقوله وفعله ، ولا يتركهم وآراءهم فيختلفوا ، ويدعى كل منهم ماله عدلا ، وما عليه غيره جورا .

قالوا : فالحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع الإنسان^(١٠)

(١) في : الأصل ، (عذء وغطاء) والترجيح من : ط للسباق .

(٢) في : ط (ولكن) تحريف .

(٣) في : ط (التمدن) .

(٤) في : (وتحسب) تحريف .

(٥) في : ط (يتمدنه) .

(٦) في الأصل (من شأن) .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٨) في : س (والمعدل) .

(٩) في الأصل (الآن يخاطبهم) خطأ .

(١٠) في : س (نوع الناس) .

ويحفظ^(١) وجوده أعظم من الحاجة التي دعها العناية الأولى في الظفر وإنبات شعر الحاجبين ، ليسكون رفرقا فوق العين يقي ماتحتة منها . وأخص الرجل لاستوائه فوق الأرض واعتاده في المشي ، وغير ذلك من منافع الأعضاء التي ليست بضرورية في البقاء ، بل أكثر ما لها أن تنفع في البقاء ، ووجود مثل هذا الإنسان يصلح ، ويسن السنن ، ويربط القدن ويعدل ممكن أيضا . فلا يجوز أن تكون العناية الإلهية تقتضى مثل تلك^(٢) المنافع غير الضرورية في البقاء ولا تقتضى هذه التي هي أسها ، من حيث صلاح النوع وبقائه^(٣) وانتظامه ، ولا أن يكون البارى سبحانه . والملائكة تعلم تلك المنافع المذكورة ولا تعلم^(٤) هذه .

فواجب أن يوجد نبى ، وأن يكون إنسانا ، وأن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس ، تدعو إلى تصديقه والإذعان له ، وأن ورأه مددا من الله ، فتكون له المعجزات التي تدل على صدقه ، فإذا وجد هذا الإنسان وجب أن يسئل للناس (سنة)^(٥) أمورهم سننا بأمر الله ووحيه الذى ينزل به على نفسه الروح المقدس ، فيكون الأصل الأول فيما بينه للناس أن يعرفهم أن لهم لها واحدا قادرا عالما بالسر والعلانية ، وأنه من حقه أن يطاع ، إذ يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق ، ويخبرهم أنه قد أعد لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المسمى ، حتى [١٣٩] يتلقى الجمهور رسمه المنزل عليه من ربه بالسمع والطاعة ، من غير أن يفتح لهم^(٦) أبواب

(١) فى : ط (ويعظم) .

(٢) فى : ط (ذلك) .

(٣) فى : ط (بقاؤه) خطأ .

(٤) أى تعلم تلك المنافع غير الضرورية لبقاء النوع ولا تعلم المنافع اللازمة لبقاء النوع ،

(٥) ساقطة من : س .

(٦) فى : ط (يفتح له) .

البحث فتوبقهم^(١) أفكارهم وأراؤهم فيما لا مخلص لهم منه ، إلا من يندو ويشذ وجوده ، فإنهم لا يمكنهم أن يتصوروا الأمور على وجوهها إلا بكذا وطريق تعليمي عزيز ، لا يمكن [أن يسلكه] إلا القليل ، ولا يلبثو [ن] أن يكون [ذلك الطريق] أثقل هذه الوجوه^(٢) ، وينصرفون إلى الأفئسة والمباحث والآراء التي تخالف صلاح المرتبة بالشكوك والشبه ، إذ ليست الحكمة الإلهية ميسرة^(٣) لكل نفس .

فيعرفهم جلالة الله^(٤) وعظمته برموز وأمثلة هي أثيرة لديهم^(٥) ومقبولة في خيالاتهم ، من غير أن يبدو عليه أن عنده حقيقة يكتبها [عن] العامة ، ولا يرخص في [ال] تمرض [ل] شيء من ذلك ، ويقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورونه وتسكن إليه نفوسهم ، ويضرب لهم الأمثال في السعادة والشقاوة بما يفهمونه .

وأما الحقيقة في ذلك فلا يلوح منها إلا بالأمور المجملة ، وأنه لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر في جهنم الثواب والعقاب . قالوا : ولا بأس^(٦) أن يشتمل خطابه على إشارة تستدعي المستعدين^(٧) بالقطرة السليمة إلى النظر^(٨) والبحث^(٩) الحكيم .

ثم إنه يلزمه أن يرتب فيما يسنه ترتيبا يستمر بعده من أقوال وأفعال

-
- (١) توبقهم أي تهلكهم .
 - (٢) في الأصل (فلا يلبثوا أن يكونوا يمثل هذه الوجوه) .
 - (٣) في : ظ (مسيرة) تحريف .
 - (٤) في : (جلال الله) .
 - (٥) في : ظ (لربهم) .
 - (٦) في : ط (يأمن) تحريف ،
 - (٧) في : ط (المستعدين) .
 - (٨) في : ظ ، س (للنظر) .
 - (٩) في الأصل (إلى البحث) .

وحرركات متكررات [لـ] تحفظ التذكّر^(١) ، ونعصم من النسيان ، وهي العبادات ، وربما كان منها ترك كالصوم ، ورئيسيات وأشراف يفرض متواليها أنه مناج فيها الله^(٢) ، وآخذ نفسه بما يأخذ به الناس أنفسهم عادة عند لقاء الملوك ، من الطهارة ، والتنظيف ، والخشوع ، وغض الطرف ، ونبض الأطراف ، وترك الاضطراب والالتفات ، وغير ذلك من العبادات التي تنفع الجمهور في رسوخ ذكر الله ، واستمرارهم على معرفتهم بالصانع والمعاد ، فيدوم لهم بذلك التشبث بالسنن والشرائع لأجل هذه المذاكرات ، ولا يتناسوها مع انقضاء الأجيال^(٣) والاحقاب .

وقالوا : لو فعل فاعل هذه الأفعال من غير أن يعتقد أنها من عند الله ، وكان يلزمه في كل فعل منها أن يذكر الله ، لكان زكيا سعيدا ، فكيف إذا استعملها من يعلم أن النبي^(٤) من عند الله ، وواجب في حكمته إرساله . وأن جميع ما بينه من عند الله ، وأزه فرض عليه من عند الله أن يفرض (على عباده)^(٥) عبادته ، فقد حصل من هذا شرف هذا المظهر المبلغ عن الله الذي هو أصل السعادة في الدنيا والآخرة .

(١) في الأصل : (تحفظ التذكير) .

(٢) في : ط ، نس ، (مباح فيها لله) . تحريف .

(٣) في الأصل (الأجدال) وفي : س . (الآجال) والتزجيج من : ط .

(٤) في : ط « النبي » تحريف .

(٥) ما بين الحاضر من ساقط من : ط ، س .

الأصل الرابع

من ظاهر الجرثومة . في الاعتبار الخاصي

قال المؤلف رحمه الله (١) : والاعتبار (٢) الذي هو سبب من أسباب المعرفة ثم المحبة ، ثم المعرفة (٣) ، ثم القرب ، ثم الشهود ، ثم الغاية قسمان : عامي وقد جئنا بنبذة منه تدل على بحر لا ينفذ من عجائب صنع الفعال لما يريد ، وتثمر مراقبته ورجاء ما لديه ، وخوف تكبيره (٤) ، وفيها كفاية . وخاصي وهو أغمض وأبطن ، لا يقع فيه ويسبح في لجنته إلا من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد تبين به أن الإنسان عالم المثال ، وأنه نسخة [٢٩ ب] من العالم العلوي بما اشتمل عليه ، وأنه علته ، وتفصيل بحمله ، وقد مر من ذلك ما تكون إعادته مخلة بالوضع ، ونحن تحيل عليه ، ولا نكلف والمحمد شططا ، إذ هو بما يقع عليه قفل باب هذا الروض بحول الله .

(١) في : س ، ظ « رضى الله عنه » .

(٢) في الأصل « والاعتبار الخاصي » والسياق يقتضى حذفها .

(٣) في : س « ثم بيان النوعين من المعرفة » .

(٤) في ظ : « تكبيره » . تحريف .

الأصل الخامس

من ظواهر الجرثومة ، في معنى الجمال ، وفي سر الجمال والكمال
الذى التماح هو السبب في المحبة

قال المؤلف رحمه الله (١): بما يتقرر أن الوجود (الممكن) (٢) كله ظلمة
لولا نور الله الذى أشرق عليه ، ولأن نور الله قال الله سبحانه : والله
نور السموات والأرض (٣) فليس فيهما نور إلا الله ، ونوره القدسي هو سر
الوجود والحياة والجمال والكمال ، وهو الذى أشرق على العالم فأشرق
على العوالم الروحانية ، وهم الملائكة فصارت سرجا منيرة ، مستمدة
(من) (٤) نوره ، مستمدة منها من دونها بجلود الله ، ثم نرى النور إلى عالم
النفوس الإنسانية ، ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم ، فكل
ما وقعت عليه حواس الإدراك مما يقيدها جذسه أو يثير (تعجبها) (٥) جماله
أو يهرها نوره ، أو يسوقها حبه ، أو يروقها تناسبه وحكمته ، ليس
إلا (٦) نور الله السارى إلى الشئ (٧) منه ، بقدر قبوله ، ووسع استعدادده ،
ورحب تلقيه ، واعتدال الصفحات التى تنعكس فيها أشعته عند الانتماء
إلى عالم الجسوم ، وعنده ينتهى سريان نور الجمال القدسي المشوق (٨)
للنفوس .

(١) في : س ، ط « رضى الله عنه » .

(٢) ساقطة من : ط ، س .

(٣) سورة النور :

(٤) ساقطة من : ط ، س .

(٥) في الأصل (فتعجبها) وهى ساقطة من : ط

(٦) في : ط (لا ليس تحريف) .

(٧) في : ط (إلى البى) .

(٨) في : ط (المتشوق) .

والنفوس الجزئية إذا لمحتته على صفحات المدركات هامة^(١) واشتد
ولوعها . إذ أصلها وقوامها وعلمها وعصرها هو . فهي تمن إليه حنين
الشئ إلى أصله . [قال الشاعر]

رأها ناظري فصبا إليها وشبه الشئ منجذب إليه

[وقال]

أجارتنا إنا غريبان هنا وكل غريب للغريب نسيم

[وقال]

أحب الحى من أجل من سكن الحى حديث حديث فى الهوى وقديم

[وقال]

بئنى وبينك يا جفون قرابة والجار برعى منه حق جواره

أنتن مرضى والمتميم مرض أفلا تكن اليوم من عواده^(٢)

وهذا^(٣) النور القدسى وإن كان واحدا فلا يختلف ولا ينقص
ولا يضمحل ، وتختلف آثاره فى الذات بحسب قبولها إياه ، وتتصف
منه بأوصاف تناسب استعدادها ، فمنها ما قبل صفات الوجود والحياة
والجمال^(٤) والنطق والمعرفة ، (وهى النفوس العارفة ، ومنها ما قبل الوجود
والحياة والجمال والنطق .)^(٥) وهى [النفوس] التى تدبرها النفوس العارفة .
ومنها ما لم تقبل^(٦) إلا الوجود والحياة وهى الحيوان والنبات . ومنها ما لم
يقبل إلا الوجود فقط ، وهى الجمادات واسكن شئ اتصل به النور القدسى ،

(١) فى الأصل (هاجت به)

(٢) فى : ظ ، س . (من زواره) .

(٣) فى : ظ (وهو) .

(٤) فى : ظ ، س . جاءت كلمة : الجمال . بعد كلمة . المعرفة هكذا « والنطق والمعرفة
والجمال » .

(٥) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل ، س . وزيد من : ظ

(٦) فى : س . ومنها ما قبل الوجود والحياة .

وأشرق عليه كال وجمال يخصه : والكمال مظهر الجمال ، ويجلي^(١) له و [هو] كالمادة لصورته^(٢) .

فالكمال جميع الصفات المحمودة لذلك الشيء ، إما طاهرا وإما باطنا ، ويختلف باختلاف الذوات . أما ظاهره فكمال كل ذات بحسب مايلق بها على سنبل إضافي ، فيكمل شيء بما لا يكمل به غيره ، فكمال^(٣) صورة الإنسان ظاهره في تناسب (٤٠) الشكل ، واستواء البنية ، وحسن اللون ، وكذلك للحيوان^(٤) والنبات أحوال في كمالها الظاهر^(٥) . وهذا الكمال (هو)^(٦) مظهر الجمال الروحاني ومجلاه ، والنفوس الإنسانية مؤلفة به ، واقعة عنده ، كلفة باستحسانه ، والميل إليه ، وربما تتعداه إلى مظاهر الجمال المبدد على صفحات الموجودات ، من المياه والخضر والبساتين (والفحوص)^(٧) (والروائح العلية)^(٨) والأصوات اللعينة .

تراه إن غاب عنى^(٩) كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج في نعمة العود والنأي^(١٠) الرخيم إذا تألفا بين ألسان من المزج وفي مسارح أزهار الخسائل في روض الأصائل في الإصباح والدج والنفس يبادىء الرأي ، لاتعرف سبب حنينها . ولا علة ميلها . ولا داعية استحسانها

لم يدرك من أين أصيب قلبه وإنما الرامي درى كيف رمى

-
- (١) في : ظ . (ويجلي له) تحريف وق : س وتجلي له .
 (٢) في : الأصل ، ظ . بصورته .
 (٣) في الأصول كلها : وكمال صورة الإنسان .
 (٤) في : الأصل . الحيوانات . (٥) في الأصل : الطاهرة .
 (٦) ساقطة من : ظ (٧) ساقطة من : ط . والفحوص .
 (٨) ساقطة من : أصل .
 (٩) في : ظ . عني على جارحة . خطأ .
 (١٠) في : والصوت .

والكمال الباطن . وهو مختص بالإنسان ، هو اجتماع الصفات الفاضلة على الاعتدال ، ويطبع الموصوف بها على أتم صوها المتوسطة البعيدة من الانحراف ، (١) حسبما يتقرر في موضعه بحول الله .

والجمال على نوعيه : جمال مطلق ، وجمال مقيد . فالجمال المطلق لا يليق إلا بالله ، نور السموات والأرض ، وهو الجمال الإلهي الذي لا يعمل ، ولا يكيف ولا يمثل . ولا يعرف كنهه إلا وهو .

قال لي عنك (٢) رجال ليس للعقل مجال

والجمال المقيد أيضا نوعان : (جمال) كلي . وهو الجمال الإلهي الساري من ذلك الجمال المطلق فيما سوى الله . من عقل ، ونفس وفلك ، وكوكب ، (وملك) (٤) وطبيعة ، وجسم ، وهوى ، وعنصر ، ومعدن (٥) ، ونبات ، وحيوان قد نال منه كل بقدر احتماله ، ولولا ذلك ما بقي وجوده ، ولا برزت حقيقته ، ولا قامت ذاته . وهو سر الوجود كله . وبه ظهر . ومدده متصل ، ولو قدر عوقه أو امتناعه زمانا فردا ، لم يكن للعالم وجود . ولا فيه موجود ، وهذا السر خفي اسكثرة ما ظهر ، فلا شيء أظهر منه . ولا يرتاب فيه أحد . فهو الناطق والمخاطب ، والإدراك والمدرك (٦) ، والعالم والمعلوم ، ولا شيء أخفى منه . بحيث لا يحد ولا يشرح ولا يدرك .

النفس أدرك (٧) شيء في الوجود وما يعوق عن دركها إلا تجليها

(١) في : ظ : يتألفا . تحريف .

(٢) في الأصل : الإغراق . وفي : س . الأعراف .

(٣) في : ظ . عند .

(٤) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) في : ظ ومدعى . تحريف .

(٧) على هامش الأصل : أظهر . من نسخة ثانية .

ماشتت من مدرك فيها ومن درك ومن مدركة إن شدته فيها
فكيف تظهر أو تختفي وكيف لنا منها سوى حيرة بالفكر نجمها
ولذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « زدنى فيك تحييراً » وقال
الصادق : « العجز عن درك الإدراك » .

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها والشمس تبهر أبصار الخفافيش

فلا يتجلى حق تجليه إلا لمن صار الحق سمعه الذى يسمع به ، وبصره
الذى يبصر به . وبالجمله من صارت ذاته كليه ^(١) أدرك الجمال الكلى ،
أوجزيه أدرك الجمال الجزئى . ومن أدرك هذا الجمال الكلى ، واستتبعه ^(٢)
وتوصل [٤٠ ب] إليه به أى بالله ، لم ير للأشياء معنى إلا العدم . وأن
وجودها إنما هو ذلك النور . وله الإشارة بقوله « فن رأى الخلق لأفعل
لهم ^(٣) فقد فاز ، ومن رأى الخلق ^(٤) موتى ^(٥) فقد جاز ، ومن رآهم عين
العدم فقد وصل » وإليه الإشارة بقوله « كان الله ولا شيء ^(٦) معه »
وهو الآن على ما عليه كان .

عجبت ممن يقول قولاً ^(٧) أحواله مفهومة غريبة
عرفت نفسى عرفت ربى مسئله سهلة قريبة

(١) الذات الكلية فى عرف التصوف هى التى اعتادت النظر من منطقة بعيدة عن الأسباب
الطاهرة حتى صار هذا النظر مائة من مائة ترى كل شىء فى الوجود لا على أنه مستقل
بذاته بل نرده إلى أصله ويسمون صاحب هذا النظر . صاحب مقام الجمع . والذات الجزئية
هى التى تعيش فى عالم التفرقة ونظر إلى كل شىء على حده .

(٢) فى : س . واستتبعه . وليس لها مائة النظر الكلى .

(٣) فى : ط ، س موتى .

(٤) فى : ط ، س رآهم .

(٥) فى : ط ، س هلكى .

(٦) ساقطة من : ط .

(٧) فى : ط ، س (تقول مولى) تحريف .

شاوك أصل لكل فضل (١) ما بقيت لاعدمت ريبة

وهذا ما (٢) يسع من الكلام في هذا الموضع ، ورحم الله القائل :

إني لا كنى عنه (٣) خيفة أن يشي واش فافضح في الهوى أو يفضحها
فأقول عند الليل يا قر الدجى وأقول عند الصبح يا شمس الضحى

وجمال جزئي وهو : خفي ، وجلي . فالخفي : جمال في الشيء معقول عن
الحقائق ، (مجرد عن الحواس) (٤) ، ولا يدرك إلا بنور العقل الذي يناسبه ،
ويرجع إلى المعنى الأول ، وهو أن يستتبع العقل ذلك الجمال الخفي ، حتى
ينتهي به إلى أصله . والجمال الجلي : وهو الذي تعلق (٥) بالجسوم لاعلى جهة
الحلول فيها ، إنما هو إشراق وإنارة ، وهو مدرك الحواس التي لا تدرك
شيئاً إلا مع أشكال الجسوم وأرضاعها ، وعلى ما أدركته تؤديه إلى
الخيال (٦) ، والذي أدركته إنما هو (جلي) (٧) الجمال ومظهره لآذاته .
والنفس تجرده من العلاقات بعد ذلك بصورة الشبح والجسم الذي أدركت
النفس بسببه الجمال ، هو الذي يسمى بالكمال فإن (وجد لها) (٨) وجدت
الجمال معه ، إذ لا تدركه إلا مقارناً له ، وإن عدم عدمته . وسبب ذلك أن
النفس ليس لها سبيل إلى إدراك العلوم إلا من طريق الحواس (والأشباح .
وأكملها ما لاح على الأشكال الإنسانية) (٩) لأنه ليس من طور الألوان (١٠)

(١) على هاءش الأصل : شأنك . من نسخة ثانية . وفي : ط تأول أصل ... البيت .

(٢) في الأصل ، س . مما يسع . وفي : ط . كما يسع .

(٣) في : ط . خوفة أن يشي .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط . وفي : س . جمال في الشيء ، معقول عن الحواس .

(٥) في الأصل : وهو الذي تعلق الجسم به .

(٦) في : ط الجمال .

(٧) في : ط على الجمال . تحريف والكلمة ساقطة من : س .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط ، س :

(١٠) في : س . ليس من طور الألوان .

ولا الأجرام ، وإنما يدرك بواسطة^(١) الكمال الذى هو من محاسن الصفات ،
ومن بعد ذلك تجرده .

فقد بان أن الجمال^(٢) : خفى ، وجلى . فالجلى ، هو اللاتمح على الأشكال
الإنسانية ، (ولا تدرك الحواس الجمال المجرد)^(٣) لتناهى القابل ،
ولا تدركه الأنفس إلا بتجليه فى مظاهر الكمال .

والخفى : المعنى المجرد من ذلك الجمال ، ولا يدرك بالحواس (لدقة
معناه ، وإنما يدرك بالعقل ، الذى هو نور مناسب . وإن الجمال يوصل إلى
مشاهدة الجمال الجزئى ، والجمال الجزئى إلى بحر الكمال الكلى ، والكمال
الكلى إلى فضاء الجمال المطلق ، ولا ميل للنفوس ولا كلف ولا تعشق
ولا هيام)^(٤) إلا بالجمال ، ولا تمسق بالجمال إلا بالنور ، ولا تعشق بالخير
إلا بالوجود . والخير والوجود والنور معروف . وهو بدء كل شئ
ونهايته « كما بدأكم تعودون » « وأن مردنا إلى الله » « وأن إلى ربك
الرجعى »^(٥) .

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى جواب عندها وخطاب

تفسيه :

وعد الناس فى أسباب المحبة محبة المناسبة . وذلك إنما يتصور فى محبة
العبد (للعبد)^(٦) . أما فى هذه المحبة التى فرضنا الكلام فيها ، فلا يتأتى
إلا فى هذا الباب . وهى مناسبة الجمال الجزئى للجمال الكلى . ومن هذا الباب

(١) فى : س . بواسطة .

(٢) ما بين الحاضرتين . ساقط من : ط ، س .

(٣) فى الأصل (إلا الجمال) أى بالجمال الجلى . فالجمال الخفى مركزوز فى الجلى .

(٤) ما بين حديثه ساقط من : ط ، س .

(٥) على هامش الأصل (سكوتى بيان) من نسخة ثانية ، وحكذا فى . ط .

(٦) ساقطة من : س ، ط .

رسخ^(١) حب الصور ، وعشق الحادث للحادث ، فما كان منه غير مقرون
بالشعوات كان أمره أقرب وإن كان من القواطع للنفوس ، فربما كان
سلما للحب الحقيقي الموصل للسعادة وما كان مقرونا بالشعوات
فلا كلام فيه .

(١) على هامش الأصل (رسخ من نسخة ثانية) . وكذا في س .

الأصل السادس ، في التشبيه بالمبدأ الأول

وهو الخير (المحض) (١) . وطلب الاتصال [١٤١] (به) (٢)
 بالفكر ، حتى يقع الاتحاد بالجواهر التي لا تفنى . قال المؤلف (رحمه
 الله) (٣) : وسبيلها في التشبيه بالمبدأ الأول ، والحصول على السعادة بذلك ،
 أن تتجرد (٤) النفس عن الشرور والظلمات ، وهي الأوصاف التي لا يتصف
 بها المبدأ الأول ، مفيض الخيرات ، ومعطى الوجود ، ومفيد الكمالات ،
 والاتصاف بأوصافه . وذلك يحصل بصلاح (٥) الأخلاق ، وخلع مساوئ
 الأوصاف ، وقطع موارد الشهوات ، والاقتصاد من شواغل الجسم على
 ما دون الضرورة ، حتى تضيء النفس وتصفو ، وتذهب (٦) كدوراتها ،
 ثم يقصر الفكر على (٧) جلال الله حتى يحصل الاستغراق ، ويتصل نور
 النفس بالأنوار القدسية ، ويتحد بها (٨) . ورسالة العمل في السلوك والرياضة ،
 قد تضمن هذا الكتاب كثيرا منها . فلا فائدة في الإعادة .

(١) ساقطة من الأصل ، ط .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) في : س ، ط (رضى الله عنه) .

(٤) في : ط (تجرد النفس)

(٥) على هامش الأصل . (بصلاح من نسخة ثانية) .

(٦) في الأصل : وتصفو كدوراتها .

(٧) في الأصل ، ط ، عن جلال الله . وهو يفيد ضد المعنى للاراد .

(٨) في الأصل . ويتحد به .

بأسط الذكر

وهو الصاعد (١) من أدنى المدرة إلى أعلى الشجرة
وفيه مقدمة ، وثلاث فصول

المقدمة في الذكر :

الذكر شيخ الشيوخ ، ودليل طريق الله ، وما عون القوم ، وشقيق
أنفاس السالكين ، وعليه تعويل من قصد إلى جناب قدس الله ، وهو
بضاعة الأنبياء والأولياء . وحده : التخلف من الغفلة والنسيان . وهو
على ثلاث درجات :

الاولى : الظاهر . من ثناء أو دعاء .

الثانية : الذكر الخفي . وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ،
ولزوم المسامرة .

الثالثة : الذكر الحقيقي . وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من
شهود ذكرك ، ومعرفة أفراد (٢) الذاكر في بقائك مع ذكره .
قال بعضهم : أيها الباحث (٣) عن تحصيل كالك ، عليك (٤) بذكر الله
الذي عليك وأرادك ، وعليك وحكمك من كل الجهات ، وهو بذك اللازم ،
وجودك الثابت ، وهو الذي يسعدك ويحملك إلى حضرته ، وحضرته
تحرر (٥) ذاتك من ذل السكون المهلك ، والممكن القابل (٦) المتقلب (٧) ،

(١) في : ظ وهي الصاعد . خطأ .

(٢) في : ط افتراء الذاكر .

(٣) في : ظ ، س . تحصيل

(٤) في : ظ عليه . تحريف .

(٥) في الأصل : تجرد ذاتك . ومل هامش من الأصل : تحرر من نسخة ثانية ، وكذا

في ظ . وفي : س تحوز ذاتك .

(٦) في : ظ . القائل .

(٧) في : س . القابل للتغلب .

ويحكمك في الرحمة بالوجود^(١) المطلق ، ويصرفك في المقيد ، (ويطلعك على المقدر)^(٢) ، ويبلغك إلى أقصى الإنسانية من جهة التخصيص ، بحسب الأمور التي لا من جنس ما يكتسب ، ولا من جهة^(٣) العادة والعلوم المالوفة الشرعية ، والأحوال المذكورة .

قالوا : وفضائل الذكر لا تحصى . فمن القرآن كقوله تعالى : « فاذكروني أذكركم » . « واذكروا الله ذكرا كثيرا » « فاذكروا الله كذا كركم آباءكم أو أشد ذكرا » . « والذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » « واذكروا ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » . ومن الأخبار « ذكركم الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم . وكالمقاتل في الفارين » وقال « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكره . قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاثا » . وقال « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر في جهنم رجلا ذكر الله في خلعه ففاضت عيناه » .

ومن الآثار قال الفضيل [بن عياض] : بلغنا أن الله قال : ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة ، وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما ، وقيل إن الله يقول أيما عبد اطلعت على قلبه ، فرأيت [٤١ ب] الغالب عليه ذكرى ، توليت سياسته ، ركنت جليسه وأنيسه .

ومن جمهور فضائله : كونه يسهل على الطبايع ، مع كونه يصحبه

(١) في ظ ، س . . الوجود

(٢) ما بين الحاضرين ساقط من : ظ ، س .

(٣) في : س ولا من جنس العادة .

الأنس ، ويمتد مع الأنفاس ، وهو أكثر من الزمان (١) بحسب النية ، ومن فضائل طهارة الوقت بما لا يصلح ، وإهمال السيئات ، وموافقة الملائكة ، قالوا : وهو قياسك مع ربك ، فبقدر ما تجدد من نفسك في الذكر ومع المذكور ، فذلك كذلك في المقابلة والاعتباط . وهو أول ما يستفتح به الرسل ، ويوجد حتى في الجنة ، وينفع بعد الموت ، وعليه المعمول في الخاتمة . وذم النبي صلى الله عليه وسلم الزمان بعدمه ، وفضله على الصدقة والجهاد والشهادة ، ويتقدم على الصلوات ، وهو العلامة . ولا يقنع في دعوى الإسلام بغيره ، وهو العبادة التي لا تنقيد بزمان ويثبت حتى في دار الجزاء (٢) ، ويتحف به الحبيب حبيبه ، ويفضل الدعاء (٣) وهو في الحيوان العاقل أصل ، وفي غيره [فرع] : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » (٤) .

(١) التذكير في زمان محدود ، فإذا سحت نيته وصدق عزمه وتوجهه ، ونهضت همته ، صار معنى الذكر ومشهده ملكة من ملكات الذكر ، تسرى معه في أحواله كلها . فيكون ذا كرامة بالملكة ، وهو في شئون بيته ومعاشه ، وفي طريقه ونومه . وقد جرب بمن المرادين تلك الملصقة فلازمه الذكر في نومه . ومن هنا كان الذكر أكثر من الزمان الذي يستغرقه .

(٢) ولا خير في زمان لا يذكر الإنسان فيه ربه ، من هنا أيضاً صار الذكر أكبر وأعظم من الزمان ولا يتقيد الذكر بزمان ولا مكان ولا حاله ، فهو مباح في كل وقت حتى مع الجنانة .

(٣) قال الشيخ أحمد زروق : نورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد ، ومثيرة لحرارة طبعه بانحراف عن طبعها فمن أمّر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم معها . لأنها كاللآلئ ، تقوى النفوس ، وتذهب وهج الطباع ، وسر ذلك في السجود لآدم عند قولهم : ونحن نسبح بحمدك ، وتقدس لك ، ولهذا أمر المشايخ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند غلبة الوجد والتوق لذلك شاهد . وقد أشار إلى ذلك الصديق رضي الله عنه ، إذ قال : الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أحق للذنوب من الماء البارد للحر . وقد نص في مفتاح الفلاح [لابن عطاء الله] . على أن علامة الفتح . ثوران الحرارة في الباطن [قواعد التصوف قاعدة رقم ١١٥]

(٤) يجوز الأخذ بما انتصح معناه من الدعاء وإن لم يصح رواية إذا استند لأصل شرعي

تفسيه :

وهو في كل مقام بالقوة ، ففي التوبة يذكر اللسان وقت النوافل والخلوات ، بحيث يخبر^(١) عن عزمه على الفرار . والتوكل يذكر منته (وإرادته)^(٢) . والرضى يذكر حكمته وعدله . و [في] التوحيد يذكر وحدته ، وكونه واحد الوحدة ، ويحضر حاله بقلبه في قلبه . وهكذا في كل مقام .

ومن شواهد فضله اتفاق الأنبياء والحكماء والأمم في التقرب إلى الله به ، وجعله سلما إليه ، فمن الأدعية الكثيرة^(٣) منسوب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٤) وإلى عائشة ، وإلى فاطمة ، وإلى أبي بكر ، وإلى الدرهم ، وإلى بريدة الأسلمي ، وإلى علي رضي الله عنهم ، وإلى إبراهيم بن آدم ، وإلى معروف السرخسي ، وإلى عتبة الغلام ، وإلى أبي المعتز ، حسبما قص ذلك كتاب الإحياء ، وهو أكثر من أن يحاط به .

ومن الذكر ما ينسب إلى الأنبياء . فكان آدم يقول : اللهم ارحمني بخشيتك التي لا يتوقف فيها ذكرك ، يا من أسجد الملائكة لعبده وهو يعلم أنه يعصيه بعد ذلك ، يا من كرمه لا يتوقف على الجزاء والمسألة ، ولا يستند إلى ما يقل ويكثر ، يا واسع الخير يا رحمن يا رحيم .

قال عليه السلام لمن دعا . بأني أسألك بأفك الله الأحد الصمد . الخ لقد دعوت الله باسمه الأعظم . فكل واضح في معناه مستحسن في لفظه خصوصا إذا كان له أصل من إلهام أو رؤيا سالحة . ومن الأدعية التي تدخل تحت هذا الأصل الأحزاب والأوراد . لا مافيه مبهات وموعات كأحزاب ابن سبعين ، فيجب تجنبها سمله والأدعية والوظائف المجموعة من الأخاديت أكل وأفضل .

(١) في الأصل : يحير عن عزمه

(٢) في : ظ ، س . منه

(٣) ساقطة من : ظ في : ظ الكثير

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س .

وإدريس يقول : علمت أنك العلى الكبير الشأن ، المنعم على كل ذات
حادثة ، العالم بكل الكائنات ، الذى له الملك والحمد ، فأنعم على بما^(١)
علمتى ، وخلصنى من ألام لحظة غيرك .

ونوح (يقول)^(٢) : اللهم أنعم علينا بالصبر حتى نعرح فى الدنيا
والآخرة بدهوة الحق يا حق يا مدبر الخلق ، ولو فى رجل واحد يا الله
يا الله يا الله ، يا رب بارب (بارب)^(٣) . وقال فى السفينة : اللهم سلم وأنعم
علينا بالعافية ، وارفع عنا غضبك لاطاقة لنا عليه ، وانظر بعين رضوانك
إلينا يا رحيم يا رءوف . وبعد سلامته : يا وهاب يا محسنا للذنبين .
ثبتنا على طاعتك ، ولا تهملنا وعافنا . وعند موته : سبحان الحى الذى
لا يموت .

وإبراهيم : اللهم بحق كلمات الصحف آنسى بك ، وبلغنى غياقى فى
جوارك ، وارحنى بحضرة رضوانك ، واجعلنى فى الأرض أسوة حسنة
صالحة صادقة ، تجر عبادك إلى رحمتك ، وحدثنى فى سرى بما يكشف عن
ملكوت السموات والأرض . [٤٢] .

واسماعيل كان نداؤه : ذكر ربه فى قلبه بصفة الرضى .

ويعقوب قسم ذكره لربه وولده ، فكان عذاب باطنه لذلك^(٤) .

ويوسف غار الحق لذكر [هـ] مذكور [١] غيره . قالوا : والعتاب
على المباح من شواهد الاصطفاء . وهو كمال فى حق الممتوب .

وموسى يقول : نذكرك فى القلب مرة ، ثم نبصرك بك ، فأنعم على
بالنظر إلى وجهك ، كما أنعمت على المقربين من عبادك .

(١) فى : ظ . ما علمتى

(٢) ساقطة من : ظ

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) و : ظ : كذلك .

وهارون : اللهم ارحم غبادك وبلادك^(١) .

وداود : الحمد لله على حمده وعلى ما بعده .

وسليمان : كان في خاتمة من ذكر الله . علمه الله ما لم يعلم ، وملكه ناصية كل ملك^(٢) ، وخلص مملكه ، وجمع له بين ملك الدنيا ، ونعيم الآخرة . ومن ذكره بحسب علمه ، زاد له في ذلك وأيده بروح منه . وذكر الله هو الروح الحافظ .

وذكر يا : الحمد لله الذي جعلني من عباده الصالحين .

ويحيى : مولاي . رحمتي بالقرب منك ، فارحمي بجميل اللقاء .

وفي الإنجيل : يا عيسى . اذكرني كما يذكر الولد الوالد^(٣) .

ومحمد خاتم النبيين (صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه)^(٤) من بعض ذكره : أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . وتأمله تأمل المحققين^(٥) .

وأبو بكر يذكر في نفسه ويقول : اسمع من أناجي . وعمر : يذكر جهرًا ويحارب الشيطان . (وعثمان يقوم الليل بالقرآن وهو الذكر من كل وجه)^(٦) . وعلى ذكره وخطبه معروف^(٧) . ورجال الرسالة [القشيرية] الذكر عندهم المقام الكريم .

وأما الأمم . فلهند إذا عزموا على وضع الهياكل ، لا بد لهم من أسماء

(١) في : س ، ط . جاء دعاء هرون بعد دعاء داود عليها السلام .

(٢) ل : س : (كل ملك)

(٣) في : ط للوالد

(٤) ما بين الحاضرتين ساقط من : ط

(٥) في : ط . التحقيق

(٦) ما بين الحاضرتين ساقط من : س

(٧) في : س . (معروفة) .

يذكرونها . شرحها : يا من من أجله أحرق الطبائع بستره^(١) وجهه ،
وتوجه لبعض مخلوقاته الشريفة ، أنعم علينا بنسبة منك تسرى وتفعل في
أرواحنا (بنسمة)^(٢) يا أصل كل شيء ولا أصل له ،^(٣) يا من يقوم
الاشياء وهو في كل شيء بمشيئته .

والسودان يكتبون إذا اتخذوا الصور العجيبة ، أسماء الله على وجوههم
بلسانهم . وشرحها : من^(٤) ذكر الله فر منه كل مفسد ، فإن الله يقدر
ولا يقدر عليه .

والإفرنج : (يذكرون)^(٥) الباب بالباء المعجمة^(٦) بلسانهم وبلغم واتهم^(٧)
وأما الأقدمون من الحكماء . فكان سقراط يقول : أنا الذليل بالذات ،
وأنت العزيز بالذات ، فلا تجعلني بعزتك من البعداء بالعرض . يا من هو
صورة كل شيء ، وقياس هذا العالم ، ووجوده القريب ، أحجبتني عن كل
ما يقطعني عن كمالى . وكان يكثر قول : أنت أنت أنت . يعنى نداء الحاضر .
وأفلاطون كان يقول : يا نور^(٨) العالم ، يا سبب الشكل . يا مبدع
المثل والتوابع ، كم ذا نتجرد ونعود إلى هذا الجسم ، ونرجع من عالم
العقل ، قرئى بحيث أثبت عندك ولا أعود . فإن صرفتنى إلى هذا الهيكل ،
فأسعدنى بك ، وألهمنى الرجوع إلى حالتى التى انصرفت من حضرتها
الشريفة . يا غاية العقل والعلم .

(١) فى الأصل (بشره) تحريف . وفى : س (بسره) تحريف أيضا .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) فى جميع الأصول : ولا أصل له . فائدة مفهومه . يا من يقوم . : الخ والعبارة
المقتضاه لأمعى لها .

(٤) فى الأصل : يا من . خطأ .

(٥) ساقطة من : س .

(٦) فى : س (المقجمة) .

(٧) فى جميع الأصول بلاهوتهم .

(٨) فى : س (يا قدر) .

وأرسطو يقول : يا أول الأول ، يا علة العلل ، يا سببا أول ، يا واهب العقل ، يا من تكرم علينا بالوجود (١) ، لا تهمل نفوسنا في عالم الطبيعة ، وخصصها (٢) في حضرة الجود (يا لذة الهمة ، يا أمل الحكمة) (٣) . فمذه المزاي لا تجهل ولا تهمل .

تفصيله :

الفرق بين الدعاء والذكر اصطلاحا : أن الدعاء هو الذكر المقرون بالطلب (٤) ، وفي الاصطلاح : يطلق الذكر على ألفاظ مفردات من أسماء الله [٤٢ ب] كقول : الله الله . أو مركبا ، كقول : لا إله إلا الله أو أكثر . ودرجاته أولها (٥) الظاهر . وثانيها الخفي . وثالثها الذكر الحقيقي . وهو المتخلص من شهود الذكر (٦) .

(١) في : ط . بالجود .

(٢) في : ظ ، والأصل : وخصصنا .

(٣) جاء ما بين العاصرتين في آخر دعاء أفلاطون بعد قوله : باعية العقل والعلم .

(٤) ويجوز الدعاء بما اوضح معناه وإن لم يصح روايته . وبؤثر الدعاء الجارى على لسان العبد ، والمسئ من همته . وقد أدخل مالك في موطنه في باب دعائه عاياه السلام قولاً أبى الدرء نامت العيون وهدأت الحفون ولم بن إلا أنت ، ناحى باقيوم . وقال عليه السلام الذى دعا : بأنى أسألك بأنك الله الأحد ، الفرد الصمد . لقد دعوت الله باسمه الأعظم . فدل ذلك على أن كل واضح في معناه مستحسن في ذاته بحسن الأخذ به . كأحزاب الشاذلى والنوى والبكرى أما الأوراد التى جاء فيها مبهات كأحزاب ابن سبعين فحسن التوقف فيها . [قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق . ٣٧ : ٣٨ بتصرف] .

(٥) في : ظ . أولاها .

(٦) ذكر الطاهر باللسان ، والذكر الخفى بالقلب ، وقد يكون بالتأمل ، ونلاحظ فيه الحواطر والمشاهد . والذكر الحقيقي بغيب الذاكر فيه عن شهود نفسه وذكره وخواطره ومشاهده ولا يشهد إلا ذكر الله إياه . ومن هنا قالوا : إن الذاكر هو المذكر وليس في هذا القول إيهام الحلول والاتحاد . لأنها عملية تشبه عمالية «القصور الثبات» بندق الذاكر حتى يعمل وحده بعد اشتغال همنه ، دون وعى بعمله . فكون السير من الله ، وفي هذا الحالة تتوارد على الذاكر تفاصيل علوم الذاكر بعد السكون والانها ، وعلامة العتقى الذاكر اشتغال بطن الهمة .

خاتمة :

وهو الأصل الباسط في الدعوات والأذكار والأسماء ، عددناه سبباً من أسباب المحبة ، إذ من أراد أن يحب شيئاً شغل أسانه بذكره ، ثم تهر فكره عليه ، حتى يستغرق فيه . ولما كان هذا الذكر بعد حصول المحبة يقتضى ملازمة ذكر المحبوب ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره . وهو السلم إلى الوصول لقرب المذكور ، جعلنا الكلام في الذكر وبعض الأذكار في الأسباب ، وأخيراً صورة العمل به إلى محله ، ثم نذكر (١) ثمرة الذكر بحول الله .

وبالجملة فالذكر هجيرى ألسن المحبين ، وسلم الواصلين من السالكين إلى حضرة رب العالمين ، والذي يحرس الجوارح ، ويحفظ الوقت ، ويجعل الصحائف ، ويشرد (٢) اللغو (٣) ، ويفتح أبواب الأنس ، ويصارف الزمن ببضاعة أشرف ، ويطبع في النفوس رسوم العبودية ، ثم يمنحها منشور المعتق ، ويقطعها جو السعة ، ويضمن الخير بكل حال ، ويستدعى من الله المقاربة ، ويحدو قوافل (٤) السائرين إلى الله ، وهو العبادة التي ظاهرها أجور ، وباطنها حضور ، وباطن باطنها نور على نور .

(١) في : ط . ولم تذكر . تحريف .

(٢) في : ط . ويسرد .

(٣) في س (الكفه) ولا مع ، لها .

(٤) في : ط ، س . نوافل .

الفصل الأول

من الباسط ، من جرثومة الأسباب

أصل الدهوات والأذكار :

والمستعمل من الأذكار في الشرع عشرة أجناس ، وتحت كل جنس نوع وأشخاص ، لا يسعنا حصرها .

فأولها التعوذ وما في معناه ، مما يستجن به العبد ، كالاستغفار . وله ثلاث درجات : أولها يستعين الذكاء فيها من العوارض الجسمانية المنوطة بعالم الجسم ، يستعمله الصوفي عند النزغات الشيطانية (١) في الخواطر الجسمانية ، إلى أن تحصل البراءة من ذلك . قال الله تعالى : « وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » (٢) . وفي الثانية يستعين به من الخواطر

(١) نحدث المؤلف عن الخواطر في آخر كتابه . وأجود منه ما كتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد السهر بزرقي في قواعده قال : الخواطر أربعة : رباني بلا واسطة ، ونفسي ، وملكي وشيطاني . فالرباني لا متزحزح ولا متزلزل كالنفساني ويجريان بمحسوب وغيره فالرباني في التوحيد الخاص ، ورباني ، وفي مجاري الشهوات نفساني . وما وافق أصلاً شرعياً لا يدخله هوى ولا رخصة رباني . وغيره نفساني .

(٢) ويعقب الرباني بروضة الانسراح ، والنفساني ببس وانقباض . والرباني : كالفجر الساطع لا يزداد إلا وضوحاً ، والنفساني كعمود قائم ، إن لم ينقص بقي على حاله . فأما الملكي والشيطاني فتزدادان ، ولا يأتي إلا فخر ، والشيطاني قد يأتي به فنشك . ويفرق بأن الملكي تعضده الأدلة الشرعية ، ويصعبه الانسراح وبقي بالذكر ، فأثره كقبس الصبح ، وله نفاذ بجلال الشيطان فإنه يضعف بالذكر ويعمى عن الدليل ، ونفقه حرارة ، وبصعجه اشتغال وغبار وضيق وكرازة في الوقت . وربما تبعه كسل . فالشيطاني من يسار القلب ، والملكي من يعينه والنفساني من خلقه ، والرباني مواجه له . وتحقيق هذا الأمر إنما يتم بالدوق قالوا : من عقل ما يدخل في جوفه ، عرف ما يهيس في نفسه .

[راجع قواعد التصوف . قاعدة . « ١٩١ » ، وباب الخواطر من : التديرات الإلهية

لسيدى محيى الدين بن عربى] .

الروحانية . وفي الثالثة يستعيز من الخواطر فيها سوى الله .

والثاني البسمة . ركل ما في معناها . يستعملها لدفع الدعاوى الظاهرة والباطنة ، والدعاوى في الوجود ، ومعناها : الخروج عن الحول والقوة ، وأن كل شيء بالله . . واستعمالها في الدرجة الأولى : في الأعمال الظاهرة . وفي الثانية : في الباطنة . وفي الثالثة : في محاضرة المعبود .

الثالث (١) الاستغفار . [وهو] كذلك على ثلاث درجات : الاستغفار من الكبائر والصغائر ، ثم الاستغفار من الغفلة عن العمل (٢) ، ثم (الاستغفار) (٣) مما سوى الحق .

ورابعها التصلية . وهي في حق الذاكر وجود الرحمة في المراتب الثلاث . ففي (٤) الأولى [الرحمة] لأهل الظواهر ، وفي الثانية الرحمة لأهل البواطن ، وفي الثالثة وجود الرحمة للأولياء والأنبياء . وينتج لهم الرحمة لأهل الأرض من حيوان ، ثم بعد ذلك للملائكة وأهل الجنة وأرواح المؤمنين ، ثم الرحمة للأولياء والأنبياء وأهل الحضرة .

والخامس (٥) : التقديس . ففي أولى الدرجات ، التقديس من المطاعم والمصائب ، وفي الثانية التقديس [٤٣] من الجهات والتصورات ، وفي الثالثة التقديس من تومم الاعتبار ، وينتج وجوداً من الصمدانية (٦) .

(١) في : ط . ونالها .

(٢) في : ط . عن العلم .

(٣) ساقط من الأصل وزيدت من : ط . وفي : س . والاستغفار من الغفلة عن العمل ،

لأنها مما سوى الحق .

(٤) في : ط . هي . تحريف .

(٥) في : ط ، س خامسها .

(٦) في : ط .

السادس : التسبيح ، ومعناه التنزيه ، فى الدرجة الأولى تنزيه الحقيقة
عن مشابهة الخليفة ، وفى الدرجة الثانية التنزيه عن مشابهة الأرواح
والنفوس ، وفى (الدرجة) (١) الثالثة [التنزيه] عن مشابهة العقول . وينتج
تمييز المحدث من القديم (٢) .

والسابع : الحمد لله (٣) . (ولا يكون إلا للجميل) (٤) . فى الدرجة
الأولى : الاتصاف بظواهر أسماء الله الحسنى ، وفى الثانية الاتصاف
ببواطنها (٥) . وفى الثالثة : الاتصاف بحقائقها . وينتج النعوت
الإلهية (٦) .

والثامن : التهليل . وهو مركب من النفي والإثبات ، ومعناه : أفراد
المعبود . فى الدرجة الأولى يخلص من الشرك الجلى (٧) ، وفى الثانية :
من الشرك الخفى (٨) . وفى الثالثة : يخلص من شرك الإثبات (٩) . ونتيجته
أفراد المعبود فى كل وجود .

التاسع : التكبير . ومعناه العظمة ، وفائدته فى الدرجة الأولى
تحقير الدنيا وما فيها ، وفى الثانية تحقير ما سوى الله حالا . وفى الثالثة
تعظيم الله كشفاً .

العاشر : الحقولة . وهى ركن الاعتصام . وفائدتها فى الدرجة الأولى

(١) ساقطة من : ط ، س .

(٢) فى الأصل . وينتج تنزيه المحدث من القديم .

(٣) فى : ط الحمد له .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط ، س ، ومعناه . لا يكون الحمد إلا لنافع وحامل عليه .

(٥) فى الأصل : بأنوارها .

(٦) أى بالاتصاف بالصفات الإلهية المناسبة للبشرية ، كالعلم والحلم والكرم وغير ذلك .
إلا سفة الألوهية ، فلا مجال فيها لعارف من أى نوع كان .

(٧) فى : ط ، الخفى . خطأ .

(٨) الشرك الخفى : إسناده الأفعال لأسبابها القريبة ، وإثبات الأناية للنفس : [راجع
خبرة ألمان المسمى] .

(٩) إذا اعتقد الموحّد أنه أثبت الله سبحانه وتعالى ، ونفى ما عداه . فذاك شرك الإثبات ، =

(٢٠ - روضة التعريف)

توحيد الأفعال. وفي الثانية : توحيد الصفات بحسب تعلق الأفعال بها^(١) .
وفي الثالثة : اضمحلال ماسوى الله . وينتج^(٢) الغنى الذى لا ينفد. قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » .
ومعناه : من كان بالله فددته لا ينقطع من الله أبدا .

== حيث أثبت مثبتاً ومثبتاً ، ولا توحيد مع وجود الإثنية ، وإذا تخلص من شرك الإثبات فقد
وحد الله بآله . ومعنى التخلص من شرك الإثبات للقضاء عن النفس في التوحيد . قال أبو يزيد
البسطامي : منى أن أقول مرة لا إله إلا الله بفناء أبى يزيد عن أبى يزيد .
(١) أى ملاحظة صفات الله تعالى في كل فعل يقع في الوجود ، لا فاعل في الوجود إلا الله .
أو بمعنى آخر رفع الأسباب ، وعدم اعتبارها في تحقيق الأفعال . وهذا هو التوحيد المجرد .
وملاحظة الأسباب وإسناد الأفعال إليها توحيد مشترك أو متشابه . فن التوحيد المجرد : يهدى
من يشاء . ومن للمشارك : آمنوا بالله ورسوله .
(٢) في : ظ ينتج .

الفصل الثاني

من الباسط، في الأسماء

وفيه تسع وتسعون شعبه بعدد الأسماء . ورد : من أحصاها تعلقا ، أو تخلقا ، أو تحققا ، دخل الجنة . أما إحصاؤها تعلقا ، فبأن يطلب كل واحد منها في نفسه وبدنه ، وجميع قواه ، وبجامع (١) حالاته ، وهياته الجسدية والنفسية ، وفي جملة تطوارته وتنوعات (ظهوراته) (٢) ، نوما (٣) ويقظة ، وقياما وقعودا ، وطاعة ومعصية ، وقبضا وبسطا ، وصحة وسقما ، ورضا وغضبا ، ولذة وألما ، وغنى وفقرا ، ونحو ذلك . فيرى جميع ذلك من أحكام هذه الأسماء ، ويضيف كل ما يظهر من ذلك إليها [و] إلى آثارها ، فيقابل كل واحد بما يليق به ، من شكر أو صبر ، أو ملق أو عذ ، أو استكانة أو خضوع ، أو استحياء أو تذلل ، أو التجاء أو انكسار ، أو نحو ذلك من أوصاف العبودية .

قالوا: وبمثل هذا الإحصاء وأداء (٤) الواجب يدخل الجنة ، لكن جنة الأعمال . وهي محل ستر الأعراض الزائلة ، قولا وفعل ، (ونية) (٥) ، واعتقادا ، بصور الأعيان الثابتة الباقية ، حورا وقصورا ، وجنانا وولدا ، وأما إحصاؤها تخلقا فبتطلع الروح الروحانية إلى حقائق هذه الأسماء ، ومعاييرها وصفاتها ، والتخلق بالانصاف بحقيقة كل واحد واحد منها بمقتضى

(١) في : ظ . جميع .

(٢) ساقطة من : الأصل . وزيدت من : ظ . دوى : س . ظهوراته تصحيح .

(٣) في : س ندعا . تحريف

(٤) في ظ . أداء . تحريف .

(٥) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ . وفي الأصل : قولا أو فعلا ونية .

قوله : تخلقوا بأخلاق الله . فيدخل بهذا الإحصاء المترتب عليه التخلق . والاتصاف جنة الميراث ، وهى أعلى من الأولى . وقيل : باطنها المائل إلى طرف الملكوت . وهى المشار إليها بقوله : مامنكم من أحد إلا وله منزل . فى الجنة ، ومنزل فى النار . فإذا مات ودخل النار ورث منزله أهل الجنة ، وإن شتم فاقرا : « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

وأما إحصاؤها [٤٣] تحققا . فيكون بالتقوى ، والانخلاع عن كل ما قام به وظهر فيه من الصور والمعاني ، والآثار المتسمة بسمة الحدوث ، وبلاستتار فى سبجات أعيانها وأسرارها وأنوارها ^(١) . قالوا : فيدخل عند ذلك جنة ^(٢) الامتنان ، هى مقام ستر غيب الغيب ، وإليه الإشارة فى قوله : « وإن المتقين فى مقام أمين » . المعد فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فمن ذلك اسم « الله » . وهو أعظم الأسماء لئلته على الذات الجامعة لصفات الألوهية ، ولا يطلق ^(٣) على غيره بمجاز ، ولا بحقيقة ، ولا يصح التعلق ^(٤)

(١) وهذا المشهد هو الانخلاع من مجال الوعى العقلى إلى مجال الوعى الروحى ، فجال الوعى العقلى لا يخلو من آثار الحدوث حتى فى أرقى درجاته ضيق . ينخلع صاحبه من مجال الوعى النفسى الذى لا يعنى إلا بمطالب الجسد ، يحاول حل مشاكله برسم المثل العقلية ، ويبتعد فى سبيل الوصول إلى سعادته عن طريقها ، ويمجد العقل نفسه طعنا عن تحقيق السعادة على هذا السبيل ، لأنه يمجد نفسه غارقا فى الجدل والحيرة فى وجوه الخلاف . وتسود السالك حينئذ فترة صمت وسكون ، كالمسكون الذى يعقب العواصف المدمرة . فتره استسلام كامل ، لا حس فيه ولا حركة ، ولا نزاع . وجاءت تحدث الولادة الروحية ، للمبرع عنها فى عرف الصوفية بالولادة الثانية ، ويمجد السالك نفسه غارقا فى سبجات أسرار الأسماء والصفات وأنوارها ، ولا يستطيع التعبير عما يجد من سعادة ولذة لا تعدلها سعادة ولا لذة فى عوالم الوعى العقلى والنفسى .

(٢) فى : ظ حبة . تصحيف .

(٣) فى : ط . ينطلق . تحريف .

(٤) جميع الأسماء الإلهية تصلح للتعلق والتخلى ، إلا اسم « الله » ، فلا يصاح إلا للتعلق فقط .

ولا يجوز التعلق به بمجال من الأحوال .

«به إلا بعد التخلق بجميع الاسماء ، والتقرب به في احتقار ماسواه حالا ، وتعظيم أمره كشفا ، وإسقاط الكون شهودا ، والفناء في الجميع استغراقا ، وتعلق الهمة به دائما ، ومراقبة الأنفاس سرآ ، وذكره ظاهرا وباطنا ، إلى أن يستغرق السر في وجوده ، ثم في حقيقة شهوده ، فلا يرى غيره فيحرس عليه أحواله^(١) ، ويحفظ من الأغيار أسرارہ .

واسمه « الواحد » وحقيقته الذي لا يقبل الكثرة ولا يحتمل القسمة ، والتقرب إليه به . بنظر المصنوعات تدبرا ، ثم تذكرا ، فيحصل سكون الباطن (من خسة الأعراض ، ثم الفناء عن الآثار)^(٢) ثم الغيبة عن الغيبة (ثم الثبوت في التجلي ثم الغيبة)^(٣) بالغيبة ، والعود إلى الحقيقة الأولى . والآخر والوتر مثله سواء .

واسمه « الصمد » الذي يصمد إليه ، أى يقصد . وقيل : الذي لا يطعم . والتقرب به (إليه)^(٤) بالخلوات وتقليل الطعام . ومن صمد لحركة بقصد . صحيح غير ملتفت (فيها)^(٥) لغير الله ، أمده الله بأنوار إيمانية ، وقوة روحانية .

واسمه « الحى » . ومعناه الفاعل المدرك ،^(٦) إذ من عدم الفعل والإدراك فهو موات ، والتقرب إليه به بأن يحيى الأنفاس بالذكر ، ويحيى الحركات بروح السنة . ويحيى الجسد بالطهارة . إلى أن يحيى القلب بنور الحكمة . واسمه « القيوم » . وهو الذى يقوم به كل موجود . والتقرب به (إليه)^(٧) .

(١) في الأصل : فتحرس وتحفظ . بالبناء للمجهول .

(٢) ما بين الماصرتين : ساقط من الأصل ، س .

(٣) ما بين الماصرتين . ساقط من الأصل . وزيد من : ظ . وقى : س . ثم النية في الغيبة

(٤) ساقطة من : ظ . س .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) فى : ظ أو . تحريف .

(٧) ساقطة من : ظ ، س . وفى الأصل والتقرب إلى . تحريف .

بأن تسلم الحركات إليه ، وحقه ألا يذكر إلا مع الحى ، لأنه وحده ليس من طور الموجودات . والحياة لها نسبة فى الإنسان . ولا يتخلق به (١) ، ويطلع بالسر على أرواح الموتى ، فىرى السعيد منهم (والشقى) (٢) .

واسمه : «الكبير» . والكبير الكامل الذات . والتقرب به (إليه) (٣) بأن يرى أمره عظيماً لا يحمله (٤) إلا به ، ويعامل الخلق بالاستخناء ، ويعود بتعظيم حرمان الله ، ثم بتقوى الله .

واسمه : « العلى » . وهو الذى لا رتبة فوقه . والتقرب به (إليه) بأن يرى (ما عنده) (٥) (أعلى) (٦) من كل شىء فلا يطمح إلا لما عنده ، ويرى [ذلك تحقيقاً] ويقرن باسمه الكبير ، وثمرته الرفعة فى الدنيا والآخرة .

واسمه : « العظيم » . وهو مالا يتصور العقل الإحاطة بكنهه (٧) ، والتقرب إليه (٨) به ، بكثرة التعبدات والرياضات ، والتفكير فى أوقات الذكر . وعليه بكل أمر فيه ذل ، وهو يورث الغيبة فى العالم . ويغلب الأوهام ، ويسخر (٩) له الخلق .

(١) بل يتخلق به ، لأن كل إنسان قائم على ما يابه مما هو مسئول عنه وراع له ، ولكنه تخلق ناقص بالطبع ، كتحقيق الإنسان بقية الأسماء ما عدا « الله » كما ذكرنا من قبل . والقيومية من طور الموجودات على ذلك كالحياة وغيرها ، مع ملاحظة الأزل والافان ، أو العبد والرب ، وعلى هذا يجوز ذكر اسم « القيوم » وحده ، وتعليل للأول رجاء ذكره مع الحى غير مستقيم ، لأن اسم الله الذى ليس من طور الموجودات حقاً يجوز ذكره وحده .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) أى لا يحمل تجليات هذا الاسم إلا به تعالى .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

(٦) ساقطة من الأصل . وجاء مكانها كلمة : أعلاء . وزيدت من : ظ .

(٧) فى : ظ ، س مالا يتصور إحاطة العقل بكنهه .

(٨) فى : ظ ، س إلى الله به .

(٩) فى : ظ : ويسخر .

واسمه: «العليم». وهو المحيط بكل شيء علماً^(١). والمتقرب به (إليه)^(٢) يفصل^(٣) كل ذرة في الوجود بلطف الفسكرة ، من أى العالم صدر ؟ فيعقب ذلك علماً يوجد به^(٤) ، فيه أسنة الموجودات . ويرى أجزاء العالم مقبلة إليه بأنواع الأسرار ، ملقنة^(٥) ما أودع فيها .

راسمه : «الحق» . وهو الواجب بذاته . والتقرب (إليه)^(٦) به أن يرد إليه الأشياء من صوت ونطق وحركة وأخذ^(٧) ، فيشهد (القدرة في التصريف ، والعلم في النطق ، والإرادة في اختلاف التركيب . فيشهد^(٨) الكل يخاطبه بحقائقه [٤٤ ا] ويعلمه الله سر العوالم ، وليذكر الحق المبين . وشرطه ألا يأكل من الأسباب ، ومجاهدته الصمت^(٩) .

(١) في : ط ، س : المحيط علماً بكل شيء .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) في : ط . يفضل . تصحيف

(٤) أى تفصيل كل ذرة في الوجود بلطف الفسكرة .

(٥) في : ط ، س . ملقنة ما أودع فيها .

(٦) ساقطة من : ط .

(٧) في : ط . واحد . تحريف .

(٨) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل . وزيد من : ط .

(٩) مراد التخلق باسم الحق لا يأكل من الأسباب لأن التحقق بالحق يستلزم الثقة بالحق . قال تعالى : إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون : فالثقة بالرزق من الله ، هي التحقق بالحق . كما جاء في الآية الكريمة - وثقة الناس بالأسباب تباين الحق وتعارضه ، وليس هذا طريقاً ملتما لكل السانكين بأن يسروا عليه . ولا يعترض عليه بأنه يستلزم خراب العالم ودمار العمران ، لأن هذا الاعتراض لم ينشأ إلا من وهورة طريق التوكل ، وضعف اليقين بالله . فإذا ساء الله السبب لسالك به توكل واستسلامه ، كان متحققاً بالحق ، وإذا سعى هو في الوصول إلى السبب لم يتحقق بالحق . أما التجرد عن حقائق الأسباب فستحيل ، لأن التوكل نفسه سبب .

أما لزوم الصمت . فلأن الحق تعالى ينادى يوم الحق : لمن الملك اليوم ، فيلزم الجيم الصمت فيجب سبجانه نفسه بنفسه . لله الواحد القهار . فصار حقاً لا موجود سواه . ولزم الصمت تحقيق لهذا المشهد .

واسمه : « المبين » . أى الفاصل فى الحكم . والتقرب إليه به بالخلة
وتدريج الرياضة ، ولا يأكل مما يعتقد جهته ، فلا يخفى عنه نطق النفس
والروح والقلب والعقل والهوا جس ، ولا يلتبس عليه شيء من العوالم
إلا ألهمه الله بيانه .

واسمه « النور » . وهو : الظاهر الذى ظهرت به الأشياء . ومن
استقامت نفسه على التزكية بالطاعات من ظلمة الطبايع ، حتى يقابل بنورها
نور الروح ، من الله عليه باستغراق الشهود فى المحبة .

واسمه « الملك » . وهو الذى يستغنى عن كل شيء ، ويفتقر إليه كل
شيء . ويتقرب إليه به من أشرف على حقائق النهايات ، ورياضته
للجوع ، وترك الرسم^(٢) ، واعتزال الخلق . ويفتح عليه بالثقة بما عند
الملك الأعلى .

(واسمه) (٣) « المحيط » . ومن تحقق به لزمه الحياء من الله . والمراقبة
ظاهراً وباطناً ، والتقرب إليه به لزوم الأمر ، وحفظ الخواطر عن كل
شوب^(٤) يحجب عن الله . ويجعل الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه ،
يحفظونه من أمر الله .

واسمه « القدير » . والقادر . وهو الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل .

(١) فى : س . الخلة ، والخلة أخص من العزلة ، ومى نوع من الاعتكاف لكن لاقى
السجد ، وربما كانت فيه . وأكثرها عند الصوفية لاحتاد له . لكن السنة تشير إلى الأربعين
بمواعيد موسى عليه السلام ، ويرى بعضهم أن أقصاها ثلاثين يوماً ، لأنها أصل للمواعيد . وأقلها
عشرة أيام رعاية للسنة . ومى للسكامل زيادة فى حاله ، ولنيره ترقية . والقصد منها تطهير
القلب من أدناس الحياة ، وإفراد القلب لتذكر واحد وحقيقة واحدة . ومى بلا مرشد خطر
كبير ، ولها فتوح عظيمة ، وقد لا تصلح فى حق الكثيرين [راجع كتاب الخلة . للشبح
الأكبر . وقواعد التصوف . قاعدة ١١٢] .

(٢) فى : ظ . الرسم . تحريف .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) فى : ط . شوب تحريف .

والتقرب (به) ^(١) (إليه) ^(٢) عسير . بجهد الرياضات ، وأنواع التجربات ، وترك الكلام ، ومواصلة الخلوة ، والصوم . ويرزقه الله قوة في باطنه وظاهره .

واسمه « الحكيم » . عبارة عن المعرفة بأفضل الأشياء ، والتقرب به (إليه) ^(٣) بإخلاء المعدة جهد الطاقة ، وملازمة الفسكرة ^(٤) ، وتقليل شرب الماء . وترك النظر إلالمما يعتبر فيه ^(٥) ، ويلهم به شهود الحكمة ، وتظهر لبصيرته أنوار المعرفة .

واسمه « الرحمن » . لا يسمى به إلا الله . وسره لطيف ، والتقرب إليه (به) بلزوم الرحمة ^(٦) للخلق ، ويظهر عليه آثار الخشوع .

واسمه « الرحيم » . كذلك ، اشتقاقهما واحد . والتقرب (إليه) ^(٧) به بظهور التواضع لله ، وبعدم رؤية المخلوقين . والتطلع إلى ما يقرب إلى الدار الآخرة . ويذكر بسم الله الرحمن الرحيم .

واسمه « الرؤف » . وهو شدة الرحمة ، والرأفة . باطن ^(٨) الرحيمية ، والتقرب إليه ، (به) ^(٩) أن يرأف على نفسه بترك طلب الدنيا . وبمزاومتها بالآخرة . ومن عصم من المخالفات والنواهي فقد رئف به .

واسمه « السميع » . هو الذي لا يعزب عنه مسموع . والتقرب إليه ، (به) ^(١٠)

(١) ساقط من الأصل ، س .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) في : ظ ، س . الفسكرة .

(٥) في : س وترك النظر الإمام . تحريز

(٦) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل . وفي : ظ . للزوم الرحمة للخلق .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

(٨) في : ط بياطن .

(٩) ساقطة من : ظ ، س .

(١٠) ساقطة من : ظ ، س .

أن يلزم الفكر في كل عالم، وما سره^(١) الذي ينطق به ، والتقرب به .
بالصوم ، وقيام الليل ، ويضاف إليه البصير ، ويظهر (عليه قلة العمل
الظاهر ، وكثرة الباطن)^(٢) .

واسم « البصير » : الذي لا يخفى عليه شيء ، (والتقرب)^(٣) إليه به
بأسرار المراقبة في كل حال . ويظهر له حضور القلب في حضرة المغمود
في المناجاة^(٤) .

واسمه « الخالق » وهو الصانع المخترع للأعيان . والتقرب (إليه)^(٥)
به التفكير ، ويضاف إليه التسبيح ، ويلزم الطهارة والرياضة ، ويظهر عليه
ألا يستحق^(٦) مخلوقا من مخلوقاته .

واسم « الباري » وهو الذي أوجد الخلق من الثرى ، وهو التراب .
والتقرب (إليه)^(٧) به مراعاة الباطن وسماعه وحركته ، وبه لا يضره
ما يتعرض^(٨) له من ظلمة الأكوان .

واسمه « المصور » . وهو المحيز للشيء^(٩) عما سواه ، والتقرب (إليه)^(١٠)
به الاعتبار بأسرار ما أودع الله في كل صورة ، ورياضته البسط [٤٤ب]
في المعارف الربانية والحقائق ، ولا يستعمل النوم الكثير ، ولا يقطع
نباتا لا يحتاجه . وبهذا لا يتغير عليه حاله .

(١) في الأصل . يسر .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط ، بن الأصل .

(٣) ساقطة من : ط ، س .

(٤) في الأصل . المباحات . تحريف

(٥) ساقطة من : ط ، س .

(٦) في : ظ . أن يستحق . تصحيف .

(٧) ساقطة من : ط ، س .

(٨) في : س . من يتعرض إليه .

(٩) في الأصل . الشيء .

(١٠) ساقطة من : ظ

واسمه «الرزاق». وهو خالق الرزق والمرزوق، والمتقرب (إليه) ^(١) به لا يشغل الوقت بشيء ^(٢)، ولا يأكل من جهة، وهذا يرزق من حيث لا يحسب.

واسمه «اللطيف». [وهو] من الرحمة. والتقرب (إليه) ^(٣) به بدوام الفكرة في لطف الله، وإيصال ^(٤) الرأفة إلى قلوب العباد، إلى أن يصح باطنه باللطف.

واسمه «الوكيل». وهو الذي توكل إليه الأمور، والتقرب (إليه) ^(٥) به ألا يجلس في موضع يعرف فيه، ولا يأكل من معلوم، ولا يسأل، ولا يقبل مازاد على الضرورة، وهذا تسقط عن ذاته الكلف.

واسمه «الوهاب». والهبة العطية الخالصة. والتقرب (إليه) ^(٦) به سيده الإيثار، والإغضاء، وهو أصل في الفتح. ويفتح عليه بأنواع العلوم.

واسمه «الودود». وهو الذي يريد الخير للخلق. والتقرب (إليه) ^(٧) به بكثرة الخدمة لأوليائه الله، واستدامة الجوع والخلة، وإضافة الرحيم إليه. وينزل الله عليه أنوار الود والرحيمية.

واسمه «القريب». القرب ضد البعد. والتقرب (إليه) ^(٨) به يفيد الأسرار والخواطير، و[سيده] صون الحركات، ولزوم الوحدة والتجوع، إلى أن يشاهد قرب الحق، وذلك إذا دعا (دعاء) ^(٨) يحجب له في الوقت.

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) في : ط . شيء .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) في : ظ ، س . واتصال .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

(٦) ساقطة من : ظ ، س .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

(٨) ساقطة من : ط ، س .

واسمه «المجيب» . وهو الذى يقابل السؤال بالإجابة . والتقرب (إليه)^(١) به بظهور الاضطراب فى كل طور^(٢) ، وكثرة الأوراد . وتحقيق^(٣) القصد ، ويتجلى عليه وفيه بأنواع^(٤) أنوار ومكاشفات .

واسمه « الحسيب » . بمعنى السكا فى المحاسب على الخواطر ، والتقرب (إليه)^(٥) به بأن يسقط الأكو ان من باطنه ، ويفتح الله له باب القناعة والكفاية .

واسمه « البديع » وهو الذى لا عهد بمثله ، والتقرب به (إليه)^(٦) أن يشهد مصنوعات بلطف التدبير ، والتقرب والتلاوة ، ويستكمل به كشف عالم الإبداع .

واسمه « الخبير » . هو الذى لا يعزب عنه علم بواطن الأسرار . والتقرب (إليه)^(٧) به المراقبة فى الأنفاس وخطرات القلب ، والتجوع والصمت ، وأكل المباح ، ويخبره كل سر بما أسرفه .

واسمه « القدوس » وهو المنزه عن كل وصف يلحقه حس أو ضمير . والتقرب (إليه)^(٨) به أن يلزم الخلوة ، والصوم بغير وصال ، ويأكل من المباح ويذكر مع السبوح^(٩) ، والصمت يقرب فيه^(١٠) الفتح ، وتتجلى له حقائق التنزيه .

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) فى الأصل : طوره .

(٣) فى الأصل . وتحقق .

(٤) فى : س . أنواع .

(٥) ساقطة من : ط ، س .

(٦) ساقطة من : ظ ، س .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

(٨) ساقطة من : ظ ، س .

(٩) فى : ظ . الشيوخ .

(١٠) فى الأصل : يقرب منه الفتح .

واسمه «السلام» . معناه السلامة من سمات الحدوث ، وليس إلا الله والمتقرب (إليه)^(١) به يلزم الطهارة من الأوصاف (التي تجنب عن كمال الشهود ، والرياضة بالمفترضات)^(٢) وشغل الوقت بالراحة . والعلامة اتساع القلب .

واسمه «المؤمن» . وهو الذى يعزى إليه كل أمن . والمتقرب به يؤمن بكل شيء أنه من الله ، ورياضته شدة الجوع ، واستدامة الذكر ، وعلامته أمارات الفراسة^(٣) .

واسمه «المهيمن» . هو القائم^(٤) على الخلق ، والمتقرب (إليه)^(٥) به يتدرج في مراقبة الأسرار والأفكار ويضيف إليه المؤمن ، ويطلب علم المكاشفة ، ويقلل الأكل ، ويسهر ، ويجذر المسخ مع الإلتفات لغير الله .

واسمه «العزیز» وهو الذى لا مثل له . والمتقرب به يقتحم مهالك الطاعات ، ويلزم الإعراض [م ١] عن غير الله ، ويعمر الظاهر بالملابس ، وعلامته تسخير الأكوان ، واستخدام العالم ، بما فيه من الأسرار .

واسمه «الجبار» ، وهو الماضى الحكم جبراً ، والمتقرب (إليه به)^(٦) بالتواضع ، ولباس الحقير ، وإظهار ذل العبودية ، ولا فائدة فيه للجهادة إلا مخالفة الهوى ، ويجبر الله به حقيقته وعقله على الكمال ، وروحه وسره بأنوار المشاهدة والتحقيق .

(١) ساقطة . من ، ط س

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من : س

(٣) في الأصل . المراقبة . وعلى هامش الأصل . الفراسة من نسخة ثانية - وفي : س - وعلامته إذا مات المراقبة .

(٤) في الأصل : هو القيام على الخلق .

(٥) ساقطة من : ط ، س

(٦) ساقط من : ط . وفي : س . والتقرب إليه

واسمه «المتكبر» ، وهو الذى كل شئ حقير بالإضافة لذاته ، والتقرب إليه (به)^(١) بذل (٢) القلب لكبريائه ، والخشوع ، والمشى هونا ، والتلاوة ، وحضور مجالس العلم ، فيعظم الله فى قلبه الخشوع ، ويظهره على جوارحه .

واسمه «الحفيظ» ، وهو الذى يحفظ جميع المتضادات . والمتقرب به يحفظ آداب الشرع وآداب القلوب ، ويلزم الجوع ، واستدامة الذكر ، وتظهر له الملائكة الذين من بين يديه ومن خلفه .

واسمه «المجيد» ، وهو الرفيع الشريف . والتقرب (إليه)^(٣) به أن يعظم حرمة الله فى ظاهره وباطنه ، إلى أن يبدو له قلبه عرشاً (٤) تحمله ثمانية أنوار (٥) .

واسمه «الريب» ، وهو الذى يراعى سرائر السرائر . والمتقرب به يلزم الخطوة فى الظلمة ، وخلق المعدة إلا بالقليل ، والأذكار ، وعدم الادخار ، وذكر الإسم طرقي النهار ، وتظهر له الخواطر قبل حصولها ، والأسباب قبل وصولها .

واسمه «القوى» . وهو ذو القوة التامة . والتقرب به أخذ أشد الأمور (٦) وخاصيته : ألا يأخذه كبير ألم من الجوع والضعف ، وعلامته . حب الدار الآخرة والنقلة إليها .

واسمه «الفاطر» . وهو الذى فتح السموات والأرض . والمتقرب به ،

(١) ساقطة من : ط ، س

(٢) فى : ط ، س . بذلك . تحريف وفى الأصل : يذل

(٣) ساقطة من : ط ، س

(٤) فى : ط . شرعا . تحريف

(٥) على مثال : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية

(٦) فى : ط . أشد الأمر

يتخذ^(١) ما استحسنه الشرع والعقل مطية ، وتلاوة القرآن والعمل ، ولحظ طهارة الأوصاف ، ويقدر الله في قلبه نورا^(٢) تستضيء به آفاق ذاته .

واسمه « القاهر » ، وهو الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه ، والمتقرب به يغير شهواته بالمجاهدة ، ويلزم التواضع والرحمة والخلول والذلة ، ومن خواصه : قبح الجبابرة ، وإذهاب الروح ، والجزع ، ورياضته السياحة ، والخلوات .

واسمه « المبدى والمعيد » . وهو مالم يسبق بمثله . ومعينه ثانية . والتقرب (إليه)^(٣) بهما بقطع العلائق الباطنة والظاهرة ، مع صفاء الوقت ، ويفتح له بابا من أبواب القرب يسعده به .

واسمه « القابض ، والباسط » ، وهو الذي يقبض الأرواح عن الأجسام ويبسطها في الأشباح يوم الرجعة ، والمتقرب بهما يقبض نفسه عن الشهوات ، فيظهر الله عليه نورا من البسط ، ويفتح له بابا من الأنس ، وإن ورد ورد البسط (بقلبه)^(٤) (فعلية)^(٥) بالأدب^(٦) .

واسمه « الهادى » . [وهو] الذي هدى فطر البشر أولا إلى معرفته حتى أجابت^(٧) والمتقرب إليه به يلزمه متابعة الأوامر على قبول العمل

(١) في الأصل : يتخذ

(٢) في : ظ نور . خطأ

(٣) ساقطة من : طءس

(٤) ساقطة من : طءس

(٥) ساقطة من الأصل

(٦) الأدب في حال البسط أن يقابله للريد بضده وهو القبض ، لأن الاستسلام لحال البسط يخرج إلى الإدلال ، ويوقع في الألفاظ للوهمة ، والائهام الباطلة ، وفدنه « ابن عجيبة » على ذلك في شرحه للحكم العطائية . ويرى كذلك أن الأدب في حال القبض هو أن يقابله المريد بضده وهو البسط لكلا يرجع إلى اليأس من الرحمة .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى « وإذا أخذ ربك من بنى آدم ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم ؟ قالوا : بلى » وللتوسم في هذا . [راجع باب التوحيد والتفريد . من كتاب : علم القلوب . لأبى طالب المكي . القاهرة ١٩٦٤]

والانقطاع والخلوة ، ويسير الصوم ، وهداية العباد ، ويهديه الله إلى معرفته . واسم « العفو » وهو الذى يمحو السيئات والمتقرب (إليه) ^(١) به بالصفيح عن عباد الله (وحمل الأذى) ^(٢) .

واسمه « الغفور . والغافر » . وهو الذى يستر ذنوب عباده ، ويغفر الظاهرة منها والباطنة ، والمتقرب (إليه) ^(٣) بهما ^(٤) يعفو عن ظله [٤٥] ويقرن العفو بالغفور . ويطلب العلم النافع والتلاوة ، وعلامته رحمة يوجدها الله فى القلوب ، بشرط سكون الباطن .

واسمه « الواسع » . وهو من السعة . ويضاف إلى العليم ، والمتقرب (إليه) ^(٥) به يترك الأسباب ، ويلزم التقوى ، وميراثه الفتح ، والوسع الخارج عن طور البشر .

واسمه « الكريم » ، وهو الذى إذا قدر عفى ، وإذا وعد وفى ، وإذا أعطى أغنى وكفى ، والمتقرب إليه به لا يدخر شيئاً ، ويعامل الخلق بكرم الأخلاق ، ولا يترك من أعمال البر شيئاً إلا تكرم به على نفسه ، والعلامة : استواء المدح والذم فى العباد والبلاد ^(٦) .

واسمه « الحميد » ، وهو المحمود المثنى عليه بصفات الحمد ، والمتقرب (إليه) ^(٧) به ، يذكر الحمد ، ويحتجب التجاوز فى الكلام ، ويلزم القناعة

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) ساقطة من : س

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) فى الأصل : به . وفى : ط . بها .

(٥) ساقطة من : ط ، س

(٦) من أروع ما كتب فى فلسفة المدح والذم « راجع الباب ٥٦ ، ص ٥٧ ، من النصائح الدينية والنفحات القدسية للحارث المحاسبى مخطوط رقم « ٤١٦ » تصوف . بدار الكتب المصرية .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

والعلامة : أن ينقلب كل عناء راحة ، وكل ألم نعيمًا .

واسمه الشهيد ، ومعناه راجع إلى (العلم) (١) والمتقرب (إليه) (٢) به يلزم التجوعات والرياضة ، والخشوع والمراقبة ، وملزمة اسمه (٣) الشهيد ، وتبدو له المحاضرة (٤) ثم المكاشفة (٥) ثم المشاهدة (٦) .

واسمه الأول والآخر . وهو لا يصح مزدوجا إلا لله ، فهو الأول بالإضافة إلى الوجود ، والآخر بالإضافة إلى الصعود (٧) ، والمتقرب بهما ، يتلو سورة الإخلاص ، ويلتزم الغسل كل يوم ، ويبدو له التوحيد ، ثم يثبت لعين الكشف (٨) ولا ينتقل .

واسمه الظاهر والباطن ، وهما كذلك من المضافات (٩) ، والمتقرب بهما ، يعمر الظاهر بالخشوع والتقوى ، ولا يمشي إلا هونا ، ويستقبل القبلة في هذا السلوك ، ويلزم الخلوة ، والجوع والظلمة .
واسمه المتين ، ومعناه ذو القوة والقدرة ، والمتقرب (إليه) (١٠) به يتخذ من العبادات أشدها ، ويسلم في مجارى الأحكام ، ويلتزم تلاوة القرآن ، وعلامته شدة العمل ، وقوة السرعة للطاعة (١١) .

(١) ق : ظ ، س ويلزم تحريف .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) في الأصل : اسم الشهيد .

(٤) المحاضرة : هي ما ردد على القلب في مقام الحضور .

(٥) المكاشفة : هي انكشاف أسرار الاسماء الإلهية في النكوص .

(٦) المشاهدة : إدراك المبركات العينية ، أى أعيان المبركات وحقائقها ، وهى والتعظيم واحد .

(٧) أى بالإضافة إلى الصعود من عالم المحسوسات إلى عالم العقولات ، ثم إلى عالم المثل ثم إلى

الغناء ، ثم إلى اللانهاى المطلق عن الإطلاق .

(٨) أى الكشف عن حقيقة التوحيد والتجريد ، وهو غير اليقير .

(٩) أى الظاهر بالإضافة إلى الوجود . فأنار أسمائه وصفاته . طاهرة في كل شيء . والباطن

بالإصانة إلى الأسرار . عمقا وخفاء [راجع . خرة الحان . للتأليسي] .

(١٠) ساقطة من : ط .

(١١) في س . السرعة الطاعة : تحريف .

واسمه « المحيي » والمميت ، (ويرجع إلى الإيجاد وإذهاب الإيجاد ،
والمتقرب إليه . به يميت نفسه بأنواع^(٥)) المجاهدات والجوع والسم ،
وثقل الأوراد ، وخدمة الصالحين ، ويحيي الله قلبه بنور المعرفة ، ويحقق
له المقام النبوي^(٦) .

واسمه « الحليم » ، وهو الذي لا يستغزه الغضب ، ولا يعجل^(٣) بالعقوبة
والمتقرب به (إليه)^(٤) يذكر على الدوام من غير جوع ولا خلوة ،
وأثره ألا يرى اعتراضا في باطنه على أحد من خلق الله .

واسمه « البر » ، وهو المحسن ، والمتقرب (به) يبر جسده بالمجاهدة ،
وقلبه بالإخلاص والفكر ، ويفتح الله عليه الكشف لأسرار القدرة في
أطوار الوجود .

واسمه « السكافي » ، والكفاية القيام بالأوامر ، والمتقرب (إليه) به
يحسن^(٥) التوكل ، وينظر ما تقدم في اسمه الوكيل .

واسمه « المقيت » ، وهو خالق الآفات ، والمتقرب به لا يتصرف
لنفسه في سبب ، ويقلل من الطعام جهده ، وينظر في الرزاق .
واسمه « ذو الطول » ، والطول الوسع ، والمتقرب به إليه^(٦) يؤثر
ويبذل ويسعف وينصح ، وينظر في الكريم .

واسمه « الشاكر » ، والفكور ، وهو الذي يعلى بيسير الطاعة^(٧)

(١) ما بين الماصرتين . ساقط . من : ط .

(٢) ليس معنى هذا أن يكون السالك بهذين الاسمين نيا ، بل معناه : أن يتحقق بمقام شهود
أسرار النبوة .

(٣) في : ط . أو لا يعمل .

(٤) ساقطة من : ط ، س .

(٥) في : ط . لا . ثم كلمة مضطربة جدا رسمت هكذا تحيق .

(٦) في : ط س . إلى الله .

(٧) في : س على يسير الطاعة .

كثير الدرجات . والمتقرب به يترك الأسباب [ب] با اتخاذ التوكل .

واسمه «السريع» . معناه سريع الحساب وسريع العقاب . والتقرب به (بمنازعة الخواطر) ^(١) والمسارة للخيرات ^(٢) وتلاوة كتاب الله العظيم ، واستكاله [١٤٦] فني سمع أمرا يقرب إلى الله ، وجد داعية تقيمه إليه .

واسمه «المنان» المن الإحسان من غير جزاء . والتقرب (إليه) ^(٣) به يرى تراكم نعم الله في الوجود ، ويتلو ويطلب العلم . من غير جوع ولا تقشف ^(٤) ، وكاله ألا يرى لعمله موقعا ، ولا لسهه حظا .

واسمه «المولى» . وهو المتولى لأعمال عباده . وبمعنى الناصر . والتقرب (إليه) ^(٥) به بالتقرب إلى عباد الله وأوليائه الذين ينظر ^(٦) [الله] إلى قلوبهم ويسلم لهم ، والتقشف ولزوم الصوم (والصمت) ^(٧) ولا يتقوت (من معلوم) ^(٨) ويحمد ما تقدم من المعاملات كشفا .

واسمه «القادر والمقتدر» . ومعناه ذو القوة . والتقرب بهما يسلم الظاهر الأحكام ، والقلب للتصريف ، ويترك الكلام فيما لا يعني ، ويتلو القرآن . والفتيح كشف أسرار القدر ، حتى يلزم الرضا بالقضاء .

واسمه : «الغنيث» وهو مفرج الأزمات . والتقرب (إليه) ^(٩) به ينظر في الاسم المجيب .

(١) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل .

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ . وفي الأصل . بمساعة الخيرات .

(٣) ساقطة من : ط ، س .

(٤) في : ط ، س . ولا كشف .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) ق : ط . ينظرون . تجريب .

(٧) ساقطة من : ط ، س .

(٨) ساقطة من : الأصل .

(٩) ساقطة من : ط ، س .

واسمه « الباقي » . وهو الراجب وجوده لذاته . والمتقرب به ، يخلص
الأعمال من الأغيار ، والفتح فيه بخلاص الأعمال .

واسمه « الصادق » . وهو المتمم حكمه الأول . والمتقرب به يلزم
الصدق باطنا وظاهرا ، والطهارة وأكل الحلال ، ولا يتحرك حركة إلا
ما برزت عن الكتاب والسنة ، ومدار الذكر سورة الإخلاص .

واسمه « ذو الجلال » . وهو الذي لإجلال ولابال ولاكرامة إلاله .
مطلقة والتقرب (إليه) (١) به أن يكثُر المراقبة ، مع الطهارة والتلاوة
والخلة ، ويكره الإثم . والعلامة : الخوف مما يبعد عن الله .

واسمه « الدائم والقائم » ، وهما من معاني الباقي ، والمتقرب (٢) بهما
ينظر في الاسم الباقي .

واسمه « الباعث » . وهو الذي يحى الخلق للنشور . والتقرب به ، أن
يرى النفس بعلوم الآخرة ، والسر ، واستقبال القبلة ، حتى يميت الله
أوصافه الذميمة ، ويحيى القلب بالمواهب الربانية .

واسمه « الوارث » . وهو الذي رجع إليه الأمر والوجود كما كان .
والتقرب به ينظر في الاسم الباعث .

واسمه « الفتح » . هو الذي يفتح مغاليق الملكوت والقلوب والفتوحات .
والتقرب (إليه) (٣) به بالجوع والخلة والطهارة ، واستقبال القبلة ،
وخاصيته توسعة الرزق ، وتيسير الظاهر ، والعلوم الموهبات (٤) .

واسمه « الفعال » . وهو الذي يبرز الأكوام من العدم إلى الوجود .

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) في : س والتقرب .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) في : ظ الموهبات .

والتقرب به: شهود حكم، وخطاب معان، يوجب التزهد والترؤس (١). إذ ليس بذكر سلوك.

واسمه «الشديد». ومعناه القوى. وفيه ينظر (في الاسم القوى) (٢).

واسمه «المتعالى» بمعنى (العالى) (٣) مبالغة. وحظه من هذا الاسم رفع الهمة عن رذائل (٤) العالم البشرى، ويفتح (٥) الله له محبته، ويطلعه على أسرار القرآن إذا تدبره.

واسمه «القائم». وهو بمعنى القيوم. والتقرب (إليه) (٦) به القيام بالجوع والقنوت والعبودية، وينظر في القيوم.

واسمه «الإله» وقد تقدم في اسم الله وليس باسم للتخلق (٧) بل هو حقيقة الأسماء. والتقرب به. التوله بذكره في كل نفس (٨) والذكر به الله. الله (٩). واسمه الأحد. الواحد المفتتح العدد. والآخر اسم لافى ما يذكر معه (منه) (١٠) والمتقرب (إليه) (١١) به. أن يشهد حقائق التوحيد. ويرى الأشياء كلها قامت بسره فيعدم الباطن الاعتراض على [٤٦ ب] الأحكام. وليس فيه رياضة جوع ولا تقشف، إلا التفكر والتدبر. والموارد التي ترد على الموحدين أعز من أن يحاط بها علما، أو عبارة.

(١) في : ظ ، س . والتروحن . والأصل أرجح لأن. التروحن . من السلوك وقد قرأه ليس بذكر سلوك.

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من : س

(٣) ساقطة من : س ا

(٤) في : ظ . من رذائل .

(٥) في الأصل ، ظ . ويوضح الله له .

(٦) ساقطة من : ط ، س .

(٧) في : ظ ، س . باسم تخلق .

(٨) في : س في كل شيء .

(٩) ساقطة من : ط ، وس .

(١٠) ساقطة من : ظ ، س .

(١١) ساقطة من : ظ ، س .

واسمه «علام الغيوب». راجع إلى اسمه العليم. ولا يسلك به رياضة (١) ولا تقشف، بل يحقق ذلك اسمه العليم، حتى يظهر الله له علما موهبا.

واسمه «الغنى». وهو الذي لا تعلق له بغيره. والتقرب به ليس تقرب رياضة، إنما يكون غنيا بالله، وبما في يده أرثق عما بأيدي الناس، ويрам لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فمن استعمل ذلك صحت له حقيقة الغنى. ومفتاح بابه الزهد. ويتصرف في عوالم الله (٢) كيف شاء (٣).

واسمه «لم يله ولم يولد». ينظر في الأحد.

واسمه «نعم الوكيل». (نعم المولى) (٤). نعم النصير. ينظر في اسمه الكريم.

واسمه «التواب». وهو الذي يرجع إلى تيسير أسباب للتوبة مرة بعد مرة. والمتقرب به بمجرد (٥) العزيمة، ويترك المخالفات (عقلا) (٦) وعقدا (٧) (٧) ويتوجه إلى الله سرا وجهوا.

خاتمة: قال الله عز وجل: «وقه الأسماء الحسنى فادعوه بها». ومن أحب التخلق باسم من من أسماء الله (تعالى) (٨) نظر في نفسه، أو نظره الشيخ، وهل بينه وبين ذلك الاسم مناسبة؟ وهل المناسب في عالم الجسوم، أو في عالم الأرواح، أو في عالم العقول؟ ويحركه بحسب كل مرتبة. [و مثاله:

(١) في : س إلا رياضة خطأ

(٢) في الأصل : في عالم الله .

(٣) أي له ما يشاء عند ربه . فالتصرف بإذن الله . لا تصرف استقلال . وهو من باب كنت سمعه ويده . ولا خرج على فضل .

(٤) ساقطة من : ط ، س .

(٥) في الأصل . ط ، س . مجرد العزيمة .

(٦) ساقطة من : ط ، س .

(٧) ساقطة من الأصل .

(٨) ساقطة من : ط ، س .

من تخلق باسمه الرحيم . يأخذ نفسه بالإيثار للناس ^(١) ، والقيام
بجوانحهم ، ثم بعد ذلك يرحم نفسه ، بخروجه عن الأخلاق المذمومة ،
وإدخاله إياها في المحمودة . ثم بعد ذلك يرحمها بالانقطاع إلى الله ،
والإعراض عما سواه . وعلى هذا الترتيب يجرى الأمر في الأسماء كلها .
حتى يقع القرب من الله (تعالى) ^(٢) بكل واحد منها . وأن إلى
ربك المنتهى . والوصول إليه معناه ومداره على أن يكون السمع والبصر
واليد كما هو مذكور .

(١) في الأصول كلها ، . بالإيثار على الناس . وهو عكس المعنى المراد .
(٢) ساقطة من : س .

الفصل الثالث

من الباسط، [في] السيمياء

وهو الأصل الذي عفن بعضه وبقي الانتفاع ببعضه. قال المؤلف رحمه الله^(١): وصاحب هذه الطريقة وجد إلى ذكره وكونه ذا كرا أن أسماء الله التي جعل مظاهرها الصور الروحانية، وهي الملائكة .. وهي أرواح الأهلak والسكواكب، وسكان العالم الأعلى، وعمرة السموات، وأسباب كل فعل، وسائط الله في كل أمر وخلق لما يقع في العالم بإذنه وحكمته. وبتنزلاتها أحاطت حكمته العوالم كلها، وبلغت ماتحت أثري. أصولها الحروف، وطبيعتها سارية في تلك الكمالات الأسماية. وأن الباري جل وعلا أبرز (العالم من العلم القديم، إلى السكون المحدث، أبرز الأكون العلوية السفلية، وقدر فيها) ^(٢) الأسرار الحرفية في الإبداع الأول مختلف- [ة] باختلاف أطواره، ومعبرة عن أسرار الحق وأقداره. ولما كان العقل أول خلق صدر عنه، وعلة كل فعل صدر بعده بأمر الله، ومنه نشأت الكثرة وإليه ترجع الأشياء، وفيه توجد، جعل فيه سر الآلاف المناسب له بالوحدة التي نشأ منها العدد، وهو فيها بالقوة، وليست بعدد ولا معدود، فهي حقيقة (جميع الحروف، كما أن العقل حقيقة جميع الموجودات، ثم سرت الأعداد في العوالم التي سرت حقائقها من حقيقة) ^(٣) العقل، وأنبث فيها بتدبير بديع وسر لطيف [٤٧] وارتباط غريب، شهدت بذلك موافقة أعداد المنازل التي تجري فيها النيرات والسكواكب المتميزة، علة السكون ^(٤) ومعينة الزمان، بعدد الحروف، وغير ذلك من الأمور المنتظمة.

(١) في : ط س . رضى الله عنه .

(٢) مايس الحاصرتين ساقط من الأصل . وزيد من : ط .

(٣) مايس الحاصرتين ساقط من : ط .

(٤) في الأصل . وسقينة الزمان .

ثم إنه لما أبدع طينة آدم في الاختراع الأول غير المسبوق بالمثل ، وهو المعبر عنه بالهاء ، رتب في جبلته نسبة من تلك الحروف ، وغرسها ^(١) فيها ليصدر عنه الاستشراف إلى تلك الحضرة العائية . ولما نقله إلى طور الهباء في مدارج التكوين ، وهو الاختراع الأول ، رتب فيه أيضا نسبة من تلك الحروف ^(٢) ليستشرف بها ^(٣) إلى تلك الحضرة الهبائية . ثم لما نقله إلى طور الذرية ، منسوباً إلى عالم الذر ، رتب فيه أيضا نسبة من تلك الحروف ، يستشرف بها كما تقدم على تلك الحضرة . ثم لما نقله إلى طور التركيب ، رتب فيه أيضا نسبة من تلك الحروف . وإلى هذا الحد جعل هذه الحروف التي رتب فيها معاني في العقل ، ولطائف في الروح ، وصوراً ^(٤) في النفس ، ونقوشاً في القلب ، وقوة ناطقة في اللسان ، وتشكيلاً في السمع ، فأكدت المناسبات بين الأشخاص الإنسانية ، والأشخاص الفلكية ، والصور الروحانية ، بمشاركتهما في عنايات السموات الأسمائية ، التي منها المفاتيح الأول ، وهي أسرار كل رتب وفتح وكون وفعل صدر ، وخلق ظهر ،

فمن تقرب بتلك الأسماء ، أو بأجزائها وهي الحروف ، على مقتضى الأدعية المرتبة إلى الذات الأقدس ، التي عنها تنزلت ، وبسرها سرت ، على شروط مذكورة من التهيؤ لها بأنواع مخصوصة من الرياضة والطهارة ، تعلقاً ، ثم تخلقاً ، ثم تحققاً ، كان جديراً أن يفتح له بحسب استعداداته ، ومناسبة سره لسر ما تعلق به ^(٥) ، [و] بما ظهر على خلقه من أخلاق الاسم يكون قرب الفتح أو بعده إذا وافق عناية ربه .

(١) في : ط . وتجرسها فيها .

(٢) في : ط . يستشرف .

(٣) : ساقط من الأصل .

(٤) في : ط وطوار . تحريف .

(٥) ساقط من ط .

نظم.

ومن جعلها وسيلة إلى بعض الذوات العلوية ، المعلوم نسبتها إليها ،
فبعد مراعاة أمور في المتوسل والمتوسل إليه : أما في الأول فبأن يستعد
بينه وبين من توجهت رغبته إليه ، أو إلى الله من أجله بالدعاء ، لباسا
وأكلا وهيئة وخلقا وبخورا ، وتعيينا لنوع ما يفتقش فيه . وأما الثاني
فبأن يختار كون الكوكب في بيته أو شرفه أو في وتد^(١) ، وينظر إليه
كوكب من بيته ، أو بيت شرفه من الوتد ، كالزهرة في الميزان ، أو الشمس
في الأسد ، والقمر في السرطان ، فإن الكوكب إذا كان في الحيز^(٢) ، أو في
البرج^(٣) أو الدستورية^(٤) ، كان ظاهر الفعل ، قوى التأثير ، ثم يدهو
ويذكر ، وينجم للقابلية ، ثم يعمد إلى اتحاد الصورة إن كان يطبع
أو ينقش ، ويستعمل الاسم والبخور ، وما يناسب ذلك من (حيث)^(٥)
الأفعال المذكورة ، وقد ربط الله عاداته في تعظيم ذكره على كل حال ، فيقع
لهم التصريف . وكتابتنا ليس بكتابت إطالة ، وكتب هذا الشأن متداولة
ينظرها من أراد ذلك ، ولا كالأنماط للبوني ، والدعوات التي رتبها على
الأيام ، ودس فيها عند تركيبها جميع ما يحتاج إليه بحسب الصناعة ، وقرزها

(١) الوتد اصطلاح فلكى .

(٢) الحيز أى السطح الباطن من الحاوى المماس للسطح الطاهر من المحوى [التعريفات ٦٥]

(٣) البرج اصطلاح فلكى .

(٤) الدستورية اصطلاح فلكى ، وسيأتى شرحها كلها .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

راجع « شمس المعارف الكبرى . وشمس المعارف الصغرى للبوني » وليست هذه المسائل
من مقاصد الصوفية الأصلاء ، فالكاملون منهم يعتبرون هؤلاء من الخارجين على قواعد الروحية
العرفانية . لان الأصل ألا تجعل الأذكار والعبادات سببا في الأغراض الدنيوية لإجلالها .
ولكن استراق القوس بما يلائمها طبعا لما فيه تقع ديب مشرعوهم ثم رغب في أذكار وعبادات
لامور دنيوية كقراءة سورة الواقعة لدفع الفاقة وغير ذلك من أذكار صرف للموم والديون
والإعانة على الأسباب ، فإنها إذا أفادت عين ما قصدت له كان ذلك داعيا إليها ، وحبها داع
لحب من جاء بها ومن نسبت له أصلا وفرعا ، وهي مؤدية لحب الله . وإن لم تؤد ما قصدت له
فاللطف موجود بها ، ولأقل من أنس النفس بذكر الحق ودخول ذلك من حيث الطباع أمكن
وأيسر . [راجع قواعد التصوف لسيدى أحمد زروق . قاعد ١٢٣] .

الوقت فن لا يعرف [٤٧ ب] القصد ظن أن الاعتماد منه على الدعاء فقط .
ووقع بها التصريف حسبما أخبر به الكثير من معاصر وغيره (١) .
وأسرار الله في العالم غير محاط بها .

فهذه الطريقة من جملة طرق الذكر ، من حيث استعمال أسماء الله ،
مخالفة للغاية . إذ طالب غير الله بأسمائه محروم للغاية ، موكوس الحظ .
[لأنه] إنما يعين محبوبه جاه أو مال أو انتقام ، وهذا كل . إذا اعتبر خسار
مبين ، جعل الله غايتنا الذات المقدس ، والكمالات المطلقة ، ووسيلتنا
المحبة . الموصلة لعين الخبر عند انمحاء الأثر . ولأجل ذلك جعلنا هذا
الأصل عفنا بمعنى البعض . وربما كثر مستعمل الذكر جلالاته أو جمالاته عند
استشعار نفسه بأثر أحد المقامين ، من محبة أو قهر (٢) وهما سر الجمال
والجلال فصرف وجهه شطر الحق ، وسلط نفسه على مدافعة (القوى الجسمية ،
واستعان على ذلك ، بالدوران على مركز نفسه ، ونصبها) (٣) متطلعة إلى
عالمها . مقابلة لما يرد عليها من تلقائه ، فتتجرد عن الجسمية وتنسلخ (٤) عند
ذلك عنها ، فتد عليها الأنوار ، وتطرقها الواردات ، وتستقيم بعد على
الجادة فتصل ، وربما صحت الأجسام بالعلل . وهذا ما وسعنا ذكره في
هذا الفصل والإحاطة لله .

(١) قصص الدعاء والمستجاب مستفيض بين الخاس والمأم « ادعوتني أستجب لكم »
فلا مانع من حصول المراد بمثل هذه الدعوات من حيث أنها دعاء . لأن حيث أنها باب دخل
منه المشعوذون الذين لهم في المجتمع أخطار تجل عن الوصف . وإذا كان الشيء مرتبطاً بوقته
ولم يكن من مسائل الأصول جاز الاجتهاد فيه . والأولى في هذه الأيام القضاء على كل لون
من هذا السلوك لعموم البلوى باحترافه على أيدي الدجالين والأفقيين .

(٢) على هامش الأصل . أو قهر . من نسخة ثانية . وفي جميع الأصول : أوقصد . والسياق
يرجع ما على هامش الأصل تحقيقاً للمقابلة بين الجلال والجمال .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل : وزيد من : ط .

(٤) في : ط وينسلم . تحريف .

خاتمة :

وهذه الأسباب سابقة على المعرفة التامة ، ثم الاستدلال والتفكير والاعتبار ، ومعرفة منصب النبوة بكل اعتبار ، إذ هي باب الوصول إلى المحبوب ، وملتقى الآداب التي تليق بحضرته ، وموفرة الجملة من أقرب الطرق على بابها . ثم اليقظة ، ثم التوبة ، ولا يحصل المرید هذا القدر (١) إلا وقد لاحظت أعلام المحبة بما تقرر من صفات المحبوب :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
ودست عروفتها ، وأنبتها الله النبات الحسن ، فانتشرت في إيالة القلب دعائها ، وظهر في أقطار الروح سلطانها ، يقود جنودها التفكير ، ويأخذ بيعتها (٢) الإخلاص ، وترفع جنايتها (٣) المحاسبة ، وتقرر أحكامها الزيمة ، وتشمر لها عن ساعد الجد المجاهدة ، وترتب إلقاءها (٤) الرياضة ، وتحفظ حظوتها المعرفة ، ويقرب إليها الشهود ، ويحقق زينتها الفناء ، وتظفر باستخلاصها الولاية .

وجميع هذه الأسباب تتقدم المحبة وتساوقها . قالوا : فإذا استحكمت المواجد ، وتمت الأذواق ، وقامت الحرب على ساق ، وكان المشاهد (٥) كما قيل :

إن قلت خذ قال كني لا تطاوعني أو قلت قم قال رجلى لا توافيني
وقال المصاحب الملازم ها أنت وربك :
(يا دليل الدليل أنت الدليل بك يا غايي إليك السبيل) (٦)

(١) في : ظ ، س . المقدار .

(٢) في : ظ . بعثها . تحريف .

(٣) في الأصل . جنايتها . خطأ .

(٤) في : ظ ، س . ألقاها .

(٥) في : ظ المساعد .

(٦) البيت ساقط من : من ظ ، س .

قال المؤلف (رضي الله عنه) (١) : وعدوا من الأسباب في المحبة محبة النوال ، ومحبة الجمال ، ومحبة المناسبة ، ومحبة المازجة . وهذه الأسباب لاحقة . وكثيرا ما يجلب في محبة المحدث للمحدث . فلذلك لم يقرب عليها ، ولا أغفلناها ، فأدرجناها في هذه الأسباب المجتلبة لمحبة النوال على اختلافها في طي الاعتبار (٢) والرجاء . إذا الرجاء إنما هو انتظار نوال من الله محتاف الحظوظ ، من نعم عاجل وآجل ، وجنات متباينة ، وقرب ، ونظرو مشاهدة ، وعرفان ووصول . ومحبة المناسبة التخلق بصفات المحبوب وأسمائه ، ومحبة الجمال لقسم الجمال ، ومحبة المازجة نجعلها كناية [٤٨] عن الدؤوب والرباضة ، وإليها الإشارة بقوله : « وإن تقرب إلى شهرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا ، تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » (٣) . فقد حصل الغرض من أصناف الأسباب بين مستقل (٤) بنفسه ، ومندوج في غيره ، ولا حق وسابق ، والحمد لله (رب العالمين) (٥) (الذي بحمده تم الصالحات) (٦) .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في : ظ الإعصار ، تحريف .

(٣) الحديث « أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلى شهرا . . . الحديث » أخرجه الشيخ الأكرمي الدين عربي في مشكاة الأنوار ١٩ ط حلب ١٩٢٦ .

(٤) في : ط ، س . من مستقل .

(٥) ساقطة من : ط س .

(٦) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل ، س .

العمود، المشتعل على القشر والعود، والجنى الموعود

وينقسم إلى قشر وخشب ، ودر خشب
والقشر ينقسم إلى ظاهر يكسو ويحذو ، وباطن ينمى وينغزو

الظاهر من القشر الذى يكسو ويحذو

[مو] الكلام فى المحبة وأقسامها من حيث اللسان، لامن حيث نوع
الإنسان . قالوا : أقسامها التى بها تعرف ، ومن أبوابها تتصرف : الإرادة
والمحبة، والهوى ، والصبابة ، والتبتل (١) ، والعلاقة، والولوع ، والكلف ،
والشغف (والشغف) (٢) ، والعشق ، والآفة ، والغرام ، والخلة ،
والتقيم (٣) ، والوله ، والتدله ، والاصطلام .

والعرب إذا تهمت بشئ ، وعظمت عنايتها به ، كثرت لسانها
أسماءه ، كالسيف والخمر . قال رجل لأبى العلاء المعرى : يا حمار . فقال :
الحمار من لا يعرف (٤) للحمار مائة اسم . فأما المحبة فلها معاني كثيرة
وكثيرا ما اشتق لفظها من فعل الحبة . واشتق أيضاً من صفاتها . وهى
كأنها الاسم العلم لهذه الأقسام ، وهى راجعة إليها ، معطوفة عليها ، وهى
أم بناتها (٥) ، ويبت القصيد من أبياتها .

واختلف فيها أهل اللغة . فقال قوم : الحب الإناء الذى يحمل فيه
الماء ، كالخاية وشبهها ، واشتقت منه المحبة ، لأنه إذا امتلأ بالماء لم يسع فيه
غيره ، وكذلك القلب إذا امتلأ بالمحبة لم يسع فيه (٦) غير محبوبه . وقيل

(١) فى : ط والبتل .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) فى الأصل ، ط . والتيم . تصحيف .

(٤) فى : ط . يعلم .

(٥) فى : ط . أمر بناتها . تعريف .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

اشتق اسم المحبة من قولهم : أحب البعير . إذا برك فلم يقدر على القيام .
لأن الحب لا يبرح بقلبه عن ذكر المحبوب بعد أن وقع في المحبة ، ولا يقدر
على الانفكاك ، قال شاعر :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد السلامة في هواك لذيدة شوقاً لذكرك فليدني اللوم
وقيل : هو مشتق من حبة القلب ، وهو موضع ينشأ فيه الحب ، فأخذ اسمه
من محله وهو سويداء القلب : قال الشاعر :

يارب خال على خد الحبيب له في العاشقين كما شاء الهوى عبت
أورثته حبة القلب القليل به وكان عهدي أن الخال (١) لا يرث
وقيل : من الحبة (٢) ، وهو بذر النبات . لأن البذور لباب النبات ، والحب
لباب الحياة ، ولأن الحبوب والبذور مادة النبات ، والحب مادة
للفضائل والمسلكات .

وقيل : مشتق من الحب ، بكسر الحاء ، وهو القرط . سمي به إما لملازمته
ملازمة القرط للأذن . فلا يزال اسمه معموراً بمناجاته ، وما يرد عليه ،
من أسرار أحاديثه في سره ، كما يقال : ألزم من طوقه . وإما لاضطراب
القلب بالحب ، كاضطرابه وخفقاته (٣) قال الشاعر :

لقد عشقت (٤) أذني كلما سمعته رخيما وقلبي للبلية أهشق
وكيف التناسي من (٥) حبيب حديثه بأذني - وإن غيبك - قرط معلق
وقال الآخر :

سل البرق إذ يلتاح من جانب البلقا أقرط سليمان أم فؤادي - كي خفقا

(١) في : ظ ، س « المال » تصحيف .

(٢) في : ظ « من الحبة » . تحريف .

(٣) أي كاضطراب القرط في الأذن وخفقاته .

(٤) في الأصل : « سمعت » وهو خطأ والسياق لا يجيزه .

(٥) جاء هذا الشطر في : ظ هكذا : وكيف تناسي من كان حديثه : وهو ظاهر الخطأ .

وقال الآخر :

غدا جسمي المضي وشاحك للمضي وقرطك أهدي قلبي الخفقانا
وقيل : اشتق من حباب الماء . وهو معظم الماء . لأن المحبة معظم
ما في القلب من المهمات . وقيل : اشتقت من الحباب بفتح الحاء . وهو
ما يعلو الماء عند المطر وعند الغليان . لأن القلب يغلي ويحتاج ويظهر عليه
مثل الحباب شوقا إلى من يحبه . قال الشاعر :

كأن حبة قلبي على الغدير حبابه
تنقش إن لم ينيبوا إن الوصال إنابه

وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يسمع لجوفه
أزير كالمرجل على النار ، وقال عروة بن حزام :

كان قطاة علفت بمناحها على كبدى من شدة الخفقان
وقال بعض ظرفاء المعاصرين :

خليلي دلاني على وجه حيلة وما كان سعي مثلها قط مكفورا
بقلي عصفور يرفرف دائما متى ابتلع الإنسان يا قوم عصفورا

ويحكى : أن إبراهيم عليه السلام ، كان يسمع لقلبه مثل خفقان أجنحة
الطير . وأوحى الله إلى دارد عليه السلام : يا داود إن لي عبادا تغلي قلوبهم
من محبتي ، حتى لو سمع غليان القلوب لسمعها الوردون من مكان بعيد .

وقيل : المحبة مشتق من حب الأسنان . وهو البياض الذي بها والصفاء .
سميت بذلك لما يستلزم قلب المحب من الصفاء والألاء .

وقال في التاج : الحب : المحبة . وكذلك الحب بالكسر . والحب
أيضا الحبيب . مثل خدن وخدين . يقال أحبه فهو محب . وحبه . يحبه
بالكسر فهو محبوب . قال الشاعر :

أحب أبا مروان من أجل نمرة وأعلم أن الرفق بالمرء أرفق

وتقول العرب : ما كنت حبيبا . ولقد حبيت بالكسر . أى صرت حبيبا . وشربت الإبل حتى تحببت ريا ، وتحابوا : أى أحب كل واحد منهم الآخر ، وقال (صلى الله عليه وسلم) (١) : « تهادوا تحابوا » . والحباب بالكسر : المحابة والمودة . والحباب بالضم : الحب . وقال أبو عطاء السندی :

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقة السم
فواقه ما أدرى وإنى لصادق أداء عراني من حبابك أم سحر
فإن كان سحرا فاعذريني على الهوى (٢) وإن كان داء غيره فلك العذر
واجتلاب الكثير بما قالته العرب في الحب من أشعار كقول الشاعر :

أبي حبيكم إلا ملازمة القلب فأهلا به يا حبذا هو من حب
رميت لكم نفسي فهذا زمامها خذوه إليكم واحملوها مع الركب
محاسنكم غطت على بصرى فسا أميل بنفسى نحو لوم ولا عتب
[٤٨ ب]

إذا لم يكن ذنبي سوى أننى لكم محب (٣) ومشتاق فلا تبت من ذنبي
وكقول الآخر :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحى والذي أمره أمر
لقد تركتني أغبط الوحش أن أرى أليفين فيها لا يروعهما ذعر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة وياسلوة العشاق موعداك الحشر
وكقول الآخر :

كأن بلاد الله لم يكن بها وإن كان فيها الخلق طرا بلال
أأمضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهمل بالليل جامع

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) مى : (عن الهوى) .

(٣) جاء هذا البيت محرفا فى : ظ — إذا لم يكن ذنبي سوى أننى . . . محب لكم البيت

(٢٢ — روضة التعريف)

نهارى نهار الناس حتى إزدادجى بنى الليل (١) هز قى إليك المضاجع
لقد ثبتت فى القلب منك محبة كما ثبتت فى راحتين الأصابع
وكقول الآخر ، وهو من الضجر الملبح بالحب :

ألمت بالحب حتى لودنا أجلى لما وجدت لطعم الموت من ألم
وزادنى كربه لما ولعت به ويلي من الحب أو يلى من السكر
عما (٢) يخرجننا عن الغرض ، إذ ذلك عما لا يقف عند غاية ، وكثيراً ما يجلب
الشعر فى هذا الفصل تملحاً ، لا على سبيل الاستشهاد على اللغة ، إذ الشهادة
فيه مقصورة على العربى والمخضرم (٣) .

تفسيه

المحبة فى لسان العرب كناية عن : الإرادة المؤكدة . تقول : أردت
أن أفعل كذا ، وأحببت أن أفعل كذا . والفرق بينهما : أن الإرادة
إن تعلقت بصفة أو فعل ، كما تقول : أريد كرمك أو علمك أو قربك ،
قيدت بما تعلقت به . وإن تعلقت بالذات ، خصت فى الأكثر بالمحبة .
قال الله تعالى : « يحبهم ويحبونه » ، وقال : « يحبونهم كحب الله » والذين
آمنوا أشد حبا لله . . وربما قيل : أردت فلانا . وقد جاء فى كلام الله :
« ومنكم من يريد الآخرة » .

وأما الهوى : فهو مشتق « من السقوط » ، قال الله عز وجل :
« والنجم إذا هوى » . أى سقط جنح للغروب ، ومعناه : ميل القلب وسرعة
تقلبه لأجل المحبة ، كما يسرع الهواء (٤) التغير لشدة صفائه ولطافته .

(١) فى ظ : (دجى إلى الليل) تحريف .

(٢) خير لقوله : واجتلاب السكر مما قالته العرب فى الحب من أشعار كقول الشاعر :
أبى جبكم إلا ملازمة القلب . . إلح . وقد أطل الفصل بينهما .

(٣) يقصد بالعربى الجاهلى ، والمخضرم من عاش فى الجاهلية والإسلام .

(٤) فى : ظ ، س (الهواء) تحريف .

ومن التاج : هوى الرجل يهوى هوى ، إذا سقط إلى أسفل . والهوة :
الوهدة العميقة ، وتهاوى القوم في الهوة ، أى سقطوا . وقيل : مشتق من
الهوى ، وهو : الوقوع . تقول : هوى الخائط يهوى هوى ، إذا سقط ، والمحـب
قد سقط في هوة الوجد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل القلب
كمثل ريشة بأرض فلاة ، قلبها الريح ظهرا إلى بطن » . وقال الشاعر .

هوى القلب فلم نشعر به عندما ذاق الهوى حتى هوى
حذر المغرور خيمات النقا فتوى ^(١) بينهما حتى هوى

ومعنى الهوى بين الناس متداول مشهور ، وهو درجة ثانية عن المحبة ،
وعذابه ^(٢) عذب ، وهو الدليل على أنه محسوب من البدايات .

قال الشاعر :

نفوس رفاق حملت فوق ما تقوى إلى الله فيما نابها ترفع الشكوى
وهذا الهوى يلوى ولكن أهله يودون ألا تنقضى مدة البلوى
وقال الصوفي :

إن كنت تزعم حبنا وهوانا فلتحملن مذلة وهوانا (١٤٩)
هاجر لنفسك إن أردت وصالنا واغضب عليها إن أردت رضانا
واخلع فؤادك في طلاب ودادنا واسمع ، وتك ^(٣) إن أردت لقانا
فإذا فنيت عن الوجود حقيقة وعن الفناء فعند ذاك ترانا
نون الهوان من الهوى مسروقة فإذا هويت فقد كفيت ^(٤) هوانا

(١) في الأصول كلها (فتوى ما بينهما وحتى هوى) هو مغل بالوزن ؟

(٢) فى : ظ (وعذاب) .

(٣) أى موت نزعات نفسك وميولها . وقالوا فى تحليل ذلك : هو الذى يصل علىكم
وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور . والصلاة على الإنسان سرعاً بعد موته ، وفى
حال الحياة بعد موت أهواء نفسه .

(٤) فى الأصل ، س (فقد لقيت) . وهو خطأ لأن الهوان لمن لم يحب عندهم . ومعنى
البيت يرجع ما فى : ظ .

وقال الآخر :

أنفس حرة ونحن عبيد إن رق الهوى لرق رشيد (١)
لى حبيب نساى به الهجر عنى وأشد الهوى القريب البعيد
ولله در الآخر إذ يقول :

قل لمن قال إنما هو داء ما لعانيه فى العناة فداء (٢)
شهد الغيب والعيان جميعاً أن أهل الهوى هم الشهداء
وأما العشق ، فقالوا : هو اسم لما فضل عن المقدار المسمى حباً ، وهو
الذى لا يقدر صاحبه على كتمه ، ولذلك شرط رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه الكتمان المشهور ، لاستصعابه على الطباع .

وقال فى التاج : العشق فرط الحب ، وقد عشقه عشقا ، مثل عليه ،
ورجل عشق ، كثير العشق . والتعشق . تكلف العشق ، وامرأة محب
لزوجها وعاشق . وتستعمله القدماء من الفلاسفة والحكماء فى المتحركات
التي تتحرك بطلب كمال ، وتستعمله الناس فى أشعارهم ، ونحن نقول :
« ولا شفى الله إن دعوت منه بالشفاء » .

وقال أبو الطيب المتينى :

بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق منى وما بقى (٣)
وما كنت بمن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق
وقال الآخر :

آية من علامة العشاق اصفرار الوجوه عند التلاقى
وانقطاع يكون من غير عى ولوع بالصمت والإطراق

(١) فى : س (إن رق الهوى لرق شديد) .

(٢) جاء القطر الثانى من هذا البيت محرفاً فى : ط . هكنا . ما الفانية من العناة بداء

وفى : س . ما لعانيه فى العناة بداء . تحريف .

(٣) فى : الاصل : (وللحب ما يبق الفؤاد وما بقى) .

وقال بعض الصوفية (١) من شيوخنا :

هل تعلمون مصارع العشاق	عند الوداع بلوعة الأشواق
والبين يكتب من نجيح دماهم	إن الشهيد لمن يمت بفراق
لو كنت شاهد حالهم يوم النوى	لرأيت ما يلقون غير مطاق
فهم كئيب لا يميل بكأؤه	قد أحرقت (٢) مدامع الالامق
ومشعل (٣) الأحشاء أشعل نارها	طول الوجيب بقلبه الخفاق
وموله لا يستطيع كلامه	عما يقاسى فى الهوى ويللقى
خرس اللسان فما يطبق عبارة	ألم ألم وماله من راق
ما للمحب من المنون وقاية	لمن لم يجد محبوبه بتلاقى
مولاي : عبدك ذاهب بغرامة	فادرك بوصلك من دماء الباقى
إنى إليك بذلتى (٤) متوسل (٥)	فاعطف بلطف منك أو إشفاق

وأما العبابة فهى فى اللانة ، بمعنى العشق . والصب العاشق المشتاق
ويقال صببت يارجل بالكسر .

قال الشاعر .

وكنت صببت إلى الظاعنين إذا ما صديقك لم يصب

وقال الشاعر المتأخر :

أنا صب وماء عيني صب	وأسير من الضنى فى قيود (٩٤ب)
وشهودى (٦) على الهوى أدمع العي	ن ولكننى قذفت شهودى

(١) فى : ظ ، س (المنصوفة) .

(٢) فى : ظ ، س ومحرق .

(٣) فى : ظ (متوسل) .

(٤) فى : ظ (وشهود) .

(٥) فى : ظ (وشهود) .

(٦) فى : ظ (وشهود) .

وقال الآخر (١) :

حدث الدمع عن ضميري فقالوا
من روى عنه مسنداً قلت خدى
فأجازتنى الصبابة حتى
صرت أفتى في مذهب الحب وحدى (٢)
وقال الآخر :

تشكى المحبون الصبابة ليتنى
تلقيت (٣) ما يلقون من بينهم وحدى
فكانت انفسى لذة الحب وحدها
ولم يلقها قبلى محب ولا بعدى
وأما العلق والعلاقة . وهو الحب الملازم للقلب . فشتق من التعلق ،
وهو اللزوم . تقول : علق به (وعلقه) (٤) وتعلقه علاقة . وأصله العلق
(وقيل) (٥) من العلقة وهو دم القلب الذى يدعى بالمهجة ، إذا انتهى الحب
إليها كان علاقة ، قال الشاعر :

شوق تعلق بالأحشاء والكبد
أصبحت من حملة والله فى كد
علاقة أورتها نظرة سلفت (٦)
واللحظ عادته يفضى إلى اللحد

وقال الآخر :

علق الهوى قبل الهواء علاقة
ما زال فى نزاع بها ونزاع
فكأنما سكن الهوى بفؤاده
من قبل سكنى القلب فى الأضلاع

وقالوا : العلق ، الهوى . ونظرة من ذى علق ، قال الشاعر (٧) .

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى
علق بقلبي من هواك قديم

(١) فى : س . « الشاعر » .

(٢) يروى بمصطلح العلوم . الحديث . وبالإسناد فى الرواية . والإجازة بالرواية والفتوى

(٣) فى : ظ ، س « تحملت » .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) فى الأصل ، س « تافت » .

(٧) فى : ظ ، س « وقال الآخر » .

وقال مؤلفه غفر الله (تعالى) (١) له ، ورضى عنه (٢) .
 تعلقته من درحة الجود والباس قضيبا لعوبا بالرجامنه والياس (٣)
 دروبا بتصرف اليراعة (٤) والقنا طروبا بحمل المشرفية والكاس
 يذكرنيه الصبح عند انصداعه جمال رواء في آريج (٥) أنفاس
 ويسدو لعني شعره وجبينه
 إذا ما سفحت الخبر في صفح فطاس (٦)
 وقد علقها وعلق حبها (٧) بقلبه ، أى هواها (٨) .

وأما الكلف . وهو شدة الحب الذى لا يقدر صاحبه على التصبر
 إلا بتكلف . يقال تكلفت بهذا الأمر (أى أو لعت به) (٩) وكلفه تكليفاً ،
 أى أمره بما يشق (عليه) (١٠) . وتكلف الشئ تجشمته (١١) . والكلف .
 ما يتكلفه من نائبة أو حين (١٢) . وحملت الشئ بكلفة إذا لم تطلقه
 (قال الشاعر)

إذا قربت دارى كلفت وإن نأت أسفت فلا للقرب (١٣) أسلو ولا البعد
 وإن وعدت زاد الهوى بانهظارها وإن بخلت بالوعد مت من الوجد

(١) ساقطة من الاصل ، س .

(٢) : ظ س « وعفا عنه »

(٣) فى : ظ « بالرجاء وبالياس » . وفى : س ، « بالرجاء وبالناس » تحريف .

(٤) فى : س « بصرف البراعة » تحريف

(٥) فى : ظ ، س « آريج » تحريف

(٦) فى : ظ « فى طى » .

(٧) فى الاصل : ، س « حه » خطأ .

(٨) فى الاصل : « أنى هواها » تحريف .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من الاصل .

(١٠) ساقط من : ظ ، س .

(١١) فى : ظ « تجشمته » تحريف .

(١٢) فى : ظ ، س « أو حق » .

(١٣) فى : ظ فلا القرب .

وقال الآخر :

كرر على فإن عاشق كلف ككرر على ففيه المجد والشرف
 جرد على سيوف الشوق محسباً وأقتل بهن فقتلى بالهوى شرف
 وأما الحلة : فهو أن يتخلل الحب (١) جميع الأعضاء واللحم والدم ،
 وسمى المحبوب خليلاً (أى محبوباً) (٢) .

قال الشاعر :

وإن افتقدي واحداً بعد واحد دليل على ألا يدوم خليل
 قال الله عز وجل : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .
 وقالت ليل الأخيالية .

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حيت سيل
 لنا صاحب لا نبغى (٣) أن نخونه وأنت لأخرى صاحب و خليل
 وأما الشغف : بالغين المعجمة . فيقال شغف الحب أى بلغ شغافه
 وشغاف القلب (١٥٠) جلدة دونه ، وهى الغشاء المحتوى على القلب
 حسبما يظهر في الحيوان . قال الله عز وجل : « وقال نسوة في المدينة امرأة
 العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا ، أى بلغ شغاف قلبها . قال
 ابن عباس : دخل تحت شغافها . قال امرؤ القيس .

أ يقتلنى (٤) والمشر فى مضاجعى ومسنونة زرق كآنياب أغوال
 يعنى بلغت لذة الطلاء على الجرب شغاف قلبه الماقه . وقرىء بالحرفين ،
 وقال النابغة .

(١) فى : ظ « تنفلل الحبة » .
 (٢) فى : ظ « لا أبكى » تحريف
 (٣) فى : ظ « لا يبنى » خطأ
 (٤) فى : ظ « لا أبكى » تحريف

وقد حال م (١) دون ذلك شاغل مكان الشغاف يتنغيه الأصابع (٢)
يعنى أصابع الأطباء .

وأما الشغف بالعين المهمة ، فهو إحراق المحبة مع لذة يجدها الحب .
ومثله اللوعة . واللاعج والبلبال وقال صاحب التاج : شغفه (٣) الحب
أحرق قلبه ، وقال أبو زيد : أمرضه ، وقد شغف بكذا فهو شعوف (٤) .
وقرأ الحسن « قد شغفها حيا » (٥) .

وأما التميم فهو التعبد . تيمه الحب أى عبده ، فهو متمم قال الشاعر :
تامت (٦) فؤادك لم تخبرك ما صنعت إحدى نساء بنى ذهل ابن شيبانا
وقال الآخر :

ألا يا عباد الله قلبى متمم بأحسن من صلى وأقبحهم فعلا
وأما التبتل (٧) : فهو أن يسقم الرجل الحب . يقال : رجل متبول . تبلة
الحب . أى أسقمه الحب وأفسده وقطعه (٨) والتبتل (٩) القطع . وقال قيس
ابن الذريح :

بانت سليمي فأنت اليوم متبول (١٠) وإنك اليوم بعد الحى مخبول
وقال كعب بن زهير فى قصيدته الشهيرة فى مدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

-
- (١) فى الأصل « منهم »
(٢) فى : س « فكان شغاف يتنغيه الأصابع »
(٣) فى : ظ « شغفه » خطأ .
(٤) فى : ظ « شعوف » خطأ .
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الاصل .
(٦) فى الاصل : ظ « قامت »
(٧) فى الاصل « التبتل » .
(٨) فى : ظ « وقطه » تحريف .
(٩) فى الاصل « والتبتل » .
(١٠) فى : ظ « بانت سعاد فأنت اليوم مقبول » رفى : س « بانت سعاد سليمي »
النج « ، خطأ .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول (متيم لثرها لم يفد مكبول)
وأما الولوع والغرام : فهو الذى لازم صاحبه فلا يفارقه ، وهو
بمعنى واحد . أغرم بالشئ ، أى ولع به ولوعا . قال الشاعر .

خشيت من الواشين أن يشمتوا بنا فأبدت ضحكا والحشا يتقطع
ولم أسكن الأرض التى يسكنونها لكما يقولوا لئن بك مولع
وقال الآخر :

ومضى وخلف فى فؤادى لوعة تركته موقوفا على أوجاعه
لم أستتم عناقته لقدومه حتى ابتدأت عناقته لوداعه
وقال الآخر :

قلت له والجفون قرحى قد جرح الدمع ما يليها
على لى (١) فى لوعتى شبيه قال وأبصرت لى شبيها

أما الهيام والهيوم : وهو أن يذهل على وجهه لغلبة الحب عليه قال
صاحب التاج : هام يهيم (هيا) (٢) وهيمانا ذهب به (٣) العشق أو غيره
(والهيام) بالضم أشد العطش . قال الله عز وجل (٤) « فشاربون شرب
الهيم » ، والهيام كالجنون من العشق ، وهو مأخوذ من داء يصيب الإبل .
فهيم (٥) فى الأرض لا ترعى ، يقال ناقة هيمي . قال كثير .
كما دلفت هيماء ثم استهللت (٦) .

(١) فى : ظ ، « هل أبصرت لى فى لوعتى شبيه » خطأ .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) فى : ظ ، س ، « من العشق »

(٤) فى : ظ « قال تعالى »

(٥) فى : ظ « فهم » تحريف

(٦) فى : ظ « كما وقفت فيها ثم استلبت » تحريف وفى س « كلما وقفت » لمخ .

وقال الآخر :

الله يعلم أننى بك هائم نفس مفارقة ووجد دائم
أصل السهادوأنت فى سنة الكرى فالى متى (أنا ساهر يا نائم) ^(١)

وأما التذله : فهو ذهاب العقل من الهوى . (ورجل مدله ، قال صاحب
اللغة : دله ، ذهب دمه دلها بالتسكين ، أى هدرا ، والتذله ذهاب العقل من
الهوى) ^(١) يقال دلته الهوى أى حيره (. ص ٥٠) وأدهشه ، قال أبو زيد فى
كتاب الإبل : الدلوه ، الناقة التى لا تكاد تحن ^(٢) إلى إلف ولا ولد ^(٣)
وقد دلمت عن إلفها ، وعن ولدها تذله . دلوها ، قال الشاعر .

يا نور نور النور من ناظرى ويا محل السر من خاطرى
تراك ترئى للذى قلبه معلق فى خلجى طائر
مدله حيران . مستوحش يهرب من قفر الى آخر

وأما الوله ، يقال : وله الرجل (يله) ^(٥) فهو واله ، إذا ذهب عقله
لفقد حبيبته . ومن الصحاح ^(٦) الوله : ذهاب العقل ، والتحير من شدة
الوجد ، ورجل واله ، وامرأة واله ، وواله ^(٧) . وقال الأعشى .

فأقبلت والهأى على عجل كأن دهاها وكل عندها اجتماعا
وقال الآخر :

قد برانى الوله كل شىء هو هو
شبه يثبت من حدائهن الشبه
وهو لا يشبه شىء نأ وسواه شبه

-
- (١) جاء ما بين الحاصرين وحده قبل البيت وسقط من الشطر الأخير البيت الثانى : فى : ظ .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . (٣) فى : « نجى » .
(٤) فى : ظ « ولا وتد » . (٥) ساقطة من : ظ .
(٦) فى : ظ « الضجاج » تصحيف . (٧) فى : ظ « وواله » خطأ .

وأما الجوى : وهو الهوى الباطن، والحب المتمكن الذى يقتل صاحبه ،
وقال فى التاج : والجوى الحرقه ، وشدة الوجد من عشق أو حزن ، تقول :
جوى الرجل بالكسر فهو جو ، مثل دو . وقيل للماء المتغير : جو .

قال الشاعر :

ثم كان المزاج ماء سحاب لا جو آجن ولا مطروق
وقال الآخر :

هل من جوى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوى زفرات الجوى إذ جلن فى مهبجة مشتاق
حتى إذا نفسها ساعة كرت يد البين على الباقي

وأما الآلفة : وهو أول مقام من مقامات الحب . وقد عدت فى
أسبابه ، وهى الممازجة ، ويستدعيها الأنس ، واستقرار (١) محاسن المحبوب
ومعناها (٢) : إيثار جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب .

وقال (٣) الشاعر :

أقل اشتياقا أيها القلب ربما رأيتك تصفى الود من ليس جازيا
خلقت ألو فالورجعت إلى الصبا لفارقت شبي موجد القلب باكيا

وقال أبو الفرج : كان لقوم جارية ، فأخرجوها إلى النخاس ، فأقامت
أياما ، ثم بعثت إلى سادتها تقول .

بحرمة البيت (٤) ردوني فإننى قد ألفتكمو

(٢) فى : ظ « ومعناه »

(٤) ظ « بصحبة البيت »

(١) فى : ظ « باستقرار »

(٣) فى : ظ « قال » .

وقالوا : لها تفصيل بحسب الخصوص والعموم . فالعموم تأليف (١) جميع الموجودات لاشتراكها (٢) في الوجود بجميع معانيه ، والخصوص الذى أوجبه الاشتراك فى أخص وصف للإنسان .
قال الشاعر :

بينى وبينك ذمة مرعية بدأت هناك وكان آخرها هنا
وأما الاصطلاح . وهو فى اللغة الاستئصال، وأصله استئصال الأذنين، ومعناه أن بنى المحب عن جميع المحسوسات لإفراط الغيبة . وهو مقام من المقامات التى عدها الصوفية ويأتى فى محله إن شاء الله ، (وقال الشاعر) (٣)

ليس عنده ألم هل يحس مصطلم
كان يعرف المعنى ثمت اختفى العلم
جف بالذى حكموا من عذابه القلم

وأما الإرادة وهى متقدمة (٤) على الجميع . (١٥١) وهى مناسبة تتقدم كل عمل قبل الشروع فيه . وفى الاصطلاح . نهوض القلب إلى طلب الحق . ولهذا يقال . «لوعة تهون كل روعة» وقيل فيها. إجابة لداعى الحقيقة طوعاً . وقال الفشيرى . الإرادة بدء طريق السالكين ، وهى اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله ، وإنما سميت هذه الصفة إرادة ، لأن الإرادة مقدمة كل أمر . فما لم يرد العبد لم يفعله . فلما كان أول الأمر لمن سلك طريق الله سمي إرادة ، تشبيهاً بالقصد فى الأمور التى مقدمتها . والمريد على سبيل الاشتقاق من الإرادة . إلا أن الاصطلاح فى هذا المقام أن يقال . المريد لمن لا الإرادة (٥) له . ومن كانت له إرادة لا يكون مريداً .

(١) ن : ظ «يالف» (٢) و : ظ «لا متراكما» تحريف.

(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل (٤) ن : «مقدمة»

(٥) فى الأصل كتابها «لن الإرادة نه» وهو خطأ فى اصطلاح الصوفية ، لأن مريد طريقهم يسقط إرادته صور تماماً .

وقالت المشايخ . الإرادة ترك ما عليه العادة ، وقال الرئيس أبو علي .
أول درجات العارفين ما يسمونه هم الإرادة . وهي . ما يعترى المستبصر
باليقين البرهاني ، أو الساكن النفس إلى القصد الإيماني ، من الرغبة
في اعتلاق (١) العروة الوثقى ، فيتحرك سره إلى جناب القدس ، لينال من
روح الاتصال (٢) ، فما دامت حاله هذه فهو مريد . وقال القشيري . سمعت
الاستاذ أبا علي الدقاق يقول . الإرادة (لوعة في الفؤاد) (٣) لدغة في
القلب . غرام (٤) في الضمير . انزعاج في الباطن . نيران تتأجج في القلوب .
قال المؤلف (رحمه الله) (٥) ورضي الله عنه .

أعط عنك مهما استطعت كل إرادة وإلا فعنى القوم عنك بعيد
تكون مربدا ثم منك إرادة إذا لم ترد شيئاً فأنت مريد

خاتمة . (المحبة (٦)) اسم جامع لأقسام الحب والعشق ، والفرق بينهما ،
أن المحب لا يخلو ، إما أن يستعمل المحبة ، أو تستعمله . فإن استعملها ،
وكان له فيها تكسب واختيار سمي محبا اصطلاحا . وإن استعملته المحبة ،
بحيث لا يكون فيها اختيار ولا تكسب سمي عشقا ، فالمحب مريد . والعاشق
مراد . وقيل العشق يلزأ اللذات . والمحبة بازاء نفسها . ومنعوا من إطلاق
العشق على الله ، وهو ما ارتفع فيه اللبس ، وتسامح فيه كثير (٧) .

(١) في : ظ « اعتاق » . تحريف .

(٢) في : س « من نور الاتصال »

(٣) ساقطة من : ط ، س :

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٥) ساقطة من : ظ . وفي : س « رضى الله عنه »

(٦) ساقط من : ظ .

(٧) في : « كبر »

باطن القشر الذى ينمو ويغزو

(وفيه الثناء على المحبة طبعاً وعقلاً) (١) ونقلنا وشرعاً

وأول ذلك من الشرع والنقل الكتاب . قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، وفيها دليل على كمال الإيمان بالمحبة (وأن) عدمها مقابل للكفر . وقال : « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وفيها دليل على غفران ذنوب المحبين وقال تعالى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » وفيها دليل الخطاب أن المحبوب لا يعذب محبيه . وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » . جاء فى معرض المجازاة على الإيمان بالله ، وقال مثلياً على التكليم بخلع ملايس محبته . « وألقيت عليك محبة منى » . وقال . « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء (ا ه ب) فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » . وفيه دليل على وجوب التحاب (٢) . وإذا كان ذلك (٣) كذلك فكيف بمحبة الله جل جلاله .

وفى هذا الخرض البحر كثرت السنة ، (ف) من الحديث الحسن والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه « اللهم ارزقنى حبك ، وحب من يحبك ، وحب من (٤) يقربنى إلى حبك ، واجعل حبك أحب (٥) إلى من الماء البارد » .

(١) ساقط من : ظ وى : س « ونقلنا وعقلاً »

(٢) ساقط من : ظ

(٣) فى الأصل : « على وجوب التحاة »

(٤) ساقط من : ظ ، س

(٥) فى الأصل س « من يقربنى »

(٦) فى : ظ ، س ، واجعلك إلى أحب .

نفييه

قال أرباب الإشارة . مثل بالماء البارد لوجود منها . أن الماء لما كان يطفىء نار الدنيا ، كانت المحبة تطفىء نار الآخرة . قال صلى الله عليه وسلم (١) « أحبوا الله لما يغذركم به من نعمه » وقال . « وأحبوني كحب الله » ، وقال . « تهادوا تحابوا » . وقيل . إن الله يباهى بالمحبين ملائكة السماء .

تذبييه

قالوا . إنما فضلت الملائكة عالم الإنسان بمعان منها . التجرد عن المواد ، وقلة تعدد الوسائط بينهم وبين الله ، وقربهم من حضرة التقديس ، وهذا كله يحصل مع غاية المحبة ، وقال ، « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون ، وقال . « يقول أهل الجنة انطلقوا بنا فنظر إلى المتحابين في الله » .

وقال . « إن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم أناسهم نور ، وجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قالوا . صفهم لنا : قال : هم المتحابون في الله » :

وقال في مصعب (٢) بن عمير : « أنظروا إلى هذا الرجل : فد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبي بن يغذوانه الطعام ، ويسقيانه ، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون » :

ولعن رجل نعيمان ، فقال : « لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله (٣) » : وقال له أعرابي : يا رسول الله ، متى تقوم الساعة ؟ فقال : وما أعددت لها ؟

(١) ما بين الماصرتين ساقط من: ظ. (٢) حرف الإسم في ط. « مصعب »

(٣) ساقط من : ظ وتيمان كان فيه دعاية . وحده مرات في الشراب . فلغنه بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله . فيه دليل على أن المعصية لا تقدر في الحب .

فقال والله ما أعددت لها صلاة ولا صياماً ولا كبير عمل . ولكنني أحب الله ورسوله . فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : فإن المرء مع من أحب .
وروى زيد بن أسلم قال : « إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له أصنع ما شئت فقد غفرت لك » .

وقال : « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكليته فلي نظر إلى سالم (١) » وهذا يدل على تفاوت درجات المحبة .

(ومن) الأخبار سئل أبو سعيد الخزاز: المحبة أعلى درجة أم المعرفة؟ (٤)
فقال : المعرفة (٣) خلق من أخلاق المحبة . وقال بعضهم : إنما قال خلق من أخلاق المحبة إشارة (إلى) (٤) الشطح المنسوب إلى أبي يزيد . إذ قال . قال لي الحق (٥) يا أبا يزيد . كل هؤلاء خلق إلا أنت ، أنت أنا . وأنا أنت (٦) والشطح لا عبرة به ولا تعويل عليه .

قال بعضهم : رأيت سمنون يتكلم في المحبة فسقط طائر على الناس فلم يزل يقع من هذا على هذا وله خفقان حتى سقط ميتاً وقال . آخر . رأيت

-
- (١) هو مولى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
(٢) في : ظ . (العارف أعلى درجة أم المحب)
(٣) في : ظ . (العارف)
(٤) ساقطة من : ظ
(٥) في : ط (الخلق) تحريف

(٦) هذه التعبيرات نتيجة نوع من اليقظة في قلب العارف ، وظاهرها يوجب الكفر ، وهم منه بعيد [راجع الآداب الشرعية لأبن مفلح ٣١٤/١] . وفي باب الردة من شرح الروض لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى . قد يصدر من العارف بالله إذا استغرق في بحر التوحيد بحيث يسهل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويفيق عن كل ماسواه عبارات تشعر بالخلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان الحالة التي ترقى إليها وليس منها بشيء . ونرى أن الأولى عدم لانسحاق وراء هذه العبارات فهي ذريعة يجب سدّها لاسيما في هذا العصر حيث كثر الدعاوى .

سمنون يتكلم فى المحبة فى المسجد فتكسرت قناديل المسجد (١) كلها .
وقال ذو النون : لقيت فى بعض أسفارى امرأة تشير إلى المحبة .
فقال لا غاية للمحبة قلت وبهم ؟ قالت لأنه لا غاية للمحجوب .

وسئل سمنون عن محبة الله فقال لا تستطيع الملائكة أن يسمعوا ذلك
وليس لسمنون كلام احسن من قوله : لا يعبر (١٥٢) عن شيء إلى بما
(هو) (٢) أرق منه ولا شيء أرق من المحبة . فم يعبر عنها ؟

وقيل أوحى الله إلى عيسى (عليه السلام) (٣) إذا أطلعت على سر
عبد ، فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ، ملأته من حبي وتوليت به بحفظى .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : من ذاق من خالص حب الله
شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر . وقال الجنيد : سمعت
السرى يقول : لا تصح المحبة بين آثنين حتى يقول أحدهما للآخر : يا أنا ،

إذا شئت أن أدعوه ناديت يا أنا وإن يدعى نادى جميعى يا إني
فيخبرنى عنى بما أنا مخبر إذا شئت عنى بالذى مخبر عنى
وقال الباجى : إن أفضل نعم الله سبحانه على خلقه ، ما ألهمهم من حبه .
قلو تقربت إلى الله بكل عمل لم يكن فيه محبة لم يقبل .

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لخير حبك ضائع
وسئل عيسى : أى العمل أفضل ؟ فقال . الرضا عن الله والحب لله .

(١) مثل هذه الأخبار إن صحت أو لم تصح ففى دلاله على مدى التأثير البالغ لكلام هؤلاء المحبين فى الناس ، وهى تمررات شخصية عن واقع الحب الإلهى الذى امتد منذ عهد الحنفاء قبل الإسلام حتى أنشطه الإسلام .

(٢) ساقطة من : ظ

(٣) ساقطة من الأصل وزيدت من : ظ

(٤) فى الأصل (قلت) تحريف

وثانيه . الطبع والعقل (١) . قال المؤلف رحمه الله (٢) . نقل عن سقراط الحكيم من الإلهيين . أنه قال : المحبة أفضل رياضات النفس ، وفيها جلاء العقول ، وصلل الأذهان . وقال معلم الخير أفلاطون الإلهي : روضوا أنفسكم بالمحبة . فإنها خاصية الحى من حيث هو حى ، يعنى : أنها لا يتصف بها جماد ، إذ النفسى بحر ماهية الحى (٣) وهو صورته . فالمحبة كذلك . لأنها (٤) لاحق من لواحقه . وقال غيره : إذا نظرت الكواكب بعضها إلى بعض نظر مودة . وطرحت أشعتها بعضها على بعض انحطت منها روحانية . فاضلة إلى النفوس الجزئية ، فتعاطفت (بعضها على بعض) (٥) وتحركت حركة مودة ومحبة . وذلك علامة رضى محركها ، وينظر حيث تكلمنا فى المناسبات الفلسكية والألحان الموسيقية والأسباب الخفية (٦) . وقال سلاوس : المحبة ارتياح الأرواح ، فإذا أفرطت صار عشقا يبيت النفس الغضبية ، وتحمدها حظوظ النفس الشهوانية . وتستجديها (٧) النفس الناطقة . وقال أرسطو : لو لم يكن فى المحبة إلا أنها تشجع قلب الجبان ، وتسخر كفى البخل ، وتصفى ذهن الغبي ، وتبعث حزم الغافل (٨) ويخضع لها الملوك وتضرع لها صولة الشجاع ، وينقاد لها كل ممنوع ، لكفى بذلك شرفا . وجميع ما قال يشهد له الحس والتجربة . وقال دير خانس : لا يكون للنفس بقاء بعد الموت إلا بالمحبة والعلم . وعلل ذلك بأن العلم صورته ، ومتهم وجودها ، والحب حركتها ، ولا حياة لمن لا حركة له . وقال جالينوس : كما أن البدن

(١) فى : ظ ، س (العقل والطبع)

(٢) فى : ظ ، س (رضى الله عنه)

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل

(٤) و : ظ ، س (فإنها)

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل وزيد من : ظ

(٦) و : ظ (الحقيقية) و : س (والأسباب الخفية)

(٧) و : الأصل (وتستخدمها النفس الناطقة)

(٨) فى . ظ العاقل

يحتاج إلى الرياضة كذلك النفس رياضتها المحبة . وقال إبقراط . من منح المحبة أغنته عن كل رياضة . وعندى أنه عنى رياضة النفس . وقال أنكساغورس المحبة نور من أنوار النفس الكلية يضيء بها الخليط . فإذا أدبرت أظلم الخليط وفسد الكون . وقال الإسكندر : المحبة ملكة إلهية (والله أعلم) (١) .

فصل منه في أن الوجود كله أصله (٢) المحبة والعشق (٣) بإجمال قريب .

قال المؤلف رحمه الله (٤) : (٥٢ ب) رأى طائفة كثيرة من الحكماء القدماء أن الوجود كله مبدؤه المحبة والمبغضة وهما علتنا الكون والفساد ، وأن المبغضة تقابل المحبة ، مقابلة (٥) العدم كالنور والظلمة إذ لا معنى للظلمة إلا عدم النور . والعدم لا ذات له . فصار سبب المحبة واحداً في الحقيقة .

ولما كانت الإرادة جنساً للمحبة حسبما تبين عنه تقرير الحدود ، والجنس يتقدم على ما تحتها ماتا إليه بالسببية . فالإرادة إذاً علة للمجبات الحادثة . وهي صفة من صفات واجب الوجود . وقد تبين من مذاهبهم أن الصفة لا تزيد على الموصوف فالواجب الوجود عندهم إرادة ومريد ، ومحج وحج ، كل ذلك راجع إلى شيء واحد . والإرادة إذن عندهم (٦) سبب الوجود كله وعلة ما فيه .

فصل في أن كل ما في الكون الوجود : بل الوجود كله محب عشاق

بتفصيل غريب .

(١) ساقطة من : ط ، س

(٢) في : ط (أصل)

(٣) في : ط ، س (العشق والمحبة)

(٤) في : ط ، س (رضى الله عنه)

(٥) في : ط : مقابل

(٦) في : ط (عندهم إذن)

يقول مدعى هذا الزعم : العالم يقع على ما سوى الله وأسمائه وصفاته ،
فينقسم الكلام على قسمين ، وهما قسم فى العالم . وقسم فيما سوى العالم .

فأما سوى العالم . فقد اتصف بالحجة سبحانه (١) (وتعالى) بشواهد
النقل لأنبيائه وأوليائه ، والتائبين إليه والمتطهرين ، والصابرين ،
والمتوكلين ، والمؤمنين ، والمجاهدين ، والمحبين . على ما يليق به وبصفاته
ويجب لسكّالته وكفى (الحجة) (٢) المحبين شرفاً عظيماً وانتساباً كريماً .

هكذا هكذا تكون المعالى طرق الجد غير طرق المزاح
كفانى فخراً أن يجمعنا وصف ولا عذر لى إن كان وقتى لا يصفو

وأما العالم فيشتمل على روسائى وجسمائى ، بين عقول مجردة ،
وملائكة ، وأفلاك ، وكواكب ، وعناصر ، (ومولدات) (٣) والعقول
المجردة غير المسخرة للأجسام متشوقة إلى الله . متعشقة به على الدوام ،
ووجودها (العقلى) (٤) بجوهرها بالمبدأ الأول واستهلاك ماهيتها الممكنة
فى ماهيته الواجبة ، وهو انغماس عظيم لها فى بحر العشق واللذة ، وحقيقة
وجودها رجوعها إلى ذواتها ، بعد ملاحظة الجمال المطلق ، فهى بما يبرها
من العظمة ، ويلوح لها من الافتقار ، وما يغمرها من اللذة ويسبح بها
وعليها من النور الحق ، القاهر بين ابتهاج وقهر .

وقد حُددت المحبة بأنها ابتهاج مشوب بقهر . فهى متصفة بصفة المحبة
الذاتية . والملائكة . من المتقرر عند هؤلاء وفى محله . من موضوعاتهم
أن الحق لما أشرق نوره الفياض الذى هو سر الجمال والكمال . ومعنى

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) ساقطة من الأصل

(٣) ساقطة من الأصل

(٤) ساقطة من الأصل

الوجود والحياة ، على العالم السكلى ، أول ما تلقاه . وقبله الذوات العاقلة العارقة ، وهم الملائكة المقربون من حضرة الحق ، والحافون بقدس الحق ، وهم وسائط أمر الله ، وحمة أسرارهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . فحصل (١) لها بنوره ابتهاج شديد لا يمكن وصفه ، ولا يتأتى تصور ما حصل لها به من النور والحبور ، والجلال والكمال والظهور ، فتضاعف ابتهاجها (٢) ونظرت إلى ذواتها مع ذلك ، (٥٢ ب) فرأتها عاجزة قاصرة عن الإحاطة بإدراك كمال ذلك النور ، فتلاشت عند مشاهدة جماله (٣) . خاضعة لسلطان قهره وعزة أمره ، وعظمة كبريائه ، مستشعرة عدمها عند وجوده ، عالمة بنقصها مع كماله ، فحصل لها بهذين الاعتبارين صفة المحبة . ومقدمات حدودها . التى (٤) هى ابتهاج يشوبه قهر . فالملائكة محبون لله ، وذوات فورية مهمة فى الله ، بين صافين ومسبيين ، وشاخصين ومستغفرين . شيم الهائمين ، وأوصاف المحبين ، وأحوال المتوسلين المتوصلين .

والأفلاك والكواكب والوجودات (٥) العلوية ، ما تحرك منها أو سكن ، إنما تحرك أو سكن لغاية فيها كماله (فهو محبوبه الأقرب . فهى متصفة بالمحبة والشوق إلى الله) (٦) ومن رأيهم أن حركة كل متحرك منها ، إنما هو لوجود نفس (متحركة) (٧) عاشقة (٨) لمن فوقها معشوقة لمن دونها . وبكونها قاهرة لمن دونها مقهورة لمن فوقها . اتصفت بأوصاف المحبة

(١) فى الأصل . (يحصل)

(٢) فى الأصل (فتضاعف عند ابتهاجها) والترجيح من : ظ للسباق

(٣) فى الأصل : (عند مشاهدته جلاله)

(٤) فى الأصل (الذى هو)

(٥) فى : س (والموجودات)

(٦) ما بين الحاصرين . ساقط من الأصل

(٧) ساقطة من الأصل ، س

(٨) فى : ظ (شقة) تحريف

ومقدمات حدها ، فهي محبة عاشقة ، متصفة بالمحبة والشوق إلى الله . ومن رأيهم أن حركة كل متحرك منها إنما هو لوجود نفس محرّكة (١) تتعشق بالعقول وتشبهها ، والكل متعشقة متشوقة لله .

(والشرائع تعبر عن ذلك بطاعة الله) (٢) وانقيادها محبة لأمره . قال الله سبحانه « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » . ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين والعناصر التي تركبت منها الأشياء الكائنة الفاسدة . أربعة : نار ، وماء ، وأرض ، وهواء (٣) . جعل الله فيها وإن كانت جسوما ، قوى تقوم مقام الأرواح في الحى ، وهو الصور التي تتم بها ماهيتها ، وبها تفعل بإذن الله في غيرها ، بتسخين وتبريد ، وترطيب وتيبس . وهى قسمان ثقيل ، وخفيف ، ثقلها مشترك بين اثنين (وخفيفها مشترك بين اثنين) (٤) لينجذب بعضها إلى بعض ، ويدخل بعضها بعضا ، بالوسائط المشتركة . فيتحرك إلى ما يناسبه . فالثقلان : الأرض والماء . ينجذب أحدهما إلى الآخر ، ولا يمنعه مانع غير قاهر ، عن اتصاله وتطارحه عليه ، وملازمته إياه . كالماء إلى الأرض ، والهواء إلى النار . وكل واحد منهما قاهر لصاحبه ، متعشق به . وجزء كل واحد متعشق ب كله . فيشق الوعاء المختوم على الهواء عمق البحر لا يرتد (٥) شوقه ولا يتراجع طبعه . حتى يصل بعالم الهواء (٦) أو تنزل القطرة من الغيث ، والحصاة من الودق ، من أعلى الجو — غير مقصورة (٧) — إلى الأرض

(١) فى الأصل : (محرك)

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٣) جاء عقب كلمة الهواء فى : ظ . (وهو أجعل) ولا معنى لها

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل

(٥) فى : ظ (لا يزيد)

(٦) لأن الهواء ليس مقهوراً للماء فلا يمنع الماء من أن يطغى الوعاء المختوم على الهواء

على سطح الماء ليتصل بالقاهر له وهو الهواء ، لأن الماء مانع غير قاهر للهواء .

(٧) فى : ظ (غير مقصورة)

ولا (١) تستقر النقطة أن تأتلف مع مثلها ، وتطلب المنحدرات ، حتى
تتصل بالأودية ؛ ويذهب الكتل على وجهه إلى البحر لمستقر طبعها ؛ وطينة
جبلتها ، ومنتهى كمالها (٢) . فهمي كلها عاشقة . وأي حركة عشقية أعظم
من هذا ١٤

والمولدات منها المعدنية ، ومن تأمل عجائب المعادن في وثوب الزئبق
على الذهب ، وتعشقه به ، والكبريت على الفضة ، والمغنطيس على الحديد
أعجبه ، ظهر له المعنى العشقي الذي لا يرتاب فيه .

والنبات وتعشق (١٥٣) بعضه ببعض وتألف أرهاطه (٣) وانحياز
بعضها إلى بعض في المسارح والمنابت ، وازدواج أشخاصه وأزهاره ،
والتفاف بعضه على بعض ، معانقا إياه كالكروم واليقطين والكشوبا (٤)
والأفسيون ، ولا أعجب من وجود ذكوره لا تحمل ، وكذلك إنائه مالم
تدن منها الذكور ، كالموز والنخيل ، لقربها من طباع الإنسان . قالوا
وليه الإشارة بقوله : أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية
طينة آدم

وكذلك أسرار ذوات الأذكار . وقد زعم بعض المعتننين (٥) بأسرار
الطبيعة ، إنه ما من شيء من النبات إلا ولبذره لوحان مزدوجان . فنه
ما يظهر سريع الانفكاك ، كذوات النوى . ومنه ما ينحني . فإذا أغطاه الثرى

(١) الأصل : فلا تستقر

(٢) لأن الهواء مانع غير قاهر للماء فلا يستطيع مسحه عن الالتلاف بمته . أو الالتلاف
بقاهره الثقيل الثاني وهو الأرض . فالأرض لأجزائها مانع قاهر والماء للأرض قاهر والعكس
بالعكس والهواء للهواء قاهر والنار للنار قاهرة والهواء والنار كلاهما قاهر لصاحبه

(٣) في الأصل : أزهاره . والرجيح من : ط

(٤) وفي : ظ ، س (الكشوق)

(٥) في : ظ (المعتننين)

وزاره مدد النير الأعلى ، تناكح اللوحان ، وبرزت رطوبة من الجانبين
بمزجة هي من النبات التي تلتشأ منها ، فيظهر النبات وتنجم لإبرته (١) . فالنبات
عاشق مزدوج ولله در القائل :

هذي الحديقة كاعب أترابها حلل الربيع وحليها الأزهار
وكأن هذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والإضرار
فإذا شكى فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار
فلاجل عزة ذاوذة هذه يبكي الغمام ويسم النوار

وقال الآخر في موضوع ثان (عن النبات) (٢) .

بكأس ترينا آية الصبح والدجا فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة إن لم يزرها مزاجها فإن زارها جاء التيسم والبشر
فيا عجباً للكون لم يخل مهبجة من العشق حتى المساء تعشفه الخمر

والحيوان ظاهرة عليه إشارة (٣) العشق والمحبة ، لحنينه إلى
أجناسه ، وانحياز ذكوره إلى إناثه ، وشوقه إلى الإيجاد ، وانجذاب
بعضه إلى بعض ويفشو على كثير منه أثر الحب (٤) كالحمام وسائر
المطوقات . فيحكى من نياحها وبكائها عند فقد حباؤها ، وحزنها للفراق
وانتدابها على أشكالها . واعتراها مفردة تبكي وتندب بعد موت أخلائها ،
إلى أن تموت من فوق الغصون صبراً (٥) وغراماً الكثير (٦) . وبين العشاق

(١) في : ظ (لإبرته) تحريف

(٢) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ

(٣) في الأصل ، س (آثار العشق)

(٤) في الأصل . (العجب)

(٥) في : ظ (ضرا)

(٦) نائب فاعل للفعل : فيحكى من نياحها . وقد جاءت في الأصول كلها (فكثير)
وهوركيك .

وشكاة ألم الحزن والفراق محاورات كثيرة (كقول الشاعر) (١) :
 زعم الناس للحمامة حزنا وأراها (٢) في الحزن ليست هنالك
 خضبت كيفها وطوقت الجيد (بطوق (٣) وما الحزين كذلك
 قال المؤلف (رحمه الله) (٤) ورضى عنه :
 حمامة البان ما هذا البكاء على مر الليالي وهذا الشجو والشجن
 لا منزل بليت عنه أنت تندبه ولا حبيب ولا خل ولا سكن
 لو كنت تمنعين عن شوق منيت به يوما (٥) لصار رمادا تحتك الغصن
 وقول ابن حصن (٦) يصف قرياً :

ومارا عنى إلا ابن ورقاء هاتف على (فثن) (٧) الجزيرة والنهر
 مفستق طوق لازوردى كاهل موشى (٨) الظلاأحوى القوادم والظفر
 حديد شبا المنقار داج كأنه شبا قلم من فضة مد في حبر
 أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ ومد على المرجان طوقا من التبر
 ووسد من فرع الأراك أريكه ومال على طى الجناح مع النحر
 ولما رآى دمعى (٨) مراقا أرابه بكأى فاستولى على الغصن النضر
 وحث جناحيه وصفق طائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري
 وقال الآخر :

وخضبية المنقار تحسب أنها نهلت بمورد دمعى المسفوح
 باحت بما تخفى وناحت في الدجى فرأيت في الآفاق دعوة نوح

(١) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل
 (٢) ق : س (وأظنها) وهو محل بالوزن
 (٣) ساقطة من : ظ ، س
 (٤) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س
 (٥) ساقطة من : ظ ، س
 (٦) ق . ط ابن حصن
 (٧) ساقطة من : ظ
 (٨) ق : ظ . موسوى . وهو محل بالوزن . ولا معنى له

وقال الآخر :

إني (١) لأعذر في الأراك حمامة الشادى كذلك تفعل العشاق
حكيم الغرام الحاجرى بأسرها ففدت وفي أعناقها الاطواق
وقال الآخر (٢)

لقد عرض الحمام لنا بلحن إذا أصغى له ركب تلاحا
شجى قلب الخلى فقال غنى ورح بالشجى فقلت ناحا
وقال الآخر :

لا تعجبين ليكأهن فإنه (٣) ضحك وإن بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة (٤) من حائهن فإنن حمام
والكلام فى الحمام (٥) يطول . وهو من الأعراض المناسبة للعشق
والمحركات له . وقالوا : إن الحمام علم العشق بنى آدم .

فلنرجع إلى ما كنا بسيله فنقول : وأما الإنسان من جملة الحيوان فإنه
أخص الجميع بخصوصية المحبة ، والمتأدى ، إلى محبة الله التى فى صمنها السعادة
والبقاء ، والمحبة الموجودة فى العوالم العلوية موجودة فى فطرته ، بكونه مثالا
منها ونسخة مدبجة من كليهما . فتبين أن ماسوى الله أيضا وهو العالم سماؤه
وأرضه بما اشتملتا عليه ، محب عاشق (مشتاق) (٦) معترف بمحبة الله ، محدود
السبب من الله ، موجود بالله ، راجع إلى الله ، ألم تر أن الله يسجد له من
فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر

(١) فى الأصل . لأنى

(٢) ساقطة من : ظ

(٣) جاء النظر فى : ظ ، س هكذا : لا تعجبين بها فإن بكاءها .

(٤) العيافة : زجر الطير

(٥) وى : ظ (الحمار) تحريف

(٦) ساقطة من الأصل : وزيدت من : ظ

والدواب وكثير من الناس. وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء . . والذي حق عليه العذاب من حرمه نور محبه . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وقال بعض أرياب الإشارة : وبالجمله . الحب معنى الوجود المقيد ، فإن(هـ) بالحركة الشوقية كانت اليومية، وباليومية كانت الشهور والشهور كانت الفصول ، وبالفصول وقع التكوين . فسبحان الذي يجرى الأفلاك ويدبر عالمه بحبه .

وقالوا : لم يبق للوجود قائمة إلا بالمحبة ، بها انشقت السماء وانفطرت وبها زلزلت الأرض والجبال دكت ، واستنارت الشمس وكورت ، وبها النفوس زوجت ، وبها الجحيم سعرت ، وبها الجنة أزلقت . إلى غير ذلك من قائمات الآشهاد وبعث الموتى والمعاد.(١) علمت(١) كل نفس ما أحضرت وبها الأرزاق من خزائن السموات والأرض أخرجت وبها عطف الأعلى على الأدنى وطلب الأدنى الأعلى(٢) قال الله تعالى: «والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض(٣)» . قال تسيحهم قربة إلى ربهم (١٥٤) واستغفارهم لمن في الأرض شفاعتهم لمن هو غائب بطمأنينة عنهم وعن عالمهم لعلمهم(٤) . أنهم يعادون (يوما) إليهم وقال الشاعر يرثى صديقه نصرانيا :
أخي بوداد لا أخي بديانة ورب أخ في الود مثل نسيبي
وقالوا أبكي اليوم من ليس صاحبا غدا إن هذا فعل غير لبيب
ومن أين لا أبكي حبيباً فقدته إذا خاب منه في المعاد نصيبي

(١) في : ظ ، س (وعلمت كل نفس)

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : الأصل . وزيد من : ظ

(٣) في الأصل (تعلمة أنهم يعادون إليهم) وفي : ظ (لعلمة أنهم يعادون إليهم)

(٤) ساقطة من : س

بارقة أزهار بين أنهار :

تناسب هذا النمط المقرر والدليل المحرر .

ورد في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال :
« حبيب إلى من دنياكم (ثلاث) (١) . الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في
الصلاة » ، وفي قوله « دنياكم » (٢) واختصاص الصلاة بقرة العين (٣) ، وحب
الطيب ، وحب النساء (٤) ، مباحث عجيبة . قال أبو بكر الصديق : « وأنا
يارسول الله حبيب إلى ثلاث » ، قال : « وما هي يا أبا بكر » ؟ قال : « جلوسى
بين يديك ونظري إليك ، وإففاق مالى عليك » . قال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه : « وأنا يارسول الله حبيب إلى ثلاث : » ، قال : « وما هي يا عمر » ؟
قال : « الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة حدود الله إذا
وجبت » . قال عثمان رضى الله عنه : « وأنا يارسول الله حبيب إلى ثلاث » .
قال : « وما هي » ؟ قال : « إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل .

(١) على هامش الأصل . جاءت العبارة التالية : لفظة « ثلاث » ليست من الحديث ، كما
أجمع عليه الحفاظ واللفظة ساقطة من : س
(٢) أى دنياكم التى تهيمون بها بنفوسكم . اختص الله بحب ما يشهدنى إياه فى كل حال .
(٣) لأنها انبجاء تام بين عالم المادة وعالم الروح لمن استطاع القيام بها على وجهها
الظاهر والباطن .

(٤) مجمل ما قاله الشيخ الأكبر فى « الفص المسمى » من « فصوص الحكم » و هذا
الموصوع أن آدم باعتباره من معلوم الله فانه يحن إلى أصله ويحس بنقص لا يجبره إلا الاستغراق
فى أصله . فلما خلقت حواء من صلته . صار ناقصا باعتباره أصلا تفرع منه فرع هو حواء .
واعتبرت حواء فرعا ناقصا يحن إلى أصله الذى نشأ منه وهو آدم . ولا يمكن لآدم أن تم
يستغرق فى أصله وهو معلوم الله مع نقصه . لنقص آلة التوجه والإدراك . ولا يمكن أن تم
له آلة التوجه والإدراك إلا إذا اندمج مع فرعه أندماجا كاملا ، ولا يحدث هذا الاندماج
إلا عند الاتصال الجنسى . حيث يندمج الجنسان فتتم لهما آلة التوجه والإدراك . وكان الرسول
صلى الله عليه وسلم يحب النساء لأنه فى حال اتصاله بهن كان كلى التوجه والاستغراق .
وبالتكرار تحدث الملكة . أما الناس فيجربون فى النساء المادة والظاهر وستان مابين المشهدين
(راجع الفص المسمى . من شرح الفصوص التناوبى وشرح الفصوص للكاشانى) وشرح
الفصول . بالى افندى) .

والناس نيام ، . قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « وأنا يا رسول الله حبيب إلى ثلاث : إكرام الضيف ، والصيام في الصيف ، والضرب بين يديك يا رسول الله بالسيف (١) . فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حينه فقال : « يا رسول الله . وأنا حبيب إلى ثلاث » : فقال وماهى يا جبريل (٢) ؟ قال : « حب المساكين ، وتبليغ الرسالة للرسولين ، والتسبيح لرب العالمين » . ثم نزل عليه ثانية فقال : « يا محمد . ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : إنه يحب ثلاثاً . فقال : ماهى يا جبريل ؟ . فقال : يقول قلب شاكر ، ولسان ذاكِر ، وبدن على بلائى صابر » .

تلييه :

تناسب هذه الباقية من يسلك (٢) إلى حضرة الحق ، من باب عشق الجمال الجزئى ، (وقد جعلوه من باب الرياضة ، لحصول المقصود . وقد أشار إليها الرئيس أبو على رحمه الله إذ قال . ويعين عليه العشق العفيف (٤) والحب الظريف ، الذى يؤمن فيه نفس سلطان الشهوة (٥) ، فالفضلاء الذين يستدلون بالأثر على المؤثر (٦) ، وعلى الحق بالخلق ، وعلى الصانع بالصنعة ، وهم الذين ركبوا مطايا الأفكار ، وقطعوا مراحل تلك القفار ،

(١) ماين الحاصرين ساقط من الأصل وزيد من : ظ

(٢) فى ظ جبرائيل

(٣) فى الأصل ، ط جاءت العبارة مضطربة هكذا (تناسب هذه الباقية على ماسلك إلى حضرة الحق . . . ألخ) وفى : س (على من سلك)

(٤) فى : س (العنيف)

(٥) لأنه يعمل على رقة الإحساس وشفافية الروح . وهما من العوامل المساعدة على تهية الروح للجذب من عالم العيش عند الصوفية

(٦) فى الأصل (بالمؤثر على الأثر) وفى : ط ، س (على المؤثر بالأثر) وما فى الأصل لا يناسب السياق . لأن الحديث عمن يسلكون سلوكاً صغودياً يبدأ من الأثر وينتهى إلى المؤثر ، ومن الخلق إلى الحق والتعديل الذى أجريناه أكثر وضوحاً .

فأساحوا (١) وأمعنوا ، وتحركوا حتى سكنوا ، إذا تقيدت مشاعرهم بالجمال الحديث الجزئي ، وأشكاله الحبيبية المشرقة على المواد الحيوانية ، جردتها نفوسهم عن هيولائها ؛ وصارت تشاهدها في أنفسها ، وقد انبعثت (٢) في جواهرها (٣) ، فلم تغب عند مغيب مظاهرها ومجاليها ، ولا تغيرت بتغيرها ، ولا انتقلت بانتقال متحملاتها الحسية ، فاستغنت (٤) وزهدت في الوسائط التي عرفتها من أجلها ، وأدركتها بسببها ، وانتقل (٥) محبوبها من خارج الحس إلى داخله ، ومن بصر (٦) الإدراك إلى بصيرته ، فصارت تشاهده - (٥٤ ب) في مرآة ذاتها .

ثم إن الإدراك الساري (٧) أعاد البصر كرتين إلى الصورة المنتقلة المحبوبة ، فحكم بأنها وإن كانت حسنة جميلة ، فائقة معشوقة ، فإنها تعد في كرامة الخيال ، وتحت رق الحسة الجسمانية ، ومن وراء حجاب الحسن ، وأنها بعد (٨) خيالية متغيرة (٩) ، ومشاهدتها غير خالصة ، وأن الصورة المعقولة (١٠) التي لا تتغير ولا تبدل ، ولا تنتقل ولا تضمحل أولى بعبده (١١) ، وأحق بمشاهدته ، فحن (١٢) إليها أكثر من حنينه إلى تلك

(١) في : ظ ، س (فأسلفوا)

(٢) في الأصل (فما انبعثت) وفي : ظ ، س (قد انتعت)

(٣) في : ظ (في جوارها) ولعله يقصد . جوارحها . والمقصود أن السالك يجرد الأشكال الحسية عن هيولائها حتى يشهد الجمال في الجواهر لا في الجوارح والاعراض . ويندل عليه ما بعده

(٤) في : ظ (فاستغنت)

(٥) في الأصل (فانتقات)

(٦) في : ظ (ومن أبصر) تحريف

(٧) في : ط (السارين) تحريف

(٨) في : س ، ظ (نقد في كذب الخيال)

(٩) في : الأصل وأنها تعد . (٢) في : الأصل . منيرة

(١٠) في : ظ . المعتدلة

(١١) في : الأصل أولى بتقيده

(١٢) في الأصل : يحن إليها ، في س . تحن إليها

الأشخاص ، وطلبها فيها ، وقد مرنت نفسه على العشق العفيف ، والحنين إلى الجمال المنيف ، فكانت جزئيته إلى السكلى (١) سيباً ، وإلى الصادق سلماً ، كما قال الشاعر :

مدحت الورى قبله كاذباً وما صدق الفجر حتى كذب
وعندما اتصل بالصور الكلية ، وأثاره (٢) الرياضة من الخيض
الأوهد ، إلى الجنب الأقدس ، والعز الأنفس ، وانتبهت نفسه انتباهة
ثانية ، وهى إحدى الكرتين رأى الصور المعقولة فائضة من واهبها
الذى هو أولى بالحب ، وأحق بالاستهلال ، وأنه الجمال على الحقيقة .
بعد ذلك تمحضت النفس إلى الجنة (٣) العليا ، وحنت إلى مبدئها ،
وموافقة رفيقها .

قالوا : ولذلك كان يقول صلوات الله وسلامه عليه عند التجلى الحق
« الرفيق الأعلى » . لما ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات ، من النساء
والطيب وحظوظه (٤) الضرورية من أداء معارج الترقى البشرى (٥) ،
وكانت أحواله فى زيادة الترقى ، ولذلك قال : « كل يوم لا أزداد
(فيه) (٦) قرباً من الله فلا يورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم ، . وكلما
فارق مقاماً ، واتصل بما هو أعلى منه لمع الأول بعين النقص (٧) ، سارياً

(١) فى : س (فكان حرؤه إلى السكلى سبب)

(٢) فى : ظ حرفت العبارة هكذا : وأنا شبه الرياضة وفى الاصل : وأنى بنسبة الرياضة

(٣) وفى الاصل الجنة العليا

(٤) فى : ظ (وخطوطية) تحريف

(٥) فى : ظ ، س (البشرية) وصف للمعارج

(٦) ساقطة من : الاصل

(٧) لا نقص فى السلوك الصحيح إلى الله من حيث المقامات ، كما أنه لا نقص فى أقل
مظاهر الكون فى الدلالة على الله — لاسيما سلوكه صلى الله عليه وسلم وإتباعه المسألة مسألة كمال
واكمل وعلم كامل ، وعلم أكثر وقال الصوفية فى قوله صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبى ،
فأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة وفى رواية مائة مرة وهو موضوع الكلام الذى
نحن بصددده — قالوا : إنه غين أنوار لا غين أغيار .

على ظهر المحبة ، ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والأحوال
والسفر إلى حضرة ذى الجلال ، والاتصال بالمحبيب الحق ، الذى كل شيء
هالك إلا وجهه ،^(١) وله الحكم وإليه ترجعون ، وحال هذا المحب المحبوب
المراد المجذوب^(٢) المردود إلى حضرة الإمكان من حضرة الوجود ، لهداية
الحائر ودلالة المحبوب أعلى ، وفضله أجلى ، والله در المؤلف
(رضى الله عنه)^(٣) إذ يقول :

ففى عالم الأسرار ذاتك تجتلى ملامح نور لاح للطور فانهدا
وفى عالم الحس اغتديت مهبأ لتشفى من استشفى وتمدى من استمدى
فما كنت لولا أن نبث هداية من الله مثل الخلق رسما ولا حدا
صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم .

خاتمة فى تنبيه النفوس الصبة على حكم المحبة :

(ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة : قال على رضى
الله عنه : « أسرع الناس مبادرة إلى الزحف ، أقلهم حبا للفرار » ،^(٤))^(٥) .
وقال بعضهم : سألت رويما (البغدادي) فقلت : أوصنى فقال : ما هذا
الأمر إلا بذل الروح . فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل
بترهات^(٦) الصوفية ، قال الشاعر :

-
- (١) فى : ظ (له الحكم) والمؤلف يقتبس الآية فى أسلوبه : ولا يقصد روايتها .
(٢) فى ظ ، س (للودود) والسياق يقتضى ما فى الأصل .
(٣) ما بين الحاصرتين : ساقط من الأصل .
(٤) فى : ظ (حبا من الفرار) .
(٥) ما بين الحاصرتين : ساقط من الأصل .
(٦) يقصد : ترهات الصوفية فى نظر من لا يستطيع الدخول فى هذا الأمر ببذل الروح
لا فى رأيه هو . وهو من كبارهم .

لما ملكتم رمتوا أن تهجروا ما بعد فرقة مايعين تخيرو^(١) (١٥٥)
زدوا الفؤاد كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

وقال رويم : « قعودك مع كل طائفة من الناس ، أسلم من قعودك
مع الصوفية ؛ فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة
على الحقائق . »

وقال تاج الوعاظ^(٢) رحمه الله : يا هذا . أول الطريق سهل ، ثم يأتي
الحزن في البداية . إنفاق السرور^(٣) وفي التوسط إنفاق النفس ، فإذا نزل
ضيف المحبة تناول القلب فأملق المنفق^(٤) ، قلق القوم بلا سكون ،
انزعاجهم بلا ثبوت ، حلقت جفونهم على جفا النوم ، فلو سمعت ضجيجهم
في دياجى الليل !

من لقلب يألف الفكرأ ولعين لا تذوق كرى
ولصب بالبعد قضى ما قضى فى حكم وطرا

سما الوجد لا تخفى ، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب :
حداء^(٥) حديثك فى نفسى مع النفس . وقال : إذا تمكن الحب استحال
السلو ، وتعلقت^(٦) يد المحبة بتلايب القلب ، فلا يمكن التخلص ، فيدور
معها فى دار المداواة .

(١) جاء هذا الشطر محرفاً فى : ظ ، س . هكذا : ما بعد فرقة للعين تحجروا

(٢) لعله يقصد « أباً الفرج بن الطيب البغدادى » صاحب كتاب السياسة الذى ينقل
عليه كثيراً ، والأسلوب بنم عنه .

(٣) فى : ظ ، س (البدر جم بدره) وهى الصرة من المال .

(٤) أى افتقر ولم يجد ما ينفقه بعد قابه

(٥) فى : ظ ، س (خذى حديثك)

(٦) فى الأصل (تعلق) وكذا فى . ظ ، س

ليكشفكم ما فيكم من جوى يلقي فمهلا بنا مهلا ورقفا بنا ورقفا
وحرمة وجدى ماسلوت هو اكم ولارمت^(١) منه لافكا كا ولاعتقا
وهل للحب قلب ؟ هيات . مزقته في المحبة ، برائين أسود ،
فى سلو ضعيف ، على شدة جذب مع قوادم التقلب .

إن ترحلت أو أقمت فعندى فيض دمع يجرى ووجديهم^(٢)
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى ومزاي ذاك الغرام المقيم^(٣)

حدث بعض الشيوخ : أنه مر على خانقة^(٤) بالمشرق ، فخرج إليه فقراء
استدعوه إلى شيخها ، فوجد جمعا . فقال الشيخ : يا مغرب ، حسن الظن
بسمتك^(٥) . وحكمتك في هذه الأحذرة التي اجتمع لها الفقراء . وهى :
أن هذا الفقير رقص وغلبه الوجد ، وخطر له تمزيق ثيابه ، فعدل عن جديد
قريب على ظاهره ، إلى خلق كان باشر جسده فزقه ، فطالبه لمكان هذه
البقية . قال : فقلت : يا مولانا . هذا الفقير لما طلب قلبه ولم يجد (ليزقه)^(٦)
مزق أقرب الأشياء^(٧) إليه وأشبهها به فى الأخلاق والركة ، وفى مثل ذلك
يقول الشاعر :

يُقْلُ غدا جيش النوى عسكر اللقا فرأيك فى سح الدموع موقفا
ونخد جرى عن كون جسمى سالما وذرعى ، ومن حقهما أن يشقفا
يدى لم تطلق تمزيق جسمى لضعفها ولم يك قلبى حاضرا فيمزقا

(١) و : ظ ، س (ولا اخترت)

(٢) فى : ظ ، س (ووجدى مقيم)

(٣) فى : ظ ، س (الغرام القديم)

(٤) الخانقة والحقاه مكان يقيم فيه الصوفية وينقطعون فيه للعبادة

(٥) أى حسن الظن بنفسك

(٦) ساقطة من الأصل .

(٧) فى : س : فزق أقرب الأبواب إليه . والقصة إن صحت فهى تحايل نفسى دقيق
لجيشان الروح عند الصوفية وتوضيح صريح للأساس الذى يقوم عليه الوعى الروحى . وهو
ثورة الباطن ذلك الحكم المشترك بين جميع الصوفية الأصلاء .

فصاح الشيخ ، وعاد الوجد ، وقاموا إلى رقصهم وتسلك^(١) .
فَقَرَّ في معنى هذه الخاتمة . فيها حكم تنثال وتجري مجرى والأمثال:

الحبة بحر بعيد الشط ، وخط والفنا منتهى الخط ، إنا عرضنا الأمانة (على
السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان
ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات) ،^(٢) .

الحبة مهوى بعيد ، وبحال وعد ووعد ، مرجل يغلي ، ثم خيال يتدلى ،
وليس له حد عليه يعول .

الحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه ولا يعاوه^(٣) من يأتي إلى
وادي الفنا^(٤) فلا يساوه ، إن الله متبليكم بنهر .

كم قصمت الحبة (هـ ب) من ظهر ، وكم سرصيرته إلى جهر ، أولها
العسل المشهور ، وآخرها الطي المشور ، ثم الموت ثم النشور ، وأشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب .

الحبة أنس يستدرج ، ثم شوق يلجم ويسرج ، ثم فناء يزعج عن الوجود
ويخرج ، على قدر أهل العزم تأتي العزائم .

الحبة كاس كم جردت من كاس . وآس من شمه لم يجد من آس .
متى أرتجى يوما شفاى من الضنى إذا كان من يجنى على طيب
تراحم أنفاس المحبين على خطرات الصبى ، تراحم الهباء على

(١) في : ظ وتسلك ، تحريف

(٢) جاء في الأصل وظ (إنا عرضنا الأمانة . إلى قوله ليعذب الله وينوب الله)

(٣) في : ظ . (ولا يعاوه)

(٤) في : ظ . (من وادي الفنا)

(٥) في : ظ . (من شمه)

عطّارح شعاع الربا . فلولاً بليلم^(١) لا تهبّ ، وتعليل عليها^(٢) لتلك
الأرماق لذهبت .

عليه في حواشي مرطها بلل تهدى لكل عليل^(٣) منه إبلال
المحبة رقة ، ثم فكرة مسترقة ، ثم ذوق يطير به شوق ، ثم وجد لا يبق
منه طوق ، ثم لا تحت ولا فوق .

أينما كنت لأخلف رحلا^(٤) من رآنى فقد رآنى ورحلى
الهوى هوان ، وحمام له ألوان ، دمع ساجم ووجد هاجم . وهيام لا
يبرج ، ثم وراءه ما لا يشرح .

قال بمن جن وهل في الورى ما يبعث الخبل سوى حبه
من اقتحم بحر الهوى هوى . لا تدخل في بحر الهوى حتى تشاور
صبرك ، وتجاوز قبرك^(٥) . فإن كنت منا أو فرح بسلام .

الهوى طريق وسلوكه فريق ، الزاد سر مكتوم ، ووفاء معلوم .
وللبيادين أبطال لها خلقوا وللداوين حساب وكتاب
الحب حج ثان^(٦) . لا يشنى نفس المريد عنه ثان . طريقته التجريد^(٧) .
وزاده الذكر . وطوافه المعرفة وإفاضة الفناء . فإذا أفضم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن
الضالين . الغرام صعب المرام ، والدخول فيه حرام ، ما لم يكن فيه شروط
كرام . من عرف ما أخذ ، هان عليه ما ترك . وربك يخلق ما يشاء ويختار .

(١) في الأصل (بليتها)

(٢) أى بليل خطرات الصبا وعليها

(٣) في : ظ (عليك) تحريف

(٤) في : ظ (رجلا) نصحيف

(٥) في الأصل : فرك

(٦) راجع في هذا المعنى (الإسراء إلى مقام الأسراء للشيخ الأكبر محمى الدين بن عربى) مخطوط.

(٧) التجريد عند الصوفية عدم النظر إلى الأسباب وشهودها فى مشعها (راجع باب

التجريد والتوحيد - من علم القلوب لأبى طالب المكي ، القاهرة ١٩٦٤) .

ظن الهوى طريقا سهلا فكثرت (١) التأنون خيلا
إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد
والعكس :

قد يخبا المحبوب في مكروها من يخبا المحبوب في المكروه
غيره :

إذا كان عون الله للعبد لم يجد عسيرا من الآمال إلا ميسرا (٢)
وقال الشيخ (ابن الفارض) :
هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا وأوله سقم وآخره قتل
(ومنها) (٣) :
نصحتك علما بالهوى والذي أرى مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو
(ومنها) (٤) :

فن لم يميت في حبه لم يعيش به ودون اجتناء النخل ما جنت النحل .
طريق القوم مبنية على الموت . وإليه الإشارة بقوله : موتوا قبل أن
تموتوا . يبدى لا يدعمر . وقال بعضهم : رأيت رب العزة ، فقلت : يارب
بهم أصل إليك ؟ فقال : فارق نفسك وتعال (٥) .

(١) في الأصل : وكثر . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) البيت ساقط من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) لأبي يزيد البسطامي . (راجع ترجمته في : الموارد البهية . و : الحقائق الوردية ، طبقات الشعراني) .

رفض السوى فرض على العين لا تخطئ (١) الحق بالمين
ما الأثر (٢) والكيف سوى ظاهر فاستغن عن كيف وعن أين

الحشب الذى يتخذ منه النشب

وينقسم إلى أقسام وأجزاء جسام :

القسم الأول فى الحدود (١٥٦) والمعرفات والأسماء الواقعة عليها الصفات

قال المؤلف رحمه الله (٣) : ولما كانت الحدود تأتلف من مقومات
الشيء وأجزائه الذاتية وكانت المحبة وجدانا متفاوتا . لاجلس له يؤخذ منه
قدره المشترك ، ولا فصل لعدم جلسه ، تعذر هذا المطلوب إلا مع مساحة
كبيرة (فيه) (٤) . فغالب ما نقل عن المتقدمين رسوم وتعريفات منها
ما هو مأخوذ من فعل المطلوب ، أو غايته ، أو أعراضه . ومما (أكد) (٥)
تعذره اشتغال الحدود (٦) على المحبة القديمة المتوجهة إلى المحدث بدليل
السمع . ونحن ننقل من ذلك بعضا من كل وتأفها من جم ؛ إذ حصر
بعض الواضعين (٧) فى المحبة من الحدود والتعريفات المنقولة عن الأعلام ،
ما ينيف على المائة . وقد اقتصرنا منه على عدد يسير (٨) فمن منسوب إلى
الفعل ، أو إلى الصفة ، أو إلى الخلق ، أو إلى الذات ، إذ كل يعبر (٩)
بمقدار حاله . وكل قاصر (١٠) لعجزه عن الإحاطة بحقيقته .

(١) فى : ط : لا تخطئ .

(٢) فى : ظ والأين ، المكان ، والكيف . ماهية الشيء .

(٣) فى : ظ ، س . رضى الله .

(٤) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ

(٥) فى : ظ (تأكد) . وهى ساقطة من : س .

(٦) فى : س (اشتغال الحدود) .

(٧) فى الأصل : (الواقفين) والسياق يقتضى ما : س ، ظ .

(٨) فى : ظ (من منسوب) . (٩) فى الأصل (يعتبر) .

(١٠) فى : ظ (ماهر) تحريف .

ومثل بعيميان عرض عليهم الفيل ، فلس طائفة ظهره ، وأخرى قوائمه وأخرى رأسه . ثم سئلوا عن حقيقته . فقال قوم : هو شيء مستطيل . وقال آخرون : هو عمد أربعة منتصبة . وقال قوم : هو رأس فيه أنياب بارزة . وعبر كل على قدر ذوقه ووسعه وما أدركه ، وشرحه منهم باللفظ الصريح متعذر جداً . وقال آخرون : الحد الحقيقي فيها أن أعمال التقريب في تحصيل ماهيتها وربما تأتى ذلك في محبة المحدث للمحدث ، ومحبة المحدث للحق .

وأما محبة القديم للمحدث^(١) ، فلا تتأنى إلا بتأويل ومساحة . وربما تأتى التوفيق والتحقيق إلى إيهام الحلول أو الوحدة اللذين توهمهما ألفاظ هذه الطوائف^(٢) (لأنه يوم ألا يحب إلا نفسه ؛ إذ ظهر من أسباب المحبة الأولى ، أنها عائدة إلى ذات المحب وإن اختلفت)^(٣) . ونحن نقدم ما ارتضى من المجلوب .

قال بعض الإشراقيين فى حدها على ما تعطيه العبارات اللفظية : ابتهاج يشوبه قهر يحصل للنفس عن تصور حضرة ما . ويتبين هذا الحد عند ذكر آراء المحبين . وقد جرى فى الفصل قبل هذا .

وقال بعض أصحابنا : عناية من محب ما يصاحبها إيصال نوال ، أو استفادة كمال . وقال فى أخصر من ذلك : عناية قلبية يعينها التماس جمال على طلب كمال .

(١) الأصل : وظ (محبة المحدث للقديم) والترجيح لنا لاقتضاء القسمة العقلية ، ولأن تطبيق التعريف على محبة القديم للمحدث هو الذى يحتاج إلى مساحة . وأما إيهام الحلول . فبنأى كذلك فى محبة المحدث للحق ؛ لأن المحبة راجعة إلى ذات المحب ، وفى محبة المحدث للقديم توهم الألفاظ الدالة عليها . الوحدة المطلقة ، والدليل على صحة ترجيحنا ما جاء فى شرح تعريف البوشى للمحبة بعد ذلك

(٢) فى الأصل (الوظائف) . (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س ،

وقال شيخنا أبو القاسم البوشى : هى إرادة وكيدة ، تميل القلب نحو محبوبه ، لما تحقق من جماله وكال ، وتقيد المحب بقيد طاعته . ولقد أحسن بيانه . أن المحبة هى المقام الشريف فى مقامات السالكين إلى الله . السائرين فى منازل الرياضات ، أو بأجنحة الجذبة إلى الله . وهى أول المقامات وآخرها .

فند قلنا إنها مقام فالمقام لا شك يلتزم من علم وعمل وحال . كما بينه أهل الحديث فيه . وإن العلم بمنزلة الشجرة والحال بمنزلة الطعام والعمل (١) بمنزلة اللب . فالعلم يكسب الحال ، والحال يكسب العمل

والعلم الذى يتقدم المحبة : هو ما يدرك من كمال المحبوب . إن كان خلقاً فمن اعتدال قده ، وحسن مزاجه ، وصفاء بشرته (٥٦هـ) وتناسب أعضائه فى الإنسان وغير ذلك . مما يعد كلاً فى المعدنيات والنباتيات والحيوانيات (٢) إذ لكل موجود كمال يخصه ، لا يكمل به غيره ، فالمستحسن فى الفرس غير ما يستحسن فى الإنسان ، وإن كان خالفاً ، فما يوصل إليه العقل من الاعتبار والاستدلال ، وأوصاف الجلال القاهر ، والجمال المطلق ، والسكال المحصن الذى يلتزم من كل كائن ، ويؤخذ من كل شاهد .

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد
عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذى أشهدته كل شاهد

والحال : ما يقع بعد العلم ، من الهيام بالمحبوب ، والوله به ، والتجرد إليه . عن كل ما سواه ، والشوق الشديد إلى لقائه : والقلق لبعده ، والدهش منه . والتهيب له .

والعمل ملازمته لمرضاته ، ومساارعتة لطاعته ، واحتمال ما يرد منه ،

(٢) فى : ظ (والحيوانية) .

(١) فى : ظ ، س (الفعل)

والتلذذ بجميع فعله عند حركاته وسكناته ، بأمره ، والتأنس بذكره المؤدى إلى الغيبة فيه ، ثم الحضور به ، وتولد الحال عن العلم والعمل بما عدوه ضرورياً .

فالعلم مبدأ المقام الفاعلي ، والحال مبدأ المقام الصوري ، والعمل مبدأ المقام الغائي ، فجعل رحمه الله الإرادة للمحبة جنسها القريب ، الذي يبتدأ به في ترتيب الحدود ، وجعل الوكد فصلها عن كل إرادة وكيدة أو فاترة (١) وهو فصل مأخوذ من العلة الصورية . وجعل الميل إلى المحبوب فصلاً آخر تمت به الصورة . والتحقق بجمال (٢) المحبوب وكماله . فصلاً آخر ، مأخوذاً من العلة الفاعلية ، وجعل التقيد بطاعة المحبوب بعد ذلك فصلاً آخر . مأخوذاً من العلة (٣) الغائية . فقال : المحبة هي إرادة وكيدة تميل القلب نحو محبوبه ، لما تحقق من جماله وكماله . وتقيد المحب بقيد طاعته . ولعمري لقد أحسن . فإن فصول ما يحد ، تؤخذ من المواد والصور والعلل الفاعلية والغائية ، لكن هذا فيما سوى محبة الله للعبد . فلا مشاركة بين المحبتين إلا في الاسم (٤) . كما أن ذاته تباين جميع الذوات . أو يحتال فيه بتجاوز تسعه المساحة . وما قدمنا من قول بعض الصوفية (٥) . عناية بأمر ما ، من محب ما ، يعبثاً إيصال نوال ، أو استفادة كمال . ربما يشمل المحبة العامة . إذ العناية بالشئ صرف إرادة الخير إليه من محب [ما] (٦) كان حادثاً أو قديماً يبتها إيصال نوال . ومحبة الله التي لا علة لها إلا فضله على العبد المحبوب ، وإيصال الخير إليه ، أو استفادة كمال محبة المحدث للقديم ، أو محدث مثله وفي استفادة الكمال الداعية على اختلافها ، من نوال ، أو لذة أو موهبة روحانية أو جسمانية .

(١) في : س (أو فائدة) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س
(٣) في : ظ (أو فائدة) .
(٤) في : ظ (الأهم) تحريف .
(٥) في : ظ وس (العاشرين)
(٦) ساقطة من : ظ ، س

وقال الحسين بن منصور الخلاج (١) : قيامك مع محبوبك ، بخلع أو صافك
لأن كية الحب مطابقة لكية المحبوب ، غيبة ووجودا ، وقال غيره : المحبة
سرور القلب بمطالعة (٢) جمال المحبوب .

وقيل : المحبة محو المحب بصفاته ، وإثبات المحبوب بذاته . وقيل : حقيقتها
أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وقيل : المحبة نار في القلب تحرق
ماسوى المحبوب . وقيل (٣) : أن تهب كائنتك لمحبوبك ، فلا يبقى لك
منك شيء ، وقيل : حقيقة المحبة : مالا يصلح إلا بالخروج عن رؤية
المحبة إلى رؤية المحبوب .

وقيل : المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب .

وقيل : المحبة أغصان تغرس في القلب ، فتثمر على قدر العقول .

وقال الشبلي : (١٥٧) المحبة دهش في لذة ، وحيرة في يقظة . وسئل
بعضهم عن المحبة فقال : حديث السر بلطائف البر .

وقال ابن العريف : المحبة لا تظهر على المحب بلفظه ، لكن بشماله
ولحظه .

وقيل : المحبة : ميلك إلى الشيء بكليتك ، ثم إثباتك له على نفسك .
وروحك ، ومالك ، ثم موافقتك له سرّاً وجهرّاً ، ثم علمك بعد هذا
بتقصيرك .

وقيل : المحبة (٤) دوام ذكر الحبيب على اختلاف أحوال المطلوب .
وقيل : المحبة استهلاك في لذة ، ومشاهدة في غيبة .

(١) نليذ الجنيذ وابن أخته . قتل في كلمات صدرت منه توهم الحلول .

(٢) في الأصل (بمطابقة) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . — أبو بكر الشبلي .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

وقيل : المحبة استيلاء ذكر المحبوب على جميع قلب المحب . وقيل :
المحبة دوام الذكر .

وقيل : المحبة كراهة البقاء في الدنيا وهذا هو الشوق .

وقيل : المحبة أن تمحو آثارك حتى لا يبقى منك شيء .

وقيل : محو الإرادة ، واحتراق جميع الصفات .

وقال بعضهم : محبة الله أن يتجلى بسرّه ، فيهديه إلى محبته . والآقوال
في المحبة بحر ، وهذا الذي جلبناه يسير منسوب إلى الفعل . أو الوصف .
أو الذات . يجتزأ به .

والذي وقع عليه الاختيار ، ما ثبت أول الكلام في هذا الباب . وقال
بعضهم : ليس للمحبة صفة يعبر بها عن حقيقة ؛ فإن الغيرة من أوصافها ،
والغيرة ترد إلى السر والإخفاء ، وكل من بسط لسانه بالعبارة عنها ،
والكشف لسرها ، فليس له منها ذوق . وإنما حركة وجدان رائحة ،
ولو ذاق شيئاً لغلبه عن الشرح والوصف .

قال الشاعر :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلننا

وقال الآخر :

لم يبق إلا نفس خافت ومقلة إنسانها باهت
(ومغرم تضرم أحشاه بالنار إلا أنه ساكت) (١)

وقال الآخر :

شكا بعضنا لما التقينا على النوى بأعيننا ما في الضمير إلى بعض

(١) البيت ساقط من : ظ ، س .

وقال الآخر :

إذا كملتني بالجفون الفواتر (١) تفهمت عنها بالعيون النواظر
ولم يعرف الواشون مادار بيننا وقد قضيت حاجتنا في الضمائر

وقال الآخر :

تشير فأدرى ما تقول بطرفها ويترك طرفي عند ذاك فنفهم (٢)
تسكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم
ثم ترفع عن ذلك فقال :

تسكلمنا زمانا بالعيون ولم يقض الأكيد من الديون
فصرنا للقلوب فعند هذا أمنا من مرجمة الظنون
ومن يستغن عن هذا وهذا يكن في الحب منقطع القرين

وقال بعضهم : كل المقامات من نور الأفعال والصفات ، إلا المحبة ، فإنها نور حقيقة الذات . فكل ما صدر من الكلام في المحبة إنما صدر عن محب وجد في نفسه ذوق المحبة ، ولم يساعده لسانه على التعبير عما وجد . ومثله بالسكران الذي يطالب بشرح (٣) حقيقة السكر ، مع أن السكر قد منعه عن ذلك . ففي حالة السكر ، ليس له حيلة إلى شرحه . وفي حالة الصحو ، لا يجد العبارة عنه لارتفاع وجدانه الخالي ، فلا يحصل له شرحه ، وكذلك جميع الأحوال الذوقية ، كذلة الواقع التي (٤) إذا عبرت عنها تقول : هي لذة عظيمة . فمن لم يدرك حقيقتها من نفسه (٥٧ ب) لا يلتفت بهذه العبارة .

ومحبة الله لا تحصل بالمحبة (٥) على السكالم ، إلا بعد معرفته الممتمة ، ومعرفته لها غاية لها ، ولا يعبر اللسان عن حقيقتها ، فتعذرت المعرفة كذلك .

(١) ق : ظ ، س (الوائر)
(٢) ق : ظ (فينفهم) تحريف
(٣) ساقطة من : ظ
(٤) في الأصل (الذي)
(٥) ق : ظ (على المحبة) .

ولأجل ذلك قيل لبشر (الحافي) رحمه الله : أخبرنا عن المحبة أى شىء هي؟
فقال : يا أخى ليست (١) المحبة من تعليم الناس ، المحبة من تعليم الحبيب ،
وحسبك من حيس (٢) غرامات ، وأسير مقامات . إن شكا أنبه (٣) الصبر ،
وإن طلب المساعد عاتبه (٤) التوكل ، وإن غاب استعدت عليه الرياضة ،
وإن حضر كواه التذكر ، وإن ربح (٥) على نفسه تبرأ منه الزهد ، وإن أدل
عبست له الهية ، وإن سكن أقلقه الخوف ، وإن فر رده الرجاء ، وإن باح
عاقبته الغيرة ، وإن استراح لغير أنكر عليه التوحيد ، فليس لدائه إلا الغناء
وبه زوال العناء ، كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
وكما قال الآخر :

كنى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
فأما إن كانت المشاهدة ؛ فكما قال (الشاعر) (٦) :

إن كنت ترغب (٧) في بذل النوال لنا فاخلق لنا رغبة أولا فلا تمل
لم يبق جودك لى شيئا (٨) أومله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل
وكما قال الآخر :

حضر الجميع وقيل للبين انصرف لم يبق فى أحبابنا لك مطمع

(١) فى الأصل : (ليس المحبة) . (٢) فى : ظ (جنس) .
(٣) فى : ظ (أنه) نصحيح . (٤) فى : ظ (غايته) تصحيف .
(٥) فى : ظ (تربح) . (٦) ساقطة من : ظ . وفى : س (فسكنايل) .
(٧) فى : ظ ، س (تطله) مع . (٨) فى الأصل (شىء) : خطأ .

القسم الثاني

في معقول معناها ، وإيضاح سناها ، ومدركاتهما التي عليها (١) يقوم ميناها :

قال المؤلف رحمه الله (٢) : لا يتصور أن يجب محب من لا تتقدم له به معرفة . وقد قدمنا ذكر المعرفة الاكتسابية وغيرها ، فالمحبة من خواص الأنفس العارفة (٣) ؛ إذ (٤) لم يتصف [بها] (٥) جماد ولا موات . ولما كانت من خواص الأنفس المحبة العارفة المدركة ، فلنتكلم أولا في الإدراك . فنقول :

الإدراك (٦) ثلاث مراتب :

الأول الحسى : وهو أخذ الصورة بحاسة البصر مثلا دون تشكيل في الخيال ، وهو أضعف الإدراكات ، وأبعدها عن اللذة الحقيقية .

الثاني الخيالي : وهو وجود صورة الشيء في الخيال ثابتة .

الثالث العقلي : وهو انتقال صورة الشيء إلى الذات عند التجريد من

العوارض وهو الإدراك الحقيقي (٧) والاتصال الكلي والمطلوب الأشرف . إذ هو باق ببقاء الذات . فالحواس الخمس لا تدرك الجمال والأمور الروحانية ، إلا بعد أخذها من المظاهر الحسية سمعا وبصرا وشمًا ولمسا وذوقا (٨) .

والإدراكات العقلية تدرك الحس الموجود في غير المحسوسات ، إذ يحكم على العلم بالحسن والقبح ، وعلى المعاني والأخلاق (٩) .

(١) في ظ (يقوم عليها)

(٢) في : ظ ، س . (رضى الله عنه)

(٣) في : س (الأنفس العارفة)

(٤) في : ظ (إن لم)

(٥) ساقطة من : ظ

(٦) في : ظ (الإدراك الحسى) وما بين الحاصرتين ، ساقط من : س

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط

(٨) في : ظ (وذوقا ولمسا)

(٩) في : ظ (والأخلاق) تحريف

فمن كانت حواسه أغلب مدركاته ، أو لم يكن له مدرك غير الحواس ، لم يدرك إلا جمال الظاهر . ومن كان الإدراك العقلي عليه أغلب ، كان أغلب مدركاته الأمور الروحانية .

قالوا : ووفور هذه المدارك في بعض الناس ، وقلتها في آخرين ، مواهب مرتبطة (١) بتشكيلات فلكية ، اقتضتها الهياآت المرحجة لوجوده . على خلق وخلق ما بتقدير العليم (٢) الحكيم (قالوا) (٣) : فمن كان المستوى عليه في أصل مولده القمر ، أو الزهرة ، أو زحل ، كان الغالب على نفسه (١٥٨) وطبيعته قوة النفس الشهوانية ، نحو المأكولات والمشروبات والجمع والادخار ، وإن كان المستوى الشمس أو المريخ أو الزهرة ، فإن الغالب على طبيعته شهوة الجماع والمناكح ، وإن كان المستوى الشمس وعطارد ، كان الغالب عليه شهوات النفس الناطقة من المعارف والحكم ، والعدل . والفضائل .

وإذا تقرر (٤) هذا فنقول لما اعتبر ما يدركه الحى المدرك ألنى منقسما قسمة عليا إلى ما يوافقه ويلأئمه ، ويسمى محبوبا . وإلى ما يخالفه وينافره ، ويسمى مكروها ، (فكل ما في إدراكه لذة وراحة وملاءمة ، سمى محبوبا) (٥) وكل ما في إدراكه ألم ومخالفة وعناء سمى مبغوضا . فإن قوى حب الشيء الملذ ، سمى عشقا ، وإن قوى بغض الشيء المؤلم ، سمى مقتا .

وتختلف الملذات ، والملائمت ، والمؤلمات ، والمخالفات ، باختلاف المدركات لها ، وهى آلات النفس : فمنها مدركات القوة الناطقة ، ومدركات القوة الغضبية ، ومدركات القوة الشهوانية .

(١) فى : ظ (مرتبة)

(٢) فى الأصل (العزيز) . ورجعنا ما فى : ظ .

(٣) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ (٤) فى : ظ (هكذا)

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط ، من الأصل . وزيدت من : ظ

فاختصت القوة الناطقة من ذلك بنوعين : محبوب لكمال (١) روحاني مجرد ، يسرى إليها منه كالعلوم النظرية ، التي تستنتج منها المطالب ، ويتوصل بها إلى اليقين ، والأخلاق الحسنة . ومحبوب لكمال جسماني . كمحبة من يسرى إليها منه كمال روحاني ، كالمشايع والعلماء ، والهداة والأنبياء ، ومحبة ما يستفيد منه كمال البقاء . كمحبة السادة والمنعمين ، والأمراء والمحسنين ، لأجل النوال الذي يحسن به إليها (٢) وكالآبناء الذين يتوهم بهم البقاء ، وكالإخوان والأقارب والأصدقاء الذين يكمل البقاء بمشاركتهم وإعانتهم ، ومحبة ما يجب لذاته ، كالجمال في كل شيء ، على اختلاف محال الكمال من الصور - نباتها ، ومعدنها وحيوانها ؛ من غير أن يجر كالأزائد على التعجب والاستحسان . ومن ذلك ارتباط الصنائع ، وإحكام الموضوعات ، ومعاني الشعر ، واستخدمت في ذلك من القوى : قوة التخيل ، وقوة التفكير ، وقوة التوهم ، من بعد استخدام الحواس في أكثرها .

واختصت القوة الغضبية بصنف واحد . وهو حب الغلبة ، والقهر والاستيلاء ، والتشفي والانتقام ، والرياسة والظهور ، والظفر ومحبة المدح . واستخدمت قوة التخيل والتفكير والتوهم .

واختصت القوة الشهوانية من ذلك بمحوبات من المأكولات والمشروبات والمنكوحات وما يتوصل به إلى ذلك ، أو يكون كمالاً له ، وقنية (٣) تيسره ، من نبات ومعدن وحيوان ، وكل ذريعة إلى السعادة الجسمية ، واستخدمت في ذلك الحواس الخمس ، السمع والبصر والشم والذوق واللمس .

وانحصرت المحبات لأجل ذلك على اختلافها ، في محبة نوال ، وهي محبة المواهب (٤) الروحانية ، والجسمانية ، من مال أو جاه أو كمال ، أو

(١) في : ظ (الكمال) تحريف (٢) في : ظ (يحسن به البقاء) تحريف

(٣) القنية ما يقتنيه الإنسان من متاع أو مال أو غيره (٤) في : ظ (المذاهب) .

(٢٥ — روضة التعريف)

من يفيد ، أو يكون وسيلة إليه من المنعمين ، والأمراء والعلماء ، والهداة والأنبياء ، والآباء والأبناء ، والأصدقاء ومفیدی کمال الوجود من الإعانة والمشاركة .

ومحبة جمال وهو : إما مجردة ، كولوج النفس بالصنائع المنتظمة ، وارتباط الأعمال ، ومحاسن المعاني ، أو غير مجردة ، وهو كاستحسان

الصور (٥٨ك) الجميلة ، والميل إليها ، بسبب البواعث .

وجميع ما يتغير من هذه المواهب الجمالية والنوالية ، وينقطع بانقطاع الجسمانية وتغيرها ، وفنائها (محبته) (١) منقطعة فانية ، قاطعة للنفس عن الكمال . وما كان منها روحانياً كمحبة المواهب الروحانية من العلوم والصنائع العلمية ، والمواهب العقلية ، فإنها إن كانت لا تنقطع فإنها لا تحجب المحب عن كماله ، وتقيد معها ، وهي من القواطع عن الكمال لأنفس ، ولأن لم تتغير في النفس ، وتغيرت في الخارج .

ومحبة مناسبة وهي محبة تقع لمناسبة (٢) بين المحب والمحجوب بها حصل الائتلاف ، وبعدها (٣) حصل الاختلاف ، وهي نسبة موجودة في الأجسام الخيالية ، والأرواح ، والعقول .

أما في الأجسام (٤) الخيالية . فكأنواع الحيوان ، وحنين بعضها إلى بعض .

وأما الروحانية . فكمناسبة أرباب الصنائع والعلوم ، وأرباب الأخلاق المتشابهة . فالعالم يناسب العالم ، والمحب المحب ، لارتفاع الضدية التي توجب النفرة .

(٢) في : ظ (لناسب)
(٤) في : ظ (أما الأجسام)

(١) ساقطة من : ظ
(٣) في : ظ (وبعدها)

وأما العقول . فكالإتفاق في المدركات (١) والفرق بين مناسبة العالم للعالم ، والمناسبة بين مدرك العقليات ومثله . أن العلماء موضوع نظرهم . واتفاقهم العام في التصورات النفسانية ، وأهل المدارك العقلية نظرهم واتفاقهم في المدركات (٢) العينية . فإدراك العقل المجرد عيني ، وإدراك العلم نائب عن العيني . فما دام في النائب سمي عالماً ، وإذا وصل إلى العيني سمي مشاهداً ومحققاً .

وربما خفيت المناسبة بين المحبين لوجود شخصين متحابين لا مشاركة بينهما في وصف جمال ولا إحسان ، لكن في أمر خفي ليس في قوة البحث عنه الإطلاع عليه .

وكذلك المناسبة بين الألحان الموسيقية وبين النفوس من ذات ارتياض السمع ، فيؤثر فيها عشقا ونفرة بحيث تحار الأذهان في علته .

وقد علل ذلك الحكماء بمناسبات عديدة لما أخرجوا نسبة الصوت إلى الصوت أو الوتر إلى الوتر ، أو النقرة إلى النقرة ، في الخرق أو الحدة (٣) ، أو الثقل أو في الفصل ، بين الأوتار بالندساتين . فوجدوا كل ما وقع من النسب في الأصوات الملهذزة ، يرجع إلى أبعاده . والبعد ما بين النغمتين الحادات والثقلات ، وكلها في نسبة ذي الأضعاف ، أو في نسبة الجزاء أو في نسبة الأجزاء . أعني أن التفاضل الواقع بين النغمتين . إما في الزمان ، فإن النغم الأطول ، يكون في زمان أطول ، والنغم الأقصر (٤) ، يكون في زمان أقصر (٥) . أو في المكان ، إذ المكان هو الذي ينغم به . إما نغم أثقل ، أو نغم أهد . أو في غير ذلك من الكيفيات . وهي المعبر (عنها) عندهم باللحون . لا بد أن

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل .

(٤) في ط : (الأصغر)

(١) في ط : (المدارك)

(٣) في ط : (والحدة)

(٥) في ط : (أصغر)

يكون في إحدى هذه النسب إما نسبة الجزء ، فنسبة عدد إلى عدد بعده ،
كائنين إلى ثمانية ، فهي (١) بعدها . وإذا ضربت ، في أربعة . كانت ثمانية .
وأما نسبة ذى الأضعاف . فعكس هذه النسبة كنسبة ستة عشر إلى
أربعة . فإنها ربعها ، وأربعة (٢) أضعافها .

وأما نسبة الأجزاء ، فهي كنسبة ستة إلى ثلاثة عشر ، فإنها (١٥٩)
ليست بجزئها ولا بعدها ، فجميع ما وقع من النسب اللحنية في نسبة الجزء ،
أو نسبة ذى الأضعاف ، كان ملائماً عذبا ، يقبله السمع ، وتحن له القوة .
الناطقة ، وتألفه الطباع ، وتتفاضل في العذب والأعذب ، ما وقع في هاتين
النسبتين .

فإنها البعد المسمى بالذى بالأربع ، وهو من نسبة الجزء ، وهو كل وثلاث
كل ، كالأربعة إلى الثلاثة ، فإنها فيها من الثلاثة كل وثلاث كل . وفيه نغم
كل ينتقل عليها اللحن ، ويتركب منها هذا البعد ، وهى طنينان وبقية ، وكان
الذى بالأربع جنسا لها ، والطين من نسبة الجزء ، وكل كل وثمان كل ، نسبة
ثمانية إلى تسعة ، ويسمى بعد الانفصال .

ويتلو الذى بالأربع ، بعد الذى بالخنس . وهو من نسبة الجزء . وهو كل
ونصف كل ، ونسبته (٣) نسبة اثنين إلى ثلاثة ، وإذا زيد على البعد الذى
بالأربع ، طنين (٤) كان منها البعد الذى بالخنس ، وهو له جنس أعلى ؛ ثم
إذا أضيف البعد الذى بالأربع ، إلى البعد الذى بالخنس ، كان من ذلك البعد
المسمى : بالذى بالكل ، وهو أعظم الأبعاد والجوع والاتفاقات اللحنية .
وهو من نسبة ذى الأضعاف . وهو نسبة كل ، ومثل كل ، كنسبة ستة

(٢) فى ظ : (ريم)

(٤) فى ظ : (طنين)

(١) أى الاثنين .

(٣) فى ظ : (والنسبة)

إلى اثني عشر ، ثم بعده . البعد المشتمل على الأبعاد كلها ، فبيدوه الطنين ،
ويسمى هذا المبدأ « المعروضة » وهو أثقل النغم ، وآخر جواب لها . أحدها
ونسبته (١) نسبة الجزء ، ثم يتلوه مبدأ الذي (٢) بالأربع ، ويسمى (٣) رئيسة
الرئيسات . ويتلوه نهاية الذي بالأربع ، ويضاف إليها الطنين . فيكون نهاية
الذي (٤) بالخمس ويسمى رئيسة الأوساط . ثم يضاف إلى ذلك بعد الذي
بالأربع ثانياً ، فيكون نهاية الذي بالكل الأول . ويسمى (٥) هذه النغمة :

الوسطى ، لأنها مفروضة بتوسط . فتكون نهاية الذي بالكل الأول ، ومبدأ
الذي بالكل الثاني ، ثم يجعلون هذه الوسطى ، مفروضة أولى عند اتحاد (٦)
الألحان ، وينسقون بعدها الأبعاد ، فتليها (٧) في منزل رئيسة الرئيسات ،
الحادات (٨) ، ثم حادة المفترقات ، ثم نهاية الحادات ، وبها يتم الذي
بالكل مرتين . فما زاد عليها في الإفراط ، أو على المفروضة الأولى في
التفريط ، تفارج عن مدركات السمع المستلذة في الجلسين ، إذ لكل
شيء مقدار يخصه ، وجميع ما وقع في هاتين النسبتين ملذوذ ، وكل اصطلاح
في الغناء وطبقاته ، بحسب البلاد والعباد ، فراجع إلى هذه الأجناس ،
وبحسب هذه المفروضات .

وأما نسبة الأجزاء فهي نسبة عدد إلى عدد ليس بجزئيه ولا بعده ،
كنسبة (ستة) (٩) إلى ثلاثة عشر ، وأربعة إلى أحد عشر ، وما أشبه ذلك .
ووجد كل ما وقع في نسبة الأجزاء ، تنافره القوة الناطقة ، وتشمز منه .
فظهر أن هذا التعشق سببه المناسبة في المملوذ الذي بين العددين (١٠) ، من التداخل

(١) في ظ : (ونسبته)

(٢) في ظ : (التي)

(٣) في ظ : (وتسمى)

(٤) في ظ : (التي)

(٥) في ظ : (وتسمى)

(٦) في ظ : (لإيجاد)

(٧) في ظ : (قلها)

(٨) في ظ : (رئيسات الحادات)

(٩) ساقطة من : ظ .

(١٠) في الأصل : (الذي من العددين) والترجيح من ظ .

والتناسب ، والاندراج في عالم النفس ، عالم الانتظام والإبداع والإيقان .
وأن النفرة سببها ضد ذلك ، من التباعد (١) وعدم التناسب ، حكمة من الله
قدرها ، وعادة في الوجود عودها لا إله إلا هو العزيز (٢) الحكيم .

وعلوا ما يقع من ذلك بين الأشخاص (بالعلل الفلكية القصوى ،
يزعمون أن أسباب المحبة بين الأشخاص ،) (٣) لمناسبات في المديرات ،
لكل محب (٥٩ ب) ومحجوب في العالم الأعلى ، الذي لا يتحرك في هذا العالم
ذرة إلا من أجله ، وذلك على وجهين إما من مناسبات مديرات للمحجوب
في مولده ، بأن يقتضى محبة الناس إياه ، من سهام الآباء والأجداد ،
والإخوة والأبناء ، والقرابة والأصدقاء . والعبيد ، أو من مناسبات (٤)
تقع بين مولدى كل واحد من المحب والمحجوب ، وتقع من وجوه أربعة :
النظر . والصميم . والمشاكلة أو الشبه . والنقل . والمديرات وهي خمسة
عشر ، صاحب النوبة . والهيلاج (٥) . ورب يته . وسهم السعادة . ورب
والسكتخده (٦) والطالع ورب . وأصحاب مثلثاته . وجزاء الاجتماع .
والاستقبال قبل الولادة ورب الجزاء . وسهم الحب ، والإلفة ورب .
وسهم الأصدقاء ورب .

فإذا اتفق أن يكون مديرات أحد الشخصين ، مناسبة لمديرات أحدهما ،
حصل الود والمحبة . ويكون اختلاف المحبة ، بالأشد والأضعف ،
باختلاف قوى المناسبات .

فالنظر ينقسم إلى ما يوجب المحبة التامة ، والمحبة الفائقة ، وهو نظر
التثليث ، وإلى ما يوجب نصف تلك المودة ، وهو التسديس ، وأيمن النظرين .

(٢) فى : ظ (العلم)
(٤) فى : ظ (أو من مناسبة)
(٦) فى : ظ (والكزخاه)

(١) فى : ظ . (من التسبيح)
(٣) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل
(٥) فى : ظ (والسلاح)

أقوى من أيسرهما ، واتصاله أقوى من غير اتصاله ، والضميم إما أن يكون في الحظوظ^(١) وهو أقوى أو لا يكون وهو أضعف . والمشاركة أو الشبه ، إما أن يكون في جملة الجوهر والدلالة ، وهو أقوى ، أو في بعضه وهو أضعف ، والنقل إما أن ينقل سعد ، ويكون الدليلان بعضهما في حظوظ بعض ، وهو أقوى . أو يكون الناقل سعد ، وهو دونه ، أو الناقل نحس ، وهو دونهما بكثير .

وأما المدرجات فأقواها صاحب النوبة ، ثم الهيلاج ، ثم ربه ، على التتالي . ومناسبات مدرجات الموالد^(٢) ، تدل على اختلاف مجال المحبات والمودة^(٣) . فودة الأجداد ، تعلم من ارتباط أدلة الجد ، وهي سهم الأجداد وره . وبهرامه^(٤) وصاحب بيته ، وصاحب البرج الرابع ، وشدة الحب وضعفه ، بحسب البعد في الأطراف من المناسبات الأربع ، وحب الأب ينظر بالنهار من الشمس ، وبالليل من زحل ، ومن البرج الرابع (وره ، وأصحابه مثلثات الدليل ومثلثات الرابع)^(٥) وسهم الأب وره ، فإن حصلت هذه الأسباب كانت المحبة شديدة . والأم ، وحب الأولاد ، وحب الإخوة ، ومحبة الأصدقاء ، كذلك . ينظر فيه مثل هذه الأمور ، التي تقتضيها صناعة (أحكام)^(٦) النجوم . وحب الزوجات والأزواج^(٧) ، ينظر من الزهرة . وصاحب السابع وسهم التزويج وره ، ومن الكواكب الحال في البرج السابع ، فإن اتفق النظر والصميم والمشاركة والشبه بين هذه الأدلة ، وأدلة الأخذ ، حصل الحب والعشق ، وبحسب قوته وضعفه توجد قوة الأمر وضعفه ، وكذلك الحكم في جميع المودات .

(٢) في : ظ (المولود)

(٤) في : ظ (وبهرام)

(١) في : ظ (الحظوظ)

(٣) في : ظ (الموداة) ولماها : المودات .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(٦) ساقطة من الأصل . وزيدت من : ظ

(٧) في : ظ (والزوج) .

وتضعف المحبة حيناً (وتقوى حيناً) (١) وذلك عندهم بحسب
الفرداريات (٢)، والسكتخداه (٣) والأوتاد الأربعة .

وتقريب ذلك مفصلاً في الولد . إن اتفق كون طالعه خامس أيه ،
وكان رب طالعه في تثليث رب طالع الآخر الأيمن ، ونير النوبة كذلك ،
وسهم الحب مثل (٤) طالع الولد ، واتفقت الأدلة . كانت أنهى المحبة
ونقصها ، بحسب ما نقص ، (١٦٠) .

وحب الزوجة بأن يكون طالعهما سابع الزوج ، والزهرة في سابعها ،
وطالعه بالعكس ، أر بنظر الطالعين نظر المودة ، ويستقصى (٥) ذلك .

وكذلك حب الإخوة والأقارب والملوك وسائر الناس . والمعتمد
عليه في ذلك عندهم ، أن تتفق المناسبة بين أدلة أحدهم ، وأدلة الآخر .
فبمقدار ذلك يكون الحب والمودة ، وربما كان ذلك بالسمع
من غير رؤية ولا لقاء ، حتى من يحب الخلوة والذكر والوحدة . يعلم ذلك
من كون سهم الحب والألفة ، في غير الصورة (٦) الإنسانية ، وبأن يكون
ربه زحل ، أو المشتري ، مع نظر زحل وعطارد . فيدل (ذلك) (٧) على
الهم والحسرة ، وكثرة الفكر في الأمور الباقية الدائمة . وإن كان رب العاش
متصلاً بالطالع (٨) دل على الأمور الإلهية ، أو كان المشتري في الثامن ،
وربه متصل به ، دل على الاجتهاد في أمور الآخرة ، ويعلم المحب (٩) من
المحبيب إذا أشكل ، بالاتصالات ، فإن المتصل بالآخر ، في النظر أو الصميم
أو النقل ، هو المحب والآخر المحبوب (وقد خرج بنا القول إلى ما لا حاجة

(١) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ .

(٢) في : ظ (الفرداريات .) (٣) في : ظ (والمسالخداي .)

(٤) في : ظ (بمثل) (٥) في : ظ (ويستقرى)

(٦) في : ظ (الصور) . (٧) ساقطة من : ظ

(٨) في : ظ (فالطالع) . (٩) في : ظ (الحب) .

لنا به . وتحجبنا بما لا فائدة في علمه ، ولا ضرر في هذه الأمور بجهله ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لكن لما كان الوقت خالياً عن يقوم على هاتين
الصناعتين ، نبهنا على أننا من له ماسة وتطفل في هذه الأغراض ، والله
يسترنا بستره ^(١) وهذه أمور ظنية ، وقياس غائب على شاهد ، ولو كان
للعقل مجال في استقصاء أسباب المناسبة ، لوجد ذلك الخفى بسرٍ مربوط ،
ومسياً عن حكمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواح أجناد
مجندة ، فيما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ، وما ينقل عن
محمد بن أبي زيد رحمه الله :

أعجب شيء رأيته حينى هذا الذى ^(٢) تدعى القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم وما لها عندها ذنوب
وتصطفى أنفس نفوسا وما لها عندها وجوب
ما ذاك إلا لمضمرات يعلمها الشاهد الرقيب

ويرجع ذلك كله إلى التلاؤم والتضاد ، إذ لا تقع نفرة إلا عن تضاد
فى تخلق وتخلق ومزاج ، وروح ومتابعة ، وهذا الفصل كله كتابنا فى غنى
عنه ^(٣) والحمد لله (وحده) ^(٤) .

خاتمة هذا القسم :

قال مؤلفه رحمه الله ^(٥) : اختلف الناس : هل المحبة جنس واحد ،
يشمل محبة المحدث للمحدث ، ومحبة القديم للمحدث ، ومحبة المحدث
للقديم ، ومحبة القديم للقديم . وسبب الاختلاف ملاحظة علل المحبات .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(٢) فى الأصل (يدعى القلوب)

(٣) فى : ظ ، س (منه غنى)

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) فى : ظ س (قال المؤلف رضى الله عنه) .

إذ محبة المحدث تقررت علانها وبواعثها ، من نوال وجمال ، ومناسبة وعمازجة ، وكأها لا تخلو من ميل أكيد ، وانجذاب من الطبع ، وجنوح إلى نيل كمال ، وإحراز لذة أو (قنية) ^(١) أو اتحاد .

ومحبة القديم للمحدث ، لا توصف بكل ذلك حقيقة . فمن رأى بعين الجمع ^(٢) بحسب دعواهم ، أطلق لفظ الإرادة ، وجعله جلسا ، ورأى المريد والمراد بمعنى واحد ، وجعل محبة المحدث للمحدث محبة فرع لفرع شم عليه رائحة الوصل .

ومحبة المحدث للقديم محبة فرع لأصل ، وحزين جزء لكل ، ومحبة القديم للمحدث ، محبة مؤثر لأثر ، وصانع بصنعة . فإنما أحب صنيعته وأثره وذاته ، (٦٠ ب) وفي ذلك حكاية تدرأ عنها أحد رائحة خمر الإنكار ، وهي شبهة تفاح الطرف ، وهي أن مزيّن زين صاحب وجه حسن ، ولما فرغ منه قبله ، واستعدى عليه ، فأقسم أنه ما ارتكب نكرا ، ولا قبل إلا صنيعته . ونستغفر الله . (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، قال الشاعر :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والمصباح) ^(٣)

ومحبة القديم للقديم ، ثناؤه على نفسه في علم عينه ، وإطلاق هويته . أنت كما أثبتت على نفسك ، والثناء ثمرة المحبة ، واستحسان خلق أو صفة .

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) الرؤية بعين الجمع ، إرجاع جميع المظاهر السكونية إلى أصلها ، من الأسماء والصفات الإلهية ، ثم إرجاع الأسماء والصفات الإلهية ، إلى الاسم الجامع « الله » ورؤية جميع الظاهر نابعة من أصلها ، ثم نسيانها وعدم اعتبارها وجودا ، من حيث أن وجودها مستعار ، وليس أصيلا ، ومن ثم يقولون : لا موجود إلا الله ، أى لا موجود أصالة إلا الله .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، س .

ومن كان الله لسانه الذي يحمده ، كان الحمد والحمد والمحمود منه واحداً ، على ما أخبر به إمام العارفين ، صلوات الله وسلامه عليه (١) .

وقال بعضهم : ثناء الذات على نفسها ، هو مواجهة الذات للذات ، وهذه المواجهة ، هي رؤية الذات بالذات في الذات . هو سبحانه يرى ذاته بذاته في مرآة هي ذاته ، فهي الناظرة والمنظورة ، ومن استصعب إطلاق الميل على كل محبة ، جعل متعلقاتها متعددة ، وكأنها حسبها من الألفاظ المشتركة ، التي لا يعمها حد واحد ، فخص محبة المخلوق للمخلوق ، بميل يحمده في نفسه إليه ، وانجذاب بطبعه ، وشوق إلى الاتحاد به ، والالتذاذ والتكلم به . يحمدها بميل ذات إلى مثلها ، لاستفادة كمال حسي أو معنوي . وحدّ الأطباء العشق بدوام الفكر في استحسان بعض الصور والشئائل .

وخص محبة المخلوق للخالق ، والمحدث للقديم ، بحال تنزل بالقلوب المستبصرة ، فتفرغ أشغالها إلى المحبوب الحق . وتقهرها عليه ، وتولعها بالقرب منه ، والتخاق به ، من غير ميل من قلبه إليه (٢) ، كما قيل في المخلوق ، لأن ميل القاب لا يكون إلا بمجانسة ، ومن استولى عليه خيالاً وفكراً واستيعاباً وتحصيلاً . والله لا جنس له ولا ميل ، ولا يدركه ويستوعبه ويحيط به شيء ، ولا يعرفه إلا هو سبحانه .

وخص محبة الخالق للمخلوق ، بإرادته بنعيمه ، وتنزيهه ، والخير له وتقريبه إليه ، فتكون المحبة هنا راجعة إلى جناسها ، وهي الإرادة وحدها

(١) إشارة إلى ما جاء في الحديث الشريف « سبحانه . لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

(٢) ليس هناك ميل من القلب ، ولكن هناك استغراق القلب بالحب الإلهي حتى لا يملك ميلاً ولا حركة ، إلى ذات المحبوب . بل يكون ميل القلب ، لإرادات الرب . وأن يبدأ الحب في الأمور كلها بأمره ، قبل أمر نفسه (كتاب الصدق . لأبي سعيد الخراساني . تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود) .

بتفسير الله (طلب محبته ، وتوفيقه لهدايته ، فتكون محبة الله)^(١) لعبده ، راجعة إلى الإرادة ، وهي صفة من صفات الله ، وقيل مدحه إياه . وثناؤه عليه ، فتكون راجعة إلى كلامه القديم ، وهو أيضا صفة من صفاته .

والرابع^(٢) ما يختص به من قبيل مالا يتكلم به ، وإن تكلم باعتبار جمع الجمع ، إذا استغرق الحوادث عين القدم ، وإليه الإشارة بقوله : لا يعرف الله إلا الله . فهذا ما يعطيه الكلام في حدود المحبة ورسومها وتعريفاتها ، والإحاطة لله سبحانه (لا إله إلا هو)^(٣) .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
(٢) أى محبة القديم للقديم .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

القسم الثالث

في أن كل محبوب ، إنما هو لكل محب ذاته ، من غير زائد عليها
وأن كل مفترق ، فراجع بالضرورة إليها^(١) .

يا منفدا ماء الجفو ن وكنت أنفقه عليه
إن لم تكن عيني فأنه مت أعز من نظرت إليه

قال المؤلف رحمه الله^(٢) (١٦١) : من المعلوم المتقرر ، أن النفس إنما
تحب الملازم على الجملة . وهو معنى الخير . وتكره المنافر . وهو معنى الشر .
ولا خير كالوجود ، ولا شر كالعدم ؛ فالوجود أو ما كان سببا في الوجود ،
أو في كمال الوجود . وما جر إلى شيء منه محبوب ، والعدم وما جر إليه
مكروه . فالنفس إنما تحب وجودها بالذات ، وجميع ما انصرف إليه .
حيثما من مال ، أو ولد أو صحة ، أو مفيد مال . أو جاه أو علم ،
أو صديق ، إنما هو حبا لذاتها خاصة .

فالمال تراه مفيد بقائها ، وصورة حياتها . للاقتنيات ومصالح العيش ،
والولد تنوسم^(٣) به البقاء لها بالنوع . والصديق يتخيل إعانتة إياها على
البقاء ، والصحة كذلك . وجميع ما يرجع إلى القوى كلها ، من العلوم
والكمالات ، إما ليحصل لها به البقاء ، أو كمال البقاء . وعلاقتها^(٤) المسبية
عن الشهوات ، إن كانت طبيعته^(٥) . فهي راجعة إلى كمال الوجود ، وإبقاء
النوع ، أو منحرفة ، فهي متلبسة بالطبيعة ، ومن أغاليط الطبيعة ، ومتعلقة
بالطبيعة ، وبالجملة^(٦) ، من التماس الكمالات .

(١) أي راجع إلى الذات .

(٢) في : ظ ، س . (رضي الله عنه) . (٣) في الأصل ، س . (تنوسم) .

(٤) في : ظ (وعاقبتها للسبب) . وفي : س . (وعلاقتها للسبب) تحريف .

(٥) في : ظ طبيعة . (٦) في الأصل ، ظ (وبالحكمة) .

فإذا النفس ما أحبت إلا ذاتها ، إذ لم تجد شيئاً تحبه إلا
معدوماً ، فأحبت ذاتها ، وأحبت الأشياء المحبوبة لأجل ذاتها . فذاتها
المحب (١) ، وذاتها المحبوب ، على ما ظهر ، قال الشاعر :

لا شكر لي إن كنت قد أحبيتكم أو أني استولى على هواكم
طوعاً وكرهاً ما ترون فإنني طفت البلاد (٢) فما وجدت سواكم

ونزيد هذا الفصل بسطاً ، فانه لب هذا الباب ، ولباب هذا الكتاب ،
وعليه فليكن تحوين (٣) أولى الألباب . فنقول :

المحبوب الأول عند كل حي (٤) نفسه ، التي بها أحب ، ومن أجلها
أحب ، ومن جرائها أنس بالملائم ، ونفر عن المنافر ؛ ومعنى حبه لنفسه ،
إيثار الوجود على العدم . وهي سر كراهة الموت ، وحب الحياة ، وعلى كل
حال . فبقاء الوجود محبوب ، وكمال الوجود محبوب ، وهو أمر زائد
على بقائه . وكل ما نقص من كمال الوجود ، عدم على قدره ، والعدم
مكروه ، فالنفس تفر إلى طلب الكمال . فراراً من الإحساس بالعدم .
فوجود صفات الكمال لها بالطبع محبوب .

فإذا المحبوب الأول لكل حي نفسه . ثم سلامة أعضائه . ثم ماله
وولده . وعشيرته وأصدقاؤه . وأنواع المحبوبين من الناس . فأعضاؤه
محبوبة ، لأن كمال وجوده متوقف عليها ، والمال محبوب ، لأنه سبب
في (٥) دوام الوجود . وكماله من المطاعم والملابس ، والزيد في الأفضل من
الأحوال ، واستقامة العيش ، بحسب الإرادة ، والولد للارتفاع (٦) به (٦)

(٢) في : ظ ، س (الوجود)

(١) في : ظ ، س (الحب)

(٣) في : ظ (تحوم أولى الألباب) . وفي : س (تجوهر أولى الألباب)

(٥) في : ظ : لأنه من دوام الوجود

(٤) في : ظ ، س : عند كل شيء .

(٦) ساقطة من : ظ ، س .

في أسباب المعاش ، ثم لما تتخيله النفس من البقاء بالنوع ، وإن لم يكن البقاء الحق .

وحب الأصدقاء والأقارب وغيرهم ، حب السكال ، فإنه يرى (من) (١) نفسه بهم كثير (٢) ، وحب المحسن لأجل إحسانه ، راجع لحب المال ، فإن المحسن إذا أمده بالمال أو الجاه (٣) ، أعانه على كمال وجوده ، فحب الملوك والسادة والمنعمين ، والأجواد والكرماء ، من هذا الباب . ومنه حب الهداة والمتعلمين ، والعلماء والمشايخ والفضلاء ، فإنه إحسان روحاني ، يكمل النفس ، ويفيدها معاني تقدر بها على (٦١ ب) اجتلاب ما يحفظ الوجود ويكمله (٤) وينتج (٥) السعادة والخير ، فإذا نحب محبوب الحى نفسه ، وحب كل شيء مندرج في حب نفسه ، فنفسه (٦) المحب والمحبوب .

وأما حب المناسبة ، وهو حب الحى لما (٧) يناسبه ، فراجع إلى مناسبة جليلة ، ومناسبة خفية ، فالجلى ، كحب العالم للعالم ، والجاهل للجاهل ، والصانع للصانع ، والزنجى للزنجى ، ويرجع إلى حب الشيء نفسه ، فإنه إنما أحب شبه الحبيب إليه ، وهو نفسه ، لتخيله (٨) إياها ، والتباس الشيء بما في بعض الأعراض (٩) والأوصاف ، ومنه حب الجمال ، (والتعجب للجمال) (١٠) الظاهر على صفحات الأشياء ، فلم يوجب الاستحسان إلا مناسبة الجمال المتعجب للجمال المتعجب منه خاصة ، حتى أن تلك الصفحات التي هي مظاهر الجمال ، إذا فارقت ، لم يبق للجمال المتعجب أرب

(١) ساقطة من : ظ ، س . (٢) في : ط ، س . (كبرا)

(٣) في : ظ ، س (بالجاه أو المال) .

(٤) في : ظ (اختلاف ما يحيط الوجود ويكمله) تحريف .

(٥) في : ظ (ويفتح) . (٦) في : ظ ، س (ونفسه)

(٧) في : ظ ، س (لمن يناسبه) . (٨) في : ظ (لتجليه) .

(٩) في الأصل (بعض الأعراض) .

(١٠) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س

يل : ناقراً لها لذهاب نسبته (١) ، كالحال في النبات ، إذا ذبل والحى
إذا مات .

وإذا تقرر حب الجمال المجرد عن الأعراض ، فهو أفضل أنواع المحبة
وهو حب الشيء لذاته ، أى لجماله المجرد ، قال الشاعر :

إني أحبك حباً ليس يبلغه فهمى ولا يتهى وهمى إلى صفته
أقصى نهاية على فيه معرفتى بالعجز منى عن إدراك معرفته

والخفي لا يُعرف . فزعم قوم ، أنه أثر من آثار النجوم كما تقدم ،
وبالجملة فهو مما يعلم أن له سبباً ، لكن لم تتصل العقول به . ويحكى أن
سليمان عليه السلام ، أنكر وجود حمامة تلازم غراباً ، وعجب من بعد
النسبة بينهما ، فلما تحركتا ، رأى الغراب أخرج ، والحمامة عرجاء ، فقال :
علينا من أين وقعت المناسبة .

(١) فى : ظ . س . (نسيه) .

القسم الرابع

في أن المولى هو بالحب الأولي^(١)

قال المؤلف رحمه الله^(٢) : فإذا أقسام الحب راجعة في الإنسان إلى وجود نفسه وإكاله وبقائه ، وحب من أحسن إليه ، ويرجع إلى ذلك من باب أولى ، من أفاده وجوده^(٣) ، وحب من كان في نفسه محسنا ، وإن لم يحسن إليه ، بل لكونه مظنة للإحسان إليه ، وتعلق أمله به ، وهو يرجع لما قبله . وحب من كان حسنا جميلا في ذاته ، سواء كان من الصور الباطنة كالمعان والصفات ، أو من الصور الظاهرة ، كأشخاص الإنسان والحيوان ، وحب من بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن .

فلو قدر اجتماع هذه الأمور في موجود واحد ، بأن يكون قوام نفس المحب ، وميسر آرائه ، وخالق آلات كاله ، وأعضاء إدراكه ، ثم إمداده بحياته ، وإعطاء وجوده ، وترجيح ذلك على عدمه ، وتقدير بقاءه ، ثم الإحسان إليه ، بحيث لا يعرف إحسانا من مطعوم أو مشروب أو غيرهما إلا منه ، وأن يكون كل جمال وإن تعدد وتناهى ، وبهر العقول ، لمحمة من لمحات جماله^(٤) فلا شيء أبهى ، ولا أجمل ولا أكل ولا أعلى منه ، وأنه قد باين النقص فلا يناله ، واستحق السكال فلا ينافع فيه ، وأن وصله والقرب منه إذا حصل وتمكن الالتذاذ به مناسب لكاله ، قرب لا يغيره بعد ، وصفاء لا يشوبه كدر ، وخلودا لا يوهنه زمان ، قد ترفع عن الأغيار والأضرار ، والخواطر والملال والسآمة ، لا إله إلا الله^(٥) .

(١٦٢) يا ماذا خسر المبطلون إما أشأم من أضاع حظه من هذا الجمال الفياض ، والكمال المحض ، والوجود المطلق !

(١) في الأصل (هو بالحب أولى) .

(٢) في : ظ ، س ، (رضى الله عنه) (٣) في : ظ (ودوام وجوده) .

(٤) في الأصل و س : فلهجة من لمحات جماله . ولا داعي للفناء في خبر يكون ، وقد

أثبتنا الأصح . (٥) في : ظ (لا إله إلا هو) .

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
وقال آخر :

أرض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه
لو لم ينله من العذاب سوى بعدك عنه لكان يكفيه

أليس من تعين جامعاً لأشرف معاني الحب ، وأسباب الكلف والهيام ،
يجب له غاية الحب والاستهلاك ؟ ، وأن تكون قوة الحب له (بعد تحقق
جلال كماله) (١) بحسب هذه الخلال (٢) والأوصاف في أنفسها ؟ فإنها
إذا كانت في أعلى الدرجات (من السكمال ، كان الحب لا محالة في أعلا
الدرجات) (٣) .

فإن أحببت النفس جواداً لجوده ، فأين جوده من جود الله ؟ ، وإن
أحبت منعماً لنعمته فأين نعمته من نعمة الله ؟ ، وإذا أحببت جميلاً لرأته
جماله ، وباهر كماله ، فالله جميل يحب الجمال ، ولا جمال إلا من نور الله .
وإذا أحببت نبياً أو هادياً لحكمته وطهارته وحميد خلقه ، ومعرفته
بالله ، فأين هذا كله من صفات الله ؟ فالله عز وجل ، قد جمع أشتات
المحامد والمحبات ، لا إله إلا هو .

فصل

وبما هو معهود من أخلاق (٤) النفوس ، وسجايا الذوات ، المذكورة
في فطرها السليمة ، الجنوح إلى السكمال ، والحرص على الفضائل المؤدية

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س . (٢) في الأصل (هذا الخلال) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س . (٤) في : ظ (اختلاق) ، تخريف .

إليه ، (و) أنها متى اشتاقت إلى الانصاف بالعلم ، أو التجوهر^(١) بالصنائع ،
وتعرفت أن قائماً على ما تخطبه من ذلك ببغداد مثلاً ، قد وقف على بعض
آثاره الغريبة ، وموضوعاته البديعة ، (فـ) بأن الشوق^(٢) لا بد أن يحركها
إليه ، ويهزها إلى لقاءه ، والاستفادة منه ، ويسهل عليها الرحلة البعيدة ،
وهجر البلاد ، ومفارقة المنشأ والأتراب ، ومجال المتعشقات ، وخوض
البحار ، وجنوب القفار^(٣) والأخطار ، والاستهداف للأمراض ، ومكابدة
البرد والسموم ، ومعرفة البقع الويثة ، إلى أن تفوز^(٤) بمطلوبها ، من كمال
يصاحبها مصاحبة منقطعة غير دائمة ، محدودة بأمد الحياة^(٥) ، وربما
عاقها عن كمال أعظم ، ومنال^(٦) أشرف ، لا نسبة^(٧) بينه وبين ما عاق
عنه ، وإن كان شريفاً .

فكيف لا يقع الشوق والحنين ، من النفوس الصافية الزكية ، إلى العالم
الإلهي ، الذي كل كمال وجمال ، ونور وإدراك ، وإشراق وبهجة ، ولذة
باقية خالدة هو معناه ، ومنه استفيد ، ومن تلقائه^(٨) قبلته ذات كل
شيء ، إلى أن يبلغ القرب منه . والاتصال به ، فينسى الوصف المشاهدة
ويرى على الخبر الخبر .

كانت مساءلة الركبان مخبرني عنكم قبيل التداني طيب الخبر^(٩)
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

(١) في : ظ (أو الجوهر) . خطأ

(٢) في : س (وموضوعاته البديعة إلى الشوق) ، تحريف .

(٣) في : ظ (القفار) . (٤) في : ظ (إلى أن يفوز) ، تصحيف

(٥) في : س (محدود بأمد الحياة) . (٦) في : ظ (ومنال) .

(٧) في : ظ (ولا نسبة) . (٨) في : (من تلقائه) .

(٩) في : ظ ، س (عن فضلكم وعلاكم أطيب الخبر)

وقال الآخر :

من زار ربك لم تبرح جوارحه تروى لطائف ما أوليت من من
فالعين عن قرّة (١) والكف عن صلة والقلب عن جابر والأذن عن حسن
اللهم هب لنا الكمال المحض ، باستغراق ذواتنا في نور ذاتك ، ووفقنا
للاتصاف بصفاتك .

(١) في ظ (عن قوة) وفي البيت توريات

القسم الخامس

في بيان الجدوى^(١) في معرفة الله [٦٢ ب] عاجلا وآجلا :

قال المؤلف رحمه الله : قد تقرر في العقول ، مما لا شك فيه أن الحياة — وهي مدة اشتغال النفس بتدبير البدن — أمد معلوم ، وحد محدود ، والأيام تنقصة^(٢) شيئاً فشيئاً ، والزمان يتحيفه جزءاً بجزءاً :

من لم يمت غبطة يمت هرماً الموت كأس والمرء ذائقه

وحال الحياة في هذه البرهة ، وهي زبرج^(٣) الدنيا كما تقرر محبوب ، والنفس به شديدة العلاقة ، لا تعرف غيره ، ولا تألف سواه ، ولا يستقيم ملكها إلا به . ولا ينتزع إلا كما قال :

وبفك اليدين عنها تخلى

وبقدر العلاقة المرسومة^(٤) به تكون الحسرة عند فراقه ، والأسف عليه بين يدي انتزاعه واستلابه ، وعظم السكرات والزفرات لترك صحبته وفقد ألفتة ، وبقدر ما يخفف من الكلف به ، والرغبة عن صحبته ، تخفف الآلام ، ويسهل الفراق ، وتنخفض الحسرة .

ولا يقطع من القلب إلا بمزاحم يزعجه ، وغير يخلفه ، فإذا ارتسم في النفس عوضاً منه حب الحبيب الحق الباقي ، والأنس به ، والاشتياق إلى لقائه ، فهناك لا شك تنقلب الحسرة سروراً ، والالم يتخيل القرب منه لذة . وما ظنك بمحب قد استشعر النعيم بقاء محبوبه ، من بعد طول شوقه ، والتمكن من مشاهدته أبد الآباد من غير ملل ولا كدر ، ولا رقيب ولا مزاحم ، ولا خوف انقطاع .

(١) في : ظ (الحدود) .
(٢) في : ظ (الملقطة) .
(٣) في : ظ ، س (وردح) .
(٤) في : ظ ؛ س (المشثومة) .

وبحسب تمكن المحبة ، وقوة السكف بالمحبيب ، والشغل به عن غيره تكون اللذة بقربه ، والابتهاج بالقدوم عليه ، ولا شك أن هذه سعادة عاجلة ، يستدفع بها [كل] ^(١) مكروه مظنون ^(٢) . ويستسهل [كل] موقف صعب . ولو أن طيباً انتصب لتخفيض سكرات الموت ، أو كان عنده دواء لصعوبة الحمام ، لم ييخل عليه [طالبه] بذهب ولا ورق ^(٣) ، ولا مال ولا نسب ^(٤) . فهذه سعادة عاجلة لاخفاء في قدرها ، وأين الزهد من المعرفة ، وأين المعرفة من تمام النظر . والزهاد مع هذا يقول أحدهم : « لو علم الملوك ما نحن فيه ، لقاتلونا عليه بالسيوف » ، و [العارف يقول] : « من عرف ما أخذ هان عليه ما ترك » .

وأما الآجل فقد تقرر أيضاً أن أسعد الخلق يوم القيامة ، وأغبطهم في الدار الآخرة ، أقوام حبا لله ، إذ الآخرة معناها القدوم على الله ، وبقدر حبه تكون درجاته في النعيم ، « وللآخرة أكبر درجات ، وأكبر تفضيلاً » .

أما باعتبار الوسائل والأعمال ، أو الرياضات المقربة إلى الله ، فالرياضات من لوازم المعرفة ، والمعرفة من ملازمات المحبة ، والمحبة سبب القرب ، والقرب سبب النعيم المقيم .

وأما من حيث التحقيق فقال أرباب الإشارات : إن الله عز وجل يقول وقوله الحق : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر من خلق » . فقد بان أن الذي جنى عليهم العذاب إنما كان فرقهم وشركهم ، وهو الذي يرتفع جملة عند تنهاى المحبة . وشاهده الحديث الذي عليه مدار هذا التأليف : « فإذا أحببته كنت سمعه وبصره » .

(٢) في : س (مكررة مضمون)

(٤) في : ظ (ولا نسب)

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) الورق : الفضة .

والله ما أحبيت غيرك منعما (١٦٣)
أَلَيْتَ بَرٌّ لَا يَخَافُ فَيَسْتَنِي
وان لم تكن عندي كسمعى وناظرى
فلا نظرت عيني ولا سمعت أذنى

خاتمة :

وتفاوت الناس في المحبة - مع أن المؤمنين يجمعهم القدر المشترك من محبة الله (بحسب) تفاوتهم في معرفة الله ، على معنى المعرفة ، فإنه إن جهلت الأولى لم تحصل المحبة ، وإن جهلت الثانية لم تم المعرفة .

وتفاوتهم في المعرفة بحسب الشواغل عن الله ، وتفاوتهم في الشواغل عن الله بحسب تفاوتهم في حب الدنيا ، إذ النفوس مفضولة على معرفة الله ، صالحة لا كتسابها : « وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » . إلا أنها لما اغتبطت بصحبة الأجسام ، وطالت مؤانقتها إياها ، وغلب عليها سلطان الحس ، فنازع (الحس) العقل وحجبه ، حتى أن كثيراً منها لا تعقل أن وراء هذه الأجسام لذة ، فلا شوق لها إلى عالم غير عالم الأجسام ، ولا تشعر أن لها عالماً آخر و (لكنها) لم تعرفه .

فلذلك رأى الهداة من أنبياء الله وأوليائه ، أن صرفها عن هذه الجنبية التي ولعت بها لا يتأتى إلا بإحداث عشق عنيف ، هو أشد من عشقها (للبحسوس) ، إلى معشوق (هو) (١) أتم وأكمل لذة عند من ذاق معرفته ، من لذات المحسوسات ليصرفها (بذلك) (٢) عن عشق لذات الحس ، التي صلتها ، وحجبتها عن سعادتها .
فمن الناس من ليس له (٣) من الله إلا ذكره بلسانه (٤) متى اتفق ، وهو

(٢) ساقطة من : ظ

(٤) في : س (تذكره بلسانه)

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) في : س : (فمنهم من ليس له) .

معدود من سبع بحمد الله من أجزاء العالم الخسيسة ، إلا أنه (مثاب) (١)
معاقب سيء العقبي .

ومنهم من ليس له من الله إلا صفاته وأسمائه ، تلقوها عن غير علم (٢)
بحقيقتها ، وآمنوا بها ، وقرنوا ذلك بإيمانهم تصديقاً ، من غير تخيل معنى
لا يليق بها ، وهم أصحاب اليمين .

ومنهم من تخيل لها معنى لا يليق بها ، وهم الضالون الذين يحشرون
مع ماتوهموه .

ومنهم الذين تلقوها ، وعرفوا حقيقتها ، وهم المقربون . قال الله سبحانه
(وتعالى) (٣) : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . وأما
إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من
المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم » .

(١) ساقطة من الأصل : وزيدت من : ظ . يعني أنه مثاب على ذكر اللسان ، معاقب على
غفلته عن مراقبة الله بقلبه .

(٢) في : ظ ، س : من غير علم . (٣) ساقطة من : ظ ، س .

القسم السادس

في لزوم المحبة (للمقامات) (١) واختصاصها بتلك الكرامات :

قال المؤلف رحمه الله (٢) : اتفق أرباب هذا الفن ، المفتوح لهم (٣) .
باب الله إليه أو به أو بعده ، أو كيفما شئت .

ستكفيك من ذاك المسمى إشارة ودعه بمصونا بالجمال محجبا
أشرنا بوصف واحد من صفاته تكن مثل من سمى وكفى ولقباً

(اتفقوا) على أن المحبة أصل وعنصر ، وباب جامع لجميع مقامات (٤)
الصوفية ، والأحوال الذرقية ، وأن المقامات مندرجة فيها . وقال (٥)
أبو القاسم بن خالصون ، رحمه الله : « كل مقام من المقامات ، إما أن يكون (٦)
متقدما (عليها) (٧) كالتوطئة ، أو متأخراً كالفرع ، وأن جميع المقامات
مطلوبة من أجلها ، وهي مطلوبة لذاتها . ونحن نلعب بشيء من ذلك ،
مستعينين بمن للإعانة إلا منه .

أما التوبة : فقد جعلناها (٨) من أسباب المحبة ، (٦٣ ب) ومقدماتها ،
وهي علة (٩) في وجود المحبة والمحبة ، بقوله تعالى : « إن الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين » . وهي بمنزلة الاغتسال (١٠) لتلقي الشهادتين عند
المستفتح باب التوحيد ، وتوبة الخواص تطهير السر عما سوى الله ،
ولزوم المحبة لهذا المقام ، وسريان عروقها فيه سابقة ولاحقة لا تخفى .

(١) ساقطة من الأصل
(٢) في : الأصل (المفتوح بهم) .
(٣) في : ظ (وقالوا) تحريف .
(٤) ساقطة من : س
(٥) في الأصل (فإما أن يكون)
(٦) في : ظ (جعلها) .
(٧) في الأصل (غاية في وجود) .
(٨) في : س ، ظ (رضى الله عنه)
(٩) في : ظ ، س (المقامات الصوفية)
(١٠) في : الأصل (فإما أن يكون)
(١١) في : ظ (جعلها) .
(١٢) في : ظ ، اعتسال .

وأما الخوف فهو السوط الذى يسوق منتبذ (١) الركب ، إلى مناخ التوبة (قبل أن تهلكه المفازة) (٢) ، قال الله سبحانه : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وعلاقته بالمحبة غير خافية ، فإن كان سببه تذكر تقصير كان ندما ، أو تألما لقوات محبوب فى الماضى ، أو نزول مرهوب فى الآتى ، تمحض خوفا ، وهو مقام من قسم أضغاث الزمان ، وحالاه عند المحققين عد مان .

وينقلب فى حق المستغرق فى المشاهدة هية ، وهى مسببة عن تعظيم المحبوب ، ودائمة بدوامه .

وأما الزهد فمقام بدايته قاصرة ، ونهايته لا تدركها مقالة ناظرة (٣) ، ولا تنحصر فضلها ففكرة حاصرة (٤) ، فهو مدرج العموم ، ومصرح الهموم ثم مرقى الخصوص إلى المقام المعلوم ، وحقيقته : الخروج عما سوى المحبوب . فان كان مع قدرة عليه ، فهو زهد وإن لم تكن قدرة فهو فقر (٥) ، وحظ الخواص منه الزهد ، حتى فى الزهد . قال الشاعر :

(١) فى الأصل : مستبق الركب . (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . وزيد من : ظ . (٣) فى : ظ ، س باصرة . (٤) فى : ظ حاضرة .

(٥) ما دام الحديث عن مقامات الصوفية ، فلم يوفق ابن المطيب هنا ، لأن الفقر هو غاية الزهد . بمعنى تجريد القصد لله دون غيره ، وهو مقام شريف من مقامات الصوفية ، ولعل ابن المطيب أراد من الفقر معناه اللغوى المتعارف .

وقد اختلف الصوفية فى تحديد المراد من الزهد . فقال بعضهم : هو الخروج عن هوى النفس ، وأخذ البلغة من الطعام والشراب وضروريات الحياة . وقال سفيان الثورى ، ووكيع ابن الجراح ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم : إن الزهد فى الدنيا قصر الآمال ، فن قصر أملة ، لم ينعم ، وكانت النقلة منه بعيدة . وقالت طائفة : الزاهد فى الدنيا هو الراغب فى الآخرة . وقال بعضهم : الزهد خروج قيمة الأشياء من القلب .

ويرى البدلاء : أن الزاهد الحق هو الذى تتوى عنده الحجارة والذهب . [انظر كتاب الصديق لأبى سعيد الخراز ٤٦ وما بعدها] ويرى سعيد بن المسيب رضى الله عنه : أنه لا خير فيمن لا يجمع من الدنيا ما يصون به دينه وجسمه ، ويصل به رحمه . وعلى هذا =

٤١١

وقالت ألم أخبر بأنك زاهد فقلت نعم مازلت أزهد في الزهد
ومن ترك شيئاً ثم رأى أنه تركه ، فقد بقى له الالتفات إليه .
يوم أزمعت عنك قصد البعاد وعدتني عن الوداع (١) العوادى .
قال صحبى وقد أطلت التفانى أى شيء تركت قلت فؤادى
وقال الآخر :

لغفت رأسى بأسمالى وقد ظنوا كما أعود نفسى عادة اليأس
يعنى لم أنظر الى طريقهم حتى لا أعلم أين ذهبوا . والمحبة في هذا
المقام متلجلجة (٢) جداً .

أما مقام الصبر فقالوا فيه : حبس النفس على البلوى ، وعقل اللسان .
عن الشكوى ، لما يثق به من حسن العقبي . وهو من لوازم المحبة ، وهو
لجام الشوق الذى يكبح عند الطموح ، ويكسر سورة الجوح ، وهو فى حق
الخواص : التلذذ ببلاء المحبوب ، واستعذاب العذاب عند استغراق
أسرار القلوب ، فى هوى المطلوب ، لمشاهدة المسبب فى الأسباب ،
ورؤية المعذب فى العذاب (٣) ، فهو أيضاً مظهر للمحبة عال (٤) ، ومختص
بها من غير زوال .

== أيضا عبد الله بن المبارك . ويرى وكيع بن الجراح أن الزهد لا يكون إلا فى الحلال ،
والحلال مفقود ، فكانت الدنيا بمنزلة الميتة شرعا ، ويجرى عليها أحكام الميتة . ويرى الفضيل .
ابن عياض رضى الله عنه : وغيره ، أن الزهد لا يكون فى الماديات فحسب ، بل فى المعنويات
الرياسة والتصدر وغير ذلك (الطبقات الكبرى للشعراني) .

(١) فى : س (عس البعاد) .

(٢) الزاهد على الحقيقة لا تلجلج المحبة فى حقه ، وإنما يحدث ذلك فى الزاهد فى شيء
دون شيء ، فهو ممن خلط ويرجى له القبول . والمحبة متأكدة فى حق الزاهد . لأنه وافق
محبة الله . وكره مكارهه ، وذلك من علامات المحبة . ولا تتحقق المحبة فى حق من زهد فى
شيء ونظر إلى زهده فيه .

(٣) والصدق فى الصبر ألا يحس الصابر ضعفاً فى صدره ، ولا يشكو إلى الخلق . وقد تفرغ
الله الإيمان عن يمد الحرج فى صدره من القضاء « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

(٤) فى : ظ « عال » .

وأما الشكر : فهو السرور بالنعم ، وحسن استعمالها ، والثناء على منيل نوالها . وحظ^(١) الخواص منه رؤية المنعم ، والاعتراف بالعجز عن حق المحبوب ، وألا يشتغل عن الواهب بالموهوب ، إذ الشكر نعمة تستدعي شكراً . قال صلى الله عليه وسلم لما أبهظته سلسلة الشكر : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

يامن تغنى فهو في سوق المني بنفاق شيء همه وكساد
رد الأمور إلى وكيل عالم وتغن نوم العين فوق ونساد

وهذا المقام يتأكد فيه وجود المحبة ، إذ الشكر ثمرة الإحسان ، والمحبة أيضاً [١٦٤] كذلك ، فكأنه قدر مشترك لهما ، فهما فيه رضيعاً لبان ، وفرسارهان .

وأما التوكل : وهو إلقاء أزمة المحب بيد المحبوب ، وإعلاق ثقته به . وعند خواص المحبين ، فيه بقية شائبة ، وهيبة غائبة^(٢) ، ولذلك لم يعلقوا نفوسهم بشيء ، إلا بذات المحبوب الحق . ولما علم منهم صدق التفويض إليه ، والتحويل عليه ، كفاهم كل شيء . ومن شواهد ارتباطه بالمحبة (قوله تعالى) : « إن الله يحب المتوكلين » .

وأما الرضا : فهو ثمرة من ثمرات المحبة ، ومقام كريم من مقاماتها ،

(١) في : ظ « وخص المواس » .

(٢) يوضح تلك البقية الشائبة . ما قال ميمون بن مهران . حين قيل له : إن هاهنا أقواما يقولون : نجلس في بيوتنا فترد علينا أرزاقنا . قال : هم قوم حق ، إن كان لهم يقين مثل يقين إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : فليفعلوا . وإلقاء الروح في مقام اليقين هبة عظيمة حقاً . قال ممشاد الدينوري « لوجمعت حكمة الأولين والآخرين ، وأدعيت أحوال الأولياء والمقربين ، لم تصل إلى درجة العارفين حتى يسكن سرى إلى الله تعالى » . (الطبقات الكبرى للشمري) حقيقة التوكل القيام بالسبب الذي أقامك الله فيه ، فإن نجحت شكرت . وإن فشلت صبرت .

فالرضا بجميع ما يفعله المحبوب ، قدم في الحب ^(١) راسخة ، وغرة من غرر القوم شادخة .

وأما التوحيد : فهو أخص المقامات بالمحبة ، إذ لا يتعين المحبوب إلا لابه ، فهو مبین المجل ، ومعين المهمل ، ويميز وجهة الحب ، ومخلص القشر من اللب .

عذبت قلبي في الهوى فقيامه في نار هجر ك دائماً وقعوده
ولقد عهدت القلب فيك موحداً فعلام تفضي في العذاب خلوده
وجميع المقامات والأحوال إما وسيلة إلى المحبة كما قررنا ، أو ثمرة من ثمراتها ، كالإرادة والشوق ، والخوف والرجاء ، والزهد والصبر ، والتوكل والرضا ، والتوحيد والمعرفة .

ومن الدليل عليه : أن الإنسان لا يحب محبوباً إلا بعد سبق العلم بكال ذاته ، ثم يتأكد ذلك فتحصل المعرفة التي تتم المحبة ، ويتبعها الشوق والوجد إلى القرب ، ويلزم عن ذلك الصبر ، ويلبث في أثناء ذلك خوف الحجاب ^(٢) ، وفوات الحظ ، ويعارضه الرجاء .

ويشمر الحب الرضا بقضاء المحبوب ^(٣) ، والزهد فيما سواه ، وتوحيده وتفريده بالجمال والكمال ، وأن ما سواه ^(٤) عدم ، ويسند إليه الأمور بالتفويض . ثم يفيد ^(٥) الغيرة ، فيتأكد ^(٦) الانبساط من الشكر ، وتوحش الصحو .

وأما سائر المقامات والأحوال ، التابعة للمحبة ، من الانس والهيبة ، والبسط والقبض ، والفناء والمشاهدة ، فنحن نذكر ذلك ، في غصن.

(١) في : ظ « في الحب » . (٢) في الأصل « خوف الحجابات » .

(٣) في : ظ ، س « بمراد المحبوب » (٤) في الأصل : « وأن ما سواه عدم » .

(٥) في : ظ ، س « ثم تقرير الغيرة » .

(٦) في : ظ « ويتأكد » وفي : س « ويتأكد » .

العلامات إن شاء الله تعالى ، وليس مقصود المحب في الوقوف مع شيء
من هذا كله ، فهو حجاب ، كما قال الصوفي :

قد كان قلبي مهما دعا مقاما أجابا
حتى إذا صح قصدي صار المقام حجابا

إنما القصد المحبوب خاصة ، كما قال الآخر :

وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجد السير واستجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فخل عنها فغن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلي ولا طرفة نجني

خاتمة :

هل تكتسب المحبة أو تدخل تحت الاختيار ، حتى يتعين أجر
مكتسبها ، إذا كانت لا تخلو من نسبة إلى محمود أو مذموم ؟ أو المحبة
أمر يطرق الإنسان على سبيل الضرورة التي لا اختيار فيها ، كالجوع
والحياء ، والجراحة والذعر ، أو كالجوع والعطش ، والظاهر أنها لا من قبيل
ما يكتسب ، ولا من جلس ما يختار . ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم (٦٤ ب) ولكن الله ألف بينهم ، إلا أن الإنسان
ربما تسبب فيها ، واكتسب علمها ، فإذا كملت أسبابها ، جعلها الله مقارنة
لأسبابها (١) مرتبطة بها كما يخلق (٢) [في] المواد بالاستعداد المقبول للصور
التي تستحقها ، فيفيض عليها من عنده ، فخصوها اضطراراً ، والتسبب (بما) (٣)
يكتسب في سبيل النوال ، جسمانية وروحانية ، وكذلك الممازجة ،
وسائر الأسباب من الجمال والمناسبة مخلوق لله لا يكتسب .

قال يحيى بن معاذ [الرازي] : « لو وليت حساب الخلق يوم القيامة ، لم

(١) في : ظ ، س : مقارنة بأسبابها . (٢) ساقطة من : س .

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .

أعذب أحداً من العشاق ، لأنهم لا اختيار لهم في عشقهم . ومنه شفاعته
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمغيث عند بريرة (١) ، وشفاعة الحسن
أبن علي ونوفل بن مساحق لقيس المجنون ، وهو عما يقوى مذهب إليه (٢)
والحمد لله (مستحق الحمد (٣)) .

(١) في س ، ظ : « في بريرة » تصحيف

(٢) قال إمام العاشقين سيدي عمر بن العارض في نظم السلوك :

بدوت لها في كل صب متيم بأي بديع إحسنه وبأية
وليسوا بغيري في الهوى لتقدم على لسبق في الليالي القديمة
وما القوم غبري في هواها وإنما ظهرت لهم للبس في كل هيئة
ففي حرة قيسا وأخرى كنيرا وآونة أبدو جمل بينة

والعشاق العذريون ما هم إلا عشاق انجال المطلق في صورة الجمال المقيد ، فلو تجردوا من
تعلقهم بالآديات وسما مصنفين لإحساسهم بالعشق إلى العالم العلوي الأقدس لسعدوا سعادة
لا يحدها وصف .

(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .

الفرع الصاعد في الهواء على خط الاستواء

(قال المؤلف رضى الله عنه (١) ويشتمل على قشر لطيف ، وجرم شريف ، وأفنان ذوات ألوان ، قنوان وغير قنوان ، وطلع نضيد ، وجنى سعيد .

فالقشر الحدود والرسوم ، وخواص العارف الذى هو المعروف .
بها والموسوم ، والفنون التى تقوم عليها والعلوم .

والجر : ظاهر الخلق المقسوم ، وعلاجه كما تعالج الجسوم ، وباطنه المجاهدات ، التى عليها يقوم .
وقلبه الرياضة .

والغصون المقامات ، فيها المقام المعلوم .
ومادتها السلوك الذى بتدريج غذائه تبلغ الأفنان والورقات ماتروم
والزهرات اللوائح .
والطوالع والبواده ، التى لها الهجوم .
والواردات التى تدوم أو لا تدوم .
ثم الجنى ، وهو الولاية ، التى كان الفارس عليها يحوم .

(١) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

القشر اللطيف

وفيه فصول (الفصل (١) الأول ، حدود المعرفة وأوصافها .

الثاني ، وصف العارف .

الثالث ، تفصيل العارف .

الرابع ، علوم العارف .

الخامس ، في أقسام العارفين بالله (٢) .

القسم الأول : في ذكر مقامات (٣) المعرفة

قال المؤلف رحمه الله (٤) : هذا الباب هو جمهور الكتاب ، ومهمته ، والعنفوان الذي أوصل إليه نشوء (٥) المحبة ، ومن بابه يسرع إلى حضرة الفتح العليم .

والمعرفة في اللغة العلم . وقالوا في حد العلم : معرفة المعلوم على ما هو عليه ، فكل علم معرفة ، وكل معرفة علم ، وكل عالم بالله عارف ، وكل عارف بالله عالم (٦) . ذكره القشيري إلا أن المعرفة تتعدى إلى الله بنفس لفظها ، بخلاف العلم . قال بعضهم في قوله تعالى « وما قدرُوا الله حق قدره » ما عرفوه حق معرفته . وجاء في الحديث عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن دعامة الدين المعرفة بالله ، واليقين ، والعقل النافع ، فقلت : « يا رسول الله بأي أنت ما العقل النافع » ؟

(٢) ساقط من الأصل

(١) ساقطة من : س .

(٣) في : ظ ، س « مقام المعرفة » (٤) في : ظ ، س : « رضى الله عنه » .

(٥) في : ظ « نشوء المحبة » .

(٦) يرى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي أن العلم بالله أعظم من المعرفة بالله ، ويستدل بقوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » (راجع أول مواقع النجوم) الشيخ الأكبر .

فقال : « الكف عن معاصي الله ، والحرص على طاعة الله » ، وهذا من تعريف الشيء بغايته .

قال الشيخ أبو القاسم (الجنيد) : « المعرفة عندهم ، صفة من عرف الحق بأسماؤه ، وصفاته ، ثم صدق الله في معاملاته ، ثم تنقى من أخلاقه الرديئة ، وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ، ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله بجميل إقباله ، وصدق الله في جميع أحواله ، (١٦٥) وقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصنع بقلبه إلى خاطر يدعو إلى غيره ، فإذا صار عن الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه بريئا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيا ، وداوم في السرمع مع الله مناجاته ، وحقق في كل لحظة إليه رجوعه ، وصار محدثا من قبل الحق ، بتعريف أسرارهِ ، بما يحويه من تصاريف أقداره ، تسمى (١) عند ذلك عارفا ، وتسمى حالته معرفة (٢) .

وبالجملة فبمقدار أجنبيته (٣) عن نفسه ، تحصل معرفته بربه . قال ذو النون : « حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار ، بمواصلة لطائف الأنوار . وسئل الشبلي عن المعرفة ، فقال : (أولها الله ، وآخرها مالا نهاية له . . وسئل بعضهم عن المعرفة ، فقال) (٤) : « موهبة من الله ينور بها قلوب العارفين » .

وقيل . وهو الصحيح : المعرفة ورائة النبوة ، والعارف أنموذج مختصر من النبي (صلى الله عليه وسلم) (٥) قال أبو سعيد الخراز : المعرفة تأتي من عين الجود ، وبذل المجهود . وقيل : العارف الواسطة بين الله وبين عباده من بعد النبي (٦) .

(١) و : ظ : « يسمى عند ذلك عارفا »

(٢) وتلك الأوصاف التي عدها الجنيد من علامات المعرفة هي بذاتها دلائل الحجة وعلاماتها فكأنها والحب واحد في دلائلها .

(٣) في : ظ « حقيقته » . (٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٦) هذا القول ، مقدم على قول أبي سعيد الخراز في : ظ ، س .

وقيل : حقيقة المعرفة ، نور طلع في قلب المؤمن ، وليس في الخزانة .
شيء أعز من المعرفة . وقيل : المعرفة حياة القلب ، يحياه الله بها . دأفن
كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس .

شروط المعرفة وعلاماتها :

قال بعضهم : من لاحظ الكون بسرّه لحظة ، لاتصح له المعرفة ، لأن
المعرفة إذا صححت ، أذهلت عما سوى المعروف .

وقال الشبلي : بداية هذا الأمر حيرة ، ونهايته دهش ، كالطفل ، أوله
طفولة ، ثم يرد إلى علم ، ثم يرد إلى جهل .

وقال أبو بكر : ثم يرد إلى أرذل العمر . قيل : لكيلا يعلم من بعد علم
شيئاً . وهو الفناء .

وعن علي بن الحسين (١) : من عرف الله بالاسم ، دون المعنى (٢) فهو
كافر ، ومن عرفه بالاسم والمعنى ، فهو يعرف إلهين (٣) ، ومن عرفه
بالاختيار ، فهو يدل على غائب ، ومن عرفه بحقيقة المعنى ، فقد عرفه .

وقيل لأبي يزيد : بم عرفت الله ؟ قال : بيطن جائع ، وبدن
عار (٤) . وقيل المعرفة توجب الحياء والتعظيم ، كما أن التوحيد يوجب
الرضا والتسليم .

وقال الدقاق : من أمارات المعرفة بالله ، حصول الهيبة من الله ،
فن ازدادت معرفته ، ازدادت هيئته ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء .

(١) في : ط . س : علي بن الحسن . (٢) لأنه عطل الأفعال والصفات ، بعدم معرفته لها .

(٣) لأن المعروف اثنين : اسم ، ومعنى .

(٤) أى بالفناء عن شهوات النفس وإيس المراد حقيقة العرى ، وإن كانت حقيقة الجوع
مرادة ، فقد أجمع أهل الترية الصوفية على أن الجوع يفجر ينابيع الحكمة في قلب السالك .

وقال أبو حفص : مذ عرفت الله ، ما دخل قلبي حق ولا باطل (١) وإليه الإشارة بقول أبي يزيد ، وقد سئل عن المعرفة : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة (٢) وكذلك يفعلون » .

وقال الواسطي : لاتصح المعرفة ، وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه ، ذكره القشيري ، أراد أن الاستغناء والفقر ، من أمارات الصحو .

وسئل الحسن عن المعرفة بالله ، أهى كسب أو ضرورة ، (ف) قال : رأيت الأشياء تدرك بشيئين ، فما كان منها حاضرا فبحس ، أو غائبا فبدليل ، ولما كان الله غير باد لصفاتنا وحواسنا (٣) ، كانت معرفته بالدليل والفحص والاستدلال ، إذ كنا لانعلم الغائب إلا بدليل . والحاضر إلا بحس . وقال : إن شئت ترتيب المعرفة على المقامات ببيان أقرب ، فاعلم أن المعرفة في المرتبة الأولى ، وهى مرتبة الإسلام ، وهى معرفة أصل الجسوم (٦٥ ب) ومعرفتهم هى الإقرار بأن الرب موجود ، وأنه (٤) الخالق المعبود ، وقربهم قرب ثواب . وفي المرتبة الثانية ، وهى مرتبة الإيمان ، معرفة أهل النفوس . ومعرفتهم ، أن يسلبوا عن معبودهم نقائص السكون ، وقربهم قرب يقين .

وفي المرتبة الثالثة ، مرتبة الإحسان . وهى معرفة أهل العقول القدسية ومعرفتهم أن يشهدوا معروفهم في جميع المنفرقات كلها ، شيئا واحدا . ويسمعوا نطقا واحدا ، ويشاهدوا تعريفا واحدا .

(١) أى أنه لم يعد أهلا للحكم على شيء من خلق الله بأنه حق أو باطل ، لأن تسميته بالباطل كفر ، وتسميته بالحق يوم احتمال كونه ليس حقا قبل المعرفة . فوقف العارف هنا التسليم المطلق وهذا التعبير من رموز الصوفية .

(٢) أى أن ما يملك النفس من الشهوات إذا دخل إلى القلب أفسده وأذل صاحبه ، وهو لون من التفسير الإشارى يحتمله اللفظ بصرف النظر عن أسباب التنزيل ، لأن كثيرا من الآيات عام ورد في خاص ، وقد أفانص الأصوليون في هذا الباب فليرجع إليه في باب « العام والخاص » .

(٣) في : ظ وحواسها . (٤) في : ظ وأن الخالق المعبود .

فصول في المعرفة ، نغازل بها عيون الإشارة * ، إذا قصرت عن تمام

المعنى ألسن العبارة :

ولله در القائل :

وإذا العقول تقاصرت عن مدرك لم تتسكل إلا على أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسية ، والنفوس الجنسية ، والعقول القدسية .
والبروز إلى فضاء الأزل (١) ، إذا فنى من لم يكن ، وبقي من لم يزل ، مع
عمران المراتب ، ورؤية الجائز في الواجب :

ومن عجب أني أحزن إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

المعرفة : مقام يأتلف من جمع مفروق (٢) ، وأفول وشروق ، وسل
عروق ، ورد مسروق ، حتى يذهب الكيف والأين (٣) ، ويتعين العين ،
فيجمع العدد ويحمل ، وينحى السوى ومع ذلك لا يهمل .

للعدا منك نصيب ولك السهم المصيب
إنما يومك يوما ن خصيب وعصيب (٤)

* في الأصل تتأول بها عيون الإشارة .

(١) في : ظ فضاء الأجل .

(٢) الجمع : أن يرى السالك جميع المخلوقات عائدة إلى أصلها ، فبشدها فيه ، ولا يشهد
غير الله ، والجمع المفروق : أن ينظر السالك بعد التحقق بمقام الجمع هذا ، إلى الأشياء مرة
أخرى بالله ، فبشدها فيها بمعنى شهودها على أنها آثار الأسماء والصغات ، وهي مظاهرها ،
غنى خلق بطن فيه الحق ، والحق حق بطن فيه الخلق .

(٣) في : ظ الأين والكيف .

(٤) في : ظ ، س وعصيب .

المعرفة مقام ساعى المنعرج ، عاطر الأرج ، ينقل إلى السعة من الحرج ،
ومن الشدة إلى الفرج (١) .

طريقك لا تخفى به إن تتبعك خطاك ولا يخفى مبيتك فيه
متاعك منشور على كل خيمة ورياك أمن من توقع تيه

المعرفة عين ، إن لم تبصر أجزاءها ، أحسن الله عزاءها . وحقيقة
إن لم يجعل الفرق إزاءها ، كانت العبر جزاءها ، فهي دائرة ، مركزها يجمع ،
ومحيطها (٢) في التفريق يطمع ، ليستقل الملك أجمع ، ويرى من يرى ،
ويسمع من يسمع :

بعد المحيط من المحدد واحد والكل في حق الوجود سواء
والحق تعرف ذاته من ذاته صبح الهوى فتلاشت الأهواء

المعرفة صعود ونزول ، ووقوف ووصول ، فلا الوصول عن البداية
يقطع ، ولا البداية عن النهاية تمنع ، من له الأمر أجمع ، كل ما شاء يصنع
حصل القصد واستقر ، فلم يبق مطمع . العارف في البداية يشكر الراعي
الساجد ، ثم يعذر الواجد المتواجد ، ثم يرحم المنكر الجاحد ، فإذا انجمى ،
ورَد العدد إلى الواحد (٣) ، قال لسان حاله :

من رأى لى نشيدة أو على عينها عثر
فله الحكم قسـل له ذهب العين والأثر

(١) في : س : تنقل من السعة إلى الحرج ، والسباق لا يقتضيه .

(٢) في الأصل : ومحيطها .

(٣) لإشارته إلى مقام الجمع ، أى رد المظاهر المتفرقة ، إلى أصلها الواحد ، سبحانه وتعالى .

القسم الثاني في ذكر العارف

وهو صاحب مقام المعرفة

سئل أبو أتراب (النخشي) عن العارف ، فقال : الذي لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء . وقال : تضيء له أنوار العلم ، فيبصر بها عجائب القلب .

وقال شارح المجالس : العارفون قائمون بالله ، قد تولى الله أمرهم (١٦٦) ، فإذا ظهرت منهم طاعة ، لم يرجوا عليها ثوابا ، لأنهم لم يروا أنفسهم محالاً لها ، وإن ظهرت منهم زلة ، فالدية على العاقلة ، لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء ، قيامهم بالله ، ونظرهم إليه ، وخوفهم هيبته ، ورجاؤهم الأنس به .

وقال الجنيد : العارف ، من نطق الحق عن سره ، وهو ساكت .
وقال رويم (البغدادي) : العارف مرآة ، إذا نظر فيها تجلى له موله .
وقال الشبلي : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنه محيت آثاره ورسومه ، وفتيت هويته بهوية غيره ، وغيب آثاره ، بآثار غيره ، والله أعلم .

أوصاف العارف وعلاماته :

قال الرئيس : العارف هش هش بسام ، يبجل (١) الصغير من تواضعه ، مثل ما يبجل (٢) الكبير ، ويسط من الخامل ، مثل ما يسط من النبيه ، ثم علل فقال : وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق ، وبكل شيء ، فإنه يرى فيه الحق . إنى لأجد ريح يوسف :

(١) في الأصول : « فيبجل الصغير » .

(٢) في : ظ « مثل ما يبجل الكبير » .

لمعت نارهم وقد اعسعس اللي ل ومل الحادى وحر الدليل
فتأملتها وقلت لصحى هذه النار نار ليل فيلوا

والعارف شجاع . وكيف لا ؟ وهو بم عزل عن هيبه الموت ، وجواد .
وكيف لا ؟ وهو بم عزل عن صحبة الباطل ، وصفاح . وكيف لا ؟
ونفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر . ونساء للأحقاد . وكيف لا ؟ وذكره
مشغول بالحق .

وقالوا : من عرف الله ، صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كل
شئ ، وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله رب العالمين .

وقال الشبلى : ليس لعارف علاقة ، ولا لمح شكوى ، ولا لعبد دعوى ،
من عرف الله انقطع ، بل خرس وانقمع ، لا أحصى ثناء عليك أنت
كما أثنيت على نفسك .

وقال (آخر) (١) : قالوا علامات العارف ثلاث : لا يطفى نور معرفته
نور ورعه (٢) ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم (٣) .

وقال آخر : أبى العارف أن يتعلق قلبه إلا بالله فأصبح محباً له ، إن أهانه
أو قربه ، كالطفل يلوذ بأمه ، إن طردته من جانب ، جاءها من الجانب
الآخر ، وإن شغلته ، لم يشتغل بشئ عنها ، وإن أبعدته ، لا يسكنه عنها
شئ . وإن قربته لا يطلب شيئاً سواها .

(١) ساقط من : ط ، س .

(٢) أى لا تخرجه المعرفة والتحقيق عن الورع الذى هو أساس من أسس المعرفة

(٣) هذا رد على من يتهم الصوفية بأن بعض علومهم يخالف الكتاب والسنة ، ويلاحظ

أنه لم يذكر العلامة الثالثة ؟

قال أبو الفرج : إذا جلست في ظلام الليل ، بين يدي سيدك ، فاستعمل
أخلاق الأطفال ، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه ، بكى عليه .
وهذه كلها قشور وأقاويل ، لا تكشف عن حقيقة العارف ، وربما أعطت
الفصول المتقدمة درأ من أمره ، وحقيقة العارف ، يظهر ظاهرها من علومه
ومعارفه ، المنوطة بمقامه . وباطنها لا تسعها العبارة :

لابي الحسين جداً يضيق وعاءه عنه ولو كان الوعاء الأزمناء

القسم الثالث

تفصيل العارف

النصر اباذى : الزاهد غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الجنة ،
 لأن تاركى الدنيا قليلون ، فهم غرباء ، وكذلك أهل الجنة ، قنعوا بنعيمها .
 والعارفون ، تعلقت همهم بالحق ، فلم يشغلهم عنه نعيمها (١) ، فهم فيها غرباء .
 قال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة ، وهم فقراء العارفين (٦٦ ب) .
 وقيل : العارف فوق ما يقول . (والعالم دون ما يقول) (٢) .
 وقيل : العالم يقتدى به ، والعارف يهتدى به .
 وقال رويم : رياء العارفين ، أفضل من إخلاص المريدين .
 وقيل (٣) : الزاهد صيد الشرع من الدنيا ، والعارف صيد الحق .
 من الجنة . حكاه القشيري

حاله فى الحظوظ وترقيه عنها :

قال الشيخ : غرض غير العارف ، بالرياضة ، أخذ الأجرة فى الدار
 الآخرة على عمل ، وغرض العارف أن تكون القوى الجسمية مناسبة
 للأمر الذى هو مطلوب النفس ، وهو الاستغراق فى الله ، حتى إذا صارت
 مطيعة لها مسخرة فيلتذت تكون غير مخالفة لها فى أفعالها .
 وقال : العارف يريد الحق الأول ، لا لشيء غيره ، ولا يؤثر شيئاً على
 عرفانه ، وتعبده له فقط ، ولأنه مستحق للعبادة ، ولأنها نسبة شريفة إليه

(١) فى : ط عنها ، وهو تحريف (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل : وزيد من : ط
 (٣) قد يكون ما ظاهره رياء من العارف للتعليم كأن يصلى أمام تلاميذه قلا طويلاً مثلاً ،
 ولكن قلبه معمور بالإيمان ، وقد يكون لإخلاص المريدين مناراً لبعض الدسائس النفسية كالفرح
 بالطاعة ، والوقوف عند هذا الحد ، والوقوف ليس من النصوص فى شيء ، لأنه انطلاق .
 لانتهائى فى سبيل المعرفة .

لا لرغبة ولا رهبة ، وإن كانتا فيكون المرغوب فيه ، والمهروب عنه (١) هو الداعي ، وفيه المطلوب . وتكون (الرغبة والرهبة) (٢) ليس (تا) الغاية ، بل الواسطة ، وإليه الإشارة بقوله : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله (٣) لم يعصه » .

ويذكر عن رابعة أنها قالت : والله ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعا في جنتك ، وهو عنها مشهور . ويستجنى (٤) لأول وهلة . ومن شعرها في هذا المعنى :

أحبك حين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا

وقال الحلاج : علامة العارف ، أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة . وقال يوسف بن علي : لا يكون العارف عارفاً ، حتى يكون بحيث لو أعطى مثل ملك سليمان ، لم يشغله عن الله طرفه (عين) (٥) .

قلت : ويرحم الله القائل :

(١) في : ط والمهروب عنه

(٢) في : ط ويكون الحق ليس الناية بل الواسطة ، ويدل على صحة ما أثبتناه ، قوله بعده وإليه الإشارة بقوله عن صهيب ... إلخ .

(٣) في : ط لو لم يطع الله .

(٤) خصص الشيخ أحمد زروق فصلاً في قواعده في مثل هذه العبارة يرفع الإشكال عنها فقال في القاعدة (٢١٧) : « تعظيم ما عظم الله متعين ، واحتقار ذلك ربما كان كفراً » فلا يصح منهم قولهم : ما عبدناه خوفاً من ناره ، ولا طمعا في جنته على الإطلاق . إما احتقاراً لها وقد عظمها الله تعالى فلا يصح من مسلم ، ولما استغناء عنهما ولاغنى للمؤمن عن بركة مولاه ، نعم لم يقصدوها بالعبار ، بل عملوا لله لا لشيء ، وطلبوا منه الجنة والنجاة من النار لا لشيء ، وشاهد ذلك في قوله : إنا نطعمكم لوجه الله ، إذ جعل علة العمل لإرادة وجه الله . ثم ذكروا خوفهم ورجاءهم مجرداً عن ذلك . وفي الخبر : لا يكون أحدكم كالعبد السوء ، إن لم يعط الأجرة لم يعمل .

(٥) ساقطة من الأصل ، ط

أتراه لو زيد لفعل ١٩ لم يشم هذا (القائل) معنى العارف .

ولو قيل للمجنون ليلى أو صلها تريد أم الدنيا وما في طواياها ؟
لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشقى لبواها

وقال آخر :

والله لو أنك توجتني بشاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدت لي أهوال من مات ومن بقى
وقلت لي لا نلتقى ساعة لاخبرت يا مولاي أن نلتقى

القسم الرابع في علوم العارف

قال المؤلف رحمه الله (١) : وعلوم العارف على ضربين : إجمال ، وتفصيل .

فالإجمال من حيث هو ، قد آتاه الله الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (٢) ، أن يعرف جوهر نفسه ، وكيف تصير عقلا بالفعل ، وتتخلص من كدورات الطبيعة ، وتتجرد عن جميع العلائق القاطعة . عن السبب الأول : ويكمل جوهرها ، كما تحب ، فيستقيم معراجها إلى الأول ، ولا يمتنع عن سروره وفرحه في وقت من الأوقات ، ولا يعجز عن شيء ويريده ، ويتمم غيره ، ويخلص الفطر الناقصة ، بعلم أجل وأعلى من العلوم المكتسبة والنظرية ، والأعمال البدنية ، والتخلق على ما ينبغي ، وهذه النفس لا تحتاج في سعادتها ، وتميمها ، إلى غيرها من النفوس (الجزئية) (٣) ، وجميع النفوس الجزئية محتاجة إليها ، وأخذة منها وتابعة لها ، وهو إذا استكمل بأكثر هذه الخواص (٤) ، فن حيث هو وارث ، فإن وظيفة الحكيم ، أن يعلم النفس وعملها ، ولا يترك شيئاً من الصنائع العلية والعملية ، (١٦٧) التي تعطى تديير الإنسان ، إلا نظر فيه وحصله ، واتصف به ، ثم حمل نفسه من المشقات التي تحصل باكتساب الصنائع المذكورة بها ، وبالصبر عليها ، وتمرن وبجث عن حقائق الموجودات ، ووقف على ماهيتها ، وفكر في الأول الحق (٥) ، ونظر في الذي يجب عليه ،

(١) في س ، ظ : « رضى الله عنه »
(٢) أروع ما كتب في تفسير هذه الآية الباب الأول من « علم القلوب » لأبى طالب المكي .

القاهرة ١٩٦٤

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ

(٤) في : ظ : بأكثر عدد الخواص ، وفي : س : بأكثر هذه الخواص

(٥) في : الأو وفكر في دلائل الحق

ويجوز ويستحيل ، وطلب القرب منه ، والوصول إلى المبدع الأول ،
بالعلم لا بالتجوهر (١) ، واستقام وبلغ كمال الإنسانية ، وخلص العلم
بنفسه وعقله إلى حيث ينبغي ، وبقدر ما ينبغي .

والتفصيل من حيث الوراثة أن يعلم حسبها يعتقد أهل هذا الفن ،
أن موروثة الذي لا ينطق عن الهوى ، قد بلغ كل ما أمر به في تجلياته ،
ولإسرائاته ، وتنزلاته ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، وعلم تصريحا كل
ما تكمل به الشريعة ، مقنعا لكل من سمعه ، وكفاية (٢) لكل ذي همة
باعتة ، وإشارة لكل ذي نفس مستشرقة . ورمزا لكل ذي عقل مصيب
فهم كل على قدر ما رزق ، فكان (٣) رجال الشريعة من بعده أربعة :

أولها : عامي يختص به من علومها ظاهر ، يقال له علم الرسوم ، وعلم
التفسير ، أى تفسير الحدود (الظاهرة) (٤) ويكشف عن الحلال والحرام ،
وهذا العلم ينبغي تعلمه وتعليمه ، وإشاعته ، وهو لا يدرك إلا بالتعلم
والدراسة ، ويزيد وينقص . وعلم الرسوم ، وهو علم محفوظ ، مسموع ،
من لسان الشارع ، (صلى الله عليه وسلم) (٥) وهو الإسلام .

وثانيها خاص ، يختص به من علومها علم باطنها ، بشرط تحصيل علم
ظاهرها ، ويسمى علم الباطن ، وعلم التأويل (٦) . أى تأويل ما تضمنه
الرسم من المعنى ، وتحقيق ما انطوى عليه من الفوائد ، ويسمى الحكمة (٧)
وهو الاطلاع على حقيقة المراد من الرسم (٨) ، وهذا العلم كثير لا يوصف

(١) في الأصل ؛ ظ لا بالجوهر ؛ يقصد بلا حلول ولا اتحاد ، وهو حقيقة رأى الصوفية

(٢) في الأصل : وكفاية لكل ذي همة

(٣) في : ظ وكان (٤) ساقطة من : س

(٥) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ

(٦) في الأصل علم التنزيل ؛ والترجيح من : ظ

(٧) في : ظ ، س وتسمى (٨) في : ظ ، س المراد بالرسم

بقلة ، فإنه بحر ، ولا يدرك هذا العلم بدرس ، ولا تعلم ، ولا تعليم .
(وهذا العلم) (١) إنما يدرك بهداية (الله) (٢) ، والتعرض لهذه الهداية
يتعين (٣) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله في أيام دهركم (٤)
نفحات ، ألا فتعرضوا لها ، وهذا التعرض لا يكون إلا بطهارة الظاهر
والباطن ، وأداء الحقوق الشرعية ، وامثال الأوامر ، والتقرب إلى
الله بالنوافل ، يتقرب بها العبد حتى يحبه . ويقيد هذا العلم ، بالعلم
الإيماني . فهو علم (٥) الإيمان ، ومن لم يحصل عليه ، فقد فاتته خير
كثير . و (هو) (٦) نتيجة للتقوى (٧) .

وثالثها : خاصة الخاصة . ويختص به من علوم الشريعة ، علم الحد ،
متضمناً لتحصيل ما تقدم ، قال صلى الله عليه وسلم « لكل آية من كتاب
الله ظاهر وباطن ، وحد ومطلع ، وفي رواية : « لكل كلمة ولكل حرف ،
وهو علم الإلهام ، والعلم اللدني ، والموهبي . والإلهي ، وهو فضل من الله ،
يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . ويحتوى على معان لا يقدر أن
يعبر عنها من اطلع عليها ، إنما هو استشراف وإطلاع (٨) على ما لا عين
رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وهو بحر لا يوصف
بطول ولا عمق ، ولا عرض ولا نقطة ، ولا خط ، إنما هو ذوق
تلون (٩) ، لذاته في الطعمة الواحدة إلى ما لا ينحصر عدده ، ولا ينتهى

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ؛ س

(٢) ساقطة من : ظ ، س (٣) في : ظ متعين

(٤) في : ظ ؛ س في أيام دهره (٥) في : ظ فهو عالم الإيمان

(٦) ساقطة من : ظ

(٧) ولا يدرك هذا النوع ولا النوع الذى يليه بالتعلم والدرس ؛ وقد نبه من الصوفية
أميون ونقل عنهم مريدوهم علومهم فكان آية في السمو والنفاء ، ومنهم الشيخ عبد العزيز
الربيع الذى نقل عنه ابن المبارك كتاب الإبريز ، والشيخ على الحواس روى عنه الشعرانى
والسيدة عجم بنت النفيس البغدادية شارحة المشاهد القدسية للشيخ الأكبر ، قال تعالى
« واتقوا الله ويعلمكم الله » :

(٨) في : ظ ، س اطلاع واستشراف (٩) في : س فيكون لذاته .

أمدته ، وهو علم النبوة . وحملته هم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « علماء أمتي كأنبياء (٧٦ ب) بنى إسرائيل (١) ، قالوا : وهذا العلم هو الذى لا يجوز كشفه ، ولا إذاعته ولا ادعاؤه ، ومن كشفه وأذاعه وجب قتله واستحل دمه (٢) . ويلسبون فى ذلك إلى خواص النبوة وخلفائها كثيراً كقوله :

يارب جوهر علم لو أبرح به لقليل لى أنت بمن يعبد الوثنا
ولا استحل رجال مسلمون دى يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وغاية من اطلع عليه ، الحصول فى العجز ، ولذلك قيل : العجز عن
درك الإدراك (إدراك) (٣) . وهو المراد بقوله تعالى « ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ، والعلم الذى قبله ، فى
جلسه كلاً شئ . وهذا هو علم الإحسان .

والرابع من رجال الشريعة ، خواص الله فى أرضه ، ورحمته فى بلاده
وعلى عبادته (٤) ، وهم الأبدال ، والأقطاب ، والآوتاد ، والعرفاء ، والنجباء ،
والنقباء ، وسيدهم الغوث . ويختص بهم من علوم الشريعة علم المطلع ،
متضمناً لما وراءه من العلوم ، وهذا العلم هو العلم العظيم ، المحتوى على
جميع العلوم ، وهو علم الرسالة ، ولا يقدر على وصفه من اطلع عليه ،
ولا يعلم ماهيته ، بل لا (ماهية) (٥) له ، إنما حامله حامل أسرار ، ومعان
وأبكار حسان ، لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان .

(١) ق : ظ . س . علماء أمتي أنبياء من قبلهم .

(٢) لما فيه من بلية لعقائد العامة ، وفتح باب الدعاوى العريضة التى يتصدق بها المرتزقة من
مدعى الجذب وغيرهم ، فقتل مثل هؤلاء أمر شرعى لأنهم يفتحون أبواب الزندقة ، وقد شهد
الجنيد على الملاج وأقر قتله .

(٣) ساقطة من : ظ . (٤) فى الأصل : على عبادته . والترجيح من : ظ .

(٥) ساقطة من : ظ . وفى : س لا نعلم ماهيته بذلاً .

(تكملة تتعلق بعلم العارف ، الذى استحق به وصف العرفان)

وهو أن الحق ليس بينه وبين الخلق نسب ، إلا العناية ، ولا سبب إلا الحكم ، ولا وقت إلا الأزل ، بل باين الخلق بمعرفته ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وواصلهم (١) بلطفه ، وزيد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، فنفضل بالإيمان أولاً ، ثم بالشواب ثانياً ، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . ثم لم يكف إنعامه على عبده بالإيجاد ، حتى شرفه بالعقل ، ثم وفقه للهداية ، ثم زينته بالعلم ، ثم أكرمته بالتقوى .

فلما وصل إلى هذا الحد ، رقاها من العمل إلى التخلق ، باصطفائه لنفسه ، وشغله بذكره ، فلا يزال يديمه ، حتى يغلبه ، فإذا غلبه الذكر ، فتى عن ذكره وإذا فتى عن ذكره ، اصطلمه (٢) حتى (٣) صار كأن لم يكن ، وبقي من لم يزل ، فلا فضل إلا له (لا إله إلا هو) (٤) .

عدم يقبله وجود مطلق كالظل يذهب حيث يذهب صاحبه

فالعارف لاستشرافه على هذه المعارج ، وتعشيق نفسه بتلك العوالم المقدسة ، يرتقى من العمل إلى الحال ، حتى يكون همه وهمته الوصول إلى الله ، فلا يلحظ ثواباً ولا غيره ، إنما سعيه فى استفتاح أبواب حضرة الله وإبدال عين ذاته ، فى قدس الله ، مصفياً بجناح الذكر ، ومادام يرى ذكره فهو محجوب به .

فإذا فتى عن نفسه ، وغاب عن ذكره ، فقد وصل ، فكان الذاكر هو

(١) فى : ظ وأوصلهم (٢) سبق تعريمه فى أنواع المحبة

(٣) فى : ظ ، س ، وإذا اصطلمه ، صار كأن لم يكن .

(٤) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س .

المذكور (١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، فيكون معه بلا نفس، ثم يردده لنفسه، ليقيم رسوم (٢) الشريعة، ويتخلق بآدابها، ويكون (٣) عند ذلك محفوظاً في نفسه، محفوظاً عليه حاله، وإلى هذا لا يبقى له من المخبرات إلا خبره عن خبره، المرتبط بالله، فخبّره عن الله عين (٤) خبره عنه وهو (٥) غيره، ولا يصح له مع وجود الفناء (٦). (٧٧ أ) فإذا أخبر عن الله، ولم يخبر عن خبره كان الفناء وتحقق، وكان المخبر والخبر، ولم يبق للعبد أثر، ثم يردده الحق عليه.

قولا لمن سلب العظام لباسها وسرى إليها العشق من تلقائه
لم يبق مني غير رسم دارس وأنا الحريص (٧) على ارتفاع بقاته

ثم يرجع من حيث ابتدأ كذلك، حتى ينتهي فيصير ذلك ديدنا، فهذا شأن العارف مع الله، وهذه باكورة (٨) مستعجلة، وبعدها يقع استيفاء هذا الغرض، بحسب إمداد الله، الذي لا قوة إلا به.

(١) لا يقصد بهذه العبادة وأمانها مما يتردد كثيرا في كتب التصوف حلول ولا اتحاد .
ولتوضيح ذلك نقول :

يقول الله تعالى « الحمد لله رب العالمين » فهو الحامد وهو المحمود في هذه الحالة ، فإذا طلق بها العبد لم يكن حامدا على الحقيقة ، بل هو حامد على المجاز ، أما على الحقيقة فالله هو الحامد والمحمود كذلك ، فإذا غاب العبد عن نفسه ، وقى عن كل حركاتها صار ذكره لله ملكة لا يشعر بها ، ومن ثم لا ينسى ذكره لله . بل يصير مسرا به ، فالله هو الذاكر والمذكور على الحقيقة ، والعبد ذاكر على سبيل المجاز

(٢) في : ظ ، س « رسم الشريعة » (٣) في : س ، « أو يكون »

(٤) في : ظ . « غير خبر عنه » وفي : س « يخبره عن الله عن خبره عنه »

(٥) أي إن حديث العارف عن الله هو عين حديثه عن إحساسه بتجليات الله . هذا إذا لم يصل العارف إلى درجة الفناء ، فإما كان فانسا كان أشبه بالتحدث في نومه مسرا بالله فكما أن حديث النائم لا ينسب إليه إلا محازا فكذلك حديث العارف لا ينسب إليه إلا محازا
علاقته المحلية بحسب

(٦) في : الأصل (مع وجود البقاء) . (٧) في : ظ ، س (وأنا المريض) .

(٨) في : ظ ، س (هذه باكورة) .

فرايب العارف ثلاث : أولها الرجوع عما سوى الله ، وإماطة الحجب ، ويسمى فى هذه الحالة (١) زاهداً ، والحجب المانعة للخلق عن الحق ثلاثة ، حجاب كفر يحجب عن الإيمان ، وحجاب دنيا يحجب عن الآخرة ، فطالب الدنيا ، وإن كان مؤمناً ، محجوب بدنياء عن آخرته ، فيكون مجتهداً فى أمر دنياه ، متوكلاً فى أمر آخرته :

قياس لعمري عكسه كان أقيسا

وحجاب عامة أهل الجنة إذا اشتغلوا بنعيمها عن المنعم : « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ، وخواصهم خرقوا هذا الحجاب ، فلم تشغلهم الجنة عن الله طرفة عين ، وورد فى الحديث « اشتاقت الجنة لسلمان وصهيب » كما قال المعري :

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

ووسطها : الذهاب إلى الله ، فى سبيل الرياضة ، ويسمى فى هذا الحال عابداً .

وآخرها الوصول إلى الله (٢) ويسمى فى هذا الحال عارفاً بالله ، ولذلك (٣) قال الشيخ : العرفان مبتدأ من تفريق ، ونقض وترك ، ورفض معن فى جميع صفات الحق للذات المؤيدة بالصدق ، منته إلى الواجب (٤) ثم وقوف .

ومن أخبار أبى يزيد ، قال : ركبت مركب المحبة (٥) حتى بلغت سدرة المنتهى ، يشير إلى إنتهاء معرفته ، كما أن سدرة المنتهى ينتهى إليها عالم الخلائق (٦)

(١) فى : ظ ، س (فى هذه الحال) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٣) فى : ظ (وكذلك) . (٤) فى : ظ ، س (إلى الواحد) .

(٥) فى : ظ (وكنت مركب المحبة)

(٦) فى : ظ (كما أن سدرة المنتهى إليها ينتهى علم الخلائق) .

كذلك الحب بغير عوض ما وراءه إلا الاصطلام السكلى . قال : فعند ذلك نادانى : يا أبا يزيد ، ما تريد ؟ قلت : أريد ألا أريد غيرك ، لأنى أنا المراد ، وأنت المريد ، فاجعلنى أريدك لك ، لا أريدك (١) لنفسى ، ولا تصرفنى عنك لغيرك ، قال : أردتلى ، فاصطفيتك لنفسى ، ولم (٢) أتركك إلى غيرى (٣) .

ووراء هذا المقام هو المطلوب ، فصحة الإرادة بذل الوسع ، واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون تحت مجارى الأقدار ، وثبوت العمل مع سقوط الاختيار ، قالوا : ولا يجتمع هذا إلا لمن يكون حجة على أهل الأرض ، بما جاز المقامات كلها ، وهو مع ذلك يقيم رسم العبادات كلها . تنبيه (ورفع إشكال يوقع فيه (٤)) :

قالوا : وإذا بلغ العارف درجة العرفان ، وألقت الحرب أوزارها ، وطرح المسافر آلات السفر العنيف من الرياضة الظاهرة ، كما قال :

فأسمت فى أزكى البقاع صواقي

وضربت فى أعلى البقاع قباني

وشويت للأضياف لحم ركاتبي

فى نار أحلاسى وفى أقبانى (٧٧ ب)

يظهر عليه الفتور لا ، بل الكسل ، لا ، بل ترك ما عدا الواجب ، لأن المقصود ، من الرياضات البدنية ، حصول الرياضة القلبية ، وإذا حصل المقصود (٥) كان الاشتغال بالوسط عبثاً ، بل ربما كان ذلك عائقاً

(١) فى : ظ (لا أريد) (٢) فى : ظ (ولا أملك) .

(٣) ليست هذه المحادثات على حقيقتها ، وإنما هى حديث نفس متوجه طاهرة ، فهو هنا يخبر عن الله بخبره عن نفسه ، كما قال المؤلف من قبل ، ولا يجوز تعميم الصدق فى مثل هذه المواطن والإلقاءات ، بل لأن العبرة بمن ورد عليه الخاطر والإلقاء ، فإن شهد له حالة والكاملون فى عصره باستقامة الحطة وتقاء الروح ، وصحة معنى الخاطر ، كان حقاً وإلا فلا .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٥) فى : ظ ، س المقصد .

فيقتصر على وظائف الواجب فقط ، لتلا تعود النفس إلى السكسل ،
وينعكس الأمر فيرصد عدم الرياضة البدنية ، سبباً لزوال الرياضة القلبية .

فتوهم قوم ، ارتفاع الرسم ، وسقوط التكليف (عنه) (١) وبني على هذا
الرأى شغب كثير (٢) ، أصله عدم الفهم عن العارف ، وقال الجنيد : من
رآني في بدايتي ، قال صديق ، ومن رآني في نهايتي قال زنديق . وقال الشيخ
أبو القاسم : وذلك أن أعمالهم قلت في الظاهر (٣) فصارت قلبية ، وقال
الداراني : إن الله يفتح للعارف على فراشه ، ما لا يفتح له وهو قائم يصلي .
وقال أبو بكر الرازي : قال رجل للجنيد : من أهل المعرفة أقوام يقولون
بترك الحركات من باب البر والتقوى ، فقال الجنيد : إن هؤلاء قوم تكلموا
[بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيم . والذي يسرق ويزني ، أحسن حالا من
الذي يقول هذا ، فإن العارفين بالله (٤)] أخذوا الأعمال عن الله ، وإلى الله
رجعوا فيها .

(١) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٢) حاصل الشغب الذي حدث ، أن بعض الدارسين ، اتهموا الصوفية ، بإسقاط حركات
العبادة ، عند الوصول إلى درجة المعرفة ، وهو قول الباغنية عامة ، والاسماعيلية خاصة ،
وحقيقة المسألة ، أن أى عبد من العباد يسعى للشفقة والثقل ، في أول سلوكه ، وإذا بحثنا منفاً
هذا الثقل نفسياً ، وجدناه التكليف ، فكل ما تكلف به النفس ، نقيلاً عليها ، فإذا بانغ
السالك درجة المعرفة ، وصار عارفاً ، وجد اللذة في حركات العبادة ، وسقط عنه الثقل الذي
ينشأ من التكليف . فقولهم : إن العارف يسقط عنه التكليف ، من إطلاق السبب وإرادة
المسبب ، وليس من العقول أن يسقطوا الحركات ، كما توهم بعضهم ، وهم ورنه إلى
صلى الله عليه وسلم في حاله حيث كان يقوم حتى تتورم قدماءه ، وهو مسلك لا يشعرفيه
صلى الله عليه وسلم بأذى مشقة ، أما ما يسم من جهال المتصوفة في هذا الباب ، فلا
تعويل عليه .

(٣) لما يقع ذلك أحياناً عند غلبة حال من المحبة والوجد ، ولا تقل عندهم إلا أعمال
النوافل ، أما الفرائض فلا يهتمون بها ألبتة ، وهم حين يتركون نافلة في هذه الحالة ، يكونون
في عبادة رفيعة الدرجة .

(٤) ما بين الحاصرتين : ساقط من : ظ والعبرة : « أحسن حالا من الذي يقول هذا »
و « فإن العارفين بالله » جاءت في : ظ في نهاية قول من سأل الجليد اضطراباً من الساسخ

القسم الخامس

في أقسام العارفين بالله

قال المؤلف رحمه الله (١) : وحقق الاستقراء ، أن مجموع من يدعى
أو تدعى (٢) فيه المعرفة بالله ، ينحصر في سبع زمر ، تتفرع (٣) منها إحدى
وعشرون زمرة .

الاولى منهم : أهل التقليد ، وهم ثلاثة أصناف : الاولى ، قلدوا
آباءهم ، والثانية قلدوا علماءهم ، والثالثة قلدوا أنبياءهم ، ومعرفة هؤلاء
خبرية (٤) .

والزمرة الثانية : أهل النظر ، وهم ثلاثة أصناف : قوم استدلوا بالصنعة
على الصانع ، وقوم استدلوا بالصانع على الصنعة ، وهم (٥) أشرف وأعسر .
وقوم جمعوا بين الداليتين ، وإليه الإشارة بقوله : ما رأيت شيئاً إلا رأيت
الله فيه ، أو معه أو بعده من حججهم الشميرة ، ومعرفة هؤلاء قياسية
نظرية .

الزمرة الثالثة : أهل التنزيه ، وينقسمون إلى ثلاثة أصناف : الاولى ،
نزهوا معروفهم عن لواحق الأشباح (٦) ، والثانية نزهوه عن لواحق
الآرواح ، والثالثة نزهوه عن لواحق العقول القدسية .

(١) في : س ، ظ . رضى الله عنه .

(٢) في : ظ أو يدعى فيه المعرفة وبذكر الفعل وأنينه جائزاً للفضل بين الفعل
ونائب الفاعل .

(٣) في الأصل : فتفرع منها .

(٤) في : ظ (ومعرفة هؤلاء خبرية) .

(٥) في : ظ ؛ س (وهو أشرف) .

(٦) في : ظ ؛ س (عن لواحق الجسوم) .

والزمرة الرابعة ، أهل التشبيه ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، شبهوه بصفات الجسوم (١) ، وهم الظاهرية ، وحكموا عليه بما حكموا عليها ، من اليد والرجل ، والثانية ، شبهوه بالنفوس ، والثالثة ، شبهوه بالعقول .

والزمرة الخامسة : أهل العجز ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، عجزوا عن معرفته من غير نظر ولا استبصار ، والثانية عجزوا عنها بعد بحث ونظر ، والثالثة عجزوا عن إدراك إدراكهم ، وخرجوا إلى النور المحض الذي لا تصور فيه ، ولا شوب ، ولا يخلفه غيره .

والزمرة السادسة : أهل الاتحاد ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى ، الذين قالوا بالاتحاد في الظواهر ، والثانية ، الذين قالوا به في البواطن : والثالثة ، الذين قالوا بالاتحاد المطلق .

الزمرة السابعة : أهل التحقيق ، وهم ثلاثة أصناف : الأولى جمعوا بين الخبر (٢) والنظر (٧٨ أ) ، والثانية ، جمعوا بين التشبيه والتنزيه ، والثالثة ، جمعوا بين العجز والاتحاد المقدس .

(أما) (الدلائل) ، (ف) - سأهل الخبر دليلهم الحديث والقرآن وإلهكم إله واحد ، قل هو الله أحد ، وإني لأعرفكم بالله وأشدكم خوفاً منه (٣) ، وغير ذلك من أخباره عن الله (٤) ، وما يناسبه . (و) أهل النظر ، أدلتهم كثيرة ، الذين يذكرون الله [قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار] ، ومثلها قوله (٥) : دأفلم ينظروا في ملكوت السموات

(١) في : ظ (بصفات الجسود)

(٢) في : ظ (الخبر) تصحيف .

(٣) في : ظ (وأشدكم خشية منه)

(٤) في : ظ (من أخباره عن الله)

(٥) في : ظ (كقوله)

والأرض ، وأهل التنزيه ، دليلهم « ليس كمثل شيء » ، وقوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » ، ف (المخالفون ما) وصفوه إلا بما اتصفت به ذواتهم ، وأهل التشبيه ، دليلهم قوله عليه أفضل الصلاة والسلام ، « من عرف نفسه عرف ربه » ، (١) وقوله حاكيا عن ربه : « لم تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدی المؤمن » ، أى عرفني ، وقبل صورة معرفتي . وأهل العجز دليلهم من الكتاب « ويحذركم الله نفسه » ومن السنة : « تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله ، فإن التفكر في ذات الله يقدح الشك في القلب » ، وقوله « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » . ومن الآثار ، « العجز عن درك الإدراك إدراك » . وأهل الاتحاد دليلهم : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » ، ومن السنة ، ما أخبر به عن ربه ، في حديث التقرب بالنوافل . ومن أعطى كل شيء حقه ، في حضرته المعينة ، فهو العارف الحق . والحمد لله (رب العالمين) (٢) .

(١) في هذا الخبر ثلاثة نأويلات . أحدها : أنه بمعرفة النفس يتوصل إلى معرفة الله . كقولك اعرف العربية تعرف الفقه ، وإن كان بينهما وسائط ، والنأى أنه إذا حصلت معرفة النفس حصل بمصولها معرفة الله بلا فاصل ، كقولك : بطولع الشمس يحصل الضوء ، والثالث أن معرفة الله تعالى ليست نثبت إلا أن تعرف النفس ؛ لأنك إذا عرفت على الحقيقة فقد عرفت العالم ، فإذا عرفت العالم عرفت أنه محدث ، ولا بد له من محدث لا يشبه الحادث بوجه ، وذلك غاية المعرفة ، وعلى هذا دل قول سيدنا على كرم الله وجهه : « إن العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك الربوبية » .

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ ، س

الجرم الشريف

من الفرع الباسق المنيف

وينقسم إلى ظاهر وباطن وقلب

القسم الأول — الظاهر (١) :

(فيه (٢) الكلام في الأخلاق : في أصولها وطبائعها ، وتفریطها وإفراطها ، وعلاجها ، وهو أساس الارتياض ، وينبوع تلك الحياض .

قال المؤلف رحمه (٣) الله : نقرر في هذا القسم أولاً ، أحكام الأخلاق ، فنقول :

إن الله عز وجل (وعلا (٤) عرفنا بنفسه ، فقال : « قل هو الله أحد » إلى آخرها ، وقال : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » ، إلى آخرها ، وقال : « سبح لله ما في السموات والأرض » ، إلى آخر ست آيات منها ، وقال : « إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار ، إلى غير ذلك من الآي ، الدالة عليه ، في كتابه . ولم يعرفنا بنفسه ، حتى هيأنا لذلك ، فجعل لنا جسماً ترائياً ، قابلاً للرحمة المنزلة ، من المائة رحمة (٥) ، التي هي أول أسباب معرفته ، ومزج ذلك الجسم بالعوالم الروحانية ، التي هي عارفة به (٦) ، وبالعوالم النورية ، التي هي علل معرفته ، وبالعوالم الفلكية ، التي هي مستقر العارفين (به) (٧) ، وبالعوالم الطبيعية ، التي هي دلالة على معرفته .

(١) في : ظ القسم الأول من الظاهر .

(٢) في : س ، ظ . رضى الله عنه .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٥) يشير إلى الحديث الشريف « إن لله مائة رحمة ، ادخر منها تسعاً وتسمين » وبث في الأرض رحمة واحدة .

(٦) في : س عارية به .

(٧) ساقطة من : ظ .

قالوا : فكان الإنسان لذلك عالماً متوسطاً ، بين الأزل والكوفى ، بمادته وصورته . فالعوالم الروحانية الأزلية منه ، فى غير محل معروف (١) ولا مستقر ، والعوالم النورانية منه ، فى القلب والدماغ ، والعوالم الفلكية [منه] (٢) فى الخواص ، وسائر الجوارح ، والعوالم الطبيعية منه ، فى الأمزجة والأخلاق . فينبغى له ، أن يعرف نفسه ، (٧٨ ن) فمن عرف نفسه ، عرف ربه ، فيعلم أنه مركب من تراب وهواء وماء ونار ، فالتراب والماء صورة ، والهواء والنار متمان (٣) لها .

هذا تركيب ظاهر فيه ، وأما الباطن ، فعقل وروح ، وقلب ونفس ، فالنفس والروح صورة ، والعقل والقلب متمان لها ، فالروح نسبة الماء ، والنفس نسبة التراب ، والقلب نسبة الهواء ، والعقل نسبة النار ، وطبيعة الخير والشر مبثوثة فى هذا التركيب ، بحكمة الله ، فالنفس قابلة للخير والشر ، [والروح خير كله والقلب قابل للخير والشر] (٤) والعقل خير كله . والجسم الترابى ، إن خدمته الجوارح الفلكية ، وأدت إليه الطاعة [من النفس] (٥) قهر النفس وملكها ، مصارت فى حربه ، ووجد الماء متصرفاً فى عمله ، فظم الروح إليه ، [بما] (٦) بينهما فى ذلك من النسبة ، فتحركت الروح بالخير ، الذى من شأنها إذا اتسع مجالها فى الخير ، وقبل القلب الهوى ، مطية سورة النار ، فتمكن العقل ، واتسع مجاله ، فاستولى الخير ، وانعزل الشر ، واحتشدت الأعمال الصالحة ، فأغارت على بلاد الأعمال الفاسدة ، فانتسفتها ، فاستولت على غنائم العلوم ، وسبت أبكار الحكم ، وجصأت على الفوز العظيم .

(١) فى : ظ ، س : معروفة .

(٢) ساقطة من : . ظ

(٣) فى : ظ مقحان . تحريف .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) ساقطة من : ظ .

ويحتمل هذا النمط من (١) بيان مراد الخير والشر ، الذى (كان) الخلق ثمرته ، عجائب . إلا أن الخوف من الإطالة (٢) ، أوجب الاختصار والإلماع ، ويتقرر من شواهد الارتباط ، أن الأفلاك بعد الجوارح : [فلك زحل ، ثم المشتري ، ثم المريخ ، ثم الشمس ، ثم الزهرة ، ثم عطارد . ثم القمر ، بعدد الجوارح (٣) التى هى مظاهر الحواس ، واليد والرجل ، واللسان ، والسمع ، والبصر والشم واللمس ، (٤) . الأعضاء (ر) (٥) نسبة البروج وكواكبها ، نسبة القوى ، فلكل برج ولكل كوكب نسبة فى كل جارية . وتلك (٦) النسبة زعموا [أنها] هى الحركة (٧) بالخير من ذى الخير والشر من ذى الشر بإعانة أوفاق . بين الكواكب والأعضاء ، التى عنها يصدر الأمر للجوارح بالحركات الخيرية أو الشرية ، وتلك الأوفاق ، إما بالمواليد ، وإما بالقوى الطارئة بسبب الأوفاق ، من قبل أحوالها فى البروج ، بحدود ، أو مثلثات ، أو وجوه ، أو شرف ، أو بيت ، أو رجوع ، أو استقامة ، أو سقوط (٨) ، أو وبال ، أو سعد ، أو غير ذلك (٩) ، فينحط منها بسبب ذلك إلى الأعضاء المناسبة قوى روحانيات ، فتقتضى مقتضيات ، فيقع العمل بمقتضى ما تأمرها به ، بإذن الله (سبحانه (١٠))

وهذه الأسباب لو احق اقتضتها سوابق ، وتلك السوابق هى : أقبل وأدبر ، وإسلام الطوع والكراه (هؤلاء وهؤلاء) (١١) تلقف لإسلام الطوع .

-
- | | |
|--|----------------------------------|
| (٢) فى : ظ ، س إلا أن خوف الإطالة . | (١) فى : ظ و بيان |
| (٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س | (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ |
| (٦) فى : ظ ، س وذلك النسبة . | (٥) فى : ظ بنسبة . |
| | (٧) فى : ظ هى الحركة بالخير . |
| | (٨) فى : ظ ، س وسقوط . |
| | (٩) فى : ظ ، س أو غيره . |
| | (١٠) ساقطة من الأصل . |
| (١١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س تشير إلى قوله تعالى : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك » . | |

والكره من يدى (١) أقبل وأدبر ، وتلقف هؤلاء وهؤلاء من يدى الطوع والكره ، وتلقف الفطر من يد هؤلاء وهؤلاء ، وأحكمت الفطر المقتضيات ، على مقادير فى العاء الأول ، يوم قضيت القضايا بالكفر والجحود ، والطغيان والإسلام والإيمان والإحسان ، وبالمخالفات والطاعات والسيئات والحسنات ، والفلاح والهلاك ، والفوز والارتباك ، وما يبذل القول لدى " وما أنا بظلام للعبيد " ثم جاءت اللواحق ، على مقتضى السوابق لفتق الرق ؛ وفصل الوصل ، وحكمة (٢) الارتباط ، التى بين (١٧٩) ذوات الوجود ، والاتفاق الذى بين دقائق ، والنسب التى بين جزئياته وكيانيته ، فما من أمر واقع ، أو حال طارئة ، إلا والسابقة الأولى قد اقتضته .

فصل :

وإذا تقررت هذه الأصول ، وعثرت (تلك (٣)) المدارك على مبدأ حركتى الخير والشر ، فلنتكلم على الأخلاق ، فنقول : إنها عبارة عن هيئة (٤) تصيغ (٥) النفس ، فتصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، من غير فكر ولا روية ، فإن كانت حسنة شرعا وعقلا ، سميت خلقا حسنا ، أو العكس سميت خلقا سيئا . ويرجع الجنسان ، فيتوزعان على القوى الثلاث ، تحت رعاية العدل ، وهى قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة .

فقوة العلم ، حسنها أن يصير بحيث يسهل بها (٦) درك الصدق من الكذب فى الأقوال ، والحق من الباطل فى المعتقدات ، والحسن من القبيح

(١) فى : ظ مدى أقبل وأدبر . تحريف .

(٢) فى : ظ وحكمته .

(٣) ساقطة من ظ ، س .

(٤) فى : ظ . هيئة .

(٥) فى : ظ نصنع النفس .

(٦) ساقطة من : ظ .

القيح في الأفعال ، فإذا راعاها العدل ، وحفظ عليها هذا المنصب ، أثمرت الحكمة ، ومعناها امتثال مرسوم الشرع والطبع ، والعقل (السليم) (١) والنقل (الصحيح) (٢) .

وأما قوة الغضب والشهوة ، فحسبهما (٣) ، أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة . ويكون العدل يرعى القوتين ، بحسب إشارة العقل والشرع ، فإذا استوت هذه القوى واعتدلت ، حصل منها (٤) حسن الخلق مطلقاً ، ومن استوى فيه بعضها ، حصل له من حسن الخلق (٥) بقدره ، فحسن (٦) القوة الغضبية يعبر عنها بالشجاعة ، فإن خرجت إلى طرفي الزيادة والنقصان ، سميت في الزيادة تهوراً ، وفي النقصان جبناً ، وحسن القوة الشهوانية ، يعبر عنه (٧) بالعفة ، فإن خرجت إلى طرفي الزيادة والنقصان ، سميت في الزيادة شرها ، وفي النقصان جموداً .

والحكمة الحسنة ، كما قال الله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ، وإن خرجت إلى طرفي الزيادة في الأمور الحسية ، سميت جباً وجريرة (٨) ، وفي النقصان سميت بلها .

فإذن أمهات الأخلاق أربعة : الحكمة ، والشجاعة (٩) والعفة ، والعدل . وهو المجموع ، فالحكمة حالة للنفس ، تدرك بها الصواب من الخطأ في الأفعال الاختيارية (١٠) والعدل حالة تسوس الغضب والشهوة ، وتحملها على مسيل العقل والشرع ، استرسالاً وانقباضاً ، والشجاعة : انقياد الغضبية

-
- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) ساقطة من : ظ ، س . | (٢) ساقطة من : ظ ، س . |
| (٣) في : ظ جنسهما . | (٤) في : ظ ، س حصل عنها . |
| (٥) في : ظ قدره | (٦) في : ظ حسب القوة الغضبية . تحريف |
| (٧) في الأصل : عنها . والترجيح من : ظ (٨) في : ظ حقا وجوهرة | |
| (٩) راجع : الذريعة للراعي الأصفهاني ، والبدور المازغة لشاه دهلوي | |
| (١٠) راجع : (باب الحكمة من علم القلوب لأبي طالب المكي - القاهرة ١٩٦٤ لمعرفة جميع معاني الحكمة الإسلامية . | |

للعقل ، إقداماً وإحجاماً ، والعفة : تأدب الشهوة بأدب الشرع والعقل ،
فن اعتدال هذه الأصول الأربعة ، تصدر الأخلاق (١) الجميلة كلها ،
فيتفرع من قوة العقل مع اعتدالها ، حسن الرأي ، وسلامة للنظر ،
واستقامة التدبير ، والتفطن لدقائق الأشياء ، ومن انحرافها مع الزيادة :
المكر ، والخداع ، والجريرة . ومن انحرافها مع النقص : البله ،
والغباوة (٢) ، والحق ، والشجاعة . ومع الاعتدال ، كبر (٣) النفس ،
والاحتمال ، والكرم ، والنجدة ، والشهامة ، والحلم ، (والثبات) (٤) ،
والوقار ، [ومن انحرافها مع الزيادة : التهور ، والصلف ، والكبر ،
والعجب] (٥) ومن انحرافها مع النقصان : المهانة ، والذلة ، والخسة ،
وصغر النفس . والعفة (٦) مع الاعتدال : السخاء ، والحياء ، والصبر ، والقناعة
والورع ، والمساحة ، والظرف ، ومن انحرافها مع الزيادة : والنقصان :
الحرص ، والشدة ، والخبث ، والوقاحة ، والتبذير ، (٧٩ ب) والمجانة ،
والحسد ، والملق .

وإذا كانت هذه الأصول أسباب الخلق الحسن وأمهانه ، والله عز وجل
يحب الخلق الحسن ، ويثنى به ، فظاهرها أحب إلى الله ، ومزاياها من
عنايته ، بقدر تحليلها بحميد هذه الأخلاق ، وتحليلها عن ذميمها ، ولذلك (٧)
ما بلغ أحد من كمال الاعتدال فيها ، ما بلغ من فاق الخلق في كمال محبة الله
ومحبوبيته ، وهو رسوله الذي تتم مكارم الأخلاق ، صلوات الله
وسلامه عليه .

وتفاضل درجات الخلق في درج التشبه به ، والتخلق بخلق ، وبحسب
تفاوتهم في ذلك ، يكون تفاوت ذواتهم من ذاته ، والبعد والقرب من

(١) في : ظ الخلق الجميلة . (٢) في : ظ والغارة .
(٣) في : ظ ، س كسر النفس . (٤) ساقطة من الأصل : والزيادة من : ظ
(٥) ما بين الحاصرين ساقط من : ظ . (٦) في الأصل : ومع الاعتدال الفقه . تحريف
(٧) في : ظ . ولذلك .

حقيقته ، ومن حضرة قدس ربه ، الذى جعله دليلاً عليه . والعارف الوارث ، المتخلق بخلق الله ، وخلق رسوله ، على جادة الخلق الحميد ، والقصد الرشيد (١) ، ومترق إلى تجريد ، ومترام إلى مزيد ، وفان إلى توحيد .
خاتمة في فضل الخلق الحسن وذم الخلق السيء :

والتعريف من جهة الثمرة . قال الواسطى ، في حسن الخلق : ألا تخاصم ولا تخاصم ، من شدة المعرفة بالله (عز وجل (٢)) . وقال غيره : هو كف الأذى واحتمال المون . وقال غيره : أن تكون من الناس قريباً ، وفيما بينهم غريباً . يعنى قريباً بالتجلى غريباً بالتخلي (٣) . وقال غيره : حسن الخلق ، الرضى عن الله . قال الحلاج . هو ألا يؤثر فيك جفاء الناس (٤) ، بعد مطالعتك للحق . وقال الخراز (٥) : ألا تكون لك جهة إلا الله . وفي فضله جاء في كتاب الله مدح رسوله صلى الله عليه وسلم « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وقال « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : وهو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقال صلى الله عليه وسلم : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . وسئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : حسن الخلق . وعن أنس (رضى الله عنه) (٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه ، عظيم درجات الآخرة » ، وفي ذمه (٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق ذنب لا يغفر » ، وقال : « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه ، دركات جهنم » ، وقيل « يا رسول الله . ما الشؤم ؟ قال : سوء الخلق » ، وفي هذا القدر كفاية ، إن شاء الله .

(١) في : ط ، س والقصد السديد . (٢) ساقط من : ط ، س .
(٣) أى بالتخلي عما يشغل الناس من شئون الدنيا العاتقة عن المعرفة ، وكأنه عريب بين الناس وهو معهم ، لأنه قريب من الله مشغول بذوق تجلياته .
(٤) في : ط ، س جفاء الخلق (٥) في : ط لا تكون .
(٦) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ط ، س .
(٧) أى ذم سوء الخلق .

السلام في علاج الأخلاق :

قال المؤلف ، رحمه الله (١) . وكما أن الأبدان إذا تداعت بطرو العلل استدعيت لها الأطباء ، وبذلك في علاجها الأموال الخطيرة ، مع أن مرض البدن ، إنما يفوت ، إذا هلك (٢) الحياة (القصورة (٣)) الأمد ، المنصرمة بانصرام الأجل ، فأولى أن تكون العناية بمرض النفوس (٤) ، من علل الأخلاق ، التي تفوت الحياة الدائمة . فن عرف قدر الجوهر المعرف ، والجزء الذي حل به المرض ، ومنتهى أثره فيه ، وما يؤول إليه أمره ، شمر لإزالته . ولم تشغله الشواغل عن معالجته ، فإذا (٥) تلقن الطبيب الذي أطلعه الله بنور العرفان ؛ على تشريح المنشآت والأطوار والحضرات ، إلى طور التركيب ، (١٨٠) وشروطه ، أن يكون مرشداً (٦) فاضلاً ، عالماً بالعلوم الثلاثة : الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة (٧) بصيراً ، عارفاً بحقائق الأمراض النفسانية ، والأدوية المزيلة لها ، وربما عالج المريض (نفسه) ، إذا كان ممن يغره عرفان كسبي ، ظنه شهوداً ، فوضع الدواء في غير موضعه ، وكان على الهلاك أقوى أسبابه .

والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار

فينظر الطبيب في القليل ، فإن رأى الأمر خارجاً عن طور العلاج ،

(١) في : س ، ظ رضى الله عنه . (٢) في : ظ ، س أهلك .

(٣) ساقطة من : ظ (٤) في : ظ ، س النفس .

(٥) في الأصل فإذا تعين الطبيب (٦) في : ظ ، س واصل .

(٧) الشريعة خطاب الله لعباده ، وكلامه الذي أوصله إلى خلقه ، بأمره ونهيهِ ، ليوضح به الحجة ، ويقيم الحجة . والحقيقة تصريفه في خلقه ، وإرادته ومشيته التي يخص بها من اختار من أحببه ويبعد بها من أبغده عن بابه .. وقد جمع تعالى بين الشريعة والحقيقة في آيات كثيرة منها قوله تعالى « لمن شاء منكم أن يستقيم » فهذه شريعة « وما تشاءون إلا أن يشاء الله الرب العالمين » فهذه حقيقة ، (راجع : الروضة الأنيقة للشيخ عبد العزيز الدري التوفى عام ٦٩٧ هـ ص ٤) ، أما الطريقة فهي السلوك بالشريعة إلى الحقيقة .

مستقرأ من وراء خطة اليأس والمرض من بعد المنتهى (مائلا (١) من (٢) أصله إلى جتبة الإمكان ترك السكد والعناء ، ويئس من الجنى ، وعلل (٣) المريض ، وأنس مع (٤) القطع بالهلاك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن رأى بعد إعمال قوة الحدس ، وحكم الفراسة ، أن العلة وإن كانت باطنة المحل بما يقبل العلاج ، وأنها مسببة عن التعويقات (٥) الأسمائية ، بحسب المظاهر السكلية ، والسلطانات (٦) الدورية ، والتزلات الحسية الأصلية ، وعرف الأسم الخاص ، وأحدية (٧) سيره ، وعدم مقابله ومخالفه ، أو غير ذلك ، بحسب الأحكام الإمكانية ، قدر (٨) الدواء بالنسبة إلى طبع المريض . وقوته من الأقوال والأذكار والأعمال ، بين قلبها وقالبها (٩) ، يضع الهناء مواضع النقب (١٠) ، مؤيدا بالشهود (١١) المحقق ، والعلم الغيبي لمراتب الخلق ، وأسماء الحق ، واقفا (بالشهود) (١٢) على أسرار المنازل والمقامات لتحقيقه بها ، وقابل التشكيلات الاتصالية

(١) ساقطة من : ظ (٢) في : ظ ، س في أصله

(٣) في : ظ فعال المريض

(٤) في : ظ وأنس من القطع بالهلاك

(٥) في الأصل : التعريفات . والترجيح من : ظ . والفرق بينهما أن التعريفات الأسمائية بمعنى نجلياتها قد تنتهي إلى تعويقات ، إذا لم يكن السالك مستعدا لتلقى تعريفات اسم من الأسماء كن بذكر الأحد قبل الواحد ، فتعريفات الأحدية لا يمكن الاستعداد لتلقبها ، إلا بعد التحقق بتعريفات الواحدية .

(٦) في : ظ ، س السلطات .

(٧) في : ظ ، س . وأخذ به سيره .

(٨) جواب إن الشرطية ، وقد طال الفصل بين الشرط والجواب .

(٩) في : ظ ، س . وقابلها .

(١٠) أى يضع الدواء مكان الدواء .

(١١) في الأصل : بشهود المحقق . والترجيح من : ظ .

(١٢) ساقطة من : س .

الفلكية والكوكبية ، بحركات إنسانية ، هي كالتشكيلات والاتصالات القولية والفعلية ، من حيث أعضاء الإنسان وقواه التي هي أيضاً مظاهر الأسماء الإلهية ، ولها آثار وأحكام في الأفلاك وما فوقها ، لتبعية حقيقة العوالم للحقيقة الإنسانية في الأصل و [في] إزالة التعويقات . (١)

وعلى العموم فيمارستان الشريعة ، وخزائنه الرفيعة ترياق تلك الأقوال والأفعال ، والحركات والسكنات ، المزیلة للحجب الكثيرة (٢) ، من أحكام تلك التعويقات .

وعلى الخصوص فعند علماء الحقيقة الآخذين عنه وفيه بنفوذ يصائرهم علاج كل مريض (٣) ، من عقاير الرياضة ، ومعاين الأذكار ، والمجاهدات والمكابدات ، مما يقاوم العلة ، ويضاد السبب ، حتى يرتفع عن القلب الوجداني الاعتدالي عرضه ، وعن السر أب الروح مرضه ، وعن نفس السالك سبيه .

فإذا حصل البرد ، واستقرت حالة الراحة ، اقتصر بالمريض على ما يحفظ الصحة . فإذا حسم الأسباب القصوى ، وقطع المواد بحسب كل شخص شخص ، من مراعاة كم وكيف ، رجع إلى تحليل المستقر ، ومقابلة المزاج بضده . فعالج مرضى الجهل بالتعلم ، ومرضى البخل بالتسكرم ، ومرضى الكبرياء بالتواضع ، ومرضى الشره بالكف عن المشتبهات (٤) ، ويجرى القياس على هذا في جميع الأمراض .

ولما كان العلاج لا يتم إلا بتأني الموضوع وهو المريض ، إذ لو كان موضوع صانع التجارة . وهي الخشبة . إذا وضع (٥) [النجار] عليها القدم زاعت .

(١) راجع (مواقع النجوم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي - ط القاهرة)

(٢) ق : س : لحج كندر .

(٤) في : ظ ، س عن الشبهات .

(٣) في : ظ ، س كل مرس .

(٥) في : س إذا حمل .

والمشار فرت ، لما تأتى له عمل الكرسي والخزانة ، فيجب على مريض هذه العلل الصبر على مرارة (١) الأدوية وتكلفتها : [٨٠ ب] بتحمل (٢) مضى المجاهدة ، وحرافة الرياضة .

وتختلف صور المعالجات ، بحسب الأشخاص كما قلنا ، فإن كان المريض جاهلاً فجاً ، ليس له علم بالحدود الشرعية طلبه بفرائض العبادات ، وما لا يتوصل إليها إلا به . أو مستغرق الفكر في مال حرام أمره بالخروج عنه . أو مقارفاً لمعصية أمره بتركها ، فإذا تزايد بنور الاستقامة ، وتحلى بشذور العمل ، وتطهر من دنس المعاصي ظاهرة وباطنة ، انتقل إلى معالجة ما هو فوق ذلك .

فعالج الكبرياء بالتواضع ، والكدية بالسؤال بمراى من عيون المنتقصين (٣) .

وعالج شغل القلب بقم (٤) الطرق والنظافة وبلاستخدام فى الأماكن الوسطى ، والقيام بمؤنة المطبخ ، وربما صعب عليه نقله من خلق مذموم إلى ضده دفعة ، فينقله إلى مذموم دونه داخل تحت غرض المذمة ، كمن ينقل مثلاً من شرب الخمر إلى شرب النبيذ ، الذى رخص فيه بعض الناس ، ثم إلى غيره مما لا يتعلق به إلا الكراهة ، ثم الفطام عن الكل . وعالج الشره إلى الطعام بالصوم ، وتقليل الأغذية ، وتقديم اللذيذ

(١) فى : ط . على مادة الأدوية .

(٢) فى : ظ ، س فيحمل .

(٣) هذا هو الهدف من شعيرة السؤال ، فى بعض الطرق الصوفية ، كالدرقوية من مروج الشاذلية بالمغرب ، وبعض سلوك الملامية ، وليس الهدف هو إحداث السؤال كما فهم بعض الدارسين ، بل هو القضاء على أمراض القلب مثل السكر والرتاسة انظر (مدارج السلوك لأبى بكر البناى) فهو من أروع ما كتب فى هذا الباب .

(٤) فى : ظ ، س . بهم الطرق

منها إلى الغير ، مع الإمساك ، حتى تنكسر النفس ، ويتعود الصبر ، ويمنع من اللحم والآدم ، حتى تذلل النفس .

وعالج الغضب الغالب بالصمت والحلم ، وعدم صحبة سيء الأخلاق ، وبهذه المثل الحكيمة ، يطرده العلاج في الأمراض الجزئية ، وعلامة حصول الغرض من العلاج في العلة التي ذهب إلى علاجها لا تخفى عن الطبيب .

وليقدر العلاج . فإن كانت علة الكبر المبعد عن الله ، عالج بالتواضع إلى حد وسط ، لا يفضى إلى الملق والخسة ، فإن العلاج إذا جمع وخرج عن الحد الصناعي ، أخرج المزاج إلى طرف آخر من المضادة ، ويحوج إلى معالجة أخرى . فلتقع على الوسط المحافظة ، فإنه خفي ، ولا تعرى النفس فيه عن الميول ، وهو العدول عن الصراط (المستقيم ^(١)) ، ولتفاضل الميل فيه وقعت الإشارة في اختلاف صفات الصراط وهياته للعبابرين ، وهو سر تكرار الدعاء إلى الله ، بالهداية إلى الصراط المستقيم سبعة عشر مرة في كل يوم بترداد الفاتحة في الصلاة .

ولما كان الإنسان تخفى عليه أحوال نفسه في سلوك الصراط المستقيم ، أو الحيدة عنه ، وجب عليه أن يناصحها ، ويتفقد موازينها (وينفض زواياها) ^(٢) ومتى فقد النصيح ، وعدم المعلم (المرشد) ^(٣) فليحرص نفسه على خلق القرآن ، وليعمد إلى (حسن) ^(٤) مسطورات حسن الخلق ، نظماً ونثراً ، كقول أبي العميش ، في عبد الله بن طاهر :

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) ما بين الجائرين ساقط من الأصل

(٣) ساقطة من الأصل

(٤) ساقطة من : ظ

يامن يؤمل أن تكون خصاله كخصال عبد الله أنصت واسمع
 فلا قصدك^(١) بالنصيحة والذي حجج الحجيج إليه فاقبل أودع
 إن كنت تطمع أن نحل محله في المجد والشرف الأشم الأرفع
 فاصدق وعف وبر وانصر^(٢) واحتمل
 واجمل ودار وكاف واصبر واخشع
 والطف ولن وتأن وارفق واتشد
 واحزم وجد واحلم^(٣) وأحمد وادفع
 (هذا الطريق إلى المكانة مهيبا)
 فاسلك فقد أبصرت قصد المهيمن^(٤)
 وقال الآخر :

يدكر نيك الدين والفضل والحجا وقيل الحيا والحلم والعلم والجهل^(٥)
 فألقاك من مذمومها متنزها وألقاك في محمودها ولك الفضل

فيعتبر حاله ، ويندفع بمقياس الشاء بالأخلاق الجميلة نفسه ، ولا ينصرف
 من محل ذلك الغرض إلا عن علم^(٦) بما محض^(٧) التصحيح ، أو [بما] يجعل
 [له] عيناً لا تكذب^(٨) ، وأميناً لا يغش .

(١) في الأصل (فلاقتضيتك) تحريف

(٢) و : ظ (واقصر)

(٣) و : ظ (وحام) تحريف

(٤) البيت كله ساقط من الأصل

(٥) لا يريد وصفه بالجهل ، وإنما يريد أنه مع علمه يتظاهر بالجهل

(٦) في : ظ (من علم)

(٧) في الأصل (بما محض التصحيح)

(٨) في : ظ (لا يكون) تحريف

فصل

فإذا بانغ إلى هذا [الحد] من العلاج ، وجب عليه أن يعلم أن للقوى المنسوب إليها الاعتدال والانحراف أصول لا تدفعها الحيلة ، ولا تستأصلها المعالجة ، فهي أركان الذات ، ومتممات الصورة ، وبها يقع الاغتذاء والتوليد والمدافعة ، وإنما تتناول الحيلة تهذيبها وقهرها ، إلى أن يحصل منها المراد ، الذي يسهل به الوصول إلى الله ، وينجي من ورطة البعد عنه ، ويخلص من الحجب المانعة من إشراق نوره ، ونفحات قدسه ، إلا أن تلك الموضوعات الرياضية تختلف بالأشد والأضعف ، في الانقياد وسرعة الغيبة^(١) ، فبعضها سريعة التأثير والقبول ، وبعضها عصية الانقياد ، باختلاف العوائد والنشآت والفرائز ، وتؤكد الصبغ بكثرة الأعمال ، وتقليد الأعظم ، والاعتداء بالآباء والأكابر .

فهم الغفل^(٢) الذي لم يقتنص شيئا من اعتباره ، ولا ميز الحق من الباطل بيديته ، واستصحب الخلو^(٣) من العقائد من لدن فطرته ، ولم يجمع مع ذلك شهوته^(٤) ، وهو قريب المرام .

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا ومنهم من عرف قبح القبيح ، إلا أن الشهوة استولت عليه ، ومالت به ، وأرضته بالخسارة ، والرشوة تعمي عين الحكيم ، فكيف عين الجاهل . فعلاجه أصعب ، لافتقاره إلى تطهير المحل ، وعمرانه بما يليق به . وإن وقع التشمير وهبت ريح العزم ، وأخذت العناية بضبع الهمة ، وانطلقت في ساحته

(١) في الأصل : ظ س . (وسرعة الغته) . تحريف

(٢) في : ظ (العقل) ولعله يريد (الغفل) وفي س (الغفل)

(٣) في : ظ س (واستصحب الخلق عن العقائد) .

(٤) في : ظ ، س شهواته :

الغامرة (١) الرياضة ، بدلت الأرض غير الأرض ، وظهر الصلاح ،
فأشرقت الأرض بنور ربها (ووضع الكتاب (٢)) . ومنهم من قلب الله عين
القيح في عينه ، وشكل بصورة الكذب مرآة نفسه ، كما قال الشاعر
(في مثله) (٣) .

ونديم بت أعذله ويرى عدلى من العبث
قلت إن الخمر مخبئة قال حاشاها من الخبث
قلت منها التي قال نعم شرفت عن مخرج الخبث (٤)

« أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا » . فعلاجه من قبيل المحال .

ومنهم من زاد على ذلك ، التناهى في الشره ، والإعياء في السبعية .
فالأول جاهل فقط ، والثاني جاهل وضال ، والثالث جاهل وضال وفاسق ،
والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير : « أولئك لا تفتح لهم أبواب السماء ،
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » . نعوذ بالله من سخط الله (١) .

(١) في الأصل : من (القاهرة) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل و ظ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٤) في : ظ (يخرج الحديث) . تحريف
(٥) في : ظ (نعوذ بالله من ذلك) .

القسم الثاني

وهو باطن الجرم الشريف

وفيه بيان أن (التمتع) (١) بالنظر إلى الله - وهو نهاية السعادة بكل اعتبار - إنما يحصل للنفس من هذا العالم ، وفيه تكسبه أو تضيعة ، وأن ذلك هو معرفته في هذا الطور من غير زيادة .

قال المؤلف رحمه الله (٢) : اتفق المتكلمون في [١٨١] النفس من الحكماء القدماء وغيرهم على أن النفس إنما أهبطها الله إلى هذا العالم بسيطة بريئة من المعارف جملة . وفي الشرع (٣) فيه الإشارة بقوله : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا » . والبطون منزلة لها (٤) على مراكبها من الأرواح الطبيعية ، أو مبدئها المسكن . للتنزل الانتهائي (٥) « ثم جعل لكم السمع والأبصار ، إشارة إلى آلات الإدراك التي لا يتوصل شيء من المحسوسات أو ما تفرع عنها إلا به .

واختلفوا في علة هبوطها . فقال قوم : بمعنى الابتلاء لها والتحريض ، ولعمري أن هذا العالم (٦) ، عالم الكون . وشأن كليها في العالم ، الكلي شأن جزئها في العالم الجزئي . وإليه الإشارة بقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » . وإلى إهباط الله إياها . بمعنى الاختبار والابتلاء الإشارة

(١) ساقطة من الأصل : ظ .

(٢) في : س ، ظ (رضى الله عنه) .

(٣) في : ظ (وفي النوع إليه الإشارة بقوله) . تحريف

(٤) في : الأصل (منزلتها) .

(٥) في : ظ (المنزل الإنتهائي) .

(٦) في : س (ولعمري إن عالم الكون) تحريف .

بقوله : « (ليلوكم فيما آتاكم) » ، (١) وقوله : « ليلوكم أيكم أحسن عملا » .
وقوله : « لينظر كيف تعملون » .

فإما أن يحصل لها الكمال بمعرفة الله الموصلة إلى محبته ، ثم الموصلة إلى حقيقة معرفته ، وتمام محبته الموصلة إلى القرب منه ، فتجوز بذلك السعادة الباقية .

ولما أن تكسب الأخلاق الرديئة وتنقاد (٢) للشهوات المبعدة عنه ، فينفذ فيها حكمه بطردها عن عالم قدسه ، أريتداركها برحمة عفوه (٣) ويطهرها من وحلة (٤) سخطه ، وإليه الإشارة بقوله : « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » .

وجوهر النفس واحد كما أن السرج المشتعلة من السراج ماهيتها واحدة ، وإنما اختلفت بقوايلها واستعداداتها ، وتفاوت عروضات (٥) الأمزجة المتعلقة هي بها .

فأعطى جل وعلا كل مادة نفساً تليق باستعدادها ، فاختلفت بسبب هذا التفاوت أجناس الإدراكات والأذواق والعلوم . وكلما تقارب عرضاً مزاجين (٦) وقوة نفسين ، وأوشك تساوى صفاتهما الذاتية والعرضية ، تقارب (٧) إدراكهما . إلا أن التساوى لا يصح من كل الوجوه ، ولو صح لكانت صورة المدرك في الحس واحدة ، إلا أنه يتقارب بالمناسبة مقارنة

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(٢) في : ظ ، س (وتقلد) تحريف .

(٣) في : ظ ، س (أو تداركها برحمة عفوه)

(٤) في : س (من وحلة سخطه) تصحيف .

(٥) في : ظ ، س (عروض الأمزجة) .

(٦) في : س (تفاوت عرضاً مزاجين) .

(٧) في : س (تفاوت أدراكهما) خطأ .

توهم الاتحاد ، حتى تخفى الأقدار المميزة ، ولإلى معنى اكتساب النفس المعارف (١) في هذا العالم ، وعريها عنها قبله الإشارة بقول الرئيس أبي على لنعود عالمة بما لم تسمع .

قالوا : واكتسابها المعلومات والفضائل وتشكلها بها هو السبب في تميزها وتعيينها بعد مفارقة الجسد ، فهو الذى يسميها (٢) ويخصصها ، ويرسمها (٣) بطابع التمييز ، (ولولا ذلك لم تتعين حقائقها ولا تعينت أشخاصها . وباختلاف ما اكتسبته من المعلومات تكون سعادتها) (٤) . فإن صحت علومها ، وعلمت الأمر في ذات الله ، وصفاته وأفعاله ، على ما يخلص في ذلك ، واكتسبت الأخلاق الحميدة ، والصفات الإلهية ، (وتقدست ، وعرفت الكمال ، وأحبت الخير المحض ، وتعشقت بالأنوار الروحانية) (٥) ، واعتقلت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، فهي من بعد المفارقة لآلات الإدراك مشغولة بالحق ، نواقة إلى المزيد من اجتلاء (٦) نوره ، والرقى إلى جانب قدسه ، لا تلوى على ما تعشقت به (٧) من لذات الجسم ، واعتادته من قبل آلات الإدراك ، التي تستعملها ونسيتها كما تتدرج المحبوبات الناقصة في المحبوبات الكاملة . فنالت السعادة ، التي معناها الحياة الدائمة ، ومشاهدة أنوار حضرة الحق ، [٨١ ب] وبحصول هذه السعادة ، يحصل لها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وإن ارتبكت في وحل الخواص ، وتعشقت بلذات الأجسام .

(١) في : س (اكتاب اليقين المعارف) . تحريف

(٢) في : ظ (فهو الذى يسميها) .

(٣) في : س (ويرسخها بطابع التمييز)

(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الاصل ويريد من : ظ

(٥) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٦) في : ظ (اجتلاب) .

(٧) ساقطة من : س .

لقصورها عن لذة أعلا ، وارتسمت بالعلوم الباطلة والشهوات ، بقيت
بعد مفارقتها الجسد عمياء ، لا تعرف غير ما تعشقت به - « صم بكم عي فهم
لا يرجعون » - فلا تزال حزينـة على مآلوفها ، مقصورة الحب عليه ، :
ومن لا يلاقى مفلحا كيف يفلح ؟ أو كما قال الآخر :

بلىنا^(١) بذى نسب سائل قليل الجدا فى أوان الدعة
إذا جاءه الخير لم يرجه^(٢) وإن صفعوه صُفِعنا معه

وفى النفس التى نسيته الله ، فلسيها من رحمته [قال تعالى] : « نسوا الله
فأنساهم أنفسهم » . وقال سبحانه : « فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم
هذا ^(٣) » . وإليه الإشارة عندهم بقوله : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا
رءوسهم عند ربهم » . وقوله : « يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول » .
وقوله تعالى : « أو نرد فنعمل غير الذى كُنا نعمل قد خسروا أنفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون » . وقوله : « يا حسرتنا على ما فرطنا فيها » . إذ
يقنوا أن السعادة ^(٤) هنالك لا تنال إلا بالمعرفة هنا ^(٥) ، وإنما يتعذر
حصولها هنالك لمن فاتته هنا . وإليه الإشارة بقوله : « ارجعوا وراءكم
فالتبسوا نورا » .

فقد تقرر أن النفوس لا تتعين بعد هذا الوجود الذى تخصصت به ،
وتميزت بمواده ، وتعلقت بأمرجته ، إلا بالمعارف التى تخصصها ، والعلوم
التي تلتقي فيها فتميزها ، وأنها لا تجد بعد المفارقة معلوما سواها ، ولا
معروفا غيرها ، وأن الطبيعة الإنسانية تحشر على صورة علمها ، والأجسام

(١) فى : س (فلسنا الذى لسب) . تحريف

(٢) فى الأصل : (لم يرجه) .

(٣) فى : ظ (فاليوم تسأكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) .

(٤) فى : س (أن الشفاعة) .

(٥) فى : ظ (أن الشفاعة هنا لك لا تنال إلا بالمعرفة هنا) .

تنشر^(١) على صور عملها ، من الحسن والقبح ، وهكذا إلى آخر نفس .

فإذا انفصلت من عالم التكليف ، ومواطن المعارج والارتقاءات والاكتمسابات ، فحينئذ تجنى ما غرست ، وتجده ما قدمت : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا (وما عملت من سوء تود لو أن بينه وبينها أمدا بعيدا)^(٢) » .

لن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا
غدا توفي النفوس ما عملت ويحصد الزارعون ما زرعوا

وليه الإشارة بقوله : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يموت المرء على ما عاش عليه » . و « أنا عند ظن عبدي بي » . ولا يزيد المدرك في اللشاة الأخرى ، على المدرك في (اللشاة)^(٣) الأولى ، إلا زيادة كشف ووضوح خاصة : « (إن وعد الله حق)^(٤) فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور » . ومثلوا ، ما يدرك من ذلك العالم الباقي ، في هذا العالم الدائر ، بمنزلة العميان الذين وصفت لهم المدينة بجميع أجزائها ، فتصوروها بمقدار قواهم^(٥) ، وأحوال نفوسهم ، ومن كان منهم يمشى ، لمس بعض جدرانها وقد وصل لإيها ، وسمع كلام ناسها ، ثم عادت لهم مدركاتهم وجوارحهم ، وجاسوا خلالها ، فما وجدوا شيئا غير ما وصف لهم ، إلا أنهم استفادوا ظهور أمر كان الوصف لا يطبق على

(١) في : س (تسيير) . تحريف

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٥) في : ظ (عقولهم) .

استيفائه :

ولكن للعيان مزيد معنى [١٨٢] لذا (١) طلب المعاينة الكريم

[ووجدوا] لذة عظيمة ، وفرحاً بحال المعاينة ، وتمام الإدراك . فالعيمان الخلق ، والمقعدون العوام (٢) المقلدون ، والمشاة العلماء ، والواصفون أحوال المدينة الأنبياء والرسل ، ورد الأبصار والجوارح انقطاع العلائق بمقارعة النفس للجسد ، قال الله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا قاموا استيقظوا » فالمعرفة الحاصلة في الدنيا تقوم مقام (التخيل) (٣) للبصرات قبل وقوع الشهود (٤) ، والثانية وهي حال الآخرة تقوم مقام المشاهدة بالإبصار لما كان يتخيل ، وبحسب معرفة الله ، والعلم بصفاته وأسمائه في الدنيا ، تكون المشاهدة ، والنظر في الآخرة .

فقوم ينظرون إلى الله بمتخيلاتهم في الدنيا ، بحسب تفاوتهم فيها ، وهم الضالون .

وقوم ينظرون إلى الله ، لا يضارون في رؤيته ، كما ورد في الحديث ، وهم المقربون ، فلا يفوز بالرؤية في الآخرة إلا العارفون بالله في الدنيا ، إذ المعرفة بذن ، ينقلب مشاهدة ، كانقلاب الحبة سنبله ، ولا زرع لمن لا بذر له ، ولا رؤية لمن لا معرفة له ، ولا كمال نعيم وسعادة لمن لا نظر له .

ثم لما كانت المعرفة تتفاوت درجاتها ، كانت الرؤية التي ثمرها ،

(١) في : ظ (كذا طلب المعاينة الكريم) .

(٢) و : ط العيان المقلدون .

(٣) ساقطة من الأصل . وفي : س (الخيال) . تصحيف . انظر تفصيل الموضوع في كتابنا (الصلاة مدرسة الوعي الحضاري) باب الروح . ط مكتبة القاهرة .

(٤) في : ط ، س (وقوع الشمس) . تحريف

متفاوتة في درجات التجلي ، ولذلك ^(١) ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكر خاصة » . ولا نسبة بين إدراك أهل المعرفة إلى ما يدركون من جلال الله ، بما (إذ لا) ^(٢) يدخل تحت حد ولا مناسبة ، قال الله تعالى : « وما قدر الله حق قدره » . وإنما النسبة من حيث حظوظهم ونفوسهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أئذيت على نفسك » . فلما تحقق المستبصرون ^(٣) من أهل العناية والمعرفة ، وأرباب الفطنة السليمة ، ومقلدى الهداة ، أن كمال نفوسهم هو عين سعادتها ، وأن عدم الكمال هو عين شقوتها ، وأن سعادتها معناها الحياة الدائمة ، ومشاهدة نور حضرة الحق ، ولا يتمكن لها ذلك الكمال بعد مفارقة الجسد ، وإنما يتأتى لها ما دامت مدبرة له ، وأن الكمال المشار ^(٤) إليه ، لا يحصل إلا بطريق العلم النافع ، والعمل النافع المفضي إليها إلى محبة المعلوم والمعمول له ، والشوق إلى الأنوار الإلهية ، وأما [٤] بهذه السعادة ، تحصل على ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وأنها ليست من جلس ما يدرك بالحواس الظاهرة ، إذ مدركاتها منقطعة فانية بفناء مدركاتها وإنما تلتذ بهذه السعادة . وتدرکها النفوس الفاضلة الكاملة ، بما أودع الله فيها من الإدراكات الكاملة ، التي خلق لها الأهلوية للاتصال بحضرة . ولا يمكنها ذلك مادامت عاشقة للذوات السافلة ، مقبلة عليها ، إذ عشق هذه الأجسام الفانية صارف عن اللذات الروحانية الفائقة الباقية ، فهذبوا أنفسهم بالرياضة والسلوك ، فوصلوا إلى حضرة ملك الملوك . قال الشاعر :

(١) في : ظ . وكذلك .

(٢) سافطة من : ظ .

(٣) في : ظ (المبصرون) .

(٤) في : س (المشير إليه) تحريف .

٤٦٣

ولما وصلنا^(١) ربع من لم يدع لنا فؤادا العرفان الربوع ولا قلبا^(٢)
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنا أن نلم به ركبا^(٣)

وتقرر أن النفوس إذا صفت من الكدورات لطفت^(٤)، إذ
الكدورات إنما اكتسبتها من قربها^(٥) من عالم الأجسام، وبعدها من
المبدأ، بعداً نسبياً لا زمنياً، كما يحدث في دنان الراح، من لطافة أعاليها،
وتفاضلها بعد في الهباتية والكدرية، إلى العكر والنفاية^(٦).

وعند صفائها. تتشبه بالملأ الأعلى، وتنتقش فيها أمثلة الكائنات
المتعشقة فيه بنوع ما، وتشاهد المحجوبات، وتؤثر في العوالم السفلية^(٧)،
وعند ذلك يصلح لها اسم السكال الإنساني، وهو التشبه بالعالم الأقدس.

وفي هذا الطور يعاين العارف كلّي الجمال، ومعدن جزئيته، فيهم به،
ويستعد لقبول نور الحق الفياض من لدنه، فيتوصل منه إلى الجمال المطلق،
فيتلاشى شهوده، حتى ينعدم وجوده لذاته فيه، فيصير من الأرواح المقربة،
والعوالم المهيمة، ولا يزال يصفو ويتمحض، فيستعد فيقبل. وكلما أشرق
النور على ذاته زادت صفاء، حتى يصير نوراً قدسياً، فعند ذلك ترتفع لها
الحجب الجلالية، فتعاين ما لا تحيط به الأوهام، ولا تنتهي إليه المدارك،
ولا يطمع في فهم حقيقته طامع.

(١) ق : ظ ، س (بصرنا) .

(٢) ق : س (ولا بقا) تحريف .

(٣) أي نزلنا عن ركائبنا كرامة لمن نحب . لتلا تلم به ركباناً .

(٤) في جميع الأصول . إذا صفت من الكدورات ولطفت . والصحيح ما أئتمناه لعدم وجود

جواب إذا مع واو العطف .

(٥) ق : ظ (بقربها) .

(٦) ق : ظ (والنفاية) .

(٧) ق : ظ السفليات .

خضت الأجنة حتى لاح لي قبس فبان بان الحى من ذلك القبس
فقلت للعين غضى عن محاسنهم وقلت للنطق هذا موضع الخرس

ويذهلها عن النظر إلى ذاتها^(١). إذ النظر إليها حجاب عن كمال
الشهود ، فتغنى عن نفسها ، ثم ترى عليها بالفناء شائبا في صفو الشهود^(٢) ،
فتغنى عن رؤية فناؤها ، فتصل بذلك إلى بقائها السرمدي^(٣).

فإذا جازت هذا المقام وهو فناء الفناء ، وعدم منها الخلق بالسكينة ،
وتجلى لها الحق فشهدته موصوفاً بالصفة التي تليق به ، فحينئذ يصبح
الوصول ، وتكمل السعادة القصوى .

قالوا : وإذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه ، بعدم ذواتهم من
غير حجاب ، تجلت لهم جميع الصور الموجودات : « مارأيت شيئاً إلا رأيت
الله فيه » . قال الشيخ^(٤) : فخشيه غاش ، فيكاد يرى الله في كل شيء ، فأروا
العالم كله بالله ، لكنهم رأوه عدما محضا ، لا وجود له من ذاته ، إنما هو
عارية من الله ، وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون^(٥) .

(١) أى عن ذات العارف الصاعد في سلوكه .

(٢) لأن سهود الفناء وفوف عن السير والسلوك .

(٣) وهو البقاء الذى يشبه بقاء الطفل الوليد مع الفارق ، حيث أن الوليد لا يشعر بشيء ولا يقف عند شيء ، ولذلك قالوا إن الوليد حديث عهد بربه فسخر له الله الكبار من خلقه .

(٤) هو الشيخ أبو الفرج البغدادي كما ينم عليه أسلوبه .

(٥) ليس هذا حولا ولا اتحادا ، لأن صاحب هذا المشهد ، يرى الوجود كله عدما ، لأن وجوده عارية من الله ، فليس وجودا حقيقيا ، ثم هو ينظر إلى الشيء بنور الله ، فيشهد الأثر الإلهي من أعمال الصفات والأسماء في كل شيء ، ثم هي ليست رؤية حسية ، بل هو إحساس وجداني ، أرايت من ينشئ مكانا مهيبا ليقابل إنسانا مهيبا ، فانه عند المخاطبة يذهل عن حوله من الخدم وغيرهم . ويراهم لا شيء . وهكذا الصوفى في حياته تستولى عليه الهية فيرى كل شيء بالله ويرده إلى الله . (انظر : منهاج العوارف المنسوب إلى القاضي عياش . مخطوط حديث ، عند الكلام على حديث الرؤية)

فهمت سر الهوى^(١) لما هوت قدى لكنه بالنهى فى السر خلقى^(٢)
وخضت فى الحب أهوالا فنيت بها عن الوجود فأدنانى وقرنى
وربما كانت هذه الحال لوامع تضى وقتاً وتغيب وقتاً ، وبوارق
تومض حيناً ، ثم تصير ملكة مستقرة للعارف .

ومنهم من يرد عن هذا المقام رحمة للخلق ، وسبقة للهداية ، منزلاً
إلى عالم السكون بالله ، متصرفاً فيه بأمر الله ، مختصاً بولاية الله ، تشهد له
بذلك الخوارق والكرامات ، مع الحفظ من المخالفات ، وتوفر النصيب
من حظوظ النبوة^(٣) . وهو المخصوص إلى هذا الحد بالقضية والغوثية ،
والمشرف على أولى رتب الملائكة ، إذ حاصلها الخلود فى [٨٢ ب]
جوار الله .

(١) فى : س (سر الوجود) وهو يخل بالوزن .

(٢) فى : ظ (وحصلنى) . تحريف

(٣) يريد بذلك ميراث النبوة . فالأشقياء من العلماء هم ورثة الأنبياء فى أحوالهم لا فى

نبوتهم .

(م — ٣٠ روضة التعريف)

القسم الثالث

من الجرم وهو قلبه

وفيه المجاهدات والرياضات التي عليها يقوم ، ولتخصون المقامات بها المقام المعلوم .

قال المؤلف رحمه الله : فيجب على من عقل وتدبر ، وأبصر واستبصر ، واستمع القول فاتبع أحسنه ، ورام مصلحة نفسه ، ولا حظ عاقبة أمره . - إذ « لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . « إنما يستجيب الذين يسمعون » - أن يعلم أن كل مخلوق مسافر من وطن الدنيا إلى وطن الآخرة . وأن المكلف لا يحط رحله من وطن الدنيا إلا في الجنة أو في النار . وتختلف أحوال المعاد والدارين بحسب رأى المكلف .

فالواجب عليه إن كان من أهل العقل والتمييز أن يعلم أن المسافر راكب ظهر خطر ، مُعرّض للمشقات ، متحمل للشظف (العيش) (١) والحن لا يستقر ولا ينعم ، ولا يسكن إلى راحة ، ولا يحصل له تدبير صحة (٢) ولا استكمال لذة ، لاختلاف المياه والآهوية ، وتشتيت (٣) سير أرباب المناهل ، وعمره المنازل ، وافتقاره من المعاملات لما يصلح لكل طائفة (٤) إذ هو عندهم قليل اللبث ، منصرف من الغد . فكيف يعقل فيمن حاله هكذا دعة ، أو يتصور فيها (٥) نعيم وهدنة ، وقد شهد الحس والعيان ،

(١) ساقطة من الأصل ، ظ وفيهما : للشظف والحن . تحريف

(٢) في : س (تدبير صحة) .

(٣) في : ظ ؛ س (وشتت) .

(٤) في : ظ ؛ س (بكل طائفة) .

(٥) في : ظ . فيه .

وعرف السلف والخلف ، والعقل والنقل أن المستغرق القلب (١) في حرق الدنيا ، الساهى عن حرق الآخرة ، لا بد أن يصبح « يقلب كفيه على ما أنفق فيها ، وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا » . « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » . فالدنيا والآخرة كفتان ، تميل إحداهما الثانية (٢) ، وضرتان تعبر إحداهما الأخرى ، ومن آثر الفانى عن الباقي فمعتوه ، ومن باع الجوهره بالخرزة (٣) فمخذول ، وإن الوصول إلى الله مسبب عن السلوك ، والسلوك مسبب عن الإرادة ، والإرادة مسببة عن الإيمان .

فمن ضحكت فطرته (٤) وصححت فكرته ، رأى أنه قد اعتورته المتالف ، واستأثرت به الورطة ، فتفقد نفسه من حيث أصيب ، واستبيح حمى عزمه ، وأطى (٥) ميزان عقله ، وصونع أمين تمييزه (٦) ، فيجد إيمانه مدخولا (٧) والحجاب بينه وبين الله كثيفا ، والطريق إلى الله مسدودة ، ويلقى (٨) ربح عزمه خافته . قيل لبعض العرب : كيف كان هواكم البارحة ؟ قال : أمسك . كأنه يستمع (٩) . وأن الشهوات من مال وجاه ، وعصيان وتقليد ، قد اغتصبت خطه قلبه ، وسرقت حدود إيمانه ، فتاب وصرخ ، ونادى وأعول وعرض عقدة الإيمان على شعيرة الإخلاص ، « ليميز الله الخبيث من الطيب »

(١) فى : س (أن المستغرق القلب) .

(٢) فى : ظ ، س (الأخرى) .

(٣) فى : ظ س (بالبرة) .

(٤) ضحا يضحو : وضح وظهره .

(٥) أى اضطرب واختل .

(٦) فى : ظ ، س (أمير تمييزه) .

(٧) فى : الأصل مدخولا (فيجد إيمانه مدخولا) .

(٨) فى : الأصل ، ظ . (وألقى) .

(٩) وذلك لضعفه حتى لا يكاد يسمع إلا بإصغاء بالغ .

فانتشق (١) نسيم لطائف الإرادة « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته » . وبادر الحجاب الحائل دون المحبوب ، مواثبا لياه بيد التزييق ، موائية شطار المحبين ، فجعله مزقا .

أما ماله فخيوط خضراره يعضا الصدقة ، وإن أبقى فيقدر الضرورة (٢) وأما جاهه فبنى نسبه ، عاقدا وثيقة الخول (٣) ، والإشادة به في أسواق التواضع . وأما التقليد فبخلع لباس التغالى ، وترك دعوى الجاهلية ، وقتل عدو التعصب والهوى بسلاح الحق . وأما العصيان فبالانغماس في غدير التوبة ، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين . ليس عزما ما فكر المرء فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام .

(آخر) (٤) :

إذا هم ألقى بين عيديه عزمه (٥) ونسكب عن ذكر العواقب جانبا ولم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبها وسبيل مجاهدة الهوى رياضة النفس على فك أناملها عن هذه الخدع الأربع (٦) ، من وجوه مكتسبة ، ووجوه غير مكتسبة .
فنها أن تكون النفس مستعدة لهذا الشأن ، ملائمة له ، قال الشيخ

(١) في : ظ ، س (واستنشق) .

(٢) للبحار المحاسبي رأى متطرف في مسائل المال . فهو لا يرى جواز اقتناء المال ، وقد ناقش الموضوع مناقشة جيدة انظر : [الباب الثانى والثالث من النصائح] ط - القاهرة . من تحقيقنا (٣) ليس المراد بالخيول الكسل وعدم العمل . بل المراد به عدم الميل إلى الشهرة . ولا يثار العمل في صمت دون دعاية ولا مزاحمة للغير . وتلك طريقة سلوكية تنفذ المحتجم من أخطار كثيرة يجرها الطمع في الشهرة .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) في : الأصل ، س . أحل الفتى ما بين عينيه عزمه (وجاء الشطار مضطربا باقى : س . هكذا (إذا هم ألقى بين عينيه عزمه) .

(٦) هـ : المال ، والجاه ، والعصيان ، والتقليد .

الرئيس : جل جناب الحق أن يكون مشرعاً^(١) لكل وارد ، أو يصل إليه إلا واحد ، ولذلك كان ما يشتمل عليه هذا الفن من كلامنا ضحكة عند المخفل ، وعبرة عند المحصل ، فمن سمعه فاشتازت نفسه منه فليتهم نفسه ، فليعلمها لا تناسبه ، فكل ميسر لما خلق له . فإن كان غير مستعد ولا قابل لم يكن موضوعاً للرياضة ، لأن تأثير الرياضة ليس إلا في إزالة الحجب والأسرار والعوائق ، ولا يكتفي في ذلك الفاعل ، من غير قابلية في المنفعل وربما أفادت سلامة^(٢) ، لأن عذاب النفس بعد المفارقة يقل بتقليل العلاقات التي تعذب بها النفس [في الدنيا] بالشوق إلى البدن .

ومنها أن يكون المراتض يعتمد على شيخ ، يلقي أزمته يده ، ليهديه^(٣) قبل أن تسبقه إليها يد الشيطان .

كن المعزى لا المعزى به لمن كان لابد من الواحد

(وما^(٤)) ينقل « من لم يكن له شيخ كان الشيطان شريكه » . وبحسب علم المراتض أوجه له يكون احتياجه إليه ، وشبهوا المستقل بنفسه من غير مرب بالشجرة النابتة من تلقاء نفسها ، إن أورقت فقل ما تثمر ، وقالوا : « خطؤه مع الدليل ، خير من إصابته دونه » .

ويشترط فيه العلم والتحقيق والسلوك كما تقدم . أما العلم فلضرورة معرفة جواد^(٥) الطريق ، وبيناته وقواطعه ، من الحلول والاتحاد ، والمخلطة من الأنوار^(٦) ، والواردات الشيطانية . وأما التحقيق . فلا يصح

(١) في : ظ ، س . شريعة . وهي مورد الماء .

(٢) في : ظ (ملامة) .

(٣) في : ظ (لهديه) ، وفي : س (يهديه) .

(٤) ساقطة من الأصل و س .

(٥) جمع جادة . وهي الطريق المستقيم .

(٦) أي المخلطة من الأنوار ، وقد تحدث أنوار غير حقيقية . يعرفها المرشد الجبر راجع هذا الباب في (الإبرير لسيدى عبد العزيز لدباغ) ويكاد يكون خبراء الطريق معدومين الآن .

الاقتداء بمن حرم قاعدة طريقه ، وعمل بغير ما عين فيه سبب النجاة . وأما السلوك فلأن المجذوب لا يقتدى به ، ومثله كواجد الكنز في اقتداء طالب المال به ، وهو أمر غير كسبي ، وطريق اكتساب المال سواه .

فالسالك هو الذى يصلح للتربية ، ويعلم طريق (١) الاكتساب ، ويدل ويخبر بأحوال الطريق ، ويشق مع المتبع بعض مفاوزها . ومنها اتفاق الرفقاء والخطاء والمسافرين في طريق الرياضة البدنية والنفسانية ، وهو [قائم] على ما ينفر عن الدنيا ، ويرغب في الآخرة ، ثم يركب بحر العمل ، ويقتم (٢) لج الرياضة البدنية والنفسانية ، وهو من الأعراض المكتسبة ويتسلم من المرشد مفاتيح معاوث (٣) الطريق ومعتصماته ، وهى الخلوة . والصمت والجوع والسهو .

فالجوع يرق (به) (٤) دم السويداء ، ويحفف عجرفية القلب ، و [به] ينفصح مجال الروح ، وتومض من ثناياه بروق المكاشفة (٥) . قال فى الإنجيل : معاشر الحواريين ، جوعوا لعل قلوبكم ترى ربكم . وتنوير القلب عن الجوع من ذوائع التجربة ، بعد مراعاة الحذر من إخلاله

(١) و : ظ طريقة الاكتساب . وفى : س . طرفن الاكتساب .

(٢) فى : ظ ، س (ويفتح) .

(٣) المعاوث : الصعوبات .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) للجوع حال ومقام . غاله الخشوع والخضوع ، والمسكنة والذلة ، والافتقار ، وعدم الفضول ، وسكون الجوارح ، وعدم الخواطر الرديئة . هذا هو حال الجوع فى السالكين . وأما حاله فى المحققين ، فالرقعة والصفاء ، والمؤانسة وذهاب الكون ، والتنزّل عن أوصاف البهيمية ، لغزة الإلهية والسلطان الربانى . ومقامه المقام الصمدانى . [راجع حلية الأبدال لسيدى محبى الدين بن عربى . مخطوط خاص بمكتبة أستاذنا الراحل : سيدى عبد الحالىق الشبراوى . واضطر : عضو القلب . من مواقع النجوم لسيدى محبى الدين بن عربى أيضاً] . والمحقق إذا كان فى مقام الأنس قل أكله ؛ وإن كان فى مقام الهيبة كثر أكله ، وكثرة أكل المحقق دليل على صحة سطوات أنوار الحقيقة على قلبه . وقلة أكله دليل على صحة المحامدة بمجال المؤانسة (حلية الأبدال) .

بالأعضاء الرئيسية ، وتسبب اليبس المشوش للفكر ، الجالب للاضطراب ،
 [١٨٣] وملاحظة ما ينجذ الأرواح ، وترجح فيه الكيفية على الكمية .
 وأما السهر (١) . فينشر (٢) الروح ، ويحد الفكر ، ويمكن من غنيمة
 الفراغ ، ويساعد منادم الجوع على معاقبة (٣) تهذيب السر ، « نور على
 نور يهدي الله لنوره من يشاء » . فتتجلى (٤) خبايا الملكوت ، وتجتز (٥)
 الأفكار عروق حقارة الدنيا ، وتتضاعف معارج الترقى عن حضيض
 العاجل . والسهر أخو الجوع تلازماً ، وابنه تولداً ، قال الشاعر :
 وما السؤدد المكسوب إلا دون ما يومى إليه السؤدد المولود
 فإذا هما اجتماعا تكسرت القنا إن نوزعا وتضعضع الجلود
 وورد في صفة الأبدال « أكامهم فاقة ، ونومهم غلبة » .

وأما الصمت ^(٦) - وإن كان من لوازم الخلوة ، ومن العصمة ألا تجدد -
 فهو مطلق وحى الفكرة ، وجالى صدأ العقل ، وبضاعة ربح الورع ، وغلة
 بذر التقوى .

(١) سهر القلب أعلى من سهر العين ، وهو انتباه الهمة في القلب لطلب المشاهدات ،
 وقد يسهر القلب مع نوم العين . ومقامه مقام القيومية عند من جوز التحقق والتخاقن
 القيومية ، ومنهم الشيخ الأكبر . (حلية الأبدال) .

(٢) في : س (فيغير الروح) .

(٣) في : س . على معاقبة تهذيب السر .

(٤) في : ظ (فتتجلى) .

(٥) في : ظ س (وتتحرس) . تحريص

(٦) الصمت قسمان ، صمت اللسان عن الحديث لغير الله ، مع غير الله . وصمت القلب ، عن
 كل خاطر في النفس في أى كون من الأكوان ، فن صمت قلبه ظهر له سره ، ونجلى له ربه ،
 فإذا لم يصمت معه اللسان ، فهو متكلم بلسان الحكمة ، ومن لم يصمت بلسانه ولا يقلبه كان
 مملكتاً للشيطان ومستخرجه له . وحال صمت المقربين التائيس ، لأنهم لا حديث لهم إلا أنعم ربهم .
 ومقام الصمت مقام الوحى على ضروبه (حلية الأبدال) .

وأما الخلوة^(١) فالحصن الحصين من تسور الشواغل، وقفل الحواس (٢) الحافظ من نشور العوائد - والقلب حوض لا يباح أجنه - حتى تقطع عنه جداول الحواس، وتصرف عنه ميازيب المشاعر، وهذه وظيفة الخلوة. وربما أعان الدثار والاستغلاق، والتراجع في الإزرار. وشاهد اقتدائه: «يا أيها المدثر» «يا أيها المزمّل».

وهذه الأحوال هي مظنات الكشف، ومواعيد الواردات، والخوخلات إلى حضرة الحق، بفضلته ورحمته.

قال بعض الفضلاء: يلحظ في السالك ودائع المحسوسات، من مذاق يزاحم هم استجلابه الوقت، وتغير بطنة جو الفطنة، وتطلق يد القسوة على يتيم الرقة^(٣)، فيقتصر منه على الضرورة الملائمة، ومن مرئى ذى ألوان تختار حبيبة للأرواح، بماسة للنفوس، فكثيراً ما تكدر أضدادها، وتثقل عليها وطأة الرياضة.

و [يجب أن] يجتلب النقوش والزخارف، ويعتمد على البساطة من الخضرة والبياض. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه البياض. ومن مسموع، وهو إما ألحان مناسبة، منها ما يزيد القلب أشجاناً وهيجاناً، بالمعنى الجائل في زواياه، ويجرده ويمحضه، لا سيما إذا قرن به من المشوقات ما يستدعى الحنين، ويجلب الوجد، فيلطف السر، وتتضاعف الرقة، ومن المسموع وأحواله يزكو^(٤) الصمت، وهو شاق، إذ الإنسان فعال

(١) لصاحب الخلوة نيات ثلاث. نية اتقاء شر الناس، ونية اتقاء شره المتعدى إلى الغير، وهو أرفق من الأول، فإن في الأول سوء الظن بالناس، والثاني سوء ظنه بنفسه، وسوء الظن بنفسك أولى. لأنك بنفسك أعرف. ونية إثارة صفة المولى من جانب الملاء الأعلى. ومن آثار صفة المولى لم يعرف أحد ما يعطيه الله تعالى من المواهب والأسرار (حلية الأبدال).

(٢) في: س (وقفل الحواس) . تحريف

(٣) في: ط س (على دل شيم الرقة) .

(٤) في: ط د س . ترك الصمت .

بالطبع . ومن مشموم ، وحقه أن يتناول الدسم الصريح ، بالسكنى
في الأماكن الطيبة ، المنتبذة عن الناس . والطيب عد للأرواح (١) ، ولذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب . ومن ملبوس ، وأهمه
المنكوح (٢) . وهو من قواطع الرياضة ، ولا دافع لمضرته كالصوم ،
ولإفالتزويج الذي (لا) (٣) تشغل أغراضه عن القصد .

ماقام خيرك يا زمان بشره أولى لنا ماقل منك وماكنى

ومنها الملبوسات . والغرض أن يقصد بها ما يدفع ضرر الفصول .
وأن يكون نظيفاً ، موافقاً للشرع والطبع (٤) .

وبعد هذا . يشرع في قطع العقبات المعترضة في سفر القلب . وهي
رسوم العلائق المقطوعة . وجراثيم الهوى [٨٣ ب] المستورة (٥) من مال
أو جاه ، وحنين (٦) إلى شهوة وتهمة ، واشتغال بغير علم نافع (٧) ، وكلف
بمعصية ، حتى إذا وذرهما قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، ضربت (٨)
على النفس الجزى ، ونوزعت في الهوى ، وأخذ يحجزها عن الهوى (٩) .
والناس في اختلاف الأحوال ، وطول زمان هذه الأحوال متفاوتون ،
وفي درج السير لا يستوون .

(١) في س (غناء الأرواح)

(٢) في الأصل . ظ (أوهمة التلوح) تحريف

(٣) ساقطة من ظ ، س .

(٤) فليست شعائر التصوف لباس مضحك شاذ عن لباس المجتمع كما يفعل الكثيرون من
الجهلاء الأدعياء .

(٥) في : س (المستوردة) . تحريف

(٦) في : ظ (وحسن إلى شريق) تحريف .

(٧) في : ظ ، س (بعلم غير نافع) .

(٨) في : س (صرفت)

(٩) في : س (وتوزعت وأخذ يحجزها عن الهوى) .

فإذا ضعفت العلائق ، وخذت بالمجاهدة تلك البوائق (١) ، ونكست رموس الشهوات ، وخزيت سبال الهوى ، وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ، وغيض الماء ، وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين . رتب له قيوم سلوكه في أرض الفتح رابطة الذكر ، واقتصر على الفرائض ، وصرفه عن طوع حشود المجاهدة ، وأفرده بمنقبذ (٢) ، ووكل به من يكفيه شاغل الضرورة ، ولقنه الذكر ، يحرك بريجه ورقة لسانه ، ثم تستمر الحركة مع سكونه ، ثم تنتقل صورته (٣) إلى قلبه ، ثم تمحي الصورة ، وتبقى (فيه) (٤) حقيقته حاضرة غالية ، وعند ذلك تسد مسالك الخواطر ، وتكافح سرايا الشيطان المخيرة من ثنايا الطاعات (٥) . وينادى لسان الحضور : ربنا افرع علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فيسمع النداء من كئيب (٦) ، يرفع به منجد الشيخ عقيرته وإما ينزعك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . ثم لا يزال يعرض مواجيده على ريان مركب هذا السير ، فتارة يخفض ، وتارة يشجع (٧) ، وأخرى يدمر (٨) ، ويكون أمره بالفكرة (٩) تارة ،

(١) البوائق : المهلكات .

(٢) في : ظ (مجذ) . ولعله يريد : بمد . كما في ؛ من أى عزله عن إخوان السلوك .

(٣) أى صورة الذكر ، ويصير الذكر قلباً . وصورة الذكر تكون بانتقاس الاسم المذكور في القلب ، ونبس القلب به ومحو هذه الصورة يكون باستبقاء الحال الذى أنتجه الذكر ، وإخماد حركة القلب ، ونسيانها .

(٤) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٥) يشتر الشيطان على العبد من ثنايا الطاعات ، بأن يدفعه إلى الإعجاب بها .

(٦) انظر باب النية من كتاب علم القلوب ، لأبى طالب المكي . من تحققتنا (

(٦) في : ظ (من كشف) وى : من (من كبت) . تحريف

(٧) في : ظ ، س (يسمع) .

(٨) التدمير طريقة سلوكية تسمى عند الصوفية « بالتخريب » وأشهر من عرف بها

المعارف بالله سيدي العربي بن أحمد الدرقاوى من شاذلية المغرب . وتتلخص في إبادة كل شىء يعتر به المرید حتى يتخلص توجهه إلى ربه دون شاغل من الشواغل . فإذا تمت له المعرفة أعيد إلى ما كان عليه .

(٩) في : ظ ، س « بالفكر تارة .

ورده إلى العقد تارة ، حتى بمن الموفق بقطع بحر الغرور ، والإرساء بمرفأ (١)
الشهود ، فحيثئذ ينشد :

إذا غاب الوجود وغبت عنه فلم تعلم أبعد أم تداني
وكنت من الزمان بلا زمان وكنت من المكان بلا مكان
وقلت فليت قال الحال باق وقلت بقيت قال الحال فان
رأيت الحق فيك وأنت فيه فصار العبد حراً في أمان

الرياضات

وربما خص بعض المدونين المجاهدات بما يرجع إلى الأمور البدنية ،
والرياضات بما يرجع إلى الأمور النفسانية ، وعندى أن السكل راجع إلى
الأمور النفسانية ، لكن نهينا على ذلك مع حصول الغرض والحمد لله
على كل وجه ، فتقول :

اعلم أن العارف لا بد أن يتخطى المقامات ، التي هي منازل السالكين
إلى حضرة الحق مقاماً (مقاماً ٢) ، فكلما عرج عن مقام ، التفت إليه
من الذي يليه ، فكله (٣) حتى يستوعب المنازل ، ويطوى المراحل ،
ويتصف بها في أطوارها الثلاثة ، ودرجاتها المتفاضلة ، إسلاماً وإيماناً
وإحساناً ، ويكون مع طي سجلاتها ، وحذف صحائفها ، والاحتياز (٤) على
رسومها [١٨٤] موجوداً في جميعها ، قائماً بصفاتها ، مرتبطاً بالبدائيات
بالنهايات ، والقوائح بالغايات ، لا يحجبه الجمع عن الفرق (٥) ، ولا يقطعه.

(١) في : ظ « برق الشهود » .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) في الأصل ، س « فكله » . وسأهده من السنة قوله عليه السلام : « لأنه ليفان
على قاي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة » . أي لأنه كان يشعر بضعف الأنوار التي ترقى
عنها ، فيكملها حتى يصير نوراً كله

(٤) في : ظ « الاحتياز على رسومها » .

(٥) في : س . « من الفرق » .

الخلق عن الحق، نظره مطلق، وباب الشهود عليه لا يغلُق، فمقامه هو المقام المحمود، وذاته المرأة التي يتجلى بها الوجود، ونحن إن عددنا المقامات، وترقيته في معارجها^(١)، وسلوكه على منازلها، كثرنا الكتاب بمضمنات أوراق، واصطلاح آفاق. فلنلصق بذلك إلماعاً يرفع عن الكتاب معرفة الإغفال، ويشمر أذيال الإطناب والاحتفال، فنقول:

إن العارف تسمية بالمآل^(٢)، لا بد له من بعد اقتحام سفر المجاهدين^(٣) البدنية وما معها، وهي التي تنضي^(٤) الظهر، وتتحيف^(٥) الحنف، وتقضي إلى فضاء السلوك، من استيعاب قسم البدايات، ثم إتباعها بقسم الأبواب، ثم تعزيزها^(٦) بقسم المعاملات، ثم تعقيها بقسم الأخلاق، ثم إيصالها^(٧) بقسم الأصول، ثم الإفضاء إلى قسم الأودية، ثم الانتقال إلى قسم الأحوال، ثم الدخول إلى قسم الولايات، ثم التحقق بقسم الحقائق. ثم الانتهاء إلى قسم النهايات. ونحن نخرج في سطح الجرم الشريف هذه الأقسام غصونا، ونجعل أقسام كل غصن من الإسلام، والإيمان، والإحسان، في الغصن فروعا، ونجعل أقسام كل فرع منها ورقات إن شاء الله (تعالى) (٨). ونأتم في تقريرها وإن خالفناه في الاختصار. وتنويع العبارة. بالجزء المعروف «بمقامات السائرين إلى الحق»، إذ مؤلفه هو الإمام

(١) في: ظ «في معارجها».

(٢) في: س. تسمية بالمآل.

(٣) في الأصل: «سفر المجاهدة» تحريف. وفي: ظ «سفر المجاهدة» وهو صحيح المعنى، أي بعد الوصول إلى الحدود الأخيرة للمجاهدة إن كان الثغر بمعنى حدود الدول، أو بمعنى خوض بحر المجاهدة واقتحام الثغور المطلة على شاطئه.

(٤) في: ظ: «نبغي الظهر» ولعلها، تفنى الظهر.

(٥) في: ظ، س «وتحف الحنف». تحريف.

(٦) في: ظ «تقريرها».

(٧) في: ظ «إفضاها». تحريف.

(٨) ساقطة من: ظ.

وكتابه الزمام . وإن كان ماجاء به نتائج لاتفيد . وأخبارا لاتبدى فى صورة السلوك ولا تعيد ، فمن ذلك :

الغصن الأول

غصن فروع البدايات ، وفروعه عشرة

الفرع الأول فرع اليقظة : ويقال القومة ، وهى التنبه من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة ، ورقاته ثلاث ، وقد ذكرناه (فى شوارع المحبة) (١) بين يدى التوبة .

الفرع الثانى فرع التوبة : وهو فرع كبير ، ورقاته ثلاث ، وقد ذكرناه فى شوارع المحبة ، فلينظر هنالك .

الفرع الثالث فرع المحاسبة : ورقاته (ثلاث (٢)) ، وهذا الفرع يجنى بعد العزيمة على عقد التوبة . والسالك فيه فى رقة مقام الإسلام يقتبس (٣) من النعمة والجناية بنور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس وتميز النعمة من الفتنة وفى ورقة الإيمان يميز ما للحق عما له أو منه ، وفى ورقة الإحسان يعرف أن ما رضىه من الطاعات فهمى عليه ، وما عير به أخاه من غيرها فهمى إليه .

الفرع الرابع فرع الإنابة : وهى الرجوع إلى الله (٤) لإصلاحاً ، كما رجعت اعتذاراً ، ووفاء كما رجعت عهداً ، وحالاً ، كما رجعت إليه إجابة ، وورقته ثلاث .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٢) ساقطة من : ظ . رأسهر من عرف بالمحاسبة « الحارث بن أسد المحاسبي » شيخ الجنيد . انظر (حلبة الأولياء ج ١٠ ومقدمة كتاب الوصايا له ، من تحقيقنا)

(٣) فى : ظ يقدر وفى : س يعيش بين النعمة والجناية .

(٤) فى : ظ « إلى الحق » .

الفرع الخامس فرع التفكير ، وهو تلبس البصيرة لاستدراك النعمة
وهي في عين التوحيد ، وفي لطائف الصفة ، وفي معاني الأحوال والأعمال
وورقاته ثلاث ، وقد ذكرناه بين يدي المحبة .

الفرع السادس فرع التذكر . وأركانه الانتفاع بالعظة (١) ، والاستبصار
بالعبرة ، والظفر بشمرة الفكرة ، وورقاته ثلاث .

الفرع السابع فرع الاعتصام . وهو المحافظة على الطاعة ، مراقبة
للأمر (٢) ، وأوله ورقة الاعتصام بالجوم ، [٨٤ ب] ثم ورقة الاعتصام
بالانقطاع ، ثم ورقة (الاعتصام) (٣) بالاتصال ، وهو شهود الحق تفريداً
وهو الاعتصام بالله .

الفرع الثامن فرع الفرار ، وهو الهرب من الخلق (٤) ، إلى الحق
وورقته الأولى فرار من الجهل إلى العلم ، والثانية من الخبر إلى الشهود ،
وورقته الثالثة مما دون الحق ، من فرار أو شهود .

الفرع التاسع فرع الرياضة ، وهي تمرين النفس على الصدق ، وورقة
الأولى تهذيب الأخلاق بالعلم ، والأعمال بالإخلاص ، والثانية حسم
التفرق والالتفات ، مع إتقاء العلم ، والثالثة تجريد (٥) الشهود والصعود
إلى الجمع من غير معارضة .

الفرع العاشر فرع السماع . وقد مر ذكره في الجواذب ، وورقاته
ثلاث .

(١) في : ظ «بالعظة» وفي : س «بالعظة»

(٢) لا مراقبة لحكمة الأمر ؛ اضطر (منهاج العوارف) مخطوط في الحديث ٣١٥
بدار الكتب المصرية ، ومنسوب للقاضي عيان ، الحديث الأول

(٣) ساقطة من : ظ

(٤) في : ظ ، س «عن الخلق»

(٥) في : ظ «تجديد الشهود»

الغصن الثاني

غصن فروع الأَبواب، وهي عشرة فروع

الفرع الأول ، فرع الحزن . وهو بما يذكر في غصن علامات المحبة وتوابعها من هذا الكتاب ، وورقاته ثلاث .

الفرع الثاني ، فرع الخوف . وقد ذكرناه في مثال ملازمة المحبة للمقامات ونذكره في غصن العلامات إن شاء الله .

الفرع الثالث ، فرع الاشفاق . وهو دومة الحذر مقرونا بالترحم ، ورقته الأولى ، إشفاق على النفس من العناد ؛ وعلى العمل من الضياع ، وعلى الخليفة من المعاذير ، والثانية على الوقت من التفرقة ، وعلى القلب من العارض . وعلى اليقين من السبب . وفي الثالثة يصون السعي من العجب ويكف عن المخاصمة . ويحمل [النفس] على حفظ الحد .

الفرع الرابع فرع الخشوع^(١) وهو خمود لمعاظم أو مفرع ورقته الأولى للتذلل للأمر ، والثانية ترقب آفات النفس والعمل ، وروية الفضل للغير وتنسم الغناء . والثالثة حفظ الحرمة عند الكشف ، وتصفية الوقت من الرياء .

الفرع الخامس : فرع الإخبات . وهو من بداوات الطمأنينة وأولى ورقاته^(٢) أن تستغرق العصمة الشهوة ، والإرادة الغفلة ، والطلب السلوة . والثانية ألا تنقص الإرادة بسبب ، ولا وحش^(٣) القلب عارض ، ولا يقطع الطريق فتنة . والثالثة : أن يستوى المدح والذم ، وتدوم اللائمة للنفس وتعمى عن نقصان الخلق .

الفرع السادس : فرع الزهد وقد مر ذكره في ملازمة المقامات للمحبة .

(١) في : ظ « الجسم » تحريف

(٢) في : ظ « وأولى أوراقه »

(٣) في : ظ « ولا يوحش القلب »

الفرع السابع . فرع الورع . وهو آخر مقام الزهد للعوام ، وأوله للمريدين ، وهو تخرج على عظيم . وأوراقه ، أولاها تجنب القبائح ، وتوفير الحسنات ، صونا للإيمان . الثانية ، حفظ الحدود عندما لا بأس به لأجل ما به البأس^(١) . الثالثة ، عن كل ما يتعلق بالفرق ، أو يعارض الجمع^(٢) .

الفرع الثامن : فرع التبتل . وهو الإنقطاع ، ورقته الأولى تجريد الإنقطاع عن الحظوظ والمبالاة لشهود الحقيقة ، والثانية تجريده عن التعرّيج على النفس بمجانبة الهوى ، وتنسم الأنس وشم الكشف^(٣) . والثالثة : تجريده إلى السبق^(٤) ، والنظر إلى أوائل^(٥) ، الجمع .

الفرع التاسع : فرع الرجاء . وقد مر [و] ألمعنا به^(٦) فيما تقدم ، فليُنظر فيه .

الفرع العاشر . فرع الرغبة . وهو فوق الرجاء ، ورقته الأولى ، رغبة^(٧) أهل [١٨٥] الخير المتولدة من العلم . الثانية رغبة أهل الحال . الثالثة . رغبة أهل الشهود . وتصحبه بقية^(٨) ، وتحمله همة نقية ولا يلبغى معه من التفرقة بقية .

-
- (١) أى تحرى الحلال المأخوذ فى الباطن ، لتلايق فى المحرم .
 (٢) أى الورع عما يجر إليه عالم التفرقة من خطاير رديئة ، كاعتقاد الملك للسان ؛ ونسبة الفعل للأسباب ؛ وعدم النظر إلى السبب ، بل يلزم مقام الجمع ، بأن ينظر إلى الأشياء من أصلها ومنبعها ، ويلزم هذا الشهود ، ويضرب عما يعارضه .
 (٣) فى : ظ (وتنسم الاسم رسم الكشف) وفى الأصل (وتنسم الأنس رسم الكف) تحريف .
 (٤) فى : ظ (إلى الشبق) تحريف .
 (٥) فى : ظ (إلى أوابد الجمع) .
 (٦) فى الأصل : (وقد مر المعنى به) .
 (٧) فى : ظ : رتبة أهل الخير . تحريف .
 (٨) فى الأصل ، س (وتصحبه نقية) ، والمعنى أن هذا المقام فيه بقية من حظ النفس وهى الرغبة ولكن الهمة الصافية القوية تحو البقية ، وتقضى على آثار الفرق .

الغصن الثالث

غصن فروع المعاملات ، وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : فرع الرعاية : وهو الصون بالعناية . ورقته الأولى : رعاية الأعمال ، والثانية : رعاية الأحوال ^(١) ، والثالثة : رعاية الأوقات ^(٢) .

الفرع الثاني : فرع المراقبة : وهو دوام ملاحظة المقصود ، وورقاته ثلاث . أولها ^(٣) ، مراقبة الحق في السر ، بين تعظيم وسرور ، والثانية : مراقبة الحق برفض المعارضات . الثالثة مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق ^(٤) ، استقبالا لعين التوحيد ، ثم مراقبة الخلاص من المراقبة .

الفرع الثالث : فرع الحرمة : وهي التحرج ^(٥) عن المخالفات والمجاسرات . وورقة الأولى : تعظيم الأمر والنهي ، من غير لحظ عقوبة ولا مشوبة ، إذ هي شعب من عبادة النفس . الثانية إجراء الخير على ظاهره وتبعية ^(٦) أعلام التوحيد فيه ، لايحمل البحث [فيها] تعسفا ، ولا يتكلف لها تأويلا ^(٧) . والثالثة : صيانة الانبساط من الجراءة ، والسرور من الأمن ، والشهود من السبب .

(١) بأن يقابل السالك كل حال بما يناسبه ، صونا له من الانحراف ، فيقابل البسط بالقبض ، والوجد بالسكون ، والاصطلام بسلب الإرادة . لأن السالك مثلا لو لم يقابل البسط بالقبض . فإنه ينحرف إلى الإدلال ، وسوء الأدب ، ولو لم يقابل القبض بالبسط فإنه ينحرف إلى اليأس وهكذا .
(٢) وذلك بألا يمر وقت دون فكرة أو ذكر وألا ينظر إلى الأوقات الماضية ولا المستقبل .

(٣) في : ظ (أولها) .

(٤) أي مراقبة الأزل وما صدر عنه ومراقبة أوائل الخلق لا أواخر فنظر إلى أوائل الخلق رأى الأشياء وكلها صادرة عن الله ومن نظر إلى أواخر الخلق لم ير سوى الخلق .

(٥) في : ظ (المخرج عن المخالفات) .

(٦) في : س ظ (وتبعية أعلام التوحيد فيه) .

(٧) في الأصل ظ ، س . تأويل . وبناء الفعل للفاعل أرجح رعاية للسياق .

(٣١ — روضة التعريف)

الفرع الرابع : فرع الإخلاص : وهو تصفية العمل ، ما يشوب . ورقته الأولى لإخراج رؤية العمل ، فضلا عن طلب العوض عن العمل . والثانية التحلل من العمل . مع الغاية فيه ، ورؤية العمل من عين الجود المحض . والثالثة إخلاص بالتحلاص منه ، والحرية من رق الرسم .

الفرع الخامس : فرع التهذيب : وهو مجنة لأهل الرياضة (١) ، ورقته الأولى تهذيب الخدمة من الجهالة والعادة ووقوف الهمة . الثانية تهذيب الحال ، فلا يمنح لعلم (٢) ، ولا لرسم ، ولا لحظ . ثالثا تصفيته من الإكراه والفتور ، ونصرته على منازعة العلم .

الفرع السادس : فرع الاستقامة : وهو روح يحى الأحوال ، ويرزخ بين التفرقة والجمع . ورقته الأولى الاستقامة على الجهاد . موافقا نهج السنة ، ورسم العلم . وحد الإخلاص . الثانية . الاستقامة فى الأحوال . يرفض الدعوى وشهود الحقيقة ، بغير كسب ، والبقاء مع اليقظة كذلك . والثالثة ترك رؤية الاستقامة .

الفرع السابع : فرع التوكل : وقد ذكر فى ملازمة المحبة للمقامات .

الفرع الثامن : فرع التفويض : وهو فوق التوكل ، ورقته الأولى . خفى الاستطاعة قبل العمل ، فلا يأمن من المسكر ، ولا يئأس من المعونة والثانية : معاناة الاضطرار ، فلا العمل منج ، ولا الذنب مهلك ، ولا السبب

(١) فى : ط د س . لأرباب الرياضات

(٢) ليس المراد عدم طلب العلم بل المراد أن الإنسان عند هجوم الحال عليه لا يحاول العمل الفكرى لاستخلاص علم منه بل يسكن تحت مجاريه وحين ينجلي عنه الحال ويرى منه إلى المقام تأبى العلوم وحدها .

ساحل . الثالثة : شهود انفراد الحق بملك الحركة والسكون ، والمعرفة بتصرف التفرقة والجمع .

الفرع التاسع : فرع الثقة : وهي لباب التوكل ، ورقته الأولى . اليأس من مباراة الأحكام . الثانية ، الأمن من فوت المقدور ، فيظفر بروح الرضى ، أو بعين اليقين (١) ، أو بلطف الصبر . الثالثة ، معاينة أولية الحق ، المخلصة من التعرّيج عن الوسائل .

الفرع العاشر : فرع التسليم : وهو من أعلى سبل العامة ، ورقته الأولى تسليم لما يزاحم العقول . بما يشق على الأوهام . والثانية ، تسليم العلم والقصد والرسم للكشف والحقيقة . الثالثة ، تسليم مادون الحق للحق ، [٨٥ ب] والسلامة من وؤية التسليم .

الغصن الرابع

غصن فروع الأخلاق ، وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : الصبر : وقد ذكر في ملازمة المحبة للمقامات ، ويذكر في غصن العلامات ، إن شاء الله .

الفرع الثاني : فرع الرضا : وقد ذكرناه مع التوكل .

الفرع الثالث : فرع الشكر : وقد ذكرناه كذلك .

الفرع الرابع : فرع الحياء : وهو تعظيم منوط بود ، ورقته الأولى تتولد من علم العبد بنظر الحق . الثانية ، من النظر في علم القرب . الثالثة ، من شهود الحضرة ، ولا توقف له على غاية .

(١) في : ظ ، س (أو بعين النفس) .

(٢) في : س (ولا السبب خامل) تصحيف .

(٣) في : ظ (تولد) .

الفرع الخامس : فرع الصدق : وهو اسم لحقيقة الشيء . ورقته الأولى
صدق القصد . الثانية ، ألا يتمنى الحياة إلا للحق . الثالثة ، الصدق في معرفة
الصدق (١) .

الفرع السادس : فرع الإيثار : وهو التفضيل : ورقته الأولى ،
أن يؤثر الخلق على نفسه ، فيما لا يحرم . الثانية إيثار رضى الله على غيره ،
ولو بلغ ما عسى [أن يبلغ من مقامات] الثالثة إيثار الله ، ثم ترك شهود
رؤية الإيثار ، ثم الغيبة عن هذا الترك .

الفرع السابع : فرع الخلق : قالوا : التصوف خلق ، فمن زاد عليك في
الخلق ، زاد عليك في التصوف ومداره على بذل المعروف ، وكف
الأذى ، ورقته الأولى . المعرفة بمقام الخلق . والثانية تحسين الخلق مع
الحق ، يعلم أن كل مامن العبد ، موجب عذر ، وما من الرب موجب شكر .
والثالثة : التخلق بتصفية الخلق ، ثم الصعود عن تعرفها ، ثم التخلق
بمجاورتها .

الفرع الثامن : فرع التواضع : وهو إذعان العبد لصولة الحق . ورقته
الأولى ، لا يعارض المنقول بالمعقول ، ولا يرى سيلا إلى الخلاف .
الثانية ، الرضى بمن رضى الحق من المسلمين ، وعدم الرد للحق بمن كان ،
وقبول المعاذير . والثالثة . الاتضاع للحق ، بالنزول عن الرأى في الخدمة ،
وعن الرسم في المشاهدة (والفترة) (٢) .

الفرع التاسع : فرع الفتوة : وهو ألا تشهد لك فضلا ، ولا لك حقا .
ورقة الأولى : ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة والأذية ، الثانية :

(١) أظن أعظم ما كتب في الصدق (كتاب الصدق) لأبي سعيد الخراساني
د. عبد الحليم محمود .

(٢) ساقطة من : س

تقريب من يقصى (١) وإكرام (٢) من يؤذى ، من غير كظم ، ولا مصابرة .
الثالثة : ألا يوقف في الشهود على الرسوم (٣) .
الفرع العاشر : فرع الانبساط : ويذكر في العلامات ، فينظر معها .

العصن الخامس

غرض الأصول . وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : فرع القصد : وهو الإجماع للتجرد ، ورقته الأولى .
تبعث على الارتباط ، ومخلص من التردد ، ومصاحبة الأعراض ، والثانية .
قصد لا يلقى سببا لإلقاطه (٤) ، والثالثة . قصد الإجابة ، وطى الحكم ،
والاقتحام في بحر الفناء .

الفرع الثاني : فرع العزم : والعزم تحقيق القصد . ورقته الأولى ،
بناء الحال على العلم ، لشيم برق الكشف . الثانية ، الاستفراق في المشاهدة .
الثالثة ، معرفة علة العزم ، ثم الخلاص من تكاليف ترك العزم .

الفرع الثالث : فرع الإرادة : وقد تقدم الكلام فيها .

الفرع الرابع : فرع الأدب : ورقته الأولى ألا يبلغ الخوف إلى اليأس ،
ولا الرجاء إلى الأمن ، ولا السرور إلى الجراءة . والثانية ، الخروج من
الخوف إلى القبض ، ومن الرجاء إلى البسط ، ومن السرور [١٨٦]
إلى المشاهدة . الثالثة ، معرفة الأدب ، ثم القناعة بتأديب الحق ، ثم
الخلاص من أعبائه .

(١) في : ظ (يقضى) تحريف .

(٢) في : ظ (وإلزام) تحريف

(٣) في : ظ ، س (على الرسم) .

(٤) في : ظ (لا يلقى شيئا إلا تطفه) .

الفرع الخامس : فرع اليقين : وهو مركب الأخذ في الطريق ، وأوله خطوة للخاصة ، ورقته الأولى . علم اليقين . والثانية . عين اليقين والثالثة . حق اليقين . وهو إسفار صبح الكشف ، ثم الخلاص من كلفة النفس ، والفناء في حق النفس .

الفرع السادس : فرع الأنس : يذكر في العلامات ، إن شاء الله .
الفرع السابع : فرع الذكر : وقد تقدم ، في جرثومة الشجرة .

الفرع الثامن : فرع الفقر : والفقر البراءة من رؤية الملكات ، ورقته الأولى . نفض اليدين من الدنيا ، ثم اللسان . الثانية الرجوع إلى السبئية (١) ، وهو يخلص من رؤية العمل ، ويقطع شهود الحال ، ومطالعة المقام . الثالثة ، صحة الاضطراب ، والوقوع في يد التقطع الوجداني (٢) ، والاحتباس في قيد التجريد .

الفرع التاسع : فرع الغنى : والغنى الملك على التمام ، ورقته الأولى . غنى النفس ، بسلامتها من السبب ، ومسلماتها للحكم ، وخلاصها من الحكومة (٣) . والثانية ، غنى النفس . وهو استقامتها على المرغوب ، وسلامتها من الحظوظ . والثالثة . الغنى بالحق .

الفرع العاشر : فرع مقام المراد : وجعله طائفة فوق مقام المرید وغيره ، ورقته الأولى العصمة في الاستشراف ، إلى الجفاء (٤) ، بتنخيص الشهوات والملاذم كراماً . والثانية . وضع عوارض النقص والمعافة ، من سمة الملاءمة ، وتمليك عواقب (٥) الزلات . والثالثة . اجتباء الحق بخالصته ،

(١) أي رؤية العمل أنه سابق من الله تعالى للعبد .

(٢) أي قطع الأحاسيس الوجدانية الناتجة عن العلم والعمل .

(٣) أي الاستسلام الكامل دون مناقشة ولا تحكيم .

(٤) أي حينما يجفو المراد شهوانه ويخرق عوائده . واعتبار ذلك كراماً من الله تعالى .

(٥) في : ظ (عوارف الزلات) .

كن ذهب ليقبس ناراً فاصطنع (١) .

الغصن السادس

غصن الأودية : وفيه عشرة فروع

الفرع الأول : (فرع (٢)) الإحسان : وهو اسم يجمع أبواب الحقائق . ورقته الأولى ، إحسان في القصد ، فيهدى (٣) علماً ، ويرم عزمًا ، ويصفي حالاً . الثانية ، الإحسان في الأحوال ، بمراعاتها غيره ، وسيرها (٤) طرقاً وتصحيحها تحقيقاً (٥) ، والثانية . إحسان في الوقت . بالألا تزال المشاهدة أبداً ، ولا تلاحظ للهمة مدى ، وتجعل الهجرة إلى الحق سرمدًا .

الفرع الثاني : فرع العلم : وهو عندهم ما قام بدليل ، ودفع الجهل . ورقته الأولى . علم جلي ، يقع بعيان أو استفادة (٦) ، أو تجربة . والثانية علم خفي ينبت في الأسرار الظاهرة ، بماء الرياضة ، ويظهر في الأنفاس لأهل الهمة ، ويظهر الغائب ، ويغيب الشاهد ، ويشير للجمع . والثالثة . علم لدني ، ليس بينه وبين الغيب حجاب (٧) .

الفرع الثالث : فرع الحكمة : وهي وضع الشيء موضعه ، في كل عالم . ورقته الأولى ألا يعدنى شيئاً حده وحقه (٨) . وورقة الثانية . أن

(١) إشارة لقوله تعالى لموسى حينما ذهب ليقبس النار من جانب الطور : واصطنعته لنفسى .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) في : س ، ظ . (فيهديه علماً) .

(٤) في : الأصل (ويسرها طرقاً) .

(٥) في : س (وسيرها طرقاً وتصحيحاً وتحقيقاً) .

(٦) العلم المستفاض نوعان : أولهما العلم اللدني ، المغاض على المتقى من السالكين ، دون تعمل منه ، وثانيهما العلم المستفاض بالتوجه الكلي من المرید إلى شيخه ، توجهها باطنياً بعد غلغلي فيه الحواس الخمس تماماً . أو توجه المرید في حال الذكر على نفس الحال من التوجه الكلي لكن لا إلى شيء . بل إلى اللانهائي المجهول .

(٧) في : س (ليس بينه وبين الغيب سحاب) .

(٨) ساقطة من الأصل .

يشهد نظر الله في الوعيد، ويعرف عدله في الحكم، وبره في المنع (١) .
الثالثة أن تبلغ البصيرة في الاستدلال ، والحقيقة في الإرشاد ، والغاية
في الإشارة .

الفرع الرابع : فرع البصيرة : وهي نظر مخلص من الخيرة . ورقته
الأولى أن يغضب للخبر القائم بالشرعية ، لعله بصدوره عن عين لا يخاف
عاقبتها الثانية . أن يشهد العدل في الهداية والإضلال . والثالثة . بصيرة
تفجر عين المعرفة ، وتثبت الإشارة ، وتثمر الفراسة .

الفرع الخامس : فرع الفراسة : وهو القطع بالحكم على غيب من غير
شاهد . [٨٦ ب] ورقتها الأولى فراسة طارئة ، لم تصدر عن علم ، ولم
تشر عن غير (٢) ، تدعمها الموافقة . والثانية فراسة تجنى من غرس الإيمان ،
وتلعب من ثنية الكشف . والثالثة فراسة لم تختلجها روية ، عن لسان (٣)
مصطنع تصريحا أو رمزا .

الفرع السادس : فرع التعظيم : ورقته الأولى . تعظيم الأمر والنهي ،
وإلا يعارضا بترخيص ولا تشديد . والثانية . تعظيم الحكم عن
مدافعة (٤) بعلم أو غرض (٥) والثالثة . تعظيم الحق فلا يجعل من دونه
سببا ، أو ينازع حقه (٦) اختياراً أو يرى عليه حقاً .

(١) من المعروف صوفياً أن المنع قد يكون برا وعطاء ، وأن العطاء قد يكون منعا
وجفاء (انظر : لمقاظ المهم في شرح الحكم للعارف أحمد بن عجيبة الحنفى)

(٢) في الأصل (عن عين)

(٣) في : ظ (على لسان)

(٤) في : س . على مدافعه

(٥) في : س (أو غرض)

(٦) في : س (أو ينازع منه اختيار)

الفرع السابع : فرع الإلهام : وهو مقام المحدثين ، وفوق الدراسة . ورقته الأولى . إلهام نبوى يقع بالوحى . الثانية . يقع عياناً لا يخطئ ، ولا يخرق السر^(١) . والثالثة . يجلو عين التحقيق ، وينطق عن غيب الأزل .

الفرع الثامن : فرع السكينة : ورقتها الأولى سكينة الخشوع فى العبادة ، والثانية عند المحاسبة ، ومراقبة الحق فى الحق ، الثالثة . ترضى بالقسم ، وتمنع من الشطح .

الفرع التاسع : فرع الطمأنينة : وهو أمن صحيح^(٢) ، شبه العيان . ورقته الأولى طمأنينة القلب بذكر الله . الثانية . طمأنينة (شهود)^(٣) الروح ، فى القصد إلى المكاشفة^(٤) ، وفى الشوق إلى العدة ، والتفرقة للجمع . الثالثة . طمأنينة شهود الحضرة ، والجمع إلى البقاء ، والبقاء إلى نور الأزل .

الفرع العاشر : فرع الهمة : ورقته الأولى . صون القلب من خسة الرغبة^(٥) فى الفانى . الثانية . همة تورت أنفة من المبالاة بالعلل ، والثقة بالأمل ، والنزول عن العمل . الثالثة . همة تنحو بالنعوت نحو الذات^(٦) .

(١) أى لا يتحدث بالأسرار العرفانية لغير المستعدين لتلقيها وذوقها ، لتلاقم فى خيالهم ضللاً وبدعاً ، ومن هنا كان لا بد عند الصوفية من الإذن فى الاطلاع على كتب الحقائق الصوفية ، وكان أيضاً منع المريدين من قراءة كتب الشيخ الأكبر ابن عربى لوعورتها .

(٢) فى ط (وهذا من صحيح شبه العيان)

(٣) ساقطة من الأصل ، س

(٤) فى : ط (إلى الكشف)

(٥) فى : ط (من جنبه الرغبة)

(٦) أى تميد النعوت إلى الذات ، وتوقف السالك فى مقام جمع الجمع ، أو الجمع الأول ، والجمع الثانى هو إعادة النعوت إلى مقام الألوهية ، فى الاسم « الله »

الغصن السابع

غصن الأحوال ، وفروعه عشرة

الفرع الأول : فرع المحبة : وقد أخذ الكلام فيه مأخذه ، والحمد لله .
الفرع الثاني : فرع الغيرة : يأتي في العلامات مستوفى ، بحول الله .
الفرع الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع والثامن :
فرع الشوق . والقلق ، (والعطش (١)) ، والوجد ، والدهش ،
والهيمان . الجميع يأتي إن شاء الله ، في العلامات . فليُنظر هنالك .

الفرع التاسع : فرع البرق : وهو با كورة نلج ، فتدعو إلى الدحول
في الطريق ، ورقته الأولى . برق يلج في عين الرجا ، من أفق الوجد ،
يستكثر به قليل العطا ، ويستقل به كثير العمل ، وتستحلي مرارة القضاء .
الثانية برق يلج من أفق الوجد ، في عين الخذرفيقصر الأمل ، ويذهب في
الخلق ، ويظهر السر . الثالثة . [برق يلج] من جانب اللطف ، في عين
الافتقار ، يجري نهر الافتخار ، وينشئ سحاب السرور ، ويمطر الطرف .

الفرع العاشر : فرع الذوق : وهو أبق من الوجد ، ورقته الأولى .
ذوق التصديق ، طعم العدة ، والثانية . ذوق الإدارة طعم الأنس ، فلا يشغل
معه شاغل ولا تسكدره تفرقة ، والثالثة ، ذوق الانقطاع طعم الاتصال ،
وذوق الهمة طعم الجمع ، والمشاهد طعم العيان .

الغصن الثامن

غصن الولايات ، وهو عشرة فروع

الفرع الأول : فرع اللحظ : واللحظ لمح مسترق ، ورقته الأولى ..

(١) ساقطة من : ظ

ملاحظة الفضل ، [١٨٧] سبقاً يثبت السرور ، إلا ما يشوبه من حذر
المكر ، ويعت على الشكر (١) إلا ما قام به الحق . الثانية ، ملاحظة
نور الكشف . الثالثة ، ملاحظة عين الجمع .

الفرع الثاني : فرع الوقت : وهو اسم لظرف الكون . ورقته
الأولى . حين وجد صادق ، لا يناس ضياء فضل ، مجذوب بصفاء (٢) رجاء
أو عصمة بصادق خوف ، أو طيب شوق بإشغال محبة . الورقة الثانية .
سالك لطريق ، يسير بين تلون وتمكن (٣) . الثالثة ، حين تتلاشى فيه .
(الرسوم) (٤) كشف ، لا وجود محضاً .

الفرع الثالث : فرع الصفاء : وهو البراءة من الكدر . ورقته الأولى .
صفاء علم يهdy (٥) لسلوك الطريق ، ويصحح همة القاصد ، والثانية .
صفاء حال تشاهد به شواهد التحقيق ، وتذاق به حلاوة المناجاة ، وينسى
الكون . الثالثة ، صفاء اتصال ، يدرج حظ العبودية في حق الربوبية (٦) .
ويطوى خشية التكاليف (٧) في عين الأزل .

الفرع الرابع : فرع السرور : وهو استنارة القلب . ورقته الأولى
سرور ذوق ، ذهب بحزن خوف الانقطاع ، وحزن ظلمة الجهل ،

(١) في الأصل (ويعت على السكر)

(٢) في : ظ (بفضاء رجاء) .

(٣) في : ظ ، س (بين تمكّن وتلون) .

(٤) سقطت من : س : وتلاشى الرسوم هو عدم الإحساس بصور الأكوان ، بما فيها
صورة السالك نفسه ، مع وجودها في الواقع .

(٥) في : الأصل ، س . (يهذب لسلوك الطريق) .

(٦) أى لا يعتقد السالك أن يعبد ربه بل يعتقد أن يوفيه حقاله عليه .

(٧) أى لا يخشى التكاليف حتى تسقط الكلفة في أدائها عن قلبه . وصير ملكة

ووحشه التفريق (وورقة)^(١) الثانية . (سرور)^(٢) شهود الحقيقة ،
وكشف حجاب العلم ، وفك رق التكليف والاختيار . (وورقة)^(٣)
الثالثة . سرور سماع الإجابة .

الفرع الخامس : فرع السر : وأصحابه هم الأخفاء ، ورقته الأولى ذخائر
الله عز وجل حيث كانوا ، فتتظر صفقتهم . الثانية . الذين أشاروا^(٤)
عن منزل ، وهم في غيره (ورأوا بأمر كذلك ، وفادوا على شأن كذلك ،
وهم بين غيره)^(٥) علم يستمرهم ، وأدب وظرف يصونهم ويهديهم .
والثالثة . طائفة أسرهم الحق عنهم ، وألاح لهم لأتباع أذهلهم ، عن إدراك
ما هم فيه ، وهميمهم عن الشهود ، وحنن بحالهم ، فاستتروا عنهم ، مسع
شواهد بصحة مقامهم ، من قصد وحب ووجد ، وهذا من أرق مقامات
أهل الولاية .

الفرع السادس : فرع النفس : والنفس التروح . ورقته الأولى
نفس استنار ، مملوء من الكظم ، معلق بالعلم . والثانية نفس في حال
التجلى ، شاخص عن السرور ، إلى المعانيه ، مملوء من نور الوجود ،
شاخص لمنقطع الإشارة . الثالثة . نفس مطهر بالقدس^(٦) ، قائم بإشارة
الأزل ، وهو صدف^(٧) .

الفرع السابع : فرع الغربة : وهو الانفراد عن الألفاء^(٨) . ورقته

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) في : ظ (امتازوا) .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٦) في : ظ (نفس مطهرة القدس) .

(٧) في : ظ ، س (هو حذف النور) .

(٨) في : الأصل : عن الأكفاء .

الأولى . الغربية عن الوطن . الثانية غربة الحال (١) ، كإصديق بين المتأففين .
والثالثة . غربة الهمة ، وهى غربة طلب الحق [أى] غربة العارف .

الفرع الثامن : فرع الفرق : وهو توسط المقام ، ومجازة حد التفرق
ورقته الأولى إستغراق العلم فى عين الحال . والثانية إستغراق الإشارة فى
الكشف . والثالثة إستغراق الشواهد فى الجمع .

الفرع التاسع : فرع الغيبة : ورقته الأولى . غيبة المرید ، فى تخلص
القصء ، عن أيدى العلائق ، ودرك العوائق ، لالتماس الحقائق . الثانية .
غيبة السالك ، عن رسوم العلم ، وعلل السعى ، ورخص (٢) الفتور .
والثالثة . غيبة العارف (عما سوى المعروف) (٣) .

الفرع الدائر : فرع التمكن : ورقته الأولى . تمكّن المرید بجمع صحة
قصد (٤) [٨٧ ب] يسيره (٥) ، وشهود يحمله (٦) ، وسعة تروحه .
والثانية . تمكّن بجمع له صحة انقطاع : وبرق كشف ، وصفاء حال .
والثالثة تمكّن العارف .

الغصن التاسع

غصن فروع الحقائق ، وفروعة عشرة

الفرع الأول : فرع المكاشفة : وهى مهادة السر بين المتباطنين . ورقته
الأولى . مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ، وتكون مستديمة . الثانية . هى
الأولى إذا دامت . الثالثة مكاشفة عين ، لا مكاشفة علم ، وغايتها المشاهدة .

(١) فى الأصل (غربة الجار) .

(٢) فى الأصل : (ودحص الفتور) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س

(٤) فى : س (بجميع صحة قصد تسيره) .

(٥) فى : ظ يسيره .

(٦) و : ظ وشهود عمله .

الفرع الثاني : فرع المشاهدة : وهى سقوط الحجاب فناء (١) . ورقته الأولى . مشاهدة معرفة تجرى ، فوق حدود العلم ، فى لوائح نور الوجد (٢) . فينتجه بفناء الجمع . الثانية ، مشاهدته معاينة ، تقطع حبال الشواهد ، وتلبس نفوت القدس . والثالثة ، مشاهدة ، تجذب إلى عين الجمع .

الفرع الثالث : فرع المعاينة : ورقته الأولى معاينة الأبصار ، والثانية معاينة عين القلب . والثالثة معاينة عين الروح ، وهى التى تعين الحق عياناً حصناً .

الفرع الرابع : فرع الحياة : ورقته الأولى . حياة العلم ، من موت الجهل . الثانية ، حياة . الجمع ، من موت التفرقة . الثالثة ، حياة الوجود . وهو حياة الحق .

الفرع الخامس : فرع القبض : ويشار به إلى مقام الضنائن (٣) ورقته الأولى فرقة قبصوا قبض الترقى ، فضن بهم عن أعين العالمين ، و [الثانية] فرقة قبصوا افسستروا ، فى لباس التلبيس (٤) ، وأخفوا عن عيون العالم (٥) . و [الثالثة] فرقة قبصهم الحق منهم إليه ، فصافاهم مصافاة سر ، فض بهم عليهم .

الفرع السادس : فرع البسط : وأهل البسط هم أهل التلبيس . ورقته الأولى قوم بسطوا رحمهم للخلق يستضيئون بنورهم ، والسرائر مصونة . والثانية [قوم] بسطوا لقوة معانهم ، وتصميم مناظرهم فلا تخالج الشواهد مشهودهم ، مبسوطون فى قبضة الحق . والثالثة بسطوا أعلاما

(١) فى الأصل . سقوط الحجاب بتا .

(٢) فى الأصل : ظ ، س نور الوجود .

(٣) فى : س (ويشاوبه الضنائن) تحريف .

(٤) فى : س (فسروا فى لباس التلبيس) .

(٥) ومنهم « الملامية » الذين يخفون حالهم بأعمال منقرة غير خارجة عن حدود الشرع .

على الطريق ، وأئمة الهدى ، ومصاييح السالكين .

الفرع السابع : فرع السكر : ينظر في العلامات .

الفرع الثامن : فرع الصحو : ينظر في العلامات .

الفرع التاسع : فرع الاتصال : ورقته الأولى اتصال الاعتصام ، ثم الشهود ، ثم الوجود . الثانية ، الخلاص من الاعتلال والفناء عن الاستدلال . والثالثة اتصال الوجود ، ولا يدرك له (١) نعت .

الفرع العاشر : فرع الانفصال : ورقته الأولى انفصال الكونين ، بانفصال النظر إليهما ، وانفصال يوقف عليهما ، وانفصال المبالاة بهما . والثانية ، انفصال عن رؤية الانفصال . والثالثة ، انفصال عن شهود مزاحمة الاتصال (عن) (٢) عين السبق .

الفصل العاشر

غصن النهايات ، وفيه عشرة فروع (٣)

الفرع الأول : فرع المعرفة : وقد وقع الكلام فيه .

الفرع الثاني : فرع الفناء : وهو اضمحلال ما دون الحق علما ، ثم جمعا ، ثم حقا (٤) ، وورقته الأولى فناء المعرفة . والثانية ،

(١) في : ظ لا يدرك منه نعت .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) في الأصل ، ظ : « وفيه من الفروع فرع المعرفة » .

(٤) درجات الفناء ثلاث أولاها ، اضمحلال رسوم المخلوقات من طريق العلم ، بأن يكون كل موجود سوى الحق ، عارية مستردة ، والثانية ، إنكار الموجودات ، وجحد وجودها ، من حيث أنها لا تستقل بوجودها ، فهي غير موجود : والثالثة التحقق بجحدها فناء في موجودها مع الاعتراف بأنها موجودة ولا موجوده .

فناء شهود الطلب لإسقاطه ، وفناء شهود المعرفة لإسقاطها ، وفناء شهود العيان لإسقاطه ، والثالثة . الفناء عن شهود الفناء .

الفرع الثالث : فرع البقاء : وهو ما بقي قائماً بعد الفناء . ورقته الأولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما . والثانية ، بقاء المشهود ، بعد سقوط الشهود ، وجودا لانعتا . الثالثة ، بقاء من لم يزل حقا ، بإسقاط من لم يكن محقا .

الفرع الرابع : فرع التحقيق : وهو تلخيص المصحوب من الحق ، ورقته الأولى ألا يعالج عليك علمه . الثانية ، ألا ينزع شهودك شهوده . الثالثة ، ألا يناسخ (١) رسمك رسمه .

الفرع الخامس : فرع التلبيس : وهو تورية بشاهد معار ، من موجود قائم . ورقته الأولى ، تلبيس الحق بالكون على أهل الفرق ، في تعليق الكوائن بالأسباب والأمكنة والوسائط الثانية ، تلبيس أهل الغيرة على الأوقات ، بإخفائها ، وعلى الكرامات بكتبتها ومثله . الثالثة ، تلبيس أهل التمكن على العالم ، بملاسة الأسباب (٢) ، توسعا على العالم .

الفرع السادس : فرع الوجود : وهو اسم للفوز بحقيقة الشيء . ورقته الأولى وجود علم لدني ، يقطع علوم الشواهد ، في صحة مكاشفة الحق . الثانية ، وجود الحق وجود عين ، مقتطعا عن مساع

(١) في الأصل «ألا يناسم» وفي : س ألا ينزع .

(٢) كبار العارفين في كراماتهم ، يستطيعون إظهارها بدون أسباب ، كشفاء المريض بالتوجه والدعاء الخفي ، ولكنهم لا يفعلون ذلك لإشفاقا على العقائد ، بل يتخذون الأسباب في مثل هذه الحالات ، كأن يصف لك دواء هو في حد ذاته ليس فعلا ، ولكنه سبب ظاهري فقط ، ويتحقق به الشفاء ، بسر الإذن وفعل الكرامة ، والله هو الفعال على الحقيقة .

الإشارة . الثالثة . وجود مقام يضمحل فيه رسم الوجود بالاستغراق في الأزل .

الفرع السابع ، فرع التجريد : الورقة الأولى تجريد عين الكشف عن كشف اليقين (١) . الثانية تجريد عين الجمع عن درك العلم والثالثة . تجريد الخلاص من شهود التجريد .

الفرع الثامن فرع التفريد : ورقته الأولى تفريد الإشارة إلى الحق . الثانية (تفريد الإشارة بالحق . الثالثة (٢)) تفريد الإشارة عن الحق .

الفرع التاسع ، فرع الجمع : هو ما أسقط التفرقة ، وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين ، بعد صحة التفكيك ، والبراءة من التلوين ورقته الأولى جمع علم ، وهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفاً . والثانية جمع الوجود ، وهو تلاشي عين الاتصال في عين الوجود محققاً . الثالثة جمع العين ، وهو تلاشي كل ما نقلته الإشارة في ذات الحق حقاً ، والجمع غاية (٣) مقامات السالكين ، وطرف بحر التوحيد .

الفرع العاشر ، فرع التوحيد : والتوحيد تنزيه الله عن الحدوث . ورقته الأولى توحيد الجمهور ، وهو الشهادة ، والقصد به نفي الشرك ، وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة ، وبه حققت الدماء والأموال . الثانية توحيد الخاصة ، وهو توحيد يثبت بالحقائق ، وهو إسقاط الأسباب

(١) في الأصل ، ظ عن كسب اليقين .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٣) في : ظ عاياته .

الظاهرة ، والصعود عن منازعات العقول ، والتعلق بالشواهد ، ويصلح
 بعلم الفناء ، ويصفو في علم الجمع . والثالثة توحيد اختصاصه الحق لنفسه ،
 واستحقاقه بقدره ، وألاح منه لألحا إلى أسرار طائفة من صفوته . وآخرهم
 عن نعته ، وأعجزهم عن بته ، وإليه يشير المشير ، بأنه إسقاط الحدوث ،
 وإثبات القدم ، وهو وراء ما يشير إليه كون^(١) ، أو يتعاطاه حين ، أو يقله
 سبب .

قال بعضهم : اعلم أن لطائف التوحيد أرق وألطف من أن تخرج
 بكثيف العبارة . وسئل الجنيد ، عن التوحيد ، فقال : سمعت قائلاً
 يقول : [١٨٨]

وغنى لي منى قلبي وغنيت كما غنى
 وكنا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنا

وقال منصور المغربي : كنت بجامع بغداد ، والحصري يتكلم في
 التوحيد ، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء ، فقال أحدهما لصاحبه^(٢) :
 هذا علم ، والتوحيد غيره . وقال الشاعر وهو أبو محمد الهروي .

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
 توحيد من ينطق عن نعته ثنية أبطلها الواحد
 توحيده إياه توحيده ونعت من ينعتهم لا أحد

وكثر كلام الفضلاء في هذه الآيات ، لإطلاق القول بجمود كل من
 وحد ، وإلحاد كل من نعت . وسئل بعض المعاصرين عن ذلك ، فوقع

(١) في الأصل « مكنون » .

(٢) في ظ « لصاحب الذي يقول » تحريف .

على ظهر السؤال ما نصه : « وقد استشكل الناس إطلاق لفظ الجحود على كل من وحد الواحد ، والإلحاد على كل من نعته ووصفه ، واستبشعوا هذه ^(١) الآيات ، وحملوا على قائلها ، واستخفوه ^(٢) ، وتقريب تحريره على رأى هذه الطائفة ، أنهم يقولون : إن معنى التوحيد هو انتفاء عين الحدوث ، بشبوت عين القدم ، وأن الوجود كله حقيقة واحدة ، وآنية واحدة ، وقال بعض كبارهم (وهو أبو سعيد الخراز ^(٣)) : « إن الحق عين ما ظهر ، وعين ما بطن » . ويرون أن وقوع التعدد في تلك الحقيقة ، ووجود الإثنية وهم ، باعتبار حضرات الحس بمنزلة صور الظلال ، والصدأ ، وصور المرائي ، وأن كل ماسوى عين القدم إذا استتبع فهو عدم ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، وقد تفتن لذلك ليبد ، على فجيته ، فقال :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل [وكل نعيم لاحاله زائل]

قالوا : فن وحد ونعت ، فقد عين قضية ثلاثية ، من موحد محدث ، هو نفسه ، وموحد قديم ، هو معبوده ، وتوحيد حديث ، هو فعل نفسه ، وقد تقدم أن التوحيد انتفاء عين الحدوث ، وعين الحدوث الآن ثابت متعدد ، والتوحيد مجحود ، والدعوى كاذبة ، كن يقول لغيره وهما في بيت (واحد) ^(٤) : ليس في البيت غيرك ، فيجيبه الآخر : إنما يصح هذا ، إذا عدت أنت .

(وقال الحكيم ، في قولهم : خلق الله الزمان . هذه ألفاظ تناقض أصولها ؛ لأن خلق الزمان وهو فعل ، لا بد من وقوعه في زمان) ^(٥) وهذا

(١) و : ظ « ثمرة الآيات » .

(٢) و : ظ ؛ س « واستخفوه » .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

اقتضاه ضيق العبارة عنه ، وعدم تأدية اللسان إلى الحق فيه . فإذا تحقق ، فكان الموحد هو الموحد ، وعدم سواه ، وذهب الحدوث جملة ، صح التوحيد الذاتي ، وهو قولهم : « لا يعرف الله إلا الله » . قال الشاعر :

لا يعرف الحق المبين بثنائي

ولا حرج على من وحد الحق مع بقاء الرسوم والآثار ، وإنما هو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين ، إذ ذلك لازم التقيد^(١) ، والعبودية والشفعية . ومن ترقى إلى مقام الجمع كان في حقه نقصا ، مع علمه بمرتبته ، وأنه تليس تستلزمه العبودية ، ويرفعه الشهود ، ويظهر من دنس حدوثه عين الجمع ، [٨٨ ب] .

وأعرق الأصناف في هذا الزعم القائلون بالوحدة المطلقة ، ومدار المعرفة بكل اعتبار على الانتهاء إلى الواحد ، وصدر من الناظم هذا القول على سبيل التحريض والتلبيه والتفطين لمقام أعلى ، ترتفع فيه الشفعية ، ويحصل التوحيد الحق المطلق ، عينا لا خطابا وعبارة ، فن حظر وسلم استراح . وقال :

فساح إذا ما لم تقدك عبارة وإن أشكت يوما فخذها كما هيا
ومن نازعته حقيقة أنس بكنت سمعه وبصره ، وإذا عرفت المعاني ، فلا مشاحة في الألفاظ ، والذي يفيد هذا كله تحقق أمر فوق الطور ، لانطق فيه ، ولا خبر عنه ، ويشبهه من أمثال البحرين : « إن نوءه يحدث عنها ، ليست بشيء » يعنون : لو كانت كما يلبني لم يخرج من يحدث (عنها)^(٢) . وهذا المقدار من الإشارة يسكني ، والتعمق في مثل هذا أوقع في المقالات المعروفة .

(١) في : ظ . لازم العقيدة .

(٢) ساقطة من : ظ .

قيل للشيلي: أخبرنا عن توحيد مفرد ، بلسان حق مجرد . فقال : « من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثنوي ، ومن أوماً إليه فهو عابدون ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت [عنه] فهو جاهل ، ومن ظن أنه واصل فليس له حاصل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ما صورتموه بنفوسكم وعقولكم ، فهو مردود عليكم ، مخلوق مثلكم » . كأنه أراد الخروج عن لواحق الأجسام (١) ، وقد أخذ هذا الفن من الرياضة مأخذه ، فلتنقل إلى صورة السلوك بالذكر ، وكيفية الوصول ، وعلى الله قصد السبيل سبحانه .

خاتمة من كلام أبي الفرج : نختم بها الكلام في الرياضة ، حلياً على حسن شكل ، وحلاوة أكل .

قال رحمه الله : ما وصل القوم إلى المنزل إلا بعد طول السرى ، ما نالوا حلاوة الراحة إلا بعد مرارة التعب (٢) .

لو قرب الدار على طلابه	ما لجج الغائص في طلابه (٣)
ولو أقام لازماً أصدافه	لم تكن التيجان في حسابه
ماتوا في البحر ولا مرجانه	إلا وراء الهول من عيابه
من يعشق العلياء يلق عندها	ما لقي المحب من أحبابه

ما حظي الدينار بنقش اسم الملك ، حتى صبرت سيكته على الزرد إلى النار ، فنقت عنها كل كدر ، ثم صبرت على ضربها على السكة ، فخيئت ظمير عليها شرف النقش : « كتب في قلوبهم الإيمان » .

(١) في : ظ . الجسوم .

(٢) في : ظ . البعث .

(٣) في : الأصل جلابه نخرير .

كم أحمل في هواك ذلا وعنا كم أصبر منك (تحت) ^(١) سقم وضنا
لا تطردني فليس لي عنك غنى خذ روحي مني ^(٢) . إن أردت الثنا
من طلب الأنفس هجر الألد ، من اهتم بالجواهر ترك العرض ، ياصفراد .
ويا بيضاء غرى غيرى .

من أجل هواكم هويت العشقا قلبي كلف ودمعتي ما ترقا
في حبكم يهون ما قد ألقى لا يظفر بالغم من لا يشقى
رض مهر النفس يتأت ركوبه ، أمت زئبق الهوى يمكن استعماله ،
تلسع فجر [١٨٩] الأجر بين ظلام التكليف ، أحذر حية الفم فإنها بتراء .
إذا خرجت من فم عدوك لفظة سفه ، فلا تلحقها بمثلها تلقحها ، ونسل
الخصام مدموم . أوثق غضبك بسلسلة حليمك ^(٣) فإنه إن أفلت أتلغ ،
فتى قمت بحدث الغضب ، انطفأ مصباح الحلم . بحر الهوى إذا مدّ أغرق
(وأخوف المنافذ من الفرق فتحة العين ، فلا تشغل زمان الزيادة ،
إلا بإحكام الفروج ^(٤)) .

والمرء ما دام ذاعين يقلبها في أعين العين موقوفا على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر
قيل لبعض أهل الرياضة : كيف غلبت نفسك ؟ قال : قمت في صف .
حربها بسلاح الجدد ، فخرج مركب الهوى ، فعلاه العزم بصارم الحزم ،
فلم يك إلا ساعة وفتحت خيبر . وقيل لآخر : كيف قدرت على هواك ؟
فقال : خدعته حتى أسرته ، واستلبت عوده فكسرتة ، وقيدته بقيد العزلة ،
وحفرت له مطمورة الخنول في يبت التواضع ، وضربتة بسياط الجوع .
فلان يافلان .

(١) ساقطة من : ط .

(٢) في : ظ . خذ روحي اليوم .

(٣) في : ظ . علمك .

(٤) ما بين الحاصرين ، ساقط من : ظ ، س .

القسم الرابع، في السلوك بالذكر

وفيه شروط استعمال الذكر ، الذي بتدريج غذائه تبلغ الأفنان ما تروم . وصورة التوجه .

قال المؤلف ، رحمه الله : وقد تقرر أن الذكر شيخ الشيوخ ، ومفتاح باب الفتاح العليم ، وعلى السالك بعد تهذيب النفس بالرياضة ، وتلطيف السر ، وتهيتها إلى فواسم الحضرة ، بتخفيف زكام العلائق ، أن يعنزل عن الناس بعد تحصيل العلم ، الذي تقام به التقربات العينية ، وما هو شرط فيها ، ثم الترقى في المقامات المذكورة ، وبعد مراعاة أمور قد ألمعنا ببعضها من فطرة فائقة ، وصحبة شيخ مرشد ، وإفراد القصد ، فإن النفس لا تقوى على العظام ، إلا بصفت الأحدىة والخلوة ، ولا تقوى على التجريد إلا مع رفع الشواغل البدنية ، وتقليل مادة الجسم بتدريج ، والنفس لا تصفو مع كثرة المواد الجسمانية .

ومداومة الذكر عليه - كما قلنا - التعويل من كل سالك إلى قدس الله ، وهو بضاعة الأنبياء والأولياء . [ولا تقوى النفس عليه إلا مع] تحرير القصد ، فإن المقاصد أرواح المقامات ، وبها ينتقل السالك في أطوار الرياضات .

وشروط القصد أن يكون شرعيا لا عاديا . ويشغل بذكر الله ، بحسب ما يختاره مناسبا لحاله ، أو باختيار ^(١) المرشد ، وأعلى الأذكار وأخفها على اللسان ^(٢) ، الذكر المفرد ، وهو : الله الله الله ، ويسد أبواب الخيال ، ويجتنب لحوم الحيوان ، ما لم تدع لذلك ضرورة مزاجية ، فإن

(١) في : ط « أو يخاره المرشد »

(٢) في : « وأحكمها على الألفاس »

حال المزاج أهم الأشياء ، لتعلق الأرواح به ، تعلق الذبال بالدهن ،
والنار بالذبال .

ومن السالكين من يجب في حقه الجوع والتلطيف ، ومنهم من يجب
في حقه التدسيم والترطيب ، وكثيرا ما ملأ بيوت البيمارستان المحالون على
السلوك والرياضة من غير نظر إلى أمزجة أشخاصهم ، و [يجب أن]
يتنوع الغذاء [٨٩ ب] مع السلوك .

قال الشيخ « محي الدين » : عند الكشف الأول يغذى بما كثرت
حرارته ورطوبته ، وعند الكشف الثاني ، بما اعتدلت حرارته ورطوبته
وبالجملة فلا بد في هذه الحالة من الملاحظة ، وهي وظيفة الشيخ (١) .

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكما ولا توصه

(فصل (٢))

ومراتب الذكر والذاكرين ثلاث (مراتب) (٢) :

الاولى: ذكر أهل الظاهر ، وهو من جملة العبادات المشروعة ، المختصة
بالثواب ، ويتنوع بحسب ما نوعه الشرع من أزمانه وأماكنه ، كالذكر
في الصلوات ، وعقبها ، وأطراف النهار ، والنوم ، (واليقظة (٣)) ، والحج
والجهاد ، ومصاف القتال ، والأكل ، والشرب ، وركوب الدابة ، والسفر
والقدوم ، وعند الموت ، وغير ذلك . وهذه كلها عبادات مذخورات (٥)
إلى وقت الحاجة (٦) إليها . وما دام الذاكر يذكر بالصوت والحرف فهو
من أهل هذا المقام .

(١) أنظر (كتاب الخلوة للشيخ الأكبر)

(٢) ساقطة من : ظ

(٣) ساقطة من : ظ ، س

(٤) ساقطة من : س

(٥) في : ظ س « مذخورة »

(٦) يمكن الرجوع إليها في : (عمل اليوم واليلة لابن السني ، والأذكار للنووي)

المرتبة الثانية : مرتبة الصوفية . وهم الذين يطلبون الوصول إلى مدلول الذكر ، والصوفية يذكرون الله بأى نوع شاءوا من الأذكار ، حتى تشعر نفوسهم بمدلول ذكرهم ، وتنفعل لذلك أنفعالا ما تغيب به عن المحسوسات ، فيحصل لها حظ من المشاهدة بحسب قوة الحال وضعفها ، ويكون الإدراك لذلك ذوقيا ، لا عليا نظريا ، وهؤلاء يستعملون الذكر لتقوية الحال واستدعائها ، كما يجرى اليوم عليه العمل في أذكار الجمع ^(١) للتواجد .

وهم - أعنى الصوفية - على أنحاء ، فالكامل منهم من يقتصر على تلاوة الكتاب العزيز ^(٢) ، وهو الذكر الحكيم ، الذى لا ذكر فوقه ، ولكنه مقام الكمل من العارفين . ومنهم من يقتصر على تردد بعض آياته ، ويسمونهم أسرادا ، وهى مكتومة عندهم ، لما يظهر من قوة الحال (عند ترادها ^(٣)) . والحال : هو الإدراك الذى يحدث فى النفس عند ترادها ، كما تحدث القوى فى الأجسام عند ورود الطعام عليها ، ربطا من الله للأسباب بالمسيبات .

فلا يزال الذاكر يردد ذكره الذى يعتمد عليه بلسانه ، ويقيمه بجنانه ، صار فاهمه نحو مقصوده ^(٤) ، عاكفا بحواسه ، فإذا رددته المرات الكثيرة الدائمة ، وبحسب القابلية ، جذبه الذكر إلى عالم النور ، وضعف عمل خياله ، وقوى عمل فكره ، فإن الذكر للفكر بمنزلة السراج بين يدى الماشى فى الظلمة حتى يصبح ، فيفنيه ضوء الصباح ، وعند ما قوى عمل فكره تجردت نفسه ، فعند ذلك يحصل لها إدراك مقصودها فى نفسها بقدر مقامها ، وبعدها من الصور الخيالية . ثم تعود إلى حسها ^(٥) . وتزول عنها

(١) فى : ظ « الجمع »

(٢) فى : ظ « القرآن »

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س

(٤) فى : ظ ، س « المقود » تحريف

(٥) فى : ظ « جسمها »

تلك الحال (١) عليه فيأخذ في تجديدها واستدعائها ، إلى أن ترد عليه الحال المذكورة أجلى وأوضح . ويدوم ذلك أ كثر مادام في المدة الأولى . ثم يعود إلى حسه كما حدث في المرة الأولى . وهذه هي الأنوار النفسانية ، والبروق الإلهية . ولا يزال الأمر يزيد (٢) في كل مرة ، حتى تغلب الحال عليه (٣) وتتصل . فلا يحتاج إلى استدعائها بذكر ولا غيره . وهذه حال الواصلين من الصوفية . وفي التلخص من التصورات [١٩٠] معظم حال العارفين . وأرباب الهداية . ولكن لابد من السلوك عليها . فإنها من لوازم الطريق . وقيل : إلهية الإشارة (بقوله) (٤) : « وإن منكم إلا ورادها كان على ربك حقا مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » .

والمرتبة الثالثة . وهي ذكر العارفين (٥) . والعارف هو الذي فنى عن نفسه ، وعن تصوراته ، إلى عالم النور المحض الذي لا تصور فيه ، ولا يخلفه غيره ، (وهو مقام النظر) (٦) . وهو مقام غير متناه ، لأن المنظور إليه لا غاية له .

على قدر ما يلتاح من ذلك الحسن أ كابد من شوق إليه ومن حزن لطائفه أبقت عليه فكلمة تعديت طورى فيه غيبنى عنى حنانيك تكنى مهجتي منك نظرة ويا فوز قدحى إن رضيت بها منى وهذا المقام الذى لا نهاية لحده ، تبلغ إليه بتحصيل المعرفة التامة ، والسلوك الذى تقدم ، وهو السعادة الكبرى .

(١) فى الأصل « العال »

(٢) فى : ظ « يزيد »

(٣) فى : ظ « حتى يقلب عليه الحال »

(٤) ساقطة من : ظ ، س

(٥) فى الأصل « وهو ذكر العارفية » تحريف

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ

وقال بعضهم : إن أردت أن تذكر ، فعليك بتطهير المجلس الروحاني والجسماني ، والقصد الواقع فيهما واستعد للأنس ، وكَيْفَ النفس . ويستحب أن يكون المحل فارغا من الطعام ، إلا أن يكون الذاكر من العارفين أرباب المسكة ، وهو الذي ذكره إخبار عنه ، وينظر الأشياء التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قطب الذاكرين ، وإمام التجليات ، في حضرة رب العالمين - يذكر بها .

وفضل . لا إله إلا الله ، بحسب الاعتقادات المتعددة كبير . فإذا وجدت النفس الأنس بالصيغ ، فأصبر عليها ، حتى تجد الأنس بالمدلول ، ثم اصبر عليها ، حتى تجد الأنس بما يجب له ، ثم اصبر عليها ، حتى تجد الأنس بها في النفس والحال ، لا في الاعتقاد والخبر ، فإن لم تجد [الأنس] إلا [في] الصيغ ، فليحضر الشيخ الذاكر على الخلوة ، ويأمره بقرأة سورة الواقعة ، وبقطع الصوت والحس (١) ، فإنه يحجبه (ثم ينقله ، يقول ويعتقد : أنه لا فاعل إلا الله) (٢) ثم ينقله . يقول ويعتقد : أنه لا حي إلا الله ، ثم ينقله . يقول ويعتقد : أنه لا موجود إلا الله . فإذا أبصر (أن) (٣) الآنية هي الهوية ، والعالم هو المعلوم ، والميت هو الحي ، والظاهر هو الباطن لا من جهة الدليل ، فوض أمره إلى الله ، ومثاله عندهم ، كما قال : ها أنت وربك .

قالوا : وعلى التليذ أن يذكر الله بذكر شيخه ، ويستغرق في مشاهدته ، فيذكر عند ذلك (به) (٤) فيجد ما يحده الشيخ . وعلى الشيخ أن يتكلم في المواجد ، إذا علمها من القوانين ، وينوع الكلمة ، إذا أبصر الضمير يقف . وينتقل للنفس إذا استقام الذكر في الله ، قال تاج العارفين

(١) في : ظ ، س (الصوت الحسن) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

أبو مدين ، شعيب بن الحسن ، رضى الله عنه : « من لم يحسن ظنه بشيخه ، لم ينتفع به » ، وهى من خواص النفوس ، فى تعدى الأسرار .

قالوا : وإذا ذكر التلميذ الله ، ونوسل إليه فى فائدة الذكر القريبة بشيخه ، وبما هو عليه من التوجه ، جعل الله له الشيخ مرآة قصده ، ينظر فيها ما شاء (الله . وكما قال : ها أنت وربك) (١) .

وقال بعضهم : اذكر فى نفسك أنه قد ذكرك ، ثم أذكره ، يكن ذكرك من مراقبة علمية ، و [من] مقام الإيمان ، [٩٠ ب] وذكرك مشترك ، ثم اذكر أنه ينظر إليك من مقام الإحسان ، ومراقبتك قلبية ، وذكرك فى آخر المشترك ، ثم اذكره من حيث ذكره ، والذي كنت تعلم [أنه] قد كاد أن يكون مشهوداً وأنت تراه تستحضره فى مدرك الغيبة ، المحرك بالعبارة للضمير الفاعل فى النفس بأثر الفعل ، وتقرير الملاحظة ، (وتستحضر الضمير) (٢) كأنك تحدث ، ثم تفرط حتى تحدث ، ويكاد هنا أن يكف [عن] الذكر أدباً مع الحضرة ، كما يحدث فى مجالسة الملك ، إذ مشاهدته فيها الكفاية . ثم التجلد على الذكر ، حتى تعود المشاهدة الملسوبة ذكرآ ، لأن أنسها غيب الذاكر ، فلها أفاق وجد الذكر وسبب المشاهدة أقوى من الأول ، والامر أتم وأقل غيبة . ثم اذكر حتى تغيب قليلاً ، وتحضر كثيراً ، ثم اذكر حتى تغيب فيه ، وتحضر عنده ، ثم اذكر حتى تحضر ولا تغيب . ثم اذكر حتى يعود الذكر فى المحل دون قصد وإرادة . والمقصد والإرادة فى التنزيه مشاهدة الجلالة .

قالوا : وبعد هذا الموطن يحرم الذكر على الخاصة لحصول المطلوب ، فإن المطلوب إذا حصل ، واشتغل بسببه خيف فوات المطلوب ، فينقطع السبب ، ويبقى الطالب الذاكر مع القائد فقط ، وقال المحجوب بذكره :

(١) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .

(٢) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أحسن منه حالا وشمس الذات ليس لها غروب

وهو من الشطح ، ويرجع إلى معنى حسنات الأبرار ، سينات.
المقربين .

تفسيه :

(قالوا (١) : وإذا كان الذاكر في هذه المرتبة ، وحصل بهذه المنزلة ،
وكان أمره في الوقت المطلوب على حاله من الأدب المأمور به ، وكما يجب ،
فذكره محفوظ ، وإن كان غير ذلك ، مع كونه في فترة ، وتظهر عليه العلل
فهو مخدوع .

قالوا : وإن لم يظهر عليه في هذه الحال المراد الشرعي على كماله ، مع كونه
في غيبة ، فقيه بين الأولياء وأرباب طريق الحق خلاف كثير ، فمنهم من
يسلم له ، لأنه قد خرج بالاصطلام عن حد التكليف ، ومنهم من يلتقص.
تمسكته ، لأن الإمام الأكبر ، لم يعلم هذا منه (٢) .

(ونرجع إلى ما كنا فيه فنقول) (٣) : وقال بعضهم : اشتغل بالذكر حتى
يرفع عنك (٤) عالم الخيال ، ويتجلى لك عالم المعاني المجردة عن المواد ، فاشتغل
بالذكر ، حتى يتجلى لك مذكورك ، فإذا أفناك عن الذكر ، فهي المشاهدة ،
ويقال : النومة . وبعدها تعرض على الذاكر مراتب المملكة الإلهية .

فأولا : أسرار المعادن ، فإن تخلص واشتغل عنها بالذكر ، فأسرار

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) في : ظ ، س (لم يعلم عه هذا) . والإمام الأكبر هو النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٤) في : س . حتى يدع عنك .

النبات ، ثم إذا تهادى وتخلص ، فأسرار الحياة السارية ، وبعده أسرار اللوح ، والاستحالات الكونية ، فإذا دام على الذكر ، رفعت له أسرار التركيب السكلى ، وعان آداب الحضرة ، دخولا للحق وخروجاً للخلق ، فإذا تهادى الذاكر ، وعدم الالتفات عن غير شطر (١) الحق ، عرضت مراتب العلوم النظرية ، ومظنات الأغاليط ، وسريان السر الإلهى ، ثم عالم التصوير والجمال والعقول القدسية ، وإن لم يعقب على شيء رفع له [١٩١] عن عالم الغيرة ، وكشف له الحق عن أتم وجوهه ، وشاهد عالماً قد زينه الله بالمعارف القدسية ، وألبسه من البهجة مالا سبيل إلى وصفه ، وبرى الآراء المستقيمة ، والشرائع المنزلة ، وكل يقابل بالتهظيم والتوقير (٢) .

فإن لم يقف مع هذا ، رفع له عن عالم السكينة والوقار والأسرار ، ثم عن عالم الحيرة والقصور والعجز (٣) ثم عن خزائن الأعمال ، وهى «عليون» ، ثم عن الجنان ومراتبها ، ثم عن جهنم ودركاتها ، ثم عن الأرواح (المشاهدة (٤)) المستهاكة فى الله ، فإن دام ولم يقف رفع له عن نور لا يرى فيه غيره ، يغشاه فيه الوجد العظيم ، واللذات التى لم يكن يعرفها قبل ، ويصغر فى عينه ما رأى . فإن لم يقف رفع له عن صور ، ثم سرائر رحمانية ، ولم يبق علم ولا عين إلا شاهده . وعنده يعلم غايته (٥) وحظه ، فإن لم يقف فمن أستاذ كل شيء ، ثم عن المحرك ، فإن لم يقف أخذه المحو ، ثم السحق ، ثم المحق (٦) حتى إذا انتهت فيه آثار الماحى أثبت ، ثم أفنى . ثم جمع ، ثم غيب ، ثم خلعت عليه (٦) الملابس التى يقتضيها . ثم رد على

(١) فى : ظ ، س (نقار الحق) .

(٢) فى : ظ ، س (والتوقير) .

(٣) فى جميع الأصول (والمعجزة) .

(٤) ساقطة من ، ظ .

(٥) فى : ظ (غائبه) .

(٦) فى : ظ (خُطت عليه) .

مدرجته ، فعين كل ما عاينه مختلف الصور ، حتى يرد إلى عالم حسه المقيد .
الأرضى .

قال المؤلف رحمه الله : وبالجمله فيقول أدلاء تلك المفازة : إن السالك
يقطع أهوالا لا يثبت عليها إلا من كان الله صاحبه في السفر ، وخليفته
في الآهل . إلى أن ينتهى إلى المشاهدة من (المفازة) (١) بعد العناء (٢)
ثم يلجج في العالم البسيط . الذى لا صورة فيه بوجه ، وهو مقام صعب ،
ومن ليس له قدم ثابتة أوهم الجحد . ثم يفنى بعد ذلك الفناء الثانى . ثم أبى
بالشرعية ، ويعبر عنه بمقام كنت سمعه وبصره . وكثير من الطوائف تدعى
الحلول والاتحاد (٣) ، والكل متفقون على أنه لا يبقى فى ذلك المقام إلا الله
ومن كلف الحادثات العبارة عن هذا المقام فقد ظلمه ، وعرضه للفصيحة
الدائرة بين الكفر والحققة ، وإليه الإشارة بقولى (٤) :

فسامع إذا ما لم تفدك عبارة وإن أشكلت يوما فخذها كما هيا
وتلخيص ما دندنت بالقول (٥) حوله إذا قت بالباقي فما زلت باقياً
والناس مختلفون إلى هذا الحد . فمنهم من اصطلم . وكانت تلك الأودية
(الفنائية) (٦) آخر العهد به ، ومنهم من رد على نفسه بالهداية ، ولينذروا

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) فى : ظ ، س (العناء) .

(٣) فى : ظ (والإلحاد) .

(٤) فى : ظ ، س (يقول المؤلف ، رضى الله عنه) .

(٥) فى الأصل . س (بالحق) . والترجيح من : ظ .

(٦) ساقطة من : ظ ، س . وإليك تفسير ما ورد من المصطلح :

المحو : رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله ، ويحصل منه أفعال وأقوال
لادخل لعقله فيها كالسكر من الخمر (تعريفات الجرجاني ١٣٩) .

الحق : فناء وجود العبد فى ذات الحق تعالى ، كما أن المحو فناء أفعاله فى فعل الحق
(تعريفات الجرجاني ١٣٩) .

العناء : سقوط الأوصاف المذمومة ، كما أن البقاء وجود الأوصاف الحمودة ، وهو نوعان ،
الفناء الأول ، وهو بكترة الرياضة . والثانى ، عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت ، والاستعراق
فى عظمة البارى ، ومشاهدة الحق .

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . ويصير الوصول والمشاهدة ملكة
وديدنا ، وهو حال الأنبياء والأولياء .

وقائلة إذ عدت ويحك ما الخبر فقلت لها نال العظماء من صبر
رحلنا وكابدنا ومن بعد هذه قضينا الذي يقضى ونحن على السفر
ولله در أبي فراس : إذ يقول : فيمن ينظر إلى هذا الرجوع وهيات ،
لقد حكيت ولكن فأنك الشلب :

أجل عينيك في عيني تجدها مشربة لدى ورد الحدود
وخذ سمعي إليك فإن فيه بقايا من حديث كالعقود
(وصاغني تجد عبقاً بكفى ينم إليك من ردع النهود)^(١)
وتمام الكلام على هذا المقام - ولا مقام لصاحبه - يأتي في الولاية ،
وهي الثمرة (٢) .

تكميل وتنبيه : أول ما يكشف به العارف ، أن تبدو له أفعال الحق
واحدة الظهور (٣) من غير ستر ، ثم يشعر بالمعية التي لا تفارق
الموجودات في حياة ولا في موت ، ولا في دنيا ولا في آخرة . فإن قامت
فيها (قامت) (٤) ، وإن قعدت فيها (قعدت) (٥) ، ثم يغيب عن رؤية
الأغيار ، وعن نفسه ، ويذهب مع الداهيين .
وفي هذا المقام قال أبو سعيد الخراز : فالحق عين ما ظهر ، و(عين) (٦)

(١) ما بين الحاصرين ساقط . ظ . س .

(٢) في . ظ . س (الشجرة) . تحريف .

(٣) في . ظ . (وائرة الظهور) .

(٤) ساقطة من . ظ .

(٥) ساقطة من . ظ .

(٦) ساقطة من . ظ .

ما بطن ، وما ثم من يراه ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ،
فالخلق هو العين الواحدة ، بل هو العيون الكثيرة ، كما أن كلام الحق واحد
من حيث الذات ، وآيات بينات من حيث الأسماء والمسميات ، وكذلك
سائر الصفات . وكل مدرك يروم إدراك الذات العلية إنما يدرك ذات
نفسه ، فإن كانت نفسه في مقام النفس الإنسانية ، أدرك العقل الإنساني ،
وإن كانت نفسه في رتبة النفس الكلية ، أدرك العقل السكلي الأول وهو
ذاته ، فما بقي له ذات يعاين بها ذات الله ، وإنما يدرك ذات نفسه فلا يدرك
ذات الله على الحقيقة إلا الله ، وفي ذلك قلت ^(١) :

إن رأى الحق فيك منك بقيه فاتق البعد منه حق التقيه
وإذا لم يكن لذاتك رسم قائم تلك حالة حقيقه

خاتمة : قال أبو الفرج ، رحمه الله : يا هذا ، حفر النهر إليك ، وإجراء
الماء ليس عليك ^(٢) ، أحفر ساقية فاذكروني ، إلى جنب بحر أذكركم ، فإذا
بلغ إليها معول الفكر ، فاضت عليه مياه البحر ، فبي يسمع ، وبى يبصر ^(٣) .
ألق بذر الذكر ، في أرض الخلوة ، وسق إليه ساقية من ماء الفكر ، لعلها
تنبت شجرة : « أنا جليس من ذكرني » .

يرنخى إليك الشوق حتى أميل من اليمين إلى الشمال
كما مال المعافر عاودته حميا الكأس حالا بعد حال
ويأخذني لذكركم إرتياح كما نشط الأسير من العقال
وأيسر ما ألاقى أن هما ينصصني بذا الماء الزلال

(١) في . ظ ، س قال المؤلف رضى الله عنه .

(٢) في . ظ (لبى إليك) . تحريف

(٣) في . ظ (فبي يسمع وببصر) .

القسم الخامس ، فى الزهرات

وهى الطوالع واللوائح ، التى لها الهجوم

والوردات التى تدوم أولا تدوم

قال المؤلف (١) رحمه الله : ولما كان زهر الغصن^١ ، مقدما على جنائه ، جعلنا الوردات زهرات تخبر بالجنى ، وكان حق هذه الوردات ، أن تثبت فى تدريج السلوك بالذكر ، لكن راعينا ترتيب الشجرة ، وقنعنا بما جرى من ذكرها حيث يجب ، وأفردنا لها هذا القسم . وإذا عرفت المعانى ، فلا مشاحة فى الألفاظ ، فنقول وقلتمس الإعانة من الله :

إذا استمر المريد فى الرياضة ، فسلك على المقامات المعلومات ، واستعمل الذكر ، واعتمد الشيخ ، وقطع العلائق ، تأكدت النسب بين القوى ، ووقع الانجذاب ، فأومضت البروق ، وطرقت الوردات ، وحصلت الأحوال ، وتختلف أسماءها ، [١٩٢] من مصطلح طوالع ، ولوامع ، ولوائح ، (وهواجم) (٢) وبواده ، ووردات . وتختلف معانيها ، من بوارق ، وأصوات ، (وأنوار) (٣) مختلفة . واقشعرار ، ورعدة ، وبرد ، وكشف ، ورؤيا .

فأما الطوالع واللوامع (واللوائح) (٤) فهى بوارق وأنوار ، وهى من

(١) فى . س ، ظ . رضى الله عنه .

(٢) ساقطة من . ظ ، س .

(٣) ساقطة من . ظ .

(٤) ساقطة من جميع الأصول والسياق يقتضيه .

والطوالع . أول ما يبدو من تجليات الاسماء الإلهية على باطن العبد ، فبحسن أخلاقه وصفاته يتنوير بباطنه .

واللوامع . أنوار ساطعة تلعب لأهل البنايات من أرباب النفوس الصافية الطاهرة ، فتعكس من الخيال إلى الحس المشترك تصوير مشاهدة بالحواس الطاهرة ، فترى لهم أنوار كأأنوار الشهب والقمر والشمس ، فضيء ما حولهم ، فهى إما عن غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فتضرب إلى الحمرة ، وإما عن غلبة أنوار الوعد والاطف فتضرب إلى الخضرة والصوع .

صفات أصحاب البدايات ، في الترقى بالقلب ، تكون أولا لوائح ، ثم لوامع ، ثم طوالع ، من جنس واحد ، وتختلف بالأشد والأضعف ، والموام وغيره .

فاللوامع أظهر من اللوائح ، وليس زوالها بتلك السرعة ، واللوائح ربما ظهرت ، فلم تدم إن استترت . والطوالع أبقى (١) من اللوامع ، وأقوى سلطانا ، وأدوم مكثا ، وأذهب للظلمة .

قال [أبو القاسم] القشيري : وهذه المعاني تختلف في القضايا ، فنها ما إذا فات لم يبق منه أثر ، ومنها ما يبقى بعد الأثر .

والبواده : ما يفجأ القلب من الغيب ، على سبيل العدالة (٢) ، لما موجب فرح ، أو موجب ترح .

والهواجم : ما يرد على القلب بقوة الوقت ، من غير تصنع منك ، وتختلف في الأنواع ، على حسب قوة الوارد وضعفه ، فمنهم من تطيره وتصرفه الهواجم ، ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالا وقوة ، وهم (٣) البواده ، سادات الوقت .

وأما الواردات : فالوارد عندهم رسول من الحضرة الإلهية ، يخبر بعيد ، وتكون إما روحانية ، وإما نارية ، وهي الملكية والشیطانية ، والفرق بين الوارد الملكي والشیطاني ، أن الملكي يعقب برادا ولذة ، ولا يترك ألما ، ولا يغير صورة ، ويخلف (٤) علما . والشیطاني يعقب حيرة ، وكربا ، وتخبطا . وألما . وثقلا ، وقال بعض الفضلاء : الوارد

(١) في ٠ ظ (أقوى) . . (٢) في ٠ ظ . الوهلة وفي . س ، الوهلة . تحريف

(٣) في ، ظ د س سادة الوقت . (٤) في ، ظ ، س ويجلب علما

ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة ، بما لا يكون (١) بعمد العبد ، وكذلك ما يكون من قبل الخواطر ، ويختص بنوع من الخطاب ، أو يتضمن معناه . ويكون وارد سرور ، ووارد حزن ، ووارد قبض ، ووارد بسط ، إلى غير ذلك من المعاني . قال الشيخ ، تاج العارفين ، أبو مدين : لا ينظر في الوارد حتى يتكلم [صاحبه] .

وقال بعض الإشرافيين : اعلم أن النفوس إذا دامت عليها الإشراقات العلوية ، تعطىها (٢) مادة العالم ، [العلوى] ، وبسمع (٣) دعاؤها في العالم الأعلى ، والنور السانح من العالم الأعلى هو إكسير القدرة .

وإخوان التجريد تشرق عليهم أنوار ولها أصناف :

نور بارق ، وأعظم منه [نور] يرد على أهل البدايات ، وينطوى كلمة (٤) .
بارق لذيد ، ويرد على غيرهم أيضا نور أعظم منه ، وأشبه منه بالبرق (٥) إلا أنه برق هائل ، وربما سمع منه كصوت وعد ، ودري في الدماغ ، [ر] نور وارد لذيد ، يشبه ورود ماء جار على الرأس ، [و] نور ثابت ربما طويلا ، شديد (القهر ، يصحبه خدر في الدماغ ، [و] نور لذيد جداً ، تصحبه بهجة لطيفة) (٦) حلوة ، يتحرك بقوة المحبة ، [و] نور ، محرك (٧) بقوة العزيمة ، وقد يحصل من سماع طبول وأبواق ، وأمور هائلة للبتدىء ، أو لتفكر أو تخيل يورث عزا ، [و] نور لا مع ، في خطفة عظيمة ، يظهر مشاهدة وإبصارا ، أظهر من الشمس ، في لذة مغرقة (٨) ، [و] نور براق ، كأنه متعلق بشعر الإنسان زمانا طويلا ، [و] أنوار سوانح (٩)

(١) في الأصل (مما لا يمكن) و ، س ما لا يكون البعد وأثبتنا ما ، ن لا زججانه

(٢) في : ظ (طلق عليها مادة العالم) . و في س (تطعمها مادة العالم) .

(٣) في : س (وسمع دعاؤها) . (٤) في : س (وينطوى بلعة) .

(٥) في : ظ ، س (بالبدن) . تحريف (٦) ما بين الحاصرتين ساقط من . ن لا

(٧) في الأصل و ، س (محرك) . (٨) في الأصل (لذة مصرفة) .

(٩) في : ط ؛ س (نور سانح) .

تتنالى وتترامى (١) كأنها قبضت (٢) شعر رأسه ، [٩٢ ب] ونجده شديدا ،
وتؤلمه ألما لذيذا ، [و] نور يشرق من النفس على جميع الروح النفساني ،
فيظهر كأنه تدرع بالبدن شيء ، ويكاد يقيد (٣) روح جميع البدن ،
صورته نورية ، وهو لذيذ جدا ؛ [و] نور مبدؤه (٤) صولة ، وعند
مبدئه يتخيل الإنسان كأن شيئا ينهدم (٥) ، [و] نور يتخيل معه ثقل
لايكاد يطاق [و] نور معه قوة تحرك البدن (٦) حتى [ا] كاد تنقطع (٧)
مفاصله . ومعظم هذه الواردات ، المذكورة في كتاب « حكمة الإشراف » ،
للسهروردي ، ورتبها على أسرار حروف أوائل السور ، وهي : الدمرا ، (٨)
كهيعص ، طاسين ، حاميم ، ق ، ن . فليعلم ذلك ، فإنها من الفوائد المتلقاه .

وقال الشيخ الرئيس ، أبو علي ، يصف المريد في أخذه بالرياضة :
ثم إنه إذا بلغت به الرياضة والإرادة (٩) حدا ، عنت له خلجات من
اطلاع نور الحق عليه ، لذينة كأنها بروق تومض إليه ، ثم تخمد عنه ،
وهي التي تسمى عندهم أوقانا ، وكل وقت يكسبه وجدا إليه ، ووجدا عليه ،
ثم إنه لتكثر منه هذه الغواشي إذا أمعن في الارتياض ، ثم إنه ليوغل
في ذلك ، حتى يغشاه في غير الارتياض ، فكلمة ملح شيئا عاج منه إلى جناب
القدس ، يذكر من أمره أمرا ، فغشيه (١٠) غاش ، فيكاد يرى الحق في كل
شيء . وأما الكشف ، فقد مر منه كثير في القسم قبل هذا ،
و [في] ما يعرض على السالك من العوالم .

وقال الشيخ محي الدين [بن عربي] : أول ما يفتح عليك ، كشفك

-
- | | |
|---|----------------------------------|
| (١) في : ط (يتوالى) . وفي : س (متالى) . | (٢) في : ظ ، س (قض شعر رأسه) . |
| (٣) في : ط (يقبل) . | (٤) في : س (مبتدأه) . |
| (٥) في : س : ينهدم . | (٦) في : س . يحرك النفس . |
| (٧) في : ظ (يقطع) . | (٨) في : س . ألف . لام ميم راء . |
| (٩) في : ط ، س (الإرادة والرياضة) . | (١٠) في : ظ أمرا يغشيه . |

عالم الحس ، الغائب عنك ، فلا تحجبك الجدران ولا الظلمات (١) ، عما يفعله الخلق في بيوتهم . و [في] التفرقة بين الكشف الخيالي والحسي ، قالوا : إذا تعلق إدراك البصيرة بمدرك فليخلق السالك عينيه ، فإن بقي له الكشف فهو حقيقي ، وإلا فهو خيالي (٢) .

تخدير : قالوا : وعند تلاشي الخلق ، (وظهور الحق) (٣) واحياء رسم ، الشفعية (٤) ، [ف] إن لم تحذقه العلوم ، وتقدم له علل الطريق ، يقول : أنا الحق وسبحاني ، وما في الجبة إلا الله . وعن ابتلي بذلك : الحسين بن منصور الحلاج ، قال بعض الشيوخ : لأنه رحل إلى منزل لا يدخل فيه بشفع ، ولا بوجود مقيد ، وحصل شروطه تلك ، ولم يضيع منها شيئاً ، وأنسته سكرة الوصول أن يفرق بين المطلق والمقيد ، ووجد الخطاب ، فأطلق الذات (٥) ، وحفظ الشروط ، فما وسعه إلا أن قال : أنا الحق . وإن كان محققاً وثابت القدم ، فإن العجز عن درك الإدراك (إدراك) (٦) . ثم قال : فإن الذي يشطح هناك ، ويقول : أنا الحق . إما في فترة من القناء ، أو في قرب منه ، وكأنه آخر الومق ، والقرب من الموت ، أو غلبة مثل ما يحدث للريض من البرسام ، وبالجملة ، من مات لم يتكلم ، والموت هنا حياة ، والشاطح (٧) غير ميت ، فهو غير حي حياة العارفين ، قال الشاعر :

ذاك السراج وساقى القوم يمزجها فلاح في البيت كالمصباح مصباح
كدنا على علمنا والشك تسأله أراحنا نارنا أم نارنا الراح

وقال الآخر :

رق الزجاج ور [ا] قت الخمر قتشا كلا قتشابه الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر [١٩٣]

(١) في : س (ولا الظلمة) . (٢) في : س (وإن ذهب فهو خيالي) .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .
(٤) في : ظ . وهم الشفعية . (٥) في : س . وأطلق الذات .
(٦) ساقطة من الأصل . (٧) في : ظ ، س (والشطاح) .

القسم السادس

الجنى الذى كان غارس الشجرة يحوم عليه
وهو الولاية

قال المؤلف رحمه الله (١) هذا المقام من هذه المطالب الإلهية بمنزلة الثمرة من الشجرة ، والفعل من القوة ، والنهاية من الأعمال ، وحسبك بها درجة قال الله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
الولاية : أن يتولى الله الواصل إلى حضر قدسه ، بكثير مما تولى به النبي ، من حفظ وتوفيق ، وتمكين واستخلاف وتصريف .

فالولى يساوى (٢) النبي في أمور ، منها : العلم من غير طريق العلم الكسبي ، والفعل (٣) بمجرد الهمة ، فيما لم تجربه العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم ، مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم (٤) .

كان الفضيل [بن عياض] ، على جبل من جبال منى ، فقال : لو أن ولياً من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميد لماء ، فتحرك الجبل ، فقال : أسكن .
لم أدرك بهذا ، فسكن الجبل .

ويفعل بالهمة في عالم الخيال وفي الحس ، فإنه يسمع ويرى ، ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس .

وفارق الولي النبي في المخاطبة الإلهية ، والمعارض ، فإتھما يجتمعان في

(١) في : س ، ط . رضى الله عنه .

(٢) و : ظ يشارك .

(٣) في : ظ والعقل . تحريف .

(٤) هذا يدخل في باب الكرامة . وقد أجاز أهل السنة الكرامات للأولياء .

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فأنبن كلامه

الأصول وهي المقامات ، إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلي ، والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي ، وإن جمعهما مقاماً اختلغا بالوحدة في كل مقام ، من فناء وبقاء ، وجمع وفرق . والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ، ومن مقامه يشهد ، إلا ما كان من الأولياء المحمدين ، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعاً لمقامات الأنبياء (أورثهم الله مقامات الأنبياء) (١) ، وأوصل إليهم أنوارهم ، من نور نبيهم الوارث ، وبوساطته ، فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسول مقاماتهم في عالم الأرواح .

ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه (٢) ، وإليه الإشارة بقوله : « أولياء أممي أنبياء من دونهم » . فقد يرث ولي من الأولياء آدم ، أو إدريس ، أو إسحاق ، أو إسماعيل ، أو يوسف ، أو موسى (٣) ، أو عيسى ، لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من محمد صلوات الله عليه وعليهم (وسلامه) (٤) ، إلا القطب وحده ، فإنه على قلب محمد (صلى الله عليه وسلم) (٥) (ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون) (٦) .

بعض ما قيل في الولي (٧) : سئل بعضهم عن الولي ، فقال : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » . يعني أنه حافظ هذه الرتبة في العالم ، من بعد النبي . وسئل آخر ، فقال : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » . يعني

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(٢) أي محمد صلى الله عليه وسلم . راجع [النفحات الأندلسية في شرح الصلوات الإدرسية للأقطار . والفص المحمدي من فصوص الحكم للشيخ الأكبر]

(٣) في : ظ ، س (أو موسى أو يوسف) .

(٤) ساقطة من : ظ وى : س صلوات الله وسلامه عليه .

(٥) ساقطة من : ظ ، س :

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(٧) في : س (بعض ما قيل في العارف) .

أنه في الوجود ، الواسطة بين الله وبين عباده والشهيد : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » .

وقال أبو علي الجورجاني : « الولي هو الفاني في حاله ، الباقي في مشاهدة الحق ، تولى الله سياسته ، فتوالت عليه أنوار التولي ، ولم يكن له عن نفسه إخبار ، ولا مع الله قرار » .

قال يحيى بن معاذ [الرازي] : الولي ربحان الله في الأرض ، يشمه الصديقون ، فتصل رائحته إلى قلوبهم ، فيتشوقون (١) به إلى مولاهم ، ويزدادون عبادة على تفاوت أحوالهم ، كما قال :

تشم أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار [٩٣ب]
ومن شروطه : قالوا : من شروط الولي ، أن يكون محفوظا ، كما أن من شروط النبي أن يكون معصوما ، واختلفوا ، هل يعلم ولايته ؟ .

وقالوا : يلاحظ نفسه بعين التصغير ، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرا ، فهو يستشعر الخوف دائما ، من سقوط ما حصل فيه .

وقالوا : الولي قد يكون مشهرا ، ولا يكون مفتونا .

ومن مدارج الولاية : وإن كان ما تقدم كله من مدارج الولاية ، قال إبراهيم بن آدم لرجل : أنجب أن تكون وليا ؟ قال : نعم . قال له : لا ترغب في شيء من الدنيا ، ولا في الآخرة ، وفرغ نفسك لله ، وأقبل بوجهك عليه ، يقبل عليك ويوالك .

(١) في : ظ (يستشوقون) . وفي : س (يستشرفون) .

وقال أبو سعيد [الخراز]: إذا أَران الله أن يوَالى عبداً من عبيده (فتح له باب ذكره ، فإذا استلذه) (١) ، فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية ، وكشف له الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال الحق والعظمة بقى بلا هو . وينظر في باب الجوائح ما يطرق الولي من الخواطر إن شاء الله .

ومراتب الولاية (على المقامات الثلاثة حسبما يذكر، تكون الولاية) (٢) ، في مقام الإسلام ، (في) (٣) عالم الجسوم : قال الله عز وجل : « يا داودا إنا جعلناك خليفة في الأرض » . وتكون في مقام الإيمان في عالم النفوس ، قال الله (سبحانه وتعالى) (٤) : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » . وتكون في مقام الإحسان في عالم العقول . قال الله تعالى (٥) : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » . (وتم) (٦) . والحمد لله ، الذي بنعمته تتم الصالحات ، لا إله إلا هو الولي الحميد (سبحانه) (٧) .

-
- (١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل .
 - (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
 - (٣) ساقطة من الأصل ، ظ .
 - (٤) ساقطة من : ظ ؛ س .
 - (٥) في : ظ ؛ س (قال الله سبحانه) .
 - (٦) ساقطة من : ظ .
 - (٧) ساقطة من الأصل ، س .

تفرع ضخام الغصون

من (عمود)^(١) شجرة السر المصون

وهي التي أفادت الظل الظليل ، وزافت المرآى الجميل ، وتكفلت
لمحاسن الشجرة الشفاء بالتكميل ، وتتعدد^(٢) إلى غصن المحبوبات^(٣) ،
وأقسام موضوعاتها المكتوبات ، وغصن المجبين وأصنافهم المرتبين، وغصن
علامات المحبة ، وشواهد النفوس الصبية ، وغصن الأخبار المنقولة ، عن
ذوى النفوس المصقولة . وعند تعيين هذه الأغصان المقسومة ، كل شكل
الشجرة المرسومة ، والسرحة الموصوفة الموسومة ، فقاءت الظلال ،
وكلت^(٤) الخلال ، فجنى^(٥) من تفرد وتوحد ، واستظل من استهدى
واسترشد ، ووقف الهائم مخاطب وأنشد :

ياسرحة الحى يا مطول	شرح الذى بيننا يطول
عندى مقال فهل مقام	تصغين فيه لما أقول
ولب ديون عليك حلت	لو أنه ينفع الحلول
ماض من العيش كان فيه	منزلنا ظلك الظليل
زال وماذا عليك ماذا	يا سرح لو لم يكن يزول
حى عن المدنف ^(٦) المعنى	منبتك القطر والقبول

(١) ساقطة من : س .

(٢) فى : ظ (وتعددت) .

(٣) فى : س (إلى غصون المحبوبات) .

(٤) فى : ظ ، س (وكرمت الخلال) .

(٥) فى : ظ (يجنى من تفرد) .

(٦) فى : ظ ، س (حى عن المدنف) .

الغصن الأول

غصن المحبوبات، وموضوعاتها المكتوبات

وهو أربعة أفنان. فنن الرب المحبوب، (وفنن العبد المحبوب) (١) وفنن الدنيا المحبوبة، وفنن الآخرة المحبوبة، [٩٤] والفننان متداخلان في المعنى،).

فنن الرب المحبوب

وهو ثلاث ورقات. ورقة محبوبة الأفعال، ورقة محبوبة الصفات، وورقة محبوبة الذات.

قال المؤلف رحمه الله (٢): وقد جرى من الكلام في ذلك، في أقسام المحبة ما فيه كفاية، والنظر في محبوبة الله تعالى، وهل ينسحب على محبته اسم المحبة، ويتناولها حدها، أو تكون متميزة بنفسها، مختصة بحدودها، إن أمكن حدها.

وإن الذي استقر عليه بحث الكثير من النظار والمتكلمين، واتفق عليه المعبر من المحققين، أن المحبة جنس عام، تحته أنواع المحبة، من حب العبد للعبد، وحب العبد لله خاصة. وتتفاضل بشرف الموضوع، وتتفاضل بنجسته، وأن الأغراض التي تتبع المحبة، من لوازم الشوق والهيام، والوجد والخيرة والاستهلاك، موجودة بنوع أشرف، ولذلك ما كانت سلماً إلى المحبة الخاصة بأهل العرفان والسعادة. وعلى [هذا] الاعتبار نظمت الحدود (٣) المختارة.

ومنها أن المحبة إرادة أكيدة، تميل القلب نحو المحبوب، لما تحقق من جماله وكماله، وتقيد المحب بقيد طاعته، وأن السبب الفاعلي لمعرفة المحبوب،

(١) ساقط من الأصل. وزيد من: ظ.

(٢) ق: س، ظ رضى الله عنه.

(٣) في الأصل: العقود. والرجيح من: ظ.

ويتقدمها نظر البصر إن كان المحبوب ظاهرا ، أو البصيرة إن كان باطنا .
ولحظ البصيرة هو الفكر والاعتبار .

وتحصل منه أن محبة الله مستوعبة لأعظم أقسام المحبة ، وأنها محبة
الجمال المجرد من الأجسام ، إذ الجمال المحبوب في كل مظهر لمح من نور
الله ، لاحت على بعض إبداعه ، ومحبة النوال في كل مستنال منه لمحة من
لمحات نواله ، ومظهر النوال عارية إذا رفعت الوسائط ، وإذا قلنا في محبة
الله إنها محبة الفرع ، وهى أهم من المناسبة : كمحبة الولد لو الده ، إذ حنين
الطفل إلى أمه مركز في طباعه ، وإن لم يكمل تمييزه . فنقول .

الله عز وجل ، محبوب محبة واحدة تنقسم بانقسام جلس المحبة ، كما
أن التوحيد واحد في الحقيقة ، ولا ينقسم إلا بالنسبة إلى أقسام الموحدين ،
من حيث يقول الصوفي (١) ، توحيد الأفعال ، وتوحيد الصفات ،
وتوحيد الذات .

ورقة : فالقسم الأول ، الذين تعين الله جل جلاله محبوبيهم ، من حيث
استغراقهم في بحر أفعاله ، فهم الذين شاهدوا الحق في أفعاله من الخلق ،
حسبا دلهم الاعتبار بأنه الخلاق العليم ، والفعال لما يريد ، فأحبوه في رتبة (٢)
الأفعال ، إذ لم تهض أسباب المحبة بهم لغير ذلك ، وإليه الإشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم ، جاذبا إلى المحبة بالتدرج من لا سبيل له إلا من باب
الأفعال : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة » . وروى عن أنى بكر رضى الله عنه ،
أنه قال : « ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه ، وما رأيت شيئا إلا رأيت الله
قبله ، وما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده » . وقد جمع الأقسام الثلاثة
بالمشاهدة ، قبل ، ومع ، وبعد . قبل من حيث الأصل ، ومع من حيث الوصل ،
وبعد من حيث الفصل ، والذين عزقوا في محبوب الأفعال هم الصالحون .

(١) في : ظ ، س . من حيث تقول الصوفية .

(٢) في الأصل : في زينة الأفعال .

هب لي إليك طريقا من قاصد أو بعيد [٩٤ب]
إن ضامني فيك صومي فإن (١) وجهك عيدي

ورقة : والقسم الثاني ، الذين غرقوا في محبوب الصفات ، وهم جمهور الأولياء ، وهم الذين تقربوا إلى الله بالنوافل حتى أحبهم ، فكان سمعهم وبصرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . . . الحديث الشهير ، فلما كان سمعهم وبصرهم ، اندرجت صفاتهم في صفاته ، وكانت محبتهم محبة الصفات .

ومما قيل في تعريف المحبة : إنها اندراج صفات المحب ، في أوصاف المحبوب ، والاندراج لا يكون بمناسبة من المندرج للمندرج فيه ، كما تندرج النجوم في نور الشمس ، لكن اندراج الفناء والاستهلاك .

حديثك في سمعي وذكرك في في ومراك في عيني فأين تغيب

ورقة : والقسم الثالث ، الذين غرقوا في محبة (٢) الذات ، وهم الخاصة العليا (٣) ، الذين شاركوا الأنبياء في مراتبهم (٤) وإن جلت مراتب الأنبياء فلمهم منها نصيب ، إذ ما من بنى ولا رسول إلا وله من هذه الأمة وارث ، على طريق العلم والحكمة ، إذ مقامات الأنبياء جلت أن يلح حقائقها غيرهم ، وهؤلاء الذين غرقوا في بحر الذات هم الذين فتوا عن نفوسهم ، بشهود مشهودهم ، فمن غرق في بحر الثور (٥) لا يبصر ما بعد لا ما قرب ، ولا ما غاب ولا ما حضر . والشمس تبهر أبصار الخفافيش .

إذا أبلعتني ريقى بثبتك سر تحقيقى
وإن غيبتني عنى فصاحبى بتوفيق

(١) في : س (وإن وجهك عيدي) . (٢) في : ظ ، س (في محبوب الذات) .

(٣) في : الأصل : (الخاصة العلماء) .

(٤) على هامش الأصل : (أى في العلم المجاور لعلوم الأنبياء) .

(٥) في الأصل : (في الذات) .

فَنَ الْعَبْدِ الْمَحْبُوبِ

والمحبة المتوجهة من الله إلى عبده ، حتى يكون الله محبا ، والعبد محبوبا ، لا يقع عليها حد المحبة المتقدم إلا بتسامح كثير ، ومحبة الله عبده إن تكون باعتبار أوراق ثلاث ، منها السابقة والعناية ، وهي شارية (١) في سائر الأقسام ، ومنها محبة آثاره وصنعه ، والثالث (به) حتى يفتح الله به في عباده تجليا عن وجهه ، أو قابلية لذكره .

الورقة الأولى (٢) : قال فيها (٣) بعض شيوخنا : محبة الحق للخلق ، كناية عن نوره الذي هداهم إليه ، وإذا أحب الله عبدا ، اجتذبه إليه ، ولا يجذبه إلا بنوره ، كما تجذب الأجسام النورانية كالكمهرا الأجسام الزبيرية من الأرض إليها ، ولنور الله المثل الأعلى ، فمنهم من جعله مثل نوره . وهم الخلفاء ، ومنهم من هداه (٤) لنوره ، وهم الأولياء . ومنهم من هداه لسبيله ، وهم الصالحون ، والباقون مندرجون تحت قوله : « ويذرهم في طغيانهم يعمهون » . ونحن نلصق بشيء ، في العناية ، وإن تقدم منها كفاية ، فنقول :

(من كلام أهل هذه الطريقة) (٥) (علم) (٦) أن النقطة إذا أنزعجت من بين الصلب والتراتيب ، تنلقها (٧) (قبل حلولها في الرحم) (٨) يد رحيمة ، ويد غضبية ، فتبلغها (٩) تلك البدان إلى مستقرها من الرحم (ولا بد لاحدى اليدين أن يكون لها تمكين في ذلك النقل ، أمكن من اليد الأخرى ، فإذا استقرت في الرحم) (١٠) بقيت كل يد منهما قابضة عليها ، حسبما أمكنها من التمكين في القبض ، وتلزمها الملائكة الموكلون بالنطفة ،

-
- | | |
|--------------------------------------|--|
| (١) في : ظ ، س (سائرة) . | (٢) في : ظ (ورقة) . |
| (٣) في : ظ ، س (فيه) . | (٤) في : ظ ، س (لسبيله) . |
| (٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . | (٦) ساقطة من : ظ ، س . |
| (٧) في : ظ ؛ س (تنلقها) . | (٨) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . |
| (٩) في : ظ ، س (فتلقها) . | (١٠) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . |

أربعين يوما ، يطوفون بها في عالم الأرواح ، بالتسييح والتقديس والتهليل ، المعبر بها عن المفاتيح والأسماء ، إلى أن ينقضى ذلك الطور بانقضاء العدة. وهذا الطور هو نسبة الحضرة العمانية .

ثم تنتقل إلى الطور العقلي وهو الدموي ، فتلزمها الملائكة والأرواح [٩٥] الروحانية الموكلون بذلك الطور أربعين يوما ، يطوفون بها في عالم الأنوار (بالتسييح والتقديس) (١) إلى أن ينقضى هذا الطور ، بانقضاء هذا العدد ، وهذا الطور هو نسبة حضرة الهباء .

ثم تنتقل إلى الطور المصفي ، فتلزمها (الملائكة) (٢) الموكلون بالمضغ ، أربعين يوما ، يطوفون بها في عالم الأفلاك ، بالتسييح (والتهليل) (٣). والتقديس أربعين يوما ، إلى أن ينقضى هذا العدد . وهذا العدد بينه وبين هذه النفس الإنسانية في باطن العلم نسبة ، ظهرت في اللشآت والأطوار ، ثم في أسباب التجرد والرجوع ، ومنه وعد موسى ، والأربعينية الكثير استعمالها في الرياضة ، إلى أن ينتهي هذا الطور بانقضائها ، وهو نسبة الذر في الحضرة الذرية .

ثم ينتقل إلى طور التسوية ، فتلزمها ملائكة الصور ، عشرة أيام ، يطوفون بها في عالم الطبائع ، بالتسييح والتقديس . (التهليل) إلى أن ينقضى هذا الطور بانقضاء العدد المذكور ، وهذا نسبة الفطر ، وفي هذا الطور يفتح له ديوانا السعادة والشقاوة ؛ فإن رسم اسمه في ديوان السعادة ، صاحبت ملائكة الطبائع ، وملائكة الأفلاك ، وملائكة الأنوار ، بالتهليل والتحميد لله ، تبشر الصورة بالسعادة .

(١) في : س (أربعون) .

(٢) ما بين الحاصرتين . ساقط من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) ساقطة من : ظ ؛ س .

(٥) في : س (بانقضائها) .

وعند ذلك تنحل قبضة الغضب، وتخلص بها القبضة الرحيمية، وينادى مناد: ألا إن هذه النسمة سعدت، سعادة لا شقاء معها، ثم تطوف بها الملائكة بالتبشير والتحية. وإن رسم في ديوان الشقاوة، تحت الملائكة، ودنت منه الشياطين، وزعقت تبشر الصورة بالشقاوة، وتحل القبضة الرحيمية، وتخلص بها القبضة الغضبية، وينادى مناد: ألا إن هذه النسمة شقيت شقاوة لاسعادة معها.

قال: وإليه الإشارة بقوله في الحديث المشهور من كتاب مسلم: «إن الله إذا أحب عبدا من عباده، نادى جبريل: «إني أحب فلانا فأحبوه».

ثم ينادى ملائكة السماء ملائكة الأرض... الحديث «إلى قوله: «فالسعيد من سعد في بطن أمه»، والشقي من شقي في بطن أمه». قال الله عز وجل: «فمنهم شقي وسعيد». وقال: «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون».

ثم تنتقل إلى طور النفخ، وينفخ فيه الروح فيحيي، ويدفع إلى المقادير فتقبضه، ويبقى في أيديها في الرحم (١) مائة وأربعين يوما، وفي هذه الأيام تنفذ عليه تصاريق المقادير، من أول يوم من بروزه، إلى آخر نفس من عمره، فيكتب ذلك في لوح رأسه مفصلا على أوقاته، مرتبا على أسبابه.

فإذا تمت هذه الأيام، يبرز إلى عالم التركيب، (فتناولته) (٢) يد حكم (عالم) (٣) الكواكب بإذن ربها، على مقتضى ما قيدت المقادير من تصاريقها في لوح رأسه، وتقييد المقادير إنما هو على مقتضى ما قيد في أحد الديوانين في طور الفطرة، وهو طور التسوية. وما قيد في ذينك الديوانين، إنما هو حكم تمسكين القبضتين، الرحيمية والغضبية، وتمسكين إحدى القبضتين، إنما هو بمقتضى هؤلاء وهؤلاء، ومقتضى هؤلاء وهؤلاء، إنما هو

(١) في: ظ، س في (الرسم).

(٢) ساقطة من: ظ.

(٣) ساقطة من: س.

بمقتضى إسلام الطوع والكراه ، وإسلام الطوع والكراه ، إنما هو بمقتضى أقبل وأدبر ، وأقبل وأدبر ، إنما هو بمقتضى أردت أن أعرف ، وتصريف [٩٥ ب] الكواكب من جهة الطالع حالة الوقوع في الرحم ، إلى عالم الكون والتغير (١) وترتيبها في البيوت الأثني عشرة ، بحسب الطوالع ومواضعها ، والبيوت ومحوسها . وسعودها ، ومقتضيات (٢) أحوالها التشكيلية وهياتها ، كما يتقرر في العلم النجومى تنفذ عليه المقادير أيام عمره . ومقتضى الكواكب ، إنما هو مقتضى طالع مولده (٣) . وطالع مولده ، مقتضى ما قيدت عليه المقادير .

فإذا تحصل هذا ، فلتعلم أنك مطلوب بمقتضى القبضة الرحيمية منذ بروز النطفة ، وإذا علمت هذا ، فاعلم أن المطيع موعود بالخير الدائم ، والمخالف متوعد بالشر الدائم ، فاسأل منه الطاعة لخلاص نفسك ، فإذا حصلت لك الطاعة — وحصولها بعون الله وإلهامه — فاعلم أن الخاتمة أمامك بجهولة النوع ، لأنها على مقتضى الإقبال والإدبار ، يوم مخاطبة العقل ، في اليوم الذى لم يحضره أحد من المخلوقات غير الله ، ولذلك لا يعلم نوع وقوعها إلا هو . قلت : ويزعم أهل هذا الفن ، أن هذا القول من جملة ستين فنا من مثله ، ولا يسعنا الإسهاب .

ورقة الاعتبار الثانى :

أن يكون الله سبحانه يحب آثاره وصفته وحكمته ، ولا أظهر منها فى الإنسان الذى خلقه فى أحسن تقويم ، وجميع فيه (٤) ما أفردته فى غيره ، وأحكمه فى أعدل المظاهر ، وأقبل الصفحات للجمال ، بحيث لا عالم وراءه إلا الملائكة ، وقال رسوله : « إن الله جميل يحب الجمال » . فهو يجب جمال عبده ، ومحاسنه المستعارة من نوره .

(١) فى : س (عالم الكون والفساد) .

(٢) فى : س (ومقتضى أحوالها) .

(٣) فى : س . طالع كوكبه .

(٤) فى : ظ ، س (وحسن له) .

ورقة الاعتبار الثالث :

أن يحب سمعه وبصره ، بعد تقربه بالنوافل ، وهذا المقدار يعمر رسم التقسيم^(١) ، ولا فائدة في إيضاحه ، فإن جمع أوهم الاتحاد .

فن الدنيا المحبوبة

وهو على ثلاثة أوراق . ورقة محبة البقاء فيها مطلقا ، من غير اعتبار نوال ولا لذة . وورقة محبة البقاء لإبقاء النوع ، والاستكثار من لذة الفنية والاكتساب . وورقة محبة البقاء للاستكثار من الأعمال الصالحة .

فأما ورقة محبة الدنيا مطلقا :

من غير نظر إلى غير ذلك ، فهو^(٢) لأجل أن النفس كانت قبل النزول إلى ملكة الحس مقدسة بسيطة ، لا تعرف المآكل ولا المشارب ولا اللذات غنية بربها ، لا تجوع ولا تعرى ، ولا تظمأ ولا تضجى ، في جنة المأوى ، الفراديس العلا . فلما أنزلها [الله] إلى عالم الجسوم ، وهو عالم الافتقار ، والاحتياج إلى الوسائط والأنساب ، وحجب عنها المدد الواصل من حضرته ، كان أول ما فتح به عليها في عالم ملكها الذى استخلفها فيه [أن] ملكها^(٣) مدركات الحس^(٤) ، فصارت بالنسبة إلى عالمها آمرة ناهية ، تنصرف في ملكها الجزئى على حسب إرادتها ، وتنازع الحق جل جلاله في أوصافه ، ولذلك^(٥) (ورد)^(٦) أن الله لما خلق النفس ، قال لها :

(١) في : ظ ، س (يعم رسم التقسيم) .

(٢) في : الأصل (فهى) .

(٣) في جميع الأصول (وملكها) .

(٤) في : س (مدركات الحواس) .

(٥) في : ظ (وكذلك) .

(٦) ساقطة من : ظ .

من أنا؟ فقالت هي أيضاً : من أنا؟ فسجنها (١) في بحر الجوع (٢) حتى قالت : أنت الله لا إله إلا أنت . ولذلك بقيت (٣) الرياضة مسلطة على تقويمها . قال : فعشقت هذا العالم ، وعظم به اغتباطها ، فأحببت البقاء فيه على كل حال ، حتى مع الآلم والزمانات (٤) ، والأحوال [١٩٦] السيئة .

نظرة منك ويوم بالحريب حسب نفسى من زمان وحبيب
يا صبا نجد ويا بان النقا ارفقا بي في ثنٍ وهبوب
فوصلت (٥) في عشق الدنيا ، وباعت الأعلى بالأدنى ، واعتاضت عما يبقى بما يفنى ، وكشفت بينها الحجب وبين العالم الأعلى ، والسقطة (٦) على قدر المهوى ، وبقدر (٧) الغفلة يكون سوء العقبى ، ووخم المشوى . على قدر ما أولعت بالشئ حزنه ويصعب نزع السهم مهما تمسكنا ولو أن النفس لم يقع لها التعشق إلا بجراحة العين التي تبصر بها المحاسن ، وتترك لإشارات العيون الفواتر ، والانعطاف من الفدود الرهيفة ، والهيف من الخصور اللطيفة ، والاشر من الثغور المفلجة ، وبجراحة السمع الذى تلتذ منه بنغم الأصوات ، ونسب الألحان والتمتع بأحاديث السمر ، على الكشبان العفر ، فى الليالى القمر ، أوالتنعم بعتاب الأحبة ، ومناغة الولدان قطع الأفقة ، لكان لها شركا لا تقلته ، وورطة يتعذر فيها الخلاص حين تطلبه ، وقد دثر وذهب العين والآثر ، فكيف إذا أضيف إلى ذلك فروع اللذات ، وأذيال الشهوات ، والدنيا بما حملت ، وعليه اشتملت . [قال المتنبي] :

(١) فى : ظ (خبسها) .

(٢) فى : س (فى سجن الجوع) .

(٣) فى الأصل ، ظ : س (ما بقيت الرياضة) .

(٤) الزمانات الجذام خاصة ، والأمراض المرمنة عامة

(٥) فى : ظ ، س (فدخلت)

(٦) فى : س (والبقاة)

(٧) فى : ظ ، س (ونسب الغفلة)

وكأننا لم نرض فينا برب الدهر حتى أعانه من أعانا
 كما أنبت الزمان قناة ركب المرء للقناة سنانا
 والحق ما قلته من آيات تناسب ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :
 والله إن لم يداركها وقد وحلت بلجة أو بلطف من لدنه خفي
 ولم يجد بتلا فيها على عجل ما أمرها صائر إلا إلى تلف
 فحب الدنيا رأس كل خطيئة (١) ، ولولاه لم تزل النفس صافية على
 سجيئتها الأولية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا سجن المؤمن
 وجنة الكافر » وقال : « الدنيا دار من لادار له ، وإليها يجمع من لا عقل له ،
 وعليها يعادى من لا علم عنده ، وعليها يجهد من لا فقه له (٢) ، ولها يسعى
 من لا يقين له . » وقال : « من أصبح والدنيا أكبر همه ، فليس من الله في
 شيء ، وألزم الله تعالى قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلا
 لا يتفرع منه أبداً ، فقراً لا يبلغ غناء أبداً ، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً . »
 وقال عيسى صلوات الله على نبينا وعليه (٣) : لا تسجدوا للدنيا
 [ف] ربما تسخركم عبيداً ، أكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فإن صاحب
 كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كبر الآخرة لا يخاف عليه الآفة .
 وقال : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم
 الماء والنار في إناء واحد . وقيل له : علمنا عملاً (٤) واحداً يحبنا الله
 (عليه) (٥) . قال : أبغضوا الدنيا يحبك الله .

ولا أوعظ من كلام يبين مثال الدنيا وزوالها ، وسرعة انتقالها

(١) في : ظ ، س (رأس كل بلية)

(٢) في : ظ (وعليها يجهد من لا فقه له)

(٣) في : ظ ، (صلوات الله وسلامه عليه)

(٤) في الأصول (علمنا عملاً) والتصحيح على هامش ، س

(٥) ساقطة من : ظ ، س

واضحلاهما : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ». قال بعض الحكماء (٦) : الدنيا [٩٦ب] قنطرة ، واستيطان القناطر بله . وقال الشاعر :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خائنه فزوج الأصابع
وقال الآخر (١) ، وهو المؤلف رحمه الله (٢) :

دنيا خدعت الذي سمرت له عن صفحة لم يُخَل بها كرم
سرت حظ الإله من يده فهان ما كان منه يحترم
قا الذي نال منك ليس له منقطع دائم ومنصرم
ومن هو الذي أراد أما بين يدين المشيب والمهرم

وقال أبو الفرج : ويحك ! سلطان الشباب قد تولى ، وأمير الضعف قد استولى ، ومعول الكبر (٣) يعرب (٤) حيطان دار الأجل . وحسبك داء أن تصح وتسقم . وقال : محبة الدنيا محنة ، الدنيا عيونها بابلية ، كم فتحت من باب بلية ، ولا كحيله من عين كحيله ، كم أفردت من أردفت (٥) ، كم أخذت من أحمدت ، كم فلتت من ألفت . كم أفقرت من أرفقت ، كم فارقت من رافقت ، كم قطعت من أقطعت ، فعلها كله في التقرير (٦) كذا . فان آثرت الصفا ، فما في الزهد أذى ، وإن أردت الأذى ، فالتقذا .

تعجب من صبرى على ألوانها في وصلها طورا وفي هجرانها
ورهاء من كلفها وثيقة كلفها ما ليس في أديانها
تسلط البلوى على عشاقها تسلط الخنث على أيمانها

(١) في : س (بعض الفضلاء)

(٢) في : س ، ظ رضى الله عنه

(٤) في الأصل (يعقل)

(٦) في : ظ (في التقدير)

(٣) في : ظ (وأمير الضعف) .

(٥) في : ظ ، س (من أردفت)

ثم قال : ما أصعب السباحة في غدير التمساح ، ما أشق السفر في الأرض
المسبغة ، إن المفروح به هو المحزون عليه ، غير أن عين الهوى عمياء ،
وطائر الطمع يرى الحبة ولا يرى الشرك .

وأما رقة محبة الدنيا لبقاء النوع :

فهى لأن هذه النفس ، لما يئست من البقاء في هذا العالم بالذات
والشخص ، فنتت ببقائها بالنوع ، لتعشقها بعالم الحس . قال الشاعر :
أهم بهند ما حيت فإن أمت أوكل بهند من يهيم بها بعدى
ولذلك حد بعضهم المحبة ، بالحرص على الإيجاد . وهى من المحبة
الطبيعية ، إذ يحصل فى النفس لأجل اغتباطها بالبقاء ، وفراها من الموت
تشبت بالولد ، إذ ترى أنها بسببه باقية بنوع من البقاء ، شبيه بالتناسخ .
قال المتنبي فى ذلك المعنى .

وقد أرات الشباب الروح فى بدنى وقد أراتى المشيب الروح فى بدلى
وأشدت يوما ولدى ، وقد رأيت منه نشاطا ومرحا ، انتقل منى إليه
بعد السبق .

سرق الدهر شبابى من يدى فقؤادى مشعر بالكد
واحتملت الأمر إذا أبصرته باع ما أفقدنى من ولدى
فإذا تعين حب الدنيا لبقاء الدسل ، من غير سبب إلا التشبت بها ،
والضناتة بصحبتها ، والتمسك منها ولو بخيط العنكبوت ، فهو غرور ظاهر ،
وخسران بين ، واغتباط بما لا فائدة فيه فى العاجل ولا فى الآجل ، أما فى
العاجل فهم وكيد ، كما [١٩٧] قال الشاعر :

رأيت ابن الفتى ضررا عليه لقد سعد الذى أمسى عقيما
فأما أن يريسه عدوا وإما أن يخلفه يتيما

وإما أن تصادفه المنايا فيبكي حرقه ^(١) أبدا مقبلا

وكثيرا ما يقدر ^(٢) منه زند عداوة، أو تعود منفعتته بمضرة، والله عز وجل يقول: «يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم». ومن أصدق من الله قبلا، ومن أصدق من الله حديثا.

وأما في الآجل، فسبب مقطوع، ووقت مشغول: «كل نفس بما كسبت رهينة». «يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبه وبليته. وفصيلته التي تؤويه لكل. أمرى منهم يومئذ شأن يغنيه».

فصرف الحب والهوى، والشغل والوكد، واستغراق الفكرة، وإعمال الكدح في الفاني الدائر، الذي لا يجدى في الدنيا غالبا، ولا في الآخرة يقينا، خروج عن قصد الحق، وصواب الرأي: «لأنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم».

وإن كان القصد ببقاء النسل، اتصال الخير، ودوام القرية، والتزلف إلى الله، ودعاء الولد الصالح، كان حميدا، وقصدا سديدا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث». فذكر: «صدقة جارية، وولدا صالحا يدعو له».

ورقة الدنيا المحبوبة للاستكثار من صالح العمل.

قال: «وأما النفوس التي أحبت البقاء في الدنيا، للاستكثار من صالح العمل، وهي نفوس لم تخل من محبة البقاء على الإطلاق، فإنها ^(٣) شعرت ببحالها، وعلمت أن هذه الدار دارا اكتساب للفضائل التي تلتبس هيأتها، في دار البقاء، وأنها مزرعة تحصد في الوجود الثاني، وحمل بيرز جنيته في الوجود الآخر، وبمنزلة التاجر الذي يحرص على المقام بأرض الغربة، للاستكثار من عائد الربح، وأنها في هذه الدار تكتسب العلوم، وينقطع عنها اكتسابها

(١) في الأصل، س (فبكي حزنه) (٢) في: ظ، س (يقندر)

(٣) في: ظ (لأنما شعرت) و: س (لأنها شعرت)

بعدها . وقد مر في ذلك ما فيه كفاية . ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن الناس حالا من طال عمره وحسن عمله » ، وقال : « الدنيا مزرعة الآخرة » - وقال : « الدنيا ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها » : وقال الشاعر .

بقية العمر عندى مالها ثمن وإن غدا خير محبوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحيى ما أمات ويمحو السوء بالحسن
وقيل : أوحى الله إلى موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام^(١) .
يا موسى - ما لك ولد الدار الظالمين ، إنها ليست لك بدار ، أفرغ منها همك ،
وفارقها بعقلك ، فبئست الدار هي ، إلا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هي ،
جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا أن تيقنت أنه يمر بواد أنت منه قريب
يكون أجابا دوتكم فإذا أتى إليكم تلقى طيبكم فيطيب [٩٧ ب]
وقال رجل لأبي حازم : أشكو إليك حب الدنيا ، وليست لي بدار ،
فقال^(٢) : أنظر فيما أباحه الله منها^(٣) فلا تأخذها إلا من حله ، ولا تضعه
إلا في حقه ، ولا تضرك . قالوا : أراد بذلك أنه (إن)^(٤) أخذ نفسه
(به)^(٥) ، تبرم وطلب الخروج منها

خاتمة : قال الجنيد : بت عند سرى ليلة ، فقال لي : أنائم أنت ؟ قلت :
لا . فقال : أوقفني الحق بين يديه ، فقال : أتدرى لم خلقت الخلق ؟ قلت :
لا . قال : خلقتهم فادعوا محبتي ، فخلقت الدنيا ، فاشتغل (بها)^(٦) من
عشرة آلاف تسعة آلاف ، وبقى ألف ، فخلقت الجنة فاشتغل بها تسعمائة ،

(١) في : ظ ، س عليه السلام (٢) في : ظ ، س . قال

(٣) في : الأصل ، ظ ، ما أباحه الله فيها

(٤) ساقطة من : ظ (٥) ساقطة من : س

(٦) ساقطة من : ظ

(ويبقى مائة) (١) فسلطت عليهم شيئا من بلائي ، فاشتغل تسعون وبقي عشرة ، فقلت لهم : لا الدنيا أردتم ، ولا في الجنة رغبتهم ، ولا من البلاء هربتم ، فإذا تريدون ؟ قالوا : إنك لتعلم ما نريد . فقال : سأزل عليكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال ، أفتثبتون ؟ قالوا : ألسنت أنت الفاعل ؟ قد رضينا بذلك . نحمد ذلك بك وفيك ولك . فقال لهم : أنتم عبادي حقاً (٢) .

نفس إليك بكلها قد أجمعت لو كان فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي عليك ببعضها في بعضها حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف فلما لم تمتعها فتمتعت

فن الآخرة المحبوبة

وفيه ثلاث ورقات . ورقة محبة الآخرة للعوض ، وورقة (محبة) (٣)
الآخرة للشاهدة ، وورقة محبة الآخرة للشهود .

الورقة الأولى : محبة الآخرة للعوض .

قال المؤلف رحمه الله : وكانت الآخرة محبو بالقوم حسبوها (٤) عوضاً
من محبوب الدنيا ، وما تركوا من المطاعم والمشارب ، وغير ذلك من
الذات ، وهم عامة العامة ، من محبي الآخرة ، ومنهم الطبقة الأولى من
الزهاد ، والذين لم يتعد مقامهم مقام الزهد .

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ط

(٢) مثل هذه المشاهد في كتب التصوف إنما هي معان واستعارات وعبارات يمكن أن
يكون طريقها الفهم فقط من غير شهود ، ومفاهيم ألقيت في قلوبهم وقت الصماء عند التجلي ،
وحقائق أودعها عند التماسي ، واختلف العلماء في رؤية الله في الدنيا ، فالحققون من المتكلمين
متفقون على الجواز ، كأبي المعالي وأكبر الأشعرية ، وذهب أبو بكر الهذلي وغيره من المتقدمين
إلى النسخ ، وللشيخ أبي الحسن الأشعري في ذلك قولان في كتاب الرؤية ، من تأليفه ، وسئل
مالك عن هذه المسألة فقال : لا يرى في الدنيا ولا يرى الباقي بالفاني . ومال الغزالي وغيره إلى
منع الوقوع لا إلى منع الجواز . لأن حقيقة الجواز تأبى الاختصاص (منهاج العوارف في شرح
مشكل الحديث ، مخطوط منسوب للقاسم عباض بن موسى اليحصبي)

(٣) ساقطة من الأصل ، ط (٤) في الأصل ، ط (حسبوا بها)

قال الشيخ الرئيس : الزهد عند غير العارف ^(١) ، معاملة ما ، كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة ، ثم قال : كذلك من غصّ النقصُ بصره عن مطالعة بهجة الحق ، أعلق يديه بمازديه ^(٢) من اللذات ، لذات الزور ، فتزكها في دنياه عن كره ، وما تركها إلا ليستأجل الله أضعافها ، وإنما يعبد الله ويطيعه ليخوله في الآخرة شعبة منها ، فينبعث إلى مطعم شهوى ، ومشرب هنى ، ومنكح بهى ، إذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره في أولاه وأخراه إلا إلى لذات قبقة وذنبه .

وقيل : إن أبا تراب النخشي ، رآه بعض أصحابه في النوم ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرلى ، وأعطانى نصف الجنة . وقال لى : كل يامن لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب

تلييه : فى قوله نصف الجنة . وذلك أن الجنة تنقسم إلى ما كل ومشرب ، ورؤية ومشاهدة ، وكفى بنصف الجنة ، عن تسويغ جلس ^(٣) المأكّل والمشرب .

الورقة الثانية :

ورقة من جعل الآخرة محبوباً لأنها دار مشاهدة . حسبما ورد في الحديث الشهير ، من الرؤية التي لا يضارون فيها ، وتجاوزت همهم الحسنى إلى الزيادة . [١٩٨] قال الله عز وجل : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » . قالوا الحسنى الجنة . والزيادة النظر إلى وجه الله . ولكون الحق (سبحانه) ^(٤) يتجلى لهم « كل يوم فى شأن » فيتجدد النعيم مع كل شأن من شئون المشاهدة ، والناس فى هذا الغرض قسمان : فمنهم من طلب المشاهدة قبل الانفصال من هذه الدار ، وإليه الإشارة (بقوله عليه الصلوات

(١) فى : ظ ، س : (الزاهد عندهم غير العارف) ولا يستقيم الكلام مع ذلك .

(٢) و : ظ ، س (أعلق كفيه بما يليه من اللذات) .

(٣) فى : ظ . حسن المأكّل وفى : س (تنوع جنس المأكّل) .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

والسلام) (١)، « ما من بنى يقبض، حتى يرى مقعده من الجنة .. وفي معنى طلب المشاهدات قلت (٢) .

إذا لم أ شاهد منك قبل ميتي نهاية آمالي وغاية غياني
فحسن عزائي حيل بيني وبينه وقرة عيني لم تحل بمرآتي
شهودك أمني من عذاب خواطري وقربك حرزي من توقع آفاتي
فإن لم يكن وصل ففهمها إشارة فباحسن شاراتي بها من إشاراتي
وقال الآخر :

إني لأذكر كم وقد بلغ الظما مني فأشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتني عايلتهم قبل الممات ولويوم واحد
وهذه الدار ، إنما هي موضع العمل ، لكن الدليل على جوازها قوله :
« رب أرني أنظر إليك » . إذ لو كان محالا ما طلبه . ومن الناس من أنف
من ذلك في هذه الدار ، لأنها دار عمل (٣) (لا دار شهادة) (٤) قال الشيخ
محبي الدين رحمه الله ، في طلب المشاهدة في هذه الدار . وإنما أوردناه تنبيها

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٢) في : ظ (وفي معنى هذه المشاهدة قال المؤلف ، رضى الله عنه) وفي : س (وفي معنى المشاهدة . . .) .

في صحيح مسلم . عن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله . هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة صبحوا ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى إلا كما تضارون في رؤيتها . . . وساق الحديث بطوله (٣) ووجه الدلالة في قوله رب أرني أنظر إليك . الآية . غير ما ذكره المؤلف ١ —

قوله تعالى ! فإن استقر مكانه فسوف تراني . فعلق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن ٢ — قوله تعالى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وما تجلى للجبل جاز أن يتجلى لغيره ٣ — فوله تعالى . فسوف تراني ، فني لسرعة الرؤية لا لأصل الرؤية حيث لم يستقر الجبل وللمعتزلة اعتراضات ثلاثة . قال الكعبي . إنما طلب علما ضروريا يخلق الله له متعلقا به فعبر عنه بالرؤية ، وقال أبو على الجبائي إنما طلبها لقومه وأضاف السؤال لنفسه ليكون أولى بالإجابة فإذا منع فغيره بالنع أولى ، وقال أبو الهذيل العلاف ، كان موسى عالما باستحالة ذلك عقلا وطلبها لترد الدلائل السمعية بالمنع فيتعاوض العقل والسمع

(راجع أروع ما كتب في هذا الباب ، منهاج العوارف في شرح مشكل الحديث ، مخطوط - منسوب للقاص عياض . الحديث الرابع) .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

لمن استعجل لذة المشاهدة في غير موطنها الثابت ، وحالة الفناء في غير منزلها ، والاستهلاك في الحق بطريق الحق عن الخلق ، فإن السادة منا أنفوا من ذلك ، لما فيه من تضييع الوقت ، ونقص المرتبة ، ومعاملة الموطن بمالا يليق به . ثم قال : قد حصلت ما كان ينبغي لك أن تؤخره لموطنه وهو الدار الآخرة ، التي لا عمل فيها ، فإنها زءان مشاهدتك ، ولو كنت صاحب عمل ظاهر ، وتلقى علم باطن ، كان أولى بك ، لأنك تزيد حسنا وجمالا في روحانيتك الطالبة ربها ، وفي نفسانيتك الطالبة جنتها ، فإذا انفصلت من عالم التكليف ، وموطن المعارج والارتقاءات ، حيثئذ تجنى ثمرة غرسك .

قلت : ولهذا (١) (تحصل المشاهدة (٢) مع بقاء عالم الأجسام . (حتى تحصل الغيبة) (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس يرزقون في الجنة على قدر عقولهم ، لا على قدر أعمالهم فمن كان أعقل كان أفضل » . يباه : أن تلك الحضرة بمكة في التكوين ، يقول للشئ كن فيكون ، فمن كانت مداركه أعظم ، كانت مطالبه التكوينية أعظم .

الورقة الثالثة :

وأما ورقة من جعلوا المحبوب هو المطلوب من الآخرة (لا) (٤) . المشاهدة .

فهم الذين أحبوا الله ، وغابوا به عن سواه ، من دنيا وآخرة ، وهم الذين آثروه على كل مشهود ، وهؤلاء هم الذين يخاطبهم (٥) لسان الشرع بقوله : « المرء مع من أحب » . وقال الشاعر :

فנית بكم عن قائمات حدودي وصار إلى الإطلاق قيد وجودي
فلا تطلبوني بالشهود فإنني فقدت بمشهودي مقام شهودي [٩٨ب]

(١) في : ظ ، س (ولأجل هذا) . (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . (٤) ساقطة من : ظ وفي : س للمشاهدة :
(٥) في : ظ ، س (مخاطبهم)

الغصن الثاني

غصن المحبين وأصنافهم المرتبين

ويشتمل على مقدمة بيان ، وستة أفنان .

فأما المقدمة فنقول . أصناف المحبين والعشاق كثير ، وهباء كثير ،
وجرد آثارها كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم .
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى قتيلك قالت أيهم فهمو كثير
من الحكماء القدماء ، والفلاسفة الأول ، الذين لا يذكر التاريخ
زمانهم . منهم الفلاسفة المشهورون ، والفلاسفة الحكمة . والفيلسوف محبا .
« فيلو » ، في لسانهم . محب . « وسوفي » ، حكمة . وفيهم الأساطين ، وهم أهل
ملطية ، وأهل اصطراخية وقونية ، ومانياتاليس الملطي ^(١) ،
وانكساغورس (٧) وأنكسا ماليس ، وأثباز فليس ، ووفيثاغوس
وسقراط ، وأفلاطون ، وبعدهم من يلحق بهم ، فاوطن . وبقرات ،
وديمقراط ، وسائر المشهورين من الرواقيين والمثاليين ، وفلاسفة
أقدميا ، وفلوطرخيس ، وزينون ، وهرمس الأكبر ، ومقورس ،
وأرميوس ، (وأقليدس ، وسولس (٨)) وهرقل الحكيم ، وخمانيس .
وأرشلاوش وطبايورش . وفرسطوس . وجوراميس . وأرسططاليس
الاصطخري الحكيم ، المبدع الكبير . المعروف الحق . إمام المثاليين ،
رواضع المنطق وتلميذه الاسكندر الرومي . سلبه إليه والده ، وأوزنيطس
وتامسطيوس ، والإسكندر الافروديسي ، وأرشميدش ، ورفش ، وبولس ،
وجالينوس ، كلهم فاضل مول وجهه شطر الإله ، متزلف إلى رب ، مرتاض
عاشق بين موحد وموسط

(١) في : ظ ، س (المالكي) (٢) في : ظ (أنكسا فوريس)

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

ومن الهنود الذى وضع لهم الحكمة المصلحية ، الشلم ، والمهندم ،
والبرهمن ، والصولية ، والبردة ، والزهاد ، والعباد ، ورجال الرماد ،
وأصحاب الفطرة ، وهم يهجرون اللذات الطبيعية جملة ، ويكثر الجوع
والرياضة ، عشاق فيما ولوا وجوههم شطره

ومنهم التناسخية من النهادورية ، والناسويه ، والباهريه ، والكابلية
من يراه فى كل الحيوان أوفى النبات ، ومن عبدة الكواكب ، القائلين
بالمثل ، والصور والأشكال الفلكية . ومنهم الهالكية والبدهلية
والرهبكية ، والجلهكية ، والأكنواطرنية .

ومن المجوس الكومرتية ، والزردانية ، والرمهرمزية ، والزرادشتية
والكينوية ، والياضية ، والمرقوتية ، والصائية ، والمافوية ، والمزدكية .
وأصحاب لاتين ، وأصحاب يزدان ، وهم القائلون بالأصلين ، ومنهم القائلون
بالأحكام الصلاحية .

ومن الصابئين أصحاب الروحانية ، وأصحاب الهياكل ، والعباد للأرباب
السمائية ، والأصنام الأرضية ، والقائلون بالأصلين الخير والشر ، ومن
قال لا بد من الواسطة ، ومن رأى الشمس إله كل إله .

ومن الخنفاء القائلين بنبوة إبراهيم ، ومن يرى انتقال الفاضل فى
الدرجات حتى يبلغ درجة لا تقبل الزيادة ولا النقص ، ومنهم الكاظمية
والبيدانية ، والقنطارية .

ومن العرب عبدة الأصنام ، وعبدة الشعري ، وعبدة الشجر والحجر
والبيت والركن [١٩٩] والملائكة ، والقائلون بأنهم بنات الله ، وكل
هؤلاء محب عاشق مستهلك ، يضل من يشاء ويهدى من يشاء إلى صراط
مستقيم ، يا حسرة على العباد ، ومن لم يجعل الله له نورا فانه من نور .

يا حيرة الشيخ الأصم وحسرة الحدث الضرب
آخر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

وأرباب الملك من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم ، وأتباعهم من المتمسكين بكتب الله ، بمن رعاها حق رعايتها ، ومن بدلها بعد ماسمعا ، من اليهود القائلين بلبوة موسى بن عمران ، دون عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) ^(١) ، وغيرهم لهم فيهم نظر ، ولا يجوزون المسخ ، من العنانية ، والعيسوية ، والبودعية ، والسامرية . ومن النصارى القائلون باجتماع اللاهوتية والناسوتية الثلاث ، الوجود ، والعلم ، والحياة ، وأن الله واحد بالجوهر ، وثلاثة بالأقنومية ، ويكونونها بالأب والابن وروح القدس المسيح (وهم المكانية ، والنسبورية ، واليعقوبية ، وهم القائلون بألوهية المسيح) ^(٢) . وأن الله ليس الناسوت لياشر هداية الخلق ، شفقة عليهم ، وأتباع هاتين الملتين ، أهل التوراة والزبور والإنجيل ، من الأحبار والربانيين ، والرهبان ، والحواريين ، وكلهم عشاق ، وإن خاب مرادهم ، وضاع اجتهادهم .

ثم هؤلاء الشهداء على السكل من المسلمين ، أتباع النبي (الكريم) ^(١) على الله ، الحبيب إلى الله ، الخاتم المكمل ، ومن ورثته من تلماء الظاهر والباطن ، كأبي بكر المفضل بالسر الذي قر في صدره ، وعمر الفاروق بين الحق والباطل ، وعثمان جامع الكتاب الحكيم ، وعلى باب خزانة علم الدين ، وعبد الله بن عباس (المفقه في الدين ، وحذيفة) ^(٢) صاحب الكشف عن صدور المنافقين ، وغيرهم .

ثم أتباعهم من فقهاء الملة ، المتكلمين في أحكام الشريعة ، وهم قسبان أهل الحجاز ، وأصحاب الرأي أهل العراق ، مالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وسفيان بن عيينة ، والحسن بن راهوية ،

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ، ظ

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل وزيد من ، ظ

والأوزاعي، وابن أبي وزعة، وأبو حنيفة النعمان، وأحمد بن حنبل،
وداود بن علي الظاهري.

ومن أصحاب مالك . ابن القاسم، وأشهب، وابن الماجشون، ويحيى.
بن يحيى، وابن عبد الحكم. ومن أصحاب الشافعي، أبو إبراهيم، والربيع
بن سليمان، ويحيى المزني، واليويتي، ويحيى بن الحكم، وأحمد بن محمد،
وأبو ثور بن إبراهيم. ومن أصحاب أبي حنيفة. محمد بن الحسن [الشيبياني] (١)،
وأبو ثور القاضي، وأبو يوسف، وزفر بن هذيل، والحسن بن زياد (٢)،
وعافية القاضي، وأبو الحسن اللؤلؤي، وأبو مطيع.

ثم من بعدهم من المتكلمين، والذايين عن العقائد، كآبي الحسن.
الآشعري، والحارث بن أسد، والقلاسي، والسكلابي، والباقلاني، وابن
فورك، والاسفراييني، والشيرازي وأبي حامد الغزالي، والشهرستاني،
والفخر الرازي، [١٩٩] وسيف الدين الأمدى (٣)، والحنبلي، والداودي،
والمضري، والسفياني، والكرامية، وكل من ذكر عشاق محبوبون أهل
علم وعمل وتوحيد وإيمان.

ثم الطوائف المنازعة، والفرق المخالفة، من المعتزلة، القائلين بالعدل
والتوحيد، وأن المعارف كلها عقلية قبل الشرع، وهم الواصلية،
والحسنية، والهلالية (٤)، والنظامية (٥)، والحائطية (٦)، والبشرية (٧)،

(١) ساقطة من : ط . (٢) في : ط وابن حذيفة . خطأ .

(٣) في : ط وسيمان بن سعيد . خطأ .

(٤) أصحاب أبي الهذيل شيخ المعتزلة قالوا بفناء مقدورات الله، وأن أهل الخلد تنقطع
حركاتهم ويصبرون إلى حدود دائم وسكون .

(٥) هم أصحاب إبراهيم النطام، وهومن شياطين القد. ية طالم كتب الفلاسفة وخط كلامهم
بكلام المعتزلة . قالوا : لا يقدر الله أن يفعل بعباده في الدنيا، مالا صلاح لهم فيه ، ولا يقدر أن
يزيد في الآخرة أو ينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنة والنار .

(٦) أصحاب ابن حائط . وهو من أصحاب النطام . قالوا : للعالم إلهان قديم هو الله ،
ومحدث هو المسيح . والمسيح هو الذي يحاسب الناس في الآخرة وهو المعنى بقوله تعالى : « وجاء
ربك والملك صفا صفا .

(٧) أصحاب بشر بن المتمر . كان من أفاضل المعتزلة وهو الذي أحدث القول بالتوليد .
قالوا : إن الأعراس والطعوم والروائح تقع متولدة في الجسم من فعل الغير .

(٣٥ — روضة التعريف)

والمعمرية^(١)، والمرادية، والثمانية^(٢)، والهاشمية^(٣)، والجاحظية^(٤)،
والخياطية^(٥)، والجبائية^(٦)، والجبرية^(٧)، والجهمية^(٨)، والنجارية^(٩)،
والضرارية^(١٠)، والصفائية^(١١).

ومن المرجئة^(١٢) القائلون يارجاء على لازم النية، مرجئة القدرية^(١٣)،

(١) أصحاب معمر بن عباد السلمي. قالوا: الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الأجسام وأما
الأعراض فتخترعها الأجسام إما طبعاً كالنار للاحراق ولما اختاراً كالحياوان للألوان وقالوا:
لا يوصف الله تعالى بالقدم، لأنه يدل على التقدم الزماني وهو تعالى ليس بزمانى. ولا يعلم
نفسه ولا اتحد العالم والمعلوم وهو يتمتع.

(٢) أصحاب ثمامة بن أشرس. قالوا اليهود والصارى والزنادقة يصيرون فى الآخرة
تراباً لا يدخلون الجنة ولا ناراً.

(٣) أصحاب هشام بن عمرو القوطى. قالوا: الجنة والنار لم تخافا بعد. وقالوا: لا دلالة
فى القرآن على حلال وحرام والأمامة لم نعتقد مع الاختلاف.

(٤) أصحاب عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ. قالوا: يتمتع انعدام الجوهر. والحير
والشر من فعل العبد. والقرآن جسد ينقاب بارة رجلاً وتارة امرأة.

(٥) أصحاب أنى الحسن بن أبى عمرو الحياط. قالوا: بالقدر وتسمية المعدوم شيئاً.

(٦) أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى من معتزلة البصرة. قالوا: الله متكلم
بكلام مركب من حروف وأصوات يخلقه الله تعالى فى جسم. ولا يرى الله فى الآخرة. والعبد
خالق لفعاله. ومرتكب الكبيرة لا يؤمن ولا كافر. وإذا مات بلا توبة يخلد فى النار.
ولا كرامات للأولياء.

(٧) من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى الله. والجبرية اثنان. متوسطة تثبت للعبد كسباً
فى الفعل كالأشعرية. وخالصة لا تثبت كالجهمية.

(٨) أصحاب جهم بن صفوان. قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً. لا مؤثره ولا كاسبه.
بل هو بمنزلة الجمادات. والجنة والنار تفتيان بعد دخول أهلها فيها حتى لا يبقى موجود سوى
الله تعالى.

(٩) أصحاب محمد بن الحسين النجار. وهم موافقون لأهل السنة فى خلق الأفعال وأن
الاستطاعة مع الفعل وأن العبد يكتسب فعله. ويوافقون المعتزلة فى نفي الصفات الوجودية
وحدوث الكلام ونفي الرؤية.

(١٠) ينظر فى الملحق.

(١١) ينظر فى الملحق.

(١٢) المرجئة قوم يقولون. لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

(١٣) أسندوا فعل العبد إلى الله، وهم اثنان: متوسطة تثبت للعبد كسباً كلاً شعرياً،
وخالصة لا تثبت كالجهمية.

والجبرية ، والخوارج (١) ، والصالحية (٢) ، والنيرية ، واليونسية (٣) ،
والعندية (٤) ، والغسانية (٥) ، واليونانية (٦) ، أصحاب يوفان المرجى ،
والتومية (٧) .^١

ومن الشيعة القائلون بإمامة علي وغيرهم ، من يتبع رأسهم .
الكيسانية (٨) ، المختارية (٩) ، والهاشمية (١٠) ، والبنانية (١١)
والرزامية (١٢) ، والزيدية (١٣) ، والإمامية (١٤) ، الباقرية (١٥) ،
والناوسية (١٦) ، والأبطحية (١٧) ، والاسماعيلية (١٧) ، والموسوية (١٩) ،

(١) هم الذين يأخذون العشر من غير إذن السلطان . وقد أفتوا بكفر علي ومعاوية
(٢) قوم جوزوا قيام العلم والقدرة والسمع والبصر مع الميت ، وجوزوا خلو الجوهر عن
الأعراض كلها .^١

(٣) : اليونسية : هم أصحاب يونس بن عبد الرحمن ، قالوا : الله تعالى على العرش
تحمله الملائكة .

(٤) : العندية : هم الذين يقولون : إن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات ، حتى إن
اعتقدنا الشيء جوهراً فجوهر ، أو عرضاً فعرض .

(٥) : الغسانية : ينظر في الملحق (٦) اليونانية : أيضاً (٧) التومية : أيضاً
(٨) الكيسانية : ينظر في الملحق (٩) المختارية : أيضاً (١٠) الهاشمية : أيضاً

(١١) : البنانية : أصحاب بنان بن سمان التيمي ، قال : الله تعالى على صورة لإنسان ،
وروح الله حلت في علي ثم في ابنه محمد بن الحنفية ، ثم في ابنه أبي هاشم ثم في بنان .
(١٢) : الرزامية : ينظر في الملحق (١٣) : الزيدية : أيضاً

(١٤) : الإمامية : هم القائلون بالنس الجلي على إمامة علي رضي الله عنه ، وكفروا الصحابة .
وهم الذين خرجوا على علي عند التحكيم وكفروه ، وهم اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل
صلاة وصيام وقيام . ولكن إيمانهم لم يجاوز تراقبهم .

(١٥) : الباقرية : ينظر في الملحق (١٦) : الناوسية : أيضاً
(١٧) : الأبطحية : ينظر في الملحق

(١٨) : الاسماعيلية : هم الذين أثبتوا الأمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق ، يقولون : الله
لاموجود ولا معدوم ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات ،
لأن الإثبات الحقيقي يقتضي المشاركة بنية وبين الموجودات وهو تشبيه ، والنفي المطابق ، يقتضي
مشاركته للمعدومات وهو تعطيل .
(١٩) : الموسوية : تنظر في الملحق

والإثنا عشرية (١) ، والغالية (٢) ، والسبئية (٣) ، والكاملية (٤) والعلنانية (٥) ، والنعمانية (٦) ، والنصيرية (٧) ، طوائف برغمهم .
ومن الخوارج على علي رضي الله عنه ، كعبد الله بن المعلم ، وابن الأعور ، وعبد الله بن وهب ، وزيد بن حرقوص ، ورأيهم الخروج على الإمام إذا خالف والتكفير بالذنوب ، والتبري من الحسن ، والوقوع في علي وعثمان رضي الله عنهما .

و [من] المحكّمة : الذين رجعوا عن علي رضي الله عنه يوم صفين الأشعث بن قيس ، ومسعود التيمي ، وزيد الطائي .

ومن الخوارج : الأزارقة والقادرية (٨) واليهسية (٩) والعجاردة (١٠) والميمونية (١١) ، الصلتية (١٢) . والخزمية (١٣) والأطرافية (١٤) والخلفية (١٥)

(١) الإثنا عشرية : ينظر في الملحق

(٢) الغالية : » » »

(٣) السبئية : أصحاب عبد الله بن سبأ ، قال بألوهية علي رضي الله عنه ، وأنه لم يقتل ولم يمت ، بل قتل ابن ملجم شيطانا على صورته ، وأنه في السحاب والرعد صوته ، والبرق سوطه ، ويقولون عند سماع الرعد : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

(٤) الكاملية : أصحاب أبي كامل ، يكفرون الصحابة بترك بيعة علي ، ويكفرون عليا بترك طلب الحق .

(٥) العلانية : ينظر في الملحق

(٦) النعمانية : » » »

(٧) النصيرية : قالوا : إن الله حل في علي رضي الله عنه :

(٨) في الأصول الإطرائية تنظر الأزارقة والقادرية في الملحق

(٩) أصحاب أبي بهس بن الهيثم بن جابر ، قالوا : الإيمان هو الإقرار والعلم بالله وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووافقوا القدرية على إسناد ، أفعال العباد إليهم (١٠) هم أصحاب عبد الله بن عجرد ، قالوا : أطفال المشركين في النار

(١١) هم أصحاب ميمون بن عمران ، قالوا بالقدر ، فتكون الاستطاعة قبل الفعل ، وأن الله يريد الجردون الفمر ، وأطفال الكفرة في الجنة ، ويروى عنهم تجوير نكاح نأت الإنسان لأبنائه ، وأنكروا سورة يوسف

(١٢) أم أصحاب عثمان بن أبي الصلت وهم كالعجاردة . لكن قالوا : من أسلم واستجار بنا توليناه ، ورتنا من أطفاله حتى يبلغوا ، فيدعوا إلى الإسلام فيقبلوا .

(١٣) أصحاب حمزة بن أدرك ، وافقوا الميمونية فيما ذهبوا إليه من البدع . إلا أنهم قالوا : أطفال المشركين في النار .

(١٤) غدروا أهل الأطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة ، ووافقوا أهل السنة في أصولهم . (١٥) هم أصحاب خلف الخارجي ، حكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل ولا شرك .

والجازمية (١) والشعية (٢) والثعالية (٣) والأخنسية (٤) والمغيرية (٥)
والرشيدية (٦) والفشوية (٧) والشيدانية (٨) والمعلومية (٩) .
ومن الإباضية : الحفصية (١٠) واليزيدية (١١) والحارثية (١٢)
والصفيرية (١٣) .

الحب حركهم لكل جدال والحب أقحمهم على الأحوال
والحب قاطع بينهم وأضلهم عن نيل ما راموه كل ضلال
والحب أنشأ فيهم عصبية بالقليل أضرم نارها وقال
ولنما استكثرتنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حرمان هذا الفرائض المختلف
الآراء على ذبال الحق ، مبتغون إليه الوسيلة قوم . وقوم بالمعصية .
وما منهم إلا مدع في المحبة متهاك حريص على السعادة بزعمه : «وجه
يومئذ خاشعة عاملة ناصبة» . عن قصد الحق فأخطأه ، أو أراد الصواب
فخصل منه .

-
- (١) أصحاب جازم بن عاصم ، وافقوا الميمونية إلا في القدر .
(٢) أصحاب شعيب بن عبد الرحمن . وهي فرقة كابتقتها تماماً .
(٣) النعالية : تنظر في الملحق
(٤) الأخنسية : » » »
(٥) هم أصحاب معيرة بن سعيد العجلي . قالوا : الله تعالى جسم على صورة لإنسان من
نور ، وعلى رأسه تاج من نور ، وقله منبع الحكمة .
(٦) الرشيدية : تنظر في الملحق
(٧) الفشوية : » » »
(٨) أصحاب شربان بن سلمة . قالوا بالجبر ونفي القدر .
(٩) قالوا : المرسوم من عرف الله بجميع صفاته وأسمائه ، ومن لم يعرفه كذلك فهو
جاهل لا يؤمن :
(١٠) أصحاب أبي حفص بن أبي المقدم . قالوا : بين الإيمان والشرك معرفة الله ، فإنها
خصلة متوسطة بينهما .
(١١) أصحاب يزيد بن أبيسة ، قالوا : سيبت الله نبياً من العجم ينزل عليه كتاب من
السماء جملة واحدة ، وترك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى ملة الصابئة المذكورة في القرآن ،
وقالوا : أصحاب الحدود مشركون ، وكل ذنب شرك كبيرة كانت أو صغيرة .
(١٢) الحارثية : تنظر في الملحق
(١٣) الصفيرية : » » »

واشتهر بالحكمة بعد في الملة الإسلامية جماعة بالمشرق . فن المشاركة
أبو الفرج المفسر ، وأبو سليمان الشجرى . وكان عندهما بعض أنواع
الحكمة . ويعقوب الكندى ، وحنين بن اسحاق ، ويحيى النحوى ،
[٩٩] وثابت بن قرة ، كان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة والمزاولة .
ويوسف بن محمد النيسابورى ، وأحمد بن سهل البلخى ، وأبو محارب ،
وهؤلاء حكماء فى الرياضات . وأحمد بن الطيب السرخسى ، ومحمد
بن طلحة ، وأبو حامد الاسفرايينى ، وعيسى بن على الوزير ، وأحمد
بن مسكويه ، من أهل الحكمة والكلام ، وأبو نصر الفارابى ويحيى الصيمرى ،
وأبو الحسن العامرى ، وهم أكبر من ذكر . وأبو على بن سينا ، وقدره
معروف . ومن أهل الأندلس منهم . محمد بن مسعدة السرقسطى ، وأحمد
بن طاهر الطرطوشى ، ويحيى بن عمران القرطبي ، وطفيل بن عاصم ،
وكليب بن همام اليباسى ، والحسن بن حرب الدانى ، وابن ميسرة الجبلى ،
ومسلمة المجرى ، وأبو بكر بن الصايغ ، وأبو بكر بن طفيل ،
وأبو الوليد بن رشد ، وكل هؤلاء المتقدمين والمتأخرين محب عاشق
مستهلك قال الشاعر .

وعلى أن أسعى وليد س على إدراك النجاح

إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلنى . ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله . . وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . .
حيارى يمد بهم شوقهم^(١) كأنهم ارتضعوا الخندريساً
آخر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد
(د ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد .) (٢) . . ولو شاء الله
لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك

(١) فى : ظ ، س شجوههم . (٢) الآية ساقطة من : س .

خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين . . وفريقا
هدى وفريقا حق عليهم الضلالة . . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين . قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين . . والخلق
قدموا أبصارهم وآمالهم ، وتحركوا طوعا وكرها يعيشون إلى نور الله ، فمن
أعمى أصم لا يسمع ولا يبصر ، وأعمى فقط يجترىء عن العين (١) بالخبر ،
وأحول يبصر الشيء شيئين ، كما قال الشاعر :

أحوى الجفون له رقيب أحول الشيء في إدراكه شيئين
فيلوح في عينيه منه واحد ويلوح في عينيه منه اثنان
(يا ليتنه ترك الذى أنا مبصر وهو الخير فى الحبيب الثانى (٢))

وضعيف لا يبصر من بعيد ، وأجهر لا يبصر من قريب ، وأعمش ؛
تكثر في عينيه الأشعة ، وربما تندر زرقاء اليامة . (وأنشد) (٣) .

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة
أعمى وأعمش ثم ذو بصر وزرقاء اليامة
لولا استقامة من هذا . لما تينا العلامة
وبجاوز الغرر الخيب سفقد استحق به السلامة

أقام سبحانه الحجة ، وفرق بين الأمر والإرادة ، وأعطى الكفاية ،
من القدرة ، ففهم مهتد وكثير منهم فاسقون . اقتصرنا من هذا البحر على
نقطة ، [١٠٠] ومن هذا الودق على قطرة :

ومن يسد طريق العارض المظل عد الحصى والرمل (٤) ليس يرام
وذكرنا الرسل والأنبياء والأتباع ذكراً من غير تبويب ولا تعيين ،
لشباع آرائهم والعلم بمقاصد ملهم ، وأغراض دعواهم ومراى نحلهم (٥)

(١) فى : س . (يجترىء عن العيون) .

(٢) أليت كله ساقط من : ط .

(٣) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٤) فى : س (وترامى نحلهم) .

(٥) فى : ط ، س . والقطر .

من توحيد الله وتنزيهه ، وتقرير الحق في صفاته وأسمائه ، وكيف يحشر الناس ليوم لا ريب فيه ، لتجزى كل نفس ما كسبت ، وتعليم طرق النجاة وإيضاح سبيل الله ، والتحذير من الغفلة ، عمن إليه الرجعى ، وله الآخرة والأولى ، والتخويف من كل ما يقطع عنه ، والترغيب فيما يوصل إليه ، وشأن الرياضة والتدريج في أحوالها ، حتى ينتقل من الظواهر إلى البواطن وتسرى في الخلف من السلف ، والندب إلى الاختصار على الضرورة ، والقناعة بالبلاغ ، وتبيين الرسم فيها ، والتعين لحدودها ، قد تضمنت ذلك كله آيات الكتاب ، التي تكفل (الله)^(١) بحفظها ، وسنته التي قبض مناخل الصدق لتصحيح نقلها ، فالمكاتب والمئة لله ماثلة ، والمدارس حافلة ، فما لنا والإطالة في الموجود الذائع ، والمشهور الشائع .

والشمس تكبر عن حلى وعن حلل تفنى الدرارى عن التقليد بالدرر ما أغنى الشمس عن مدح المادح ، تحصيل الحاصل عناء : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . فلنذكر بعض أرباب الآراء من قريب وبعيد ، وخلق جديد ، على صورة المثال المفروض ، والخيال المعروض ، وليكن (٢) كعرض الجيوب التي تجزى منها الحفنة عن الجفنة ، الغرفة عن الغرفة (٣) ، ونقتصر على اليسير لإقامه الترتيب ، وإحكام التبويت ، وليرى الواقف عليه أننا قد نفضنا الزوايا ، (ورشقنا الروايا ،) (٤) وأمتسكنا (٥) العظام ، واستقصينا النظام ، حرصا على نشيدة الحق أن تغفل . وعلى الطباع أن تنقل ، وعلى المرائى الصدية أن تصقل ، وعلى صورة النجاة أن تُنقل ونسأل الله هداية توصل إليه ، لا إله إلا هو (الرحمن) (٦) الرحيم .

(١) ساقطة من : ظ (٢) في : س (وليكون) .

(٣) في : س . الحقيقة عن الحقيقة والقرية عن القرية .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .

(٥) في الأصل ، ظ وأمتسكنا العظام .

(٦) ساقطة من : س .

فالنفس المذكور يتفرع إلى رأى الفلاسفة المشائين والرواقين ، ورأى أهل الأنوار من الأقدمين ، ورأى الحكماء المتمثلين ، ورأى من بعدهم من المتتمين بزعمهم المكلمين ، ورأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين ، والإحالة على طريقة الصوفية سادة الإسلام ، والحق الذى نعول عليه ، ونصل على المهبج القريب ، إليه ، نفرد له رسالة نعهد عندها عهدا يقتضى اختصاصها ، ويعين أشخاصها ، ونغلف الآلية ألا تؤثر بها (إلا) (١) لولد صريح ولجنى الحكمة البالغة مستتيح ، (٢) فإن الكامل من استوعبت ذاته جميع هذه الآراء المكتوبة ، والنحل المحسوبة ، وما احتصر قبلها من رأى ونظر ، وورد وصدر ، ليتشبه بالعقول الكلية والمبادئ الأولية ، حتى إذا الوحوش من هذه العقائد (حشرت) (٣) والرسم نشرت ، انتفض انتفاضه الطائر ، واهتز اهتزاز الصارم الباتر ، فحق الحق ، ووضع الجمع ، [١٠١] وذهب الفرق ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، . وفى تلك النقارة نودع إن شاء الله ما ألهمنا الحق إليه ، من الحق الذى لا جمجمة فيه .

الفن الأول

فى رأى القدماء . من الفلاسفة : عن عدلها ، وحائما على السعادة . يتلخص (٤) من رأيهم على خلاف ليس بمخرج عن المعنى ، ولا مفسد للغاية (٥) ، أن الذات (٦) التى هى أولى علل الموجودات ، وأحقها بالوجود ، والاتصاف بالوحدانية ، وأخصها بها ، وأقدمها فيها ، هى المبدأ الذى عنه تنبعث القوى ، المتكثرة نحو غاياتها المختلفة ، وإليها ترجع متصاعدة . وهى العلة الأولى ، التى يتعلق بها ما سواها (٧) من سائر

-
- (١) ساقطة من : ظ ، س .
 (٢) لعلها المذكورة فى الجامعة .
 (٣) ساقطة من : ظ .
 (٤) فى : س (يتلخص من رأيهم) .
 (٥) فى : س . (ولا يفسد للغاية) .
 (٦) فى : ظ ، س (الدوات) .
 (٧) فى : ظ ، س . (الى بها يتعلق ما سواها) .

الموجودات ، تعلق المعلول بالعلة (١) ، على حسب توالها إلى أن تتوارد بأجمعها إليها فتكون علة العلل ، وسبب الأسباب ، ومبدأ المبادئ الفائضة بالخير المحض ، والوجود (٢) المطلق ، ومعطية كل ذات من الذوات بقدر ما تختمله من الوجود (٣) اللائق بها .

وأن هذه العلة لا تحد ، ولا يوجد لها جلس ولا فصل ، لإطلاق أزها ولأنها علة الأجناس والفصول ، ولا تعرف إلا من جهة السلب . قالوا : وهي الله الواجب وجوده ، النور المحض ، والكمال والجود (٤) (المحض (٥)) ، والغنى المحض ، موجد ما سواه ، ومخترع ما دونه ، والأول الذي لا أول له ، والآخر الذي لا آخر له ، ولما كان عمله الإيجاد وكان كمال وجوده فوق الكمال . وهو العالم بالكائنات قبل كونها ، والقادر على إيجادها متى شاء اقتضت حكمته ألا يحبس تلك الفضائل في ذاته وعلمه من غير أن يجرؤ (٦) بها ولا يفيضها ، فأفاض الجود بموجب الحكمة ، وعلة الكمال ، كما يفيض النور والضياء من عين الشمس .

ودام ذلك الفيض متصلا متواترا ، غير منقطع ولا معوق ، فكان أول ماصدر عنه مما هو مقيد الوجود بوجوده ، مستكمل الخيرات والفضائل به مبرا من الشوائب (٧) والتخير ، الموجود المبدع الأول ، الذي رتب كل موجود مرتبته (٨) ووفاه حقه في لزوم النظام ، وهو الموسوم بالفعل الصادر عنه وهو العقل ، إذ فعله ذاته ، وهو جوهر بسيط روحاني ، في غاية

(١) في : س . (ارتباط العلة بالمعلول) .

(٢) في : ظ ، س . (والجود المطلق) .

(٣) في : ظ ، س . (من الجود اللائق) .

(٤) في : ظ (والوجود) .

(٥) ساقطة من : ظ .

(٦) في : ظ (من غير أن يوجد بها) .

(٧) في : ظ ، س (من النوائب) .

(٨) في : ظ ، س . (رتبته) .

النّام والكمال ، وقوة محيطه تحفظ على كل واحد واحد من الموجودات (١) وجوده الخاص به وتعلقه به .

فكان أول الموجودات الصادرة عن العلة الأولى من غير واسطة ، وبمنزلة الاثنين من الواحد العددي ، وفيه جميع صور الأشياء المعلومة ، كما تكون صور المعلومات المتعددة في (نفس) (٢) فكر العالم .

وهذا (٣) العقل الفعال ، والجوهر الشريف المقدس . النوراني ، مستمد من العلة الأولى ، شاخص إليها ، شديد التشبه بها ، بقدر طاقته عشقا واستهلاكا ، واستكمالا واستمدادا ، ولذلك فاض منه بإمدادها فيض آخر من سنحه (٤) ، دونه في الرتبة ، وهو العقل المنفعل ، وهي النفس الكلية ، تالية له ، وهي التي تعطي بعض الذوات أفضل أحوالها في الوجود ، وهي الحياة . وهي النفس المصورة للأجسام أفضل صورها وإذا [١٠١] تصورت بها ، وانطبعت فيها ، حصلت لها بها قوة تشبثت بها الأجسام (٥) ، على قدر اختلافاتها ، فتحصل لكل واحدة منها صورة مبنية للآخرى .

ثم صدرت عن النفس الطبيعية ، وهي الطبيعة ، قوة تنفذ في الأجسام ، فتعطيها التخلق والتصور بالصور الخاصة بواحد واحد منها ، والطبيعة تنفذ على الجسم ، وتتأخر بالوجود عن النفس ، بمنزلة تأخر الآلة عن الصانع ، وتقدمها على المصنوع .

ثم صدرت عنها الهيولى ، وهي جوهر قابل للصورة ، ثم صدر الجسم .

(١) و : ظ (على كل حال واحد من الموجودات) :

(٢) ساقطة من : ط . وفي : س . (من فكر العالم) .

(٣) في : ظ ، س . (وهو العقل الفعال) .

(٤) في : ظ (من سبجه) .

(٥) في : س . تشبثت بها أجسام .

المطلق ، وهو الفلك ، وهو الجسم المحيط بالكل ، ثم سائر الأفلاك ، إلى عالم الكون والطبائع .

(ورقة)^(١)

ولما كان العقل يقبل المدد والكلمه من العلة الأولى ، والنفس تقبل من العقل ، وما دونها يقبل منها^(٢) ، أعطت النفس جميع الموجودات التي دونها أنفوسها الجزئية ، بحسب استعدادها ، فقبلت الجواهر المبرأة من المواد ، وهي الأفلاك والكواكب نفوسا تناسبها ، وهي الصور الروحانية ، وهم الملائكة : وهي : أرواح شريفه باقية مضيئة ، وقبلت الجواهر الجسمانية المظلمة نفوسا تناسبها ، فالعلة المبدعة الأولى ، وهو العقل ، أكمل الموجودات وأقربها إلى المبدأ الأول ، وهو يعقل نفسه ، ويعقل ما دونه من الذوات ، ولا يزال ما دونها بما صدر بأمر الفاعل الأول ، بعضه على بعض بحكم ما جعل من الوسائط ، يكشف^(٣) لبعده عن المبدأ الذي هو عنصر الكمال والبهاء والنور ، إلى أن ينتهي إلى ما بعد الأجسام الفلكية ، وهي ما يلي مقعر فلك القمر^(٤) من الأجسام العنصرية ، إلى عنصر التراب وهو أكتفها .

ثم اقتضت الأسباب (القصوى^(٥)) ، والإمدادات الفائضة من العلة الأولى تشكيلات الأجسام المجردة عن المواد ، وقوى أرواحها ، وهي الأفلاك والكواكب ، والصور الروحانية ، ولوازم الحركات من تعيين الأزمنة^(٦) امتزاج تلك الأجسام العنصرية المحصورة حشوفلك القمر ، وهي النار والهواء والماء والأرض ، وحدوث أجسام تركيبية ، وهي المولدات الثلاثة ، من معدن ونيات وحيوان ، وأعطتها العلة التي

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) في : س . يعقل منها . (٣) في : س (فكيف) تحريف .

(٤) في : ظ ، س (مقعر فلك القمر) . (٥) ساقطة من : ظ .

(٦) في : س (من نفس الأزمنة) .

تعطى كل مادة صورتها على حسبها ، من كفيف وأكشف ، ولطيف وألطف ، صوراً تستحقها بحسب القابلية منها والاستعداد ، فاختلقت الأشكال والصور ، فكانت في أكشف المولدات وهو المعدن ، أقصر النفوس التي بها حصلت له حركة النمو ، ثم في النبات أظهر ، ثم في الحيوان ، ثم في الإنسان . على التمام ، وهي النفس الناطقة المدركة العلامة ، وعندما تعيلت هذه النفس ، وعقلت ذاتها ، ارتدت تروم الصعود على معراجها الذي تنزلت عليه إلى المواد ، وحتت إلى عالمها الشريف ، فلطفت وتروحت . فبحسب شوقها إليه وحنينها وتشبهها به في الصفاء والنورية يكون كمالها ، وبحسب كدورتها وبعدها عن الاتصاف بأوصافه ، يكون بعدها وخستها وضعتها .

فتحصل من هذا القول ، أن الموجودات نوعان : كليات وجزئيات . السلكية منها تسعة ، تبدأ [١٠٢] من الأكل إلى الأنقص . أولها الله فاعل كل شيء ، (وخالق كل شيء . لا إله إلا هو (١)) . ثم العقل . ثم النفس السلكية ، على خلاف بينهم فيها . ثم الهيولى ، ثم الجسم ، ثم الفلك ، ثم الأركان ، ثم المولدات . والجزئيات تبدأ (٢) من الأنقص إلى الأكل ، فمن المعدن ، إلى النبات ، إلى الحيوان ؛ إلى الناطق ، إلى العقل الفعال ، إلى العقول المجردة ، وأن الله عز وجل خلق العقل ، وصدرت عنه النفس وما بعدها بامداده ونوره ، وأعطى كل شيء من القوى والحياة ما يستحقه .

ورقة :

ومعراج النفس وسعادتها على هذا الرأى مرتب معروف ، فإن كان اشتغالها بهذه الأجسام الحية لماماً ، وتعلقها يسيراً ، بحيث لا يرسخ عشقها ولا يتمكن الكلف بها ، ولا تنسى اللذات العلوية (بلذاتها (٣)) [السفلية]

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : ط ، س . (٢) في : ط ، س (تبتدىء) .

(٣) سناطة من : ط ، س .

وكان ترددها على معراجها لاقتباس النور من أصلها متصلا ، بقى المعراج معروفا لها ، نقياً من القواطع ، سهلاً على العروج ، خالياً من العوائق ، فلم تلبث بعد المفارقة أن تقطع مفازته ، لما تقدم من معرفتها به ، وشوقها إلى ما وراءه ، ورقبها عليه في عالم كمالها ^(١) . فلحققت بعالمها الذي خلقت وإياه من جوهر واحد ، وهم سكان السموات ، ونفوس العوالم البسيطة النورانية ، واستبدلت من ضيق الجسوم الحرجة المظلمة سعة السموات ، وتعمت بالآرواح المقدسة ، والأنوار المشرقة ، واللذات الدائمة . وبحسب استعدادها للترقى بما اكتسبته في محل اغترابها من التقديس والاتصاف بالصفات الحسنة ^(٢) ، والنزوع إلى العوالم الروحانية ، تكون منزلتها في هذه الفسحة ، والنعيم الذي أفضت إليه من ضيق الطبيعة ، وظلمات العوالم الكونية . ومراتبها بحسب تعداد الأفلاك والأفضلية أولاً . ثم درجات التفضيل لا تحصى . أو يتصل المعراج والترقى ، إلى أن تتصل بالمبدع الأول ، وتتحد به ، وتصير عقلاً بالفعل ، وهو عالم البقاء والنور والكمال ، بحيث لا يتعذر فيه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يقع فيه ألم ولا نقص ، فلذاته لذلك غير مشوبة ولا متنقصة ^(٣) ، ولا محصورة ولا متناهية ، فهي باقية ببقائه الدائم ، متصلة بالعلة الأولى ، ناظرة إليها ، وهي عندهم أقصى السعادة ، كما قال المشرع ^(٤) في مقام النظر .

وقالت طائفة منهم : سعادة النفس ولذتها الوقوف على حقائق الأشياء وماهيتها ، وصلاح الحال فيها ، واتصالها بالعقول الفعالة ، وأن يرجع العالم والعلم والمعلوم منها واحداً . والاتصاف بالكمال الإنساني ، ورجوعها إلى ذاتها ، وفرحها بجوهرها ، حتى تبهر جميع الموجودات في ذاتها .

(١) في : ظ ، س . (إلى عالم كمالها) .
 (٢) في : ظ ، س . (ولا متنقصة) .
 (٣) في : ظ ، س . (المشرع) .
 (٤) في : ظ ، س . (بالصفات الحقة) .

وخلص جوهرها حتى تصير تامة ، لا تحتاج إلى غيرها ، وهى أول لذة من لذات سعادتها .

ثم العلم بالمبدع الأول وشرفه ، وما هو عليه من الفضل والعزة ، والعلو والكمال ، والقرب من الأول الحق ، وكون جوهرها كجوهره ، ثم معرفتها بالحق الواجب وجوده (١) ، ثم السرور به ، والفناء في حبه ، واستحقاق آنيته لجميع الآنيات ، [١٠٢ ب] وهويته لجميع الهويات ، ثم الغيبة عنها وعن جوهرها والحضور عنده (٢) .

ورقة من كلام الحكيم أرسطو

في كتابه الغريب الذى ضمنه رأيه واختياره

قال في فصل مخبرا عن نفسه ، وعن بعض شيوخه ، وأئمة رأيه على سذاجة وبعد عن التهذيب ، شأن الأوائل : « إني ربما خلوت بنفسى كثيراً ، وجعلت بدنى جانباً ، وصرت كأنى مجرداً بلا بدن ، عرى من الملابس الطبيعية ، فأكون داخلاً في ذاتى ، خارجاً من سائر الأشياء . فأرى فى ذاتى من الحسن والثناء ، (والبهاء) (٣) والضياء والمحاسن العجيبة . والمناظر الأنيقة ، ما أبقى له (متعجباً متحيراً) (٤) باهتاً ، فأعلم أنى جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف . فلما أيقنت بذلك ، رقيت بذهنى إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل ، فصرت كأنى موضوع متعلق بها . فأكون فوق العالم كله ، فأراني كأنى واقف فى ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهى

(١) فى : س (الواجب الوجود) .

(٢) ليس السلوك الصوى مقتبساً من مثل هذه المقالات وأمثالها ، وإن كان يتفق معها كثير من المبادئ . لأن الاقتباس فى عموم أحواله لا يكون إلا فى العلوم النظرية . أما الملكات فهى مباحة لجميع البشر . وإن كانت تختلف بالصحة والخطأ باختلاف القواعد التى أدهجتها . فإذا اتفق الصوى مع الفيلسوف فى نظرة ما . فذلك أمر طبعى لا دخل للاقتباس فيه .

(٣) ساقطة من : س .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

فأرى هنالك من النور والبهاء ، والبهجة والسناء ، مالا تقدر الألسن (١) على صفته ، ولا الأسماع على نعته ، ولا الأوهام [أن] تحيط به ، فإذا استغرقني ذلك النور والبهاء ، لم أطلق على احتماله ، ولا الصبر عليه فارتددت عاجزاً عن النظر إليه ، وهبطت من العقل إلى الفكر والروية ، فإذا صرت في عالم الفكر والروية ، حجبت الفكرة عن ذلك النور والبهاء ، وحالت بيني وبينه الأوهام ، فأبقى متعجباً كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالى الإلهى ، وصرت سهلاً في موضع الفكر والضيق ، بعد أن قويت نفسى على التخلف [عن] بدنيا ، والرجوع إلى ذاتها ، والترقى إلى العالم العقلى ، ثم العالم الإلهى ، مع العقول فوق العوالم كلها ، حتى صارت في موضع البهاء والنور والسناء (مجتلية) (٢) الذى هو علة كل نور وبهاء ، وسبب كل دوام وبقاء ،

ومن العجيب . أنى كنت رأيت نفسى ممثلة نوراً ، وهى في البدن كهيئتها ، والبدن معها ، وهى خارجة عنه ، على أنى لما أطلت الفكرة ، ومحضت الروية ، وأجلت الرأى ، وصرت كالمتهجير المبهوت ، تذكرت الفلطنوس ، فإنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة (٣) ، والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الشريف الأعلى . وقال : إنه من حرص على ذلك ، وارتقى إلى العالم الأعلى ، ولحق بالجواهر الإلهية ، والأسباب الكلية ، يجزى أحسن الجزاء اضطراباً . فلا ينبغي لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص ، والجد في الارتقاء إلى ذلك العالم ، وإن تعب وكد ونصب ، فإن أمامه الراحة التى لا تعب بعدها ، فى حياة دائمة ، وعيشة راضية ، ولذات باقية لا يتناهى أمدها ، ولا يقطع (٤) مددها . مخلوقة للإنسان كلها ؛ والإنسان مخلوق لها ، أليس عجزاً أن تمر ساعة

(١) فى : ط ، س . (الألسنة) .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) فى : ظ ، س (الشريف) . (٤) فى : ظ ، س (لا ينقطع) .

من عمره في غير ما خلق له من ذلك ؟ أليس من فرط في السعي لذلك ظالماً لنفسه (١) ، ومهلكاً ذاته ، وفاعلاً بجوهرته النفسية ما لم يفعل به أعدى عدوله ، فيندم حين لا ينفعه الندم ، . انتهى كلامه . قالوا : ويان هذه السعادة : من تعرض له ، فقد تعاطى ما لا تستقل به نفس ؛ ولا تطمع فيه قوة إنسانية :

ورقة :

واختلف هؤلاء الحكماء ، في الغاية التي تبلغ إليها النفس [١١٠٣] الإنسانية بعد المفارقة ، وتركها تدبير البدن . فمنهم من قال : لا تتعدى رتبة العقل الفعال ، (ومنهم من قال : غايتها أن تلحق بالنفس الكلية) (٢) . ومنهم من قال : تلحق بالعقل الكلى . ومنهم من قال : تجاوز ذلك ، وتلحق بالسبب الأول . ومنهم من أنكر بعض هذه المبادئ من العقول والنفوس . ومنهم من قال : العقول تسعة ، ولا يخل هذا الخلاف بشيء من طلب السعادة .

ورقة :

وسيل السعادة عندهم الرياضة ، وعلاج الأخلاق ، حتى يصير شبيهاً بالخير المحض وهو المبدأ ، وتلطيف السر ، وأن يصرف عن النفس شواغل الجسم ، ويرقى في معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة (٣) ، حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها ، وتفيض عليها عجائبه . وقد أخبر (٤) هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم بما ذكرناه آنفاً ، من أنهم نزعوا جلايب الجسدية في هذا العالم ، وترقوا إلى العالم العلوى ، فأبصروا من نوره ولذاته (٥) أمورا مذهلة ، ثم عادوا إلى عالم الحس ، ورمزوا ذلك في كتبهم ، حسبما نقل عن سقراط الدّان (٦) ، ومعلم الخير أفلاطون (وإمام المشائين أرسطو) (٧) وإن كانت النفس كمادة

(١) في : ظ ؛ س (ظالماً نفسه) . (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ . (٣) في : ظ (بالمكر) . (٤) في : ظ ، س (ولنا أخبر) . (٥) في : س : (ولداتها) .

(٦) والدن مفرد الدنان ، وهو الإناء الذي تعتق فيه الحجر .

(٧) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

كثيفة ، غير مستعدة لقبول الأنوار ، غريقة في بحر الهوى ، متعشقة بالذات الحسية ، الدائرة دائما ، لا تعرف غيرها ، ولا تألف سواها ، ونومها مستغرق في حجورها (١) ، وشهواتها غالبية مستعلية ، حتى اعشوشب المعراج ، وسدت الطرق ، وخفيت الأنوار ، ودرست الأعلام (٢) ، بقيت (٣) بعد مفارقة البدن ولذاتها (٤) - التي كانت لا تعرف غيرها ، ولا تصل إليها من غيره - حائرة حزينة ، تطلبه وتندب عليه ، وتتلهم شوقا إلى عاداتها منه ، وتتهالك على ردِّ فاتها ، وليس لها إلى الخروج حيلة ، ولا إلى الخلاص سبيل ، فهي تطلب إليها سفلا (٥) ، بمنزلة من فقد سمعه وبصره وحركة جوارحه ، وأحاطت به المؤذيات والآلام ، فكانت مع أجناسها من الأرواح المبلسة (٦) ، والنفوس الشقية ، والدخانية الشيطانية ، وهي أيضا حالة بؤس (٧) وشقاء ، لا تعبر عنها الألسنة ، ولا تشرحها فنون العبارة .

وإن كان الأمر متوسطا ، كان المنتهى متوسطا ، وعلى كل حال ، فهي بما جبلت عليه من النورانية قبل ارتباطها بالأجسام - إن بقيت (٨) فيها من الخير بقية أو من حالها الأولى (٩) رائحة - لا تزال حريصة على الخلاص ، فبحسب استعدادها ، ووفور الأجزاء الخيرية ، وإمكان انفكاكها من أسر الطبيعة ، والتماس الأرواح المقدسة ، والصور الروحانية ، [يسكون] لها الرحمة والنور من العلة الأولى ، [و] يكون خلاصها أو هلاكها . وقد تبين أن هؤلاء محبون مشتاقون إلى نور السموات والأرض ، وأن سعادتهم متسببة عن محبته (١٠) .

(١) في : س (جهودها) .

(٢) في : ظ ، س (وخفيت الآثار) .

(٣) جواب الشرط في قوله : وإن كانت النفس كدرة .

(٤) في : ظ (ولذتها) .

(٥) في : ظ تطلب الفنا سفلا .

(٦) في : ظ (الملبسة) .

(٧) في : ظ . حال بؤس .

(٨) في : الأصل ، ظ . ومن حالها الأولى .

(٩) في : س . متعينة عن محبته .

(١٠) في : س . متعينة عن محبته .

الفن الثاني في رأى أهل الأنوار من الأقدمين

ورقة (١) :

قال المؤلف رحمه الله (٢) : رأى معلم الخير ، ومن قبله من زمان والد الحكماء هرمس ، إلى زمانه ، من الأساطين في طريقة الإشراف ، والكلام في النور والظلمة ، التي كانت (تراها) (٣) حكماء الفرس ، مثل بزرجمهر وغيره : أنه إن اتفق في الوقت حكيم متوغل في التسأل ، فله الرياسة . وهو خليفة [١٠٣ ب] الله . فإن لم يتفق ، فالمتوغل في التأله ، المتوسط في البحث . ولا رياسة في أرض الله للباحث المتوغل في البحث ، الذي لا يتوغل في التأله ، (فإن المتوغل في التأله) (٤) لا يخلو عنه العالم ، وهو أحق من الباحث فحسب ، إذ لا بد للخلافة من التلق ، وليس المقصود بهذه الرياسة رياسة الغلبة ، بل هو المسمى عند الكافة من بعدهم : « بالقطب » . ويدعون : أنه لا ينتظم أمرهم (٥) في هذه القواعد الإشرافية دون سوانح نورية ، وكذا أن المحسوسات بنيت (عليها) (٦) - لما شوهدت - علوم صحيحة ، كالهنية وغيرها ، فكذلك يشاهدون من الروحانيات أشياء ، ثم يبنون عليها ، ومن ليس هذا سبيله عندهم ، فليس من الحكمة في شيء .

وأول ما يؤصلونه أنه إن كان في الوجود ما لا يحتاج إلى تعريف وشرحه (٧) فهو الشيء الظاهر ، ولا شيء أظهر من النور ، فلا شيء أغنى منه عن التعريف . وإن الشيء ينقسم إلى نور وضوء في حقيقته ،

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) في : س ، ظ . رضى الله عنه (٣) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ (٥) في الأصل ، ظ (أنهم لا ينتظم أمرهم)

(٦) ساقطة من الأصل ، ظ (٧) في : س . إلى تعريفه وشرحه

وإلى ما ليس بنور ولا ضوء . والنور ينقسم إلى ما هو هيئة لغيره وهو العارض ، وإلى نور ليس بهيئة لغيره (١) ، وهو المحض . أو المجرد وما ليس بنور في حقيقته ينقسم إلى مستغن عن المحال ، ويسمونه : الجوهر الغاسق . وإلى ما هو هيئة لغيره ، وهي الهيئة الظلمانية . والبرزخ هو الجسم ، ويرسم : بأنه الجوهر الذى يقصد بالإشارة . وكل غير نور . أو غير نوراني ، مظلم ، والبرزخ إذا انتفى عنه النور لا يحتاج في كونه مظلماً إلى شيء آخر ، ويعنون بذلك ما زال عنه النور ، فإن ما لا يزول عنه النور ، يكون كالشمس وغيرها ، إذ يشاركتها في البرزخية ما يزول عنه الضوء ، وفارقه بالضوء الدائم ، لا أن نورها نور عارض ، وجوهرها جوهر غاسق (٢) .

والنور العارض ليس بغنى في نفسه ، وإلا لم يفترق إلى الغاسق . ومعطى الأنوار للبرازخ غير برزخ ، ولا جوهر غاسق ، والنور المحض حى ، والحى هو الدراك الفعال ، والحياة أن يكون الشيء ظاهراً لنفسه ، فالنور المحض حى ، وكل حى فهو نور محض . والنور في نفسه لا يختلف حقيقته ، لا بالكمال ولا بالنقصان ، فتعددت الأنوار إلى نور مجرد ، (وغير مجرد) (٣) ، وكان الكمال المحض لنور الأنوار ، وهو الحى المدرك بذاته لذاته ، الغنى الواحد ، نور الأنوار ، القاهر لكل شيء ، الذى لا يمكن عليه العدم ، وهو الواحدانى في ذاته ، من غير شرط . وما سواه مشروط به . ولا تلحقه هيئة ، لا نورانية ولا ظلمانية (٤) ، وهو يقهر ما دونه من الأنوار ، ولا تقهره ، إنما حسبها أن تعشقه ، ولا يعشق هو غيره ، لأن كماله وهو أكمل الكمال ظاهر له ، فهو معشوق لذاته وغيره . فانتظم الوجود كله من المحبة والقهر . وأول ما صدر عنه النور الأقرب ، والنور الأقرب مشاهدة

(١) ق : س ما ليس بهيئة لغيره .

(٢) ق : ظ ، س . وحامله جوهر غاسق .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٤) ق : الأصل ، ظ . ولا نورانية ولا ظلمانية .

لنور الأنوار، وشروق منه عليه، ومحجته له ولنفسه. ومحجته لنفسه
مقهورة في قهر محبة نور الأنوار. ثم تعددت الأنوار القاهرة، والنور
الإصفهني، وأظنهم يعنون به: النفس، والأنوار المدبرة للكواكب
والملائكة. وأطردت عجائب الترتيب والنسب في عالم الأنوار، عللا
[١٣٠] ومعلولات (١)، إلى أقصى درجات عالم الشهادة.

وأما البرازخ وهيئاتها فجعلوا كل جسم إما أن يكون قادرا (٢)، وهو مالا
يتركب من برزخين، أو مزدوجا. والقادر (٣) إما حاجزا، وهو الذي يمنع
النور بالسلكية، أو لطيفا ولا يمنع، أو مقتصدا وهو يمنع منعاً غير تام،
وله في المنع مراتب. فكانت الأفلاك حاجزها مستنير، وغيرها حاجزها
لطيف، وما تحتها البرزخ الغاسق. وهو منقسم بالأقسام الثلاثة: حاجز
كالأرض، [و] مقتصد كالماء، [و] لطيف كالفضاء. ليس بينها (٤) وبين
البرازخ العلوية حاجز ولا مقتصد. وإذا قتش الأشياء (٥) لم تجد ما يؤثر
في البعيد والقريب غير النور.

ولما كانت المحبة والقهر من النور والحركة والحرارة أيضاً معلولات (٦)،
صارت الحرارة لها مدخل في النزوعات والشموات والغضب. وقوام الجميع
بالحركة. وصارت الأشواق موجبة للحركات، فتزل (٧) من بعض الأنوار
القاهرة، وهو صاحب طلسم النوع الناطق، وهو القريب من عظماء
(الجبروت) (٨) والملسكوت، دون (٩) روح القدس، واهب العلم والتأييد،
معطى الحياة والفضيلة، على المزاج الأتم الإنساني، نور مجرد، هو النور

(١) في: س. علا ومعلولا.

(٢) في: س. ياردا.

(٣) في: س. والبارد.

(٤) في: الأصل، ظ. ليس بيننا.

(٥) في: س. نسبت الأشياء.

(٦) في: س. معلولاته.

(٧) في: س. فتقول. تحريف.

(٨) ساقطة من الأصل، ظ. وى، س. وهو القريب عن عظماء الجبروت والملسكوت.

(٩) في: س. نحسن. ودان محريف. وى الأصل، ظ. روان يحسن، ولا معنى لها.

المتصرف في الصياحي الإنسانية ، وهو الإصفهني . المدبر للناسوت ، وهو المشير إلى نفسه بالإنية ، وهذا النور الإصفهني (١) لا يتصرف في البرزخ إلا بتوسط مناسبة ما ، وهي ماله مع الجرم اللطيف ، الذي سموه بالروح ، ومنبعه التجويف الأيسر من القلب ، إذ فيه (من) (٢) الاعتدال والبعد عن التضاد ما شابه البرازخ العلوية ، وفيه من الاقتصاد ما يظهر عنده الخيال ، ومن الحاجزية ما يقبل النور ويحفظه ، وفيه (من) (٣) اللطافة والحرارة والحركة المناسبة للنور .

ولمناسبة النفوس مع النور ، صارت نافرة عن الظلمات ، منبسطة عند مشاهدة الأنوار ، وسبب تعلق النفوس بالذهب والياقوت ، وكونه محبوبا لها (٤) ، ما حصل فيه من البرزخ النوري ، الشبيه بالبرازخ العلوية وأنوارها ، فاكتمل عزاء من جهة كمال شأنه ، وأمرنا يناسب المحبة للبصيص النوري . والحيوانات تقصد النور في الظلم وتعشق النور .

وهذا النور الإصفهني استدعاه المزاج البرزخي ، باستعداد المستدعي لوجوده ، فله لاف مع صيبيته (٥) ، وهو وعاء لآثاره ومعسكر لقواه . ولما عشقته القوى الظلمانية تشبثت به ، وجذبت به إلى عالمها عن عوالم النور البحت ، الذي لا تشوبه ظلمة برزخية ، فانقطع شوقه عن عالم النور البحت إلى الظلمات . ولذلك قال « برداسف » ، أي خلق يغلب على النور الإصفهني (٦) ، وأي هيئة ظلمانية تتمكن فيه و (ي) ركن إليها ، هو موجب أن يكون بعد فساد صيبيته منتقلة (٧) علاقته إلى صيبيته مناسبة لتلك الهيئة الظلمانية .

(١) النور الإصفهني : قال المؤلف أنهم يعنون به النفس .

(٢) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٣) ساقطة من : س . وعليه تكون العبارة : وفيه اللطافة . . . المناسبة للنور .

(٤) في : ظ . وإن كان محبوبا . وفي : س . وإن كان لها محبوبا .

(٥) الصيبيته : البدن .

(٦) في الأصل ، ظ . يغلب عليه النور الإصفهني .

(٧) في الأصل ، ظ ، س . منتقلا علاقته .

من الحيوانات المنتكسة. فإن النور الإصفهني إذا فارق الصيصية الإنسانية، وهو مظلم مشتاق إلى الظلمات، ولم يعلم سنجة وعالم النور، تمكنت فيه العوالم الردية، وجذبت به الظلمات. والقائلون بالنقل منهم كثير، وقد ذهب إليه إسلاميون.

فالنور المدبر إذا لم تقهره [١٠٣ ب] شواغل البرزخ، يكون شوقه إلى عالم النور القدسي أكثر [من شوقه] إلى الفواسق (١)، فكلما ازداد نورا وضوءا، ازداد عشقا ومحبة إلى النور القاهر، وازداد غنى وقربا من نور الأنوار، والأنوار الإصفهنية، إذا قهرت الجواهر العاسقة، وقوى عشقها وشوقها إلى نور الأنوار، وحصل لها ملسكة الاتصال بعالم النور المحض، إذا فسدت صياصياها لا تنجذب إلى صياصى آخر، لسكمال قوتها وانجذابها إلى ينابيع النور المتقوى (٢) بالشوارق العظيمة العاشق لسنحه (٣)، ينبوع الحياة، فيخلص إلى عالم النور المحض، ويصير قدسيا بتقدیس نوار الأنوار.. والشوق حامل الذوات الدراكه إلى نور الأنوار، فالآتم شوقا أتم انجذابا وارتفاعا إلى النور الأعلى، ومن لم يلتذ بإشرقات القواهر النورانية، وأنكر اللذة الحقيقية، كان كالعين الذي ينكر لذة الوقاع.

ورقة :

فكمال النور الأصفهني، إعطاء (٤) قوى قهره ومحبته حقها، فإن القهر للنور على ماتحته، والمحبة إلى ما فوقه من شأنه. فينبغي أن يسلط قهره على الصيصية الظلمانية، ومحبته على عالم النور.

(١) في : س. أكثر منه إلى الفواسق

(٢) في س. الامدى بالشوارق

(٣) أى أصله

(٤) في : س. بأعطى

وإذا كتبت عليه الشقاوة تقع محبته وعشقه على الخواسق^(١)، فتقهره
الظلمات. وإنما تقع محبته على عالم النور كما ينبغي إذا عرف ذاته، وعرف
عالم النور وترتيب الوجود والمعاد، على حسب الطاقة البشرية.
ولما كان تدبير الصبغة والعناية بها أيضاً ضرورياً، فأجود الأخلاق
الاعتدال في الأمور الشهوانية والغضبية، وفي صرف الفكر إلى المهمات
البدنية، والإخلاص، لمن لم يكن أكبرهمه^(٢) الآخرة، وأكثر فكره
في عوالم الأنوار. وإذا تجلى النور الإصْفَهْد بالإطلاع على الحقائق^(٣)
وعشق ينبوع الحياة والنور، وتطهر من رجس البرازخ إذا شاهد عالم
النور المحض، بعد موت البدن، تخلص من صبغته^(٤) وانعكست عليه إشراقات
لا تنتهي من نور الأنوار، من غير واسطة، ومع الواسطة، كما سبقت
الإشارة إليه.

وما أشرق عليه من كل واحد مراراً لا تنتهي (فيلتذ لذة لا تنتهي)^(٥)
في إشراقات ودوائر عقلية نورية، يزيد رونقها^(٦) في إشراق جلال نور
الأنوار ومشاهده^(٧)، وكما أن النور الأصْفَهْد لما كان له تعلق بالبرزخ،
وكانت الصبغة مظهره^(٨)، فتوهم أنه فيها، (فإن لم يكن فيها)^(٩)، فالأنوار
(المدبرة)^(١٠) إذا مارقت قربت من الأنوار القاهرة ونور الأنوار،
وكثرت علاقتها العشقية [حتى] يتوهم معها أنها هي^(١١)، فتصير الأنوار القاهرة

(١) أي الأجسام

(٢) في : ظ أكبرهمه

(٣) في الأصل : بالإطلاع على الحقائق

(٤) في : ظ ، س عن صبغته

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من من الأصل

(٦) في : ظ ، س يزيد في رونقها إشراق جلال نور الأنوار . تحريف

(٧) في : ظ ، س ومشاهده

(٨) في : ظ ، س . تطهره

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س

(١٠) ساقطة من : ظ ، س

(١١) في : ظ وكثرة علاقتها العشقية معها يتوهم أنها هي

العالية مظاهر للدبرات ، كما كانت الأبدان (١) مظاهر لها ، وبحسب ما تزداد المحبة المشوبة بالغلبة ازدادت اللذة والأنس في عالمها ، وكذا تعاشق الحيوانات ههنا .

فما قولك في عالم المحبة الخفية التامة ، والقهر التام الخالص ، الذي كله نور وصفاء وبصيص وحياة ، فيقع في لذة (٢) وعشق (٣) وقهر ومشاهدة ، لا تقاس بذلك لذة قط .

وقهر العالم الأعلى غير مفسد ، إذا الطبيعة القابلة للعدم منتفية بل يكمل اللذة ، والمدبرات الظاهرة الشبيهة بالقواهر مقدسة بقدس الله ، [١٠٤] وطوبى لهم وحسن مآب ، .

وهذه حال السعادة العالية ، والسعداء المتوسطون والزهاد المتزهون قد يتخلصون إلى عالم المثل المعلقة ، التي تظهرها بعض البرازخ العالية ، ولها إيجاد المثل والقوة على ذلك ، فتحضر من الأطعمة والصور والسماع وغير ذلك ما تشتهى ، وتلك الصور أنهم ما عندنا ، لأن مظاهر هذه ناقصة ، ويخلدون فيها لبقاء علاقتهم مع البرازخ والظلمانية (٤) العالية التي عدم فسادها .

والأشقياء سواء كان النقل حقاً أو باطلاً ، إذا تخلصوا عن الصياصى البرزخية ، يكون لها ظلال من الصور المعلقة ، على حسب أخلاقها .

تنبيه :

قال المؤلف رحمه الله : وتلخيص المعاد عندهم أن الشقاوة والشر ،

(١) في : ظ ، س . الأنوار

(٢) في : ظ . و كره . خطأ

(٣) في : س . و عيب

(٤) في : ظ ، س والطلعات

إنما لزم في عالم الظلمات من الحركات ، والحركة لزمّت من جهة الفقر إلى الأنوار القاهرة والمدبرة ، والشر لزم بالوسائط ، ونور الأنوار نور يستحيل (عليه) (١) هيآت وجهات ظلمانية ، فلا يصدر عنه شر .

ورقة :

قالوا : وكل لذة برزخية إنما حصلت بأمر نوري ، رَشَحَ على البزاخ ، حتى أن لذة الوقاع أيضا رشح عن اللذات الحقة (٢) ، فإن الذي يواقع لا يشتهي إتيان الميت ، بل يشتهي ذاروح وجمال فيه شوب نوري (٣) . وأتم لذته بالحرارة التي هي أحد عشاق النور ومعلولاته ، وتتحرك [بها] قوى محبته وقهره ، حتى يريد الذكر أن يقهر الأنثى (٤) ، فوقع في عالم النور محبة وقهر على الذكر (٥) ، ومحبة مع ذل على الأنثى . على نسبة ما في العلة والمعلول كما سبق . وكل يريد أن يتحد بصاحبه ، بحيث يرتفع الحجاب البرزخي . وإنما ذلك طلب النور الإصفهني للذات عالم النور ، الذي لا حجاب فيه . والاتحاد بين الأنوار المجردة إنما هو الاتحاد العقلي لا الجرمي . فإذا كان سبب أخس أنواع العشق الحيواني داعية الوقاع ، وكان الباعث عليها تعاشق الأنوار (٦) وحرص النور النفساني على الاتحاد بنفسه ، والرجوع إلى عالمه والاستهلاك في طلب كماله ، فما ظنك (بسبب أشرف ، مع بقاء) (٧) تعشق العوالم المنزهة عن المواد والروحانيات (المقدسة) (٨) عن لواحق الأجرام .

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) في الأصل ، ظ رشح على اللذات

(٣) من هنا يبدأ خرم كبير في : ظ

(٤) في : س يريد الذكر قهر الأنثى

(٥) في : س محبة مع قهر

(٦) في : س العاشق الأنوار . تحريف

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل . وفيه فاظنك بعشق العوالم

(٨) ساقطة من الأصل

وثبت ألا فعل ولا انفعال ، ولا حركة ولا لذة إلا عن النور .
وقال بعضهم : ما علمت معبوداً في الوجود إلا الشمس ، يعنى النور .
إذ لم يعرف في الوجود فعلاً إلا النور : « ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو
أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى » . نور الله بصائرنا بنوره :
« ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

تذييله :

من أدلتهم على بطلان القول بالاتحاد ، قالوا : ولا تظن أن الأنوار
المجردة تصير بعد المفارقة شيئاً واحداً (فإن شيتين لا يصيران شيئاً واحداً) (١)
لأنه إن بقي كلاهما فلا اتحاد ، وإن بقي أحدهما وانعدم الآخر فلا اتحاد ،
وإن انعدم كلاهما فلا اتحاد . وليس في غير الأجسام اتصال وامتزاج ،
والمجردات لا تنعدم ، فهي ممتازة امتيازاً عقلياً لشعورها بذاتها ، وشعورها
بأنوارها وإشرافاتها . ورأى هؤلاء القوم مرتب مقرر المقدمات (٢) ، ولم
يسعنا منه إلا هذه الإشارة التي تدل على أنهم عشاق للأنوار ، وملتزمون
[١٠٤ ب] [١] لمساعدة من تلقاها ، لقربها من نور الأنوار : « الله » .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

(٢) في الأصل مقرر في المقدمات

الفن الثالث

في رأى الحكماء المتمللين من الإسلاميين

ومنهم : الرئيس أبو علي بن سينا ، وأبو نصر الفارابي ، وأبو الوليد ابن رشد ، وابن طفيل ، وأبو بكر بن الصائغ ، إلى ما لا يحصى .

ورقة :

قال المؤلف رحمه الله : الموجودات عندهم^(١) على قسمين : قسم الواجب ، وقسم الممكن . فالواجب الوجود هو الله سبحانه (وتعالى)^(٢) واعتقادهم فيه من التنزيه والاحدية^(٣) والقدم والصفات اعتقاد من تقدم ، إذ وجوب الوجود له من ذاته لا من غيره ، والممكن الوجود هو ما سواه ، إذ وجوده من غيره ، كالإنسان وسواه ، وحقيقة الإنسان مؤلفة من روح ونفس وجسم .

فالروح : جوهر مفارق للمواد ، لا يوصف بالاتصال ولا بالانفصال ، ولا بالسكون ولا بالحركة ، وليس بداخل العالم ولا بخارجه : برىء بالجملة عن لواحق الجسم ، نور إلهي لا واسطة بينه وبين العالم الإلهي .

والنفس : جوهر نوراني شبيه بجوهر الروح ، إلا أن فيه صلوحاً لتدبير الجسم . فالنفس ظاهر الروح ، والروح باطن النفس ، والنفس باطن الجسم (والجسم ظاهر النفس)^(٤) .

والجسم : الجرم المحسوس المشار إليه ، وهو قسيان : أثري غير فاسد ، كالجسم السماوي من الأفلاك ، والكواكب [إذ هي] لا تقبل الفساد . وعنصري وهو

(١) ق : س . عند أكثر هؤلاء (٢) ساقطة من : س .

(٣) الأحدية مشهد لا يتميز فيه اسم ولا صفة . (٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل

المركب من العناصر التي في حشو ذلك القمر ، المتكون مافيه من المولدات معدنا ونباتا وحيواناً . وطريق ارتباط الروح بالجسم أن أول الأجسام الأثيرية وهو الفلك التاسع عن فلك القمر ، وهو أعظم الأفلاك ، ولا جسم وراءه ، ولا كوكب فيه . وهو كلى لما في حشوه ، غير مقيد بشيء من الأعراض الجسمية ، إلا الحركة وقبول الأبعاد الثلاثة . وليس جسم أطف ولا أقرب إلى الروحانية منه . ولذلك ما استعد لقبول النور وشروقه عليه من غير مانع يحجبه عن إشراق نور البارى عليه ، فأشرق عليه منه ما يناسبه من النور المشرق على جميع الأشياء ، معطى الصور والحياة والوجود ، بحسب المراتب في القبول .

وحقيقة الاتصال بين ذلك النور وبينه : أن الجسم المذكور المشار إليه له باطن وظاهر . فظاهره أكشف مافيه ، وباطنه لطيف ذلك الكشف ، لأن اللطيف يغوص في الكشف ، ويبطن فيه ، والكشف يظهر عليه ، والنور المشار إليه نور باطن وظاهر ، (فظاهره) (١) هو المتصل بباطن ذلك الجسم ، لأجل المشاكلة والمناسبة ، وهو النفس ، وباطن ذلك النور متصل بالبارى ، وهو الروح . وهذه النفس المتصلة بالجسم الكلى الأعظم ، هى النفس الكلية ، أعظم النفوس وأشرفها ، وهى عنصر يجمع النفوس السماوية والأرضية ، وبواسطتها تتصل النفوس بذوات النفوس . فلما اتصلت الروح بهذا الجسم ، صار حيا (٢) مدركا للذات الإلهية . إدراكا يليق به . وهو أكمل الإدراكات وأتمها بالنظر إلى المدركات . ولا تدرك الذات العلية حق إدراكها لحجاب إقبالها على تدبير الجسم ، ولا تحيط بها إحاطة كلية ، لكن [تدركها] إدراكا مناسباً [١١٥] لحالها . فإن الإدراك الحقيقى للذات إنما هو لله . فنور (٣) الله

(١) ساقطة من : س

(٢) فى : س . صار المدرك حيا مدركا (٣) فى : س . بنور الله

هو المدرك لحقيقة ذاته . ومثاله ظهور الشمس المرسمة (في المرآة
المقابلة ، فإن الصورة المرسمة) (١) فيها ليست بالشمس ، ولا غير الشمس ،
وهذا المدرك هو المسمى بالعقل الأول ، وبالعقل الكلي ، وهو عنصر
(القبول) (٢) أيضاً لذوى العقول ، وهو المفيض على النفس ، والنفس
المفيضة على الجسم . وهذا (٣) العقل هو المعبر عنه بالقلم ، والنفس
الكلية هي المعبر عنها باللوحي . ولما كان الفلك التالي له الثامن ذو
الثوابت أقرب إلى التركيب ، وأقبل للأعراض الجسمية ، اتصل به من
ذلك النور أكتف بما اتصل بالأول ، لبعده عن المبدأ (الأول) (٤) واعتراض
الوساطة (٥) دونه ، وظاهر النور المتصل بباطن هذا الجسم هو نفسه ،
(وباطنه روحه كما قبله . وإذا كان حياً مدركاً صلحت نفسه) (٦) لأن
تدرك الذات إدراكاً يليق به ، دون الإدراك الأول ، لكون هذه النفس
في رتبة ثانية عن الأولى الكلية . فكان هذا المدرك في هذا المقام (٧)
العقل الثاني ، المخصوص بفلك الكواكب ، المفيض على نفسه المعارف
والأنوار . ومثاله : صورة الشمس المنعكسة على مرآة مقابلة لمرآة ،
ارتسمت فيها صورة الشمس ، وهذا هو الكرسي . وعلى هذا الترتيب
عندهم حال باقي الأفلاك ، إلى فلك للقمر ، آخر وجود النفس والروح
والعقل . وهذه الرتب (٨) تتفاضل في الشرف واللاطف ، بحسب القرب
من العلة الأولى . وجميع هذه الأجسام على تفاضلها في أقصى درجات
الاعتدال ، والشف (٩) والقبول لما يشرق عليها من الأنوار ، بعيدة عن
الانحلال (١٠) ، وعقولها مفارقة للمواد بالكلية .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٢) ساقطة من الأصل

(٣) في : س وهو العقل . تحريف

(٤) ساقط من الأصل ، ظ .

(٥) في : س الوساطة

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

(٧) إلى هنا انتهى الحرم ، الواقع في : ظ

(٨) في : ظ ، س الرتبة

(٩) في : ظ ، س واللاطف

(١٠) في : ظ عن الإنحلاء . تحريف

وما تحت فلك القمر وهو عالم الكون والفساد ، بخلاف الحال
(في (١)) الموجودات العلوية من ابتدائها من الأشرف إلى الأنقص ،
فإن هذه ابتدأوها من الأخس إلى الأشرف ، فأولها الهيولى ، المادة لجميع
المركبات الكونية ، ثم العناصر ، استقصات المركبات العنصرية ، وهما
فاقدتا (٢) الحياة ، إلا أن العناصر تفضلها بالصورة ، ومن العناصر
تتكون المولدات . أولها المعدن ، ثم النبات ، وتفضلها (٣) النفس النباتية
ثم الحيوان ، وتفضلها بالحيوانية . ثم الإنسان ، وهو أعدل الحيوان القائم
الشكل ، المنتصب المسامت أعلاه للمحيط ، لغلبة الجزء الهوائى ، وروحه
تلى (٤) الجواهر السماوية فى الاعتدال ، فانصل به لأجل ذلك من النور
مثل ما اتصل بفلك القمر [الذى هو] أقربها إليه . وتعلق ظاهره بباطن روحه
الحيوانى ، وينبوعه القلب . وهذا النور المتصل ظاهره بباطن الروح ، هو
المسمى بالنفس الإنسانية ، وباطنها متصل بالبارى جل وعز (٥) على حسب
الترتيب المتقدم . وليس بالاتصال الجرمى المكافئ ، ويتوسط الأنوار
السماوية إلى آخر النظام ، فهذا الروح هو الروح الإلهى الأمري ، وهذه
النفس الإنسانية الناطقة ، المشيرة إلى نفسها بالإنانية .

ورقة :

فلما اتصلت النفس والروح بجسم الإنسان على ما تقرر ، وصار حيا
مدركا ، [١٠٥ ب] ذا نفس وروح ، متصلين بالبارى ، شبيها بالأشخاص
العالية ، صلحت نفسه لإدراك الذات العلية إدراكا يليق بها . وكان إدراكها
دون إدراك نفس فلك القمر (٦) ، وهذا المدرك فى هذا المقام هو العقل

(١) سافطة من : ظ

(٢) فى : الأصل . فاندتا الحياة

(٣) فى : الأصل . وتفضلها

(٤) فى : الأصل . تالى الجواهر

(٥) فى : ظ . عز وجل

(٦) فى : س ذلك القمر

الإنسانى ، ومع غاية العقول المجردة . ونسبته إلى العقل الأول السكلى ، كنسبة النفس الإنسانية إلى النفس السكلى .

وهذا العقل هو مبدأ النوع الإنسانى ، وهو المفيض على النفوس والأرواح التى لها ، المعارف والعلوم . ولما كانت النفس الإنسانية متلفته إلى مبدئها النورى ، وإلى الجسم الذى تدبره ، وكان مدبرها كثير التركيب^(١) والواحق والهيآت والاضطراب ، كان إدراكها للذات مضطربا غير مستقر على حال واحدة ، بخلاف إدراك النفوس السهوية . فكان مثلها كصورة^(٢) الشمس المنعكسة ، من مرآة انعكست عليها الصورة من مرآة أخرى على الترتيب ، ثم على صفحة ماء مترجرج مضطرب تارة تبين وتتجلى ، وتارة تخبى وتختفى ، بحسب انصراف الهممة إلى الملأ الأعلى . ثم الانغماس^(٣) فى ظلمات الجسم الأدنى . وهذا على جهة التقريب ، إذ المثل لا يقوى قوة المثل به ، وهذا النور المتصل بالإنسان يكون خلوا من المعارف ، مستعداً لقبولها^(٤) ، [و] يسمى أول أمره عقلا هيولانيا ، وعقلا بالقوة . فإذا ارتسمت فيه الأوليات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد يسمى عقلا بالفعل ، فإذا ارتسمت فيه المعقولات ، وفهم الوجود ، وارتباط الأسباب بالمسيبات ، سمي عقلا مستفادا ، وهو أشرف رتب العقل . ورتبته متصلة برتبة العقل الفعال ، لاوساطة بينهما ، بل هو مستعد متهى بقبول ما يشرق عليه من نوره ، وما يفيد من المعارف والعلوم ، وتبلغ هذه الدرجة فى الإنسان السكامل ، ويكون قد تجردت نفسه عن الجسمانية بعض التجرد^(٥) ، وظهرت عليها آثار الروحانية والشوق إلى عالمها ، وسهلت عليها مفارقة العوالم^(٦) الجسمانية ، وقل حنينها إليها سرورا بما يشرق عليها من مبدئها من الأنوار العلية .

(٢) فى : ظ . تصوره الشمس

(١) فى : ظ . كثير التدبير

(٣) فى : س . والاتقاس

(٤) فى : س . مستقر القبولها

(٥) فى : ظ ، س . بعد التجرد

(٦) فى : س . العلوم الجسمانية

قالوا : والحكمة في اتصال النفس بالجسم الإنساني ، لتستفيد المعارف وتكتسب العلوم ، وتكمل ذاتها ، بارتسامها فيها ، وتقوى على مفارقة الجسم ، فإنها عند مفارقتها الجسم غير منتقشة بشيء ، بل هي نور ساذج (١) ، قابل للانتقاش ، والمنتقش فيه يعد صورة لها ، وهي بمنزلة المادة إن - خيرا فخير ، وإن شرا فشر . فكأنه بعد المفارقة يميزها ويصيرها جوهرامعينا برسمه (٢) ، متميزا عن غيره ، وإن كانت نفوس الأطفال والبهائم عندهم تبطل لعدم انتقاشها بشيء من المعاني . فإذا لم ترسم (٣) أيضا فيها إلا الأمور الحسية الجسدية المتعلقة (٤) بالجسم بقيت ناقصة ، محتاجة إلى الجسم ، فلم تقو على المفارقة إذا بطل الجسم ، وضلت في عالم الجسوم ، معذبة بجهلها وبما انتقش فيها (٥) من الأشياء الباطلة ، محجوبة عن عالمها العلوي ، والأنوار العقلية . والطرق المسلوكة إلى تجريد النفس عن عالم الحس وتصفيتها متعددة .

أما طريق الصوفية :

فهو تهذيب الأخلاق ، وتركيز النفس بالجسد [١٠٦] في احتمال العبادات (٦) المشروعة للجمهور ، وملازمة الأذكار ، حتى تأنس بمدلولها ، ويرتسم فيها معناه ، ويمتحن عنها ما سوى ذلك بما يغايره . وذلك في زمان طويل . وبقدرة قوة الباعث وضعفه والامتداد . ومنها السلوك بأسرار الحروف ، وإعانها على التجريد . وثمرتها تقرب مدة المجاهدة ، وتجردها (٧) دفعة إلى ما يتبع ذلك من اللذة ، وتتمام الإدراك ، وصورة السلوك بها

-
- (١) في : ظ بل هو نور ساذج . (٢) في : الأصل معنى برسمه .
 (٣) في : ظ ، س وإذا لم يرسم . (٤) في : الأصل المتعلقة بالجسم .
 (٥) في : س وبما انتقش فيها .
 (٦) في : س العبادة
 (٧) في : س وتجرید النفس دفعة .

أن تعتمد إلى تحريك قوى عزه (١) ، أو قوى محبته (٢) ، أيهما مالت نفسه إليه ليحركه (٣) حسبما يذكر
تفصيله :

ونفس الإنسان لها عندهم قوتان (٤) : قوة قهر وعز ، وقوة محبة وشوق . وأصل هاتين القوتين هو أن الجواهر العالية المفارقة للمواد التي هي مبادئ الموجودات ، وأصل المكونات ، لكل واحد منهما حالتان ، الأولى : (٥) بالنسبة إلى ما فوقه ، والآخرى : بالنسبة إلى ما تحته ، فالتى بالنسبة إلى ما فوقه ، هي الشوق والمحبة والعشق ، لأجل ما يشرق على السافل من نور العالی وإحسانه ، ولكونه أصلاً له هو أبداً مشتاق إليه ، مستكمل به . والتى بالنسبة إلى ما تحته القهر والاشتغال والاستيلاء ، لأنه فقير إليه . وسرت معاني هاتين الحالتين في جميع الموجودات ، وانتظم منهما (٦) العالم انتظام ازدواج ، من مقابلة وأضداد ومتحابات ، فكان لنفس الإنسان من القوى المزدوجة الغضب والشهوة ، وهما معنى القهر والمحبة ، وتسمى إحدى هاتين القوتين سر الجمال ، والآخرى سر الجلال .

فإذا قصد العارف تحريك هاتين القوتين اللتين لنفسه أشعر (نفسه) (٧) الشيء المناسب لها من القبض أو البسط ، وأخذ في الأذكار التي تليق بذلك المعنى ، وأجرى جميع هيئاته على حسب ذلك ، من تطريب وتحزين ، حتى يتمكن ذلك المعنى من نفسه ، ويظهر أثره ، وتغلب قوته عليه ، وذلك هو الحال المشار إليه عند العارفين . وهو : قوة عظيمة يجدها الإنسان في نفسه ، بحسب الأمر المستقر ، فإن كانت مقاصد القهر ، وجد القوة على

(١) في : ظ . عزة .

(٢) في الأصل . غركه .

(٣) في : س . ونفس الإنسان عندهم لها قوتان .

(٤) في الأصل . إحداهما .

(٥) في : س . وانتظم منه .

(٦) ساقطة من الأصل

المصادمة للأهوال ، أو المحبة فالتقمة (١) على الاتصال بالأمور البعيدة ، ويتوالى الدؤوب ، إلى أن يصير ذلك ملكة يقع بها التصريف .

ثم إن العارف إذا تمكنت من نفسه قهرية (٢) ، سلطها على مدافعة القوى الجسمانية ، واستعان بالدوران على مركز نفسه ، وهى مع ذلك منطلقة (٣) إلى عالمها ، متأملة لما يرد عليها من تلقائه فتتجرد عن الجسم شيئاً (فشيئاً) (٤) وتسلخ وتستغرق فى الأمر المتوجه إليه ، فيرد عليها من الأنوار وارد يغيب ويبدو بقدر تمكن الحال .

وإن كانت محبة ، وصرف شوقه حيثئذ وجذبه إلى العالم العلوى ، وقل التفاته إلى ما وراءه من القوى الجسمانية ، وورد عليه الوارد بالذات التى تناسب حاله ثم لا يزال يستدعيها ، حتى يصير ملكة لا تحتاج إلى استدعاء ، ويعدم (الالتفات إلى) (٥) الحس ، ويصير فى هذا المقام عقله المستفاد عقلاً فعالاً ، ويكون شبيهاً بالأجسام السماوية فى إنصرافها عن الحواس ، وإقبالها على نور الله . فإذا تمكن منه هذا المعنى ، اتصلت نفسه بنفس [١٠٦ ب] فلك القمر ، وأدرك الذات (٦) العلية إدراك ذلك الفلك ، إذ صارت نفسه فى رتبته ، ويجد فى نفسه إذا رجع إلى حسه روحانية ما ، وقوة على كثير من الأسرار المختصة بذلك العالم ، وشوقاً إلى ما فوقه ، وزهداً فيما عاد إليه .

ثم تتوالى المواظبة الفكرية ، حتى ينمحي عن نفسه ما اختص بفلك القمر من الكثافة ، وأثر المحسوسات عما فوقه ، وهو فلك عطار ، وكذلك فى سائر الأفلاك ، وأعلاها يفضل ما دونه . وكل إدراك يرد عليه يححو ما قبله ، ولا يزال يتر فى بصحة التوجه ، وصدق الهمة ، ويدرك فى كل

(١) فى : ظ ، س . بالقدرة .

(٢) فى : س . س . قوة .

(٣) فى : ظ ، س . متطلقة

(٤) ساقطة من : ظ ، س

(٥) ساقطة من : ظ

(٦) فى : ظ ، س . وأدرك الذات العلية

مقام إدراكاً أكمل ، ويطالع به أسراراً وخواص . وتعتريه القواطم والتشويش ، فيستدعي الذكر والحال .
ورقة :

فإذا انتهى إلى التاسع ، واتصلت نفسه (بنفسه) (١) ، وهو اللوح ، أطلع على الكائنات ، وصارت نفسه نفساً كلية ، وعقله عقلاً كلياً ، ومن هذا المقام يعرف النبي طوره ، والولي طوره ، وفيه يسمع الكلام (٣) ويدرك الوحي . ولا بد عندهم أن يكون في العالم شخص واصل إليه في كل زمان ، وهو الخليفة (٤) المتلقي عن الله أسرار الموجودات إن ظاهراً فبني ورسول ، أو باطناً قطب ، وفي هذا المقام يبقى بين السالك وبين الحق حجاب نفسه ، فإذا تعلقت الهمة بما فوقه ، وواظب الفكر ، تجردت نفسه عنه (٥) ، وهو آخر مقامات الأجسام المطلقة ، وخرجت النفس إلى وجودها الأول المطلق ، ويطل إرداءها المختص بإقبالها على الجسم ، من نفساني وعقلي . وهذا هو مقام الفناء الآخر ، وعند ذلك لا يبقى إلا الله ، وهو مقام النظر و [هو] كل مقام يحصله السالك . وهذا المقام لا يتناهى .

وطريق العامة الاعتبار ، وأن الموجودات مرتبطة الوجود بالله ، فلا يزال السالك يعلق همته بالله ويطرح ماسواه ، بما هو معلول عنه . ويواظب على الفكرة التي هي نتيجة (٦) الذكر ، حتى يستغرق فيه بالكلية وتمتحي جميع الموجودات المتغايزة (٧) ، فلا يرى في الوجود إلا الله ويفنى عما سواه ، ولا يزال يترقى في مقامات المشاهدة ، حتى يبلغ ما تقتضيه فطرته بحسب عليه ، وقوة يقينه ، وما قسم له .

(١) ساقطة من : ظ ، س

(٢) ساقط من : ظ ، س .

(٣) في : س . يتسع الكلام

(٤) في : س . هو الخليفة .

(٥) أي عن حجاب النفس

(٦) في : ظ . التي ينتجها الذكر

(٧) في : ظ ، س . المتغايزة .

والسعادة عندهم بحسب مقام النظر درجات، فيرون الله (١) يُبلغ إليه بالعلم والسلوك، أو بالسلوك وحده، ويكون مقامه في الآخرة من ذلك (٢) حيث انتهى إليه في الدنيا، وقد يصل إليه في الآخرة من وصل إليه بعلمه في الدنيا، من غير مشاهدة، بشرط تعلقه به، وزهده فيما سواه فلا يحويه من فكره إلا حالة الموت، من دون شك ولا غفلة. وتتلوه سعادة الصوفية، الذين يعتقدون في السعادة نحواً مما أتت به الشريعة. وربما سلكوا (٣) في التجرد والترقي طريق العارفين (٤)، لكن العارف يعرف غايته قبل شروعه، فيصل في يوم واحد (إلى) (٥) ما لا يصل إليه غيره في المدة الطويلة، والصوفي ربما عرض له في السلوك إدراك بعض الصور العقلية، فوقف عندها (٦)، ما لم يكن له شيخ يرشده لذلك. قيل: الصوفي يسير، والعارف يطير، وأين السيار من الطيار.

تكملة :

وافتقر صحيح المشاهدة [١٠٧] إلى العلم والعمل، فالعمل لتصفية النفس من الكدورات، وتطهيرها، ونقلها عن عوائد السوء، التي هي بمنزلة الصدا من المرأة، وأما العلم فلتصحيح اعتقادها، ومحاذاة سمت الحق، لئلا يتوجه العمل في غير سمت. فالعابد (٧) يصني نفسه لا أزيد، والعارف يصحح معتقده، فهما صني نفسه بعد إدراك الحق رفعه.

(١) في: س فيرون أنه . (٢) في: ظ، س. ويكون مقامه من ذلك في الآخرة

(٣) في: س. وربما ملكوا.

(٤) الواقع أنه لا فرق بين العارف والصوفي، إلا من حيث أن العارف هو نهاية الصوفي، فالصوفي يسلك حتى يصير عارفاً إذا كان لديه استعداد للوصول إلى مرتبة العرفان، والمراد بأن العارف يصل في المدة القصيرة إلى ما لا يصل إليه غيره في سنين طويلة، المراد بالغير، غير السالك طريق المعرفة من العباد، والمراد بالصوفي الذي يسير، السالك إلى المعرفة كذلك.

(٥) ساقطة من الأصل . (٦) في: ظ، س. فوقف عنده

(٧) في: س فالعارف خطأ

الفن الرابع

فن من بعدهم من المتهتمين بزعمهم^(١) المكملين

مثل ابن الفارض ، وسعد الدين الفرغاني^(٢) ، وحجي الدين [ابن عربي] الحاتمي ، وابن سودكين الدمشقي ، وأبي بكر بن العريف ، وأبي الحكم ابن بروجان ، وأبي الحسن بن قسي ، وأبي العباس البوني^(٣) .
ورقة :

قال المؤلف رحمه (٤) : جادة هذه النحلة ، مبنية على حديث : كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني . . وهو عندهم في صحة الاستناد^(٥) إليه ، بمنزلة حديث التواتر عند المجتهد . فقالوا ما معناه : إن الحق لم يدرك من كنهه إلا الإينية والوحدة ، وأن تلك الوحدة الأزلية المحيطة نشأت عنها الأحدية والواحدية ، فكانت جامعة وبرزخا بينهما ، كما كانت المحبة جامعة بين المحبة والمحبة ، والكل عين واحدة ، وهي عين ذات الحق ، وتلك الوحدة المرسله تسمى من حيث سقوط الاعتبار أحدا ، ومتعلقها بطون الذات وإحاض لإطلاقها من حيث ثبوت الاعتبار غير المتناهية واحدا ، ومتعلقها ظهور الذات ، وكأن الواحدية للأحدية ، بمنزلة المظهر للتجلي^(٦) ، أو المادة للصورة . والواحدية تصح لها الإضافة ، وإلحاق الاعتبار ، ولا يصح شيء من ذلك إلى الأحدية وصفا^(٧) ولا حقيقة^(٨) ، حتى زعم بعضهم أن الواحد الأحد اسم مركب .

(١) في : س بزعم المكملين

(٢) في : س ، الأصل ، سعد الحق الفرغاني ، والفرغاني سعد الدين صاحب « منتهى المداك » شرح تائية ابن الفارض

(٣) في : س وأبي العباس بن البوني

(٤) في : س ، ظ رضى الله عنه

(٥) في : س ، ظ ، س في صحة الإسناد إليه

(٦) في : س ، ظ وضعاً

(٧) في : س لا حقيقة

وألقيت الاعتبارات والآثار التابعة للواحدية بمنزلة أجناس عالية ،
هي مسمى ألفاظ تدل على حقائق أسماء الذات ، ومنها [ما هو] بمنزلة
أنواع ، (ومنها (١)) [ما هو] بمنزلة أشخاص غير متناهية تثبتت في
المراتب الوجودية ، بحملة في العرش ، مفصلة في الكرسي دفعة واحدة .
ويأتى الكلام فيها .

ثم تفصلت في السموات والأركان على التعاقب ، إلى أنهى مراتب
الكون (٢) مثالا وحسا . ثم إن الوحدة التي كانت عين التعيين البرزخي
الجمعي ، وهو عين الذات ، وهو أيضا عين قابليتها لحكم البطون
والغيب ، وإنتفاء الاعتبارات ولحكم ظهورها وما تضمنت من مشبة
حكم أديتها لنفسها إجمالا ثم تفصيلا ، تشفع الوتر وتوتر الشفع ، في عين
واحدة . فصارت أصل السكل قابلية ، (٣) وفاعلية ، فكانت بين بطونها
وظهورها كالمترددة في نفسها مع نفسها ، وكان الكمال الأسمانى متعلق ذلك
الظهور حديثا وإخبارا ، معنويا كليا (٤) . وكان في القابلية الجامعة ،
قابلية لإصغاء الذات وملاحظتها نور جمالها وكمالها ، المتعلق بالإصغاء
والتأثير بذلك الحديث (٥) أو عنه ، لرفع حجاب جلال الغيب
والبطون . وأبطنها الذى هو اللا ظهور ، إذ كان الظهور واللا ظهور في
حكم هذه [١٠٧ ب] القابلية على السواء ، فغلب (٦) بأثر هذا الحديث والمحبة
حكم الظهور ، فتجلى الذات الأقدس على نفسه ، بحكم (٧) ذلك ، فظهر
لنفسه في نفسه ، وتضمن هذا التجلى من حيث الحديث والإخبار المذكور
كما لا مضافا إليه ، وإحساسا بذلك السكال ، كان أصل الحياة والعلم والقدرة
والإرادة ، وحكم تحقيق تفصيل السكال بحقيقة الجود ، بإفاضة الإيجاد على

(١) ساقطة من : ، س

(٢) فى الأصل الذى أنهى مراتب الكون

(٣) فى : ظ ، س فصارت أصل كل قابلية

(٤) فى : س ومعنويا كليا .

(٥) فى الأصل . لذلك الحديث .

(٦) فى : س فغلب بأثر هذا الحديث . (٧) فى : ظ فبحكم ذلك .

كل حقيقة . وبرزخية التعيين الأول بحقيقة العدل والإقسط في القوايل كلها . والكل عين واحدة في التعيين الأول .

وأول مراتب العلم ، هو عين الذات ، المعبر عنه بحقيقة الحقائق الكلية ، وسريانه في كل اعتبار . ففي الإلهية إلهيا ، وفي الكونية كونيا ، والكل مظهره . ويتضمن هذا التجلي حقيقة السكال ، وهي حصول ما ينبغي (كما ينبغي) (١) وهو قسيان : ذاتي وحداني (٢) . يلزمه الغنى ، معناه شهود الذات نفسه من حيث الواحدية . التي هي مظهر للأحادية بجميع الإعتبارات والشؤون ، معنويها ومثاليها وحسيها ، دنيا وبرزخا وآخرة ، دفعة واحدة ، (من حيث الكل في شهود الحق عينا واحدة) (٣) ، كما يشهد المكاشف في حبة البر السليل والجبوب . وأسمائي مفصل في الأسماء والحقائق ، بشرط أشياء : من تعيين ، وغير نسي (٤) ، وتركيب معنوي ، كما أن نحقق السكال الذاتي من غير شروط .

وحقيقة السكال الأسمائي (٥) في تفاصيل الحقائق ، هو ظهور الذات لنفسها من حيث كليتها واعتباراتها . شأن كل جامع أفرادها بالفعل (٦) ، وهو الإنسان الكامل . ولذلك قيل فيه : نسخة وظل ومثال ، ويسمى هذا التعيين النفس بأسماء كثيرة مع توحد (٦) عينه ، فسمى عالم المعاني ، والحضرة العمانية ، وغيرها . ولهذا التعيين وما تعين به وفيه ، وحدة ، وكثرة

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

(٢) في : ظ وجداني .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٤) في : ظ ، س وغير نفسي .

(٥) في : ظ ، س الأسمائية .

(٦) في : س بالعقل .

(٧) في الأصل : توحيد عينه ، والترجيح من : ظ .

(وبرزخ) (١) فن أعيان كثرته حقيقة القلم واللوح، (ثم) (٢) حقيقة الطبيعة ،
ثم حقيقة الجسم ، إلى أن تنتهى إلى آدم حقيقة وجودا . وكل واحد ما
ذكرنا مشتمل على أنواعه وأشخاصه متميزة مرتبة في العلم الأزلى .

وأما البرزخ (٣) الذى انتشأ منه الطرفان ، فله اعتباران : أحدهما ،
غلبة حكم الوحدة والإجمال ، والثانى : غلبة الكثرة . أما اعتباره الكثرى (٤)
التفصيل ، فهو الحضرة العمائية . وهو مشتمل على (الحقائق) (٥) السبعة
من الأسماء ، وأشملها حقيقة الحياة . وهى مستوعبة جميع الحقائق .
وحقائق الكل أولى العزم مندرجة فيها . وحقائق الكل من المحمدين
مندرجة فى هذه البرزخية ، ظاهرة بصورة القطبية . وحقائق السبعة
الأبدال ، مندرجة فى حقيقة القطب ، ومتعينة فى الحضرة العمائية .
وحقائق الرسل أيضا متعينة فى الحضرة العمائية ، وهى كلها تفصيل الحقيقة
المحمدية ، المسمى بحقيقة الحقائق ، السارية فى الكل سريان الكل
فى جزئياته .

ثم تفرع من الحقائق المنتشرة منها حقائق الأشياء ، كليات (٦) ،
وأجناس ، وفروع ، وفروع فروع ، تمتش فى (طرفى) (٧) حضرة
العلماء المسميين بالوجوب والإمكان . وكل ما كانت نسبته (٨) إلى الوجوب
أقوى (٩) ، كانت حقيقته علوية فلكية . أو إلى الإمكان كانت سفلية من
المولدات . وما مال من الحقائق الإنسانية إلى [١٠٨] الإمكان ، فهمى

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٣) فى : ظ البروح . تحريف .

(٤) فى : س التكررى . (٥) ساقطة من : ظ .

(٦) فى : ظ كلها . (٧) ساقطة من : ظ .

(٨) فى الأصل ، ظ نسبة إلى الوجوب .

(٩) فى : س : أقرب .

حقائق الكفار . أو إلى الوجوب ، فهي حقائق المؤمنين والاولياء ،
وبحسب الميل يتفاوت الاستعداد والدرجات في قبول نور الإيمان ،
وأثر الهداية .

وفي هذه الحضرة العمانية يظهر الحق (١) بصفات الخلق ، (فيضاف إليه
ما يضاف إليه من التعجب وغيره . ويظهر الخلق بصفات الحق) (٢) عند
تخلصه من قيود الكثرة ، كإحياء الميت ، وإبراء الآكاه .

والمراتب الكلية وتسمى عوالم وحضرات ، هي مظاهر ومجالي
للحقائق المنسوبة إلى الحق ، أو إلى الكون . وتنحصر في أقسام منسوبة (٣)
إلى الحق ، كالإلهية والرحمة والوجوب . ومنسوبة (٤) للكون ، كالفقر
والعدمية والإمكان . وللحق بالأصالة ، وللكون بالتبعية ، كالعلم والإرادة .
ومن الجميع كاية كحقيقة الإنسان والعلم ، وجزئية كحقيقة زيد وعليه ،
(ولوازم) (٥) وأعراض كالنطق والحياة .

ولما كانت مجالي ، كان ما يظهر فيها إما للحق وحده ، أو له وللأشياء .
والأول مرتبة الغيب . أو يظهر منه للأشياء الكونية ، فإن ظهر للبسيطة
في ذاتها سمي مرتبة الأرواح ، أو للركبة الموجودة ، فإن كان اللطيفة التي
لا تقبل الخرق والالتئام سمي مرتبة المثال . أو كشيقة ، وتقبل ذلك
(بمجلاها) (٦) سمي مرتبة الحس . (وعالم الشهادة) (٧) .

(١) في : س . يحصر الحق .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٣) في : ظ ، س . منسوب إلى الحق .

(٤) في : ظ ، س . منسوب للكون .

(٥) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٦) في ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٧) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل ، ظ .

ورقة :

وحقائق الأسماء (١) الإلهية القائمة بالذات ليست (٢) أعيان الأسماء الحروف ، إنما هي الألفاظ ، أسماء تلك الأسماء ، وأسماء الله حقيقة نوعان : سلبية ، وثبوتية ، تنحصر في أسماء ذات ، وأسماء صفات ، وأسماء أفعال .

فجلى أسماء الذات المرتبة الأولى ، وهو البرزخ الإنسانى ، ومجلى أسماء الصفات ، الحضرة العمائية ، وهى تفصيل البرزخ . ومجلى أسماء الأفعال جميع المراتب الكونية ، بتجلى الحق للخلق ، من جهة الأفعال . ثم لم تبد إلا فى مظاهر كونية روحانية ، أو مثالية ، أو حسية .

وتجلبه من جهة الصفات لم يحصل إلا بالتجرد عن جميع أحكام المراتب الكونية . وتجاها من جهة الذات لم تلتصق بارقة من بوارقه إلا بانفراد (٣) عن أحكام التكثيرات . وهذا الانفراد يحصل بالفناء الحقيقى . وجميع التعينات الاسماء والصفات ، مما تعين أو تجلى بصور اسم إلهى أو كونى . فالمحبة الأصلية (٤) التى كان الذات يحدث بها فى الذات ، وهى السارية فى كل أمر أو حكم (٥) ، ولما كان غاية هذه المحبة ، تمام كل جلاء (٦) واستجلاء ، متعلقه ظهور تفصيل الأسماء والصفات ، فى جميع العوالم ، لم يخل شيء من أثر المحبة والعشق أصلا ، فظهر فى كل شيء بحسب الشيء ، وسرت المحبة الأصلية بمفاتيح الغيب فى هذه الأصول ، [و] امتلا الوجود

(١) فى : ظ . الأشياء الإلهية

(٢) فى : س جميع الأصول . وليست . والسياق يقتضى ما اخترناه

(٣) فى : س . إلا الانفراد .

(٤) فى : س . فالمحبة الأصلية

(٥) فى الأصل . فى كل أمر وحكم

(٦) فى : س . تمام كال جلاء .

فى : س تفصيل الأشياء .

والحقائق طلبا وعشقا وتوجها إلى السكّال ، فانتفض الاسم الحقّي (١) لما يخصه من إظهار التدبير الكلي ، وتقدم الاسم العليم (لتفصيل التدبير ، وتوجه الاسم المدبر لترتيب ما فصله الاسم العليم) (٢) ، وانتدب الاسم القابل (٣) . (لإفاضته ما يفيض الاسم [الخالق]) (٤) إلى مباشرة ذلك الحكم بكلمة . « كن » ، وشمّر الاسم القدير (٥) لإظهار حكم القابل ، وإفاضة (٦) ما يفيض . الاسم الجواد من عين الرحمة . وسارع الاسم الجواد إلى إفاضة الوجود [١٠٨ ب] وسبق الاسم المقسط ، إلى تعيين مرتبة ما يظهر بها المكوّن (٧) .

فأول ما قبل أمر التكوين بلا واسطة (٨) ، حقيقة العلم الأعلى ، (ثم) (٩) بواسطة القلم واللوح المحفوظ . وكان الإجمال على حقيقة القلم أغلب ، والتفصيل على حقيقة اللوح (أغلب ، وكان لكل من الأصول السبعة (المذكورة) (١٠) (في اللوح) (١١) مظهر من الأرواح المقدسة قد عينه الباري في صورة روحانية ، مع حكم اشتغال الباقي (على آثار الباقي) (١٠) (فكان لإسرافيل مظهر ركن الحياة ، وجبريل مظهر ركن العلم) وميكائيل مظهر ركن الإرادة ، وعزرائيل مظهر ركن القدرة ، وجميع الحقائق الإلهية من نواحي هذه الحقائق الأربع .

ثم إن النفس الرحمانى الذى هو عين الرحمة السابقة ؛ لم يوجد شيئا من

(١) في الأصل الاسم الحى ، والرجيع من : ظ ، س لأن التدبير الكلى من خصائص الاسم ، الحق «خلق السموات والأرض بالحق»

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل

(٣) في الأصل : القائل .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س .

(٥) في : س وتسموا الاسم القدير .

(٦) في : ظ ، س وإضافة

(٧) ظ ، س إلى نفس مرتبة يظهر بها السكون .

(٨) في : ظ ، س بالواسطة (٩) ساقطة من : ظ ، س

(١٠) ساقطة من : ط (١١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س

الممكنات (١) إلا كان كاملاً في ذاته ، لم يفتته شيء من كلالته ، وحيث شاء ذلك مد ظل نوره ، بإيجاد العالم ، بحكم الاقتضاء الحبي ، (٢) والتوجهات والاجتماعات ، من الأصول الاسمائية . وبأشكال الأمر الإيجادي فظهر (٣) أثر منه ، وظل مفاض في مرتبه الأرواح ، التي نسبتها إلى مرتبة الغيب أشد ، كما أن الأجسام نسبتها إلى الشهادة أقوى ، فكان ذلك الأثر عين القلم ، (ثم ظهر من حيث إجمال القلم) (٤) أثر من النقص المفاض ، صورة اللوح بوجوه (٥) وأركانه ، وما تضمن من الكلمة القولية والفعلية ، والصور الروحانية ، من ملكوت كل شيء ، فكان أركانه الملائكة الأربعة .

ثم إن أثراً منه بحكم الاقتضاء الحبي ، ظهر من باطن اللوح من وجهه الرابع ، وهو وجه تنزله ، (٦) وتصوره بصورة الطبيعة (٧) ظهر بصورة (٨) الهباء ، وهو مادة قابلة لجميع الصور الطبيعية والعنصرية ، مركبة أو بسيطة . فكان أصلاً يشتمل على كل جوهر فرد . وله أركان حراره وبرودة ، ورطوبه ويوسة . وهو أول مظهر تحمل الوجه الرابع من اللوح وأركانه البساط مظاهر وجودية للأركان المعنوية ، وهي الحياة والعلم ، والإرادة ، والقدرة . فلذلك كانت الحرارة أخص لوازم الحى ، وأثر العلم يوصف بالبرد والتلج ، والرطوبة من لوازمها السيلان وهي مناسبة للإرادة ، واليوسة والقهر من لوازم القدرة .

فالهباء جملة تفصيل (ملكوت) (٩) كل شيء ، ولا ارتباطه ومناسبتة بالحضرة العمانية (التي نسبتها (١٠) إلى طرفي الوجود والإمكان ، سواء كان

-
- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) في : ظ في المحكنات | (٢) في : س : الاقتصاد الحسى |
| (٣) في الأصل ، مظهر | |
| (٤) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، ظ | |
| (٥) في : س فرجوعه | (٦) في : ظ جهة تنزله |
| (٧) في : ظ ، س بصور الطبيعة | (٨) في : ظ ، س بصورته |
| (٩) ساقطة من : ظ ، س | (١٠) ساقطة من : الأصل ، وزيدت من : ظ |

أول حصة من الحضرة العمانية (١) وتسمى تلك الحصة بمرتبة المثال ، وكان الفعل إلى مظهرى الإرادة والقدرة ، وهما الرطوبة واليوسنة . وحصل الامتزاج بظهور سريان الاقتضاء الحبي ، كأنه نتيجة اسم الطبيعة (٢) وكانت برزخا جامعا بين الأركان . وانبسطت الطبيعية بالاقتضاء الحبي ، والتوجهات الأسمائية ، إلى كمال الجلاء انبساطا تاما ، وحدانيا (وتصورت بأقرب الصور إلى الوحدة الذى هو الاستدارة ، ولما عين البارى لها هذه الصورة ، كان (٣) عرشا بسيطا (٤) مستديرا ، محيطا بجميع عالم الصور ، ثم هيأ لها حياة أخرى . دونه بحسب الحكم النزولى ، إلى إنهاء السكثرة ، وأثره الثابت فى السكون الهبائى ، وتلك الهياة تسمى العرش (باعتبارها فلك الأفلاك ، والأطلس فلك البروج ، وهذا العرش) (٥) مستوى أمر الرب يعطى منه مادته أى صورة شاء ، وهو أعنى [١٠٩] هذا العرش معطى صورة الزمان ، بحركته الدورية (٦) فتم ظهور أمر الوجود ، وبلغ الغاية من حيث هذه الأحوال وتوجه إلى تركيب الجواهر وتفصيل الصور

ثم اقتضت الحقيقة الحية والاجتماعات الأسمائية . ومظاهرها ، أن يتعين من كون الهباء وأركانه ، صورة قابلة للتفصيل تكون مظهر اللوح فعين لها صورة مستديرة ، قابلة لتفاصيل الصور المخنوية ، تسمى الكرسى وتسمى فلك المنازل . ولما انعم عالم المثال بهذه الصورة (٧) وبقي من عالم المثال ما يقبل التركيب ، والصور السكثيفة المركبة التى يمكن تجزئتها ، بحكم تركيب هذه الأركان وامتزاجها ، حصل منها بحكم الاقتضاء (٨) الحبي والاجتماعات الأسمائية ، من هذا السكون الهبائى وأركانه ، مرتبة الحس التى

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ

(٢) فى : س كان نتيجة اسم الطبيعة

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ

(٤) فى الأصل : وجدانيا عرشيا

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، س

(٦) فى : ظ بحركة الدورية . (٧) فى : الأصل ، ظ : الصور .

(٨) فى : س لحكم الاقتضاء . . .

صار الزمان مظهرا لها من وجه ، بحيث ارتفع التمييز بين هذه الأركان وآثارها ، وهى المادة المرتوقة ، المشار إليها بقوله تعالى : « كانتا رتقا » . ولها أركان أربعة ، هى أركان الطبيعة . وتحرك هذا الفيض الأعظم ، الذى هذه المادة من بعض مظاهره ، بحكم الاقتضاء الحى ، قال بها ميلا شوقيا إلى الكمال المتعلق بصورتها ، فأوجب مخضة قوية ، أظهرت أثر (قويا) (١) من الحرارة ، فارتفع ما كان منها ألطف على هيئة بخار أود خان ، وحداني الثنعت ، فكان رتق السموات ، ثم تميزت الأركان فقسم أكشف كان ركن التراب ، وقسم ألطف كان ركن الماء ، وقسم ألطف كان ركن الهواء ، (وقسم ألطف كان ركن) (٢) النار .

ثم لما تعين من الركن الهبائى ، ما كان قابلا للصور الجسمانية ، وصيرت (٣) منه القوابل اللاطيفة الفلكية ، والقوابل للصور الأرضية ، برز المرسوم من اسم الله والرحمن ، إلى الاسم المصور ، أن يعين لحقائق هذه الأحوال الأسماوية مظاهر سماوية ، وصوراً فلكية ، ونورانية كوكبية تؤثر باجتماعاتها وتوجهاتها فيما تحتها ، فتحدث الصور المركبة أجناسا وأنواعا من المولدات ، فتحركت فى مرتبة الحس حركة دورية ، من حيث نقطة مركزها ، تصورت منها إلى ودائعها ، (٤) وكانت لمظهر صفة (الحياة) (٥) وغلبة الحرارة ، وعين الاسم المصور بمرسوم اسم الحى مظهرا نورانيا كان الشمس ، وهى كالنفس لهذه السماء ، ثم عين فوقها ثلاث سموات ، وتحتها كذلك ، ولكل واحدة نفس مدبرة ، وكل كوكب مظهر لاسم متعين لحقيقة كانت تلك السماء مظهرا (لها ، فكانت الرابعة مظهر صفة الحياة ، والثالثة مظهر صفة الإرادة ، والثانية مظهر صفة) (٦) الإقسط ، والأولى مظهر (صفة) (٧)

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، س .

(٣) فى : ظ ، س . وحيزت . (٤) فى الأصل ، ظ . أولى ورابعة .

(٥) ساقطة من : س .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

العدل ، والخامسة مظهر (صفة) (١) القدرة ، والسادسة مظهر صفة العلم ، والسابعة مظهر (صفة) (٢) الجود . وكل كوكب مظهر الاسم المنسوب إلى تلك الصفة ، وكانت هيئاتها وآثارها مظهرة آثارها في عالم الكون والفساد ، فظهرت في النشأة الحسية أجناس صور المولدات وأشخاصها ، بحكم الأمر الكلي الساري في الأعيان ، ثم بعد هذا الفتق في الأركان والسموات بحكم المحبة ، تحركت المادة [١٠٩ب] المرتوقة ، فافتقت فكانت أرضا وصورها الاسم المصور كرية ، وتعين من الحركة المضافة للعرش ، المقدار اليومي . وصارت محكومة للزمان ، ولما ظهر أثر النفس الرحاني ، بصورة العنصر الأعظم ، وأنفتق رتق الطبيعية البسيطة على أقسام ، وكشفه المركب على أقسام ، من أركان أربعة ، وأوجه ثلاثة ، وتعلبت رتبة الاعتدال المعدني وقبل من الاسم المصور ، صورة معدنية :

ثم تنزل الأمر في الأركان إلى التركيب ، فكان الاعتدال النبائي واستدعى من الاسم الحى روحا نباتيا ، ثم تنزل الأمر إلى التركيب ، فتعلبت رتبة الاعتدال الحيواني ، فكان قبول صورة الحيوان من الاسم الحى القيوم روحا تدبره وتراعيه . واستدعى إحكام الأمزجة ، ومغالبة الأركان ، تنوع الأنواع . ثم اقتضى تنزل الأمر الإلهي ، والتنفس الرحاني من كونه مفاضاً إلى الركن الترابي ، والتركيب المازجي ، الذى أصل أجزائه منه تعين في عين هذا المنتهى الأرضي رتبة الاعتدال الشاملة لجميع المراتب (٣) البرزخية السفلية والعلوية ، وهى صورة البرزخ الأول والثاني ، وهما أبطن بواطن الحقيقة الإنسانية ، [وهى] صورة معقولة ، والازاج التام الاعتدال صورته أيضاً محسوسة ، والروح الجامع المنفوخ الإلهي (٤) ، صورة تجلى النفس الرحاني الظاهري . فكما أن هذا الروح الجامع بين الوجود والعلم المتعلق بالمعلومات الجميلة ، والأسماء والصفات الإلهية والمزاجية ، صورة

(١) ساقطة من : ظ ، س . (٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) في : س : الشامل جميع المراتب . (٤) في : ظ ، س . والروح الإلهي المنفوخ

حقيقية البرزخ الجامع بين الأحدية والواحدية الذاتية ، وظل التجلي الأول العيني (١) الحقيقي . فلذلك هذه الرتبة الاعتدالية والمزاج الإنساني الحاصل كانت صورة البرزخ الأولى والتجلي ، بما اشتملت عليه من الأسماء والحقائق الباطنة والظاهرة ، كما قال : إن الله خلق آدم على صورته . فكان آدم جامعا كل ما جمعه البرزخ (٢) والتجلي ، من حيث الأسماء والصفات والحقائق الإلهية والسكونية ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جامعا كل ما جمعه البرزخ الأول جمعية حقيقية أحدية ، وكانت الملائكة ظاهر أوصاف حقيقية آدم ، فلما ظهر أثر حركة المحبة إلى تمام الاستجلاء ، وحركة المفاتيح ، وفي باقي الأصول والفروع الأسمانية ، توجهت المظاهر الروحانية وهى الملائكة ، بحسب رتبهم المثالية والحسية الفلكية الكوكبية ، بعد تحقيق التشكيلات (٣) ، إلى تسوية المزاج الإنساني بعد التطوير الترابي والطيني (٤) والحقى والصلصالى ، فلما تمت التسوية باستعمال اليد الرحمانية ، المتعلق بها ظهور الحكمة فى النشأة الأخرى ، باليمين التى تتعلق بها آثار قدرته ، فنفخ (٥) فيه من روحه ، وهو توجه وجه ظهوره السكلى ، لتوجيه هذا المزاج .

فلما تمت صورة آدم وصار روحا لعالم النشأة (٦) ، وتجلي كاملا لظهور صورة الحق وأسمائه وصفاته ، أخذ الحق فى تكميله [١١٠] بعلم الأسماء (٧) ، ولما امتنع عليه علم الذات ، عرفه بذات نفسه ، فعرف ربه . فلما كان ما تركب من الأركان فى مراتب الاعتدالات والمولدات ، إنما هو من نتائج (٨) الأسماء والصفات بواسطة (٩) مظاهرها

- | | |
|-----------------------------|--|
| (١) فى : ظ . العيني . | (٢) فى : س ، الأصل . الروح . |
| (٣) فى : س . التشكيلات . | |
| (٤) فى : س . والطبيعى . | |
| (٥) فى : ط ، س . فينفخ . | (٦) فى : ط ، س . كساه العالم . تحريف . |
| (٧) فى : ظ . فعلم الأسماء . | (٨) فى : ط ، س . من نتائج الأسماء . |
| (٩) فى : س . بواسطة . | |

الكوكبية والفلكية ، فلم يوجد شيء غالبا منها لغير سبب ، واقتضى تأثير
الاسماء (١) والصفات الكوكبية بوساطة (٢) المظاهر أن يكون كل فلك
كلى ، مظهرا لحقيقة اسمية ، من الاصول والامهات . وكل كوكب
(مظهرا للاسم) (٣) كلى منها ، وأن تكون الغلبة والسلطنة (٤) في كل مدة (زمانية
لفلك من السبعة ، وكوكب هو نفس ذلك الفلك ، حتى يتعين في كل مدة) (٥)
ما كان وجوده من نوع ذلك الاسم . فتم حينئذ حكم كمال الجلاء .

ولما كان أخص خواص الصور الإنسانية (٦) النطق ، والقول الظاهري
الباطني ، كان مبدأ أدوار المظاهر لهذا الاستجلاء مظهر القول ، واسم القائل .
(فاقتضى التجلي من حيث الاسم القائل) (٧) بحكم الحقيقة الحية ، وتحريكها
للفاتيح الساري فيها التوجه الخاص إلى تخمير طينة آدم ، وكان موقفه في
برزخية السماء الدنيا ، مجاور كوكب القمر ، المختص بمظهرية القول ، فكان
صورة آدم الخليفة الجامع بين الكمالات (٨) مدشاً جميع الصور التخطيطية .
كما أن معنى محمد (صلى الله عليه وسلم) (٩) مدشاً جمع المعاني والحقائق
السبعة ، المسمى كل واحد منها بخليفة وكامل ، وأولى عزم . ومن شأنها
الثبات بين الحق (١٠) والخلق ، ولا بد لكل خليفة من ميزان كلى يسمى
شريعة . وإن كان قوليا كليا مشتملا على كل ما اشتملت عليه حقيقة الكامل
ووجوده ، فهو المنزل على الخليفة الكامل . وإن كان جزئيا فهو شرع

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٢) في : ظ بوساطة .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٤) في : ط ، س والسلطة .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٦) في : س الصورة الإنسانية .

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٨) في : س من الكمالات .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(١٠) في : ظ ، س . من الحق .

جزئى. وفى كل دور من أدوار المظاهر السكّية مظهر الخليفة من هؤلاء السكّالين ، ويكمل كل من كان من فروع (١).

ويظهر فى مدة سلطنة دَوْرَة كل خليفة ، سبع مظاهر للحقائق السبعة ، على منازل الأبدال فى الملة المحمدية ، وكذا الأقطاب ، ولما كان نزول التجلى ومروره على المراتب من إجمال وتفصيل ، وكان ذلك الإجمال اعتبارات الواحدة المدرجة فيه ، والتفصيل الذى يُجمع هو عين التجلى الثانى ، ولهذا الجمع والإجمال تفرقة ، هى كثرة المعلومات ، وجملة هذا التفصيل حقيقة القلم ، وتفصيله حقيقة اللوح ، وجمع هذه التفرقة هو العين الهبائى ، وتفصيلها العرش والكبرى ، وجميع الصور المثالية ، وجمع ذلك وجملة العنصر الأعظم ، وتفرقة وتفصيله الأركان والمولدات بصور أجناسها وأنواعها ، وبعض أشخاصها . والجمع الحقيقى الغائى^(٢) لهذه التفرقة^(٣) والتفصيل صورة آدم ، وتفصيله من حيث كليات ما كان^(٤) معناه جامعاً له هى حقائق الخلفاء والكمال^(٥) ، وجملة تفصيلهم الصورة المحمدية ، وتفرقة هذه الأحدية المحمدية حقائق الكمل والخلفاء والأقطاب والأبدال ، غير أن آدم عليه السلام [١١٠ ب] لكونه صاحب هبوط ونزول ، مظهر لجمع الإلهية فى المرتبة الثانية ، عند تنزل التجلى الباطنى (إليها)^(٦) ، وكان النبى جملة لما تفصل من آدم (عليه السلام)^(٧) صورة ومعنى ، كما كان آدم جملة لتفصيل العالم صورة ومعنى . وكان النبى مظهراً جامعاً للأسماء كلها فى الرتبة الأولى مجملًا ، وفى الثانية مفصلاً ، فكان اجتماع حقيقة الولاية فيه ،

(١) المراد من الفروع . الفروع المنوية ، أبناء الروح الآخذين عنه بالتلقى والتلقين .

(٢) فى : س القلبي .

(٣) فى حمير الأصول . بهذه التفرقة .

(٤) فى : ظ وتفصيل كليات ما كان معناه جامعاً له .

(٥) فى : ط والأقطاب .

(٦) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٧) ساقطة من : ظ ، س .

مع حقيقة النبوة على السواء . وكما أن تفرقة جمع صورة آدم^(١) ، كانوا خلفاء
ورسلا مندرجة فيهم الولاية ، فجمع تفرقة محمد (صلى الله عليه وسلم)^(٢)
أولياء وأقطاب ، مندرج حكم النبوة في ولايتهم . ولما كان القرآن أجمع
الكتب ، وترجمة أحكام حقيقة الحقائق ، ومتضمنا^(٣) وضع الشريعة
الكاملة ، [كان] مغنيا بحكم جمعته عن وضع كتاب آخر ، بالنسبة إلى
مظهر اسم كلى ، ولأن كل جمع وبجمل لا بد له من تفصيل ، كما أن آدم جملة
لتفصيل العالم ، مع أنه جمع لتفرقة الخلفاء والرسل ، وكان محمد (صلى الله
عليه وسلم)^(٤) جملة ذلك التفصيل ، ختم به لهذا المعنى^(٥) .

وجميع ما ينبغي أن يظهر آخر الأمر لهذه التفرقة ، صورة جملة تختتم به
ولايتهم ، فيتم به حكم الولاية^(٦) والخلافة والكمال في هذه اللشأة . وتكون
تفرقة جميعيته وتفصيله في اللشأة الآخرة .

وقد تقرر أن وجود كل اسم في مرتبة الحس ، محتاج إلى مدد وجودى
مرجح^٣ جانب بقائه على جانب فنائه ، والأسماء متفاوتة في الدرجات ، بسبب
مظاهرها من الأفلاك والكواكب ، وبحسب سلطنة الأدوار . فإن قدر
وجود شخص من حضره اسم^(٧) . إن كان ذلك الاسم كليا من الآئمة ، فيمر
متزلا على جميع المراتب بلا توقف ولا تعويق^(٨) ، أحدى السير^(٩) فيبدو
في صورة غذاء يتناوله الأبو ان^(١٠) ، ويستحيل نطفة ، ويستقر في رحم

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(١) في الأصل جميع صور آدم .

(٣) في الأصل ، ومتضمن .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) في : ظ . بهذا المعنى .

(٦) في : س القطابه . ولعلها . القطبانية .

(٧) في : ظ ، س . الاسم .

(٨) في : ظ ، س . ولا تفريق .

(٩) في : س . أحدى التسير .

(١٠) في : ظ ، س . تنناوله الأبدان .

الأم ، إلى أن يولد ويبلغ السكال ، ويصير مظهرا لما أسند إليه . وإن كان الاسم جزئيا ، تنزل مع تعويقات (١) وتوقيات في طريق تنزله ، ثم تتكون صورة النبات والحيوان ، فيقتضى اسما آخر يقابله فساد ، فيرجعان إلى أصلهما ، ثم يعود . فرما يتفق مرارا (أن يتعوق إلى) (٣) أن يتفق (٤) خلاصه ، وكل واحدة من هذه التعويقات (٥) تحدث في نفس الشخص غابة أحكام إمكانية ، وآثار طبيعية ، وعلل هي موجب إعراضه وغفلته عن توحيده الحق .

وترتيب فتح السالكين من القرب والبعد ، مبنى على تفاوت تلك الأحكام ، فيختص علاجها بالعلم (٦) الذي يعالج كلا بما يستحقه .

ولما تبين أن أصل انتشاء الأسماء الإلهية ، والحقائق الكونية ، إنما كانت حقيقة الوحدة بباطنها ، وهو عين حقيقة الحقائق في المرتبة الأولى ، ومظاهرها وهي البرزخية بحكم إجمال وتفصيل ، فالحكم الإجمالي حقيقة كل خليفه كامل ، ويجمعه التفصيل (٧) المسمى بالعماء ، حقائق سائر الأناسي ، فما كان مائلا إلى وسطه ، وغلبت [عليه] العدالة ، كانت حقائق الأنبياء والرسل والخلفاء من المتقدمين والمحمدين غير السكمل ، والأولياء والمؤمنين ، متفاضلة [١١١] بحسب القرب من عدالة البرزخية المذكورة ، وبحسب البعد عنها ، وما بين قابل الطرف والإمكان وحكم الكثرة جدأ ، كانت حقائق الكفار والمنافقين بالمزاج العنصرى ، الأعدل المحمدى ، صورة البرزخية الأولى . وقلبه حان وسطية هذه البرزخية ، وأحدية جمعها بين الأحدية والواحدية ، ومزاج سائر السكمل والخلفاء ، وأولى

(١) في : ظ تعويقات .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) ما بين الحاصرين . ساقط من : ظ .

(٤) في : ظ . إلى أن يتعوق . وفى : س . إلى أن يتعوق . تحريف .

(٥) في : ظ التعريقات . تحريف .

(٦) في : ظ ، س . بالعالم .

(٧) في : ظ ويجمعه التفصيل .

العزم والأقطاب من المحمدين ، صورة البرزخية ، لكن من حيث تفصيلها ،
وهي الحضرة العمائية .

ورقة

وبالجملة فإن أثر النفس الرحمانى ينزل من أعلى المراتب الكونية إلى
أقصى الحس ، وهي الأرض ، ففي (١) كل مرتبة ظهر بلباس مظهر روحانى ،
وظهر بخصائصه وأحكامه ، وفي الثانية بلباس مظهر آخر مثالى ، وفي الثالثة
حسى ، وبدأ بأوصافه فى كل رتبة ، لم يكن (مجلى) (٢) تنزله إلا أثراً من تلك
البرزخية ، التى هى على الحقيقة (٣) قلب تلك الصورة التى تلبس بها ذلك الفيض
الرحمانى . ولهذا القلب أيضاً قلب وحدانى ، وهو الذى قامت به الفطرة ،
فى كل واحد من المظهر ، والظاهر المتلبس بأحكام المراتب والصور
الروحانية (٤) والمثالية والحسية .

ولما ورد المدد الوجودى على كل ذرة (٥) ترابية مطيعة مُحبِّبة بتلى (٦)
أنينا طائعين ، لتعين مزاج عنصرى فى عرض الاعتدال الإنسانى ، ماراً
على المراتب الكونية (٧) مُلتبساً بصورها ، كما قلنا ، من غذاء إلى نطفة ،
ثم تطور حتى تمت تسوية مزاج إنسانى ، ثم ظهر من باطن القلب الصنوبرى
من أثر الحرارة الخريزية فى سويدها (٨) بخار لطيف ، قابل بنسبة للطاقة
(القوة) (٩) الحيوانية ، والمسعى ذلك البخار روحاً حيوانياً ، ثم نفخ عند

(١) فى : ظ فى كل مرتبة .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) فى : س : الذى هو على الحقيقة .

(٤) فى : س : المتلبس بأحكام المراتب والصورة الروحانية .

(٥) فى : ظ على كل دوره .

(٦) فى : ظ محبة ببل .

(٧) فى : ظ س المراتب الكوكبية .

(٨) فى الأصول ، ظ فى شواهده .

(٩) ساقطة من : ظ .

ذلك من الروح الروحانية: أثر روحاني معنوي تديري في ذلك ، بواسطة أو بغير واسطة ، نفخا معنوياً ، وكانت نفساً إنسانية حيوانية . وبإين بذلك الأمر الروحاني المتعين من العالم العلوى الوجداني ، بأوصاف وحدته وعدالته ونزاهته ، فصارت مغلوبة في آثار هذا البرزخ للروح الحيواني وأوصافها المتكثرة الإمكانية ، بحكم اقتضاء مرتبة الحس وسلطنة الطبيعة فيها . فكان ذلك الأثر الروحاني بتلك الغلبة محجوباً عن أصله وملشئته (ومبدئه) (١) وربه ، وذلك الفيض الرحاني أيضاً بحكم تلبسه بلباس الأحكام المرتبات ، والتركيبات والتعويقات والأطوار ، حجبَ بها عن أصله ، و(عن) (٢) أصل روحانيته من الملائكة ، فكانت كالتائم المعرض عن المحسوسات ، وكان حكم هذه الغفلة شاملاً حقيقة الفيض الوجودي ، والآثر الروحاني ، وحقيقة النفس الإنسانية ، فأنحرفت أخلاقها بالميل إلى جهة إفراط وتفریط ، وخفي بذلك الانحراف أثر القلب الاعتدالي في النفس (٣) والروح والسر ، واندرج حكمه وأثره فيها : بل استهلك بالنسبة إلى الأشخاص ، مثل استهلاك الصور الإنسانية أولاً من عين الحضرة المائية إلى جانب الحقيقة الإمكانية ، بحكم الرد لغير مُعلل ، المشار إليه في قولهم : « قبل من قبل لالعة ، ورد من رد لا لعة ، فمنها حكم السابقة [١١١ ب] المعبر عنها بالعناية الأزلية في شخص إنساني ، بحكم ميل حقيقته من الحضرة البرزخية إلى الحقيقة الإمكانية ، أو عدم ميلها أصلاً ، حتى ظهر من باطنه أثر النور (٤) الفطري الإيماني ، إما بواسطة سمعه ، أو بلا واسطة ، وآمن بربه ، وانقاد لحكمه ، ثم من بعد ذلك انجذب من عين هذه الحجب والأحكام ، وتخلص من قيودها سيره الوجودي المفاض على حقيقته . فعند ذلك تنبّهت النفس الإنسانية بباطنها وباطن باطنها عن نومها ،

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٢) ساقطة من س .

(٣) في س وخفي بذلك الانحراف القلب الاعتدالي في أثر النفس .

(٤) في ظ ، س أثر الروح .

وأحست بحجب كشيقة^(١) متراكمة ظلالهانية ، وقبود طبيعية منتشرة من أحكام عاداتها ، ومتابعة شهوراتها . وأحست بأنه وجب عليها بحكم هذا التنبيه^(٢) والاحساس ثلاثة أمور مهمة .

الاول : الأخذ في السير ، والرجوع من مقام أحكام عاداتها الزائلة ، بملازمة الأمر والنهي قولاً وفعلًا ، وهذا الأمر متعلق بمقام الإسلام .

الثاني : دخوله في الغربية ، من حيث باطها ، بالانفصال عن مقارها الحيوانية ، ووطن ظهورها بصور كثرتها ، والاتصال بحضرة باطنها ووحدته من الأوصاف والأخلاق الملوكية ، وذلك متعلق بمقام الإيمان .

وثالثها : حصول النفس من حيث سرها على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد ، بطريق الفناء عن الأحكام القيودية^(٣) ، ونفض طبيعتها عن أذيال حقيقتها ، وذلك يتعلق بمقام الإحسان .

ثم يبنون السلوك على الرياضة إلى مقام الجمع ، شأن من قبلهم . وأتقن ترتيباً ، وأكثر معارج ، فلينظر في أمهات هذا الرأي ، فليست الإحاطة والاستقراء من غرضنا في هذا الكتاب . وهذا الرأي نبيل ، وحاصله التأليف من رأى الفيلسوف بزائد^(٤) من الاسماء والحضرات ، وتعدد الوسائط ، والكلام في مرتبة النبي ووارثه ، ومستند دعاويه إلى الكشف في الأغلب ، لضعفها من جهة النقل ، وعدمها من جهة العقل ، فيجلبون من الآيات حججاً على ما يذهبون إليه ، الله يعلم هل تتناول ذلك ، إذ لم ينقل في تفسيرها شيء ، وأحاديث نبوية لم يثبت شيء منها في الصحيح ، ولا بنى عليها حكم . ولا أقل من أن يعرف متعاطي الأمور الإلهية هذا

(١) في : ظ ، س . كثير .

(٢) في : س . هذه النسبة .

(٣) في : س . العبودية تحريف .

(٤) في : س . وبزيادة .

المقدار من مبادئ الصنائع ، ولم يكن في التوقيف ولا في ترك الموضوع ضرورة ، وفي قليل الصحيح غنية ، وتأويل القضايا من السجود لآدم والمهبط من الجنة ، والحال في المعاد ، ربما يدعون في تأويل ذلك ضرورة ، وكتابنا غير موضوع للشحاحة . وهم محبون مستهلكون ، ومن مقررات (١) أهل العلم : أن الحديث إذا كان له ظاهر وباطن ، والباطن تأويل فالأصل الوقوف مع الحقيقة وهو الظاهر ولا يعدل إلى المجاز وهو الباطن في القضية ، إلا بعد انعقاد الإجماع على عدم إرادة الحقيقة منه ، هذا فيما يذهبون إلى تأويله من الحديث الصحيح ، وأما الموضوع فلا كلام فيه ، وعلى تقدير صحته والعدول عن الحقيقة فيه ، فهو خير (من) (٢) آحاد لا تفيد في العقائد .

(١) في : ظ ، س ومن . القدمات .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

الفن الخامس [١١٢]

في رأى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين

ومن اشتهر به (منهم) (١) الشوذى المنسوب إليه القوم ، وابن دهاق ، وأبو محمد بن سبعين وأصحابه ، مثل أبي الحسن الششتري ، وابن مطرف الأعمى (٢) ، وابن أحلى ، والحاج المغربي (٣) ، والجم الغفير من أهل شرق الأندلس ، وودى رقوط .

ورقة (٤) :

قال المؤلف رحمه (٥) الله : ارتكبت هذه الطائفة الشوذية والسبعينية وأصحابهم ، مرتكباً غريباً من القول بالوحدة المطلقة ، وهاموا به (وموهوا) (٦) ورمزوه ، واحتقروا الناس من أجله . وتقديره على سبيل الإطالة لا فائدة فيه .

وحاصله بعد الخوض في الذات وما صدر عن الواحد ، فيما خاض فيه غيرهم : أن الباري جل وعلا هو مجموع ما ظهر وما بطن ، وأنه لا شيء خلاف ذلك ، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة ، والإينية الجامعة ، التي هي عين كل إنية ، والهوية التي هي عين كل هوية ، إنما وقع بالآوهام ، من الزمان والمكان ، والخلاف ، والغيبة والظهور ، والالم واللذة ، والوجود والعدم . قالوا : وهذه إذا حققت إنما هي آوهام ، راجعة إلى أخبار الضمير ، وليس في الخارج شيء منه ، فإذا سقطت الآوهام صار مجموع العالم بأسره

(١) ساقطة من : س

(٢) يياض في : ظ ، س .

(٣) في : الأصل العربي .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) في : س ، ظ . رضى الله عنه .

(٦) ساقطة من : ظ وفي س . وموهوا .

(٧) في : س . من المكان والزمان

وما فيه واحدا ، وذلك الواحد هو الحق ، وإنما العبد مؤلف من طرفي .
حق وباطل . فإذا أسقطت الباطل (١) ، وهو اللازم بالأوهام ، لم يبق
إلا الحق . وصرحت بذلك أقوال شيوخهم ، فمنه قول ابن أحلي : « حق
أقام باطلا ببعض صفاته » . وقال الحاج المغربي (٢) : « وقد تعرض لما به وقع
التعدد وأنه وهم ، فالكل واحد ، وإن كان متفرقا ، فسبحان من هو الكل
ولاشيء سواه ، الواحد في نفسه المتعدد بنفسه » . وقال ابن أحلي من قصيدة

فيا عجباً منى ومنه وإنه لحق فريد ليس عنه عدول
قضاني فأبداني وغاب بما قضى وألزمي شوقاً إليه يطول
وقال :

وأتوب من شرك يفرق واحداً فاحكم بما ترضى على صبار
وقال :

فكيف هذا ولم يثبت تفرقنا إلا بلبس وأنت السر والعلن
وقال :

فلم أكابد^(٣) وهما عنك يقطعني ظلماً ويقسم لي ما ليس يفترق
وقال الشيخ عبد الحق ، كبيرهم الذي علمهم السحر :

كم ذاتموه بالشعبيين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
أصبحت تسأل عن نجدو ساكنها وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحى حى سوى ليلي وتسألها عنها سؤالك أيناً جر للعدم
وقال تلميذه :

كشف المحبوب عن قلبي الغطا وتجلي جهره منى إلى

(١) في : ظ ، س فإذا سقط الباطل .

(٢) في الأصل . العربي .

(٣) في س . . فكلم أكابد .

ويقول فيها بعد آيات :

أى سر ما بدا إلا لمن قد طوى العقل مع الكونين طى
ورآى الأشياء شيئا واحدا ورآى الواحد فردا دون شى

ورقة :

وقالوا : إن خطاب الله للعالم الجارى على غير هذه القاعدة ، هو تسمية
عليهم وتلبيس ، ليتم الملك بذلك ، ولو صرح للعالم بالحق كما هو فى نفسه ،
لم يتم الملك . وقد مر تصريحه بهذا فى قوله (١) :

عمى مع تلبيس به تم ملكه فرب ومعبود له ورسول

قالوا : فالحق إنما هى فهمه من قصر نظره على ضميره ، ولم يعرج (٢) على
الأغيار ، وجميع ما يتصور فى الضمير ويوجد دائما لا يتبدل ، إنما هو قوى
أربع : إحاطة ، وهى المشار إليها بأنا ، وإدراك ، وإرادة ، وتفصيل ، وهى
الخبر عن المدركات المتخيلات .

قالوا : فهذا ما يجده الإنسان من نفسه ، والثلاثة قوى منها راجعة إلى
الإحاطة (وغيره ، وغير مستقلة دونها ، وليسب الإحاطة) (٣) فى الافتقار
إليها كذلك ، وبمجموع هذه القوى تسمى الكمال فإذا تقييد (٤) كان عبدا ،
وإذا لم يصحبه التقييد (٥) كان الحق . والتقييد (٦) عبارة عن التزام

(١) لم يمر هذا البيت فى هذا الكتاب ، ولعله نقل من أحد كتبهم ، ولم يعطى إلى
هذه السقطة .

(٢) فى : س ولم يعرض .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٤) فى : ظ ، س فإذا تعبد .

(٥) فى : ظ ، س التعبد .

(٦) فى : س والتعبد .

الأوهام الواقع بها التعدد ، وأن التعدد وطرق التعدد من قبل العقل .
 وقالوا : الألم واللذة راجعان إلى الأخبار والمدركات ، والعالم لا يصح
 أن يقال فيه قديم ولا محدث ، إذ ذاك مبنى على الزمان ، والزمان وهم ،
 (إذ هو مقدار الحركة ، والحركة وهم) (١) وما ثم إلا خبر مجرد ، لاشئ منه
 في الخارج . وبالجمل فالمدركات وتقييدها بالأماكن من لوازم البشر ، وبها
 كانوا عبيدا لحصول التغير والتعدد بما يلزم من وهم المكان ، ويمثلون صدور
 ذلك كله عن (٢) الذات بحديث الراهب الذي استلقى في بيته ، وله جرة سمن
 معلقة ، فقال أيعمها بكذا ، وأشترى بقره فتلد كذا ، وأشترى بسمن ذلك
 ضبعة ، تغل كذا وكذا فأشترى كذا إلى أن ملأ الأماكن والأحواز مالا
 وطعاما ، وماشية وعبيدا وأثانا ، ثم قال : وأتزوج امرأة تلد لي ولدا ،
 أعلمه الحكمة ، وأجبره على تحصيل العلوم الإلهية ، وأكلفه كذا وكذا ،
 فإن تمنع أو قصر أضربه بالعصا هكذا ، وأهوى بعصاه فأصاب الجرة
 فأعدمها ، ولم يصح من كل شئ إلا وجود الراهب (٣) قالوا : وإليه الإشارة
 بقوله : يحسبه الظمان ماء حتى إذ جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده (٤)
 وهم مع ذلك يتحدثون في الصنائع والعلوم ويستدلون على صحة دعواهم
 ولهم في العلوم الشرعية مرتكبات غريبة مع أن هذه كلها عندهم حضرات
 الوهم ، صحيحة في أنفسها ، أو ضروريات من حيث عالم التقييد (٥) ،
 وباطلة في الأصل .

وينفرد بسر الوجود المكتوم من بلغ درجة العارفين ، وهم أهل
 التحقيق . والتحقيق يطلقونه على هذا العلم ، وإن العلماء بالله ومن فوقهم

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

(٢) في : ظ ، س من الذات .

(٣) على هامش الأصل هذه العبارة (هذا مذهب الحسبانية ، وليس مذهب الصوفية) .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٥) في : س التفسير .

عن أنبياء الله ورسله وأوليائه علموه ، وخصوا به من رأوه أهلاله ، ودعوا الخلق إلى الله من باب التلييس والحجب ، لقصر عقولهم عن ذلك ، واختلال السياسة التي تحوطهم وتجمعهم ، ويحملون القرآن والحديث بواطن تدل على صحة رأيهم .

وقال الشيخ عبد الحق [بن سبعين] في بعض كتبه [١١٢ ب] : « وهذا الذي نريد أن ننبه عليه هو بما لم يسمع في عصر ، ولا قيل إنه ظهر في دهر ، ولا بما علم أو دون في فلاة ولا مصر (١) وهو مأخوذ من كلام الله ورسوله » .

والدرجات عندهم ، أولها : الصوفي ، للتجريد ، ثم المحقق ، لمعرفة الوحدة ثم المقرب ، وهو الذي اجتزأ بالعين من عين عينه (٢) عن الأثر . قال أبو محمد : فلا تكن صوفيا إلا في الخذف (٣) والتجريد (٤) والسلب خاصة . وقال في موضع آخر : « ينور بصيرتك بنوره الذي ظهر بنفسه ، وظهر به كل شيء . إن مسح وجود الشفع في الوجود ، أو حقيقة لغير القديم الودود (سبحانه لا إله إلا هو) » (٥) وقال أبو الحسن الششتري ، من كبارهم ، هذه الفصيدة الشهيرة ، وهي من أمهات أقاويلهم ، فإنها اشتملت على إشارات رأيهم ، وموازين الناس عندهم ، ولها حكاية تخرج عن الغرض ، وهي من باب اللسان خاملة .

أرى طالبا مني الزيادة بالحسنى (٦) بفكر رمي سهما فعدى به عدنا وطالبنا مطلوبنا من وجودنا نغيب به عنا لدى الصعق إن عنا (٧)

(١) في : س ولا حضر .

(٢) في : س عن عين عينه .

(٣) في : ظ ، س إلا في الحديث .

(٤) في : ظ ، س والتجرد .

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٦) في : (لا الحسن) .

(٧) في : ظ (إن غنى) .

تركنا حظوظنا من حضيض لحوظنا

إلى المقصد الأقصى^(١) مع المطلب^(٢) الأسنى

ولم نلف كنه الكون إلا توهمنا وليس بشيء ثابت هكذا الفنيا
فرفض سوى فرض علينا لأننا . - بيلة محو الشك والشرك قددنا
ولكنه كيف السيل لرفضه ورفضه المرفوض نحن وما كنا
فيا قائلا بالوصل والوقفة التي حجبت بها اسمع وارعوى مثل ما أبنا
تبدت لك الأوهام لما تداخلت عليك ونور الحق أو ردك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها ومنبعها من أين كان^(٣) فما همنا
وقد تحجب الأنوار للعبد^(٤) مثل ما تبعد من إظلام نفس حوت ضغنا
وأى وصال في الحقيقة^(٥) يدعى وأكل من في الناس لم يدع الأمننا
فلو كان سر الله يدرك هكذا لقال لنا الجمهور هانحن ما خبنا
فكم دونه من فتنة وبليّة وكم مهمه من قبل ذلك قد جينا
وكل مقام لا تقم فيه^(٦) إنه حجاب فجذ السير واستنجد العونا
ولا تلتفت في السير غيرا فكل^(٧) ما سوى الله غيرا فاختذ ذكره حصنا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فخل عنها فغن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفه تجنى
وسر نحو أعلام اليمين فانها سليل بها يمن فلا تترك اليميننا
أمامك هول فاستمع لوصيتي عقال من العقل الذى عنه قد تبنا
أتانا الورى بالمشكلات وقبلهم بأوهامه قد أهلك الجن والبنينا
محجتنا قطع الحجا وهو حجتنا وحجتنا تتلوه هاء بها همنا

(١) في : س (الأبهى) .

(٢) في : ظ (مع الطلاق) . تحريف

(٣) في : س (من حيث كان) .

(٤) في : س (للعقل) .

(٥) في : س (في القضية) .

(٦) في : ظ (لم تقم فيه) وفى : س (لا تم فيه) .

(٧) في : ظ ، س (وكل ما سوى الله) .

يثبتنا (١) عند الصعود لأنه
تلوح لنا الأطوار منه ثلاثة
ويبصر عبداً عند طور بقائه (٢)
ويظهر باسم النفس والسر (٣) مدبراً
ولوح إذا لاحت سطور كتابته (٤)
(وعرش وكرسى وبرج وكوكب
تمد خطوط الذهن عند التفاته
يقطع بالأزمان للدهر مثلاً
أقام دين الدهر سدره ذاته
وفتق للأنفلاك جرهه الذي
يفرق بمجموع الفضية ظاهراً
وعدد شيئاً لم يكن غير واحد
ويخرج والمعراج منه ذواته
ويجعل سفلياً ويوم أنه
يقدر فصلاً بعد وصل لذاته
يجلى لنا طور المعية شكله (١١)

يودلوانا للصعيد قد اخلدنا
كراء ومرئى ورؤية ماقلنا
ويرجع مولى بالقنسا وهو لايفنى
وعقلا وخيراً مقبلاً عند مايدنى
به فيه وهو النون والقلم الأدنى
وحشر لجسم الكل في وصفه حرنا (٥)
إحاطته القصى الذى فيه أظهرنا (٦)
يكيف للأجسام من ذاته الأينا (٧)
ونحن ونفس الكل فى بحره عنا
تشكله سر الحروف فخرنا
ويجمع فرقاً من تداخله فرنا
بألفاظ أسماء بها شئت المعنى
لتطويره العلوى (٨) بالوهم أسرينا
لسفليه المجعول (٩) بالذات أهبطنا
وفرض مسافات يمدلها (١٠) الذهنا
وإن لمعت منه فيلحقه المينا (١٢)

(١) ن : الأصل ، ط (يثبتنا) .

(٢) قى : س (عند طول بقائه) .

(٣) فى : ط (باسم السر والنفس) وفى : س (باسم النفس والسر) .

(٤) ن ، ط ، س (كأننا) .

(٥) البيت ساقط من الأصل .

(٦) فى : ط ، س (أحصرنا) .

(٧) فى : ط ، س (أينا) .

(٨) فى : ط ، س (العلوى) .

(٩) فى : ط ، س (المجعول) .

(١٠) فى : ط ، س (يمدلها) .

(١١) فى الأصل (شكه) .

(١٢) فى : ط س (الأينا) .

ويلحقها بالشرك (١) من مشنوية
فنحن كدود القز يحصرنا الذي
فكم واقف أردى وكم سائر هدى
وتيم ألباب (٣) الهرامس كلهم
وجرد أمثال العوالم كلها .
وهام أرسطو أرمشى من هيامه
وكان لذى الفرين عوناً على الذى
ويفحص عن أسباب ماقد سمعتم
وذوق للحلاج طعم اتحاد
فقبل له ارجع عن مقالك قال لا
وأنطق للشبلى بالوحدة التى
(أقام لدات الفسرى مدلسا
وكان خطابا بين ذائين من يكن
وأصمت (٧) للجنى تجريد خلقه
ثنى قضيب البان من شرب خمره
وقد شذ بالشوذى عن نوعه فلم
وأصبح فيه السهر وردى (٨) حارراً

يلوح بها وهو الملووح والمننى
صنعنا لدفع الحصر (٢) سجننا لنا منا
وكم حكمة أبدى وكم علق أغنا
وحسبك من سقراط أسكنه الدنيا
وأبدى لاسلاطون فى المثل الحسنى
وبث الذى ألقى إليه وماضنا
تبدى به وهو الذى طلب العينا
وبالبحث غطى (٤) العين لإذروه غينا
فقال أنا من لا يبيط به معنى
شربت مدا ما كل من ذاقه غنى
أشار بها لما أبحى عنده الكونا
يخاطب بالتوحيد صيره خدنا (٥)
فتير ابرى البحر الذى فيه قد غصنا (٦)
مع الأمر إذا أضحت فصاحت لسننا
وكان كشل الغير لسنه ثنا
يمل نحو أخدان ولا سكن المدنا
يصيخ لما يلقى الوجود له أذنا (٩)

(١) فى : ظ ، س (بالشرط) تحريف .

(٢) فى : س (يدفع الحصر) .

(٣) فى : ظ ، س (أدباب الهرامس) تحريف وهم أتباع هرس

(٤) فى الأصل (غصن)

(٥) البيت كله ساقط من : ظ ، س والنفرى هو « محمد بن عبد الجبار النفرى صاحب

المواقف . المطبوعة بدار الكتب المصرية

(٦) فى : ظ ، س (قد غصنا) .

(٧) فى : ظ س (وأعجب للحصى) .

(٨) السهر وردى المقتول ، لا صاحب العوارف .

(٩) بعد هذا البيت فى الأصل ، س . ذكر البيت الذى يتحدث عن ابن الفارض .

(٣٩ — روضة التعريف)

ولابن قسى خلع نعلى وجوده
أقام على سباق المسرة نجله
ولاح سنا برق من القرب للنهى
وقد قلد الطوسى (١) من قد ذكرته
ولابن طفيل وابن شد يتهقظ
كسى لشعيب ثوب جمع لذاته
وعنه طوى الطائى بسط كيانه
تسمى بروح الروح جهرا ولم يبل
به عمر بن الفارض الناظم الذى
وباح به نجل الحوارى عندما
وللاموى النظم والنثر فى الذى
وأظهر منه الغافقى لما خفى
وبين أسرار العبودية التى
كشفت غطاء من تداخل سرها
هدانا لدين الحق من قد توطت
فمن كان يبنى السير للجانب الذى
ورقة :

وصورة السلوك عندهم من بعد الرياضة فى حق المبتدىء الصوفى ، ومن
لم يفتح عليه الجذبة والعناية به أن يعتبر نفسه بطريق التحليل ، وتنزل الفيض

- (١) يقصد الإمام الغزالى رضى الله عنه .
(٢) هذا يدل على أن الصوفية لسوا من أهل الوحدة المطلقة باعترافهم .
(٣) فى ظ (كذا سكرة الحلاج) ، وفى : س (بد سكرة الحلاج) .
(٤) هذا البيت ذكر مقدما . بعد البيت (وأصبح فيه السهروردى حائرا) .
(٥) فى : س (كما عنه أعربنا) .
(٦) فى : س (وكشط) .
(٧) فى : ظ ، س (تقدس بأنى الآل يأخذه عنا) .

الرحماني ، من لدن الذات إلى العقل ، إلى النفس ، إلى ذوات العوالم ، إلى الهيولى الأولى ، إلى العنصر ، إلى المولدات ، إلى الإنسان . ثم يصعد بالتركيب راجعاً عن سلسلة التنزيل إلى بدء اللازم ، وهو الحق ، فلا يرى إلا رتبة معنوية وهمية ، من غير زيادة على الحق ، فيعلم أن النزول إلى أقصى درجات الحس ظهور الذات ، وتجليها خاصة . والرجوع بطونها ووصفها بالغيبة المطلقة خاصة . ويحتج بقوله : « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان : » وأن إلى ربك الرجعى . . « وأن مردنا إلى الله ، : كما بدأكم تعودون ، : « له الآخرة والأولى ، : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » . فيرى أن ما بينهما من زمان ومتر من ، ومتحرك وساكن ، باطل . وينشد قوله لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . ثم يتلو قوله عز وجل : « كل من عليها فان » ثم قوله : « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » .

ولما وقعت الكثرة بالتفصيل ، والأمر في نفسه حقيقة واحدة . وما ثم غيرها : « الغدير إذا امتلأ عند المطر ملأ جبابا ، ثم لم يكن (١) غير الغدير صبابا » .

ومحصول السعادة عندهم : أن ينكشف الغطاء ، وتظهر المعارف (٢) لإنية الحق ، (وأنه عين إنية كل شيء) (٣) ويعقل إنية ذاته ، وما هي عليه ، ومن عرف نفسه عرف ربه ، فبلغ أقصى السكال والبقاء ، واللذة والابتهاج الذي ليس من باب ما يخبر عنه ، ومن قصر عندهم عن ذلك ، بقى في عالم العذاب ، والحجب والأوهام ، والظلمات والتغيرات ، إذ العذاب والآلام موضوعها الشفعية ، ولا تتم حقيقتها إلا بمعذب ومعذب . فعلى قدر اشتغالها عليه ، وبعده عن المعرفة بالحق ، والتوحد به ، يكون عذابه وخلوده وخلاصه .

(١) في : س (ثم يمكن إلا الغدير) . (٢) في : ظ (وتظهر المعارف) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

قلت :

وظواهر الكثير من هذه الألفاظ ، توهم معارضة الشرائع ، وقال ابن الزبير : منشأ هذا الرأي على الاتحاد ، وقد تعين بطلانه ، وفضلاء نخلتهم يتراوغون عنه ، وبلغفون في الخروج عن تحمله (١) ما يطول شرحه :

فإذا بدا فاعلم بأنك لسته كلا ولا أيضاً تكون سواه
شيثان ما اتحدا ولكن ههنا سر يضيق نطاقنا عما هو

ويعتقدون أن مقصود الشرائع - ومن عرف الله من أى طريق عرفه - إنما يرجع لهذا المعنى ، وأن كل دندنة قديمة أو حديثة ، إنما هي تحويل على ، وهذا الرأي قريب من رأى من قبلهم ، لولا تغاليه ، وأشائيع تنبيهه ، وأقاويل سوفسطائية تلزمه . وقد حكى بشيء من هذه الأقوال عن قدمائهم من السوفسطائية والله يهدى إلى الحق ، ويرشد إلى قصد السبيل ، وهم محسوبون من المحبين ، فمن طمع إلى شيء وتهالك في الوصول إليه ، وتأكد إليه ميله ، وفي التوحد به طمعه ، وعظم إليه اشتياقه ، فهو محب من غير نزاع . ميزانه في المحبة راجع بزعمه ، فإنه متى تفرق أحب ربه ، ومتى اجتمع أحب ذاته ، فأحب ربه ، وأنشد :

أراك تحسس حول الحى وتبحث في الأرض أو في السما
ومن حضرة فإلى حضرة فسائلها من هيا أو عما
أعد نظرة والتفاتا تجد حبيبك فيك ولكنها

(١) في : ظ (عن جملة) وفي : س (عن جملة) .

الفن السادس

في الصوفية

ورقة :

قال المؤلف رحمه الله^(١) : أما يسان أغراض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فقد قررنا أنها أشهر وأبهر وأجلى وأطهر ، من توحيد الله والدعاء إليه ، وتبيين سبل النجاة وأن الأنبياء والرسل قد اندرجوا في جمعية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، من غير تفرقة عندنا ولا خلاف . لا نفرق بين أحد من رسله .

فالوحى كلام الله الواحد الأحد ، تنزل به الملك المخصوص بالرسالة والسفارة ، إلا ما غيره الظالمون ، وبدله الجاحدون ، فرسوله الخاتم المكمل العاقب الحاشر الماحي ، صلوات الله وسلامه عليه ، فقد نقل عن جميع أحواله ، من فعل أو قول أو إذن أو إقرار ، وتأدب سيره وأوصافه من جهة الخلق العظيم ، ورياضته ومجاهدته ، وتجليه في الإسراء إلى حضرة قدس ربه ، وتجلياته التنزيلية الفرقانية ، بعده وقبله . وأحواله في الرد إلى الخلق ، واتصال روحه المطهرة بالملأ الأعلى ، إلى حين اللحاق بهم ، وحفظه ، وارتباط مبادئه بغاياته . وعمران كل مقام بما يجب لرتبته ، ولزومه مع الفوز والنجاة ، وكشف الغطاء خشية ربه ، وتورم قدميه في موقف الشكر^(٢) ، [١١٣ ب] لغافر ما تقدم وما تأخر من ذنبه .

(ثم)^(٣) كان الناس من بعده على سبيله من العبادة ، ومجاهدة الظاهر والباطن ، والرياضة والتخلق بخلق القرآن ، ولم تزل تظهر عليهم النتائج من الكشف والفراسة من غير انسام بنحلة ، ولا اختصاص بطريقة ، ولا انتساب إلى غير صحبة النبوة ، والاجتهاد في الزهد والعبادة ، فكان

(١) في : س ، ظ (رضى الله عنه) .

(٢) في : ظ (من موقف الفكر) .

(٣) ساقطة من : ظ .

المشار إليهم بذلك حملة ، ثم من بعدهم أعلام دين ، وعلماء سنة ، مثل مالك ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي حنيفة ، وسفيان ، والحسن ، والليث .
والأوزاعي ، وطائفة يشق إحصاؤهم . كما قدمنا . وينقل عنهم من الزهد
والعبادة والعمل على الآخرة ، ما يليق بمناصبهم من هداية الخلق ، وتشديد
أركان الدين ، وصون حرمان الله .

ثم اشتهر خواص من أهل السنة ، المراعين نفوسهم وأنفاسهم مع الله
الحافظين قلوبهم من طوارق الغفلة ، باسم التصوف الخلق . ومنهم إبراهيم
ابن آدم ، والفضيل [بن عياض] ومعروف [الكرخي] ، وسري السقطي
وبشر [الحافي] ، و [الحارث] المحاسبي ، وداود الطائي ، وشقيق البلخي
و [أبو يزيد] طيفور البسطامي ، وسهل التستري ، و [أبو] سليمان الداراني ،
و [يحيى] بن معاذ الرازي ، وأبو حامد البلخي ، وأبو تراب النخشي ،
وأحمد بن أبي الخوارى ، والحداد ، وأبو بكر الشبلي ، وعسكر بن حصين ،
وعبد الله بن المنتصر ، ومنصور بن عمار ، وأحمد عاصم ، وحمدون .
القصار ، وشيخ الطريقة أبو القاسم الجنيد ، و [أبو] سعيد النيسابوري ،
وأبو الحسين النوري ، وأحمد بن يحيى الجلاء ، ورويم [البغدادى] ، وابن
الفضل ، وأبو بكر الدقاق ، وعمر بن عثمان ، وسمنون ، وأبو عبد الله
البصري ، وأبو الفوارس ، وأبو يوسف بن الحسن ، والترمذي ، وأبو بكر
الوراق ، وأبو سعيد الخراز ، ومحمد بن إسماعيل المغربي ، وابن مسروق ،
وعلي بن سهل ، و [أبو عثمان] الحريري ، وأحمد بن عطاء ، وإبراهيم
الخوارج ، وعبد الله القواف ، وبنان الجمال ، وأبو حمزة البغدادي ،
وأبو بكر الواسطي ، وأبو الحسن ابن الصائغ ، وإبراهيم الرقي ، وعشاد
الدينوري ، والحسين بن منصور [الحلاج] ، وخير الساج ، وأبو حمزة
الخراساني ، وأبو محمد المرتعش ، وأبو علي الروذباري ، محمد بن منازل .
وأبو علي بن عبد الوهاب ، وأبو الخير الأقطع ، وأبو بكر السكاني ،

واسحق النهرجورى ، وأبو الحسن المزين ، وأبو على بن الكاتب ،
ومظفر القرميسينى ، وأبو بكر الأبهري ، وأبو الحسن بن بنان ، وإبراهيم
ابن شيدان ، والحسن بن على ، وأبو سعيد [ابن] الأعرابي ، وأبو عمر
الزجاجي ، وجعفر بن نصير ، وأبو العباس السيارى ، وأبو بكر الدينورى ،
وأبو محمد الرازى ، وإسماعيل بن محمد ، وأبو الحسن البوسنجي ، ومحمد بن
حنيف ، وأبو الحسن بن بندار ، وأبو بكر الطمستاني ، وأبو العباس
الدينورى ، وسعيد بن سلام ، وأبو القاسم النضراباذي ، وأبو الحسن
الحصرى (١) .

هؤلاء أخص الخلق باسم المحبة ، إقناعاً لمن يرى أنهم من أهل
البدائيات ، ويسمى بهم بالصم (٢) والمحبة كذلك (جو) (٣) متسع ، ومقام
رحم ونظراً لما ظهر عليهم من [١١٣ ب] علامات المحبة ، في المقامات
والأحوال ، وهم سادة المسلمين ، وأهل الجنة تسليماً في تلك الطوائف .

نوالك مضمون لنا ونوالهم فثبت فيهم بالضمان ظنون
ولا شيء أهني من هني محصل ولكن أغراض الرجال فنون
جلينا ذكرهم لما جاء من قوله : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ،
وتكيفا للنفس ، فإنها تنصبغ بألوان ما يفيض فيها (٤) » ، من ذكر المجان ،
أو الشجان ، أو الصالحين . فذكر هؤلاء بركة مضمونة ، ونحن نجتزئ

(١) في : ظالمصرى . والتعريب هؤلاء الأعلام يأتي في ملحق حاص في آخر الكتاب .
(٢) أى الذين لا يسمعون مكالمات الحق من العالم الأعلى ، ومع ذلك فهم صم عن لفظ
الحياة وما فيها من بهرة ، أما وصف هؤلاء الأعلام بأهل البدائيات ففيه من التعتن الشيء الكثير .
ولعل لمن سماهم بهذا الاسم عذراً في أنه يرى عظمة مقام المحبة ، ويرى أن هؤلاء لم يصلوا
إليه ، وبكل أسف لم يطلعا النكر عليهم على مدى معرفته بالمحبة ، ولا على مواجيد المحبين
التي دأبوا ولم يذوقها هؤلاء الأعلام المشهود لهم .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) على هامش : ظ توجد عبارة . . مطلب جليل . بخط فارس هو خط الناسخ .

من ذكر سيرهم وأخبارهم ، بكتاب الرسالة للقشيري^(١)، لفضوها وذباها، وإنما أمعنا القول فيما يز وجود مظهره ، أو يستطرف من ناله ، ويذكر في باب الأخبار عن المحيين بعض الحكايات عنهم . وعن غيرهم ، إن شاء الله ، وفقنا (٢) (الله) (٣) على آثارهم بالجملة من الأولياء ، والمشايخ آباء الرجال ، ومقتدحي زناد العباد ، ومقتدعي كراسي الهداية ، كأبي مدين ، وأبي أحمد ، وأبي العباس الرفاعي . وأبي الحسن الشاذلي ، وعبد القادر السكيلاني ، وأبي العباس المرسى ، وأبي محمد صالح^(٤) .

والتابعون لهم بإحسان : ينقسمون إلى : مرادين ، وعباد ، وسالكين ، وذاكرين ، وصوفية ، وفقراء ، ومحققين .

فالمريدون : وبدايتهم عزم ، ونهايتهم صدق ، وهم ثلاثة :

مريد يريد الاستشراق على حقيقة مقامه في قربه ، ومريد يريد الاستشراق على حقائق قلبه وإيمانه المكتوب فيه ، ومريد يريد الاستشراق^(٥) على حقيقة نفسه ، ومعرفة بره ، ومادام يريد التحقق^(٦) (بالأعمال الصالحة ، فهو في مقام الإسلام ، فإذا أراد التحقق) (٧) بالمعودات الغيبية ، فهو في مقام الإيمان ، وإذا كان مطلوبه الرب ، كان في مقام الإحسان .

والعباد : وبدايتهم أوراد ، ونهايتهم أنفاس .

والعابد لابد له من تحصيل أمور ثمانية ، منها ثلاثة راجعة إلى الاعتقاد ،

(١) في : ظ القسرية . وهو أبو القاسم بن هوازن القشيري ، وكتابه مشهور معروف ولم يتوسع في ذكر الأخبار والسير كما ظن المؤلف ، فليس هو بكتاب أخبار وسير ، بل تحدث بعد أن عرض طائفة من الصوفية عن المقامات ، ونقل بعض أقوالهم فيها .

(٢) في : ظ وقفا . (٣) ساقطة من : ظ .

(٤) التعريف بهؤلاء الأعلام يأتي في الملحق آخر الكتاب .

(٥) في : ظ الاستشراق في الفقرة السابقة كلها .

(٦) في الأصل ، ظ التحقيق . (٧) ما بين الحاصرين ساقط من : س .

مثل مايجب لمعبوده ، وما يجوز عليه ، وما يستحيل في حقه . وخمسة في الأحكام . وهى : معرفة الواجب ، والمندوب ، والحرام ، والمكروه ، والمباح (١) ، وما دام في الحركات والسكنات ، فهو في مقام الإسلام ، فإذا انتقل الى التصديق بالثواب والعقاب فهو في مقام الإيمان ، فإذا انتقل إلى معرفة الرب فهو في مقام الإحسان .

والسالكون : وبداية السالك ، التحقق بمقام الإسلام العلى ، ونهاية التحقق بمقام الإحسان العمل .

والسالك إذا خلص عمله من الشوائب ، وكان عمله لمعمول له واحد ، كان في مقام الإسلام . وإذا خلص عمله من الدعاوى فيه ، كان في مقام الإيمان وإذا تخلص من الشنوية (٢) ، كان في مقام الإحسان .

والذاكرون : وبدايتهم أجور ، ونهايتهم حضور . وهم يستعملون

في طريقهم الأذكار مطلقاً ، وهى كثيرة كما تقدم ، من تعوذ ، وبسملة ، واستغفار ، وتصلية وتسليم ، وتقديس ، وتسييح ، والباقيات الصالحات ، سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وقد جمعت أجناس الذكر المركب ، (وتستعمل الأذكار في المنارل المذكورة ، التى يسلك عليها) (٣) وهى منزل التوبة ، ومنزل الاستقامة ، ومنزل التقوى ، ومنزل [١١٤] الإخلاص ، ومنزل الصدق ، ومنزل الطمأنينة ، ومنزل المراقبة ، ومنزل المشاهدة ، ومنزل المعرفة . وهى الأذكار الخمسة الاستغفار ، والتصلية ، والتهليل ، والتنزيه (٤) ،

(١) فى : س الواجب والمندوب والمباح والحرام والمكروه .

(٢) أى رؤية عابد ومعبود . بل يشهد العمل من الله تعالى ، مفاضاً عليه من باب الجود والمنة .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل ، وزيد من : ظ .

(٤) أى سبحان الله .

والإفراد^(١)، فإذا كان الذاكر في التوبة، أخذ [في] ذكر الاستغفار، وعلامة التحقق به أن يجد نفسه محفوظاً اضطراراً. وإذا كان في الاستقامة، أخذ [في] التصلة، وعلامة التحقق بهذا المقام إدراك الصورة المحمدية على الدوام. والمنزل الثالث وهو التقوى، وهو نتيجة هذين المنزلين. وإذا كان في الإخلاص أخذ في التهليل، وعلامة التحقق به الخروج من رق الأغيار^(٢). وإذا كان في الصدق، أخذ في التيسيع. وعلامة التحقق به، استواء ظاهره وباطنه، وجميع تصرفاته. وإذا كان في الطمأنينة، وهي نتيجة هذين المنزلين، أخذه وفيما بعده من المنازل، وهي المراقبة، والمشاهدة، والمعرفة، والإفراد. والعلامة: أن يكون الذاكر المذكور، والشاهد المشهود^(٣).

وما دام يذكر بلسانه، فهو في مقام الإسلام. فإذا انتقل لقلبه، فهو في مقام الإيمان. فإذا كان الذاكر هو المذكور، فهو في مقام الإحسان.

والصوفية: وبدايتهم تخلق، ونهايتهم تحقق. ومادام في التخلقات الجسمانية، كحمل الأذى وكفه، ووجود الراحة، كان في مقام الإسلام فإذا انتقل إلى الأخلاق المملكية، من التقديس عن ضروريات الجسوم، كان في مقام الإيمان. فإذا اتصف بالنعوت الإلهية، ففي مقام الإحسان.

والفقراء: وبدايتهم تجريد، ونهايتهم تفريد. والفقير إذا تجرد من المملكات الدنيوية^(٤)، كان في مقام الإسلام، فإذا تجرد من الآخروية كان في مقام الإيمان، فإذا تجرد بما سوى الحق كان في مقام الإحسان.

(١) أي ذكر الاسم المفرد. الله.

(٢) في: س (عن رق الأغيار).

(٣) يقصد بهذا التعبير في كتب التصوف أن الإنسان في مقام المراقبة تتولد عنده ملكة الذكر، فيصدر عن قلبه ذكر الله دون قصد ولا إرادة منه، فلا يعتبر ذا كرا بنفسه، بل يصير ذا كرا بربه، أي يصير مسيراً في الذكر، فالله هو محرى الذكر على قلب عبده فارتفعت الإثنية حقيقة وبقيت بجارا. (٤) في: س (الدناوية).

والمحققون: وقالوا: المحقق هو الذى لا يحجبه مقام عن مقام ،
ولا منزل عن منزل ، عند التنقل فى المنازل فهو الذى يعمر المنازل ،
جُمَلًا وتفصيلاً (١) .

وبيوت الفقراء متعددة : يشق إحصاؤها ، كبيت الشاذلية ،
وبيت الرفاعية ، وبيت السعودية . وأشهرها اليوم بالآندلس ، والبلاد
المشرقية ، بيت الشاذلية . ونحن نقدر سلوكهم على جهة المثال فنقول .

الطائفة الشاذلية : يسلكون بكلمة « لا إله إلا الله » ، وهى مركبة من
نفي وإثبات ، ومعناها : أفراد المعبود . والشرك : هو الاعتماد على غير الله ،
فمن اعتمد على غير الله ، فى قليل أو كثير ، فهو مشرك . إشارك لغة (٢) .
قال صلى الله عليه وسلم : « الشرك فى أمتى أخفى من ديب النمل » ، والشرك
قليله وكثيره سواء ، فأول ما اشتغلت به هذه الطائفة ، التحقق بالتوحيد
الذى هو لا إله إلا الله (٣) . وأصنافهم فى السلوك بهذه الكلمة تسعة ، الذين
أفردوا الكلمة فى اللسان ، بنفى فضول الكلام ، إذ يرون أن خلط هذه
الكلمة بفضول اللسان شرك فى اللسان . والذين أفردوا الخالق بنفى

(١) أى هو المتكهن فى التلوين . يعنى أن يشهد المازل والأحوال كلها ، ولكنه لا يفعل بها
انفعالا يوقمه عن شهود غيرها ، فهو جامع المقامات والأحوال والمازل ، وليس معنى هذا
ألا يفعل فى باطنه . سئل الجيد : لم لا تتواجد الآن ؟ فقال : « وترى الجبال تحسبها جامدة
وهى تمرر السحاب » أى إن باطنه يمجج بالانفعالات ، وإن كان ساكنا فى الظاهر .
(٢) بل شرك حقيقى .

(٣) سلوك الشاذلية نزولى ، يعكس سلوك الخلوتية ، فهو صعودى . يبدأ الشاذلى سلوكه
بمعرفة ربه ، كما قالوا : « ها أنت وربك » . فإذا أتقن ذوق الحضرات الإلهية ، وصدور
الأكوان عن حضرات الأسماء فى مقام الجمع ، بدأ النزول إلى مقام الفرد على هدى ونور من
معرفة الأولى ، فيعود إلى السكون بعقل جديد ، ووعى جديد . ولذلك كانت هذه الطائفة
تظهر بمظهر العزة والجمال منذ أول قسم ، أما الخلوتية فيبدأون من مقام العبودية بتجريد
النفس عن نزواتها وشهواتها ، ويسلكون على مقامات النفس الأمارة ، ثم اللوامة ، ثم الآمنة ،
ثم المطمئنة ، وحينئذ يصلون إلى مابداً منه الشاذلية ولذلك تبدو عليهم مظاهر الذلة لله ، ثم ينتهون
إلى العزة وإلى مظهر الجمال .

المعين ، إذ إثباته من ملك أو غيره شرك . والذين أفردوا الرزاق (١) بنفى الأسباب ، إذ الاعتماد على السبب في الرزق شرك . والذين أفردوا الحى ، بنفى المواد ، فإن اعتماد الإنسان [١١٤ ب] في حياته على المطاعم شرك ، والذين أفردوا المعبود ، فإن كل ما شغل عن الله فهو إله في حق من شغله . والذين أفردوا الفاعل بنفى أفعال من سواه ، فإنه ادعاء العبد في الأفعال ، وإضافتها إلى نفسه شرك . والذين أفردوا المشهود بنفى المشهودات معه ، فإن من أخذك عن مراقبة معبودك (٢) بحسنه ، فإنه شرك في حقه . والذين أفردوا الموجود بنفى الموجودات معه ، فإن من أدعى أن مع الله موجودا قائما بنفسه فقد أشرك بالله . وبعد هذا مرتبة الفناء ، ولا يعبر عنه إلا بعد الخروج عنه .

وقد أتينا على ما شرطنا ، من تقرير ما أمكن من هذه الآراء ، وهم ما بين سابق بالخيرات ، ومقتصد ، وظالم لنفسه . وهم مع ذلك عشاق محبون ، وعلى آثار الحبيب مكبون ، وما كل طريق توصل ، ولا كل تجارة على الريح تحصل ، ومن العشاق مهجور ومطروء (٣) ، وموصول وموعد . ومغبوط ومحسود ، ومحروم ومجدود ، ومرجوم (٤) ومودود .

يا غايى ولكل شىء غاية والحب فيه تأخر وتقدم
قل لى بأى وسيلة يخطى بما يرجوه غيرى من رضاك وأحرم
ورقة :

والسكل دائرة مفروضة ، وهاله حول قر الحق معروضة ، تعود الحظوظ من محيطها المتبدد (٥) إلى مركزها المحدد ، فالفيلسوف يروم التشبه بالعلة الأولى ، ويعنى بها ذات الحق ، وأن يتحد بالثانية ، وهى مرآة وجه

(١) فى : ظ ، س (الرزاق) .
(٢) فى : س (مطروء ومهجور) .
(٣) فى : س (عن مراقبة مفردك) .
(٤) فى : ظ (ومرجوم) .
(٥) فى : ظ ، س (السدد) .

الحق . والإشراقى يروم التجوهر بنور الأنوار ، المعبر عنه بالحق ، والاتصال به ، إما بواسطة من الحق ، أو بغير واسطة من الحق . والحكيم [يروم] أن يؤدى فكره إلى الحق ، ثم يفتنى فى الحق ، ثم يبقى بالحق . والمتشرع [يروم] أن يحل فى جنة الحق ، ويحصل على جوار الحق . وينظر إلى وجه الحق . وصاحب الوحدة الملائمة [يروم] . أن يكون المتفرق عين الحق ، فسبحان الحق المحبوب بالحق . الموجود الجامع فى الفرق لا إله إلا هو .

وزبدة هذا المخض الذى كثر فيه الدعداع (١) ، وطال على الرأس به الصداع (٢) ، ما نفرد له المقالة المختصرة ، والغاية الميسرة ، بحول من لاحول ولا قوة إلا به .

(١) فى : ط (الذى كثر فى قربه) -

(٢) فى : س (منه الصداع) .

خاتمة

تشتمل على إشارات ، وتختال من الحق في شارات

قال بعض من يطاء بمطية السلوك حمى الملوك ، وينفض زوايا الغيوب .
 . هن المطلوب ، يصير بصائر القلوب : شهدت أصناف المحبين والعشاق ،
 على اختلاف البلاد ، وتباين الآفاق . لا أدري أقال كشفها أو شهودا ،
 . أو فرضا أو وجودا ، أو يقظة أو هجودا . وقد ركضوا مطايا الأشواق ،
 وضربوا آباطها بعصى المشارب والأذواق ، وتزودوا أزواد الحقائق ،
 . وودعوا أحباب العوائد والعلائق واستسهلوا (١) في المحبوب اعتراض
 . العوائق ، وتفاضلوا في اجتياز الجواد واقتحام المضائق ، والطرق إلى الله
 عدد أنفاس الخلائق ، فن خابط عشوا ، (وهاوى (٢) مسقط أهوى ،
 يقول :

ياليتنى أوقد النارا إن من يهواك قد حارا
 فيجيبه الصدا :

ومن طلب الوصول لدار ليلي بغير طريقها وقع الضلال
 ومُنبتٌ بحيث لا يبدو علم ، ولا يُقْتَصَّ خوف ولا قدم ، في
 . مفازة وجود من حلها عدم ، وهو يصيح :
 بأبي وأمي والذي ملكك يدي أهوى الذي يهدي الطريق لللاحيا
 ثم يقول :

ولقد سرّيت إليك لكن حين لم تكن الدليل اختل قصد السالك
 . ومن طأو نقد زاده ، وفرغ مزاده ، قد استسلم وعجز أن يتسكلم ،
 ولسان حاله ينشد :

(١) في جميع الأصول : (وتساهلوا) .

(٢) ساقط من : س .

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا تدمت على التفريط في زمن البذر
وراكض يقطع الدو ، ويعرف الجو ، يثبت الأعلام الخافية ، ويقصد
الموارد الصافية ، والظلال الضافية ، حاديه أمه ، ودليله عليه (١). والراحلة
عمله ، ينشد بأعلى صوته :

قرب الرحيل فكيف لا ترتاح للقاء سكان الحى الأرواح
وفريق (٢) يركض البريد ، ويهيج التفريد ، بلغ الطية ، وأناخ
المطية ، قبل وصول الرقعة البطية :
سرى سلخ شهر في براق خلوبه فله ما أنآى سراه وما أدنى
قلو طلعت عليهم لوليت منهم فرار ولملت منهم رعبا ، وقلت (٣) :

نهضوا وقد جن الدجى وتخالفت سبل السرى فسددون وضلل
سلى عن المنبت حين تقطعت أسبابه فيها ولا من يسأل
قوم سطت بهم السباع وفرقه عطشوا وأين من الظاء المنهل
لفح الهجير وجوهم بزفيره (٤) فتصافقوا بيلالة وتعللوا
وجماعة ركبوا المفاوز ربما عثروا على أثر فشط المنزل
وركائب جعلوا الدليل أمامهم عثروا ففازوا (٥) بالذى قد أملاوا
والليل متلفة (٦) ومدرجة الهوى لا تستقل بها المطى الدال
والواصلون هم القليل وكيف لا قفر ومسجة ولسل أيل
يا رحمة للعاشقين تقحموا خطر السرى وعلى الشدائد عولوا
طارت بهم أشواقهم فعمولهم معقولة عن شأنها لا تعقل
عذرا لكم يا أهل عذرة شأنكم سلبت فيه لكم فقولوا وافعلوا

(١) في : ظ (عمله) .
(٢) في ظ ، س : (وقال المصنف رضى الله عنه) . (٤) في : ظ ؛ س (بسعيه) .
(٥) في : س (فعاذوا) .
(٦) في : لأصل (وإليك ملتفت) .

حتى إذا خرجوا إلى فضاء القدر المشترك ، وأفلت من أفلت من
الشرك ، وسلم في قتيل المعترك ، وأشرفوا بركائب الآمال ، على ثنية الجمال ،
زعقوا بإزاء الباب ، ونادوا من وراء الحجاب :
كل كنى عن شوقه بلغاته ولربما أبكى الفصيح الأعجم
وأوصلوا رقايع شكواهم ، بسرائر هوام ، وبرزوا صفاء ، واستظهروا
بشفاعتهم التي ظنوا أنها لا تخفى ، ما نعيدهم ليقربونا إلى الله زلنى . وقد
تعينت الأوصاف وتميزت ، وانتبذت الأصناف وتحيّرت ، والعشاق
نجت ، وسلمت من علمت .

منهم الصفوة والمجان والخرافيش^(١) والبهلوان ، بمن يعول على ذراعه
(وقراعه ، وملاكمته وصراعه)^(٢) ، وطول باعه ، وصلابة طباعه ،
وسلاطة لسانه ، وامتزاج إساءته بإحسانه ، شأنه البحث عن المحبوب ، مع
الشروق^(٣) والغروب ، والتوسل إلى وصلة المطلوب ، بالحركة الشوقية^(٤)
واللفظ الخلوب .

ومن اتسم [١١٥] بإذاعة الأسرار ، وصحبة الشرار ، واللسان الممذار
حسب من الأغيار .

ومنهم بداءة ، ليس لهم إلى المناداة أداة ، تعذر عليهم تمييز المحبوب
فغلطوا ، وعطفوا^(٥) على تنزيهه فأفرطوا :
ربما ضر عاشق معشوقاً ومن البر ما يكون عقوباً
وغلبت على سجيّتهم السلامة ، ولم تنلهم لعدم الموصل والمعرف^(٦) .
الملامة ، وليس للقبول عليهم علامة .

(١) في : ظ (والمراقيس) . (٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٣) في الأصل (مع الأفول والغروب) . (٤) في : ظ ، س (بالحركة الرشيقية) .

(٥) في : س (وعكفوا) . (٦) في : س (والمقرب) .

ومنهم من شعاره الحشمة ، ولزيمه العفاف والعصمة ، أولو الحيا والوقار ،
والكتم للأسرار ، ومخالطة الأبرار ، والتوسل إلى المحبوب بالافتقار ،
وصفاء الضمائر من الأكدار ، لانتخالجهم (١) الشواغل ، ولا يطرق شراهم
الواغل ، أغنتهم الشواهد عن الدعوى ، وأصمتهم الرضى عن الشكوى ،
وتقسمت معاملتهم الآداب ، وصح منهم إلى مراتب المراقبة الانتداب ،
والناقد بصير ، وكلام النيات قصير .

ومنهم مغلوب الحال ، المحمول من فوق الرحال ، رقص وشطط ، وسكر
فاقتضح ، فهو أبلج الرفقة (٢) وملبوع الحرقه (٣) دعنى دعنى وعندى أنخ
فإنه يضحكنى سبع مرات فى اليوم .

ومنهم من لم يأخذه نعت ، ولا تعين له فوق ولا تحت ، ولا حمد
ولا مقت ، ولا حال ولا وقت ، لو نطق لقال : أنا المعدوم الموجود ،
والشاهد المشهود : « ألا بعد المدين كما بعدت ثمود » .

قضى وصلها لى وابتلاكم بجبها وهل يأخذ الإنسان غير نصيبه
ولم يكن إلا أن خرجت الرقاع ، وفصلت البقاع ، ووفيت كل نفس
ما عملت وهم لا يظلمون . فكان فى رقعة طائفة (٤)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء » . قلنم العقل
وله طور ، ورأيتم الحركات لا يتناهى لها دور ، وعالم الجزئيات لا يسبر له
غور ، وحوار المعاد فى بعض الفروض لا يكون له كور ، وياشر
ما أصبحتم فى المبدأ الأول تعتقدونه ، إن جعلتم التصرف فى عالم الملك (٥)
لمن دونه ، قفوا مكانكم ، ولوموا إمكانكم ، وآسوا شأنكم .

(١) فى : س (لا تختالجهم) .

(٢) فى جميع الأصول (فهو أبلج الرفقة) والسباق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) فى الأصل (وملبوع الحرقه) .

(٤) فى الأصل ، ظ . فكان فى أخرى . (٥) فى : ظ . عالم الملك .

(٤٠) - روضة التعريف

وكان في أخرى : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : » ارجعوا وراءكم
فالتسوا نورا . أساطين الحكمة المشرقية ، وفراش الأنوار الخفية ، دعونا
من الاستكثار للأنوار (١) ، واحتشاد الحق نور إرشاد ، لا يعين حسن (٢)
ذاته ، إلا من ركب ظهر افتياته ، فارفعوا الكلف ، واجروا مجرى من
تقدم وسلف . وكان في رقعة (٣) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٤) » .
لم تركوا البراهين على أصلها ، ولانا سبتم جلس هذه الموضوعات
بفصلها (٥) ، وآثرتم (٦) شغبا طويلا ، وأوسعتم المتشابه تأويلا ، ولم تعتمدوا
من العقل دليلا ، ولا وقفتم في مجازاة العقول قليلا ، وهولتم باصطلاح
غيركم تهويلا ، وادعيتهم الشهود ، ولم يجعل الله (في الاحتجاج به) (٧)
إلا للأنبياء سيلا ، وبليتكم على قياس ونظر ، من غير عين للعقل
(والنقل) (٧) ولا أثر :

رب خل أدار في اعتقاداً لم أكن قبله عرفت بفنه
حكمت نفسه على علم غيب (٩) جعل الله باطنى عند ظنه
وعسى أن تكونوا من أخطأ (باجتهاده) (١٠) فأثيب ، واستغفر
فسمع لا تثريب (١١) ، فتمرتكم صحيحة ، والمقاصد من التبعية مريجة ،

(١) في : س من استكثار الأنوار . (٢) في : س لا يسبق جنس ذاته .

(٣) في : ظ ، س (وكان في أخرى) .

(٤) في : ظ ، س (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) .

(٥) في : ظ . بفصلها . تصحيف .

(٦) في : ظ ، س . ولزمت .

(٧) ما بين الحاصرتين : ساقط من الأصل ، وزيد من . ظ .

(٨) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٩) في : س . على علم غيبى .

(١٠) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(١١) في : ظ لا تثريب عليكم اليوم . ولم يثبت الزيادة رعاية للفواصل ، جريا على
أسلوب المؤلف .

﴿إذا كانت صريحة﴾ (١) ، ولولا الافتيات لو ضحت لكم في ميدان السبق
الشيأت (٢) لكن شأنكم الهذيان ، وقلبت منكم بضغائكم المتأخرين
الآعيان ، كابن قسي وابن واطيل ، وابن برجان ، فتنبرأوا من أتباعكم
المطيفة ، وخرابتمكم الخيفة ، وأخلصوا فعل الأنصار (٣) يوم قتال بني
حنيفة ، وحبذا الحكيم (٤) المقتدى ، ومن يهدى الله فهو المهتدى ،
والبحوا (٥) الألسن عن طلاقها (وذلاقتها) (٦) ولا تكلفوا العقول
بفوق طاقتها ، فلا بد من توقيف وتسليم ، وفوق كل ذي علم عليم . وإذا
الحجتم فائبتوا ، أو نطق الناس فأسكتوا ، ولا ترضوا أن تكبتوا (٧) مع
الذين كبتوا ، ولكم الحظ الأسنى (٨) ، والوصل الأهنى (٩) . وكان
في أخرى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « وما خلقنا السموات والأرض
وما بينهما لأعين . ما خلقناهما إلا بالحق ، ذهب بوجودكم العدم ، وابتلع
حدوثكم القدم ، ورضيتم بالإسراف في الاستشراف ، والتوغل لزعم
الانحراف ، ومن جعل الحس وهما ، فقد كابر العيان ظلما ، والعقل
الذي غلطتم (١٠) هو آلة حكمكم ، وأداة علمكم ، والعالم أوثق من أن
تكون تمويه راقش ، والوجود المطلق أبسط من أن يصير أبا راقش ثم
مالكم والتبجح والتشيع ، والتعقب والتتبسح ، ولم يغن العراك ، ووقع
ثمركم الإشراك (١١) ، فالفيلسوف يتجدد بالعلة القريبة من الحق ، ثم يتلاشى
في ذات الحق ، والحكيم يجوز إلى عين الحق رتبة الفناء (والمحق) (١٢)
والمشرع قد عضده ونصره ، كنت سمعه وبصره ، وإن كان معظم القول
هدر ، ففيسكم بـ بعد نظر .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .

(٢) في ظ : (في ميدان السبق لكم والشتات) .

(٣) في : ظ : الإنصاف .

(٤) في : س : الحكيم .

(٥) في : ظ : وأكفوا الألسن .

(٦) ساقطة من : ط .

(٧) في : ظ : تكبتوا .

(٨) في : ظ : السن .

(٩) في الأصل والوصل المبني .

(١٠) في : ظ : الذي غلطتم .

(١١) في : ظ ، س : في ثمرتكم الاشتراك .

(١٢) ساقطة من : س والمحق فناء وجود العبد في ذات الحق [تفسيرات الجرجاني ١٣٩]

وكان في أخرى ^(١) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . أتمم الأجباب ، ولكم
تفتح من الجنان الأبواب ، ركبتم ظهور الأعمال ، وركب غيركم طيور
الآمال ^(٢) ، وفزتم بسحب الأذيال ، ومن دونكم يحرك عناكب
الخيال ، فبدايتكم الأساس الوثيق ، الذي يبنى عليه التحقيق ، ونهايتكم
إليها ينتهي الطريق ، وبها يحط فريق الله ونعم الفريق . أولاكم المذهب
المدرّب ، وأوسطكم المفرد ^(٣) المغرب ، وآخركم الولي المقرب ،
حضرتم بذكر محبوبيكم حتى غيتم ، فنهيتاً لكم طيتم ، حواس مسدودة ،
وخيوط أفكار ممدودة ، ومشاهد مشهورة ، ومغلطات تتجاوز أحراسها ،
وقواطع معترضة تحط أمراسها ، إلى ألا توجد تقيّة ، ولا تبقى بقية عند
تجلى المعالم الحقية ، لو اشتمل العلم على عملكم لكان السكل من هملكم ،
بحيث تتعين المراتب وتتجيز ، وتتقرب المشارب وتتميز ، فلا يعترض من
قاطع إلا وقد علم شأنه ، وتعين وقته وأراه ^(٤) ، ولا تمثل غاية ،
إلا ودرجها محدودة ، ومداخلها محدودة . ومشاهدها قبل دخول [١٥١ ب]
الطريق مشهودة ، فهناك تطوى المراحل ، ويلوح في اللوحة الفريّة
الساحل . (ويأمن من طول الطريق الواصل) ^(٥) وكان في رقعة المحبين
الذين قربوا قبل هذا اليوم ، وأدخلوا ، من بعدما تخيروا للاصطفاء ومنخلوا .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » . أنتم
الأجباب ، واللباب ، وبواسطتكم اتصّلت بين النفوس وبين الحق

(١) لعل هذا ما وعد بن المؤلف في أوائل الفصل الثاني .

(٢) في : ظ ، س ظهور الآمال .

(٣) المفرد قد يكون حقيقياً ، وقد يكون اعتبارياً ، وقد يقع على جميع الأجناس ، والواحد

لا يقع إلا على الواحد الحقيقي [تعريفات الجرجاني ١٥٣] .

(٤) في : ظ ومكانه . (٥) ما بين الماصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

الأسباب ، ولولا كم لم يفتح الباب ، فلا يصل إلا من واصلتم ، ولا يحجب إلا من قطعتم وفصلتم ، أنتم الدعاة والخلق الهمل ، وأنتم الرعاة مهتدات لكم سر القرب تمهيداً ، وبعثتم إلى الناس ليوحدوا الله توحيداً ، ولتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فطوبى لمن أصاح منكم إلى ندا ، أو استضاء بنور هدى ، وصلوات الله عليكم أبداً ، أنتم أولو الألوبة المعقودة . والعساكر المحشورة المحشودة ، ورؤساء أهل المحبة ، وأدلاء مبتغى الوسيلة والقربة ، ومسالكمكم قد بينتها الصحف المنزلة ، والملائكة المرسلة ، ودخلت على العذارى خدورها ، وعمت السماء بدورها ، وأغنت عن تقرير نخلها المسكن المائجة بالصبيان ، والسنن المعقود لها خلق البيان (١) ، والفواعد المفترضة على الأعيان ، والخزائن المرصوفة بعلوم الأديان ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، وقيل لأتباعهم من الجهور ، وأقطاب فلهم المشهور : على قدر أتباعكم ، مناقل أبواكم ، وبقدر اقتدائكم (٢) ، يكون سماع ندائكم ، والمهاد لمن وثره ، ومن يعمل مثقال ذره خيراً يره . وتأخيركم في هذا التوقيع هو التقديم ، وساقى القوم آخرهم شرباً مثل قديم .

قال المخبر : فرأيت وجوه قوم قد تهملت ، ونواسم المسبرات نحوهم قد أقبلت ، ومن سواهم من خالص وزائف ، بين راج وخائف ، وسمعت أن طائفة استدعيت بحث حفي ، وأدخلت من باب خفي ، قيل لي : هم أصحاب الجزء المكتوم ، وأرباب المقام غير المعلوم ، جعلنا الله منهم برحمته . فلولوا الحب ما قطعوا الفيافي ولولا الحب ما ركبوا البحار فدعهم والذي ركبوا إليه وبجنا عن خلاصك واختياراً ولا تشغل بحب ديار ليل ولكن حب من سكن الديار

(١) في : ظ المعقودة لها بخلق البيان .

(٢) في : س وبحسب اقتدائكم .

الغصن الثـالث

فى علامات المحبة

وشواهد (دعوى) (١) النفوس الصبة :

قال (المؤلف رحمه الله) (٢) : من الذائع أن شيتين أيا إلا أن يخرج (٣) أعناقهما : الدرام ، والمحبة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أسر سريرة ألبسه الله رداها » . (وقال الشاعر :) (٤) .

وكم كتبت وأسرت الهوى زمنا بين الجوانح حتى خانتى جلدى .
وشيمة النفس إن أخفت سريرتها بدت شواهدا يوما على الجسد
وقال :

(دلائل الحب لاتخفى على أحد كحامل المسك لا يخفى إذا عبقا) (٥)
فالمحبة دعوى ، مالم يقم دليل لم يثبت بمجرد حق ، فنحن نذكر الدلائل والعلامات . ومنها ذاتية للمحبة ، ولازمة لها . كالرضى بفعل المحبوب ، والشوق إليه ، والوجدية ، والخوف والرجاء المتعاورين فيه ، والغيرة ، والهبة ، والتعظيم ، والقبض والبسط ، وإدامة ذكر المحبوب . وسائر العلامات عرضية ، تتفاضل وتقل وتكثر ، وتصحب أو تندر . ورأينا أن نجلب (٦) هذه العلامات من كسوة الشجرة ، ومزائن أغصانها (٧) المعتمدة . على أن كل ما يذكر فيها من بعد ما أخذت غصون المحبة حقها ، ويثبت المعرفة طرقها ، إنما هو خيال لا صورة ، وكال لاضرورة ، وأن الذى تقدم ذكره

(١) ساقطة من : س .

(٢) ساقطة من : ط .

(٣) فى : ط أيا ألا يخرج أعناقها . تحريف .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٥) البيت كله ساقط من : ط ، س .

(٦) فى ط ، س أن جلب هذه العلامات .

(٧) فى : س ومدائن أغصانها .

فاكهة طبق ، وهذا غطاء حبق . وكثير (ما) (١) بين المشموم والمطعوم ،
والأرواح والجسوم ، والساكن والمبنى ، واللفظ والمعنى . وهذا الغصن
ينقسم إلى ثلاثة فروع : أولها يرجع لحقوق المحبوب ، والثاني يرجع إلى
باطن المحب ، والثالث : يرجع إلى ظاهر المحب .

الفن الأول (٢) من الغصن الثالث

فيما يرجع إلى حقوق المحبوب

وذلك كمثل حب حبيبه ، وعداوة عدوه ، والرضى بجميع أفعاله مع
المحب ، ومراقبته وتعظيمه ، وتهيبه وطاعته ، وداوم ذكره ، والعناية
بأسمائه ، وصفاته .

ورقة :

حب حبيب الحبيب ومعاداة عدوه . قال السدى : ليس من أعلام
المحبة أن تحب من يبغضه حبيبك ، أو تبغض من يحبه . فهو أقوى شواهد
المخالفة ، وأدل دلائل عدم الموافقة . وقد تقدم في حدود المحبة حصول
الحب على العوض من أوصاف المحبوب . فإذا كان يتصف بصفاته ، ويرى
بصفات ذاته ، فقد اتصف بحب من أحبه ، وبالعكس . ولهذا كان حبيب
المحبوب ، وسيلة إليه (٣) . حسبما أشار إليه الشاعر :

(١) ساقطة من : ظ ، س .

(٢) في : ظ ، زيدت عبارة من الفصن الأول خطأ .

(٣) ولذلك كان التوسل بالصالحين إلى الله جائزا في حصول المحبة للتوسل ، بركة التوسل
به ، ومنزلته عند ربه ، وليس في الأمر شرك كما يتوهم بعض المعتندين ، فالتوسل يتوسل إلى الله
لا إلى شيء آخر ، أما قياس المتوسلين من الصوفية على الذين قالوا : « ما نعبدكم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى » فهو قياس باطل . لذا أن الصوفى لا يعبد المتوسل به ، كما كان يفعل المشركون ،
فالمشرك أنكر وجود الله واعتز بأوثان ، بعكس الصوفى .

بعدت همّة عين طمعت في أن ترا
أو ما يكفى لعيني جعلت نفسى فدا
أن ترى من قد رأى من رأى من قدر آكا (١)

(وقال الآخر ، وأحسن في المبالغة :

رأى المجنون في اليبداء ذنباً فخر له من الإحسان ذيلاً
(فلاموه على ما كان منه وقالوا لم منحت الذئب نيلاً
فقال لهم دعوني إن عيني رأته مرة في حى ليلي) (٢)
وقال الآخر :

أدعوك يارب مضطراً على ثقة فما وعدت (٣) به المضطر يدعوك
حان الرحيل وما أعددت من عمل إلا محبة أقوام أحبوكا (٤)
وكانه نظم معنى قوله : [صلى الله عليه وسلم] ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت
لها كبير صوم ولا صلاة (٥) إلا محبة الله ورسوله . فقال : المرء مع من أحب .
فن علامة محبة الله ، محبة كل من أحبه الله ، ومن اختصه الله وقربه ،
أو نص كتابه على محبته إياه ، من ملك وبنى ، ورسول وولى ، ومؤمن
وتائب ، ومتطهر ومحسن ومجاهد . ومثلهم من أشاد بمزيتته ،
وفضل منزلته .

وتتفاضل الوسيلة [١١٦] بحسب منزلة المحبوب الثانى من الحبيب
الأول . فلا وسيلة إذاً أعظم ولا أنجح ، من حب حبيب الله ، نبينا الكريم
محمد ، عليه صلوات الله وبركاته ورحمته ، والشوق إليه ، فهو معنى
الكمال ، وسر الطبيعة ، وحسنة الأدوار ، ونتيجة الدهر ، وأسوة الرسل (٦) ،

(١) الشطر الثانى فى : ظ ، س هكذا ، من قدر رأى من قدر آكا . وهو مخالف للوزن .

(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ ، س .

(٣) فى : س : مما وعدت .

(٤) فى : ظ إلا سوى محبة أقدام أحبوكا . خطأ .

(٥) فى : ظ . صلاة ولا صيام . (٦) فى : ظ . وأسوة المثل .

ومن إليه ينتهي فضل الإنسان الناطق ، وتديره كمال الإنسانية ، (وحقيقته
مادة لحقائق الأنبياء ، وكأله تفصيل لإجمال التجلي) (١) ووجوده علة
الوجود الثاني . ورحم الله شيخنا « أبا محمد بن أبي المجد » ، إذ يقول :

ألا يا محب المصطفى زد صباية وضخ لسان الذكر منه بطيبة
ولا تعبان بالمبطلين فإنما علامة حب الله حب حبيبه (٢)

(ورواى حبه نجل عن الشرح ، وشمس النهار غنية عن المادح) (٣) وفضله
صلى الله عليه وسلم ، واستحقاقه المحبة والتعظيم والتوقير جلى لا يفسر .
وقد تضمن كتاب الشفاء (٤) من ذلك ما لا إطراف بإعادته ، من حيث
الخوارق والمعجزات الشواهد ، والاستيلاء على أفهى مكارم الأخلاق ،
وانسحاب العصمة ، ولا شاهد بالفضل ككتاب الله ، من إخباره بالعفو
عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب : « عفى الله عنك لم أذنت لهم » ، وتقديم ذكره
على الأنبياء مع التأخر عنهم فى الزمان : « ومنك ومن نوح » ، وإخباره بتمنى
أهل النار طاعته : « يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وهذا بحر لا ينفد ،
وقطر لا يعد ، (٥) ، والذي يليق بهذا المحل أن يقال : إن أسباب المحبة قد
اجتمعت فيه ، أما حب الوجود ، وكأل الوجود ، وهو الحب العام ، وعلاقات
النفوس من أجله . فالوجود الحقيقى وهو الارتسام بصورة الإيمان ، لم
يحصل إلا به ، ولا استفيد إلا منه . قيل لبعضهم : لم تحب معلمك أكثر
من حبك لأبيك ؟ فقال : « أى سبب حياتى القانية ، ومعلمى سبب حياتى
الباقية . قال سهل بن عبد الله ، فى قوله : « لهم قدم صدق عند ربهم » .
هو مقام لا يناله إلا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وتناله أمة بسببه .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٢) أنظر فى موضوع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم (شفاء السقام للتقى السبكى ،
والصواعق المحرقة للشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد بن عبد الوهاب) .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٤) « الشفاء فى التعريف بمحقوق المصطفى » للقاضى عياض بن موسى بن عياض البجصى السبكي .

(٥) فى : س وقطر بمند .

(وأما حب) (١) النوال ، فأحسانه بالهداية ، ثم بحمطة السياسة ، ثم بعلاج الخلق النافع في الدنيا والآخرة ، ثم بعموم الشفاعة : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .

وأما حب الجمال ، فلم يكن أحد أجمل ظاهرا منه ، ولم لا ؟ أو مزاجه العنصرى ، وآلات نفسه الفذة كرسى لنور الله ، الذى أشرق على الوجود بوساطته ، وجمال باطنه من الخلق العظيم ، يكفى (فيه) (٢) ثناء الله فى محكم وحيه .

وأما حب المناسبة ، فأى مناسبة أعظم من الإيمان الذى أضاء (مشاكي القلوب من) (٣) مشكاة قلبه الواحدى الاعتدالى ، فمن كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان (فقد ناسبه بذلك ، وأدركته بذلك القدر المشترك عناية المناسبة ، وبركة المشاركة . أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان) (٤) أو مثقال [١١٦ ب] خردلة ، فوجبت بكل اعتبار ، وثبتت من كل وجه .

ومحبته على أنحاء . قيل معناها (اتباعه) (٥) : « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » . وقيل : اعتقاد نصره ، والذنب عن سلته ، واجتناب مخالفته ، والانقياد لأمره . وقيل : دوام ذكره . وقيل : لميثاره . وقيل : الشوق إليه . وقيل : وجوب مناصحته « إذا نصحو الله ورسوله ، وقيل : توقيره وتعظيمه : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » . وقيل : احترام أهل بيته : « [قل لا أسألكم عليه أجرا] إلا المودة فى القربى » وقيل : رعاية أزواجه : « وأزواجه أمهاتهم » . وقيل : الصلاة عليه : « صلوا

(١) ساقطة من الأصل ، وزيدت من : ظ .

(٢) ساقطة من : ظ .

(٣) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٥) ساقطة من : ظ ، س .

عليه وسلموا تسليماً ، . وقيل : زيارة قبره (١) . قلت : وجعلك بين الحالتين عجيب ، ويرحم الله المؤرخ الرحال أبا الحسن بن سعيد ، من أهل بلدنا . أخبر : أنه لما دخل على صاحب حلب ، وأنشده قصيدته التي أولها :

هب لي بما ألقى الخيال من الكرى لا بد للطف الملم من القرى

استظرف تنكيت ، واستطرفه ، ولقيه على عادتهم ، وقال له يداعبه : نحن نعطي خدامنا إذا لقبناهم ، أو سمينا أبناءهم . فاختر إما صلة الشعراء والضيافة التي أشرت إليها ، أو رسم التسمية . فقال له : ياخوند . المملوك مغربي أكل (٢) . ما هو بمن يختنق بعشر لقم ، فكيف بثلاث . فأمر له ربالثلاثة (٣) رسوم ، وقربه .

ونحن نستعين الله على ما ذكره ، ونمد إليه إلى مزيد من أسباب حبه ، ودواعي تعظيمه ، خلصنا الله برحمته وهدايته ، أو بشفاعته ، والجمع الذي ذهب عينه بأعيان الفرق ، أتى على الوادي فطم القرى ، قوله الحق : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » . ويلحق بمحبته من أجل الله ومن أجله ، محبة أصحابه وخلفائه وأهل بيته ومحبيه ، والتحاب فيه . وقد ورد في ذلك كله من الأحاديث الصحيحة ما هو مشهور ، وما عسى أن يبالغ الوصف ، أو يوفي المدح ، في ذكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ويرحم الله الشاعر :

إذا رمت مدح المصطفى شغفا به تبلى ذهني هية لمقامه
فأقطع ليلي ساهر الجفن مطرقاً هوى فيه أحلى من لذيت منامه
إذا قال فيه الله جيل جلاله رءوف رحيم في سياق كلامه

(١) هذا الباب واسع المدى ، وأحسن ما كتب فيه . أنظر (النفا في التعريف بحقوق المصطفى ، للقاضي عياض وشرحه للملا على القاري ، وشرحه الآخر : نسيم الرياس للخفاجي) . ومن أحسن ما كتب في فضل الصلاة عليه ، صلى الله عليه وسلم . أنظر (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيق . للخواوي ، والنفحات الأقدسية ، في شرح الصلوات الإدرسية . للطار) .

(٢) في : س . مغربي الدار ما هو . (٣) تسمية أنبائه وتلقبه وصلته .

فن ذابجارى الوحي والوحي معجز بمُختلفيه نشره ونظامه
وقلت من قصيدة طويلة (١)

واخجلت من حلبة الفكر التي أغريتها (٢) بفراى المشروح
قصرت خطاها بعد ما ضمَّرتُها من كل موفور الجمام جموح
مدحتك آيات الكتاب فما عسى يثنى على عليك نظم مديحي
وإذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح
ونختم هذا الفصل بقول الشاعر :

أيارب بلغ (من) (٣) سلامى زاكيا (٤)

يفوق (٥) فتيت المسك فى طيب (٦) نشره
إلى السيد المختار من آل هاشم وأكرم من يُومى الجلال لفخره (٧)
إلى السر سر الله فى خلق آدم
إلى خير من أوحى له روح أمره (٨) [١١٧]
إلى النور نور الله فاض فأشرقت به عزتا شمس الإله وبدره
إلى جوهر المجد الذى راق نظمه إلى أن توارى طى أصداف قبره
قال المؤلف رحمه الله : وأما عداوة العدو ، وبغضة البغيض ، فلازم
منه ما لازم من ضده مع اختلاف قصده . قال الله عز وجل : (يا أيها الذين

(١) فى : ظ . وقال المؤلف من قصيدة طويلة .

(٢) فى : س . أبديتها .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٤) فى : ظ ، س . عاطرا .

(٥) فى : ظ يفوت .

(٦) فى : ظ ، س ، فى : طى نشره .

(٧) فى : ظ بفجره .

(٨) فى : ظ ، س : جاء هذا البت مؤخرا عن الذى يلي .

آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء . (١) وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم » . وقال بعض العراقيين : ألفت آية في كتاب الله : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » . (٢) قول الشاعر (٣) :

ر صديق من يعادى من أعادى ويرمى بالعداوة من رمانى (٤)
وقال الآخر :

تود عدوى ثم تزعم أننى صديقك إن رأى منك لعازب
وليس أخى من ودنى رأى عينه ولكن أخى من ودنى وهو غائب
وقال الآخر :

إنما المخلص عندى فى ولائى وودادى
من يوالى من أوالى ويعادى من أعادى
وقال الآخر :

عدو لمن عادت وسلم لسلها ومن قريب ليلى أحب وقربا
وقد أخذ هذا الفصل مأخذه ، والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات ،
(سبحانه) (٥) .

(١) ما بن الحاصرين ساقط من : ظ .

(٢) وتجاوز مداراة العدو قياسا على ما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ طرق بأبه طارق ، فلما عرفه قال : « بئس أخو العشيرة » فلما دخل أدناه ، وفرش له رداءه ، فسألته عائشة رضى الله عنها عن ذلك فقال : « إنا لبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلمسهم » . والمداراة هى مصانعة العدو انتقاء صرره ، ورجاء هدايته ، ولا يقصد منها جلب منفعة كالغلق ، فهى غير النفاق تماما أنظر هذا الباب فى (الآداب الشرعية ، لابن مفلح) .

(٣) فى : ظ وقال الآخر .

(٤) البيت كله . ساقط من : ظ . وجاء الشطر الأول فى : س . صديقى من يصادى من أصادى

(٥) ساقطة من : س .

ورقة الرضى بكل ما يفعل المحبوب :

الرضا الوقوف الصادق حيثما وقف العبد ، فلا يلتبس متقدما ولا متأخرا^(١) ، وهو من لوازم الحب الصادق ، وتوابع الولوع الراسخ ، قال الله عز وجل يصف أحبابه ومحبيه : « رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وشاهد علو مقامه ، قوله : « جنات عدن ورضوان من الله أكبر » . وهو نور يذهب بؤس الحب ، ويخلصه إلى النعيم المحض . قال الشاعر :

فحتى متى نور الرضى لا ينالنى وحى متى أيام هجرى^(٢) لا تمضى
ولانى لأهواه مسينا ومحسنا وأقضى على نفسى لها بالذى يقضى

والشئ بالشئ يذكر ، هجر أحد وزراء الدولة العباسية نديما له ، ثم رضى (عنه ، فلما أراد الخروج من عنده ، قال الوزير : يا غلمان . خذوا الشمعة بين يديه)^(٣) ، ثم أعتبه ورضى فقال : يا مولاي . دعنى أسير فى ضوء رضاك ، أنار الله ظلم اعتراضنا بنور رضاه . وقال الآخر :

يا من رأى حالى وأن ليس لى فى غير ما يرضيه أوطار
وليس لى ملتحد دونه ولا عليه لى أنصار
حاشا لذاك العز^(٤) والفضل أن يهلك من أنت له جار
وإن تشأ هلكى فياحيذا بكل ما ترضى وتختار

وقد تكرر ذكر^(٥) الرضى فى مواضع ، والإسراف فى الخير أولى من عكسه ، بفضل الله (تعالى)^(٦) .

(١) قال الجرجاني فى تعريفاته : الرضا سرور القلب بمر القضاء . وهو أدق من تعريف المؤلف .

(٢) فى . س . أيام هجرى .

(٣) ما بين الحاصرتين . ساقط من الأصل . وزيد من : ظ .

(٤) فى : س . فأعتبه .

(٥) فى : ظ ، س . حاشا لذاك الفضل والعز أن ... البيت .

(٦) فى : س . وقد تكرر تذكر الرضى .

(٧) ساقطة من : س .

الفن الثاني من الغصن الثالث

فيما يرجع من العلامات إلى باطن المحب

ورقة الشوق للمحبيب : قالوا : الشوق حركة النفس إلى تميم

ابتهاجها ، بتصور حضرة محبوبها ، وهو من لوزام المحبة وذانياتها ،
إذ النفس أبدا تحن إلى من تحب ، ولا يكون إلا لمن علم من طرف وجهل
من آخر ، [١١٧ ب] فتحرك المحب لذة ما أدركه ، إلى طلب ما لم يدرك .
ولا ينقطع الشوق إلى الاستكمال بالله في الدنيا ولا في الآخرة .
قال الشاعر :

أحبا بنا كم تبعدوني وأرتجى دنوكم والشوق يضرم أحشائي
دعوني إذا لم ترتضوني جالسا على بابكم أبكي وأندب أهوائي
فإن قيل من هذا فقولوا خليعنا ميمنا مهجورنا فهمي أسمائي
وقال الآخر :

يا منينة النفس ياروح الحياة لها غرقت في بحر أشواق نخزيدي
ما عنك يشغلني مال ولا ولد نسيت باسمك ذكر المال والولد
فلو سفكت دمي في التراب لا نكتبت
به حروفك لم تنقص ولم تزد

وقال الآخر :

قلب يقلب بين الشوق والقلق قد صير الجفن رهن الدمع والأرق
لما شكوت (١) لقاضي الدمع فيه له أجنبي أنت في أمن من الغرق
يامن وهبت له نفسى فعذبها ورمت تخليصها منه فلم أطق
أرحم حشاشة نفس فيك قد تلفت قبل المات فهذا آخر الرمق
ولو مضى السكل منى لم يكن عجبا وإنما عجبى للبعض كيف بقى

(١) في : ظ شكيت .

وقال الآخر :

نحن الكرام لأوطانها حنين الطيور لأوكارها
ونذكر فيها عمود الصبا فنزداد شوقاً بتذكارها

ورقة الوجد :

وهو لهب يتأجج من شهوة عارض مقلق . وقال أبو الفرج : من نافره
الوجد نافره النوم . وقال : العارف غائب عند ذكر الدنيا ، حاضر عند
ذكر الآخرة ، وطائش عند ذكر الحبيب ، يحضر المجالس (١) موثقاً بقيود
الهم ، فإذا ذكر الحب قطع الوجد السلاسل (٢) ، إن مداراة قيس تمسكن ،
ولسكن مع ذكر ليلى فلا .

أين فؤادي أذابه الوجد وأين قلبي أما صبحا بعد
ياسعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت ياسعد

وقال الآخر :

أعندكم يا أهل ودي أني وجدت عليكم وجد قيس على ليلى
وأغريت فيكم عروة من غرامه (٣) فلم أسل يوما عن هواكم ولا ليلا

وقال الآخر :

إذا قربت داري كلفت وإن نأت أسفت فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن وعدت زاد الهوى بانتظارها وإن بخلت بالوعد مت من الوجد
ففي كل حب لالحالة فرحة وحبك ما فيه سوى غاية الجهد

ورقة المراقبة :

والمراقبة : مراعاة السر لملاحظة الحق . وقيل : دوام ملاحظة المقصود .

(١) في : ظ ، س . يحضر المجلس .

(٢) و : س . فإذا ذكر الوجد قطع الحب السلاسل .

(٣) في : س عن غرامه .

وسئل ابن عطاء : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : المراقبة . والمراقبة أفضل (١)
علامات المحبة ، ومن الحكايات فيها ، أن وزيراً من وزراء فارس ، حضر
بين (يدي) (٢) الملك وزوجه ، يخير إياها في عرضين ، من حلى وثياب
جعلها بين [١١٨] يديه ، فأرادت من الوزير إرشادها إلى خيرهما بالإشارة ،
فغمز لها عينه مشيراً إلى أحدهما ، فانفق أن نظر الملك إليه في تلك الحال ،
فأما زوجة الملك فاختارت خلاف ما وقعت إليه الإشارة ، وأما الوزير ،
فبقى يغمز عليه عشرين سنة ، إلى آخر عمره ، حتى اعتقد الملك
أنها عادته .

وإذا تحقق السالك بمقام المراقبة ، أعرض عن الخلق جملة . ونفر عنهم .
ولم ينظر إليهم إلا من جهة السر القائم (بهم) (٣) ، وإن باشرهم فهو غائب
عنهم جملة ، (قال الشاعر) (٤) .

وما ذاك زهداً فيهم غير أنني وجدتكم مشهودى بكل مكان

وقال الآخر :

لك منى على البعاد نصيب لم ينله على الدنو حبيب
وعلى الطرف عن سواك حجاب وعلى القلب عن سواك رقيب

وقال الآخر :

كأن رقيباً منك يرعى خواطرى وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما لحت عيني لغيرك منظرأ يسوءك إلا قلت قد رمقاني

(١) في : ظ ، س . أعظم علامات المحبة . وفي تعريفات الجرجاني : المراقبة استدانة علم
البعد بإطلاع الرب عليه في جميع أحواله . وهو أعم مما ذكره المؤلف لأن مراعاة السر للاحطة
الحق قد توقف الإنسان عند الباطن . أما تعريف الجرجاني فيشمل الظاهر والباطن .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) ساقطة من : س .

(٤) ساقطة من : ظ ، س .

(٥) في : س . من سواك .

ورقة طاعة المحبوب :

ومن العلامات الذاتية ، الطاعة للمحبيب وإيثار مراده ، لأن ثمرة المحبة الموافقة . وسئل الجنيد عن علامة المحبة ، فقال : « لاتستثقل اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه » .

وقال : « المحبة والمخالفة ضدان » .

وقال الشاعر :

هموم رجال في أمور كثيرة وهمي من الدنيا خليل مساعد
نكون كروح بين جسمين فرقا فجسمهما جسمان والروح واحد
فإن غاب عنى لم أذق طعم سلوة فإن فؤادى نصفه متباعد
وقال الآخر :

نعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
وقال الآخر :

قالت لطيف خيال زارنا ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت ، الوفا في الحب عادته يابرد ذاك الذى قالت على كبدي

تفسيه :

وإن سئل : هل تدل معصية الله على عدم محبته ؟ فالجواب : أنها تدل على عدم كمال المحبة ، لا على عدمها . وكان نعيمان يؤتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحده ، فلغنه رجل ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله (٢) .

(٢) ومن ذلك دعاء أبي الحسن الثاقل ، رضى الله عنه في حربه الكبير ، حارب البر
إذ يقول : « واجمل سبائنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت » .

ورقة الهيبة والتعظيم :

والهيبة وجود تعظيم في القلب ، يمنع من النظر إلى غير المحبوب ، وهو مقام ذات للهيبة لا يفارقها ، ويقوى عند تجلى صفات (١) الجلال ، ولا ينقطع إلا مع عدم المشاهدة .

قال الشاعر .

بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدى كانت شفاى أنامله
ومن هابى فى كل شىء وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
ومقام الهيبة فى الخواص ، بمنزلة مقام الخوف فى العوام . ومقابله
الأنس ، كما أن الرجاء مقابله الخوف (٢) .

وقال فيه الشاعر :

أما حان أن تشفى المستهام بزورة وصل وتأوى له
يجمع عن سؤله هيبة ويعلم علمك تأويله
[١١٨ ب] وقال :

أشتاقه فإذا بدا أطرق من إجلاله
لاخيفة بل هيبة وضنائة بجماله (٣)
وأصد عنه تجلداً وأروم طيف خياله

== فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تنصر مع الحب منك ، وقد أبهت الأمر علينا لئلا نخاف ، فأمس خوفنا ، ولا نخيب رجاءنا . . . فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعك وأقل عليك ، بل هو مذكول بالسبق منك لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك .
(١) فى : س . صفة الجلال .
(٢) ترتب هذه المقامات . صعوداً . الخوف والرجاء . وفوقهما القبض واليسط وفوقهما الهيبة والأنس (تعريفات الجرجاني) .
(٣) فى : س . لجماله .

ورقة كتم السر (١) :

وهو من شيم الأحرار ، وخلق الأبرار ، والمحافظة على الأسرار .
قال الشاعر (في ذلك (٢)) :

لا جزى الله دمع عيني خيراً وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتّم شيئاً ووجدت اللسان ذا كتمان
وقال الآخر :

صبرت ولم أطلع هواك على سرى وأخفيت ما بيك عن موضع السر
خافة أن يشكو ضميرى صباة إلى أدمعى سرّاً فتجرى ولا أدري
وقال الآخر :

ومستودعى سرا كتمت مكانه عن الحس (٣) خوفاً أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس غيره فأودعته في حيث لا تبلغ النفس
وقال الآخر :

ومستودع عندي كلاماً يخاف من إذاعته في الناس (٤) أن ينفد العمر
فقلت له لا تخش منى فضيحة لسر غدا ميتاً وصدرى له قبر
على أن ما في القبر يرجى نشوره وسرك لا يرجى له أبداً نشر
وقال الآخر :

صح عند الناس أنى عاشق غير أن العشق لا يدري لمن
فاقطعوا حبل وإن شئتم صلوا كل شيء منكم عندي حسن

(١) و : ظ . كتم المحبوب ، وى : س كتم سر المحبوب .

(٢) ساقطة من ظ ، س . وكتم السر فوق أنه من علامات الحب فإنه يزيد من طاقة الصوت وقوته الباطنة ، ويقوى همته ، ولا شيء يقضى على قو الهمة غير التحدث بالمواعيد التي يحسها السالك قبل أن يرقى عن المواعيد إلى المقامات . ومن هنا شرط الصوفية الإذن في الكلام .

(٣) و : س . من الحسى . (٤) و : ظ ، س النفس .

ورقة مداومة ذكر المحبوب :

قالوا : من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، فإن اللسان ترجمان القلب ،
« ومتروح السر » .

قال (١) الرازى (٢) : « ما ولع المرید بذكر شيء ، إلا استفاد منه محبة ذلك الشيء » ، وقال : « من علامات حب الله كثرة ذكره » ، وقال الجنيد : « سمعت سرياً يقول : مكتوب في بعض كتب الله : إذا كان الغالب على عبدي ذكرى ، عشقني وعشقتة (٣) » . وكان قيس يدور في الأزقة ويقول : أيا ليلي . فلما أفرط كان يقول : ليلي ليلي . دائماً لا يخلط مع اسمها شيئاً . وإذا كان هذا ثمرة حب ليلي ، فكيف مجنون الحب برب ليلي » .

ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم ودم في جوار الله غير مذمم
إذا نسي الناس اليهود وأغفلوا فعهدك في قلبي وذكرك في فمي
وقال (الآخر) (٤)

يا من يذكرني بعهد أحبي طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جنباته إن الحديث عن الحبيب حيب
ملاً الضلوع وفاض عن أجنابها قلب إذا ذكر الحبيب يذوب (٥)
ما زال يحقق مضارباً بجناحه يا ليت شعري هل تطير قلوب ؟
وقال الآخر :

خطرات ذكرى تستثير مودتي وأحس منها في الفؤاد ديبها

(١) ساقط من الأصل ، ظ .

(٢) يحيى بن معاد الرازى .

(٣) والدليل من القرآت الكريمة : « اذكر والله ذكرها كثيراً » وقوله : « فادكروا الله كذكر آباءكم أو أشد ذكراً » . ومن السنة : « اذكروا الله حتى يقولوا بخنون » .

(٤) ساقطة من : ظ .

(٥) في : ظ . يطيب .

لا عضو لي إلا وفيه صباية فكأن أعضاء خلقن قلوبا
وقال الآخر :

فلا أصافح أنسى بعد فرقتكم
حتى تصافح كف اللامس القمر (١)
ولا أمل مدى الأيام ذكركم حتى يمل نسيم الروضة السحرا
وقال الآخر :

واقه ما طلعت شمس ولا غربت إلا وأنت مني قلبي ووسواسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جلّاسي
[١١٨ ب]

ولا هممت بشرب الماء من ظمأ . إلا وجدت خيالا منك في الكاس
وفيما هو من الذكر أشد وأبعد غاية ، وأدل (٢) على تمكن الحب
أحوالهم في ذكرى حبيب ، وهي ما جاء عن الشعراء من ، ذكر (٣)
المحبوبين ، بين يدي الأهوال من القتل والقتال ، والشدائد المذهلة لعقول
الرجال ، كقوله (٤) .

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري وإنى مفكر أدا عرائني من حبابك أم سجر
وقال الآخر :

ذكرتك والقرن المدجج زاحف (٥) إلى وشدق الموت أهزت (٦) فاغر

(١) في الأصل : الحيرا ، والرجيع من : ظ .

(٢) في الأصل . وأدلم على تمكن الحب .

(٣) في : س من ذكرهم المحبوبين .

(٤) في : س . كقول الشاعر .

(٥) في ، ظ زاحف .

(٦) الثوب الأهرت : الواسع الفخم .

ذكرتك والأسياف من فوق خوذتي كما صفقت فوق السبيك قبون (١)
وأشد منه ، ما حكى أن الحجاج أمر بصلب ماهان العابد ، ورفع على خشبته
وهو يسبح ويهلل ، ويعقد يده ، حتى بلغ تسعا وعشرين ، فبقى شهرا بعد
موته ويده على ذلك العقد . (قال الشاعر) (٢) .

لتحشرن عظامي بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم علق

ورقة الولوع :

ومن شأن الحب (٣) أن يحب اسم حبيبه . وحكى عن بعض أنه
لقى رقعة مطروحة في السكة ، توطأ بالأقدام ، ولم يكن له غير درهم
واحد ، فاشترى به طيبا وطيب به الرقعة وصانها ، فتودى في بعض مناجاته
يا فلان طيبت اسمي فلأطبين اسمك (٤) . وما زالت المحبون يولعون بأسماء
أحبابهم فينقشونها على خواتيمهم . قال الشاعر :

أجب أسمها من أجل (حب) (٥) مسماه ويعنى الفتى باللفظ من أجل معناه
ولما بلغ الرشيد هوى بعض محارمه قى يسمى طلا ، وأنها تكثر
قراءة قوله تعالى « فإن لم يصبها وابل فطل » وتوعدها . كانت تقرأ « فإن
لم يصبها وابل » فما نهى عنه أمير المؤمنين . وفي الارتساع عند سماعه
يقول الشاعر :

وداع دعى إذ نمن بالحنيف من منى فهبج أشجان الفؤاد وما يدرى

(١) القبون : جمع قين ، وهو الحداد .

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٣) قى : ظ المحبوب .

(٤) روى هذا الخبر لمصور بن عمار ، وكان يقول : « كل ما أعطاني الله من الحكمة
فإنما ببركة رفع تلك الورقة » . أطر القصة كاملة في باب الفرق بين العلم والحكمة من
(علم القلوب : لأبي طالب المكي ، من تحقيقنا . ط مكتبة القاهرة بالأزهر) .

(٥) ساقطة من : س .

دعى باسم ليلى غيرها فكأنما أثار بليلى طائرا كان فى صدرى
وفى العلاقة بالأوصاف يقول الشاعر :

أشبهت أعدائى فصررت أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى طائعا^(١) مامن يهون عليك ممن يكرم

ورقة الغيبة^(٢) والذهول :

وكثيراً ما يعترى المحب الغيبة والذهول ، قال الشاعر يعتذر عن جنائيات
الغيبة والذهول بما يظهر منه :

وما كان إنعائى صباحك^(٣) عسى بجهل وما استعملت ذاك مزاحاً
ولكننى أبصرت وجهك فى الدجى فصاد لى الليل البهيم صباحاً
وقال :

نرى المحبين صرعى فى ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم قتل (من الحب)^(٤) أو موتى لما حشوا
[١١٩]

ورقة الغيرة :

والغيرة^(٥) من لوازم المحبة ، ويتصف بها المحب والمحبوب . فالمحب

(١) و : ظ س . وهجرتنى ، فهجرت نفسى صاعرا .

(٢) الغيبة . هى غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق بل من أحوال نفسه بما
يرد عليه من الحق إذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة . فهو حاضى بالحق غائب عن
نفسه . وربما يشهد على هذا قصة النسوة اللاتى قطعن أيديهن من جمال يوسف .
(٣) فى : ظ صتاياك .

(٤) ساقطة من : س . وكان بعض الصوفية حزين يسمع المؤذن يقول : أشهد ألا إله الله ،
أشهد أن محمداً رسول الله ، يقول : لولا الشريعة ما ذكرت معك عيرك .

(٥) هى كراهة شركة الغير فى حقه ، ومن هنا قال المحققون : إن الله يعار على قلب الولي
أن يكون فيه غير ذكره ، فإذا اشتغل الشيخ بحاجة مريده ، أو الولي بحاجة محب من محبيه ،
فإن هذا الاستغال بالحاجة كفيف بقضائها غيرة على قاب العارف ، ليتخلص لله وحده .

في هذه المحبة إنما يغار على نفسه أن يكون فيه نصيب لغير محبوبة وإن خفى، حتى لا يحب حبيبه لشيء سواه، وأن يتصف بمحبته من ليس من أهلها من أصحاب الدعوى. وغيره المحبوب على ذاته، وعلى قلب محبه أن يلتفت إلى سواه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغيرة من الإيمان»، وقال: «إن سعدا اغيور، وإن أغير منه وإن الله أغير مني [ومنه]»، وشاهد (١) غير الحق: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، وقوله: «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن»، وقال الشاعر:

وحقك لانتظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا
(وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعى معه اشتراكا) (٢)
إذا اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى بمن تباكي
وقلت:

إن أكن غيركم نظرت بعيني بعدكم يا سواد ذاك السواد
أنا والله أجعل الحفن منها حبسا دائما لسكنى السهاد
وقال الآخر وهو حسن التورية بالأغيار (٣).
وددناكم صرفاً فلما مزجتم (٤) بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا قلب (٥) غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا
وقال الآخر:

أغار عليك من لحظ العيون فكيف وبالقيح من الظنون
وأحسد سيدى أرضاً تطأها فليستك لاتطأ إلا جفون
وأبلغ منه قول الآخر (٦):

(١) في الأصل وشاهده غير الحق .
(٢) في البيت ساقط من الأصل .
(٣) في : ظ . للتورية بالأعيان .
(٤) في : س . فلما ترحم .
(٥) في : ظ ، س . لا تسكنوا القلب غيرنا .
(٦) في : ظ ، س . وأبلغ من الجيم .

ومحتجب بين الأسنة معرض وفي القلب من إعراضه مثل حجبه
أغار إذا آنت في الحى غيره (١) حذاراً وخوفاً أن يكون لحبه
(وأبلغ منه قول الآخر) (٢) .

أغار عليك من نفسى ومنى ومنك ومن مكانك والزمان
وقالوا : أوحى الله إلى داود عليه السلام : « يا داود . إني حرمت على
القلوب أن يدخلها حى وحب غيرى » . وقال : « يا داود إن كنت تزعم
أنك تحبني ، فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فإن حبها وحى لا يجتمعان .

ورقة الأنس :

والأنس : سرور القلب بشهود جمال الحبيب ، من غير استشعار رقيب .
وهى حالة توجب انتعاش المحب (٣) . وصفاء وقته ، ويخاف فيه غوائل
الإدلال ، قال الشاعر :

أفديكم بالقلب إن كان لى قلب وبالمال وبالنفس
فا سوى وصلكم عدنى ولا سوى ذكركم أنسى
شغلت قلبى (٤) بمناجاتكم فقل هذا عابد الشمس

الطبرى : قال رجل لأبى محمد الجيرى : كنت على بساط الأنس ، ففتح
طريق الانبساط ، فرللت زلة حجبت (٥) [بها] عن مقامى (٦) . فكيف
السييل إليه ، فدلى على الوصول إلى ما كنت عليه ، فسكى أبو محمد . وقال :

(١) فى الأصل ، ظ ، س . آنت فى الحى أنه ، ولا يستقيم معه المعنى .
(٢) ما بين الحاصرتين ، ساقط من : ظ . وحاء مكاتها . وأبلغ من الجميع .
(٣) فى : ط انتعاش لى .
(٤) فى . ظ ، س . شغلت نفسى .
(٥) فى : س . غبت .
(٦) فى : ط من مقامى .

يا أخى، السكل فى هذه الخطية ، وفى أسر هذه الرزية ، ثم شفق شهقة -
عظيمة، ثم سكت .

قف بالديار فهذه آثارهم تبكى الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبراً عن أهلها أو عاذرا أو مشفقاً
فأجانبى داع الهوى فى رسمها فارقت من أهوى فعز الملتقى
ورقة الحزن :

والحزن توجع لغائب، أو تأسف على ممتنع ، قالوا : حزن العموم على .
التفريط فى الحقوق ، وحزن الخصوص على المعارضات فى الأحكام (١) .
ويحكى أن داود عليه السلام، كان إذا أراد النياحة نادى مناديه فى أندية الحزن
فيجتمعون فى مأتم الندب ، فيزداد الحرق بالتعاون . وأكثر ما تقوم سوقه
عند الإحساس (٢) بسقوط الرتب ، والشعور بذل الطرد . قال عبد الواحد
ابن زيد : « لو رأيت الرياشى لقلت مشكل » :

لبس البياض بذات عرق معشر ولبست من حزن ثياب حداد
وصلوا إلى عرفات يبغون الرضا وبقيت منكسراً بطن الوادى
رفعوا أكفهم وضجوا بالدعا وضممت من كمد يدى لفؤادى
وقال الآخر :

أحزنتم بان العذيب فلم يمس (٣) طربا ، ولا غنى عليه حمام
فرقتم شمل السرور ببينكم فعلى السرور نحية وسلام

(١) أى شعور المعارف بأنه يعمل فى حياته ، وربما كان عمله هذا معارضة لحكم الله .
ومحاولة للوقوف ضد القدر . والمعارف هنا يعيش فى مشهد ذوقى ينتجيه من تلك الورطة ، فهو
يسلب لإرادته لله ، ويرى كل حركة يقوم بها من الله .
(٢) فى : ظ ، س ، فى الإحساس .
(٣) فى : ط فلم يعل .

وقال الآخر :

تعالى نغم مآتما للفراق وتندب إخواننا الظاعنين
ونسعدك بالنوح كي تسعدى كذلك الحزين يهيج الحزينا
ومن الغريب ، قول شيخنا ، أبى البركات ابن الحاج ، يعلى
ورقة عينه :

حزنت عليك العين يامعنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك مارقا
فلذلك (١) ماظهرت بلون أزرق أو ماترى ثوب المآتم أزرقا

ورقة الحياء :

والحياء : انفعال يتولد من تعظيم منوط بود . وهو من شيم المحبين ،
ويتبعه الانقطاع والإطراق ، قال ذو النون المصرى : « لو وهبنا الحياء من
الله ما ذكرنا المحبة ، وقد سكرنا من حب الدنيا » (٢) . قال الشاعر :

ساروا (٣) فصار الجسم من بعدهم لا تبصر العين له فى
بأى وجه ألقاهم إن وجدونى بعدهم حيا
واخجلنى منهم ومن قولهم ما ضرك البعد لنا شيا

وقال الآخر .

تركتك وانصرفت لبعض شأنى ولم أذكرك إلا بالالسان
فلو أبصرتى لقتلت نفسى حياء أن أراك وأن ترائى

وقال الآخر .

أزرد سوام (٤) الطرف عنك وماله إلى أحد إلا إليك طريق
تنوق إليك النفس ثم أردھا حياء ومثلى بالحياء خليك

(١) ق : ظ ، س . ولذلك .

(٢) ومنه ما جاء من صفات النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان أشد حياء من العذراء .

(٣) ق : س . صاروا .

(٤) سوام الطريف : طريق النظر .

ورقة الخوف والرجاء .

وقد ذكرنا أن الهيبة تقوم مقام الخوف ، والآنس مقام الرجاء عند الخواص ، ويتردد ذكر هذين المقامين ، ويلزمان المحب في أول السلوك ، وكذلك القبح والبسط ، وهما اللطف من الخوف والرجاء ، فإن الخوف يقبض ، والرجاء يبسط، وإذا أفرط الخوف أنتج الوحشة (١) من المحبوب وإذا أفرط الرجاء أوجب الإعجاب والإدلال ، والله رد القائل [١١٩ ب]

أخافك للحق الذى لك فى دى وأرجوك فى الحب الذى لك فى قلبى
وقال الآخر فى الرجاء :

ركابى بأرجاء الرجاء مناخه ورائدها على بأنك لى رب
وأنت علام بما أنا قائل كما أنت علام بما أضمر القلب
وإن آدها ذنب توانت بيبابه فقد قرعت بابا به (٢) يغفر الذنب

(١) وربما أنتج اليأس كذلك ، ويخرج الإنسان من اليأس علمه بأن الله تعالى قد أبهم الأمر على العباد لتشريع الخوف والرجاء ، أما فضل الله فهو فوق كل شيء ، وعلى العبد أن يعمل فى محاب الله تعالى ، ويبتعد عن مكارهه ولا خوف عليه بعد ذلك من أى وجدان من هذه المواجهيد .

(٢) ق : س (بابا فيه) تحريف .

الفن الثالث

فيما يرجع من العلامات إلى ظاهر المحبة

ورقه حب الخلوة :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد الخلوات (١) في بداية أمره
والخلوة رياض المحبين ، وبستان المتفكرين وريبع سوائم الذاكرين ،
وقالوا : من غلب عليه الأنس لم يكن همه إلا الانفراد والخلوة . وقال

الشاعر :

ألا خلوة أشكو إليك صباية لها بين لحي والعظام ديب
(وقال الآخر) (٢)

وأخرج من بين الديار لعلنى أحدث عنك النفس في السر خالياً (٣)
وتتضمن الخلوة الصمت إلا عن ذكر المحبوب ، والإعراض عن غير
المحبوب ، وكفى بها مزية على غيرها ، ولذلك ما كانت [إلا] أم الرياضة
وإذا زوجت بالذكر ، ولدت حسن المشاهدة (٤) . وقال شيخنا الكاتب
أبو عبد الله بن عمر :

بما بيننا من خلوة معنوية أرق من النجوى وأحلى من السلوى
ففي ساعة في عرصة الدار وانظري إلى عاشق ما يستفيق من البلوى
وكم قد سألت الريح (٥) شوقاً إليكم فما حن مسراها إلى ولا أوى

(١) ن : س ، ظ . (يقصد الخلوة) وكانت الخلوة في الصدر الأول قانوناً ياترم جميع
الصوفية بلا استثناء فكانوا يلجأون إلى المغارات والصحارى يقتاتون من عشبها ويشربون من
كنفها ، ولعلها كانت في ذلك العصر حركة مضادة للزحف الذي شاع في أرجاء الدولة الإسلامية ،
وفي قصور الخلفاء .

(٢) ساقطة من : س . (٣) يروي البيت هكذا على أنه لحنون لبي :

وأخرج من بين الديار لعلنى أحدث عنك النفس ياليل خالياً

(٤) ن : ظ . (ولدت جنين للمشاهدة) . ويسميه الشيخ الأكبر عبي الدين بن عربي :

« طمل الماني » . (٥) ن : ظ (الرياح) . تحريف .

وقال الآخر .

أنست بوحدي حتى لو اتى أتاني الأنس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لي صديقا أميل إليه إلا ملت عنه
وقال الآخر :

عليك بالعزلة لمن الفتى من طاب بالقلة في العزلة (١)

وقال أبو الفرج : تأملوا الفرس إذا قدم إلى الماء الصافي ، (كيف
يضرب يده حتى يتكدر ، أتدرون لم ؟ لأنه يرى) (٢) فيه صورته ، أو
صورة غيره ، فيكدره حتى لا يتبين فيه الصورة ، فهنا على الشرب (٣) . قال
الشاعر :

إذا استحسننت مقلتي غيركم أمرت السهاد بتعذيبها
وعاقبتها بالبكا دائماً كما استحسننت غير محبوبها
فما تنظر العين إلا إليك لأنك غاية مطلوبها

ورقه امتحان المحبوب محبيه .

ولما كانت المحبة دعوى أمر عظيم ، جرت عادة الله باختبارها ،
ليميز الله الخبيث من الطيب ، قال الله عز وجل : « ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين (٤) » . قال رجل : يا رسول الله . إني أحب الله

(١) في : ظ ، س (يخشى من الذلة في العزلة) .

(٢) ما بين الحاصرين ، ساقط من الأصل

(٣) في ، ظ فيتبها للشرب .

(٤) ليس كل ما ينزل بالبعد من بلايا وعن هو من باب الابتلاء من المحب للمحسوب ،
أو من الله لعبده المحبوب لديه . فالبلاء ثلاثة أنواع : بلاء لتكفير الذنوب ، وبلاء للانتقام ،
وبلاء لرفع المنزلة ، والترقي في مقام المعرفة . وأرقى الأنواع هو النوع الثالث ، وهو مناط
الصبر الذي يميز الله صاحبه بغير حساب ، وبإيه في المنزلة النوع الأول ، أما النوع الثاني
فليس من بلاء المحب في شيء ، وإنما هو بلاء غضب وطرده والعياذ بالله . وعلامة النوع الأول :
أن يصحبه ضيق في الصدر دون سكاية للخلق ، فإن وجدت نفسك مصابا ولا تشكو للخلق =

« استعد للبلاء » . ولما قال سمعون : « دونك ما شئت فاخترني » . اختبر بعسر البول فكان يطوف على المكاتب ، وينادي صبيانها قائلا : « ادعوا لعنكم الكذاب » قال الشاعر .

مولاي إن عدت ولم ترض لي أن أشرب البارد لم أشرب
امتط خدي وانتعل ناظري وصد بكفي حمة العقرب [١٢٠]
وقال .

(وطالما أصلي الياقوت جمر غضا ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت) (١)
وقال :

أحتقرا نفسي بسحر جفونه لقد بصرت عيناك منها بهاروت
وختبرا قلبي بنار شجونه لقد ظفرت عيناك منه بياقوت
فإذا ظهرت صحة الدعوى ، سجل عند الصدق : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، « وقلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم » ، « وقد يناله بذبح عظيم » ، « اركض برجل هذا مغتسل بارد وشراب » .

ألقى في لظى فإن أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
صنع الدسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالغسكبوت

== فأبشركم الذنوب ، وعلامة الثاني : أن يصعبه ضيق في الصدر وشكوى للخلق ، فإن وجدت نفسك تشكو ما حل بك من بلاء إلى الناس ، فأبك على نفسك ، وجاهد نفسك ، واحرمها من ملذاتها ، والجا إلى الصلاة والقرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فامل الله تعالى يرضى عنك ويعافيك . وعلامة النوع الثالث ألا يصعبه ضيق في الصدر ، ولا شكوى للخلق ، فإن وجدت نفسك عند البلاء لا تشكو ولا تجزع فأبشر ، فأنت من سبقت لهم الحسن ، وحاذر من الفرور . لأنك حينئذ أصبحت في مقام الإيمان الخالص ، وأنت ممن قال الله تعالى فيهم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » . وهذا النوع مصدر عظيم من مصادر المعرفة الصوفية .
(١) ساقط من س ، ظ .

قال أبو الفرج : كلما قوى حامل المحبة زيد في حمله : « نحن معاشر
الأنبياء أشد الناس بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل » .

شكوت إليه ما ألاق فقال لي رويدا فني حكم الهوى أنت مؤتلى (١)
فلو كان حقا ما ادعيت من الهوى لقل بما تلقى . إذن أن تموت لي (٢)

ورقة : الصفرة والنحول :

وهذه العلامة معروفة للعشاق ، قد تداولها النظم والنثر ، وكثر فيها القول .

قال السري يوما في غيبة طرقة : « لو شئت أن أقول : ما أيسر جلدي
على عظمي ، ولا سل جسمي إلا حبه لقلت » .

وعن الجنيد ، قال : « مرض أستاذنا السري ، رحمه الله ، فلم نعلم
لعلته دواء ولا علمنا لها سببا ، فوصف لنا طيب حاذق ، فأخذنا قارورة
من مائه ، فنظر إليه الطيب وجعل ينظر إلى الماء مليا ، ثم قال : هذا بول
عاشق (٣) . قال : فصعقت وغشى على ، ووقعت القارورة ، ثم رجعت إلى
السري فأخبرته ، فتبسم ثم قال : « قاتله الله ما أبصره » . قال أبو الفرج :
أول دليل على الحب نحول الجسم واصفرار اللون .

صليت عظامي لحما وتركتها مجردة تحصى لديك وتحصي (٤)
وأخليتها من نخها فكأنها أنايب في أجوافها الريح تصفر

(١) اضطرب الشطر الثاني في : ط ، س هكذا . (رويدا أنت في حكم الهوى مؤمل) :
(٢) اضطرب الشطر الثاني في : ط ، س هكذا (تعل إذا بما تلقى أن تموت لي) .
(٣) في : ط . أراه بول عاشق . وهذا اللون يمسك أن يعرف به الصادق من المدعي ، وقد
رأيت من العارفين الذين اصفرت ألوانهم صفرة مائلة إلى الخضرة بصمة دائمة : حضرة أستاذنا
الراحل سيدي « عبد الخالق الشبراوي » رضى الله عنه ، والعارف بالله شيخ أهل المدينة
النورة « الشيخ أحمد يس الحيارى » رضى الله عنه : وغيرهما . ومما تجب ملاحظته أن تلك
الصفرة ليست صفرة علة ومرض ، بل إنما تكون والصحة موفورة . ولما تنقلب مرضا كما
حدث للسري السقطلي إذا أصرب الحب عن مقومات صحته اشتغالا ببلدة الحب الإلهي التي
لا يعرفها إلا من ذاقها وجربها .

(٤) في : ط ، س (تضحي إليك وتحضر)

(إذا سمعت باسم الحبيب تقعقت مفاصلها من هول ما تنفطر) (١)
خذى يدي ثم اكشفي الثوب تنظري (٢)
ضنا جسدی لكنتی أستر

ويقول الآخر :

يا من رماني (٣) بالبعد وليس لي ذنب يكون البعد فيه عقابي
حملتني ثقل الهوى ومن الضنا والسقم لا أسطيع حمل ثيابي
وقال الآخر :

ولما شكوت الحب قالت كذبتني فإلى أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا وتصمت حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى ليس يبق لك الهوى سوى مقلة تبكي بها وتناجيا
قال أبو الفرج : يحسبهم الناظر مرضى الأبدان ، وإنما هم سقام
الاحزان .

مكتتب ذو كبدي حرا تبكي عليه مقلة عبري
يبق إذا حدثته باهتا ونفسه عما به سكري
وقال الشاعر في مثله :

ألف السقم جسمه والآنين وبرا الهوى فما يستبين (٤) [١٢٠]
ما تراه العيون إلا ظنونا هو أخفى من أن تراه العيون
إن سمعتم (٥) أنينه من بعيد فاطلبوا الشخص حيث كان الآنين
لم يعيش إنه جليلد ولكن ذاب سقما فلم تجده (٦) المنون

(١) البيت ساقط من : س . (٢) في : س (فانظري) .

(٣) في : س ، ظ . يأمن رماني . وهو مخل بالوزن .

(٤) في : س . (وبرا الأسي فلا يستبين) .

(٥) في : س . (قد سمعتم) . (٦) في الأصل ، س (فا تراه المنون) ؟

وبما اشتهر في هذا الغرض قول (أبي) (١) عمر الرمادى ، يرحمه الله ،
من قصيدة :

من حاكم بينى وبين عدولى الشجوشجوى والعويل عويل
مهلا فما دين الهوى كفر ولا أعتدت عدلك لى من التنزيل
أصبحت فى دين الهوى متشرعا فأنا أخاف عقوبة التعطيل
ولرب قوم لم تكن أكبادهم لجوى ولا أجسامهم لنحول
دقت معانى الحب عن أفهامهم فتألوها أقبح التأويل

وقال غيره فى الاصفرار :

يزين رباهما النرجس الغض مثل ما يزين وجوه العاشقين اصفرارها
آخر :

وما غض من لوني شحوب وصفرة وهل عاب دنيار النضار (٢) اصفراره
ورقة البكاء :

وهو قطارة نار الشوق ، وقطر سحاب الزفير ، وعنوان كتاب الوجد ،
وألم شفعاء العاشقين [الدموع] . كان (داود عليه السلام) (٣) يقول :
« إلهى امدد عيني بالدموع ، وضعفنى بالقوة ، حتى أبلغ رضاك عني » (٤) .

يا من نجيب صبرى فى تحببه هب لى من الدمع ما أبكى عليك به
حتى متى زفراقى فى تصاعدها إلى الممات ودمعى فى تصييه
ولى فؤاد إذا طال الغرام به هام اشتياقا إلى لقيا معذبه

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) اضطرب الشطر الثانى فى : ظ هكذا (وهل غاب ويجب التصارى أصراره) :

(٣) العبارة ساقطة من : ظ .

(٤) ومسوغه من القرآن الكريم قوله تعالى فى صفة المؤمنين الأتقياء : « ويغرون للأذى »
يكون « . وقوله تعالى : « خروا سجدا وبكيا » .

قال أبو الفرج : إن العاشقين كانوا الله بدموعهم ، وهم ينتظرون
الجواب .

على آثارهم أفنيت (١) دمعى وبعدهم بليت بكل فجع
ولولاهم لما بددت شملى ولولاهم لما فرقت جمعى
هم لا غيرهم أملى وسؤل على ما كان من وصل وقطع
زمانى كله بهم سرور وهم عيشى وهم بهرى وسمعى
وقال الشاعر :

قف العيس (٢) نبكى الربع قد ينفع البكا
ونذكر ربعا (٣) ربما ذكر العهد
على طلل كالجن كانوا به الكرى فلما نأوا عنه أضر به السهد
أحببنا استبقوا من الدمع (٣) غاية لعل جفون الدهر بالقرب تترد
بكيتكم حتى فقدت مدامعى فهل سعة فى العذرفد نفد الجهد (٥)
وقال الآخر وأبلغ :

لاغروا إن حذرت وصالى وانتأت عن مرقدى فى يقظتى وهجوعى .
فالنار تحشى وهى دون تنفسى والسيل يحذر وهو دون دموعى .
وقال غيره (٦) :

لى حبيب كله حصن فعيون الناس تهبه
صبيغ من ماء ولى نظر ليس يروى حين يشربه
ضاع من عيني فناظرها فى بحار الدمع يطلبه

-
- (١) فى : ظ ، س (أرسلت معى) .
(٢) فى : ظ ، س (قف العين) .
(٣) فى : ظ ، س (ونذكر عهدا) .
(٤) فى : ظ ، س (من البعد) .
(٥) فى الأصل : (قد نفذ العهد) .
(٦) فى : س ، ظ . وما أغرب عذر الآخر .

وما أغرب عذر الآخر (١) :

وفت لي دموع العين والصبر خائني وجربت طعمي حبك المر والحلو
[١١٢١]

وضقت بهذا الحب ذرعا وحيلة فحتى متى أشكو ولا ترحم الشكوى
وقيل لبعض العشاق : (إلى) (٢) كم تبكي ؟ فقال : إذا لم أبك فما أصنع ؟
وقال الشاعر :

قال لي من أحب والبين قد جد (م) ودمعي مواصل بشيقي
ما الذي في الطريق تصنع بعدى قلت أبكي عليك طول الطريق
وقال الآخر :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لفيرك دمعها مدار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها رأيت عينا للبكاء تعار ؟
وقال الآخر :

يا حادي الأظعان (٣) عج مترقفاً وانظر دم العشاق كيف يراق
صبروا على مر التاجر والقلبي وتجرعوا كأس الفراق وذاقوا
قال ابن أبي الحواري : أرتى أُمى موضعا من الدار قد انحفر (٤) ،
فقلت : هذا موضع دموع أيك .

تقول نساء الحى تطمع أن ترى محاسن ليلي مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلي بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدايع

(١) و : ظ (وقال الآخر) وف : س . (وقال الشاعر) .

(٢) ساقطة من * ظ ، س .

(٣) في جيم الأصول (الأضغان) تحريف .

(٤) و : ظ ، س . (قد انحفر من الدار) .

وكان عمر بن عبد العزيز ، وفتح الموصل ، يكيان الدم .
 قولاً (١) لسكان الحمى تحول الدمع دما
 فكل شهد بعدكم قد صار مرا علقما

ومنه :

ولما دنا (٢) التوديع من أحبه ولم يبق إلا نظرة فننعم
 بكيت على الواذى فحرمت ماءه وكيف يحل الماء أكثره دم
 قال أبو الفرج : يا هذا ، ليس في المياه ما يقطع آثار الذنوب من ثوب
 القلب إلا الدموع ، فإن نضبت ولم يزل الأثر فعليك بالاغتراف ،
 من بحر الاعتراف .

ورقة الزفير :

والزفير تنفس الصعداء ، وهو : اقتلاع النفس المحترق من القلب ،
 وإخراجه دفعات ، وهو من توابع الحزن ، ولواحق الأسف وعلامات
 العشاق ، قال الشاعر :

ولى زفرات لو ظهروا قتلتنى تسوق التى تأتى التى قد تولت
 إذا قلت هذى زفرة اليوم قدمضت فمن لى بأخرى مثلها قد أظلت
 وقلت (٣) :

أستخرجها كنز العقيق بآماقى أنا شدة الرحمن فى الرمق الباقي
 فقد ضففت عن حمل صبرى طاقى عليك وضافت عن زفيرى أطواقى
 وقال آخر :

إنى إذا لم أجد يوما مراسلة وضاق بى منتهى أمرى وملتمسى .

(١) فى : س . قولوا . (٢) فى الأصل ، ظ (ولما آتى التوديع) .

(٣) هذان البيتان بينهما وبين البيتين اللذين بعدهما تقديم وتأخير فى س ، ظ .

لمرسل عبرة في إثرها نفسى ياليت شعزى هل يأتىكم نفسى
وقال آخر :

إن كنت تنكر ما منك ابتليت به وأن داء غرامى عز مطلبه
أشربعود من الكبريت نحو فسى وانظر إلى زفرانى كيف تلمبه

ورقة السهر :

والسهر يستلزم الشوق والقلق ، وبه استعانوا على حقوق المحبة ، وتمنعوا
بتسويق بلد الخلوة (١) ، قال الشاعر :

إذا لم يكن طرف المحب مسهدا ولا دمه يجرى فهذا الهوى دعوى
وما الحب إلا أن ترى ألم الهوى ألد من المن المنزل والسلوى

وقال (الآخر (٢) :

يانسيم الشمال بالله بلغ ما يقول الخيم المستهم
قل لأحيابنا لديكم محب ليس يسلو ومقلة لاتنام
كل أنس ولذة وسرور دون لقياءكم على حرام

وقال (الآخر (٣) :

إذا قدرتم فطرم في دائم الأرق وإن سكنتم فقلبي دائم الخفق
سرت في النوم طيفا من خيالكم فصار نومي مقطوعا على السرقة
وكتبت جارية عمر بن مسعدة ، على عاصبتها ،

عين مسعدة في مائها غرقت ياليتها ذهبت أولم تكن خلقت
يامقلة سوف أبكيها وياكبدا بها أحاط الهوى والشوق فأحترقت
(لم تذهب النفس إلا إثر لحظتها ولا بكت مقلة إلا لما أرتقت) (٤)

(٢) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) البيت كله ساقط من الأصل .

(١) فى : س . بتسويق بلد الخلوة .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

وقال الآخر :

وما تطابقت الأجفان عن سنة إلا وجدتك بين الجفن والحدق
 وهل ينام جريح موجد قلق أجفانه وكلت بالسهد والأرق
 شغلت نفسى عن الدنيا ولذتها فأنت والروح شيء غير مفترق
 وقال الآخر .

إن جفاني الكرى وواصل قوما فله العذر فى التخلف عني
 لم يُخَلَّ الهوى لجسمى شخصا فإذا جاءني الكرى لم يجدني
 وأحسن الآخر فقال :

أرأيت ما قد قال لى نجم الدجى لما رأى طرفى يطيل سهادا
 حتام ترمقى بطرف ساهر أقصر فلست حيييك المفقودا
 قال أبو الفرج : إذا ناموا توسدوا أذرعاهم ، وإن قاموا فعلى أقدام
 القلق ، لما امتلأت أسماعهم بمعاتبته . كذب من ادعى محبتي ، فإذا جنه الليل
 نام عني . حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

ودعت قلبي يوم ودعتهم وقلت يا قلبي عليك السلام
 وصحت بالنوم انصرف راشدا فإن عيني بعدهم لا تنام

(وأعلى دوجات هذه الورقة ، ما قال الله عز وجل : وما يلقاها
 إلا ذو حظ عظيم ،) (١) .

وقائلة هل يحمل النوم مع وصل ومثلك محسود على الوصل من مثلي
 فقلت وحبي فيك مانمت لأنسا بحسنك والحسنى غلبت على عقلي
 وكيف ينام المستهام وعمره تقضى انتظاراً يرتجى ليلة الوصل

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

ورقة الذل والانكسار :

فما أخبر الله سبحانه عن نفسه : «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» .
والذل المحبوب من شيم العشاق .

قال أبو الفرج : لا تبرحوا من باب الذل ، فأقرب الخطأين إلى العفو
المعترف بالزلل ، ما انتفع آدم (في) (١) بلبية ، وعصى بكلام وعلم ، ولا رد
عنه ، عز اسجدوا (٢) وإنما خلصه ذل ظلمنا (٣) . وقال : أنجح الوسائل
الذل ، وأبلغ الأسباب في العفو البكاء . والى عن ترتيب العذر
بلاغة (٤) المنكسر .

أذل لمن أهوى لأكسب عزه وكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ذليلا فاقرا السلام على الوصل

ورقة الدهش والخيرة :

وهذه العلامة تظهر في استحكام العشق ، ونهاية الحب . والدهش : بهت
يأخذ العبد (٥) إذا فجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه ، قال الشاعر :

اسقنى اليوم فقد طال العطش إن يومى يوم رش بعد طش (٦)
حب من أهواه قد أدهشى لا خلوت الدهر من ذلك الدهش (٧)

[١٢١ ب]

(١) ساقطة من : ظ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى على لسان آدم وحواء : « قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا

وترحنّا لتكونن من الخاسرين » .

(٤) في : ظ ، س علامة .

(٥) في : ظ . بهتة تأخذ العبد . والخيرة عين المعرفة الصوفية ، ومنه دعاء بعضهم :

« رب زدنى فيك تحيرا » .

(٦) في : ظ العطش .

(٧) في : ظ العطش .

ورقة السكر والصحو :

والسكر عندهم عبارة عن : سقوط المتمالك في الطرب ، وهو من مقامات العشاق ، وزلت فيه أقدام غير أولى التمكن (١) .

أدبرت بينهم كأس التجلي فكلهم بلشوتها سكارى
لقد طربوا وما سمعوا غناء كما سكروا وما شربوا عقارا
وذكروا أن معروف الكرخي ، رحمه (٢) الله رؤى في النوم كأنه
تحت العرش ، فقال الله عز وجل : يا ملائكتي ، من هذا ؟ فقالوا : وأنت أعلم
هذا معروف الكرخي سكر بحبك (٣) فلا يفيق إلا بلقائك . وقال الشاعر :
وموسدين على الألف خدودهم قد غلهم ضوء الصباح وغالي
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تحسن كيف تأخذ ثأرها إلى أملت إناها فأمالني
وقال (الآخر) (٤) :

يا ربة الدير قومي غير صاغرة إن كان عندك زنار فشدني
قالت لدى زناير معتقة من عهد كسرى أعدت للرهابين
وقال الآخر وهو الخليل بالصدق :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
وأخرس لم ينطق ثمانين حجة أدركنا عليه الراح يوما فأخبرا
والصحو : ارتفاع هذا الحكم . وفيه قالوا :

سكروا فما يدرون بعد إفاقة الراح أعتق والمعاقر أحرص
وتنقصوا لطر و صحو يعتري وبواجب والله أن يتنقصوا

(١) ويسمى زلل القدم عند السكر والطرب « الشطح » . ويكون بصور ألفاظ لاتليق بالخبرة الإلهية ، أي لا تسكل بها المعرفة التي تستوجب وجود عبد ورب ، ومن هذه الألفاظ التي جاءت على ألسنة الشاطحين : سبحاني . ما أعظم شأني . أنا الحق . ماق الجبة لإلا الله .

(٢) في : ظ ، س . رضى الله عنه . (٣) في : س . سكر من حبك .

(٤) ساقطة من : س .

الفصل الرابع

في أخبار المحبين وأقسام أصنافهم المرتبين

قال المؤلف رحمه الله (١) ولما كانت المحبة ميدان ائتلاف النفوس ويعيها من الله حيث يقول : وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، . جعلنا هذا الميدان ينقسم أهله إلى ثلاثة .

مجاهد صريح .

وهو الذي يذعن بالإمداد ، ويقوم الجهاد ، ويكثر (٢) السهاد ، ويتكلم في المواجه والمفاجأة ، والحكم والمقامات . وهو واقف بصدد الجراح أو الشهادة في ميدان الكفاح .

ومثبت جريح .

وهو الذي تواجد ، فكادت نفسه تثبت (٣) العلاقة التي بينه وبين البدن كما يحدث للسراج إذا انفصل عنه النور ، ثم تراجع إلى الفتيلة على سبب الدخان ، .

وصريح طريح .

وهو الذي غلبت عليه حال تنحت لأجله النفسُ والبدن تدبير الجسد جملة ، وانصرف إلى عالمها ، كما قال الشاعر .

(١) في : س ، ظ رضى الله عنه .

(٢) في : ظ . وتثر .

(٣) في : س ثبت تحريف .

ولو أعطى على الزمن اقتراحى لطرت إليك خفاق الجناح
(وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجر أعظيماً)^(١).
قال بعض الفضلاء ، فى قوله (تعالى) (٢) : « ولا تحسبن الذين قتلوا
فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » . إذا كان هؤلاء أحياء
يرزقون ، فالذى استشهد بمسيف المجاهدة الكبرى أولى . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رجعوا من بعض الغزوات : « رجعت من
الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .

تنبه .

ذكر عن الجنيد أنه قال الحكايات : جند من جنود الله تعالى ، تقوم
بها أحوال المريدين ، وتحيا بها معالم أسرار العارفين ، وتهيج هواجس
مواجيد المحبين ، وتجري دموع عيون المشتاقين ، وقال الشاعر :
قصوا على حديث من قتل الهوى إن التأسى روح كل حزين
وإلا فهذه الأنماط من الشعر والحكايات ضعيفة ، وما تقدمها مراتب
شريفة ، لكن الشجرات أجزاءها متفاصلة ، وبعضها عن البعض متنازلة
فمنها الضروريات وكما الضروريات ، ولا يتأتى السكال إلا الله ، بارىء
النسبات .

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ظ

(٢) ساقطة من : ظ

الفرع الأول من الغصن الرابع في حكايات المجاهد الصريح

ورقة في المناجاة.

قال أبو بكر الدقاق : وإنما يستعذب الأولياء البلوى للمفاجأة مع المولى؛ فمن استلذ بمناجاته مع مولاه في سره ونجواه ، رزقه راحة القصد ، وأشهدته جريان أحكامه على وفق اختياره ، وترتيب إرادته . وقال بعض المشايخ كنت بمكة فبت ليلة أنظر إلى الكعبة والطائفين حولها ، وإذا أنا بأربعين ، وصوت شعبى حزين ، يقول : إلهى دعوتى فهديتنى ، وإلى منازل رباع محبتك آويتنى ، وعلى بساط أنسك أجلسنى ، وبلطائف كرامتك غديتنى ، ثم مقيتني حتى أسكرتني ، فلما أسكرتني عدلتني ، فلما عدلتني حيرتني ، فلما حيرتني أخذتني مني . الأمان . الأمان . فوحقك لا أصحون من سكر محبتك ، إلا بمشاهدتك ، والانبساط على بساط مراقبتك .

وقال بعضهم : سمعت عيسى الموسوس يقول بالفارسية كلاما هذا ترجمته : هيمت قلبي وجعلته شوارع غيبك ، وأتعبت جسمي وجعلته مواقع تكليفك ، وأطلعت سرى على لطائف ملكوتك ، ثم فضختني على ألسن خلقك ، ثم قرأ : « فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون » . ثم شهق ، وقال : حبيبي زدني (في البلاء) (١) فلا زيدتك في المحبة .

ورقة الأدب :

كان إبراهيم (بن آدم) (٢) يصلى قاعدا ، فجلس ومدد رجله ، فهتف به هاتف : [أ] هكذا يجلس المملوك بين يدي الملوكة ؟ وكان الجريري لا يمد رجله في الخلوة ، فقيل له : ليس يراك أحد ، وقد خلوت بنفسك ، فلم لا مددت رجلك ؟ فقال : حفظ الأدب مع الله أحق .

(٢) ساقطة من : س .

(١) ساقطة من : س .

الجنيد . قال : لقيت شابا في البادية عند شجرة أم غيلان . فقلت :
« ما الذي أجلسك هنا يا غلام » ؟ فقال : « حال (١) فقدتها ها هنا » . فلما
انصرفت من الحج ، ألفيته قد تنقل إلى قريب من الموضع ، فسألته فقال
« وجدت ما كنت أطلبه هنالك هنا » . فلزمته خشية الحسرة على الفائت .
قال : فلم ندر (٢) أيهما أشرف ؟ لزومه لافتقاده حاله ، أم لزومه موضع مراده .

ورقة الخنول (٣) والتواضع والانكسار :

روى أن أبا سعيد وقف بعرفات ، فلما حان وقت الإفاضة ، قال :
« إلهي إن حرمت القبول لواحد من خلقك في هذا الموقف ، وقد قبلت
وقفتي ، فأجعل قبول ذلك له ، حتى لا يرجع أحد من بابك خائبا ، منكسر
القلب ، مخيب الرجاء غيري » . فسمع هاتفا يقول : يا أبا سعيد (٤) تسكرم
على أضيافي ، وقد غفرت لهم ؟ وهبتك لهم .

ولقي بعض الجنيد إبراهيم بن أدهم في البرية ، فقال له : « أين العمران » ؟
« فأولما بيده إلى المقابر . فضر به فشج رأسه ، فقيل له : هو إبراهيم بن أدهم .
فرجع يعتذر إليه . فقال إبراهيم : الرأس الذي تعتذر إليه تركته يبلخ » .
ومر به رجل وهو يحرس كرما ، فقال : « ناوئني من هذا العنب » . فقال :
« ما أذن لي صاحبه » . فحول السوط وضرب رأسه ، فجعل يطأ طيء
رأسه ، ويقول : « اضرب رأسا طالما عصى الله » .

وكان أويس (٥) رحمه الله يأتي المزابل إذا جاع ، فأنابها فإذا كلب
قد نبج عليه ، فقال : يا كلب لا تؤذني ، (ولا أؤذيك) (٦) . كل مما

(١) ن : ظ (حالة فقدتها) . (٢) ن : ظ (فلم يدر) .

(٣) بحث موضوع الخنول يأتي في الملحق الأول آخر الكتاب بعون الله .

(٤) ن : ظ (أبا سعيد) يحذف ياء النداء .

(٥) هو أويس القرنى . شخصية عجيبة بين رجال التصوف (راجع ترجمته في . الطبقات
الكبرى للشعراني) .

(٦) ساقطة من : س .

يليك ، وآكل مما يلينى . فإن دخلت الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير منى (١) .

قال أبو على الدقاق ، إن المشايخ قالوا : (إن) (٢) طريقنا هذه لاتصلح إلا لأقوام كنسوا (٣) بأرواحهم المزابل .

وذكروا أن بعض المشايخ رأى شابا دخل مكة بعد الموسم ، منقطعا منكسرا محزوناً (٤) ، كما يكون المنقطعون . فقال له ذلك الشيخ : أنا حججت كذا وكذا مرة ، فهب لى هذه الكسرة ، وأهب لك الحجات كلها ، .

وقال عبد الله بن مرزوق لغلالمه عند الموت : « أحملى فاطر حنى على تلك المزبلة ، لعل أموت عليها فيرى ذلى فيرحمنى » .

ووقف قرم على راهب ، فقالوا : « إنا سائلوك أفتجيبنا ، ؟ فقال : « اسألوا ولا تسكثروا ، فإن النهار لن يرجع ، والعمر لن يعود ، (٥) ، والطالب حثيث ، قالوا : « فأوصنا ، قال : تزودوا فإن خير الزاد ما بلغ البغية » .

وعن بشر الحافى ، أن كان يوماً يلتقط من الطريق ، فجاء كلب يلتقط معه (٦) ، وكان بشر يلتقط البقل ، والكلب يلتقط العظام (٦) ، فظهرت لقمة (خبز) (٨) ، فأراد بشر أن يأخذها ، فنبج الكلب ، فطرح بشر

(١) القصة فى نهايتها صحيحة المعنى ، أما أن عارف من العارفين كان يأكل من المزابل فهذا مراد فارغ نسجه أيدى القصاصين . حقا كانوا يأكلون من عشب الصحراء ، ويكتنون بثمره فى اليوم ، أما القمامة فلا يمكن أن تنفق مع رقة ذوق القوم .

(٢) ساقطة من : س .

(٣) فى : س ، ظ (كنس الله بأرواحهم المزابل) .

(٤) فى : س (محروفا)

(٥) فى : ظ ، والقمر لن يعود :

(٦) فى : ظ ، فلقط معه ، وفى : س . يلقط .

(٨) فى الأصل : الطعام ، والترجيح من : ظ .

(٨) ساقط من : س .

اللقمة إليه ، وقال : « إن كانت العاقبة لخير فلا يضرني ما أنا فيه ، وإن كانت على وجه آخر ، فأنت خير مني » .

ورقة الغيرة ، غيرة الحق عليهم :

قال إبراهيم بن شيبان : اشتبهت خبزا وعدسا فأكلته ، فرأيت على باب مسجد قوارير ، فتوهمتها خلا ، فقال لي رجل : « إنها خمر » . فقلت : « لزمني فرض إراقها » . فسكبتها دنا دنا ، وأخذت فضربت مائتي مفرقة ، وطرحت في السجن أربعة أشهر ، حتى سمع أستاذي بالحال ، فشفع في ، ودخل إلى ، فلما وقعت على عينه ، قال : « أي شيء هذا » ؟ قلت : « شبعة خبز وعدس ، بضرب مائتي خشبة وسجن أربعة أشهر » . فقال لي : « نجوت مجانا » . يعني وردت العقوبة [١٢٤] على ظاهرك ، ولم تتغير حقيقة شرك . وهو أدب الأفعال .

وقال إبراهيم الخواص : « نزعت الشهوات من باطني ، إلا الرمان . فاجتزت برجل مريض ، والزناير تقع عليه ، وتأكل لحمه . وسلبت عليه ، فرد السلام (١) (بالاسم) (٢) من غير معرفة مني ، فقلت : أرى لك حالا مع الله ، فلو دعوته يريحك من هذه الزناير ، ويصرفها عنك . فقال : وأنت لو دعوته يخلصك من شهوة الرمان ، فلدغ الزناير على الأجسام (ولا) (٣) لدغ الشهوات على القلوب » . وهذا أدب الأقوال .

وقال أبو تراب النخشي : « ما تمننت قط نفسي إلا مرة واحدة ، تمننت خبزا ويصفا في بعض أسفاري ، فعدلت عن الطريق إلى قرية ، فوثب رجل وتعلق بي ، وقال : كان هذا مع اللصوص . فبطحوني ، وضربت سبعين

(١) في : ظ ، ورد السلام .

(٢) ساقطة من الأصل : ظ .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

خشبة ، فوقف علينا رجل ، وصرخ وقال : هذا أبو تراب . فخلوني ، واعتذروا إلى ، وأدخلني الرجل منزله ، وقدم إلى خبزاً وبيضاً . فقلت في نفسي : كل بعد سبعين مفرقة .

وقال النهر جوري : رأيت رجلاً في الطواف بعين واحدة ، يقول : « أعوذ بك منك » . فقلت : « ما هذا الدعاء » ؟ فقال : « نظرت إلى رجل فاستحسنته ، فإذا لطمة قد وقعت على بصرى ، فسالت عيني . وسمعت : لطمة بلحظة ، ولو زدت زذناً . »

ابن الجلاء قال : كنت أمشي مع أستاذي فرأيت حدثاً جميلاً ، فقلت : « يا أستاذي . ترى يعذب الله هذه الصورة ؟ » قال : « أو نظرت ؟ سترى غينه ، (١) . فلميت القرآن بعد عشرين سنة . »

وقال رويم : اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ، ببعض السكك وأنا عطشان ، فاستسقيت من دار ، فخرجت صبية بكوز ، فلما رأته قالت : « وصوفي يشرب بالنهار ، ؟ فما أفطرت بعد ذلك . »

ورقة الحكم والإشارات :

قال ذو النون : سمعت خلني بدجلة تقطقطا (٢) ، والتفت فإذا قى نخل جسمه ، واصفر لونه ، قد ائزور بئزور الحياء ، وانتشع بوشاح المراقبة ، فسلمت عليه . فقال : « وعليك (السلام) (٣) يا ذا النون . » فقلت : « من أين عرفني » ؟ قال : « عرف سري سرك وأطلع صفاء ضميري على صفاء ضميرك ، فعرفني من أنا وأنت عبده . » فقلت له : « متى يستوجب العبد الولاية » ؟ فقال : « إذا نشرت عليه خلع الهداية ، وقلد سيف الكفاية ، فمى ولاية يا لها من ولاية . »

(١) في : س ، ظ ، (عينه) ولا يستقيم المعنى بها . والخبز : غلام القلب من المصيبة .

(٢) في : ظ (تقطقطا) .

(٣) ساقطة من : ط ، س .

وقال سمنون : كنت في بعض أسفارى فدخلت ضيعة فرأيت الصبيان قد أهدقوا بسلام شاب ، عليه خلق أظفار . وعلى وجهه محاسن آثار ، وفي يده قيد ، وفي رجله سلسلة طويلة ، فوقفت فرفع رأسه وقال : يا سمنون يا مدعى المحبة ، وتلبس هذه المرقعة المصبوغة ، ما معنى المحبة ؟ قلت : « المحبة رؤية العزة في الذل ، وإن كنت تحت القيد والغل » . قال : « صدقت » . قلت : « فصف لي أنت المحبة » . فقال : « (كيف) (١) أصف شيئاً لم أجده حق وجوده ، ولا علمنا منه في نفس أحد ؟ من قال رويت من المحبة فهو كذاب ، ومن شكى منها فهو مدع ، ومن ذكر فهو مفتر » . يعنى بعد النسيان . وكذلك قالوا في قوله تعالى : « واذكر ربك إذا نسيت » .

وقال بعضهم : عطفنا مع أبي يزيد إلى مصر ، فلما دخلنا الجامع ، وقف على حلقة فقيه [١٢٤ ب] قد سئل عن تركه ، وكيف يقسم مالها ، فأخذ يضرب الأعداد ، ويعمل طريقة الفرائض ، فصاح أبو يزيد : « يا فقيه ، مسألة » . فقال : الفقيه : « سل » . قال : « ما تقول في رجل مات وخلف الله ؟ فنظر القوم إليه وبكوا . فقال أبو يزيد : « العبد لا يملك شيئاً ، فإذا مات لا يخلف إلا مولاه ، لأن (٢) آخر العبد يرجع إلى أوله ، لأن أوله فرد » .

قال الثبلي : لقيت جارية حبشية ، فقلت : « من أين » ؟ قالت : « من عند الحبيب » . قلت : « وإلى أين » ؟ قالت : « إلى الحبيب » . قلت : « وماذا تريد » ؟ قالت : « الحبيب » . قلت : « كم تذكرين الحبيب » ؟ قالت : « ما يسكن لساني عن ذكره ، حتى ألقاه » .

ورقة من الإشارات :

روى أن الثبلي ، كان في ولده يوما في مجلس الجنيد ، فتواجد ، فقال له الجنيد : « الغيبة حرام » . معناه : إن كنت تذكره وهو حاضر

(٢) في : س ، (فإن آخر العبد) .

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

فالتواجد ترك الحرمة ، وإن كنت تذكره وهو غائب (فهى غيبة) (١)
والغيبة حرام (٢) .

قال عمر البسطامي : كنت عند أبي يزيد ، فقال : « يأتي الآن (٣) ولي
من أولياء الله ، فقم بنا لتلقاه . » فإذا إبراهيم بن شيبه . فسلم عليه أبو يزيد
وقال : « علمت أنك نجي . قاستوهبتك له . » فقال : « يا أبا يزيد لو شفعتك
في جميع الخلق فإنما شفعتك في قطعة طين » فعجب أبو يزيد ، معناه : أن
الطين موات ، وحقيقة الشفاعة إنما هي للأرواح (ولو استوهب روحى ،
انقصت المسافة ، ووقع الاجتماع في عالم الأرواح) (٤)

قالوا : بعث الخليفة إلى [سفبان] الثورى ما لا يفرقه على أصحابه ،
فصبه في البيت ، وقال للفقراء : « ادخلوا ذلك البيت ، فاحملوا منه قدر
حاجتكم » ، فدخلوا . فنهض من أخذ دانقا ، ومنهم من أخذ نصف دانق ،
ومنهم من أخذ درهما ، فلما خرجوا . قال لهم : قربكم من الحق ، أربعدكم
أنظروا في نسبة ما أخذتم . » أراد أن يضيقوا على أنفسهم ، بعدم
الالتفات إلى غير الله .

وحكى أن امرأة تصدقت برغيف ، فأخذ السبع ولدها ، فجاءت
إلى بعض الصالحين فدعا لها . فألقى السبع ولدها ، ونوديت : لقمة
بلقمة ، تصدقت برغيف من أجلنا ، فرددنا ولدك . وإذا الحافظون من
استودع إلينا .

روى أن أبا حفص الحداد كان يعمل ، فغلب في فكره ذكر محبوبه ،
ونسى به أن يخرج الحديد من الفرن بالسكبتين ، (وأخرجه بيده ، فبينما
الغلام يطرق بين يديه على الحديد ، ناداه : يا أستاذ . الحديد بيدك من

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٢) هذا لون من التوحيد السلوكي يؤدي إلى الحضور الدائم مع الله وحين الأدب
في حضرته وليس المراد منه معنى الغيبة الشرعية .

(٣) في : (يأتي اليوم) . (٤) ما بين الماصرتين . ساقط من الأصل .

غير الكلبيين) (١) فرمى به في الحال . وقام وخرج في البرارى ، يقول :
من شرط المحب الكتمان ، لا الافتضاح والإعلان . يا حبيبي سترتني كما
أردت ، وفضحتني كيف أردت ، فلك الحمد في جميع الأحوال .

ورقة في تسترهم (بالعمل) (٢)

كان أبو أيوب السخيتاني إذا وعظ ، فرق (٣) من الرياء ، فيمسح
وجهه ويقول : ما أشد الزكام . وكان بعضهم يحكي الليل كله ، فإذا كان عند
الصباح ، رفع صوته كأنه قام من تلك الساعة . وكان إبراهيم النخعي ، إذا
قرأ في المصحف فدخل داخل غطاءه . وكان ابن أبي ليلى إذا دخل داخل
وهو يصلي ، اضطجع (٤) على فراشه . ومرض ابن أدهم فجعل عند رأسه
ما يأكله الأصحاء ، لتلا يشبه الشاكين .

ورقة في ظرفهم :

دخل بعضهم إلى دار قوم ، فرآى حبا وإلى جانبه صبر ، مزدريعين في
الدار ، فتواجد وقال : حب وإلى جانبه صبر . وذكروا أن بعض أرباب
المعرفة قد نزل إلى الشط ببغداد ، فقال : يا ملاح احملني . فقال : إلى أين ؟
قال : إلى دار الملك . فقال : معي راكب (٥) إلى القطيعة . فصاح : لا بالله
ياملاح . أنا أفر من القطيعة منذ سبعين سنة . والقطيعة موضع معروف .
[١٢٥] ومن هذا قول بعضهم .

لا أحب السواك من أجل أنى إن ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الأراك من أجل أنى إن ذكرت الأراك قلت أراكا
وقال الآخر :

بالله إن جزت بواذى الأراك وقبلت أغصانه الخضر فاك
فاهد إلى عبدك من بعضه (٦) فإني والله مالى سواك

(١) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . (٢) ساقطة من : ظ .
(٣) في : ظ ، س ، إذا وعظ فر من الرياء . ومعنى ما في الأصل . خاف من الرياء .
(٤) في : س . نام على فراشه . (٥) في : ظ ، ركاب .
(٦) في : س ، فابتعت إلى المملوك من بعضه :

الفرع الثاني ، من الغصن الرابع في [حكايات] المثبت الجريح

ورقة :

روى عن بعضهم من الواجدین الصادقین ، الذين يسمعون ألسن
الأكوان ناطقة ، ويرون أعينها مشيرة رامة ، أنه سمع عتابا بين محبين ،
فشمق وغشي عليه ، فلما أفاق بعد حين ، قال : أعجبنى ذل المحب ، وعز
المحبيب ، وحسن صبره للبلاء على المطلوب ، فهيج أحزان الفؤاد وما
يدرى . ويرحم الله ابن أبي ربيعة [إذ يقول] :

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

ورقة :

تكلم الشبلى في المسجد ، فوق أحد الحاضرين مغشيا عليه ، فلما أفاق
حين (١) فرغ الشبلى من كلامه ، أخذ (٢) بعض الناس يمسح وجه
المتغاشى ، ويخفف دمه ، ويزيل التراب من وجهه . فقال الشبلى : « لا تمسح
آثار عبادته ، فإنه نائب في أول صلحه مع الله . . . وهي إشارة إلى قوله
(صلى الله عليه وسلم) في الشهداء : « زملوهم بكمومهم ودمائمهم » .

قال ابن مجاهد : قدمت رجلا من أصحابي يصلى بنا صلاة الظهر ، فلما
كبر غشي عليه ، فلم يفق إلا وقت الظهر من الغد ، فقلت : مالك ؟ قال :
(لما قد متموتى) (٣) هتف هاتف من قلبي : إن لم يعرفك هؤلاء ، أليس
أعرفك أنا ؟ فغشي على وأنا في مراقبة المحبوب .

(١) في : ظ ، س ، فما أفاق ، حتى فرغ الشبلى .

(٢) في : ظ . فأخذ .

(٣) ما بين الحاضرين ساقط من : س .

ورقة :

حكى أبو فزوة السائح ، قال : بينا أنا ببعض الجبال ، إذ سمعت صوتاً تبعه صرخة ، وهو يقول : « يا من آتسنى بذكره ، وأوحشنى من خلقه ، وكان لى عند مسرقى ، ارحم غربتى ، وهبلى من معرفتك ما أزداد (به) (١) تقرباً إليك ، يا عظيم الصنعة (٢) إلى أوليائه ، اجعلنى اليوم من أوليائك ، ثم صرخ أخرى ، فأقبلت فإذا شيخ قد سقط معشياً عليه ، فسترته . ولم أزل حتى أفاق ، فقال : من أنت ؟ قلت : ابن آدم . فقال : عنى . فنسكمت هربت ، وهام منطلقاً يهرول ، فقلت : دلنى على الطريق يرحمك الله . فأومأ بيده نحو السماء .

ورقة :

عن جعفر الخلى ، أنه مر بمقبرة ، فرأى امرأة على قبر تندب بحرقة كينة ، وأشجان حزينة ، فقال لها : مالك ؟ . فقالت « أنا » (٣) ثكلى (بولدى) (٤) فقال لها : الشكل ثكل من كان له واحد ، ففرق بينه وبين ذلك الواحد ، ثم شق شهقة عظيمة ، وغشى عليه ، فما أفاق إلا بعد حين .

ورقة :

قال يوسف بن الحسن . كنت أسير فى طريق الشام ، فعدلت عن الطريق ، وتراءت لى صومعة فيها راهب ، فقال لى : « فى هذا الوادى وجل متخل من فتنة الناس (٥) ، أليف للأشجان ، متغرب بالأحزان (٦) ، واشوقاه إلى حديثه ، فأقرته السلام . . فنهضت فإذا أنا برجل قد اجتمعت إليه الوحوش ، فنظرت إلى رجل منكس رأسه ، [١٢٥ ب] نعلوه هيمية

(٢) فى الأصل ، ظ يا عظيم الصنعة .

(٤) ساقطة من : س .

(٦) فى : س . يتقرب بالأحزان .

(١) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٣) ساقطة من : ظ .

(٥) فى : س ، عن فتنة الأنس .

عظيمة ، وهو يقول . « لك الحمد على ما وهبني من معرفتك ، وخصصني من محبتك ، لك الحمد على آلائك ، وعلى جميع بلائك ، اللهم ارفع درجتي ، وادخل قلبي ، وانقلني إلى رتبة الأبرار » . ثم قال : « من لي بهم » ؟ وصاح صيحة عظيمة ، ثم خر مغشياً عليه ، فلم يتحرك . فانصرفت . فأخبرت ذا النون . فقال : « ذلك بحر من بحور العلم والعمل لم أر مثله » .

ورقة :

قال أبو عاصم : حضرت مع جماعة من أصحاب العلم والحديث ، قد فرغوا من المعارضة والقراءة تشبهاً على بعضهم أن يقول لهم أيانا ، وكان فيهم رجل من الفضلاء ، فأعاد القول (١) .

لو بماء البحور (٢) تبكيك عيني جف ماء البحور أي جفاف
يا ليالي الوصال أنعشت قلبي أنت عندى من الليالي الشراف
قال : فصرخ وقال : يا ليالي الوصال ، ولم يزل يكررها حتى غشى عليه ، فلما أفاق سحرا ، قال : رحم الله من توفى وصلى ركعتين ، الأمر عسير ، والناقد بصير .

ورقة .

قال بعض الصالحين : لقيت غلاماً في طريق مكة ، فقلت « أمانتو حش ؟ » قال : إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة ، فلت : « أين ألقاك ، ؟ » قال : أما في الدنيا فلا يتحدث نفسك بلفائى ، وأما في الآخرة ، فهي (٣) مجمع المتقين ، قلت : فأين أطلبك في الآخرة ، قال في زمرة الناظرين إلى الله . قلت : « وكيف علمت ذلك » ، قال : « بغضى طرفي (له) (٤) عن كل محرم ،

(١) في : ط ، القوال . (٢) في : س ، البحار .
(٣) في : ط ، س ، فأتها . (٤) ساقطة من الأصل ، ظ .

واجتأني فيه كل منكر ومأثم ، وقد سأله أن يجعل جنتي النظر إليه ،
ثم صاح وغشى عليه ، فلما أفاق (١) قام يسعى حتى غاب عن بصرى .
ورقة .

قال محمد بن سالم : رأيت في البادية شيخاً ظاهر المراقبة . دائم المجاهدة
فسلبت عليه ، فقال : « عليك السلام يا فلان ، فقلت . « وهل سبقت
معرفة ، « فقال نعم ، أولها ألبت بربكم ، وثانيها أذان الحبيب بالحج ،
والثالثة بالأجناد المجندة . « فقلت : كيف الطريق . « فقال : « الحلال بين
والحرام بين ، والطريق سالكة . « فلما خرجت في وجهتي تلك إلى منى ،
إذا بحلقة والشيخ يقول : برح الخفاء ، وهان (٢) التهلك ، ثم شق وغشى
عليه فلم يبق طرف إلا بكاه .

ورقة .

قال الشيخ الهروي : اجتمع صوفية فيهم غلام ، وترنم القوال ،
يقول القائل :

قطعت جوارحه ولم يتكلم بهوى مصون في الفؤاد مكتم
فبكى وقال لعينه مستعبداً من ذا دعاك إلى فضيحة مسلم
وغشى عليه ، ثم أفاق وهو شيخ منكسر ، ولم (تطل) (٣) مدته أن هلك .

الفرع الثالث من الغصن الرابع في [حكايات] الصريع الطريق

ورقة .

روى أن بعض المشايخ نزل في سماوية (٤) ليعبر من الجانب الغربي ،
إلى الجانب الشرقي ، وهو يشكو إلى أصحابه من عجزه عن وقت أوراده

(١) في : س ، ولما أفاق . (٢) في : ظ ، س ، وحان .
(٣) ساقطة من : ظ ، س . (٤) السماوية : نوع من القوارب تدبر النهر .

وأسفاره . وهو يبكي بكاء شديدا على ما مضى من صفاء أحواله ، فينبأ هو في ذلك ؛ وقد اجتازت السماوية تحت قصر من قصور الشاطئ ، فسمع قوالا يلشد .

حمام الأراك ألا فاخبرينا بمن تهتفين ومن تندينا
فقد سقت ويحك نوح القلوب واذريت ويحك دمعا معينا
[١٢١] تعال نقم مأتما للفرا ق ونندب إخواننا الظاغينا
ونسعدك بالنوح كي نسعدى كذاك الحزين يواسى الحزينا
- وتقول المغاربة : لا تحرك من دنا أجله - قال : فشعق الشيخ شهقة .
ولم يزل يبكي ويكرر . تعال نقم مأتما للفراق . ثم تشهد ومات .

قالوا : في مشاهدة الربوع ، مجاودة الدموع ، وفي تفريد الحمام (١) ،
تجديد الحمام . أحمد بن أبي الخوارى ، قال : (سمعت ببعض الطريق جلبة
ورأيت رجلا منشياً عليه ، وقالوا . سمع) (٢) متكلماً في المحبة يقول . ألم
يأن لمن بعد عن جنبنا ونأى عن بابنا ، أن يعود بقلبه إلى محبتنا ، فغشى
عليه . قال أحمد . فأمرت بعض القراء أن يتلو . « ألم يأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، فافاق وقال .

ألم يأن للهجران أن يتصرما وللغصن غصن البان أن يتنعا
وللعاشق المظنى الذى ذاب وانحنى ألم يأن ان يبكى عليه ويرحما
قال سالم : بينما أنا مع ذى النون بجبل لبنان ، إذ قال قف مكانك . فساح
وغاب عنى ثلاثة وعاد متغيرا فقال . دخلت كهفاً فيه شيخ نحيف ، مشتغل
بالعبادة . فلما قتر قلت « أوصنى وادع لى ، قال : « يا بنى من آنسه الله
بقربه أعطاه أربعا . غنى بلا مال ، وأنسا بلا جماعة ، وعزا بلا عشيرة ،

(١) في الأصل : في تفريد الحمام . تصحيف .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س ، ظ .

وعلمنا بلا طلب ، ثم شفق ولم يفق إلا بعد ثلاث ، ولما أفاق سألتني عما فاتته فقضاه ، ثم قال .

إن ذكر الحبيب هيج شوقي إن ذكر الحبيب أذهب عقلي
وقال لي انصرف . فقلت : « وقفت عليك ثلاثة رجاء للإفادة . فقال :
أحب مولاك ولا تحب سواه ، ولا ترد بحبه بدلا . » ثم صرخ صرخة ثانية ،
ووقع فحركته فإذا هو ميت . وبعد هنيهة نزل جماعة من العباد ، فواروه ،
وسألهم فقالوا : شيدان الموله .

ورقة

قال بعضهم : كنت مع بشر ، وإذا شاب تائب سريع الدمعة قليل
السلام ، كثير التفكير ، قد سأله : « يا أبا نصر ، ما جزاء من خالف
محبوه . » قال : « يقتل بسيف العقاب ، ثم يحرق بنار الهوى ، ثم يذرى
في هواء الذل ، فإن شاء جمعه ، وإن شاء فجعه . » قال : فشفق ولم يزل يئن .
(ويشفق) (١) ويرعد إلى أن مات ، فجهرته أنا وبشر ، وواريناه التراب .
وفي مثله يقول الشاعر .

البين بين لروح المستهام إذا (٢) ما قيل قد بان من يهواه وارتحلوا :
ياسائلي كيف مات العاشقون فما ماتوا ولكن بأسياف الهوى قتلوا
وقال أصحاب أبي بكر الرقاق : لما قربت وفاته ، خشيتم أن لا تعلم حاله ،
ولا نسمع منه شيئا ، فرأيناه (٣) (قهقهه) (٤) ثم سكت ، ثم قهقهه ، ثم قال .
عز علي يا صادق الوعد ، يا وفي العهد ، أن وفيت لي ، وما وفيت لك .
السكراني قال : كان رجل (منهم) (٥) حاسب نفسه ، فبلغ عمره ستين .

(١) ساقطة من : س .

(٢) الشطر الأول مضطرب في : ظ ، س هكذا : أليس من لروح المستهام إذا .

(٣) في : ظ . س ، واعتناه . (٤) ساقطة . من : ظ ، س .

(٥) ساقطة من : س .

سنة ، فحسب أيامها فألفهاها أحد وعشرين ألفا وخمسمائة ، فقال : « أولاه . لا أقل من ذنب في اليوم ، ألقى مولاي بأحد وعشرين ألف ذنب ، وخمسمائة ذنب ، واخجلتني منه » ، [١٢٦ ب] ثم شفق شهقة عظيمة ، فحركته فإذا هو ميت .

ورقة :

قالوا : أوحى الله إلى عيسى بن مريم : إن لي أمة ترافقك في الجنة ، ودله عليها ، فإذا بالمرأة عمياء مشلولة الأطراف ، فعجب منها وسألها ، فقالت : لو كان لي يدان ربما جمعت بهما الحرام ، فشهدت على . أو رجلان ربما مشيت بهما في معصية ، أو عينان ربما أبصرت بهما زخارف الدنيا ، وحوسبت لأجلها . قال . فما حاجتك ؟ قالت . المغفرة وليست لك (١) ، ولكن لي ابن يتولى وضوئي وصلاتي ، أسأل الله أن يعطيني أجره (٢) . قال . فلما انفصل لقي شبابا يسكون ، وقالوا : كان لهذه المرأة المسكينة ابن واحد يخدمها ، فأكله الذئب ، (فرجع إليها عيسى فقال . أحسن الله عزاءك في ابنك ، فقد أكله الذئب) (٣) فقالت ، الحمد لله الذي رفع عني مؤنة مواراته مع ضعفي عن ذلك (٤) ، فقال : حق لك أن تكوني رفيقي في الجنة . قالت . من أين لك هذا ؟ فأخبرها عن الله . فشبهت شهقة عظيمة ، وخرت ميتة ، فوارها التراب وانصرف .

قال ابن السكيت . أتيت الربيع بالبصرة ليدلني على العباد ، فذكر باب عجوز وقال . « ما فعل ابنك » ؟ قالت . « نسي الدنيا » ، قال . « أو أستأذن عليه » ؟ قالت . « بشرط ألا تذكر القيامة » ، (٥) فدخلنا على شاب عليه .

(١) في : س ، وليست إليك .

(٢) في : س ، أن يعطيني أجره .

(٣) ما بين الماصرين ساقط من الأصل ، س : ط .

(٤) في الأصل ، ظ : مع ضعفي على ذلك .

(٥) في : الأصل ، ظ القيامة .

مدرعة شعر ، وبعنقة سلسلة مشدودة لسارية في البيت ، وهو قاعد على
شفير قبر حفره ، فقال : « ما أنت قاتل يابن السماء » ؟ . فقلت : « يا أخي .
للعباد مقامات يوم القيامة » قال : « عند من » ؟ قلت : « عند ملك الملوك »
فشبه شقة عظيمة خر لها ميتا فلم ينبرح حتى واريناه . وفي الليلة التالية ،
رأيت يتنجر بين يدي العرش ويقول : خروج الروح في المجاهدة يوجب
التبخر على بساط المشاهدة .

ورقة :

كان النخشي يقول لبعض المريدين : « لو رأيت أبا يزيد لا نهج (١) »
لك الطريق ، ، فيقول (له ، قد) (٢) « رأيت الله فأغنانى عن روية أبي يزيد ،
فقال : « لو رأيت أبا يزيد لكان أنفع لك ، لأنك رأيت الله عندك من
حيث أنت » ، وإذا رأيت أبا يزيد ، رأيت من حيث (هو) (٣) ، فأجابه
ومضى إلى بسطام ، فلما خرج أبو يزيد ، قال له ، « هذا أبو يزيد فانظر
إليه » ، فنظر المريد إليه فصعق ، ووقع فخرته فإذا هو ميت ، قال فتعاون
هو وأبو يزيد على دفنه ، وقال لأبي يزيد ، « نظرة إليك قتلتك » ، فقال :
« لا ، ولكنه كان صادقا وكان استكن في قلبه سر لم ينكشف بالوصف ،
فلما رآني انكشف سر قلبه ، فهاج شوقه ، فضاق عن حمله ذرعه ، إذ كان
في ضعف مقام الإرادة » .

أحن إذا رأيت جمال سعدى وأبكي إن سمعت لها أنينا

ورقة :

قال ذون النون (المصري) (٤) : عطشت في بعض سياحاتي فإذا شيخ
قائم يصلي فسلمت فلما فرغ قال : « وعليك (السلام) يا ذا النون

(١) في : س ، لكان أنهج لك الطريق . (٢) ساقطة من الأصل ، ظ .

(٣) ساقطة من : ظ . (٤) ساقطة من : ظ ، س .

فقلت : من أين عرفت اسمي . قال : اطلع شعاع أسرار المعرفة من قلبي على ضياء أنوار المحبة من قلبك . فعرفت روعي روحك بحقائق الأسرار . قلت : أراك وحيدا . قال : الأناش بغير الله وحشة ، والتوكل على غيره ذل . ثم ذكر ما في نفس من العطش ، ودلني على ماء قريب ، فمضيت وشربت [١٢٦ ب] وعدت وهو ييكى ، بشهيق وأنين فقلت : وما ييكى ؟ قال : إن لله عبادا إذا سقام بكأس عبته شربة أذهبت عنهم ألفة الكرى ، قلت دلني على أهل الولاية ، قلت وما علاقة المحبة ، قال : المحب لله غريق في بحر الحرق (١) إلى قرار التجريد ، قلت فما علامة المعرفة ، فقال : العارف من لم يطلب في معرفته جنة ولا نارا ، ولم يعظم سواه معه . قال : ثم شفق شهقة عظيمة وخرجت روحه ، فواريناه (٢) في الموضع وانصرفت .

انظر فإن كان حثني منك في النظر تنظر إلى شبح يخفي عن الفكر (٣) ما عرس (٤) الواجد في ربح للوعته إلا رأيت به دمعى على الأثر إلى لاخني اشتياقي وهو مشتهر من أين يخفي ودمعى صاحب الخبر قال على بن يحيى : صحبت شيخا من أهل عسقلان ، كامل الأدب ، متعبد الليل ، وكنت أسمع أكثر دعائه الاستغفار والاعتذار ، ودخل بعض كهوف جبل لكاه (٥) ورأيت العباد ويهرولون إليه ، فلما أصبح يريد الخروج ، قال له أحدهم : عظمى . قال له : عليك بالاعتذار ، فإنه إن قبل عذرك ، وفزت بالمغفرة سلك بك إلى المقامات ، فوجدت أمانيك .

(١) في : في الأصل : (في بحر الحزن) .

(٢) في : ظ (فوارينه) .

(٣) في الأصل (يخفي عن القطر) .

(٤) في : ظ ، س (ما عرس) وقد جاء هذا البيت مؤخرا عن الذي يليه .

(٥) في : ظ (جبل لكاه) تحريف . وفي : س (دخل كهوف بعض جبل لكاه) .

ثم بكى وشموق ، وخرج فلم يلبث أن مات ، فرأيت في النوم . فقلت :
« ما فعل الله بك ، ؟ فقال : « الله أكرم من أن يعتذر إليه مذنب فيخيب
ظنه ، ولا يقبل عذره . إن الله غفر لي ؟ وشفعني في أهل لسكام . »

ورقة :

روى أن صوفيا سمع القاريء في الحرم يقرأ : « قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ،
فشمق شبهة عظيمة ، وقال : يا أصحاب الدعاوى ، أين المعالي (١) ، هذه
أخبارهم ما أطيبها ، هذه آثارهم ما أهيبها ، ثم وقع مغشيا عليه ، فلم يرفع
من موضعه إلا ميتا .

وكان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون ، فتبعه مريد ، فقال : والله
لا أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني ، فإني عرفت تسترك . فسجد وجعل (٢)
يقول : سترك . سترك . ومات .

قال بعض السلف : رأيت شابا في سفح جبل ، عليه آثار القلق ،
ودموعه تنحدر ، قلت : من أين (٣) ؟ قال : أبوق من مولاه . قلت : يعود
ويعتذر ، قال : العذر يحتاج إلى حجة . ولا حجة للمفرط ، قلت : فتعلق
بشفيع . قال : الشفعاء يخافون منه ، قلت : ومن هو ؟ قال مولى رباني
صغيرا ، فعصيته كبيرا ، فواحيائي من حسن صنعه ، وقبح فعلتي . ثم صاح
صيحة وخر ميتا ، فخرجت عجوز فقالت : من أعان على البائس الحيران ؟
فقلت : أقيم عندك أعينك . فقالت : خله ذليلا بين يدي قاتله ، عساه يراه
بعين رحمته .

ورقة :

قال فرقد [السنجي] دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء ، لباسهن

(٢) في : ظ (لجعل يقول) .

(٤) ساقطة من : س .

(١) في الأصل (أين المعالي) .

(٢) كرر الاستفهام في : ظ مرتين .

الصوف والمسوح . فذكرن عقاب الله وثوابه ^(١) فمتن جميعا (قال الشاعر) ^(٢) .

أحبوا فرادى ولكنهم ا على صحبة الين ماتوا جميعا
وقال أبو طارق : شهدت ثلاثين رجلا ماتوا في مجلس الذكر . يجهلون
[١٢٧] بأرجلهم صحاحا إلى المجلس ، وأكبادهم والله قريحه ^(٣) ،
فإذا سمعوا الذكر انصدعت قلوبهم .

ورقة :

حكى عن علي بن الفتح . أنه رأى الناس يتقربون في يوم عيد . فقال :
« إلهي . إن الناس يتقربون إليك بقرايينهم ، وأنا أتقرب إليك بروحي ،
وغشى عليه ، فلما أفاق ، قال : « إلهي كم تردني في هذه الدنيا الدنية » . قال :
فمات من ساعته (رحمه الله) ^(٤)

وحكى المحاسبي قال : كنت قاعدا ، ودقت الباب على جارية تسترشد
الطريق . فقلت : « طريق المهرب » ، أو طريق النجاة ؟ فقالت : « يا بطل
وهل إلى المهرب طريق » ؟ ^(٥) ثم قالت : اقرأ على شيئا من القرآن .
فجری على لسانى قوله تعالى : « إن لدينا أنسكالا وجحما . وطعاما ذا غصة
وعذابا أليما . يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا » .
فصاحت وخرت ميتة .

وحكى بعضهم . أن فقيرا [كان] يأتي كل يوم ويقف بحذاء ^(٦)
السكبة ، بعد أن يطوف ما شاء الله ، ويخرج من جيبه رقعة وينظر إليها .

(١) في : س (ثواب الله وعقاب) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : ظ ، س .

(٣) في الأصل (قرحة) . (٤) ساقطة من : س .

(٥) في : ظ ، س (وهل يابطال إلى المهرب طريق ؟) .

(٦) في الأصل (يأتي كل يوم إلى السكبة) .

فلما كان بعد أيام ، فعل مثل ذلك . ثم تباعد ومات . فجاء من رفقته ، ونظر في الرقعة ، (فاذا فيها) (١) : « فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »

قال بعضهم : كنت عند مشاد الدينوري ، فقدم فقير وقال (٢) : « سلام عليكم » . فردوا عليه ثم قال : « (ما) (٣) ها هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه » ؟ قال : فأشاروا عليه بمكان ، وكان ثم عين ماء ، فجدد الوضوء ، وركع ما شاء الله ، ثم مضى إلى المكان الذي أشاروا إليه ، فمد رجله ومات . قلت : هذا من انتقض جرحه (٤) ، رحمه الله (٥) .

(١) ساقطة من : س .

(٢) في : س (فقال) .

(٣) ساقطة من : ظ ، س .

(٤) في : ظ (حرجه) .

(٥) في : س (رحمة الله عليه) .

الجوائح التي تطرق الشجرة والجنى

فلا يحصل الفلاح منها إلا على العنا

قال المؤلف رضى الله تعالى (١) عنه : وهذه الشجرة المباركة على سمو فروعها ، ورسوخ أصولها ، وإيناع أوراقها ، والتفاف غصونها (٢) ، واعتدال طبعها ، وزكاء ثمرتها ، وطيب رياها (٣) ، وجمال صورتها ، وغرابة شكلها ، وكونها أم الأشجار ، وغريبة الليل والنهار ، ومتمتع الأحداق ، وراحة القلوب ، ومطمح الآمال ، وجنى ثمرة السعادة . لها جوائح من نسبتها ، وعوائق من قبل هوائها ومائها وتربتها ، قال الشاعر :

واصل أخاك إذا تمكن وصله نخلوص أمر قل ما يتمكن
ولكل شيء آفة مرقوبة (٤) إن السراج على سناه يدخن

وقال الشاعر :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبان بالريم (٥)
فإذا عنى الفلاح بصونها ، وخاف الفساد على كونها ، كان الله في عونها وإذا توسل إلى الله في علاجها ، وإصلاح سياجها ، أمنت من السموم واهتياجها .

والجوائح صنفان : أحدهما غفلة الفلاح ، والثاني أضرار الرياح .

أما ما يعود على الشجرة من غفلة الفلاح ، فكسور الأرض (٦) ، إذا لم تعاهد بالحرث في أوقاته المعلومة ، وفصولها المحددة المرسومة (٧)

(١) ساقطة من : ظ ، س . (٢) في الأصل ، ظ ، س : (والتفاف غصونها) .
(٣) و : ظ (وطيب رياها) . (٤) في : (آفة موقوفة) .
(٥) في : ظ (بالريم) .
(٦) في : ظ ، س (فكبتور الأرض) جمع بر ، ولعلها تحريف .
(٧) في : ظ (الموسوعة) .

أو تمرجها بكثرة السقي (١) ، وانسياب المياه غير النافعة (٢) (وأصنافها الضارة ، إما بكيفيتها كالمياه المالحه ، والكبريتية والآسنة) (٣) والحماة أو بكيفية كإرسال الأنهار والجداول الضخام ، التي تخلط الحدود ، وتجلب الرمل (٤) والحجر والغشا ، وتفسد المجارى المعتادة ، أو بعدم الماء الذى يمد مادة الحياة ، ويغزو بطون النبات ، ويتوسط بين عالم الأرض وبين رحمة عالم السماوات ، أو بفساد ما يجاور المنبت ، ويلصق مسلك الموارد إلى الشجرة ، بسبب العشب المذموم ، والنبات المشثوم ، الذى يذهب ودك (٥) الأرض ، ويشرب (٦) قوة الفلح ، ويحجب عن سطح الأرض نور الشمس ، وينشر مؤذى [١٢٧ ب] الحشائش (٧) لاسيما الأجناس التى تعادى شجرة الحب بطبيعتها ، وتهلكها بجوهرها ، ولا تستقيم مع مداخلها (٨) وجوارها . وهى الرياء ، والملال ، والسلو ، والتبدل ، والبوح بالأسرار ، وموجبات الغيرة ، واليأس من الوصل .

فهذه العشب المذكورة ، والحشائش المشهورة ، أعدى عدو الشجرة (٩) ، وأضرها بهذه الفلاحة ، وعلى الفلاح المحقق ، والفارس الموفق ، ألا يأمن الفساد من جهاتها ، والمضرة من جرائها ، وانتكات العقدة ، وإخفاق القصد بسببها ، وأن يصرف إلى التحفظ منها همه ، وإلى مدافعتها وكده وإلى الحذر منها عزمه .

-
- (١) فى : ظ ، س (أو تمرجها لكثرة السقى) .
 - (٢) فى الأصل ، س (غير المياه النافعة) .
 - (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل .
 - (٤) فى الأصل (وتجلبها الرمل) .
 - (٥) الودك : الدم .
 - (٦) فى : ظ ويشرح قوة الفلح .
 - (٧) الحشائش . هكذا فى الأصل ، س .
 - (٨) فى : ظ ، مداخلها .
 - (٩) فى : ظ أعدى عدو للشجرة .

وأما الرياء . فهو شرك يحبط الأعمال ، ويوجب اختلال التملك ، ويدهو إلى عدم الحق (١) ، ويقسم مجتمع البال .

وأما الملال : فهو فهم في عروة الوفاء ، وقبح في حسن العهد ، [وهو] شر [في] الأخلاق ، [والوفاء] إمام الشيم .

وأما السلو : فهو مطيء سراج المحبة ، ومكذب دعوى الهوى ، وليل نهار الآلفة ورضيع ثدى الغدر .

وأما التبديل . فدليل السخابة (٢) ، وشاهد مزلة القدم ، وعلم نار التلون (٣) ، وقاطع رحم الحياء .

وأما البوح بالأسرار فشاهد ضيق العطن (٤) ، ودليل حرج الصدر ، وعلامة مرض البصيرة (٥) .

وأما موجبات الغيرة : فتتأجج النزق وثمرات زمانات المروءة ومصائد بذر الإدلال ، ودلائل سوء العشرة .

وأما اليأس : فخبيثة سوء الظن ، ومحقق وهن التماسك ، ولزيم الطيش ، وعدو الرجاء .

فهذا من جوائح الشجرة ، وعلل معروفة (٦) بإعيائها ، كم أفسدت من عشرة ، وفرقت بين لحاء وقشرة ، وكم ملأت المواقف من أغصان كانت ناعمة ، وشجرات [كانت] في الخصب قائمة ، يعرف ذلك من بلى بغرس النوى في أرض الهوى ، وخبر خبر الجوى ، من حيث اختلاف الأرياح والأنواء .

(٢) السخابة : الوقاحة .

(٤) في : ظ . ضيق الوطن .

(١) في : ظ ، س . إلى عدم الجد .

(٣) في : ظ التكون تحريف .

(٥) في : الأصل مرض البصر .

(٦) في : س فهذه من جوائح الشجرة علل معروفة .

وأما ما يرجع إلى الجو، فالجوع على الجميع متأمر، وفي الكل مؤثر، وكما أن النجم والشجر يطرقه الفساد، ويسبق أشواق^(١) جنا الكساد، بسوء أحواله، من جهة الطبائع والأهوية، واختلاف الرياح، فكذلك لهذا الجو الحسى رياح أربعة (٢)، بعدد الخواطر.

فمنها ما يغذى ويربى، ومنها ما يبس ويهيج^(٣) ومنها ما يتلقاه الفلاح بالقبول، ويترجى مع تواليه [أن] تأتى السيول، وبلوغ المأمول، ومنها ما يخاف منه على الجنى معرة الإسقاط، وعلى الورق معرة الذبول، فتدفعها تارة (بالستائر، وتارة) (٤)، بالدعاء المتواتر، وتارة بالعلاج المجرب، وسؤال المهذب المدرب، وعرض مشكلاتها على الصوفى، لا، بل على المقرب.

(١) في : وظ ويشق أسواق، وفي الأصل، ويشيق أشواق، تحريف -

(٢) في : الأصل، أربع.

(٣) في : الأصل، يهيج، تحريف.

(٤) ما بين الحاصرتين، ساقط من الأصل، س.

الريح الأولى

ريح الخاطر الرحمانى

وهذا الخاطر متصل بالإرادة القديمة ، ومتعلق (بقول) (١) كن . وواقع
السكون . وهو ما (٢) يجهل زمانه ، ويدعش الفلاح عند كونيته (٣) .

وهو ينقسم فى نفسه ، إلى هبة مزعجة ، متى وجدها الفلاح ، أو هجست
فى نفسه لا يتالك ، وهى لا تحرك إلا للخير ، ولا تعقل إلا به .

أو هبة باسطة ، إذا تقدمها خلوة ، أو انفصال من غيبة ، أو وقوع
فى كلام على حقيقة ، فلا يتالك إذا استنشقا أن ينسط ، كما يجب
على ما يجب .

أو هبة قابضة ، إما أن تكسبه إذا هبت عليه كالا وصعودا إلى أرفع
بما كان ، أو تحذره (٤) القواطع أو تجرده ، أو تكون له مقدمة غيبته ،
أو يحله سكنا (٥) فى حضرة التعظيم والهيبة ، أو تلهمه الوعيد العلى ،
وتحذره من المسكر ، وتحمله على ابتغاء (٦) الوسائل المنجية .

(١) ساقطة من: س .

(٢) فى : ظ وهو ما يجهل الفلاح زمانه .

(٣) فى : ظ : س عند كيفيته .

(٤) فى : ظ أو تحذره .

(٥) فى : ظ ، س أو يحله ساكنا .

(٦) فى الأصل ، على إنبعاث الوسائل المنجية .

الريح الثانية ريح الخاطر الملوكى

والخاطر الملوكى متعلق بالخطر الرحمانى ، ويتصل به ، ومباين
للخاطر (١) النفس والشيطان ، وهو عما يعرف الفلاح زمانه وأصله ، وأن
الهداية (متعلقة بالخطر) (٢) الرحمانى ، وكأنها فى هذا لا بالذات .

وكل خاطر رحمانى فيه غاية الملوكى ، ولا ينعكس ، وهذه الريح توقظ
الفلاح نحو الطريق السالكه ، وتأمره بالمعروف ، وتحثه على اكتساب
الفضائل ، وتسممه وتكمله ، وكأنها له أستاذ ، وزاجر ومعلم من باطنه .

فمنها هبة تنبهه على (٣) طريقة التصوف ، وترشده إلى غوامضها ،
وتقرر لها حتى يتصور ما لم يكن يتصور ، ويسمع ما لم يكن يسمع (٤) أو هبة
تعلمه السلوك على الطريق المذكورة ، وتحفظها له وتخلصها من الشوائب وإلى
الصعود (٥) إلى منازل الأبرار ، أو هبة تعلمه الوصول ، وكيف البقاء بعده ،
والعدم المطلق ، والوجود المطلق ، والخروج عن نفسه ، ثم الخروج
عن خروجه ، والرجوع إلى حقه بأدب الحقيقة ، وهنا يبصر الغلط
الخنفى (٦) ، ويعلم الحياة والموت .

وأأنواع الغلط كثيرة ، وأخرج ما يكون الفلاح لهذه الريح عند بدايته
أو نهايته ، لعله بالغلط ، إذ التوسط بين البداية والنهاية منازل الجمهور ،
وأكثر أهل الملة وإن لم يعلم ما ذكر ضل على علم ، كما حدث لكثير من
الفلاحين (الذين انقطعوا) (٧) .

(١) فى : ظ للخطر النفس . (٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل ، ظ .

(٣) فى : ظ عن طريق التصوف .

(٤) فى الأصل : على ما يتصور ، مما لم يكن يسمع ، وفى : س متى يتصور ما لم يكن يسمع .

(٥) فى الأصول كلها ، وتخلصها بين الشوائب وبين الصعود .

(٦) فى : س ، ظ تبصرة الغلط الخنفى .

(٧) ما بين الحاصرتين ، ساقط من الأصل . والمراد السالكون إلى الله .

الريح الثالثة

ريح الخاطر النفساني

والخاطر النفساني متعلق بالخطر الشيطاني ، ومتصل بالجسم ، ولو احق الجسم موادها شيطانية ، وقواطعها جرمية بدنية جسمية ولا ترشد البعيد من حيث طبعه ، بل يقبل الزجر والتأنيب والسلخ ، ويفهم بالخطر الملكي لكن بالعرض لا بالذات .

وهذا الخاطر يميل الفلاح إلى الشهوات البدنية الملوذات ، وإن كانت مباحة ويحض على الجاه والصيت . وهذا (١) متداخل مع الخاطر الشيطاني فيطلبه بالتعظيم والظهور ، والتظاهر بالبر ، ويزين له حصوله على مرتبة التبرك ، ويكره الخلق عنده ، ويرى أنهم ممن لا ينبغي أن يخاطبوا ولا يلابسوا على عدم مؤاكلتهم ومشاربتهم (١) ، وعلى الورع اليابس ، الذي ربما رمى في بدعة (٢) ، وربما أياسه من الرحمة ، وأغراه بانتظار الكرامة ، وأكسبه الحزن على [عدم] نيلها ، وهون له الرخص ، والشبه القاتلة ، وقربه من التعطيل ، أو شوقه لمرتبة النبوة والاتحاد ، وأعانه على تأويل كل متشابه ، ويلهمه ارتكاب المحرمات ، بالأقيسة ، ويشوقه إلى هوى نفسه ، من باب الإباحة (٣) .

وبالجملة فهذه الريح مستمدة من الريح التي بعدها ، وكأنها مادة لصورتها ، واستعداد لظهورها .

-
- (١) نختاط هذه النزلة ، بمنزلة المعتزل المتحقق ، بمقام الخلوة ، والفرق بينهما أن العزلة الشيطانية والنفسانية تقترن باحتقار الناس ، واتهامهم بالزندقة ، وحراب الدين ، وأما الخلوة الحقة فتقترن بحسن الظن ورحمة المذنبين .
- (٢) وذلك كالظهور بملابس مضحكة ، أو الظهور عاريا أمام الناس ، أو اتخاذ سمت غير مألوف ، أو إلزام الاتباع بذلك .
- (٣) هذا ميدان ياهب فيه جهلة المدعين أخطر لعبة في تاريخ الأديان ويصق لهم جهلة ، المعجبين ، مسوقين بحسن النية ، وبالنباء الفاضح ، فكثيرا ما نسمع أن فلانا من المشايخ إذا أمسك بكأس الخمر في يده تحول إلى شراب مباح ، أو أنه زنى بفلانة العاهرة فتأبى إلى الله ، وتلك وسائل جهلوانية ، لا تحتاج إلى رد .

الريح الرابعة

ريح الخاطر الشيطاني

وهي تجذب الفلاح إلى النقص ، وتمنع السكال الإنسانى ، وهي كما قلنا متعلقة بالهوى ، ومادة له ، وقائمة بصورة النقص ، و [بها] يترأى (الفلاح) (١) بالوجه المنكوس الأرضى ، وتزين فى عين الفلاح المحرم الظاهر ، وتعلمه العلم الضار (٢) ، وتنسبه العلم النافع ، وتخدمه بالشبه المؤدية إلى ذلك كله ، والآلفاظ المعينة على (الشك) (٣) وتسليه معنى الفلاح والإنسانية ، وتعيده إلى رتبة غير الناطق من الحيوان ، والكفار ، ولا تقنع إلا بالكبير من الهوى والضلالة ، ولا ترشد لشيء من الطاعة ، وبالجمله فهذه الريح هي السبب فى انتكاس الفلاح ، قالوا : وهذه الرياح الأربع تدور فى جو الفلاح ، وذاته مجموع ذلك كله .

كيف الخلاص وهن أربعة عدى والعقل منفرد يروم عنادها
وعلاج هذه الجوائح إذا طرقت ، بالاستقامة ، والمحافظة على ما تقرر من أصل هذه النحلة (٤) واتباع المعصوم والافتداء به ، فهو إمام هذا الفلاح ، الذى هو سبيل الله ، وطبيب شجرة حبة الله ، [١٢٨] والمتحدث بالكتاب المتضمن علاج العلل ، وبلوغ الأمل ، وإعطاء صورة العلم والعمل ، وأن يجعل الفلاح الشريعة فى يمينه ، والعقل فى شماله ، فما قبلته الشريعة وسوغه كتاب تلك الفلاحة أمضاه ، وما منعت وأنكرته دفعه وأطرحه ، وما لم يرد عليه أمراً فهو رد ، إنما هو بخارق وجنون (٥) وفساد عائد على الفلاحة بالخسار ، ويعرض ما فى شماله على ما فى يمينه ، وهو العقل ، الذى لا يعارض

(١) ساقطة من : س .

(٢) كالنظريات الإلهادية ، وعلوم الأوقاف والازياج التى تستعمل فى الشرور وغيرها .

(٣) بياض بالأصل .

(٤) فى الأصل ، ظ من أهل هذه النحلة .

(٥) فى : س . وحقوق .

الشرايع ، ولا يخالف سنن المنن ، فإن قبله فهو مقبول عند الله ، وإن لم يقبله فليس بمقبول ، ولا يحسن (١) إلا ما حسنه سبحانه (ورسوله ، فإن الله هو العالم بالشجرة . والفلاح ، قبل أن يتشخص ويتعين ، و [هو] أبصر بحسن العواقب ، سبحانه) (٢) لا إله إلا هو ، ونختم الكلام في هذه الشجرة ، والاستدلال على شرف هذه الفلاحة بهذه الآيات .

فلا حتنا لها القدر المعلي وسرحتنا (٣) الضميمة للنجاح
ألست ترى منادى الخمس نادى (٤) بمختلف الجهات أو النواحي
يردد في الأذان لكل واع على الأذان حتى على الفلاح

(١) في الأصل ولا يحسن .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٣) السرجة الشجرة اليانعة .

(٤) في الأصل ، ظ وأنا تحريف .

وهذا طائر على الشجرة صاوح

ولاحن كادح ، ومعتذر إن قدح قادح ، أو تعرض
هاج أو مادح

قال المؤلف رحمه الله : ولا بد لنا من صاوح على ذرى هذه الأفنان ،
وشاد بهيج أشجان الجنان ، ويشير شجو الرأفة والحنان ، ويبين مجال
الضرورات (١) لذوى الإنصاف ، بكرم الأوصاف ، والناظرين إلى
الهيئات بعيون الإنصاف ، فيرحم من كان قد شده النقد ، ويعذر من
تشوف لا مستصعب (٥) هذا القصد .

والأعذار التي يقرر عنها هذا الطائر عنا عديدة ، ومبدئه في الصدق
معينة ، وقريبه من الحق لا بعيدة . فنها أن هذا الغرض اليوم بالمغرب (٣) ،
ميدان عدم فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله من يجيل كما يجب جواداً ،
ونفير (٤) لا يجيبه من يكثر سوداً .

قد طمست الأعلام ، وسقط الحمد والملام ، وما لجرح بمت إيلام ،
فدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب ، وإكسير (٥) ، يحدث عنه غير
واصل ولا مجرب ، إنما يرجع فيه إلى كتب مغلفة (٦) (وأغراض مغلفة) (٧) .
وما عسى أن يعول [عليه] المسكين مثلي على قاصر إدراكه ، مع اقتسام
باله واشتراكه ، قصر العلم والعمل ، فاختلط المرعى والهمل ، وأخفق
المسعى وخاب الأمل .

ومنها شواغل الدنيا التي اختلطت من المكاتب ، وموهت بالمراتب ،
ولقبت بالوزير والكاتب ، وأقامت العبد الذي لا يملك شيئاً عند ذكر

(١) في : س الضرورة .
(٢) في : ظ ، س بأكثر الأرض .
(٣) في : الأصل والسير .
(٤) في : ظ ؛ س مغلفة .
(٥) في : الأصل من الساقط من الأصل .
(٦) في : ظ ؛ س مغلفة .
(٧) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل .

الحظوظ مقام العائب ، ومن كان بهذه المثابة ، وإن عد يقظان حازما ،
ونحريرا عالما ، فإنما هو غريق ، وتائه لا يبدو له طريق ، ولا يربح عليه
من قصاد الله فريق (ولا يطفأ ببرد النفس منه حريق) (١) ولا يلساغ
له ريق (٢) .

ونسأل الله الذى ألهم لهذه العيوب أن (٣) يتكفل بإصلاح
القلوب ، ومكاشفة الغيوب ، وإن كانت النفوس للحق جاحدة ، فما أمره
إلا واحدة :

لا تعجبن لطالب نال العلا كهلا وأخفق فى الزمان الأول (٤)
فالخر تحكم فى العقول مسنة وتداس أول عصرها بالأرجل
ومنها الاشتغال بالهذر عن العلم والنظر منذ أزمان عديدة ، ومدد
مديدة . فلم يبق بما حصل ، وإليه فى الزمن الأول (٥) توصل ، إلا رسم
بلقع ، وسمل ماله مرقع .

ومنها أتى لم أنتدب إلى هذا الوظيف ، الذى قل من يتعاطاه ، أو يثير
قطاه ، أو يقتعد مطاه ، من تلقاء نفس جاهلة (٦) يبعد مداه ، ومطل
جداه ، ومطالبة مدعيه منه بما كسبت يده ، فلا يتجاوز طوره ولا يتعداه
وإن طالب الحق من شرط وصوله ، سلب فضوله ، وحالة موته ، وانقطاع
حسه ، فضلا عن صوته ، لكننى خضت على عدم السباحة غمرا ، وامثلت
مع سقوط الاستطاعة أمرا ، وجئت بما فى وسعى انقيادا وامثاللا ،
ومثلت مثالا ، فضرورتى بفضل الله مشروحة ، والدعوى على كتنفى
مطروحة .

(١) ما بين الحاصرتين : ساقط من الأصل : وزيد من : ظ .
(٢) فى : ظ طريق • جاءت هذه الجملة فى : ظ بعد جملة وتائه لا يبدو له طريق •
(٣) فى : ظ س وتستغفر الله فالذى ألهم لهذه العيوب يتكفل بإصلاح القلوب .
(٤) فى الأصل ، المقبل . (٥) فى : س فى الزمن القديم .
(٦) فى الأصل ، نفسى جامدة .

وعلى ذلك فقد علم الذى يعلم الأسرار ، ويقرب الأبرار ، ويقبل الأعذار ، ويقبل العثار (١) ، أن مدة الاشتغال به لم تتجاوز (٢) شهرين اثنين ، بين كتب وكتب ، وابتداء وختم ، مع ما يتخلل الزمن من حمل لورمى به رضوى لتدعده ، أو أنزل على ثبير الخشع من خشية الله وتصدع ، مداراة عدو قد تكالب على الإسلام ، وسياسة سواد صم عن الملام ، وتعدى حدود النهى والأحلام ، وارتقاب هجوم جيش الأجل (٣) وراية الشيب من الأعلام ، وقد أنذر الفجر (٤) بانقشاع الظلام ، وكاد يصعد الخطيب ، فينقطع الكلام ، وجعلت لنقله حصّة من جنح الظلام الفاسق ، والليل الواثق ، وعاطيت حمياه نديم البارق (٥) ، وتعرضت لاقتناص خياله الطارق ، (قبل فضيحة الشارق (٦)) ، وسرقته من أيدي الشواغل (٧) ، والليل معين السارق . ولم يعمل فيه عبد القيس نظرا معادا ، ولا أنجز من تصحيحه علم الله معادا ، إنما هو كراس يفرغ من تسويده رجراج الخبر مختلط التراب بالتبر ، فيدفع ملوم الماسخ إلى يد الناسخ ، وكلفة المتناقل ، إلى كف الناقل ، وتقذف صحيفته من الزبرة إلى الصاقل ، إذ (٨) كان الأمر به أيده الله حريصا على تعجيل المعارضة ، متحريرا سبيل النفع (٩) في هذه المصادقة ، والمقارضة ، والجفن المشرف يعلن بالتبريح ، ويرتقب مساعدة الريح .

فن وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته ، وجبل على الإنصاف سريره ، أو من كان من أهل الله الذى يعلم أن ما سوى الله ظل وفي .

(١) في : س ويقبل العثار ويقبل الأعذار . (٢) في : س لم تتجاوز شهرين .

(٣) في : ظ ، س الأحال . (٤) في الأصل : الشيب .

(٥) في : س نديم الفارق .

(٦) في : ظ السارى وما بين الحاصرتين ساقط من : س .

(٧) في الأصل ، ظ من أيدي الشواغل .

(٨) في الأصل وإذا كان وفي : س ، ظ إذا كان .

(٩) في : س سبيل الشرع .

ويتحقق قوله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » . فقد أوجب الإنصاف أن يمحوا أقراني باعترافي ، ويغطي أوصافي بإنصافي ، والرحماء يرحمهم الرحمن ، وقد عذر القنبرة سليمان ، ومع الاستسلام الأمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولا بأس أن يعرض بتلك الأخوة الخصية^(١) المشوى ، والمروج^(٢) والجل والفروج ، (وفي السماء البروج ، وفي الأرض الفروج)^(٣) والأعرج يستندر منه العروج ، ونمد الأيدي المستعملة في التقصير ، إلى الولي النصير ، والناقد البصير .

اللهم استر بسترِكَ فضائحنَا المختلفة^(٤) ، [٢٨ب] وقبائحنَا المجتمعة^(٥) المؤتلفة^(٦) ، فهذا كله تحويم حول حماك ، ودندنة ، يا كريم يباب حماك ، وزند أنت قدحتك ، وبارق هداية أنت ألتحتك .

فصل السبب يا واصل^(٧) الأسباب ، واجعلنا ممن تذكر فنفعته الذكرى « وما يذكر إلا أولو الآلِباب » .

اللهم قف نفوسنا الحائرة على عين الخبر ، واجذبها إلى (العلم)^(٨) المؤثر بزمام الأثر .

اللهم اجبر الضالة المثقلة . الظهر ، وارفع عنها ملسكة القهر ، وحيطة الدهر ، والسفر من بلد السر إلى بلد الجهر .

اللهم أعلق بعروه الحق أيدينا الخائطة ، وأظفر بعدو الهوى عزائمنا المرابطة .

اللهم أوصل سبيننا بسبك ، واحملنا إليك بك ، لا إله إلا أنت .

(١) في : الأصل ، س : الخبيصة .
 (٢) المختلط غير الصريح .
 (٣) ما بين الحاصرتين ساقط من : س .
 (٤) في : ظ المعجبة المؤلفة .
 (٥) في : س الخلفة .
 (٦) في : ظ الجمعية المؤلفة .
 (٧) في الأصل ، ظ بأوصال الأسباب .
 (٨) ساقطة من : س .

(اللهم صل وسلم على نبينا محمد المقدس المختار ، النبي السلطان ، النور المبين ، الهادى إلى طريقك المستقيم ، الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، صلاوة وسلاما دائماً بدوامك ، باقين ببقائك ، عدد خلقك ، ورضا نفسك ، وسلم تسليماً كثيراً ، ورضى الله عن كل الصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعهم ، إلى يوم الدين ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (١) .

نجز هذا الكتاب بعون ، الملك الوهاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . آمين . ضحوة يوم الخميس ، بالمدينة الشريفة المنورة ، حادى عشر شوال ، من سنة تسع عشرة ومائة وألف ، على يد راقه ، الفقير الراجى عفو ربه البارى « محمد بن مصطفى بن محمد بن عمر الأسكدارى ، ثم المدنى ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه (٢)

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل وزيد من : ظ وى . س : وصل على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين ، أحمد الله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٢) و : ظ (وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة ، يوم الأحد ، سابع شهر رمضان المعظم قدره ، سنة خمس وخمسين وثمانئة ، أحسن الله ختامها بمحمد وآله . على يد أضعف عباد الله ؛ وأحوجهم إلى رحمته وعفوه ومغفرته ، الفقير إلى الله تعالى : عمر بن عبد الله بن محمد المنظراوى ، غفر الله له ولو لديه ولجميع المسلمين أجمعين آمين . حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وفى : س (وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك عاشر شهر شعبان المكرم سنة أربع وخمسين وثمانئة على يد أضعف عباد الله تعالى أحمد بن عمر بن عبد القادر الشريفي .

شكر وتقدير وإهداء

إلى الوزير الأملئ ، والصوفي التقي النقي :
إلى الرجل الذي ملك نفسه ، فجعله الله على خزائن الأرض في مصر .
إلى العبقرى الذي قاد اقتصاد البلاد في أخرج أوقاتها قيادة الفطن اللبيب .
إلى العلامة العارف الذي أمدّه الله من نوره ، وحباه بالحسينين .
إلى الإنسان الكامل الذي أحب الله ورسوله ، فأحب من أجلهما السكون
كله ، وتواضع للسكون كله فرفع الله قدره من حيث يعلم بما يعلم .
إلى الصوفي الجليل ، والاقتصادي البارع :

الأستاذ حسن عباس زكى

وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية ، بالجمهورية العربية المتحدة

أهدى هذا الكتاب أولاً .
وأقدم شكرى له ثانياً .
وأقرر عجزى عن تقديره ثالثاً .
أهديه إليه وأشكره ، لأنه صاحب يد طولى في ظهوره .
وأقرر عجزى عن تقديره ، لأن ما قدمه لى من عون يفوق طاقة التقدير .
جزاء الله أبر ما يجزى به العاملين المقربين ، وبلغه ما يحبه له المخلصون ،
لأنه سميع قريب مجيب .
ولا يفوتنى أن أشكر من كل قلبى الأخ الصالح التقي ، سكرتيه الخاص .

الأستاذ عبد المجيد فتحي

للمثل الأعلى للإنسانية والإخلاص والعمل من أجل الله والوطن ،
والمؤذج الحي للخلق الرفيع ، والروح الصافية .

ومعذرة إن جاء على هذا ناقصا ، راجيا من يقع على زلة أن . يتداركني
بالدعاء أن يوفقني الله للكمال في أعمال لاحقة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيه ومحبيه وسلم ؟

عبد القادر أحمد عطا

الملحق الأول
دراسات حول بعض موضوعات
في كتاب
روضة التعريف

نظرية الخنول نظرية تقديمية

الخنول دعوة وردت في ثنايا كتاب روضة التعريف... وهي كلمة يبعثها الناس وينفرون من الصوفية من أجلها... ويرمون الذين يعتقونها بالتآمر ضد المجتمع، ودفعه إلى الهاوية. وقتل مواهب أفرادها. لأنهم يؤكدون على طلابهم أن يلزموا الخنول. ولا يحميدوا عنه. ويقررون في ثقة أن الإنسان الذي لا يؤمن بجدوى نظرية الخنول هو الملعوق لتقدم أمته. الهادم لمجدها. القاتل لمواهب أفرادها.

والخلاف بين الناس وبين الصوفية في هذا الموضوع خلاف لفظي لا حقيق.

فالخنول بمعنى الكسل والقعود عن العمل بغرض عند الصوفية وعند غيرهم. ومواجهة العمل. واستغلال المواهب وتنميتها أمل الجميع.. ولكن الخلاف يدب بين الصوفية وغيرهم بعد الظفر بنتائج العمل. وبعد تحقيق تلك النتائج في صور نافعة للمجتمع. دافعة له إلى الامام.

فالناس يعلنون عن أنفسهم بمختلف الوسائل الإعلامية.. ويطالبون لأنفسهم بمزيد من الامتياز والمسكافة.. ويشغلون أجهزة الدولة بطلابهم. والثورة على أوضاعهم. وكأن لم يخلق أحد من العاملين غيرهم..

أما الصوفي الحق فلا يعلن عن نفسه. بل يقدم عمله على أنه عمل غيره. ولا يطالب الدولة بأى امتياز لقاء تفوقه. ولا يثور على وضعه حتى ولو كان دون مستواه.. وهو يكبت كل مشاعره إذا نزعته إلى علو أو كبرياء نتيجة لابتكار جديد. أو بروز في السك أو الكيف في عمل مألوف ليس فيه ابتكار الصوفي يعمل لأنه خلق لي عمل. ولا يريد على عمله «جزاء ولا شكورا».. وإن لم يعمل فإنه محاسب على تعطيل مواهب وهبه الله إياها.. فهو مسئول أمام ربه قبل أن يكون مسئولاً أمام رئيسه وحكومة بلاده..

وإذا تحدث أحد عن عمل الصوفي الحق.. أو منحه الدولة وساما من أوسمة

التشجيع فإنه ينكر كل ما نسب إليه .. ويكتئب إذا عجز عن ذلك ويعتقد أن الله قد حرّمه من فضل العمل لوجهه دون شيء سواه ..

وإذا طلب من الصوفي أن يعمل عملاً بما يأنف مثله من مزاولته فإنه يجد ذلك ضالته المنشودة .. ويرجو من مخالفة العرف على هذه الصورة رقباً في وجدانه ومشاهداته .. وتصفية لقلبه من كدر الكبر الحاجب عن شهود العوالم النيبية .. وإطائف أسرار الكون .

وإذا فالتحول كما يفهمه الصوفية .. وكما يصرون عليه .. هو تحول الذكر .. لا تحول المواهب .. حرب النفس الجائعة .. لا إطلاق العنان لها تحت ستار الطموح .. الإيجابية في جميع المجالات ، تواضع للسكون كله .. لا صلف معوق عن التقدم .. جالب للخراب والدمار .

فهل يظن إنسان أن نظرية التحول الصوفي بعد هذا البيان لا تتفق مع قانون التقدم .. وطفرة الصعود إلى القمة ١١٢

لأنه خداع النفس عند المتسكرين لنظرية التحول . وما أشنع ما يعاني المجتمع من ويلات خداع النفس وجوحتها وصلفها .. بل إنه وحده في الحقيقة سبب جوهرى . إن لم يكن كل الأسباب المعوقة لنا عن الصعود .

تحول الذكر من سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فقد كان — وهو القائد الأعلى — يعمل مع أفراد الجيش كفرد من قوة سلاح المهندسين .. يحفر بيده .. ويحمل على كتفه .. ولا يرى لنفسه فضلاً على أحد وكان يحمل متاعه بنفسه ويرفض أن يحمله معه أحد .. واشترك مع سلمان الفارسي في زراعة النخيل التي اشتربها عليه سيده ثمناً لإعتاقه من الرق .. وكان يكره أن يقوم له الصحابة لإجلالاً ..

والصديق ذهب إلى السوق في سبيل كسب عيشه صباح توليته الخلافة .

وعمر كان في ثوبه رقايع لإحداها من آدم ، وكان يضع نفسه في صف واحد مع غلمانه وخدمه . حتى إنه كان يسير خلف غلامه وهو راكب .

وعثمان رضى الله عنه روى خارجاً من بستان له ، وهو يحمل على ظهره حزمة

٥

كبيرة من الخطب . فلما اعترض عليه بعض أصحابه قال : « أردت أن أجريها . .
هل تأتي ؟ »

وعلى كرم الله وجهه كان يختار الثوب الرخيص ثم يقطع ما فيه من طول
بسكين ، ويتركه على حاله .

وعلى هذا النهج القويم سار الصوفية يرفعون في اعتزاز شعار « الخول » .. أى
شعار إنكار الذات في أسمى معانيه ، وأروع مثله العليا ، بحيث لا تكون الرئاسة
زهواً وكبرياء . . بل مسئولية شاقة . . جعلت عمر بن الخطاب مع عدله المثالي
يقول لولده وقد وضع رأسه على فخذه وهو يحتضن : « يا ولدى ، ضع وجهي على
الأرض ، ففعل الله بى ذلى فيرحمنى » .

ولا يترعرع الإخلاص إلا في ظلال الخول ، ولا يترعرع التفاق إلا في ظلال
الإعلان عن العمل ، والطموح والتنافس على الشهرة . وقد وضع الصوفية مقياساً
دقيقاً يكشف عن العاملين لله والعاملين لذواتهم ، أى عن المخلصين والمنافقين فقالوا :
أنظر إلى العمل الذى تريد إنجازه أو الابتكار الذى تريد إهداءه إلى بنى جنسك
وماذا يكون شعورك إذا وجدت أن غيرك قد قام فعلاً بالعمل الذى كنت تريد
إنجازه ، أو اهتدى إلى فكرة الابتكار الذى اهتديت أنت إليه ، فأبرزه للناس
قبل أن تنجزه أنت ، أو بعد إنجازه . . فهل تثور لأنه سبقك به ، وتطالب
بحقك ، فتقاضيه مطالباً إياه بالتعويض ؟ أو تفرح لأن عملاً نافعاً قد أنجز ،
أو ابتكاراً قد أفادت منه البشرية برز إلى الوجود ؟ إن كانت الأولى فأنت
منافق ، وإن كانت الثانية فأنت مخلص منك لذاتك . . مؤمن بنظرية الخول
الصوفية على أكل صورها .

فالخلص المنكر لذاته الخامل الذكر يهيم أن تنجز الأعمال ، وتظهر المبتكرات
التي تسعد البشرية حتى ولو كانت من خالص تفكيره ووحى خاطره ، فأى
الفريقين هو المخرب إذن ؟

وميزان آخر يمكننا أن نكتشف به المنافقين الهادمين ، والمخلصين البنائين .
أو الخاملين والمتنافسين . هو أن تسأل نفسك : هل تعمل لمجرد الأمر ، أو تعمل
لحكمة الأمر وجدواه فحسب ؟ فإن كانت الثانية فأنت منافق منافس ، وإن
كانت الأولى فأنت مخلص خامل الذكر بناء .

فنحن مأررون بالصدقة على المحتاج مثلا . ولكن الناس بإزاء هذا الأمر فريقان .

فريق يعمل ولو لم يكن للصدقة ثواب . حتى ولو كان عليها عقاب ما دامت أمراً صادراً من الله القاهر فوق عباده . . يعمل لأنه أمر بالعمل وكفى . تماماً كالجندي الذي يطيع دون أن يسأل عن سبب الأمر وجدواه . . فالإنسان الذي لا يعبد الله طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره بل يعبد لأنه أمره بأن يعبد ولأنه يحبه . ولذلك يطيع أمره . هذا الإنسان مخلص خامل منكر لذاته بناء لمجتمعه . وهو بعينه الإنسان الذي ينفذ قوانين الدولة النافعة . دون حاجة إلى عصا السلطان .

وفريق يعمل بعد أن يطمئن إلى جزاء العمل سواء أكان الجزاء عاجلاً أم آجلاً . وبعد أن يطمئن إلى حكمة العمل وجدواه . وهذا النوع يحب لذاته يفضلها على مجتمعه . هادم لمجد وطنه . منافق مع ربه وهو بعينه الإنسان الذي يوقف ركب الصعود حتى يشبع نزوات نفسه على حساب الملايين . أما الذي لا يعمل لهذا أو لذاك فهو مكذب بالدين . . كافر بالحب .

وجماع ما يفيض به نبع الخمول عند الصوفية هو . . . الحب . . . وهو موضوع كتابنا الذي قدمناه .

لأن الحب هو جماع من إنكار الذات والإخلاص والعمل من أجل خدمة المجموع .

والحب المقيد بتحقيق غرض خاص أو نفع شخصي لا يسمى حبا . لأنه محصور في نطاق محدود من العواطف البشرية . . . أما الحب الصوفي فهو الحب للكون كله . . جماده وناطقه . . حيوانه وحشرات كواكبه وأجوائه . . لكل شيء فيه . . حتى للعدو الذي أمرتنا الشريعة بالرفق به .

الحب كما وصفه رجال التصوف هو : « ارتياح الأرواح . فإذا أفرطت صار عشقاً يبيت أنفوس الغضبية . ويتخذ به حظوظ النفس الشهوانية » .

ولا توجد عاطفة في الوجود أرقى من عاطفة نابعة من روح لا تعيش معها الحظوظ الشهوانية .

الحب مع الكبر أو مع هواية الرياسة والتفوق على الغير . أو مع غير ذلك من حظوظ النفس حب مدخول . هو والتناقض من و د واحد . لا أمل في تقدم البشرية معه ولا . وخير يرتجى معه . لأنه حب النفس أولاً وقبل كل شيء . . هو الفردية التي لا يقرها الإسلام ولا العرف السليم

المؤمن بجمول الذكر قد نفى عن نفسه جميع الأخلاق الرديئة التي تحرمه من البساطة والعودة إلى خلق الطبيعة .. ذلك الخلق الذي انسجمت به الحياة على هذا النحو البديع الذي نلسه في كل مظهر من مظاهرها .. البساطة التي ينفر منها المتنافسون .. حيث يحولون مفهوم التقدم إلى مظاهر فارغة .. ورغاء مقلق .

وتعشق مظاهر الوجود بعضها لبعض هو في الحقيقة حب لله تعالى . وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم على صورة السجود الذي يعتبر نهاية دلائل الحب ومع خضوع جميع الكائنات للقدس الإلهي . وسجودها له للدلالة على صدقها في الحب .. فقد نفر عن هذه الظاهرة السامية بعض الناس . وهم الذين تعلقوا بحظوظ أنفسهم . وعملوا من أجلها . ولم ينكروها في سبيل الكون . وهو ما جاء واضحاً في القول الكريم : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض وللشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وكثير من الناس . وكثير من حق عليه العذاب : ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء »

فالقليل الذي حق عليه العذاب : والذي باء بالمهانة من الله تعالى هو ذلك النوع الذي اعتر بنفسه في مواجهة ذلك الخلق العظيم الذي تقوم عليه الحضارة القومية . . . إنكار الذات . . . الخمول . . . الإخلاص . . . الحب . فرفض تلك المفاهيم التي امتدحها الله ، وتمسك بنفسه ، وردد في جمل فاضح يدل على تدهور عقل في إدراك حقائق المعاني كلمات جوفاء . . . الاعتزاز بالنفس . الكرامة . . وهو لا يدري ما أول تلك المعاني وما آخرها . ولا يعرف من الكرامة إلا مظهراً مهيماً يخفي وراءه مهانة مخجلة

إنها خدعة النفس الكبرى . وقد اكتشفها الصوفية فقهروها لأنهم وحدهم فقهاوا حقائق الأمور .

وقد أشفق « رويم البغدادي » رضى الله عنه : وهو من كبار الصوفية على الناس من مشقة الحب النابع من إنكار الذات فقال : « قعودك مع كل طائفة

من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فان كل الخلق قعدوا على الرسوم ،
وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، .

وقد أشار الشيخ أبو الفرج بن الطيب البغدادي إلى وعورة هذا المسلك
فقال : « يا هذا . أول الطريق سهل . ثم يعقبه الحزن . في البداية إتفاق السرور
وفي التوسط إتفاق النفس . فاذا نزل ضيف المحبة تناول القلب . فأملق المنفق ..
قلق بلا سكون .. انزعاج بلا ثبوت ..

فإن كان المحب لا يسكن ولا يثبت ، فإنه يحب نفسه الذي لم يرق من حبه
هذا إلى حب الكون ثم حب الله تعالى مطمئن ثابت لكن إلى ترهات وهوى نفسى
كاذب . وهو المعنى المشار إليه في الآية الكريمة التي تتحدث عن قوم قد أطمأنوا
إلى خداع أنفسهم فحسبوا الشر خيرا :

« فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، .

وقديما اعترض دعوة الأنبياء أقوام خدعتهم نفوسهم ، وارتفعت بهم إلى
منزلة لا تقوم على أساس وتبلورت لإعراضاتهم هذه في مجموعة من الخصائص
المادية التابعة من روح التنافس الفارغ فقالوا : « لولا أنزل هذا القرآن على رجل
القرينتين عظيم ، .

وقالوا : « ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ،
وقالوا : « لولا أنزل عليه ملك ، :

وقالوا : « أجنثنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ، .

وقالوا : « ما نفقه كثيرا مما تقول ، ولولا رهطك لرجمناك ، .

وقالوا : « أتؤمن لبشر مثلنا ، .

وقالوا : « ما نرى لكم علينا من فضل ، .

ووصف الله هؤلاء الذين اعتزوا بنفوسهم إلى هذا الحد الذي ينكر كل
شئ غير مادي بأنهم « الملاء الذين استكبروا ، .

وهل الكبر إلا الاستمسك بالنفس وخذاعها ، والسير معها إلى مداها ١١٤

لأنه حب النفس مهما حاول المعتزون بنفوسهم أن يتخذونا بما خدعتهم به نفوسهم .

الإنسان غير السوى يحب الحياة ويكره الموت ، وحب الموت من صفات المؤمنين المؤسسين لأعظم حضارة عرفها التاريخ ، وهو سر انتصاراتهم المذهلة في الحروب ، وحب الحياة صفة غضب الله من أجلها على الكافرين فقال : ولتجدنهم أحرص الناس على حياة . . وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، وهكذا يمكن أن يقال في كل محبوب فإن كالمال والشهرة والرياسة ، والتفوق على الغير ، والجمال . . . ودليلنا على أن كل هذا من خداع النفس أنه إذا زال السبب زال الحب ، فلا يمكن أن يحب هذا النوع من الناس أحدا إلا إذا كان هذا الاحد يملك أن يرضى ما في نفس ذلك المحب من ميول ، فإذا فقد القدرة على إرضائه زال الحب ، وإذا زال الجمال المادى زال الحب . . ونظرة فاحصة في علاقات الافرد بعضهم ببعض تجعلنا نعيد النظر في علاقتنا هذه ، ونحاول تعديلها في قسوة وشدة حفاظا على تراثنا ، وعلى حضارتنا من الضياع والدمار .

ونحن لا نكر أن النفس شديدة العلاقة بزخرف الحياة ، شديدة الحسرة لفراقه ، والأسف عا به عند استلابه .

ولا ننكر أنه بقدر ما يخف الكلف بزخرف الحياة ، وتقل الرغبة في صحبته تخف الآلام عند فراقه .

ولا يمكن أن تقتلع المادة من القلب إلا إذا حل محلها غير يخلفها ، ومزاحم يزعمها . فإذا استحكم في القلب حب الكون كله . والعمل من أجله . كان من السهل اليسير أن يرتقى الإنسان من هذا الشعور إلى حب الله . والانس به . والاشتياق إليه . وهنا تقلب الحسرة سرورا والالم لذة . . ويصبح الموت في سبيل الله أفضل من الحياة في ظل المكافآت المادية . والشهادة في الحرب كما هو معلوم هي سر تلك الطفرة التي قفز بها العرب على مسرح التاريخ في سرعة مذهلة لازالت موضوع دراسة العلماء إلى الآن . وكل ما يتصل بالنفس من أنواع الحب فإنما هو سبب الهزائم التي لاحقت حضارة الإسلام منذ العصر الاموي حتى الآن .

هل رأيت يا أخى كيف يكون إنكار الذات . . او الخول كما يفهمه الصوفية

معنى عميقاً له أثره البعيد في قيام الحضارات وثباتها ، وفي قوة الدولة وسرعة انتشار المبادئ ١١٤

وهل رأيت كيف يكون المعارضون مخدوعين بألفاظ غريبة على ثقافتنا وعلى وعينا .. التنافس . المسكان المناسب للوهل المناسب .. التهاالك على الكسب المادى .. الاعتزاز بالنفس ..

والاعتزاز بالنفس لا يؤمن به الإسلام إلا في مواجهة أعدائه حسب .
أما في وسط المؤمنين فإن النفس يجب أن تدوب حتى تصبح لا شيء .
« أشداء على الكفار رحاء بينهم »
« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » .

ومن لوازم الخول الجزأة على مواجهة الحقيقة .. حتى ولو كانت تمس شعور الإنسان مسا مباشراً .

فقد روى أن الصديق رضى الله عنه التقى بحظلة الأسدى الصحابى .. فوجده مهموماً .. فسأله عن شأنه .. فقال للصديق : لقد نافق حظلة . ؟ فقال الصديق : وكيف ذلك يا حظلة ؟ قال : إنا نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيصف لنا الجنة والنار كأننا نراها رأى عين .. فإذا انقلبنا إلى أهلينا .. ولا عينا أنباءنا ونساءنا نسينا . فقال الصديق : والله إنى لأجد مثل ذلك .

وذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يستوضحان أمرهما .. وما أحسا به من مشاعر ظنا أنها تطعن لإخلاصهما .. فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : « والله لو دتم على ما تكونون عندى .. وفي الذكر .. لصافحكم الملائكة على فرشكم .. ولكن يا حظلة .. ساعة وساعة .. ساعة وساعة .

فهل يجد المنكر على دعوة الخول في نفسه الجرأة على مواجهة الحقيقة التي تمسه مسا مباشراً هكذا ؟

إن الواقع يجيب بالنفى . فليس بين المؤمنين بأنفسهم من يواجه التقه مواجهة البطل الذى لا يتحجج من الخطأ . بل إنه يدفع عن نفسه دفاعاً هزيباً . ويسدر في غيه . حتى ولو قضى على المبادئ والمثل . في سبيل نفسه التي تتخادعه .

أما الصوفية فهم أقوى الناس في مواجهة الواقع . فقد روى أن أحد المريدين ابتلى بحب فتاة . وهو في السلوك . فذهب إلى شيخه وألقى خرقة بين يديه وقال له : لست منكم الآن . فلما عافاه الله عاد إلى الشيخ ولبس خرقة . وواصل سلوك الطريق .

وقصة الشيخ الذي رآه مريده في المنام من أهل النار . فانقطع عنه . فذهب إليه شيخه . وقد أحس بسبب انقطاعه ، وقال له : يا ولدى . أنا أعلم أنى من أهل النار منذ من بعيد . ولكنى أحب الله . وعاد المريد . وبعد مدة رأى شيخه في المنام وقد رضى الله عنه وصار من أهل الجنة .

ولا يهمنا الصدق في تفاصيل هذه القصص بقدر ما تهتمنا دلالتها على مبدأ مقرر عند الصوفية هو : مواجهة الحقيقة مهما كانت مرة .

فهل يمكن أن نقول إن المنكرين على الصوفية في نظرية الخمول ضعاف في مواجهة الحق . فكروا الصوفية لأنهم فضحوا دخائل نفوسهم — وبضدها تتميز الأشياء — أى إنها حلة من أجل النفوس الهزيلة ضد النفوس القوية .

أغلب الظن أنه كذلك . ، والعلم عند الله .

وأغلب الظن أن خمول الذكر هو الطريق إلى المجد . وأن السير وراء خداع النفس هو طريق الهاوية .

ظواهر نفسية ، بين المرض والمعرفة

في حياة الصوفية

يتطور الطب النفسى اليوم : وتتقدم معه الدراسات النفسية : وتشتد حاجة الناس إليه كلما غام الجو العالمى وأصيب الناس بنوع من السعار والهلع . وحينئذ تزدحم العيادات النفسية بطلاب الشفاء .

ونلجح في الوقت نفسه ظاهرة شعبيه تواكب الطب النفسى .. وتسير معه في ركب واحد . وتلك الظاهرة هي تلبس العلاج من الاضطرابات النفسية عند المشايخ .

والواقع أن أمثال تلك المشاعر الشعبية ليست كاذبة .. وإنما هي منحرفة .. فما من فكرة تنبع من الوجدان الشعبي إلا ولها نصيب من الصدق يصغر أو يعظم حسب درجة الحاجة إلى تطبيق هذه الفكرة .. وحسب درجة الوعي العقلى عند المحتاجين إلى تطبيق الفكرة .

ولذلك نرى ان المشايخ حسب الوعي الشعبي البسيط هم : المشعوذون من دقاق طبول « الزار » ، وقارئى « البخت » ، والمسكمين من شيوخ الارض .. عالم الجن . وغيرهم . كما نرى درجة الحاجة إلى هؤلاء المشايخ تتمثل في الاستسلام الكامل لهؤلاء المشعوذين . وبذل المال لهم : وطاعة تعليماتهم الغامضة : بصورة لا يتمتع بها الطبيب النفسى الواسع الثقافة والخبرة .

فاستجابة العامة للمشعوذ في البحث عن ديك أسود ليس فيه « إشارة » تخالف السواد ، وفي تلطيخ جسد المريض بدمه ، والمبالغة في إرضاء قرين المريض من عالم الجن .. تفوق استجابتهم للطبيب في شراء الدواء ، والعناية بتناوله في مواعيده ، والاستماع للنصح الواجب اتباعه إزاء المريض والتردد على الطبيب في الموعد الذى يحدده .. ثم لا يلبث هؤلاء العامة أن يرددوا فيما بينهم أن الطبيب لا يعلم من تلك الامراض الغامضة ما يعلمه الشيخ « فلان » مثلاً ، من أولئك المشعوذين .

وهذه الفكرة الشعبية ليست صادقة ؛ لأن هؤلاء المشعوذين هم الآخرون في حاجة إلى طبيب نفسى . . بل في حاجة إلى عدد كبير من الصدمات الكهربائية « لتعيد إليهم أترانهم ، وتبرئهم من ذلك المضحك الذى يظهرون به في المجتمع . . مثلاً في الشعور المرسل ، والأردية الملونة الخارجة عن حدود اللياقة ، والصرخات التى يقدمونها بين يدي « شهورش » ، أو « الملك الأحمر » وما شابه ذلك . . وليست الفكرة كذلك كاذبة . . لأن هناك نوعاً من المشايخ بالفعل لهم باع طويل في تخفيف آلام البشرية ، وتعديل انحرافاتهما ، وهم « الصوفية » العلماء العاملون المتوجهون إلى الله بكل مداركهم ومواهبهم . . فالطبيب النفسى ، والشيخ المحقق ، هما العمودان الفقريان في علاج النفس دون نزاع .

وأمر الصوفية في النفوس المتعبة يبدو واضحاً من قول « بشر الحافى » عنهم وهو من كبارهم : « لله قوم تحيا القلوب برؤيتهم » . ووجوب الاستسلام لهم . والطاعة العمياء لتعاليمهم لمن أراد التكامل النفسى واضح من قانون السلوك المشهور عندهم ، والذى ينص على أن المرید يجب أن يكون مستسلماً لشيخه « كالميت بين يدي الغاسل » ، والمرید الذى يمكن أن يقبله الشيخ في دائرة التربية هو : الإنسان المنحرف ، الراغب في الكمال بوجه عام ، أو المنحرف الصادق في سيره نحو الله . لله وفي الله . كما أن الشيخ الصالح الإمامة ، وتربية المریدين . هو : العارف الذى لا ينبغي من وراء مساعيه كسباً لامن قريب ولا من بعيد .

هذه هي الحقيقة التى لا مرأى فيها، والتي تخرج على هديها كبار العلماء العارفين ، المشهود لهم بالفحولة من مختلف البنيات العلمية العليا .

ولكن الأمر قد انقلب رأساً على عقب في أدمغة العامة ، فأصبح الشيخ عندهم هو « مصاص الدماء » ، الأفاق الذى لا يدري طريق العلاج لنفسه ، ولا يقيم من العلم سوى ألفاظ غامضة لها سحر عجيب على أعصاب العامة . وبقيت ظاهرة الاستسلام هؤلاء هي بعينها لم تتغير ، وأصبح المرید طالب شفاء لا طالب كمال . . . مضطرباً في طلب الشفاء بقدر اضطراب شيخه في ملبسه وفي حركاته وسكناته . . وأصبح دم الديك السائل على جسد المريض . أو « المرید الشعبي » ، ظاهرة تثير الإشفاق والضحك والالام في وقت واحد .

الشيخ إذن حقيقة وعاما التاريخ، وتواترت عن أهل الحل والعقد من العلماء، وعن الرأي الشعبي العام، ولكنها بقدره قادر هبطت عند صفوف العامة.. كما هبطت قيمة الإله العلي التقدير لدى بنى إسرائيل قديماً فخل محله آلهة شعبية عرفت باسم «العليم»، ومفرزها «بعل»، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم: «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين». وأصبح موقف الشعب من الشيخ المرشد إلى الله مثيراً لغضب الله تعالى، مهدداً بانهيار الحضارة أو توقف سيرها، كما غضب على «كنعان» قديماً لأنهم آمنوا بالسحر والطلسمات، واحترفوا مخاطبة الأرواح، واستعانوا بها على حل مشاكل الفرد والجماعة. فبادت كنعان إلى الأبد.. بعد أن أكتملت جريمتها على هذه الصورة.

الشيخ الصوفي الكامل المحقق. والطبيب النفسى الواعى المثقف.. قد انعكس مفهومهما في أدمغة العامة إلى هذا الحد. فالشيخ صار مسخاً مشوهاً كما رأينا. والطبيب النفسى صار جاهلاً بالقياس إلى دقاق الزار. وصديق ملوك الجان «الشيخ فلان»، وأضرابه.

ولكن حقيقة واحدة تثبت من خلال هذا الاضطراب. ولم تقو الأعاصير الشعبية على اجتياحها هي وجود «الشيخ». وأثره في تخفيف حدة الحياة. وفي خلق التكامل النفسى الذى عبر عنه العارف «بشر الخافى»، بحياة القلب.. وحقيقة أخرى بدأت تأخذ شكلاً ثابت الدعائم هي وجود الطبيب النفسى، وانتصاره على شيخ «الزار»، وقارئ «البخت».. رضارب «الودع».. وقد تتبعنا عدة حالات.. من الأوساط العامة فلمست مدى انتصار الطب على الخرافة. ومنها أم لطالب بالثانوية لجأت بابنها إلى أطباء النفس بعد أن «حفيت» قدامها على المشايخ بالمفهوم العامى. وهناك ناظرة بالمدارس الابتدائية سابقاً لجأت بزوجها بعد أن «داخت» هي الأخرى. وصنعت عدداً من «الرضوات»، لإخواننا سكان الحمامات وباطن الأرض. وضج الحى من قرع الطبول وكثير غيرهما.

وإذا كان بنجم الطبيب النفسى قد أخذ في الصعود. فليأخذ بيد أخيه شيخ الطريق الصوفى المحقق الذى قطع مفاوز الطريق. وخلص من رق الحس إلى

فضاء والشهود ، وأصبح إنسانا كاملا تحيا القلوب برويته . . وليبرز دوره بعقلية متفتحة ناضجة في درساته وفي قاعات المحاضرات ، لأن هذا الشيخ المحقق هو الآخر قد قل نصيره . . إذ غرق مريدوه في رواية الكرامات ، وأضافوا إليها ما أخرجها عن قيمتها العلمية السامية ، وانحدر بها في حضيض الجمل ، وأصبح الواعون من رواد التصوف قلة لا تفي بحاجة التصوف إلى جهد أولى العزم في سبيل إزاحة ذلك الركام المتحجر فوق مبادئه الرفيعة ، حتى حجبها عن الأفهام المتوسطة والضعيفة . . وابتلى الشيوخ ببعض المثقفين الذين شغلوا أنفسهم بمقارنة المسكاشفات والمنازلات الصوفية بنظائرها من الفلسفات القديمة ، وقطعوا الوقت الثمين في محاولة استنباط السابق منها والسارق من سابقه والحق أن الأمر لا يحتمل القول بالسبق ولا بالسرقة . . ما دام التصوف فنا وملكة كسائر الفنون والملكات . . التي لا يجوز أن يقال فيها بالسبق والسرقة ، وإلا كان الشعر والرسم والرقص كذلك من الأمور التي تخص لأقول بالسبق والسرقة من ناحية الملكة ، لا من ناحية المعاني .

ولكى يستنير الطريق أمام دوائر الطب النفسى لمعاونة طريق التصوف يحسن أن نفتتح بابا للدراسة تأمل أن يحظى بعناية المشتغلين بالطب النفسى بوجه عام .

هناك ظواهر نفسية يعتبرها الطب النفسى مرضا يجب علاجه على الفور . . بينما يباركها شيوخ التصوف . . ويعتبرونها بشير فلاح وخير . . والخلاف بين الفريقين هو الخلاف بين « السيكولوجيا » و « الميتافيزيقيا » . ولكن التقارب الحديث بين المنهجين هو بشير خير وفلاح كذلك ، وقد جاء الكثير من تلك الظواهر في كتاب « روضة التعريف » .

العزلة إلى درجة الخلوة تحت الإلزام والغطاء . وإلى درجة أن يقول الحارث بن أسد المحاسبى لتلميذه الجنيد البغدادي : « والله لو أن نصف الخلق نأى عني ما استوحشت بعدهم . ولو أن نصفه الآخر قرب مني ما أنست بقرهم » . وإلى درجة أن تصنف الكتب لتشجيع المريدن على الخلوة والكشف عما فيها من الأسرار . كما فعل الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، والعارف الشيخ مصطفى ابن كمال الدين البكرى الصديقي .

والحزن والبكاء إلى حد دفع الشيوخ إلى يهبوا بالمريدين أن يتباكوا إن لم يكونوا حتى يصير البكاء ملكة من ملكاتهم .

والإقلال من الطعام إلى درجة الجوع وفقدان الشهية .

الارق والحفاظ عليه ، وتناول الاطعمة القليلة والتي لا تجلب النوم .

وبذالة المظهر وليس الممزق من الثياب ، والظهور به في المجتمعات . والمشي بالحفاة والإحتفال بكل ما يسقط المنزلة عند الناس ، كالجلوس في الطرقات . بل وسؤال الناس برأى من البسطاء من الخلق ، ومن المعارف الذين لم يعمدوا في طالب التصوف هذا المسلك . إلى حد أن صنف الشيخ « أبو بكر البناني » كتاباً في الحث على هذه الخلال سماه « مدارج السلوك إلى مالك الملوك » ، وإلى حد أن قامت طائفة من الصوفية أسست سلوكها على هذه الأعمال التي لا يقرها العرف وهم « اللامية » ، وطائفة أخرى بالمغرب هي « الدروية » أسسها الشيخ العربي ابن أحمد الدرقاوي .

تلك ظواهر نفسية يقرر الطبيب النفسي على الفور أن صاحبها مريض بنوع من « العصاب » من غير شك . كما يقرر الطبيب العقلي أن صاحبها مريض بنوع من « الذهان » من غير شك . فهل هذا التشخيص صحيح بالنسبة للصوفية ١١٩ ؟

والإجابة على هذا التساؤل تدفعنا إلى تتبع نماذج من سلوكوا هذا السلوك . أو أصيبوا بهذه العوارض ، وسيكونون هم الجواب الشافي الذي لا حجة بعده لمجادل .

الحارث بن أسد الحاسبى جاع واعتزل الناس ورفض ميراثه من أبيه وهو في حاجة إلى ما يدفع عنه ضر الجوع . ولم يكن مصاباً بعصاب ولا ذهان ، بل ترك للعالم كتابه الرائع « الرعاية لحقوق الله » والذي قال عنه المستشرق « نيكلسون » إنه أول فتح في التحليل النفسى في الآداب العالمية كلها كما ترك كتاب « الوصايا » وكتاب « آداب النفوس » وهما في مستوى الرعاية العلى تماماً .

والشيخ : أبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي تجرد زماناً طويلاً وعاش في الصحراء يقات بعشيبها ولاشئ غيره . حتى روت عنه المراجع أن جلده قد اخضر

من طول ما تناول من عشب الصحراء . ولا يهمننا درجة الصحة في تلك الظاهرة بقدر ما يهمننا صحة هيكلها الأصلي . ومع ذلك فقد ترك كتابيه قوت القلوب ، و « علم القلوب » وهما من أمهات كتب السلوك الديني القويم . والشيخ محي الدين بن عربي كان يشغل منصباً رفيعاً في البلاط الأندلسي ، فإذا به يهجر عمله فجأة ويسير في الأرض . ويتصدق بداره على سائل ويتركها له ويجلس في الطريق العام . . . وينفي عنه العصاب والدهان كتابه العالمي « الفتوحات المكية » إذا أضربنا صفحا عن ثلاثائه كتاب كتبها وهو على هذا الحال . وعن إجماع العلماء والفلاسفة على تسميته « الشيخ الأكبر » .

والعارف الكبير أبو بكر الشبلي كان يسكن الخرائب ولا يلبس ثوباً إلا أتلفه بإحداث تمزيق فيه . وتحدهاء علماء عصره أن يأتيهم بدليل من القرآن الكريم يبيح له إفساد ما ينتفع به كما يفعل بملايسه فأجاب على الفور قائلاً : بني الله داود قتل الخيل التي شغلته عن الله فترة من الزمن وفي ذلك يقول الله تعالى فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ، أي إنه كان يضرب سيقان الخيل وأعناقها بالسيف بعد شغله بها عن الله زمناً قصيراً .

والعارف الكبير : الشيخ عبد القادر الجيلاني عاش متجرداً من كل زينة في الصحراء أكثر من عشرين سنة ومع ذلك فهو أحد الأربعة الكبار المؤسسين لطريق التصوف ؛ وعلى طريقته « القادرية » تخرج الفحول من رجال العلم . ولا زال طريقه يضم الملايين من العلماء إلى الآن .

تلك بعض النماذج الحية من رجال أعلام أصيبوا بظواهر نفسية يشجبها الطب النفسي وينسب إلى أصحابها العصاب أو الدهان . والواقع ينفي عنهم المرض ويضعهم في صفوف الأئمة الذين تمتعوا بتكامل نفسي فريد . وقاموا زمناً طويلاً على رعاية المنحرفين ومنحهم التكامل النفسي المذشود وما أزمه الإمام الغزالي النفسية عنا ببعيدة فقد دونها بنفسه في كتابه « المنقذ من الضلال » وما عظمه الغزالي عنا ببعيدة فهو الرجل الذي يدعيه الفلاسفة حتى بعد أن سفه أحلامهم في كتابه « تهافت الفلاسفة » .

ما هو القول الفصل في المشكلة إذن ؟

حينما نجيب عن هذا التساؤل فإننا لن نتقيد بالمصطلحات التي تعارف عليها

(٢ — ملاحق روضة التعريف)

الباحثون ولا بالتفسيرات التي درجوا عليها لأننا نهم هذه المصطلحات وتلك التفسيرات بالانحراف والدعوة إلى الانحراف . هناك النفس والعقل والروح . تتداخل وتفرق ، ولكننا سنتحدث على أساس أنها متفرقة .

فالإنسان بوعيه النفسي الخالص لا يعنيه من شئون الحياة إلا ما يلي رغبته ، الجسد ، وكل ما لا يلي رغبة الجسد ، أو يلي رغبة أسعى من رغبته الجسد فهو مرفوض لدى أصحاب الوعي النفسي الخالص ، فهم مهملة تقدمت بهم السن امتداد للطفولة الرعناء ، التي تبكي حينما يصرخ الجسد طالباً لإحدى رغباته ، وهم الذين وصفهم القرآن الكريم بأنهم « يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

إننا نطرب للطفل الصغير يمسك الحلوى بكتلتا يديه . ويلوث ملابسه بالطعام أو بحشوه جيبه وفه ، ولكننا نشمئز إذا وجدنا الكبير يفعل ذلك ، وعلى هذا فالوعي النفسي الخالص لابد أن تترقى عنه في يوم من الأيام إلى وعى أرق منه ، يتلاءم مع مطالب الإنسان التي لا تقف عند الطعام والشراب والسفاد ، بل تعداها إلى أيجاد معنوية كالعالم ، وتقدم الدولة واستقلالها ، وحفظ الكرامة الفردية والجماعية ، وتأسيس السعادة بين البشر . وحينئذ نرتقى إلى الوعي العقلي الذي يعلو عن الوعي النفسي الخالص على أى حال ؟

ونحاول أن نصل بالإنسانية إلى مداها من المجد على ضوء العقل وضوء السلوك العقلي . . ورغم أننا نصل عن طريق العقل إلى حل الكثير من مشكلات البشر فإن السير على هدى العقل وحده قد يوقعنا في حرج بالغ ، ويلحق بنا عارا شديدا

العقل حرقى ، يؤمن بالمعادلات ، ولا شيء بعدها ، وعلى أحسن الأحوال فإن الإنسان يجد من المعادلات سندا له في بعض التصرفات الصحيحة ، والتي تولى ضمير فريق من الناس . فهو يقنع مثلا بدفع الزكاة إلى الفقير حسب المقدار المنصوص عليه شرعا ، وبلا زيادة ، حتى ولو كان هذا المقدار لا يفي بحاجة المحتاج وحتى إذا شبع منه بطن وجاع بطن ، بينما حقيقة الأمر أن الدين نفسه قبل من دافع الزكاة ما دفعه ، وأبرأ ذمته ، لأنه القدر الأقصى الذي يسمح به العقليون ، وفي الوقت نفسه ترك الباب مفتوحا . لمن يحسون بمشاعر أسى ، وذلك الباب

المتفوح هو باب الصدقة الحرة . وقد ترعد الله ما نعبها بعقوبات مؤجلة يجعلها لازمة كالمفروضة تماماً . فالشرعى العقلى يقول : يجب ربح العشر الفقير . والصوفى يقول : بل الكل الله . فالمال مال الله . والعبد عبد الله . وعلى هذا فالوعى الروحى فريضة على مجتمع المسلمين . أجل الله عقوبة الواقفين فى سبيلها . بينما عجل عقوبة الواقفين فى سبيل الوعى العقلى فى الدنيا ثم فى الآخرة .

والعقل لا ينفى بحاجة الإنسان من المعرفة . بل لقد تكون المعارف العقلية وحدها سبباً من أسباب سيطرة الآلم على الإنسان . وذلك حينما يقف العقل عاجزاً أمام القضايا الفكرية الكبرى . تلك القضايا الغيبية التى جاءت من السماء لتؤمن بها أولاً . ثم نحاول الافتتاح بها بطريق غير طريق القلب . ويكون العقل عاملاً من عوامل البلبلة . حينما نطالعنا كداس الفكر العقلى . فتوقعنا فى حيرة . لأننا لانستطيع التمييز بينها بسهولة . فالإنسان فى حاجة إلى وعى آخر غير الوعى العقلى لفهم القضايا الغيبية . وللوصول إلى سعادة حقيقية لا يشوبها كدر .. ولتبسيط الطريق الذى جعله العقل أكثر وعورة . وذلك الوعى وهو وعى الروح .

العقل على هذا وسط بين المادية والروحية . وهو البرزخ الذى يفصل بين الوعى النفسى والوعى الروحى . فهل يمكن الوصول بسهولة إلى وعى روحى يجيب على تساؤل الإنسان الذى لا ينقطع ؟

من المعروف بداهة ومن المقرر فى التربية الصوفية أنه كَمَا ضاقت دائرة الحس فى الوعى الإنسانى اتسعت دائرة المعنى . أى أنه بقدر ما يتخلى الإنسان عن المحسوسات المادية وتوابعها يستطيع أن يتمتع بقدر من الوعى الروحى . وتلك هى النظرية المعرفة فى التصوف « بالتخلي والتجلي » .

المفروض أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بعيداً عن المادة ، مجاناً إياها كل المجانية ، وإنما يراد منه ألا تأخذ المادة بمجامع قلبه . فلا تدع فيه مكاناً لسواها ، أى ألا يتعلق بالمادة حتى يصاب بالقلق إذا فقدتها ، بل يستوى عنده وجودها وعدمها ، إذ لم يسعد بفقدتها ، وحينئذ تنفسح مدارك الإنسان ، ويجد البديل الذى يسعده ويشهده الحقيقة التى تقضى عندها جميع الإضطرابات النفسية . إذ أن القرآن قد وصف المستجيبين لجميع مطالب هوائهم بالانعام « بل هم أضل سبيلاً » .

ولا يمكن الوصول إلى هذا المدى من الإدراك الواعى إلا بما يسمى عند الصوفية بالرياضة ، أى تدريب النفس على التخلّى عن المادة . وعدم التعلّق بها . وهنا يبرز منهجان من مناهج التربية الصوفية .

أولهما : منهج اختياري . يضع الشيخ خطوطه . إذ يحرم الطالب من الماديات حرمانا تدريجيا . ويشغله بالذكر وطقوس العبادة الأخرى حتى يجد من وجداناتها ما يجعله مؤمنا بصدق المنهج الذى يسير عليه . ويدور هذا المنهج حول أربعة أشياء قالوا إنها أركان التربية الصوفية . وهى : الجوع . والصمت . والسهر والعزلة .

وثانيهما منهج اضطرارى ، لا دخل للطالب فيه ، ويكون ذلك حينما يقوى يقينه بجدوى سلوكه الجديد ، ويدوق من الوجدان ما يدفعه إلى حركة سافرة يخوضها مع المادة راغما ودون وعى ، يخوضها وقد فقد الشعور بالآلام ، ولم يخش سطوة الحرمان . ولم يبال بشيء من ترهات المجتمع التى توشك أن تشده إلى الحضيض باسم التقاليد إن لم يقهرها .

وهذا اللون من الطلاب هو المعروف فى عرف الصوفية باسم « المجذوب » أو « المأخوذ » أى الذى دفعته قوى عليا سامية إلى سلوك ترتضيه تلك القوى المقدسة . لتحرره به من نفسه ومن تقاليدها ومن خداعها . ولتكشف له حقيقة الحياة خالية من الزيف . واقعية الجوهر . فيسير على هدى تلك القوى منسكرا ذاته ساخرا من أهوائه . إلى قمة المعرفة الحقة . والخضارة الصاعدة التى بناها من قبله محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه رضوان الله عليهم - بعد أن أذكروا ذواتهم وسخروا من خداع نفوسهم . ونفوس الآخرين . ليس مرضا هذا السلوك - مهما نعق المأخوذون بخداع النفس - رغم أن عوارضه تتفق تماما مع عوارض الأمراض النفسية . لأن هناك فوارق بين المصابين بالعصاب وبين الصوفية .

العصابى ناغم ساخط . حائق على المجتمع وعلى نفسه . والصوفى تغمره السعادة من كل جوانبه . محب لمجتمعه . بل وللحيوان والجماد . وكل مظاهر الوجود . هادئ النفس مهما أصيب أهله بالهستيريا من أجله .

العصابى مكتشب لفقد كليات الحياة . أو لفقد حيية حسناء . أو مركز . مرموق . أما الصوفى فيعتبر فقد هذه المظاهر هو عين العطاء . وعين السعادة

وعين اليقين . ويكتسب هو الآخر . ولكن لأن سيره نحو المحبوب الاقدس ليس كما ينبغي لثله من الطامعين إلى المثل الاعلى . فيصاب حينئذ بعوارض الحب التي عرضها لها ابن الخطيب في كتابه

العصابي يعيش في مجال الطين . والصوفي يعيش في مجال الروح .

العصابي يتوارى من القوم من سوء ما أصابه . والصوفي يعلن عما ألم به . ويدعو الناس إليه بكل فخر واعتزاز . ويشفق على من يسخر منه . أو يذرف عليه الدمع الغزير . في « هستيرية غير مترابطة » .

العصابي يردد كلمات الالهي والجزع واليأس . والصوفي يردد مواجيد الوجد والأمل . والرجاء والسعادة في كلمات هي حقائق العلم الأعلى .. الصوفي يقول : « لو عرف الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف » والعصابي يقول : « لو عرف الناس ما أنا فيه بكوا على بدل الدمع دما » .

الصوفي ينعى على زميله قدرا ضئيلا من عالم المادة نزعت نفسه إليه . كما رأينا في غصون كتاب « روضة التعريف » والعصابي يهنيء زميله بالعثور على هذا القدر من المادة كما نرى في أرشيف العيادات النفسية . وبين ثنايا أحاديث من يسمون أنفسهم بالمتقنين .. رواد الجيل .. المربون الأفاضل

من أجل تلك الفوارق لم تكن تلك العوارض — التي تشبه عوارض المرض النفسي — مرضا عند المتصوفة . وإنما هي سلوك إلى المعرفة . وإلى العلم التابع من الذات ، والمفاض من عالم الغيب الاقدس .

فهل اقترب الطب النفسي من التصوف إذن ؟

الواقع أن كلا منهما يعمل في ميدانه جاهدا نحو بناء إنسانية سعيدة ناعمة البال ، قوية المسلك ، ولكن التصوف يندفع إلى مداه بمريديه نحو المثل الأعلى نحو الوعي الروحي الذي يسيطر على تصرفات الإنسان ، ويخضعها لثله وقواعده من حيث يكتفي الطب النفسي بإعادة الثقة إلى المريض ، وتأهيله لمواجهة الحياة كما يواجهها عامة الناس . ومع ذلك فهما قريبان كل القرب ، ويرجى لهما قدر أكبر من التقارب حتى توثق الجهود ثمارها لبناء إنسانية أمثل ، ونحو معرفة أفضل من تلك التي قطعت بين الفريقين زمنا طويلا .

الفقد هو مشكلة الإنسانية منذ هبط الإنسان إلى الأرض ، فحينما تقادم به
للمن نسي الهدف الأسمى الذى نزل من أجله ، وبدأ ينظر إلى ذاته وكأنها
هدف أسمى فى الوجود ، ومن هنا انقسم الناس فريقان :

فريق طمست بصيرته ، وراح على قلبه ما حجبته عن عالم النور ، وانفعل
بمظاهر الحياة ولذاتها انفعالا كلياً وطرب لها ، واهتز كيانه لفقدائها ، ولم يقطن
إلى ما يزعج عن قلبه ذلك الركام من الألم ، فوقع فريسة المرض النفسى الذى
لا ينكره صوفى فى الوجود . وأصبح شفاؤه متوقفا تماما على استعادة ما فقدته
من المظاهر المادية أو المعنوية . وسخر الطب كل جهوده فى العثور على ما ينسبه
آلامه من عقاقير وصدّات كهربية يشفى معها إلى حين ، فإذا ما عادت له
الذكريات عاد إلى مرضه ، وبقيت الإنسانية معذبة تجهد نفسها ، وتجهّد الطب
معه فى سبيل الحصول على خلاص دائم من تلك السقطة الشنعاء . سقطّة الإنسان
الذى لم يدرب نفسه على الفقد . إذ لا يمكن للطب أن يحصل له على ما فقدته من
مال أو جاه .

وفريق استارت بصيرته . وفتحت مواهبه .. وخاض ما خاضه الفريق
الفريق الأول من معارك الحياة . وفقد كما فقدوا . ولكنه كان فطنا فلم يجده
فى تلك المظاهر سعادة الأبد . وفقه أنها هشيم تذروه الرياح . وأنها هالكة مع
كل شيء . وأنها قد تكون شقاء الأبد . فلم يعول عليها . وحاول التدريب على
فقدانها حتى يستوى لديه وجودها وعدمها . وحتى يتحرر من المرض الذى يهدد
عقله بالضياح . وكان ميدان التصوف هو تلك المدرسة التى يلجأ إليها
فى هذا السبيل .

وكان هناك قانون صوفى لا بد من السير عليه هو : « خرق العوائد » . أى
مخالفة العادة البشرية إذ أنها رأس كل بلية يصاب بها الإنسان ، وكان لا بد من
أخذ المريد بهذا القانون . فيدربه شيخه على الفقد الاختيارى . أى على مجانية
زخارف الحياة شيئاً فشيئاً وتحت رعاية دقيقة . حتى لا تتجمع به عواطفه إلى نوع
من الانحراف . فن استبدال سالكى الطريق بأصدقائه القدامى . إلى استبدال
المسكن بغيره مما يكون أعون له على السلوك . إلى التقلل من بعض الأطعمة . إلى

«هجران بعضها .. وما إلى ذلك من وسائل السلوك المقررة في مراجع التربية الصوفية .

ولا يغفل المريء الصوفي طموح النفس إلى الرئاسة وإلى الكبر . فيأخذها بما يريح عنها تلك العلة التي لا تقل خطراً عن علة الاستمساك بالماديات . حتى أنه إذا استعصى المريء في هذا المجال . فإن شيخه يرغمه على الوقوف في مواقف لم تكن تليق بمثله عن هو في مستواه الاجتماعي . فيدربه على خدمة إخوانه . وحراسه أمتعتهم . وتقديم الطعام لهم . بل وسؤال الناس في الطريق كما كان يفعل الشيخ الكبير : العربي بن أحمد الدرقاوى ، في بلاد المغرب ، حتى تخرج أعلى يديه علماء أجلاء لهم تراثهم الرفيع ، من أمثال : الشيخ أبى بكر البناني ، والشيخ فتح الله البناني ، والشيخ محمد الحراق وغيرهم من شاذلية د فارس ، . [انظر : شور الهدية في طريق الصوفية . للشيخ العربي الدرقاوى . ط . مراکش .]

وما إن يذوق المريء بديلاً عن المحسوسات ، من المواجيد والمعارف التي لا تتهياً إلا لمن صفت نفوسهم من كدر الحياة ومظاهرها ، حتى يعم بنفسه في الترك والفقد ، ويستمرى هذا المسلك ويستزيد من تلك المعارف بالاستزادة من الفقد . . .

وهنا يتفق المريض مع المريء في أمرين :

أولها : مظهره الاختياري الذي لجأ إليه ، من برازة المظهر ، وامتهان الجسد .

ثانيهما : السكابة والعزلة والبكاء وغير ذلك من الظواهر ، ولكنها عند المريء تختلف عنها عند المريض ، فهي عند المريض أسف على المفقود من المادة ، وهي عند المريء أسف على ما فات من العمل ، أو نزوعاً إلى ما هو آت ، أو حرقة وشوقاً إلى المجبول . أو جلاء لنفسه ونزوعاً نحو وعى روحى أفضل . وهي بعد كل ذلك بناء عقلى شامخ . هو الذى قامت على مثله حضارة الإسلام الزاحفة في ربع قرن من الزمان .

وإلى هنا يتباور لدينا أن المريض يفقد الهدف الذى يعصمه من الانحراف .

أما المريـد فهو شاخص إلى هدف أسمى يستهين من أجله بكل صعب . حتى بالحياة ذاتها .

قلو أن الطب النفسى جهد فى سبيل خلق هذا الهدف الأسمى لدى المريض ، وحاول إثارة الوعى الروحى لدى المرضى بعد شفائهم المؤقت الذى يحصلون عليه أو لدى من يقفون على أبواب المرض ، ولو تعاون علماء الصوفية السالكون مع الأطباء فى هذا السبيل ، ولو جرب لأول مرة فى تاريخ الطب النفسى أن يكون العالم الصوفى والإخصائى الاجتماعى والطبيب النفسى معا فى هذا السبيل ، وكل يعمل فى مجاله بإخلاص ، لو أن ذلك كان ، لكان الخير العميم ، والسعادة الدائمة ، والقضاء على هذا المرض اللعين الذى يتركز أساسا فى الاستمساك بتقاليد المجتمع .

وأعتقد بعد هذا البيان أن التقارب وثيق بين الطب النفسى والطب الصوفى الذى مر بنا بعض وسائله فى هذا الكتاب .

وسيكون من تقاربهما قضاء مبرم على شيخ الزار ، وعلى المكلمين من عالم الجن ، وعلى المشعوذين الآخرين ممن على شاكلتهم ، وسيكون تفتح فى الوعى الشعبى وغير الشعبى إلى آفاق عليا من المعرفة ، وإحياء وبعث لتراث عزيز على البشرية يوشك أن يندرس تحت وطأة الجهل به ، أو تحت وطأة جهل بعض القائمين عليه من مدعى الصوفية الذين لا يقولون خطر عن المشعوذين . كما أنه سيخضع . التربية الصوفية لنظام علمى دقيق يستهوى الكثيرين من المثقفين الذين لا يزالون يزونها بمنظار مجانب للحقيقة كل المجانبية .

ولاشك أن هذا التعاون سيفيد منه الطب النفسى كثيرا ، لأن الإخصائى الاجتماعى يقوم بحوثه فى إخلاص ، ثم يجد نفسه مكتوف اليدين ، لأن شفاء المريض متوقف كل التوقف على عون مادى ، قد يطول الزمن حتى يمكن إسعافه به من الجهات الرسمية ، وقد لا يبق ما تدفعه الجهات الرسمية بإسكات الفزع الذى يصرخ فى أعماق المريض ، والصوفية قد تدربوا بالفعل على البذل — إن كانوا صوفية حقا — وهنا يمكن أن تتساند الجهود الصوفية فى حل تلك الازمات ، والاخذ بأيدي إخوانهم الذين وقعوا تحت وطأة الفقد .

الطبيب النفسى يهدى روع المريض الفاقد ، أما المربي الصوفي فيدربه على
الفقد ، ولا يرى عارا من الفقد . طريق التصوف يريح المجتمعات من تبعات
العلاج ، لذا يجعل من كثير من المتقدمين للعيادات النفسية طلاب كمال ، لا طالبين
لجبر ما نقص منهم . وما انهار من شخصياتهم .

وهذه المفارقة العجيبة إنما هي من عجائب النفس البشرية .. إذ أن النفس
ليست شيئاً بسيطاً سهلاً كما يتصور الدخلاء على هذه الدراسات . بل هي شيء
معقد غاية التعقيد . كثير الدروب والمنحنيات والعقبات والعوائق . وقد أشار
القرآن الكريم إلى عظمة النفس البشرية . ومدى ما تسكنه في أعماقها من المعرفة .
فجعلها نبأ صافياً للحق فقال الله تعالى : « سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وأشارت السنة إلى تلك العظمة في النفس فجعلت العارف بها عارفاً بأضخم
مشكلة إنسانية .. عارفاً بالله : « من عرف نفسه عرف ربه » .

والعصام لهؤلاء المجهودين في الحياة هو : التفكير . والتدبر . والتذكر .
والتفقه . والتعقل .

وقد زخر القرآن الكريم بالحث على تلك الخلل في آيات كثيرة يصعب
إحصاؤها الآن .

وحدة الوجود

فكرة الحب والسلام والعمل

تمضى القرون الطويلة . ولا يزال الباحثون يشغلون وقتهم وأوقات الطلاب وهوأة المعرفة بالطعن على نظرية الوحدة عند الصوفية . ورمى الفائلين بها بالعنثائم وتجريدهم من الإيمان بالله . وتقليدهم عار الزندقة والإلحاد .

ويتبع الطعن على القول بالوحدة الطعن على القول بالحلول والاتحاد الذى تستلزمه الوحدة فى نظر الطاعنين . ولا تفارقة .

وفد يكون هذا الوقت الضائع سدى فى إقناع المثقفين بانحراف الصوفية فى هذا الصدد مستسأغاً لو أنهم صرحوا بأن الله تعالى يحل فى شىء . أو يتخذ به . ولكنها عبارات صدرت عن بعضهم . ولم يحاول الباحثون استقصاء الحالة النفسية التى كانوا عليها حين لطفوا بها ، بل أصدروا أحكامهم فى صورة عموميات لا تتفق مع الحق ولا العدالة . ولا مع المعرفة فى شىء .

« الحق عين ماظهر وعين ما بطن » . . أبو سعيد الخراز . . وغيره

« ما فى الجبة إلا الله » . الحسين بن منصور الحلاج .

« قال لى الحق : « يا أبا يزيد كل الخلق خلقى إلا أنت . أنت أنا . وأنت » .. أبو يزيد البسطامى .

« لاتصح المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما الآخر : يا أنا .

إذا شئت أن أدعوه ناديت يا أنا وإن يدعنى نادى جميعى بيا لى
فيخبرنى عنى بما أنا مخبر . . إذا شئت عنى بالذى مخبر عنى

السرى السقطى

تلك هى الأقوال التى امتحن بها الصوفية زماناً طويلاً . ولم تجد أقوالهم رداً على الطاعنين عليهم لوعورة لغتهم وتشبيهم بالمصطلح الصوفى الذى لم يصادف

محلا في أفهام الباحثين . . وكل ما جاء من أقوالهم التي استبشعها المفكرون غير ما أودنا ، فإنما هو في معناه لم يخرج عنه .

لقد بقي اتهام الصوفية هذه الأزمان الطويلة . . ولم يجدوا منصفاً يستمع إلى دفاعهم عن أنفسهم بعين العدالة . فحرم العالم كله من أعظم فلسفة بناء دافعة إلى التقدم وإلى قمة المجد هذا الزمن الطويل . ومع ذلك فإنهم سيديقون متساحين مع الطاعنين عليهم . راجين لهم من الإنصاف ما يعودون به إلى الحق . مبشرين للإنسانية كلها بفكرة سنحاول الكشف عما تحمله للعالم من سلام وسعادة وتقدم وصعود بحول الله وقوته .

فراجع التصوف التي عرضت لهذا الموضوع بالفرير أو بالدفاع - لاشك - وعرة اللغة - عصية المصطلح . ولا تلام مع طريقة لإنسان العصر الحالي في البحث لأنه يؤثر ما خفت مؤثته على الفهم . ولم يكلف غناء في الدرس .

وحق ما سهلت لغته . وخفت مؤثته من هذه الكتب المدفعية قد أخرج إلى جمهور القراء على طريقة الطباعة القديمة التي يرفضها لإنسان العصر الحالي مهما كان فيها من غناء وقول فصل . وهو معذور كذلك . لأن تبعات العصر الحالي هي الأخرى لا تندع جهداً لباحث عن الحق

من أجل ذلك . ومن أجل الحق . ومن أجل الإنسانية التي حرمت من جدوى رائناز منا طويلاً سنحاول بحث هذا الموضوع في أبسط صورة ممكنة . بحثاً موضوعياً لا تعرض فيه لأقوال المنكرين . ولعلنا نوافق في تحليله وجه الحق عن هذا الموضوع الذي نحتاج إليه في هذا العصر حاجتنا إلى القوة النافعة . والنظم العادلة . وتخفيف الآلام . والعودة إلى مجد لازال موضع العجب من جمع الباحثين في العالم .

الوجود وحدة متكاملة . . هذا هو الحق الذي لامرأ فيه .

ليس في الوجود إلا الله . . وكل ما سواه عدم . . هذه حقيقة ثابتة لامرأ فيها . بل هي ذروة الإيمان بالله . وتوضيح ذلك نقول :

من المعروف أن الكهرباء مثلاً — عبارة عن تيارات خفية لا ترى بالعين ، ولا يتصورها العقل على حقيقتها ، وإنما تدرك آثارها إذا تجمعت وسيرت بعمليات علمية معقدة حتى تصل إلى المصباح فإذا بها نور متوهج يراه كل إنسان . فهل الكهرباء هي هذا الضوء المتوهج في تلك الأسلاك الدقيقة داخل المصباح الزجاجي المعلق في السقف ١١٤ أم هي شيء غيره ١١٤ أم هي عين الضوء . بمعنى حقيقته لا بمعنى مظهره الذي يعتريه الوجود والعدم حسب سلامة الأجهزة أو فسادها وحسب انطلاق التيار في المصباح أو انقطاعه ؟

يمكننا أن نقول حينئذ : إن هذا الضوء المتوهج في المصباح هو الكهرباء ، ولستنا إذا دققنا النظر ، وحددنا معاني الألفاظ تماماً . . وجدنا أن الكهرباء في الحقيقة ليست هي الضوء المتوهج ، وإنما هي تلك التيارات الخفية في الكون والمكونة من الموجب والسالب ، والتي ينتج عن تلاقيها ضوء متوهج هو في الحقيقة مظهر من مظاهر الكهرباء ، وليس الكهرباء بعينها .

وعلى هذا فإطلاق الكهرباء على الضوء ليس إطلاقاً حقيقياً ، وإنما هو إطلاق مجازي من باب إطلاق الأثر على المؤثر .

فإذا قلت : إن الكهرباء هي الضوء المتوهج في الأسلاك كان هذا التعريف صحيحاً على المجاز ، لا على الحقيقة .

وإذا قلت : إن الكهرباء ليست هي ذلك الضوء كان هذا حقاً لا شك فيه فالكهرباء هي الضوء ، وليست هي الضوء كما عرضنا ، ولا غبار على من يقول بذلك بأي حال .

وننتقل بعد هذا البيان إلى الذات الأقدس . . . الله ، سبحانه وتعالى والله المثل الأعلى .

المخلوقات منها الإنسان ، وقد صرح الله تعالى بأن حياة الإنسان في أول الأمر ما هي إلا نفخة من روح الله :

« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ، فالإنسان مكون

من الطين ، ومن نفخة الروح الإلهي الأقدس كما أن الضوء مكون من زجاج وأسلاك وتيار خفي لا يرى . وتلك النفخة هي التي وهبته الوجود والحياة ، فإذا قلنا إن الإنسان موجود بذاته كان هذا القول خطأ ؛ لأن وجوده مستعار من لوجود المطلق . من النفخة الإلهية الأولى ، أى من وجود خالقه سبحانه وتعالى ومن هنا يرجع وجود الإنسان إلى وجود الله تعالى دون شك . وإذا قال الحلّاج « أنا الحق » أو ما شابه ذلك ، كان هذا القول مجازاً ، كما كان القول بإطلاق الضوء على الكهرباء مجازاً كذلك .

وإذا قال : أنا غير الله كان هذا القول حقيقة ؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء .

فالصوفي لا يريد بقوله : « أنا الحق » ، وما شابهه .. أنه هو الله الخالق الفعال لما يريد ، وإنما ينظر إلى أصل وجوده ومنبع فيضه ، وينسى عالم الطين تماماً فلا يرى إلا النفخة الإلهية السارية في أجناس الناس ، وهذا المشهد يفسر جميع الأقوال التي ذكرناها في صدر هذا البحث .

ومن المخلوقات جماد ونبات . وقد صرح الله تعالى بأن للجماد أو النباتات حياة موهوبة من لدنه سبحانه بوساطة الماء الذي خلقه سبحانه -- لهذا الغرض .

« وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

وسجود الشجر والجبال والنجوم والشمس والقمر لله كما جاء في النص الكريم دليل على أن لها حياة .

فالماء حياة الإنسان والجماد والنبات وكل شيء ، ما نعلم منه وما لا نعلم . فإذا قلنا . إن كل شيء في الوجود هو الله ، كان هذا حقاً بمعنى أن وجوده مستعار من وجود الله ، والله يستطيع أن يقطع عنه مدد الوجود في أى لحظة كما نستطيع نحن أن نقطع الضوء المتوهج في مصابيح الكهرباء بحركة بسيطة . وكان هذا القول تماماً كقول الإنسان « أنا الحق » .

وإذا قلنا إن الموجودات مغايرة لله تعالى وليست هو . كان ذلك حقاً لا مرافيه .

وهناك وجه آخر لفهم وحدة الوجود عند الصوفية :
فالاسماء والصفات الإلهية — من غير شك — هى الفاعلة فى الكون ، خلقاً
وتصويراً ، وعطاء ومنحاً وحياة ، وموتاً ، وملكا ، وانتقاماً ، ورزقاً ، وفتحاً
وعلماً ، إلى آخر ما هو معلوم من الاسماء والصفات .

والناس إزاء عمل هذه الاسماء والصفات المقدسة فريقان .
فريق ضيق الافق ، لا يعينه إلا ما تسلط عليه من الاسماء بصورة ظاهرة
فحسب ، فهو يهتم لصفة « الرزاق » ، أو « العالم » ، مثلاً ، ويعيش فى دائرة تجلياتها ،
ويعمى عن المنبع الاصلى لتلك الاسماء والصفات ، وهؤلاء هم أهل « الفرق » ،
أى الذين يعيشون فى عالم متفرق ، كل قسم منه مستقل بذاته ، ولا يحاولون
الربط بين تلك التجليات الاسماوية ، وجمعها فى منبع واحد . وهؤلاء ينسكرون
أشد الإنكار كل مشرب عدا مشربهم ، ويرمون غيرهم بالزندقة والإلحاد .

وفريق يعود بكل اسم وبكل صفة إلى أصلها ، وهو اسم جامع لجميع الاسماء
« الله » ، وتتنوع آفاقهم لكل مظاهر الحياة فيرونها نابعة من المنبع الاصلى للوجود
بعد فهم كل اسم وصفة على حدة . وهؤلاء هم أهل « الجمع » . أى الذين يعيدون
كل شىء ويجمعونه فى الاسم الجامع . « الله » ، وهم الذين يرون الله — أى
أسماء الله — قبل كل شىء وبعده ، فيه وهم أهل المراقبة التى تحدث عنها ابن
الخطيب فى كتابه ، فاذا خاطبك أحدهم فكأنما يخاطب الله ؛ لأن الله هو صانع
الكلام فيك ، وهو موجهك إلى ما تقول . وهؤلاء أهل حب لجميع الكائنات
على هذا الاعتبار . . يغيب أحدهم غيبة كاملة عن كل عالم التفرقة والمظاهر
المختلفة ويتكلم من مقام الجمع ومن شهود المنبع الاصلى لكل شىء وهو « الله »
فينطق من معين غير معين الفريق الأول ، فينكر هذا الأخير عليه ، وما كان له
أن ينكر ، لو علم من أين يمتاح ومن أين يمتنى .

أى الفريقين يحب الكون كله إذن .

لا شك فى أن أهل « الجمع » الذين لا يغفلون عالم التفرقة هم الذين يحبون
الكون كله بما فيه من مظاهر متضادة أو متوافقة ؛ لأنهم يشهدون الله قبل كل

شيء ، وبعد كل شيء ، ولا يغفلون أمر الله سبحانه وتعالى ، أو أثر اسم من من أسمائه أو صفة من صفاته في أى مظهر من مظاهر الحياة ، حتى ولو كان غير ملائم لأهوائهم النفسية . حتر ولو كان متعا أو موتا . أو عذابا أو كان انتقاما .

لا يشمتزون بما يشمتز منه الناس . لأن هذا المظهر الذى يشمتز منه الناس ما هو إلا عمل اسم أو صفة إلهية مقدسة . فهم يتجاوزون المظهر الخارجى لهذا الشيء الذى يثير الإشتزاز إلى الحكمة الخفية فيه . وإلى عمل الإسم الإلهى . أى إلى الله تعالى . فيحبون كل شيء . يحبون المرض كما يحبون الصحة . يحبون الفقر كما يحبون الغنى . يحبون العدو كما يحبون الصديق . فالكل من الله . أما مخالفة تلك المظاهر لأهواء النفس فهو عين العلم عندهم . وما كان هذا العلم إلا بعد أن تجاوزوا المظاهر إلى الحقيقة . ذوقاً وشهوداً وتحقيقاً .

أما أهل الفرق . وهم الفريق الأول . فيحبون ما وافق أهواءهم ويبغضون ما عاكس أهواءهم ويسلكون سلوكا عدائيا نحو كل ما يبغضون . ويفرقون في الفرح بما يحبون . ومن هنا كان هذا الفريق مركبا للشيطان . مثيراً للفتن مؤولا ومغيراً للحقيقة في سبيل إشباع الهوى : متكبرا جباراً طاغيا في الأرض حديد القلب على من يخالفه معاكسا للأسماء الإلهية والصفات .

أهل الوحدة الصوفية إذن هم أصلح الناس للحياة التى يسودها الحب والسلام وهم وحدهم إعلان وضئ لدعوة الإسلام السمحة النقية الطاهرة ، الخالية من الغل والحقد والحسد ، ولذلك كان وجود الصوفية في جنوب أفريقيا ، وآسيا الوسطى كافيا لدخول الناس في دين الله أفوجا ، دون حرب ولا إراقة دم ، وكان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتسامحه مع أعدائه داعيا لهم إلى حب الإسلام والدخول فيه ، والتفانى في نشره والدعوة له ، وكان العدل الإسلامى وحده يفعل ما لا تفعله الجيوش في الاصقاع التى انتشر فيها الإسلام خارج الجزيرة العربية .

« ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ،

« فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، .

عشرات الآيات السكرية تحت على الغفران ، وهى دعوة إلى شهود كل شىء من الله حتى لا يتأثر المؤمن العريق بما يتأثر به هؤلاء الذين يضعون أنفسهم فى مواجهة الاسماء الإلهية ، يرضون عما يرضيهم منها ويسخطون عما يعاكس أهواءهم ، وتلك سمة من سمات المنافقين قررها القرآن الكريم :

« فإن أعطفوا منها رضىا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » .

وهى سمة تهدد الحضارات بالقناء :

« فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل نخط وأثل وشىء من سدر قليل » .

فوحدة الوجود الصوفية ، لا وحدة الوجود الفلسفية العقلية ، هى رسالة الحب والسلام من غير شك ، ودعوة الإنكار عليها دعوة التفرقة والبغض والتأخر من غير شك .

ولعله آن الأوان لينزل المنكرون عن هوى النفس ، ويشهدوا كل مظهر فى الحياة من منبعه الأصل . « الله » . فيعاملون الله وهم يعاملون الخلق ، ويحبون الله المتجلى فى الخلق ، ويشفقون على الخلق لأنهم جميعا وحدة لا تفرقة بين أجزائها : « خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . . . »

على أنا لا نخفل أن نقرر نقص من يعيش فى عالم الجمع على الوجه الذى شرحناه دون نظر إلى عالم التفرقة . فالذين يعيش على هذا الوجه وحده ربما أغفلوا حكمة التشريع . لأنهم يعيشون فى دوائر الربوبية وحدها . دون دائرة العبودية . وكال الوجود ونظامه يستلزم العبودية والربوبية معا . الربوبية من حيث شهود كل شىء من الله . فلا يجوز الإنسان ولا يسخط ولا يرفض ما يخالف هواه . والعبودية من حيث العمل بمقتضى الأمر والنهى . وحراسة حدود الشريعة .

ولذلك كان السكاملون من الصوفية يعودون بعد تلك الغيبة القصيرة التى يعيشون بها فى عالم الجمع إلى عالم التفرقة . فيقتضوا ما فاتهم من صلاة إن فاتهم شىء منها . وينضغون لأحكام العبودية اللازمة لتنام النظام فى السكون .

سيدي عبد الخالق الشبراوي

نموذج فريد لشيخ الطريق

لعل بعض القراء يتساءل — وهو يحجب روضة التعريف — عن الشيخ . وهل كان له وجود بعد عصر الصحابة والتابعين ؟ أو هو بعد هذا العصر شيء مفقود نسجه خيال أولئك الذين تعلقوا بذلك العصر ، وهاموا به ، حفاظا على سعادتهم التي يجدونها بين يدي أولئك الأعلام ؟

والحق الذي لامرأ فيه أن الشيخ بصفاته التي وردت في روضة التعريف حقيقة ماثلة في كل عصر ولكنه نموذج نادر بين العلماء والسالكين ، وليس بالكثرة التي تدعيها كل طائفة لمرشدها وشيخها . . وأستاذنا الراحل . سيدي عبد الخالق الشبراوي . هو الدليل المادي الذي لا يحتمل الجدل على صحة ما نقول

لم يكن شيخا من شيوخ التصوف الصادقين فحسب ، وإنما كان بحق صورة واضحة للعالم لفضل الإنسان الكامل في عصر التابعين . . شهد له بذلك جميع المنكرين على طريق التصوف وكبار العلماء المخايدين . ورجال العلم الحديث الذين يتصلون من كل ما هو غيبي وراء المحسوس . قبل أن يشهد له المحبون والمريدون والسالكون .

عمرى النسب من جهة أبيه حسيني من جهة أمه . جده لأبيه العارف الكبير : سيدي عمر جعفر الشبراوي . صاحب شرح ورد السحر . وتقدير الصدر . ومفتاح المريدين وغيرها من الكتب التي تدل على أصالته في الاستقامة على جادة الشريعة ، وعلى غوره البعيد في ذوق الحقائق والتحقيق بها . وشيخه في التصوف : العارف المحقق : سيدي منصور هيكال الشراوي . الذي انتقاء جده من بين مريديه لريادة الطريق من بعده . وقد شهد له العالم المعمر الشيخ محمد عبد الله الذي جاوز المائة والثلاثين من العمر . ولا يزال على قيد الحياة . بأن سمته وسلوكه في كبره هو بعينه سمته وسلوكه منذ كان طالبا صغيرا في الأزهر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر .

عمل أستاذنا مدرسا في الجامع الأزهر في بداية أمره ، ثم رافقته عناية الله فاختير شيخا لمسجد الفتح في عابدين . وكان العناية أرادت أن يكون عمله تماما لسلوكه . إذ كان يقضى بأن يصلي الاوقات الخمسة في جماعة . ولما قارب شيخه في الطريق نهاية العمر استخلفه في حياته من بعده . فلم يزال إرشاد المريدين في حياة أستاذه رعاية للأدب معه . . وكان أستاذا في طريق الخلوة والشاذلية . والنقشبندية علما وسلوكا وذوقا وتحقيقا .

كان — رضى الله عنه — شغوبا بالعلم إلى أبعد مدى . وكان تجار الكتب يعرفون منه تلك الهواية ، فكانوا يتوافدون على مسجد الفتح بعد الظهر يحملون ما جده لديهم من نواذر الكتب . وأمهات المراجع . وفرائد المخطوطات . وكان جماعا لتلك الكتب من مختلف فروع العلم . لا يرضن عليها بمال . شديد العناية بها . وأخيراً لا يدرجها في خزائن كتبه إلا بعد أن يستوعبها قراءة وفهماً وذوقاً .

سئل في يوم من الايام عن قراءاته في الأدب والتاريخ فوق قراءاته في علوم الشريعة والآلها ، وعلوم التصوف فقال : « لأعلم فيض الله تعالى على عباده » . وهو جواب يدل على مدى الأفق البعيد الذي يتمتع به . وعلى مدى الدقة والعمق في عوالم الفكر المختلفة المشارب والأذواق . فلم يكن جافا يقبع على لون . ويتعصب ضد لون من ألوان المعرفة . أليست المعارف فيضاً من الله على عباده . إما فيض هدى . وإما فيض إضلال : « يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً » . أليس فيض الإضلال في حاجة إلى دراسة وتعرف لمناهجه والتواءاته وسفسطته؟ وتلك دراسة لازمة لفقه النفس لا يستغنى عنها مرشد أخذ على كاهله تقويم انحراف الإنسان وإقامته على الجادة القوية . ولا تقل أهمية عن دراسة فيض الهدى . وتعرف وجوه النفاق فيه . والتي أتقنها كثير من الكتاب حتى إنها لتخفى على الكثيرين من الباحثين .

كان مسجد الفتح مدرسة جامعة تعيد إلى الأذهان تلك الصورة الوضئية للمساجد في الصدر الأول . كان مدرسة هادفة لا تنقيد بالروتين . ولا تخضع لمقومات السن والمؤهلات . يجتمع فيها أستاذ الجامعة . وعالم الأزهر ورجال

القانون والطب . والطلاب . والتجار والاعيان . وأرباب الحرف . في مجتمع مثالي من المساواة التابعة من وجدان الطلاب الذي انعكس عليهم من وجدان أستاذهم العارف بالله .

فمن وقت الضحى من كل يوم كان أستاذنا الشيراوى رضى الله عنه يستقبل طلابه ومريديه . ولم يكونوا جميعاً يتحلقون من حوله . ليتصدرهم هو للوعظ والإرشاد فلك سنة ما أسرع ما يملها المريدون . وما أشد ما يجانبها هو كل المجانبة . يملها المريدون لأنه سماع خطبتي لمواظب ما أكثر ما ينسى بعضها بعضاً . وما أسرع ما يتطرق إليها الجفاف وفقدان الفاعلية لوحدة موضوعاتها غالباً . واتسامها بسمه الأمر الذى تنفر عنه طبيعة الإنسان وصدوره . وكان بجانبها رضى الله عنه — لأنها لم تكن من سنة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا من مناهج أصحابه الناهجين على سنته في مساجدهم العريقة الأولى . ولأنها في الوقت نفسه مظنة التصدر والرياسة التي كان يبغضهما من كل أحاسيسه ووجداناته . ولأن المشارب مختلفة . والثقافات متباينة . والاستعداد بينهم درجات . ولذلك كنت ترى فريقاً يعمل في فحص الكتب الكثيرة التي يريد شراءها . وفريقاً يتدارسون فيما بينهم آداب السلوك والمعاملة مع الله . وأفراداً يسرون إلى حضرته مشكلاتهم الخاصة . ويستمعون لإرشاداته إزاءها . ثم ينصرفون لينفرد به السالكون واحداً واحداً وكل منهم يفضى إلى حضرته بخواطره ومواجيده في الذكر والسلوك . ليصحح له الخطأ ويرشده إلى جديد من أمور القربة إلى الله . أو يجد من جموحه ولا يدعه منبتاً لا يبقى ظهراً . ولا يقطع أرضاً .

فاذا ما انتهى من تلك الإرشادات الفردية جلس بين يديه جماعة يختارهم ، أو كيفما اتفق . وبالبصيرة الثاقبة . والفراصة الكاشفة يكتشف منهم أو من أحدهم ما يخفيه . فيلقى على المجموع موعظة قصيرة في قالب قصة من قصص التاريخ الصوفي يعرف منها المنحرف أنه أمام ضوء كاشف قوى .

وعلى هدى روح حضرة الأستاذ الصافية ، ونفسه الحانية تقتلع جذور الشر من تلك القلوب : وتثبت بحبه . إذ هو الناصح الحق الذى لا يفسح . ولا يشعر الإنسان بأنه يعرف عنه إلا الخير : ثم يؤمهم للصلاة ، ويكون مسجد الفتح قد

غص بالوافدين من مختلف الطبقات . ثم يودعهم واحدا واحدا ويمضى وحده . أو بصحبة إنسان واحد إلى بيته يشارك عامة الناس في وسائل مواصلاتهم في هية خارقة لما اعتاده الناس من مظاهر الهيبة . فعلى بساطة مركبه وتواضعه تخشع أمامه جوارح من يرونه وهم لا يعرفونه . فيفسحون له . ويودعونه في إجلال وإكبار : « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » .

كان لكل مستوى من المستويات عنده جواب شاف لما يعتمل في نفسه من مشاكل العلم أو دسائس النفس أو عقبات السلوك . دون أن يشعر أحد من التوعين الآخرين بأى حرج .

زل أحد المريدين زلة كبيرة اكتشفها أستاذنا بنور الكشف والفراسة . وفي هدوء ورحابة صدر تناول كتابا وتناوله لأحد الحاضرين طالبا أن يقرأ على الجمع موضوعا حدده له . وكان في سطور قليلة من الموضوع إرشاد لمن زل دون أن يفتن أحد إلى المخطيء إلا من وصل إلى مرتبة الكشف والصمت عن الزلات منهم .

وقد لا يعالج خطأ المخطيء من كتاب يقرأه أحد المديدين . بل من قصة قصيرة يقصها على الحاضرين جميعاً . ثم تصادف قلبا تتمكن منه . وتعيده إلى اتزانه . ولذلك لم يكن ينفر من مجلسه صالح ولا صالح . بل كان الكل مقبلا عليه . بحاله . متعشقا للقائه مهما كانت العقبات التي تحول بينه وبين أستاذه .

وكان له من شخصيته جاذب قوى لكل من يعرفه . هدوء وطيبة نقيّة يشعان من كل جوارحه . جمال محمدى مهيب . صوت رزين ينساب في طبيعته لا تعمل فيه ولا صناعة . نظافة كاملة وجمال هندام في عدم اصطناع ، تواضع جم يأخذك منه فلا تلبث أن تنقاد إليه بكل أحاسيسك .. وأخيراً . إشعاعات عجيبة تحيط به وتنتقل إلى كل المحيطين به فإذا المهموم مسرور والمرضى صحيح وخامل الهمة عامل جاد . فلكل إنسان في مجلسه مأرب . وهو من وراء ذلك يستغل كل ذلك في الدعوة إلى الله ، وهداية الخلق إلى صراط الحق . وترقية السالكين إلى عوالم المعرفة .

ولمى هنا قد يكون هناك من الشيوخ من يشبهه في عصره . ولكن هناك سمات

فقد انفرد بها من بين المتأخرين . فلم يلحقه فيها لاحق . وهى سر تفرده فى العصر
بالعلم الاعلى . والسيادة على جميع الصوفية المعروفين آنذاك .

الورع . . وهو مرتبة فوق الزهد . هو : أن تدع ما فيه شك من المباح مهما
كانت الحاجة إليه . وكان مسجد الفتح تابعا للقصر المكي (سابقا) ومع أن غيره
من رجال الدين كانوا يتقربون إلى القصر ولو على حساب ضارهم فقد كان
أستاذنا — قدس الله سره بعيدا كل البعد عن القصر ومن فيه رغم محاولة
الكثيرين من كبار موظفي القصر الاقتراب منه . وتقريبه إلى الملك نفسه . فلم
يستجب لتلك الاوهام رغم تاريخه الطويل في مسجد الفتح . . ودعاه مراد
محسن (باشا) في حفل قران ابنه فرفض رفضا شديدا . فتوسل إليه أن يشرف
الحفل بوجوده تبركا به ، ووافق على رغبته في ألا يتناول طعاما ولا شرابا ،
ولا يتخذ مجلسا ، ولا يتوقف لحظة عن المضي في طريقة لنحية أحد من الحضور
وقد كان ما أراده ومر مرورا عابرا وبرفته أحد مريديه . ولا شيء غير ذلك .

وكان الملك (قواد) قد ذهب ليلة القدر إلى مسجد الفتح في رمضان لصلاة
العشاء . وقبل الأذان أسر أحد كبار رجال الدين إلى أستاذنا أن يسرع في
الصلاة من أجل الملك . فلم يطق الدنية في دينه على هذا الوضع — وهو العامل
بالسنة — فغادر المسجد على الفور . وأم الناس أحد مريديه .

وكان من العادة أن يهدى الملك شالا من الكشمير لكل إمام يصلى خلفه
الجمعة . فلما كانت نوبة مسجد الفتح اعتذر شيخنا — رضى الله عنه — وأتاب أحد
طلابه . هربا من كل ما يحيط بالملك من مظاهر وطقوس تختلف تماما مع طبيعته
وتعارض الشريعة التي يقوم على حمايتها بين طلابه . . فكان بعيدا كل البعد عما
كان يتقرب إليه غيره ولو بذلوا في سبيل ذلك أغلى ما يملكون .

لم يكن مثل الكثير من شيوخ الطريق الذين يرتادون المآدب بلا تمييز بين
ما فيه شبهة ، ولا مالا شبهة فيه . بل إن فكرة ارتياد المآدب نفسها كانت غير
حميدة في رأيه . . ولم يكن في ذلك مجانباً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال
« ولو دعيت إلى كراع لاجبت » . فقد كان ذلك في عصر كل مطعمه حلال . .
وكان الحرام معدوما . أما في العصور المتأخرة فالشبهات هى الاصل . والحلال
الخالص أندر من الكبريت الاحمر كما يقولون .

ولم يكن — رضى الله عنه — يقبل من الهدية إلا ما يهدى بدلا منه إن كان المهدى قادراً . أما إذا كان رقيق الحال فإنه كان يعطيه ثمن ما أهدها على الفور ويزيد له فيه عونا له على الحياة في رفق بعد أن يشكر له مشاعره ويرشده إلى أن أبناءه أحق بما يهديه . . ولم يشذ عن منهجه هذا في مدى حياته كلها . جمعنا الله وإياه في دار تبقى فيها الصحبة .

كلف أحد طلابه أن يشتري له خليطا سماه له من أنواع (العطارة) كان يتناوله في الشتاء . فلما عاد به إليه طلب منه أن يعيد على مسمعه الأنواع التي يحتويها هذا الخليط فأعادها كما هي وزاد عليها حبة واحدة من (جوز الطيب) اقترحها العطار نفسه فأبى أن يتناول منها شيئا ، وأعاد الرجل ليشتري له ما طلب دون أن يزيد عليه شيئا .

ولما أراد الحج قضى خمسة عشر عاما يفتق من ماله الحلال الخالص الذي لا شبهة فيه . والذي ناولته إياه يد طاهرة ورعه . حتى طابت نفقته في الحج وأطمأن إليها بقلبه الظاهر الكبير .

الفور عن كل ما يميزه عن الناس . كانت تلك سمته واضحة في أخلاقه يعرفها منه كل من عرفه ولزمه . كان يرفض أن يتقدم الناس في الطريق . ويفضل السير بمفرده وإلى جواره أحد مريديه . وكان لا يقبل من إنسان أن ينسب إليه كرامة أو فضلا من بركته الغامرة . بل إنه كان يقاطع من يثرثر بكلماته حتى يعود إلى الصمت المطلق وكان مقياس الناس لديه هو الاستقامة ولا شيء غيرها من جاه أو مال مما يستهوى غيره فتلك أمور لا اعتبار لها عنده بأى حال .

البساطة . هي خلق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . ورثه شيخنا بكل ماله من مقومات . . كان بيته خلف مستشفى ررض الفرج للعيون بسيطا لا زخرفة فيه ولا تعقيد . وكان أثاث بيته بسيطا جميلا نظيفا طاهرا تصلح كل قطعة فيه للصلاة عليها . وكان هو في ملبسه نظيفا بسيطا . لا غلو ولا تعقيد ولا تعمل . . بل إنه كان يكره التعقيد في الحياة . والسكف في المظهر : « وما أنا من المتسكفين » .

الرضا . . فلم ير ولم يسمع ساخطا على أى شيء . بل عاش راضيا عن ربه ، لأن ربه رضى عنه . حتى الأمور التي تزل فيها أقدام العلماء كان ثابت القدم فيها

فكل ما يرضيه الله له فهو يتقلب فيه عالماً سعيداً برضا الله .. وقليل هم الراضون ظاهراً وباطناً .

العمل .. كان يعمل من أجل حياته وحياة أبنائه . ولم يكن يرضى عن المتعطل المنقطع للعبادة . وكثيراً ما كان يردد : إن العمل من أجل العيش هو في ذاته عبادة ، فلا معنى للانقطاع عن العمل من أجل نافلة أخرى . لأن هذا من إبليس إبليس على السالكين .

كان أستاذنا رضى الله عنه صاحب ملكة في الكشف لا تعد لها ملكات المتصدين للإرشاد في عصره على الإطلاق . ولم يكن أحد يظن إلى فراسته هذه إلا من رقى إلى مرتبة الكشف من المريدين . أما هو فلم يكن يعان — كما قدمنا — عن كشفه ، ولا يفصح إنساناً وإنما كان يشير لإشارات خفية يفهمها من هو في حاجة إلى إرشاد . ثم لا يلبث أن يتحدث بها لإخوانه . ومن هنا عرف العامة مدنى صدق فراسته وكشفه . وكان المريدون يعرفون . كشفه من بعض الأحداث التي لا تتصل بالتربية . فقد أرسل يوماً إلى صاحب مكتبة « الخانجي » يطلب منه كتاباً فرد بأن الكتاب لا يوجد عنده . فأعاد أستاذنا الرسول ليقول لصاحب المكتبة : إن الكتاب في الصف الأعلى على يمين الداخل إلى المكتبة . وبالمعل وجد الرجل الكتاب . وعجب أشد العجب ، وكان يردد : إن الشيخ الشبراوى يعلم عن مكتبتى ما لا أعلمه .

وكان « محمد حجاج » صاحب المكتبة الأدبية قد أرسل إليه كتاباً في المنزل لفحصها ثم أرسل ثمنها بعد فحصها . وعلى غير العادة ذهب الشيخ رضى الله عنه إليه وسلمه الثمن سريعاً وأشار إليه إشارة عابرة يقول : إنك لو حضرت في موعدك فلن تجدنى . وكان الشيخ رضى الله عنه قد انتقل إلى جوار ربه فعلاً بعد ذلك بيومين .

وكانت آخر خطبة جمعة في حياته ألقاها على المصلين موضوعها الاستعداد للوت . وكان لونه أخروياً لا دنيوياً ، وكذلك جميع حركاته وسكناته . وودع تلاميذه واحداً واحداً ، والالمعى كان يعرف أنه لن يرى شيخه بعد اليوم . ثم قضى ليلته كلها في مكتبة الكبيرة حيث توفي رضى الله عنه في ضحى اليوم التالى .

ويستدعى الكلام على ظاهرة الكشف بحث كراماته رضى الله عنه .

والحديث عن الكرامات يستتبع كلمة قصيرة عن الكرامة .

صلة الكرامة بالكشف وثيقة عند المحققين الكبار من رجال التصوف .
أو من الرجال السالكين على قدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فالكرامة
الصادقة هي التي تنبئ على كشف صادق . ومن صح كشفه صحت كرامته . ومن
حدس وخمن واستعمل الفراسة الفلسفية الشخصية فإن كرامته تتردد بين مصادقة
الحق أو مجانبته وهو نوع لا يدخل في اعتبار الصوفية . بل إنما يدخل في باب
التكهنات التي تقوم على مقارنة أحداث واستنباط نتائج .

والكشف الصادق لا يمكن أن يتحقق إلا لإنسان كذس باطنه من حب الدنيا
ومظاهرها ، وإن كان يعيش فيها . أخرج الدنيا من قلبه ووضعها في يده .
واستخدم الدنيا ولم تستخدمه . وقادها ولم تقده . ووجه طاقة الحب التابعة من
قلبه وروحه وسره إلى الله ، وخرق عوائد نفسه وعوائد العرف التي تجب عن
توجيه هذا الحب المطلق إلى الله ، وعاش معلق القلب والروح بالله ، والجسد
مع الخلق قائما على حراسة شريعة الله في نفسه وفي غيره بالحكمة والموعظة الحسنة
لا يفتر لحظة عن التعلق بربه ، وشهوده في كل مظهر من مظاهر الحياة ، متعلقا
بالنبي صلى الله عليه وسلم ، مستمدا من روحه العون على الشهود والتحقيق .

وهذا النوع من الرجال — وهم قليل — تصبح روحه مرآة نقية ينطبع فيها
ما في العالم الأعلى من كل ما يجري فيه وفي عالم الحياة الدنيا . . يصبح جهاز
استقبال جيد يفقه كل شيء عن الله . حتى العلم لا يأخذه من الأوراق .
ولنما يستمد منه لدن الله العلى القدير .

وإذا صدق الكشف على هذه الصورة فإنه يصمت صمتا تاما عن القدر المبرم
الذي تفذ حسب الإرادة الإلهية . فلا يحاول أن يرفعه بدعاء ولا يوعده للمريد
يرفعه . . وكذلك كان أستاذنا رضوان الله تعالى عليه إذا طلب منه أحد المريدين
أن يدعو له في أمر يهمه . كان يصمت أحيانا ولا يجيب . فإذا ألح المريد قص
قصة قصيرة يستطيع أن يفهم منها أن أمره هذا لا أمل في قضائه . ثم يثبت بالقول
الثابت عند ربه لئلا يجرع أو يجمع .

حدث أن ذهبت إليه في مسجد الفتح قبل امتحاني بيوم أطلب دعاءه فصمت وألححت فقال لي : اسمع ، لقد كان طالب فيما مضى من الزمن خائفاً منك ، فلما أصبح الصباح يوم الامتحان ذهب إلى مسجد سيدنا الحسين يسأل الله العون فأخذته سنة من النوم أفاق بعدها فوجد أن الزمن قد فات . ولم يستطع دخول الامتحان . وفهمت . ولكنني ذهبت في الصباح فوجدتني محروما من امتحان الدور الأول في الكلية

وكان هناك مسيحي قد اعتنق الإسلام . ولجأ إلى مسجد الفتح . ولم يقابله أستاذنا بما يقابل به مثله بل كان عاديا معه ، مما أثار بعض التساؤلات ، ولما استفسر أحد المريدين عن سر هذا الفتور أشار حضرة إشارة بيده يفهم منها أنه غير صادق ، ومضى الزمن فإذا بالرجل كان قد ضاقت به الحياة فأراد أن يستغل سراً القوم من مريدى العارف الكبير . ولما طوبى بإقامة الشعائر كما ينبغي عاد إلى المسيحية ثانياً .

وذهب إليه زميل يطلب الدعاء قبل امتحانه فصمت ، وبعد إلحاح قال له : يجب أن يبحث الإنسان عن مصدر لحياته من المصادر السريعة ، وأخيراً فصل الطالب في نفس الأسبوع ، وعمل في عمل آخر سريع يعيش منه . وأمثال تلك الأحداث كثير يشق إحصاؤه ، وقد توارى عنه في أوساط العلماء أنفسهم .

وأما موقف صاحب الكشف الصادق إذا وجد أن القضاء معلق ، ولم يبرم فإنه يدعو ويبتهل ، ويرشد إلى أنواع من القربات ترفع القضاء كما كشفت روحه الصافية . ومع ذلك فإنه يستعمل الأسباب الظاهرة ممثلة في أى شيء . أصيبت زوجة المرحوم عبد القوى (باشا) احمد بنزيف حار فيه الاطباء لدرجة أنهم أعطوها أمصالاً مما يستعمل في إيقاف نزيف جروح الحرب فلم تجد شيئاً . وقرر الاطباء أنها ستفقد الحياة حتماً . ولجأ الزوج إلى أستاذه ، فتناول ورقة صغيرة ووضعها على على فمه ، وذكر عليها اسم « الله » مرة واحدة من كل قلبه . وأمره بإعطائها الورقة لمسك بها في يدها قليلاً . ودعاها . فإذا بالنزيف يتوقف في الحال عقب تنفيذ الأمر . أما كبار الاطباء فعجزوا عن تعليل تلك الظاهرة ، والنسلك بعضهم في دائرة أستاذنا كمردين . وكان بعضهم يقول : إنى لأجد المرض في جسدى وأعجز عن إيقاف حدته فأحضر إلى مجلس أستاذى فيذهب ما أعانى من المرض على الفور .

هكذا كان أستاذنا رضى الله عنه يدعو أولاً يدعو . فإدعاه فهو بحجاب الدعوة وإن صمت فإنما كان الصمت أدباً مع ربه الذى أبرم ما أراد .

وأم الكرامات على الإطلاق أن يلقاه الفاسق المرتكب للكبائر . فإذا دخل في هالته الإشعاعية التي لا يمكن التعبير عنها انقلب إلى تائب على الفور . ثم إلى سالك محب غيور على حدود ربه أن تفتك ،

كان هناك تاجر يعمل قريباً من بيته ، وكان دائم السكر والشجار والاذى للناس ويروى عن نفسه أنه كان يحمل زجاجة من الخمر وبعض الحاجيات وهو في طريقه إلى مجلس سكر . فرأى شيخنا رضى الله عنه يتخذ طريقه إلى الترام ليذهب إلى مسجد الفتح . وكان يراه دائماً فلا يعأ به . ويقول : إنه في هذه المرة أحس رغبة شديدة في السلام عليه . ولكنه خجل مما يحمله معه . ومع ذلك فقد حمل ما معه بشياله . وذهب للسلام عليه بيمينه . فتلقا شيخنا رضى الله عنه بعطف بالغ وخو أبوى شديد مرحباً به ، وقبل رأسه ونظر إليه ملياً . ثم استأذن في الانصراف . . ويقول الرجل : إنه ذهب إلى دكانه وحطم زجاجة الخمر وأتلف توابعها ثم ذهب إلى نهر النيل وكان قريباً من دكانه فاغتسل ، وبدأ يصلى في مصلى أقيم على النيل وتجمع عارفوه حوله يسخرون منه . ولكنه لم يعأ بهم . وتاب وحسنت توبته إلى الآن . وله نظائر كثير من أعضاء الطريق الشبراوى .

فالإنسان الذى يكنى لقاءه والحديث معه للعودة إلى الله . والتوبة من الذنب هو لإنسان كامل أكرمه الله بأعظم كرامه تظهر على يديه . وهو من التماذج المفردة التي لا يجود بها الزم إلا على آماد متباعدة .

ومن عجيب أمر الكاملين من الأولياء ما يحدث منهم بعد انتقاهم للرفيق الأعلى .

فقد ولد لى ولد مشوه . وآذاني عذابه في الرضاع حتى كدت أجزع . وكان أستاذى قد انتقل إلى جوار ربه ، فذهبت إلى مسجده . وصليت ما شاء الله ، ثم توسلت أن يوفقنى الله لعلاج إن كان في علاجه أمل . أو يريحه من آلام الحياة إن عصى العلاج . وفى نفس الليلة رأيته في المنام يقول لى : إن ولدك سيموت يوم النصف من شعبان، وكان اليوم هو السابع من نفس الشهر . وأشهدت

من حولى على رؤى حتى . يحين النصف من شعبان . وما حان حتى مات الولد كما قال لى مناما .

لم يخلف أستاذنا كتباً ألفها كما يفعل العلماء . وهو الذى كان يستطيع أن يملأ الدنيا علماً مكتوباً . إذ أنه فرأ مكتبته التى حوت جميع المراجع الكبرى والمتوسطة والصغيرة من كتب اللغة والفقه والتفسير والتوحيد والحديث والتاريخ والمخطوط والآداب والتصوف وغيرها من فروع المعرفة . كما حوت عددا ضخما من المخطوطات ، النادرة التى لم تطبع . والكتب التى طبعت فى الخارج ولم تطبع فى مصر وهو الذى كان يشغل وقته كله فى الصلاة وهداية الخلق وترقيتهم وليس فى وقته فراغ لغير ذلك . فلماذا ؟

هناك أسباب كثيرة جدا تبرر ألا يكتب كبار المحققين من الصوفية كتباً فى العصر الحديث . فالكتب : إما كتب سلوك وهى وفيرة لا تحتاج إلى مزيد ، على أن تلقى الآداب السلوكية تلقينا وتدريباً عملياً أفضل من حشد الكتب التى قد تفقد قيمتها الفعلية . وتصبح ميداناً للجدل الذى حذرنا منه الإسلام أشد التحذير . وإما كتب منازلات وأذواق تحفز الهمة ، وتشف الذوق . وتلك كذلك تحفل بها المكتبات وخزائن المخطوطات . فلا داعى للمزيد منها .

ولما كتب تحقيق . وهى التى تتحدث عن حقيقة الكون . ومكان الإنسان منه . وعن صدور الكائنات عن منبعها الأول . وعن أسرار الكون . وهذا باب لا يحتمله العصر الحديث الذى أصيب بمرض الجدل ، ولم يحفل بدراسة الحق للحق .

العصر إذن لا يحتمل المزيد من فكر جديد ، فقد تكدست الأفسكار ، ولم يستوعبها العلماء ، ومن خاص فى تحصيل هذا الباب من العلم فإنما يخوضه الآن غالباً ليقم حول موضوعاته جلبة فارغة ، وقل من يحصلها للعمل بها والتحقق بحقائقها . فضلاً عن أن التصوف بمفهومه الفنى لا يرى فى القراءة والتحصيل كل شئ . بل لأنه تأنيس فحسب ، يلتقى الضوء على الطريق فينبى ما غمض من دروبه المتعددة . وفى القديم المسكندس فى خزائن المخطوطات وفى المطبوع الوفير غنية .

على أن شيخنا رضى الله عنه لم يهمل هذا الباب . وإنما خاض فيه بعقلية فيلسوف الإسلام الحق ، الذى يستمد بساطة فلسفته وفعاليتها الحاسمة من بساطة

العقيدة ، وبساطة القرآن . وبساطة السنة . تلك البساطة الممتعة الفعالة إلى أبعد الحدود .

ما الذى يحتاج إليه المسلم الحق ؟

يحتاج المسلم الحق إلى وضوح طريقه ، وإلى الاقتناع بألوان العبادات التى تخرجه عن نطاق المسلم الشكلى الذى يكتفى بالفرائض على أى وجه كان ، وبيعض السنن يؤديها على صورة مقبولة أو غير مقبولة ، وصحة تلك العبادات تسلكه فى نطاق العامل لله وفى الله ، لا يغفل البسيط كإلا يغفل الخطير .
والمسلم يحتاج فوق ذلك إلى إثارة وجدانه نحو دينه ليعانقه فى حب وشغف ، لا كما يفعل الكثيرون الذى يعبدون الله عادة لا وجدانا . ويحتاج كذلك إلى توثيق الروابط بإخوانه من المؤمنين ، حتى يكون عضوا نافعا فى المجتمع الذى يريده الله ، لا فى المجتمع الذى يخضع لأهواء نفسه . إذن عناصر العمل هى . . . الوجدان الدافع إلى العمل . . . الرابطة مع المؤمنين بدافع من الوجدان . تلك هى الأسس التى يكتمل بها إيمان المؤمن . . . فيصبح صوفيا كاملا . لا مسلما شكليا . وقد أسهم أستاذنا فى هذا السبيل إسهاما جادا نافعا لا يحفل بالسكم بقدر ما يحفل بالكيف ، ولا يحفل بالعلم إلا قبل أن يحفل بالعمل . فليس الخير إلا أن تعلم ما تعمل به . ولا خير يرجى من غير هذا الطريق .

عمل على نشر كتاب جده أستاذ العارفين سيدى عمر الشبراوى : « مفتاح المريد » .

ومفتاح المريد على بساطته طاقة هائلة من طاقات الروح والعقل تدل على مدى عمق البساطة فى فلسفة الإسلام . . . فهو يقنعك إقناعا تاما بأداء الفرائض والسنن لدرجة تبعث همة القلب الصلب الجامد إلى آفاق الوجدان الصافى السليم . وترفع همة المريد إلى قيام الليل وإلى الأذكار المقررة شرعا بعد الصلاة ، والأدعية المأثورة فى أوقات الليل والنهار . ولا يستغرق وقت الإنسان فيعوقه عن أعماله التى تتصل بعيشة وعيش من حوله .

معلومات هى أسس بناء الإيمان فى قلب الإنسان . تصحبها الطاقة الدافعة إلى العمل . وكفى . ثم نشر كتابا عجيبا لسيدى مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديق هو : « تسلية الأحزان . وتصلية الأشجان » ، وموضوع الكتاب واضح من

عنوانه . . إثارة لأحاسيس مختلفة لا يمكن أن يستغنى عنها مسلم . . الحب الإلهي حب النبي صلى الله عليه وسلم . . حب الصالحين . . وما شابه ذلك من الموضوعات التي تناولها الكتاب لا من حيث سرد الأوامر . بل من حيث إشعال الأشجان نحوها . وربط المسلم بها . وقل من يبدأ في قراءة الكتاب ثم يدعه حتى ينتهي منه . فهو فن وأدب وعلم وذوق ووجدان في آن واحد .

ونشر كذلك كتاب « الصحة لسيدى مصطفى البكرى » . وهو العنصر الثالث من العناصر التي أوضحناها وقررنا لزومها للمسلم الكامل . وهو تقرير لحقوق الصحة وتبعاتها للتبادلة بين المسلمين عامة وفي مجتمع الصوفية خاصة .

بقي سؤال أخير ؟

هل نشر أستاذنا هذه الكتب كما نفعل الآن ؟ : بمعنى أنه أعلن عن نفسه كعالم يسهم في نشر التراث ؟ إنك لو اطلعت على هذه الكتب فلن تجد على وجوها ما يشير إلى حضرته من قريب ولا من بعيد . اللهم الا في نهايتها اذ أشار إشار عابرة الى أنه قام بتصحيحها في عبارة قصيرة متواضعة . وهو ما لا يقبله أى محقق حديث بأى حال من الأحوال .

والغريب أنه كان يوزع هذه الكتب بلا ثمن على مريديه ومحبيه من غير مريديه في الطريق . ولذلك كان عمله لله حقاً ، لم يرد من ورائه جزاء ولا شكوراً إلا وجه الله حسب . حتى الشهرة . لم ينلها ولم يقبلها من وراء عمله المجيد هذا . وأشار على أحد مريديه بطبع كتاب « السيوف الحداد » ، لسيدى مصطفى البكرى وهو كتاب لازم لحماية المسلم من أقاويل الزنادقة والملحدين عن الإسلام .

ووجه آخر من أعماله العلنية . ذلك أن التصوف يقرر أن تلاميذ الصوفى هم كتبه وليست البراعة من الصوفى مقصورة على أن يكثر العاملون لله في دائرته فقط . بل إن البراعة أن تملك بالقصة المرضوضة فتجمل منها سيفاً باتراً .

كان المرحوم محمود (بك) سامى رجلاً مثقفاً على الثقافة . ولكن ثقافته الإسلامية كانت لاشئ . حتى أنه كان يحفظ بنسخة من القرآن مترجمة إلى الإنجليزية . أما النسخة العربية فلم يكن يقرأ فيها شيئاً . أى إن ثقافته كانت أجنبية بحتة .

وشاء الله أن يفسلك محمود (بك) في دائرة أستاذنا كريد . وبدأ معه الدرس والتعلم من أبجدية الإسلام التي لا يعرف الرجل عن تقاسيها شيئاً . وعلمه كيف يقرأ كتب الشريعة .

فعلم وعمل . وتقانى في العمل . وأخلص فيه . وتواضع وجالس الفقراء من المريدين قبل الأغنياء وسار على قدميه وترك سيارته . ثم دربه على قراءة كتب الشرائع الحمديّة ، وعلمه كيف يختصر مطولاتها في كتاب ينتفع به أكبر عدد من الناس ، وأخيراً ألف الرجل التريب عن هذا الباب كتاباً في الشرائع ونشرته مكتبة الحلبي . وكتاباً آخر في السلوك . نشرته المكتبة كذلك . وأصبح لأستاذنا كتاب لا يقرى على تأليفه عالم من العلماء ولا فيلسوف من الفلاسفة . وهو أحد مريدين كثيرين من هذا الباب .

عرفت أستاذي وأنا طالب منهوم بالقراءة حقاً . ولم أكن أقرأ عن الإسلام إلا لأعترض على كثير من طقوسه ، ولا عن الصوفية إلا لأسفه بلسان حديد كل مشاربهم . وكنت مولعاً بالفلسفة والفرق الإسلامية الضالة . وبدراسة الجماعات السرية كالماسونية والبهائية وشهود يهوه وأشباها . وبدراسة الأدب بدوق الأديب الحر الذي لا يقيد الأدب بقانون الأخلاق . أى أنني كنت مسلماً إسمياً لا يحفل بالعمل .

وذهبت إلى مجلس أستاذي بعد أن بلغت عظمته في الولاية الكبرى . . ذهبت لناقشه وأثبت زيف التصوف من أساسه ، وأقرر ضلال الكشف والكرامة وما إلى ذلك .

وأعددت الأسئلة . وافترضت الإجابة . وبنيت عليها تعقيبات . وجمعت عدداً من آراء الفلاسفة الملاحدين القدامى والمحدثين . أى أنني أعددت نفسي لمعركة عليّة لم أشك وقتها في أنني كاسبها .

ووقع بصري على رجل مهيب . تراء العين فتها به . ويعتقد القلب أنه سيف فاطم . ملامح هادئة في قوة ولكنها خفية تنبع من أغوار بعيدة . وجه مضى يتلألأ نوراً يتعشقه البصر والقلب والروح . إشعاع هادئ جارف ينساب من كيانه كله إلى القلب لا إلى العين وحدها . قوام محدد لا إفراط فيه ولا تفريط . صمت أبلغ من كل مقال .

وتقدمت إليه في هدوء . وقبلت يده فقبل رأسي وحياتي بصوت هادئ .
يختلف تماما عما كان يوحى به مظهره المهيّب .

وقد كنت عظمى لأبدأ مناقشتي فلم أجد شيئا . وقد كنت مرة أخرى لأبحث عن
ملاقة الكراهية للصوفية فلم أجدها . ولم أجد شيئا إلا الرغبة الجامحة في أن يطول
مقامي في مجلسه . ولإطالة مقامي هذا أبدت رغبة في سلوك الطريق على يديه ..
فأبدى رغبة في أن أقابله بعد ثلاثة أيام بمسجد الفتح . وقطع على رغبتي في طول
المقام بين يديه داعيا لي بالتوفيق في أدب وتواضع مهيب رهيب لم أعده في أي
عالم شرعى من قبل .

وكان بمسلكه هذا مرييا حقا . أحس ما في نفسي ، فأراد أن يشعله ويمده
بطاقة أكبر .. ولذلك قضيت الأيام الثلاثة متحرقا إلى لقاءه .. فكنت أذهب
لأراه من بعيد ثم أعود دون أن أكلمه حفاظا على تنفيذ رغبته .

ولكن سؤالا كان يحول في صدري : أين المكاشفة بأسراري .. هو رجل
وضئ حقا . وأدبه الرفيع يدفع الإنسان في سرعة نحو عصر السلف والصحابة
له هالة من الإشعاع توحى بأنه من غير طينة علماء الشريعة المثرثرين . ولكن
أين المكاشفة ؟

وأخيرا ذهبت إلى مسجد الفتح في اليوم المحدد . فسلم على وكان لم يعرفني
من قبل . وأنهارت كل آمالي فجأة ، وبدت سمات اللفة على كل حركاتي . وهو
يسبر غوري في صمت كامل . . . وذكرته حضرته بالموعد مرارا . . . وأخيرا .
لقتني الطريق . وكاشفت بأسرار لا يعلمها إلا الله . وفي إشارات لا في نصريجات
وأصبحت بعد هذه الجلسة نائما عن كل ما كنت أعيش فيه من أجواء الثقافة
قاصرا همتي كلها على دراسة التصوف ورجاله إلى الآن .

قد يستطيع أحد المربين من غير الصوفية أن يحول اتجاه الطالب في دراسته ،
ولكن في سنين طويلة . . . أما بمجرد النظر . . . وفي لحظات . . . فهذا مالا يستطيعه
إلا خول العلماء الصوفية . . . الأولياء الكبار الذين يدعون إلى الله على هدى
البصيرة لا على منطق العقل . وصدق القانون الصوفي القائل :

« تصل بالشيخ في لحظة إلى مالا تصل إليه في سنين » .

ألسـت كتابا من كتب حضرة أستاذى رضى الله عنه ؟ . كتابا قل من يستطيع أن يكتبه إلا صوفى محقق من أهل النور والحضور ؟

كتب من المريدين لا تعد ولا تحصى تركها أستاذنا الكبير رضى الله عنه . حتى التف حوله سراة الناس وعلماؤهم وكبار مثقفيهم وطلاب العلم من كل لون . بصورة تسرع بالعجب والزهو إلى أى قلب غير قلب أستاذنا الذى كان يـموج بمثل عليا فوق الزهو والعجب . .

التف حوله شيوخه فى الأزهر ، وزملاؤه فى طلب العلم وجلسوا منه مجلس المريـد من شيوخه . . ولم يشعر فى أى وقت بعجب . ولم يتحدث إلا بأنهم شيوخه . ولم تـل من قلبه مظاهر الإجلال التى كان المريـدون يحيطونه بها . بل كان يهرب منها جهد طاقته . ويعضب من أجلها فى دخلية نفسه . وإن كان لا يعلن عن هذا الغضب ، إذ أن الإعلان عنه إعلان عن النفس من طريق خفى .

كان سلوكه مع الناس واحداً لا يتغير . . فالكل سادته كما كان يدعوهم فى أدب جم . وصوت خفيض نفاذ ينبع من طبيعة صافية . :

كان شيخنا يلتف حوله المريـدون بعد إلحاح أستاذه . . ومع ذلك كان يحفظ له فى الطريق حقه كـريد .

حدثنى فضيلة الأستاذ عبد السلام الشبراوى ابن أستاذنا أن مولانا العارف بالله سيدى منصور هيكـل الشرقاوى شيخ أستاذنا فى الطريق . نزل ضيفا عليه فى القاهرة وهو متقدم فى السن قد جاوز الثمانين . وعاد شيخنا من مسجد الفتح فوجد شيخه فى فترة من فترات الراحة التى يقتضيها السن : فوقف على باب الحجر . ولم يدخل واستمر على ذلك زمنا حتى استيقظ الشيخ الكبير . فدخل عليه بكل أدب ، وأدى له حق الشيخ على المريـد . وعجب محدثى الذى كان صغير السن . فسأل والده عن هذا المظهر الذى رآه . فقال له : « يا ولدى هذا شيخى . . » . فهل حدث ذلك من أستاذ جامعى إزاء أستاذه القديم ؟ قد يحدث . ولكن لا بهذه الصورة الوضيئة الصافية التى تعيد إلى القلوب أمجاد العلم والعلماء فى عصر التابعين .

وهناك ناحية هامة لا سند لها يقنع العقليين ، وإن كانت النظريات النفسية الحديثة تدعـمها تلك هى المخاطبات على البعد ، واتخاذ التلاميـذ وتربيتهم على البعد .

وسندنا في الرواية التي نرويها هو أن راويها ثقة كامل الوعي والعقل ، علامة في المنقول والمعقول من الشريعة ، أستاذ في علوم القرآن ذلك هو العلامة المرحوم الشيخ أحمد يس الخيارى شيخ العلماء في المدينة المنورة ، والذي كان رائدا للطريقة الدندراوية هناك ، وله إذن بالمشيخة في الطريقة النقشبندية . وكانت لي معه جلسات في مكتبته النادرة ، وحول موضوعات التصوف الغامضة ، وعرف صلتى بسيدي عبد الخالق الشبراوى ولم يكن قد رآه ، قال لي في عام ١٩٦٠ من الميلاد:

في موسم الحج منذ عشرين عاما جاني أحد المصريين ، ولم أكن أعرفه ، وسلمني كتابا هو « تسلية الأحران ، وتصلية الأشجان » لسيدى مصطفى البكرى الصديق ، وفي داخله ورقة مكتوبة بخط أستاذنا رضى الله عنه يأمرني فيها بقراءة ورد السحر ، والحزب الكبير للشيخ أبي الحسن الشاذلى

وفهمت الإشارة من الكتاب ، وبدأت على الفور قراءة ما أمرني به ، وكنت في تلك الايام معرضا للمحاكمة بتهمة ترويع مذهب الصوفية ، ولم يعين المفتي الأكبر قاضيا يتولى هذه المحاكمة ، وكان الجو كله ملتهبا ضدى ، وقبل أن يعود الاشيخ المصرى من الحج رأيت الشيخ عبد الخالق الشبراوى يسلك يدي أحد القضاة ، ويجلسه في صدر المحكمة ، ويجلسني أمامه ، وكان هذا القاضى الذى أعرفه تماما مريدا لي في طريق التصوف سرا . وفي اليوم التالى عين هذا القاضى بعينه لنظر التهمة الموجهة لى ، وبالطبع كانت النتيجة معروفة مقدما .

ولما أراد الاشيخ المصرى السفر أعطيته مسيحة من حجر (البزهر) ، ونسخة من الشفاء للقاضى عياض مخطوطة بخط هو آية في الجمال ، ومجدولة بالذهب . وفي العام التالى عاد المصرى بملغى سلام الشيخ ، ويقول : إن حضرته قال لي أول ما رأيته : أين الكتاب الذى أعطاك إياه أحمد ؟ ومنذ هذا التاريخ ، وأنا أتلقى من الشيخ إرشادات الطريق للقاء في اليقظة ، أو في رؤيا منامية ، ولقنت المريدين طريق الخلوتية بأمره مناما .

هذا حادث لا يشك في صحته في مجال الدراسات الصوفية ، إذ أنه يعتبر من الاحداث الصغيرة عند الكبار منهم ، وإن شك فيه العقليون فإن العقل وحده (م — ٤ ملاحق روضة التعريف)

كما قررنا في مقال سابق يعجز عن فهم النفس البشرية ذاتها ، ولا زال إلى الآن يتخبط فيما انتهى الصوفية من اليقين به منذ قرون .

وروى لى شيخ الاغوات ، خدام المقصورة النبوية الشريفة ، وكان رجلا قد أضناه حب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إنه التقى بسيدى عبد الخالق الشبراوى أثناء زيارته للنبي صلى الله عليه وسلم فى موسم الحج . وكان مستغرقا طول الوقت ، لا يفيق من استغراقه إلا قليلا ، وكان كلامه نادرا بقدر الحاجة القصوى ، وقد حاولت فى ثلاثة أيام أن أظفر منه بدعوة صالحة ، فداءلى . وكان بعض السراة فى المدينة المنورة يريدون أن يلقنهم الطريق فأبى حفظا لمقام النبوة المقدس ، وكان يرفض أن يركب سيارة بالمدينة ، مع أن الكثيرين كانوا قد جعلوا سياراتهم رهن الإشارة .

كان الله تعالى يغار على قلبه ، فيجيب مطلبه الذى كان فى الواقع حراسة الشريعة . كانت هناك سيدة تقية فاضلة ، قريبة له ، قد تزوجت رجلا سكيراً ماجناً ، لا يعرف الله ولا دينه حرمة ، فكان يريد منها أن تعاقب الخمر . وتفتقر فى رمضان ، وتترك الصلاة ، وتسلك طريق التبرج بالهيئة ، ولكنها كانت تأنى ، وكانت تهجر منزل الزوجية فرارا بدينها ، وفى ليلة من الليالى هدها بإطلاق الرصاص عليها لتشرب الخمر ، فصانعت ولم تشرب حتى ابتلع الصباح وهجرت المنزل ، وعرضت الامر على أستاذنا رضى الله عنه ، فأمرها بالمقام حيث هى حتى يتبين الامر ، ولما عرف صدق قولها ، وإصراره على مسلسلته لإزاءها طلب منه أن يطلقها فأبى ، ورفع عليها دعوى بوجوب دخولها فى طاعته ، وكان غنيا يستطيع لعداد ما تطلب فى منزل الطاعة ، وأجل القاضى الدعوى مرارا برجاء أستاذنا ، وأخيرا قال القاضى : إنه لا يستطيع بحكم القانون إلا أن يفصل فى الدعوى فى الجلسة القادمة وبحكم بدخولها فى الطاعة ، لأن الإجراءات القانونية قد تمت تماما .

وقبل الجلسة بثلاثة أيام جاءته السيدة مكتئبة غاية الاكتئاب ، فاستغرق طويلا ثم أفاق وهو يقول بكيانته كل : د الله هو الفعال ، ثلاث مرات ، وفى صباح اليوم التالى نعى لآلهم الزوج الذى مات فجأة .. كان كتابا بليغا فى جميع أحوال التصوف ، تنظر إليه وهو مستغرق ، فتحدث عن الاستغراق الصوفى

وكانك أستاذ قديم فيه ، وتسترق النظرات إلى وجهه . فتحدث عن أنوار الصوفية وكانك من أرباب المنازلات .

قال لي يوما وأنا في أول إرادتي له: هل تدرسون الفلسفة ؟ قلت : نعم يا سيدى . قال : وما نوعها ؟ قلت : الفلسفة القديمة وبعض الإسلامية . قال : والأفلاطونية الحديثة ؟ قلت : نعم . قال : لا داعى لمذاكرتها .

وعجبت أول الأمر . ثم تذكرت الطاعة لمجرد الأمر . فنحيت محاضرات الفلسفة جانبا . واعتمدت على قراءات سابقة من باب الاحتياط .

وكنت أذهب بعد ذلك إلى مسجد الفتح في الساعة الحادية عشرة صباحا . فأجد سيدى عبد الخالق مستغرقا في جلسته . والمريدون ينتظرون بعيدا . ولا يقربون منه وهو على هذا الخان يتحدثون في شئون الطريق . أو في مصالح الحياة . وكنت أتأمل به بعمق شديد . وأحس على وجهه تلونات هي في حاجة إلى درس آخر . واستمر الحال هكذا زما استطعت فيه أن أتلفظ من بعيد كل مظاهر الاستغراق ودلالاتها بعقلية الطالب الجامعى المولع بالدرس .

وكان امتحان الفلسفة . وجاء سؤالان . والإجابة على واحد منهما فحسب . وكان أحدهما يتطلب كتابه مقال ضاف عن نظرية الاستغراق القديمة ومقارنتها باستغراق الصوفى . فكنت أكتب من كتاب شهادته بمسجد الفتح . وكررت الإطلاع على أبوابه وفصوله في تجربة عملية لم تيسر لآى طالب . بل ولأى أستاذ في الكلية آنذاك . . ثم حاولت للمقارنة على أساس أن الإسلام عقيدة سليمة . والفلسفة القديمة لم تكن قائمة على عقيدة ثابتة بجمع عيها . ومن هنا تأتى الفروق في صدق الاستغراق . أوفى روحانيته وعقليته . وكانت النتيجة أنى منحت امتيازاً في الفلسفة . بل منحتى إياه أستاذى وكتابى . وكاشفت أستاذ الفلسفة لما سألتى عن مراجع فى الفلسفة الإسلامية . فأبدى رغبة فى لقاء سيدى عبد الخالق . ولكنه لم يوفق . فقد وجدت من أستاذى صدودا عنه لما أبلغته الرغبة .

وكانت له خلوة سنوية فى بيته ، لا يتصل فيها بأحد على الإطلاق ولا يجالس . وروى أخوه المرحوم الشيخ عبد السلام الشبراوى أن إحدى كريماته

مرضت وهو في خلوته . وامتعت عن الطعام . وفشل الأطباء في علاجها .
وقرروا أنها لن تعيش .

ويروى أخوه أن الرغبة كانت قد اتجهت إلى أن يدعو لها أبوها . ولكن :
من الذى يدخل عليه أو يكلمه من وراء حجاب ؟ وجروا الأخ على أخيه وطرق
الباب وكاشفه بأمر ابنته واعتذر عن إزعاجه . وقال الشيخ العظيم لأخيه :
أغلق على بابي ، وأغلق عليها بابها إلى المغرب وكان الوقت ضحى : وفقدوا الأثر ،
وفي المغرب كانت دهشتهم بالغة حينما طرقت المريضة بابها من الداخل . وخرجت
تطلب طعاما ، وأكلت ونامت حتى الصباح : وسارت في طريق الشفاء سريعا :

وروى أحد تجار الكتب في باب الخلق أن حضرة أستاذنا مريوما في طريقه .
إلى الترام قبل الحرب الثانية برجل يجمع حوله خمسة أطفال وهم في منظر يشير
إلى الألم ، ويبيع بعض الحلوى الرديئة ليكسب قوتا لهؤلاء الجياع ، وأرسل أستاذنا ،
من يستدعى الرجل ، وكانت المحلات التجارية آنذاك رخيصة الأجر وفيرة .
الوجود ، وأرسل معه من يستأجر له دكانا ، وتم ذلك في ساعة من الزمن ؛ فقد
استأجر للرجل دكانا بسبعين قرشا في الشهر دفعها له حضرة أستاذنا ، خمسة .
شهور قادمة وأعطاه عشرة جنيهات وأرسل معه من يشتري له بها بضاعة يتجر فيها .
وكان مبالغاً يساوى الآن تسعين جنيهاً . وحسنت حال الرجل ، وكان كثير آ
ما يمر عليه ليطمئن عليه وعلى أبنائه الصغار .

وهذا مثال واحد من عشرات من مثله في هذا الباب ، فكلم أعان رضى الله عنه .
محتاجا ، وكلم أعمر من بيوت ، وكلم وصل من منقطع ، وكلم ستر من عورات ، .
رضى الله عنه .

ولا يستطيع كل من رآه أن يعطينا صورة صادقة لشيخنا وهو يبتهل إلى الله
بحرارة وهمة متوقدة ، لأنه في مجتمعه التربوى كان مجموعة من الحركات الهادئة .
الفعالة . ولكنى سمعته ورأيت أنه وهو يبتهل بحرارة وهمة متوقدة ، وكان هذا المشهد .
بمثابة درس عملى لى أستطيع به أن أميز الانفعالات الصوفية الحققة من الزائفة التى
يصنعها الكثيرون .

ذهبت إلى مسجد الفتح فى أول أمرى ، فوجدت سيدى وحده ، وليس فى

المسجد غيره ، ووجدت فرصة طالما تمنيتها ، وسلمت عليه وجلست بين يديه وسألني عن بعض أقربائي ، ومنهم طالب تخرج من كلية الطب ، فأخبرته بأنه سافر إلى لندن لإتمام دراسته ، فتألم وقال : قلت له : لا تسافر دون أن تخبرني . وسكت عن الإجابة . ولكنني لا أدري لماذا قلت لحضرتي : إن كل الأسرة وجميع البلاد المجاورة لبلدنا تكون في سعادة غامرة لو شرفتموها بزيارة كريمة ورد فضيلته قائلا : كان يسرنى لولا أن الرومانزم يعوقني . . وقطع كلامه فجأة وبدت عليه سمات لا يستطيع أروع الأقلام تصويرها على حقيقتها

شخص يصره إلى السماء ، وعلت وجهه صفرة ، واختجلت أعضاؤه ، ثم كبت هذه الخلجات في باطنه ، فكانت تبدو في ألوان على ملامحه ، وطرقت بياض عينيه حمرة مفاجئة وقال : « اللهم إني استغفرك يارب » . قالها بصوت مرتفع ولحن شجي يبكي أفسى القلوب ، وسرت منه رعدة شديدة في جميع جسدي وأحسست بغيوبة وانجاء إلى الله بكلتي ، وأنا أقول : آمين .

لقد عد البوح بمرضه هذا شكوى يجب الاستغفار منها وهو العارف الكبير كان ابتهاله صادقا لأنه أثر فيمن معه وجذبني إلى دائرته في سرعة خاطفة .

وما أكثر ما يبتهل المبتهلون فلا يتأثر بهم أحد . أما الصدق في الابتالات والواردات فلا بد أن يؤثر في المشاهدين أو السامعين ، وذلك درس عملي في كتاب جليل القدر هو أستاذنا المترجم له . أما الطبيب الذي سافر بلا إذن فقد عاد من لندن بعد ستة شهور دون شهادة ولا دراسة . وتلك إحدى كراماته وكشوفاته .

كان ذا نظر فاحص وهو يستمع إلى العلم من أي لو كان . وكثيرا ما أشار إلى عبارات جاءت في كتب الشعرا بأنها ليست من كلامه ، أو إلى أن الموضوع الذي بحثه الشيخ لم يكتمل بعد .

وأسمعه بعض المريدين قصيدة الإمام البوصيري التي أولها .
كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
فقال : لو قال الشيخ .

كيف تر في رقيبك الانبياء يا سماء من فوقها أسماء
لسكان ألبق وأحق بالمقام وهو حق كل الحق إذ أن الحقيقة المحمدية من
فوقها سماء الأسماء مثله في الاحدية للذات الأقدس . سبحانه وتعالى . أما ألا
تظاوها سماء فذلك مبالغاً يقبلها المحقق ، ويعتذر عن صاجها بشدة الحب ، ومن
أخذ ما وهب أسقط ما وجب .

كنت أول ما عرفت أستاذي أتردد عليه كل يوم وكنت في ذلك الوقت بعيداً عن
العقيدة السليمة ، وسألتني رضى الله عنه يوماً هل تقرأ لأبي العلاء المعري ؟ قلت :
نعم ، قال : ما رأيك في عقيدته قلت : يغلب على ظني أنه زنديق . قال : لا ،
بل هو متحيز . ثم قال : هل تقرأ للعقاد ؟ قلت : نعم ، قال : ما رأيك في عليه ؟
قلت : علم غزير .

قال : وعقيدته ؟ وكان الأستاذ العقاد في ذلك الوقت بعيداً عن سنن العقيدة
السليمة ؟ قلت ليس مسلماً حقاً قال : إنه شريف ، ولن ينصر الإسلام مثله من
كتاب العصر ، ولن ينصر التصوف غيره من أقرانه .

ومضى الزمن ، وخرج الأستاذ العقاد بعقرياته التي تعتبر فتحة في عالم الجهاد
الفكري الإسلامي ، ثم بمقالاته التي أنصف فيها التصوف ، وهدم خصومه فلم
يدع لهم مقالاً .

ما سئل أستاذنا عن إنسان مذموم وذمه ، وما صمت صمتاً من ذلك النوع
الذي يعتبر أبلغ من الذم ، وما دعا له دعاء هو أشنع من الذم كما يفعل بعض
المدعين إذ يقول بعضهم في نفاق ظاهر : غفر الله لنا وله .

ما كان هذا من صنيع أستاذنا ، ولم يقل إلا حقاً في الوقت نفسه . كان في
متنهي اللبابة التي تعبر عن الرأي الحق حينما يحول مجرى الحديث موصولاً
بالحديث الذي كان من قبل ، مضرباً عن الموضوع الذي أثاره شيطان يريد أن
يثير سخط الله بغية مسلم . وما كان هو الرجل الذي تثيره نخوة العلم فيقتحم
بها الحدود .

كان أعداء التصوف في عصره يهابونه ، ويقولون عنه : إنه صوفي معتدل .
ولكنه لم يسلم من تطاهم التيمم . في أرض الحجاز لقية جماعة منهم ، وبدأ أحدهم

يشير مشكلة عليية تتصل بالتصوف بإيعاز من الشيخ حامد الفقي رحمه الله، ولم يكن موجودا معهم، إذ لم يكن يستطيع الثبات أمامه، فقال لهم: قال الله تعالى: «لارفت ولا فسوق ولا جدال في الحج»، وقولوا للشيخ حامد يقابلني بعد أن نعود إلى مصر للتفاهم في تلك المسألة. فأنفعل أحدهم مأخوذا بأدب الشيخ رضى الله عنه قائلا: هذا هو الصوفي الحق.

كانوا يريدون من أستاذنا أن يناقشهم فيقولون: هذا هو المحقق الكبير يجادل في الحج. وكانوا يريدون أن يردم في شدة فيقولون: أين الرحمة الموروثة وكان رده عليهم قد انتزع منهم شهادة حق للتصوف والصوفية، فهو الحارس لحدود الله، والمتقلب في علمه ونوره. رضى الله عنه.

كان شيخنا لطريق مقرر القواعد والطقوس، ولكنه لم يكن طريقا يجمع الطبول والمزامير، ويحفل بالموكب والضوضاء. لم يكن في طريقة شيء من ذلك على الإطلاق، ولم يكن لهم دار معروفة يجتمعون فيها كل مساء بل كان مسجد الفتح هو مدرسة الطريق، وكانت أسسه: العلم، والعمل، والعون لمن لم يعلم. فعليه أن يسأل العلماء وهم كثيرون بين المريدين، وأولا وأخيرا الأدب. الأدب في الحديث وفي السيرة وفي الحركات. ولذلك عرف أبناء الشبراوى برزائهم وهدوء ملاحظهم.

ومن أسس الطريق الشبراوى المحافظة على الأوراد، وعلى زيارة آل البيت وحهم، وحب المسلمين جميعاً. والأوراد التي كان يقرها حضرته على المتبتئين حزب النووى وورد الستار، وختم الصلاة. فإذا تقدم في الطريق رتب له ورد السحر، ثم حزب البر والبحر والنصر والشكوى. إذا ارتقى إلى الطريقة الشاذلية فإذا وجد في المريد قوة لقنه النقشبندية كذلك.

كان له مجالس ذكر، ولكنها لم تكن على الصورة البشعة التي نراها أحيانا من النهريج وسوء الأدب، كانت مجالس أدب كامل لا لفظ فيها ولا صخب، وكان القوال الذى يعيش إلى الآن «الشيخ العوضى» يترجع الدموع من العيون الجمادة وكان شيخنا يجلس وسط الحلقة صامتا مراقبا متوجها لا يتحرك، وكان الشيخ العوضى هو الذى تأخذه موجة عارمة من الانفعال المكبوت وهو ينشد التائية الكبرى لابن الفارض، أو قصيدة: أتم فروضى ونفى. أو ما أشبه ذلك، إذ لم تكن الاناشيد العامة من سنة شيخنا.

وكان يتوخى في مجالس الذكر أن تكون في أوقات تكشف السكسول من صاحب الهمة ، كانت تبدأ في الثامنة صباحا يوم الجمعة بمسجد الشيخ عبد الله الشرفاوى في قراة المجاورين . وكان حضرته في مقدمة الزاهبين إلى هناك ، وكان يؤكد على المريد أن لا يتخلفوا إلا الضرورة العمل المعاشي أو المرض العائق عن الحضور . فالعمل المعاشي بشروطه من الرضا بالقسم ، وعدم الجزع من القلة ، والتوكل على الله في السبب عبادة لا تقل على أعظم العبادات في القدر والجزاء . هكذا كان يؤكد على المريد الذين يتركون أعمالهم في صباح الجمعة لحضور مجلس الذكر . بل إنه يسمو فوق المشاعر البشرية ، فيذهب أحيانا وهو في طريقة إلى المسجد أو في طريق العودة منه إلى بعض مريديه مباركا أعمالهم مشجعا لهم على مواصلة السعى ، إن كانوا من أهل الشوق والحب الذين تضربهم مفارقة شيخهم زما طويلا .

كان أستاذنا يخطب للجمعة في مسجد الفتح ، ويؤم الناس للصلاة . ولكنه لم يكن كالخطباء الذين يجهدون أصواتهم ويصدعون أدمغة الناس بصراخهم الذي لا يجاوز الآذان ، لأنه لم يجاوز اللسان ولم يكن كأولئك الأثريين الذي يحفلون بالأسجاع ويمدون أواخر الفقرات في لحن حزين ، ولم يكن من أولئك الذين يقصرون خطبهم على التنفير من الله ، وإشاعة اليأس في قلوب الناس ، وإثارة الدخان الجهنمي في عيونهم .

لم يكن من هؤلاء بل كان نموذجا فريدا بين خطباء المساجد كما كان نموذجا للصوفي الكامل المحقق . كان مجرد جلوسه على المنبر عاملا من عوامل الخشوع والتوجه الكامل نحو الله ، يسيطر على كل الحاضرين فلا تسمع همسا ولا همهمة ، فإذا أبدأ الحديث بصوته الخاني الهادئ الذي ينساب من قلبه باشر القلوب ، ومس الأرواح ، وقمع النفوس ، وصمت الكل لله وكأنهم في صلاة .

ومن أجل هذا كانت صلاة الجمعة خلفه تدريبا ناجحا على الصلاة بمعناها العميق ، يضمه المريدون ، ويتدرب عليه غير المريدون وكانوا قلة بمسجد الفتح . ولذلك كان الجميع يحرص على الجمعة ، وكان يفد إلى المسجد من أعيان الناس وكبار العلماء من ليسوا من المريدون تدريبا لنفوسهم على الانضواء تحت لواء الاستغراق وهي تنوجه إلى الله . وكانت موضوعات خطبه حية تنزع نحو تجديد العلم أو تعلم

جديد من أخلاق الإسلام التي تخفى على الكثيرين ، وكانت تنزع نحو تحييد الله إلى الخلق ، وتصوير السياسة الإلهية بالصورة الرحيمة التي تفتح الدائرة لكل طالب . لكل منيب ، ولكل مسرف على نفسه .

كانت البيئة التي عاشها سيدى عبد الخالق الشبراوى بيته علم ، فقد فتح عينيه على ما أثر جده ، وعلى كتبه ورأى العلماء يتوافدون إليه طلاب علم ، ورأى أثر جده في أسرته ، كان صغيرا ولكنه وكان مستعدا لنماء الوعي الروحي ، فكان أول ما طرق قلبه من أخلاق الإسلام هو « الإخلاص » .

كانت كل أعماله تفسر بالإخلاص ، فاذا فتح قلبه الكبير للناس ، أو استغرق في توجهه نحو الله ، أو سعى إلى طالب يأخذ بيده ، أو سعى إلى بدر الرحمة الإلهية في القلوب ، فإنما كان ذلك كله إخلاصا في أسمى معانيه .

وكانت البيئة المحيطة به من غير أهله ، تنزع نحو المادة ، منهومة بها ، ومن أجل ذلك كان إخلاصه دافعا لإياه إلى الزهد في الدنيا ، مكلا كل مساعيه بالجحاح .

بدأ الشيخ محمود خطاب جولة في بعض القرى ، وكان في تلك القرى يريدون لأستاذنا ، وحبس نفسه زمنا على تلك القرى ينفر أهلها من التصوف وأهله ، ويسفه مسلكه . وأعقبه أستاذنا في زيارة عابرة لتلك القرى ، ولم تستغرق زيارة القرية أكثر من ساعات قليلة ، فاذا المريدون يتضاعفون وإذا صيحات الخطابية تصبح هي والنعيق سواء . ويقابل الشيخ محمود خطاب أستاذنا ويقول له في مرارة : « يا مولانا ، هدمت ما تعبت في بنائه في طرفه عين » . ومن هنا يكون فعل الصمت في الإخلاص أبلغ من فعل الصراخ والتهاق في غير إخلاص .

أنجب أستاذنا من الرجال رجلين ، هما : أستاذنا رائد الطريق الشبراوى بعد والده الكريم : الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الخالق الشبراوى ، وشقيقه العلامة الذائق : سيدى الأستاذ الشيخ عبد السلام عبد الخالق الشبراوى . وكان والدهما يستطيع أن يعلمهما في الخارج فضلا عن جامعات مصر ، ولكنه أبى إلا أن يتجها اتجاهادينيا خالصا ، فتخرج خليفته وأستاذنا من قسم القضاء الشرعى بكلية الشريعة ، وتخرج سيدى عبد السلام من كلية أصول الدين . ثم رباهما على

طريقته وعلى منهج أدبه الرفيع فسكانا نماذج فذة بين العلماء في الآداب والسلوك
والعلم معا .

عاش أستاذنا ثلاثا وستين عاما ، وتوفي في عام ١٩٤٧ م . ودفن بمسجده
أمام بلوكات نظام الاقاليم ، حيث يتوافد المريدون أفواجا لأداء الصلاة وإقامة
بجالس العبادة .

رضى الله عنه رضوان الصديقين ، ونفعنا به ، وحفظ طريقه عاليا إلى يوم.
الدين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الملحق الثانى
التعريف بأعلام الصوفية
الذين ورد ذكرهم فى كتاب
روضة التعريف

أبو بكر الشبلي

قيل اسمه : جندر بن دلف . وقيل : دلف بن جعبرة . وقيل جعفر بن يونس أصله من خراسان . من قرية « شبليّة » . ولد بسر من رأى . وكان حاجبا للموفق . وكان أبوه حاجب الحجاب .

حضر أبو بكر يوما مجلس خير النساخ فغاب فيه . وكان يقول : « خلف أبي ستين ألف دينار غير الضياع . فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء » . وقال : « مجاهدة النفس بالنفس خير من مجاهدة النفوس بالنفس » .

وكان يقول : « ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور » . ويقول : « إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك . وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله » . ويقول : « أحبك الخلق لعنائك ، وأنا أحبك لبوائك » .

صحب الجنيد وطبقته . وتفقه على مذهب مالك . وكتب الحديث الكثير . ولم يعلم له إلا حديث واحد . قال صلى الله عليه وسلم لبلال : « يا الله فقيراً ولا تلقه غيماً فتهلك » . قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال : « ما سئلت فلا تمنع . وما رزقت فلا تخبأ » . قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال : « هو ذاك وإلا فالنار » عاش ٨٧ سنة ومات سنة ٣٣٤ هـ

أبو حازم

هو سلمة بن دينار الأعرج . قال عنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « ما رأيت أحد الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم » . وهو القائل : « ما مضى من الدنيا فحكم ، وما بقى فأمانى » وروى عنه ابن مطرف : « لا يحسن العبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين عبادته ، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها . إنك إذ صانعت هذا الوجه مالت إليك الوجوه كلها وإذا أفسدت ما بينك وبينه شئتلك الوجوه كلها » .

خير النساخ

أصله من سره من رأى . ونزل بغداد . مات في مجلسه إبراهيم الخواص والشبلي . عن جعفر الخلدی : سألت خيرا ، هل كان النسيج حرقك ؟ قال : لا . قلت :

فمن أين سميت ؟ قال : كنت عاهدت الله ألا آكل الرطب يوما ، فغلبتني نفسي فأكلت ، فإذا رجل نظر إلى وقال : يا خير ، يا آبق هربت مني ؟ وكان له غلام اسمه خير قد هرب منه فوقع على على شبهه . فاجتمع الناس وقالوا : هذا غلامك خير . فحملني إلى خانوته فقال الغلمان : يا عبد السوء ، تهرب من مولاك ؟ ادخل فاعمل ، وأمرني بنسج السكرباس ، فدليت رجلي فكأنني كنت أعمل من سنين . وقت ليلة فسجدت ، وقلت في سجودي : « إلهي ، لا أعود إلى ما فعلت » . فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعادت إلى صورتي

بشر الخافي

ولد عام ١٥٠ هـ ويكنى أبا نصر . كان يقول : « لقد شهرني ربي في الدنيا فغلله لا يفضخني في الآخرة » وقال له رجل : « مالي أراك مغموماً ؟ فقال : « مالي لا أكون مغموماً وأنا مطلوب » . وقال : « ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك » وقال : « يكون الرجل مرأباً في حياته وبعد موته » فقيل له : كيف يكون مرأباً بعد موته ؟ قال : « يجب أن يكثر الناس في جنازته » . وقال : « الصدقة أفضل من الحج » . وقال : « ما أقمح أن يطلب العالم فيقال : هو بباب الأمير » .

بنان الحال

هو بنان بن محمد بن حمدان أصله من واسط . ونشأ ببغداد . ثم انتقل إلى مصر ومات بها عام ٣١٦ هـ سمع من الحسن بن عرفة وحيد بن الربيع والحسن الزعفراني . وبكار بن قتيبة . وغيرهم . وأسند الحديث . قال أبو علي الروذباري : كان سبب دخولي مصر حكاية بنان . وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف فأمر بأن يلتقى بين يدي السبع فجعل السبع يشمه ولا يضره فلما أخرج من بين يديه قيل له : ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع ؟ قال : كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها وحكم طهارتها .

أحمد السبتي

ابن الخليفة هرون الرشيد . كان قد تزوج أمه سرا فأولدها هذا الزلام ، وأحدرها إلى البصرة . وماتا ولم يرهما . وقصته طويلة في صفوة الصفوة

لابن الجوزى ١٨٧/٢ ، ١٨٨ . وكان يأتى السوق كل سبت فيعمل بدرهم ودائق يتقوت بهما . قال أبو الفرج العابد : فلم أصادفه يوما فإذا هو مريض فى بيت عجوز . فسألته فقالت : عليل منذ أيام . فوجدت تحت رأسه لينة . فقلت : ألك حاجة ؟ قال : إذا أنا مت فبع هذا المر واغسل جبتي وهذا المتزر وكفني بهما وافثق حبيب الجبة فإن فيها خاتما . فأره لهرون الرشيد . فإنه سيدعوك ، فسلمه إليه ، ولا يكن هذا إلا بعد دفنى . ففعلت ، فقال الرشيد : « هذا ولدى . تركنى لما وليت الخلافة ، ولم ينل من دنياى شيئا .

أبو بكر الرقاق

اسمه : محمد بن عبد الله . روى عن ابن سراج عن الجنيد : رأيت إبليس فى منامى وكأنه عريان فقلت : أما تستحي من الناس ؟ قال : بالله هؤلاء عندك من الناس ؟ لو كانوا من الناس لما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس غير هؤلاء قلت له : ومن هم ؟ قال فى مسجد الشونيزى . قد أضنوا قلبي . وانحلوا جسمى . كلما هممت بهم أشاروا إلى الله فأكاد أحترق . قال جنيد فانتبهت ، وذهبت إلى مسجد الشونيزى ، فادا بثلاثة جلوس ورؤوسهم فى مرقباتهم . فلما أحسوا بى أخرج أحدهم رأسه وقال : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شئ تقبل ؟ وهم أبو حمزة ، وأبو الحسن النورى ، وأبو بكر الرقاق .

أبو بكر الكنانى

بغدادى الأصل . أقام بمكة ومات بها عام ٣٢٨ هـ . كان يقول : إن الله نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلا لمعرفته ، فشق لهم بخدمته . وقال أبو جعفر الاصفهاني : صحبت الكنانى سنين ، فكان يزداد على الأيام ارتفاعا . وفى نفسه اتضاعا . ويقول : « روعة عبد عند انقباه من غفلة وارتعاد من خطيئة . أعود على المريد من عبادة الثقلين ، . صاحب الجنيد والخراز والنورى . وله مستند فى الحديث .

أبو القاسم الجنيد

هو أبو القاسم الخزاز القواريري . جنيد بن محمد بن جنيد البغدادي كان
أبوه يبيع القوارير . وكان هو خزازا . أصله من نهاوند . ولد لشوه بغداد .

قال الخلدی : « لم تر شيوخنًا من اجتماع له علم وحال غير أبي القاسم
الجنيد وإلا فأكثرهم يكون له علم كثير . ولا يكون له حال . وآخر يكون له
حال كثير وعلم يسير . والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير . فإذا رأيت حاله
رجحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله . وعن أبي محمد المرتضى
قال : قال لي الجنيد : كنت ألعب بين يدي سري وأنا ابن سبع سنين . وبين
يديه جماعة يتكلمون في الشكر : فقال لي . يا غلام ، ما الشكر ؟ قلت : ألا
نعصى الله بنعمة . قال : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك . قال الجنيد : فلا
أزال أبكي على هذه الكلمة إلى الآن . كان يقول : إحدرا أن تكون ثناء مشورا ،
وعيبا مستورا . » ويقول : « الروءة احتمال زلل الإخوان » . لقي خلقا من
العلماء ودرس على أبي ثور . وأقفى في حضرته وهو ابن عشرين سنة . وصحب
كثيرا من العلماء واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي وخاله سري السقطي . مات بلم
٢٩٠ هـ . وقيل عام ٢٩٧ هـ . وصلى عليه نحو ستين ألفا .

الحارث المحاسبي

هو الحارث بن أسد المحاسبي . سمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه . ودقته في
هذا الباب . كان يأخذ نفسه بالرياضة الشاقة . حتى أنه لم يقبل ميراثه من أبيه
وهو في حاجة إلى دائق يدفع عنه ضر الجوع . وكان يقول : والله لو أن نصف
الخلق قربوا مني ما ألتست بقربهم . ولو أن نصفه الآخر بعد عني ما استوحشت
لعهدهم . أنكر عليه أحمد بن حنبل خوضه في علم الكلام فلما استمع إليه يتكلم
مع أصحابه في دار اسماعيل السراج بكى حتى غشى عليه . وقال : والله ما سمعت
في الحقائق مثل هذا الرجل . ومع ذلك فلا أرى لكم صحبة ، كان آية في العمل
بالعلم والخبرة بالنفس وآفاقها . له كتاب « الرعاية لحقوق الله » ، الذي يعتبر
أولى فتح في التحليل النفسي وقد أخرجنا له كتاب « الوصايا » ، وفي صدد
إخراج كتابه الرائع « آداب النفوس »

فضيل بن عياض

فضيل بن عياض التميمي : أحذني يربوع ، يكنى أبا علي . ولد ببخراسان وقدم الكوفة وهو كبير وسمع بها الحديث . ثم تبعه وانتقل إلى مكة ومات بها كان من أفاضل الزهاد قال : لو أن الدنيا كلها بخدافيرها كانت لي لكنت اتقذرها . وكان صاحب مله في محاسبته نفسه . قال : « أصلح ما أكون أفقر ما أكون وإنني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادمي » . وقال : « إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل بكتك خطيئتك » ، وقال لرجل : « لأعلمك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها : والله لو علم منك إخراج الأدميين من قلبك . حتى لا يكون فيك مكان لغيره . لم تسأله شيئاً إلا أعطاك » .

معروف الكرخي

يكنى : أبا محفوظ ، وينسب إلى كرخ بغداد كان من دعائه : « اللهم لا تجعلنا بثناء الناس مغرورين ولا بالستر منك مفتونين ، اجعلنا ممن يؤمن بلفائلك ، ويقنع بعطائك ويخشاك حق خشيتك ، اللهم أوف ظنون المسلمين فينا ووفقنا لوفاء ظنونهم واجعلنا خير من يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون أنت تعلم وهم لا يعلمون . وكان يؤذن ويقيم الصلاة ويقدم غيره فقال له أحدهم : إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم صلاة أخرى فقال معروف : أعوذ بالله من طول الأمل وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى . وقال رجل المعروف : أوصني قال : « توكل على الله حتى يكون جليساك وأنيسك وموضع شكواك وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك حديث غيره . واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتماناه . وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك » .

منصور بن عمار

أصله من خراسان . وقال السلي : من أهل مرو . وقيل : من بوشنج (• — ملاحق روضة التعريف)

سكن بغداد : وكان عجيباً بين الحكماء أسند عن معروف أبي الخطاب صاحب وائلة بر الأسقع . وروى عن الليث وابن لهيعة . وتوفي ببغداد . قال السعداني : رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له . ما فعل الله بك ؟ قال : وقفت بين يديه فقال لي : أنت الذي كنت ترهد الناس في الدنيا ؟ قلت قد كان ذلك ، ولكن ما اتخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك . وثبتت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم . وثلت بالنصيحة لعبادك . قال . صدقت . ضعوا له كرسيًا في سماء فليمجدني سمائي كما مجدني في أرضي بين عبادي

أبو علي الروذباري

قال السلي : اسمه . أحمد بن القاسم . وقال أبو بكر الخطيب اسمه : محمد ابن أحمد . أصله من بغداد . وسكن مصر وتقدم بها وكانت له معرفة بالحديث وكان يقول : أستاذي في الحديث : إبراهيم الحربي ، وفي الفقه أبو العباس بن سريج وفي النحو ثعلب . وفي التصوف الجنيد ويقول : « أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفاً ، فما وضعت شيئاً في يد فقير فبأخذه من يدي ، حتى تكون يدي تحت أيديهم » صاحب الجنيد والنوري وابن الجلاء والمسوحى . وأسند الحديث . مات عام ٢٢٣ هـ .

رويم . البغدادي

رويم بن أحمد أو ابن محمد البغدادي . من بني شيبان . وكان يتفقه لداود الأصفاني . كان يقول : « الفقر له حرمة ، وحرمة ستره وإخفاؤه ، والغيرة عليه ، والضن به ، فمن كشفه وأظهره وبذله فليس هو من أهله » . ويقول : « منذ عشر سنين لا يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر » . ويقول « الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك . والفتوه أن تعذر إخوانك في زلهم . ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار لهم » . ويقول : « الصبر ترك الشكوى ، والرضا استلذاذ البلوى ، والتوكل إسقاط الوسائط » .

سرى السقطى

خال الجنيد وأستاذه . اسمه سرى بن المغلس السقطى كان يقول : « كل الدنيا فضول إلا خمسة : خير يشبعه وماء يرويه ، وثوب يستره ، ويدت يسكنه ، وعلم يستعمله » . ويقول : « من عرف ما يطلب هان عليه ما يبدل » ، ويقول : « إن فى النفس لشغلا عن الناس » . ويقول : « لولا الجمعة والجماعة لسددت الباب على نفسى ولم أخرج » وكان يقول لإخوانه : « الدهر ثلاثة أيام ، يوم مضى بؤسه وشدته وغمه لم يبق منه شيء . واليوم الذى أنت فيه صديق مودع ، طويل الغيبة عنك ، سريع الرحلة عنك وغدا فى يدك تأمله ، ولعلك من غير أهله » .

سمنون المجنون

سمنون بن حمزة أصله من البصرة وسكن بغداد ، كان يقول : « أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق وصله لنفسه » ، صاحب سرىا السقطى ، وأبا أحمد القلانسى ، ومحمد بن على القصاب وآخرين وكان قد أصيب بالوسوسة ، وسمى بالمجنون . كان ورده كل يوم خمسمائة ركعة . وكان رجل قد فرق ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم . فذهب سمنون إلى أبى أحمد القلانسى وقال : يا أبا أحمد ، ما لنا مال نفركه ، فامض بنا إلى موضع نصلى فيه بكل درهم ركعة فذهبنا إلى المدائن وصلينا أربعين ألف ركعة ، وزرنا قبر سليمان وانصرفنا .

أبو الحسين النورى

أسمه : أحمد بن محمد . بغدادى المولد والملاشأ . خرسانى الأصل . من قرية بين هراة ومرو يقال لها « بغشور » مرض فبحث إليه الجنيد بصرة فيها دراهم ، فردها النورى . ثم اعتل الجنيد فعاده النورى ، وقعد عند رأسه ، ووضع يده على جبهته فعوفى من ساعته ، وقال للجنيد : إذاعدت لإخوانك فافرق بهم بمثل هذا البر . سئل عن الرضا فقال : « عن وجدى تسألون ،

أو عن وجد الخلق ، ؟ فقالوا : بل عن وجدك ، فقال : « لو كنت في الدرك الأسفل من النار لكنت أَرْضَى مِن هُوَ في الفردوس » . أسند عن سري حديثا واحدا ، وتوفي عام ٢٩٥ هـ .

أبو سعيد الخراز

اسمه : أحمد بن عيسى . قال عنه الجنيد : « لو طالبنا الحق بحقيقة ما عليه أبو سعيد لهلكنا » . قيل : وأى شيء كان حاله ؟ قال : « أقام كذا وكذا سنة يخرز ، ما فاته الحق بين الخرزتين » . يقول : « العافية ستر البر والفاجر فإذا جاءت البلوى يتبين عندها الرجال » . وذكر أبو الفضل بن العباس الشاعر عن تلميذه لآبي سعيد ، قالت : كنت أسأله مسألة والستر بيني وبينه فاستفزني حلاوة كلامه ، فنظرت في ثقب من الإزار فرأيت شفته ، فلما وقعت عيني عليه سكنت ، وقال : جرى ها هنا حدث ، فأخبرني . فعرفته أني نظرت إليه ، فقال : أما علمت أن نظرك إلى معصية ، وهذا العلم لا يشمل التخليط . أسند عن عبد الله إبراهيم الغفاري ، وإبراهيم بن بشار . وصحب بشر بن الحارث الحافي ، وسري القسطنطيني ، وذالنون المصري ، وأبا عبد الله البصري .

إبراهيم النخعي

من كبار الزهاد العلماء بالله . كان يقول : « كفي بالمرء إثما أن يشار عليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من حفظه الله » . وكان دقيقا في ورعه فيقول : « إن المرء ليتكلم بالكلمة من العلم ليصرف وجه الناس إليه يهوى بها في جهنم . فكيف بمن كانت نيته ذلك من أول جلوسه » . وبلغ من توقيه للشهرة أنه لم يجلس قط إلى أسطوانة كشأن علماء عصره . ويقول : « أدركنا الناس وهم يهابون أن يفسروا القرآن . والآن قد صار كل من أراد أن يفسره جلس إليه » . وكان يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو العصفور فلا يدرى من رآه أمن القراء هو أم من الفتيان . توفي عام ٩٥ هـ .

ماهان العابد

هو ماهان بن قيس . كان مثلاً أعلى في سلامة القلب وكثرة العبادة وكان يحث الناس على الذكر فيقول : « أما يستحي أحدكم أن تكون دابته أكثر ذكراً لله منه » . صلبه الحجاج بن يوسف على بابه فكان يسبح ويكبر على الخشبة فطعنوه على تلك الحال . وبقى شهراً مصلوباً . وكان يقول عن الصوفية : « أعمالهم قليلة وقلوبهم سليمة »

عبد الواحد بن زيد

أدرك الحسن البصري وغيره . كان يقول : « مثل المؤمن مثل الولد في الرحم لا يجب الخروج . فإذا خرج لم يجب أن يرجع فكذلك المؤمن إذا خرج من الدنيا » . ويقول : « ما من أحد أعطى من الدنيا شيئاً فابتغى إليه شيئاً ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة ، وبدله بعد القرب بعداً ، وبعد الأناش وحشة » . كان ذا حال عظيم في مقام العبودية . فقد روى عنه أنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة . وله فرائد تحتاج إلى بحث علمي حديث لبحث مدى صدقها - ولا أظنها إلا صادقة كغيرها مما تم بحثه ، كشهود الشيخ الأكبر لعوالم الذرة وما فيها من خير وشر . قال في هذا الصدد : « عليكم بالخبز والملح فإنه يذيب شحم الكلى ، ويزيد في اليقين » .

عتبة الغلام

هو عتبة بن أبان الغلام . سمي غلاماً لأنه كان في العبادة كأنه غلام رهبان لصغر سنه . كان مثلاً عجيباً في الزهد . قال : جاءني عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه فقال : ما زال فلان يصف من قلبه منزلة لا أعرفها . فقلت : لأنك تأكل مع خبزك تمراً . قال : فإذا تركت التمر وصلت إليها ؟ قلت : نعم . فأخذ عبد الواحد يكي . وكان له حال غريب مع الله على علمه وجلالة قدره . كان يأوى إلى المقابر والصحارى . فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة وليس ثوبين أغبرين . وسلم على أصحابه . ولقي مرديته . وكانوا يشبهونه

بالحسن البصرى فى الحزن . وكان له بيت مقفل فلما مات فتحوه فوجدوا فيه قبراً محفوراً وغلاماً من حديد ومع ذلك فقد كان آية فى المعرفة . روى الإمام الشعرانى أنه مات شهيداً فى قتال الروم .

سفيان الثورى

كان علامة فى الحديث حتى لقب بأمر المؤمنين ولد سنة ٩٧ هـ فى الكوفة . وخرج إلى البصرة عام ١٦١ وكان عالم الأئمة وعابدها وزاهدها ويقول : « لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة » ويقول : « إذا فسد العلماء فمن يصلحهم ؟ وفسادهم بميلهم إلى الدنيا . وإذا جر الطيب الداء إلى نفسه فكيف يداوى غيره ؟ » ويقول : « من تصدر للعلم قبل أن يحتاج إليه أورثه ذلك الذل » . وكان مجتهداً عظيماً إذ يقول : « لأن أترك عشرة آلاف دينار أحاسب عليها أحب من أن أحتاج إلى الناس . فإن المال كان فيما مضى يكره . أما اليوم فهو ترس المؤمن . يصونه من سؤال الملوك » . وحدد معنى الزهد الحقيقى فقال : « إن الرجل ليكون عنده المال وهو زاهد فى الدنيا . ويكون فقيراً وهو راغب فيها » . ووصفته المراجع فى حال تفكيره . بأن كان يرى كأنه مجنون لا يعنى كلام أحد . ولما خرج أبو جعفر المنصور سار أمامه الخشابون . وقد أمرهم بصلب سفيان . فوصلوا مكة ونصبوا الخشب ، وجاءوا إليه فوجدوه نائماً ورأسه حى الفصيل بن عياض . ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة . فقالوا : يا أبا عبد الله . اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء . فتقدم إلى أستاذ الكعبة فتعلق بها وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر . فمات قبل أن يدخل مكة . يقول : « إذا رأيتم قارئ القرآن يحب جيرانه فاعلموا أنه مداهن » .

ابراهيم بن أدهم

كان من أولاد الملوك فى بلخ . رسم صورة للحياة الاجتماعية فى عصره .

تبدو من قوله : « إنى لأتمنى المرض حتى لا تجب على الجماعة فلا أرى الناس ولا يرونى » . وكان بخلق بابه من خارج فيأتى الناس ويعودون من حيث أتوا وكان يكشف عن علل النفس ويحذر منها . فيقول : « ما صدق الله عبدا أحب الشهرة بعلم أو عمل أو كرم » . وكان ضعيف الجسد لتقلله الشديد من الطعام ، لأنه لم يكن يثق فى حله . ويقول : « اطلبوا العلم للعمل ، فإن أكثر الناس قد غلطوا حتى صار علمهم كالجبال ، وعلمهم كالدر » . كتب إليه الإمام الأوزاعي قائلا : إنى أريد أن أصحبك يا إبراهيم ، فكتب إليه قائلا : « الطير إذا طار مع غير شكله طار الطير وتركه » . وكان يقول : « أثقل الأعمال فى الميزان أثقلها على الأبدان » .

ذوالنون المصرى

اسمه : ثوبان بن إبراهيم . كان أبوه نوبيا . كان نحيل الجسد تعلوه حمرة ولحيته ليست بيضاء . توفى بالجيزة فحمل فى قارب مخافة أن ينهار الجسر من كثرة مشيعيه . له فرائد فى الحكمة والسلوك . منها قوله : « من القلوب قلب يستغفر قبل أن يعصى فيثاب قبل أن يطيع » . وكان مرييا فاضلا سمع للفقراء عنده يتذاكرون فى المحبة . فقال لهم : « كفوا عن هذه المسألة ، لئلا تسمعها النفوس فتدعيها » . ويقول : تواضع لكل الخلق . وإياك أن تتواضع لمن يطلب منك التواضع له فان سؤاله إياك يدل على تكبره فى الباطن . وتواضعك له عون له على التكبر » . وسئل : لم لا تشغل بالحديث فقال : « للحديث رجال . وشغلى بنفسى استغرق رقتى . والحديث من أركان الدين . ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقهاء لكانوا أفضل الناس فى زمانهم . ألا تراهم بذلوا علمهم لأهل الدنيا يستجلبون دنياهم . فحجبهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا لما رأوا حرص أهل العلم والمتقنين عليها . نخافوا الله ورسوله وصاروا لئيم كل من تبعهم فى عنقهم جعلوا العلم فضا للدنيا وسلاحا يكسبونها به بعد أن كان سراجا للدين يستضاء به » .

شقيق البلخي

من مشايخ خراسان . كان إما ما في التوكل . وهو أول من تكلم عن الأحوال في خراسان . صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه طريقه . وهو أستاذ حاتم الأصم . يقول : « الزاهد هو الذي يقيم زهده بفعله . والمتزهد يقيم زهده بلسانه » . ويقول : « اتق الأغنياء . فإنك إذا عقدت قلبك معهم وطمعك فيهم فقد اتخذتهم أربابا من دون الله » . سئل : بأي شيء يعرف العبد أن نفسه اختارت الفقر على الغنى ؟ قال : « إذا صار يخاف من حصول الغنى كما كان يخاف من حصول الفقر » . وسئل : ما علامة صدق الزاهد ؟ قال : « إذا صار يفرح بكل شيء فاته من الدنيا ويغتم لسكل شيء حصل منها » . وكان يقول : « مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وخاف أن تثمر شوكة . ومثل المنافق كمثل رجل غرس شوكة وهو يطمع أن يحصد رطباً » .

أبو يزيد البسطامي

طيفور بن عيسى . كان من كبار المرشدين أهل الحال ، شديد الصحو شديد السكر . بجزا في العلم والشهود . كتب إليه يحيى بن معاذ الرازي : « لاني سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبة » . فكتب إليه أبو يزيد : « غيرك شرب من بحور السموات والأرض وما روى بعد ، ولسانه خارج يقول : هل من مزيد » . ودخل عليه فقيه بلده وعالمها يوما فقال له : « يا أبا يزيد عليك هذا عمن وعن ومن أين ؟ فقال : « علمي من عطاء الله وعن الله ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عمل بما عمل أورثه الله علم ما لم يعلم » فسكت العالم . صدرت عنه ألفاظ في حال سكره أو همت الحلول . وسئل عنها أبو علي الجوزجاني فقال : « يسلم له حاله ، ولعله تكلم بها على حد غلبة أو سكر . ومن أراد أن يرتقي إلى مقام أبي يزيد ، فليجاهد نفسه كماجاهدها أبو يزيد ، فهناك يفهم كلام أبي يزيد » .

سهل التستري

أحد أئمة القوم ، ومن أ كابر علمائهم المتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وغيوب الأفعال . لقي ذا التون المصرى وهو خارج إلى مكة . حدد معالم السلوك في أقوال كثيرة أثرت عنه . منها : « الفتنة على ثلاثه أقسام ، فتنة العامة دخلت عليهم من صناعة العلم . وفتنة الخاصة دخلت عليهم من الرخص والتأريلات ، وفتنة العارفين دخلت عليهم من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر ، : ومنها « أيس العلماء في زماننا هذا من هذه الثلاث خصال : ملازمة التوبة ، ومتابعة السنة ، وترك أذى الخلق ، ويقول : « ما عمل عبد بما أمره الله تعالى عند فساد الأمور وتشويش الزمان ، واختلاف الناس في رأى إلا جعله الله إما ما يقتدى به ، هاديا مهديا ، وكان غريبا في زمانه » . وقال : « مادامت النفس تطلبكم بالمعصية فأدبوها بالجوع والعطش ، فإذا لم ترد منكم المعصية فأطعموها ماشاءت وأتركوها تنام من الليل ما أرادت .

يحيى بن معاذ الرازى

كان وحيد وقته في زمانه . تحدث في الرجاء والمعرفة ، وأقام في بلخ ، ثم عاد إلى نيسابور ، ومات بها عام ٢٥٠ هـ . كان يقول : « على قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق » . ويقول : الجوع نور والشبع نار والشهوة الخطب يتولد منه الإحراق فلا تنطفئ ناره حتى يحرق صاحبه » . ويقول : « الولي لا يرأى ولا يناق ، وما أقل صديقا هذا خلقه » . ويقول : « العامة يحتاجون إلى أهل العلم في الجنة كما في الدنيا . ففيل له : كيف ؟ . فقال : يقال للعامة في الجنة تمنوا ، فلا يدرون ما يقولون ، فيقولون : نرجع لأهل العلم فنسألهم ، فيكون ذلك تمام مكربة لأهل العلم » . وكان من دعائه : « إلهى ، لا أقوى على شروط التوبة فاغفر لى بلا توبة » .

أبو تراب النخشي

صحب حاتم الأصم ، وأباحاتم العطار . وهو من كبار مشايخ خراسان المشهورين بالعلم والفتوة والزهد والتوكل والورع . مات بالبادية عام ٢٤٥ هـ . فنهشته السباع . كان يقول : « من شغل مشغولا بالله أدركه المقت من ساعته » . ويقول : « : لقيت رجلا بالبادية ، فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا الخضر ، الموكل بأولياء ، أردت قلوبهم إذا شردت عن الله ، يا أبا تراب . التلف في أول قدم ، والنجاة في آخر قدم » .

أبو محمد بن حنيف

صحب يوسف بن أسباط . وهو من كبار الزهاد والأكياس الورعين كوفي الأصل ، وطريقه في التصوف طريق سفيان الثوري ، إذ أنه صحب أصحابه . كان يقول : « إذا دنا القاريء من المعصية ناداه القرآن من صدره والله ما لهذا حملتي ، فلو أنه سمع ذلك الصوت لمات حياء من الله » .

أبو حمزة الخراساني

أصله من نيسابور . صحب مشايخ بغداد ، وكان من أقران الجنيد . وسافر مع أبي تراب النخشي وأبي سعيد الخراز ، وكان ذا دين وورع . وكان الإمام أحمد يستفيد منه في بعض المسائل . وكان منيبا إلى ربه كثير التوبة والعبادة رضي الله عنه .

أبو محمد المرتعش

كانوا يقولون : عجائب بغداد في التصوف ثلاثة : الشبلي في الإشارات والمرتعش في المكاشفات ، وجعفر الخلدي في الحكايات . كان مقبلا بمسجد الشونيزي ومات ببغداد عام ٣٢٨ هـ . كان يقول : « سكون القلب إلى غير الله عقوبة عجلها الله للعبد في الدنيا » . ويقول : « ذهب حقائق الأشياء ، وبقيت أسماؤها ، فالأسماء موجودة ، والحقائق مفقودة ،

والدعاوى فى السرائر مكنونة ، والألسنة بها فصيحة ، وعن قريب تفقد هذه الألسن وهذه الدعاوى فلا يوجد لسان ناطق ، ولا مدع صائب . .
اعتكف مرة فى العشر الأواخر من رمضان . فرأى المتعبدين يتعبدون والقراء يقرأون فقطع الاعتكاف وخرج ، فسئل عن ذلك فقال : لما رأيت تعظيمهم لطاعتهم واعتمادهم على عبادتهم لم يسغى إلا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم .

الحسين بن منصور الحلاج

يسكنى : أبا مغيث . صاحب الجنيد ، والثورى ، وعمرو بن عثمان وغيرهم . والمشايخ فى أمره مختلفون . رده كثيرون وأبوا أن يعترفوا بقدمه فى التصوف ، وقبله آخرون منهم أبو العباس بن عطاء ، ومحمد بن حنيفة وأبو القاسم النصراباذى ، وكان ابن حنيفة يقول : الحلاج عالم ربانى . قتل بباب الطاق يوم الثلاثاء فى آخر ذى القعدة ، عام ٣٠٩ . قال ابن خلكان : لم يثبت عليه ما يوجب القتل . وزكاه أبو القاسم القشيري وذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة . ومن كلامه : « علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة ، وكان يقول : « ما انفصلت عنه ولا اتصلت به . . . ويقول : « المحقق الحق لا يأكل وفى البلد من هو أحق منه بذلك الأكل ، . خرج إلى الموت يتبختر فى قيده ويقول :

ندبى غير ملسوب	إلى شئ من الحيف
سقانى مثل ما يشرب	كفعل الضيف للضيف
فلما دارت الكاسات	دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح	مع التنين فى الصيف

أبو الخير الأقطع

أصله من المغرب وكان من أهل الكرامات . صاحب أبا عبد الله . بن الجلاء وغيره ، كان وحيدا فى التوكل ، وروى أن السباع كانت تأنس

به . وكانت له فراسة حادة . مات بمصر عام نيف وأربعين وثلاثمائة ودفن بجانب الديلمية بالقرافة الصغرى . كتب إلى جعفر الخلدی : « قد جهل الفقراء عليكم في هذا الزمان وأصل ذلك منكم ، لأنكم تصدرتم للمشيمة قبل التمام فاشتغلتم بتأديب نفوسكم عن تأديبهم » . ويقول : « إياك أن تطلب من الله أن يصبرك ، ولكن اطلب منه أن يلفظ بك فهو أولى ؛ لأن تجرع مرارات الصبر شديدة على أمثالنا .

اسحاق النهرجورى

يسكنى : أبا يعقوب . صاحب الجنيد ، وعمرو بن عثمان المسكى ، وأبا يعقوب السوسى ، توفى عام ٣٣٠ هـ . كان يقول فى معنى قولهم : « احترسوا من الناس بسوء الظن » أى سوء الظن بأنفسكم لا بالناس . ويقول : « أعرف الناس بالله أشدهم فيه تحيرا » . سئل عن التصوف فقال : « آه . آه . تلك أمة قد خلت . ثم قال للسائل : يا أخى زفرات القلوب بودائع الحضور ، من حيث خاطبها الحق وهى فى صورة الذرة فأخبر عنها بقوله : ألسن بربكم قالوا بلى . وكان يقول : ما رأته العيون ينسب إلى العلم ، وما رأته القلوب ينسب إلى اليقين ، . وسئل عن الطريق إلى الله فقال : « اجتنب الجهلاء ، واصحب العلماء ، واستعمل العلم ، وداوم على الذكر وأنت لآذن من أهل الطريق » .

على بن محمد المزين

صاحب سهل بن عید الله ، والجنيد ، ومن فى طبقتيهما من البغداديين . أقام مجاورا بمكة ، ومات بها . عام ٣٢٨ هـ : كان من أروع المشايخ وأحسنهم حالا . سئل عن التوحيد فقال : « أن توحيد الله بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة وتوحده بالرجوع إليه فى كل مالك وعليك ، وتعلم أن ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه فأنه بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه سبحانه وتعالى مباينة لأوصاف خلقه ، باينهم بصفاته قدما ، كما باينوه بصفاتهم

حدثنا . وكان يقول : « المعجب بعمله مستدرج ، والمستحسن لأحواله .
السيدة مذكور به ، ومن ظن أنه موصول فهو مغرور . وأحسن العبيد
حالا من كان مجهولا في أحواله لا يشاهد غير واحد ، ولا يستأنس إلا به ،
ولا يشتاق إلا إليه . »

أبو على الكاتب

من كبار مشايخ مصر . صاحب أبا بكر المصري ، وأبا على الروذباري
وغيرهما ، قال فيه أبو عثمان المغربي : « أبو على الكاتب من السالكين » .
كان يقول : « المهزلة نزها الله من حيث العقل فأخطأوا ، والصوفية
نزهوة من حيث العلم فأصابوا » . ويقول : « روائح نسيم المحبة تفوح من
الحيين وإن كتموها ، وتظهر عليهم وإن أخفوها ، وتدل عليهم وإن
ستروها » . ويقول : « الهمة مقدمة الأشياء فمن صحت همته أتت عليه
توابه على الصدق والصحة ، فإن الفروع تتبع الأصول ، ومن أهمل همته
أتت توابه مهملة ، والمهمل من الأحوال والأفعال لا يصلح لبساط الحق » .
ويقول : « يرزق العبد حلاوة الذكر فإن شكره وفرح به آنسه بقره ،
وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته » .

مظفر القرميسيني

من كبار مشايخ الجبل ، ومن الفقراء الصادقين . صاحب عبد الله الخراز
ومن فوقه ، وكان واحدا في طريقته . كان يقول : « الصوم على ثلاثة أوجه
صوم الروح بقصر الأمل ، وصوم العقل بخلاف الهوى ، وصوم النفس
بالإمساك عن الطعام والشراب والمحرمات » . ويقول : « خير الأرزاق
ما فتح الله لك به من وجه حلال ، بلا طلب ولا سعي » . ويقول : « الفقير
هو الذي لا تكون له إلى الله حاجة » . ويقول : « من لم يأخذ الآداب
عن حكيم لا يتأدب به مريد » .

إبراهيم بن شيبان القرميسيني

كان شيخ وقته . عظيماً في مقامات الورع والتقوى . صحب أبا عبد الله المغربي ، وإبراهيم الخواص ، وكان شديداً على المدعين . قال فيه إبراهيم بن منازل : « إبراهيم بن شيبان حجة الله على الفقراء وأهل الأدب في المعاملات » . وكان يقول : « علم البقاء والفناء يدور على الإخلاص للوحدانية ، وصحة طريق العبودية ، وما كان غيرهما فهو المغاليط والزندقة » . ويقول : « سفلة الناس من يخطر بقلبه العطاء على وجه المنّة به » . ويقول : « من تكلم على الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك السر » .

محمد بن أحمد بن سالم البصري

صاحب سهل التستري ، وراوى كلامه ، لا يلتمى إلى غيره . وطريقته طريقة أستاذه . وله بالبصرة أصحاب يلتمون إليه . كان يقول : « من أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بأى حال ، إلا على وجه المعاونة ، دون الاعتماد عليه ، فإن التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتكسب سئلته ، ومن ضعف عن حال التوكل فليتكسب لئلا يسقط عن درجة سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما سقط عن درجة حاله » . قيل له : بهم تعرف الأولياء ؟ قال : بلطف لسانهم ، وقبول عذر من اعتذر إليهم ، وكمال الشفقة على جميع الخلق برهم وفاجرهم . وقال : « من أراد أن عورته تستر ولا تهتك فلينعهم على من جنى عليه ، وليتكرم على الناس بما في يده » .

جعفر الخواص الخلای

بغدادى المولود والمنشأ ، صحب الجنيد وإليه كان ينتسب ، وصحب الثورى وروى عنه البغدادى ، وميمونا ، والجريرى . كان المرجع إليه في كتب القوم وحكاياتهم وسيرهم ، حتى قال يوما : « عندي مائة ونيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية » . وضع أسئلة قال عنها الشيخ محي الدين

بن عربي : لا يعرف جوابها إلا الختم . وعده القشيري بمن عليه مدار الطريق حج ستين حجة ، ومات ببغداد عام ٣٤٨ هـ . وقبره بالتونينية ، بجوار قبر السري السقطي والجنيد . كان يقول : « سعي الأحرار في الدنيا يكون لإخوانهم لا لأنفسهم » . . ويقول : « إذا رأيت الفقير يأكل فاعلم أنه لا يخلو من إحدى ثلاث ، لوقت قدمضي عليه ، أو لوقت يريد أن يستقبله أو للوقت الذي هو فيه » .

أبو سليمان الداراني

عرب من بني عبس ، نشأ بقرية « داريا » من قرى دمشق . وكان كبير الشأن في علوم الحقائق والورع . مات عام ٢١٠ هـ . كان يقول لمريديه : « لا ينبغي لفقير أن يزيد في نظافة ثيابه على نظافة قلبه ، بل يشاكل ظاهره باطنه » . ويقول : « الدنيا تهرب من طالبها ، وتطلب الهارب منها ، فإن أدركت الهارب منها صرخته ، وإن أدركها الطالب لها قتلته » . ويقول : « إنما يعجب بعمله القدريّة الذين يزعمون أنهم يعملون أعمالهم . أما الذي يرى أنه مستعمل فبأي شيء يعجب » . وكان يقول : « إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فعليك بالجوع ثم أسألك » .

ممشاد الدينوري

كان عظيم الحال ظاهر الفتوة . صاحب ابن الجلاء ومن فوّه من المشايخ كان يقول : « من يكن الله همته لم تستطعه الأقدار . ولم تملكه الأخطار » . ويقول : « ما دخلت على فقير قط إلا وأنا خال من جميع الدسب والعلوم والمعارف . أنتظر بركات ما يرد على من رؤيته أو كلامه . وذلك لأن من دخل على شيخ يحظ أنقطع بحظه عن بركات رؤيته وبحج المسته وأدبه وكلامه وقال : رأيت في بعض سياحتي شيخاً توسمت فيه الخير : فقلت له : عظمى بكلمة ، فقال : همته أحفظها فإن الهمة مقدمة الأشياء ، فمن صالحت همته وصدق فيها صلح له ما وراء ذلك من الأعمال والأحوال » .

أحمد بن عاصم الأنطاكي

من أقران بشر الحافي والسري السقطي والحارث المحاسبي . وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته . قال : « ما كنت أظن أني أدرك زمانا يعود الإسلام فيه غريبا . ترغب إلى عالم فتجده مفتونا بالدنيا ، يحب الرياسة والتعظيم ، ويأكل الدنيا بعلبه ، ويقول : أنا أولى بها من غيري . وإن ترغب إلى عابد تجده مفتونا جاهلا في عبادته مخدوعا لنفسه صعد إلى أعلا درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف بأعلاها فقد صارت العلماء والعباد سباعا ضارية ، وذئابا مختلصة » .

حدون القصار

شيخ الملامية في نيسابور ، ومنه انتشر المذهب . صاحب أبا تراب . النخشي والنصر اباذي . وكان فقيها يذهب مذهب الثوري . وطريقته لم يأخذها أحد من أصحابه كأخذ محمد بن منازل . مات عام ٢٧١ هـ . في نيسابور . كان يقول : « من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر » . وقيل له : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : « لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن . ونحن تسكلم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ، واعتقاد الخلاق » . ويقول : « جمال الفقير في تواضعه ، فاذا تكبر فقد زاد على الأغنياء في كبره » .

أحمد بن يحيى الجلاء

وقيل اسمه محمد . بغدادى الأصل . أقام بالرملة ودمشق . صاحب ذالنون المصري وأبا عبد الله البسري . وهو أستاذ محمد بن داود الرقي . كان يقول : « من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد . ومن حافظ على الفرائض في أول وقتها فهو عابد . ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد » . ويقول : « من علت همته على الآكوان وصل إلى مكنونها . ومن وقف نفسه على شيء سوى الحق فإنه الحق . لأنه أعز من أن يرضى معه شريكا » .

. أبو عبد الله البصري

من قدماء المشايخ الأجلاء . صحب أبا تراب النخشي . كان يقول :
« لا تدخل الغفلة إلا من الأمن . ولا يوجد المزيد إلا من الحذر . حذر
أقوام فسلخوا وأمن أقوام فعطبوا وكان يرى أن ذكر الله باللسان دون
القلب من الرياء . »

يوسف بن الحسين الرازي

شيخ الري والجبل في وقته . كان عالماً أديباً وطريقته مبنية على إسقاط
الجاه ، وترك التصنع ، واستعمال الإخلاص . صحب ذالنون المصري
وأبا تراب النخشي . مات عام ٣٣٤ هـ . كان يقول : « أرغب الناس في
الدنيا أكثرهم ذماً لها عند أبنائها . لأن مذمتهم لها عندهم حرفة وما أقبحها
حرفة . يزهدهم فيها ثم يأخذها منهم في المجلس . » ويقول : « إذا رأيت
المريد يشتغل بالرخص وفواضل العلم ، فاعلم أنه لا يحجى منه شيء . »
وكان إذا سمع القرآن لم تقطر له دعة . وإذا سمع شعراً قامت قيامته ثم
التفت إلى الحاضرين وقال : أتلومون أهل الري في قولهم : يوسف بن الحسين
زنديق ؟ هم معذورون

أحمد بن مسروق

من أفضل أهل طوس . سكن بغداد ومات بها عام ٢٩٩ هـ . صحب
الحارث المحاسبي ، والسري السقطي وغيرهما . كان يقول : « المؤمن يقوى
بذكر الله ، كما حدث لسيدتنا فاطمة الزهراء . حينما طلبت من النبي صلى
الله عليه وسلم غلاماً يخدمها فدلها على التسييح والتحميد والتهليل والتكبير
وقال : هن لك أحسن من خادم . وأما المنافق فلا يتقوى إلا بالطعام
والشراب . » وكان دائماً يأمر تلاميذه بالجوع ويقول لهم كنت أول أمرى
ألبس المسوح والليف وكانت رؤية شيوخى هي زادى من الجمعة إلى الجمعة .
(م - ٦ ملاحق روضة التعريف)

أحمد بن عطاء الأدمي

كان من ظراف المشايخ . له فهم خاص في القرآن . صحب الجنيد وإبراهيم المارستاني ، وكان أبو سعيد الخراز يقول : « التصوف خلق ، وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء » . مات عام ٣١١ هـ . سئل عن معنى الطهارة فقال : « الطهارة بالنفوس ، والصلاة بالقلوب ، بغسل الوجه يعرض عن الدنيا . وبغسل يديه يكفي الخلق يمنة ويسرة . وبمسح الرأس يبرأ عن نفسه . وبغسل القدمين يقوم لمناجاة ربه . فإذا كبر للصلاة خرج من جميع كليته لتصح له مناجاة ربه » . وكان يقول : « ابتلى الخلق بالفراق لتلا يكون لأحد مع غير الله سكون » .

إبراهيم الخواص

من أعظماء رجال التوكل . ومن أقران الجنيد والثوري . وله في الرياضات والسياحات مقام عظيم . مات عام ٢٩٠ هـ . كان يقول : « من دواعي المقت ذم الدنيا في العلانية واعتناقها في السر » . ويقول : « يجب على المريد الاجتماع بمن يكشف له عن عيوبه ، ويدله على مواضع الزيادة ويكون نظره إليه قوة على تهيج حاله » . وكان إذا دعى إلى وليمة فرأى فيها خبزاً يابساً أمسك يده ولم يأكل ، ويقول : هذا خبز قد منع حق الله تعالى منه إذ بييت ولم يخرج من يومه » .

أبو بكر الواسطي

أصله من فرغانة . ومن قدماء أصحاب الجنيد والثوري . لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثله . وكان عالماً بأصول الدين ، دخل خراسان واستوطن بها . كان يقول : « إذا كره في ذكره أشد غفلة من الناس لذكره ، لأن ذكره سواه » . ويقول : « التقوى أن يتقى العبد من تقواه ، ثم يتقى من رؤية تقواه » . ويقول : « إذا ظهر الحق على السرائر لم يبق فيها فضله خوف ولا رجاء » . ويقول : « احذروا لذة العطاء فإنها غطاء لأهل الصفاء » . ويقول :

عن الصوفية : « كان للقوم إشارات ثم صارت حرركات ، ثم لم يبق إلا حركات » . ويقول : « من عرف الله انقطع ، بل خرس وانقمع ، ولا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله ، أو افتقار إليه » .

أبو حمزة البغدادي

صاحب سرياء السقطي ، والمسوحى . كان فقيها عالما بالقرآن . وكان يتكلم بمسجد الرصافة ببغداد قبل أن يتكلم في مسجد المدينة . تكلم يوما في مسجد المدينة فتغير عليه حاله ، وسقط عن كرسيه ومات في الجمعة الثانية . كان الإمام أحمد بن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم يقول لأبي حمزة : ما تقول في هذا يا صوفي ؟ . ودخل البصرة وصحب بشرا الحافي ومات عام ٢٨٩ هـ . كان يقول : « إذا فتح الله لك طريقا من الخير فالزمه وإياك أن تنظر إليه أو تفتخر به . واشتغل بشكر من وفقك لذلك ، فإن نظرك إليه يسقطك من مقامك ، واشتغالك بالشكر يوجب لك فيه المزيد : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

أبو بكر الترمذي

من أجل مشايخ خراسان وأطهرهم خلقا وأحسنهم سياسة . وله أصحاب ينتمون إليه . كان يقول : « إذا مكثت الأنوار في السر نطقت الجوارح بالبر » . ويقول : « إنكار الآيات للأولياء في قلوب الجهال من ضيق صدورهم عن المصادر وبعد علومهم عن موارد الحكمة والقدرة » . ويقول : « ما استصغرت أحدا من المسلمين إلا وجدت نقصا في إيماني ومعرفتي » . ويقول : « ما منع القوم من الوصول إلا الاستدلال بغير الدليل ، والركض في الطريق على حد الشهوة . وأكل الحرام والشبهات » . ويقول : « الولي دائما في ستر حاله . والكون كله ناطق عن ولايته والمدعي ناطق بولايته والكون كله ينكر عليه » ،

أبو الحسن بن الصائغ الدينورى

من كبار القوم . أقام بمصر . ومات بها عام ٣٣٠ هـ . كان كبير الهمة مهيباً بين الخلق . كان يقول : « من تعرض لمحبة الله تعالى جاءته المحن والبلايا والآفات من سائر الأقطار » . ويقول : « محبتك لنفسك هي التي تهلكها » . ويقول : « أترك الدنيا مرتين . مرة بتركها بنضارتها ونعيمها ثم إذا عرف العبد بتركها وبجل وأكرم لذلك ينبغي له أن يقبل على أهلها سترًا لحاله . ثلاثا يكون تركه للدنيا أعظم من الإقبال عليها » .

أبو بكر الدينورى

أقام بدمشق ، وهو من أقران أبي على الروذبارى ، عمر أكثر من مائة سنة ، كان ينتمى إلى ابن الجلاء ، وصحب الرقاق ، وأبا بكر المصرى . سئل عن الفرق بين الفقر والتصوف ، فقال : « الفقر حال من أحوال التصوف ؟ فقيل له : ما علامة التصوف ؟ قال : « أن يكون المرء مشغولاً بما هو أولى في كل وقت ، وقال : « إذا انحط الفقراء عن حقيقة العلم إلى ظاهر العلم أساءوا الأدب مع الله بخلاف غيرهم » .

أبو الحسن البوسنجى

كان أوحديتان خراسان . لقي أبا عثمان ، وصحب بالعراق ابن عطاء والجريرى ، وبالشام طاهر المقدسى ، وأبا عمرو الدمشقى ، وتكلم مع الشبلى ، وهو علامة وقته فى التوحيد والمعاملات . ومن أحسنهم كلاماً فى الفتوة والتجريد . توفى عام ٣٤٨ هـ . سئل عن التصوف فقال : « هو اليوم اسم لا حقيقة ، وقد كان حقيقة ولا اسم » . وكان يقول : « من كان باطنه أفضل من ظاهره فهو الولى ، ومن استوى ظاهره وباطنه فهو العالم ، ومن كان ظاهره أفضل من باطنه فهو الجاهل ، ولذلك لا ينصف من نفسه ، ويطلب الإنصاف من غيره » .

أبو الحسين بن بندار

سكن أذربيجان ، وكان عالماً بالأصول ، وله لسان مشهور في علم الحقائق ، وكان الشبلي يعظمه ، مات عام ٣٥٣ هـ . سئل عن الفرق بين الصوفية والمتصوفة ، فقال : « الصوفي من اختاره الله لنفسه ، فصافاه من غير تكلف ، والمتصوف هو المتكلف بنفسه ، المظهر لزهده . مع كون رغبته في الدنيا .. وكان يقول : « من أقبل على الآخرة وركن إليها أحرقتة بنورها وصار سيكة ذهب ينتفع به ، ومن أقبل على الله أحرقتة بنور التوحيد ، فصار جوهر الأقيمة له . » وسئل ، ما هي الدنيا ؟ فقال : « هي ما دنا من القلب ، وشغل عن الحق ، . »

الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي

أجمع المحققون على جلالاته في سائر العلوم ، وعلى تسميته بالشيخ الأكبر ، وتشهد كتبه على ذلك ، وقد أنكر عليه قوم لدقة كلامه ، وحظر الشيوخ قراءة كتبه من غير سلوك طريق الرياضة . كان كاتب إنشاء بديوان ملك المغرب ، ثم تعبد وتزهد وساح ، ودخل مصر والشام والحجاز وبلاد الروم ، وله في كل بلد دخلها مؤلفات ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ينسكرك عليه في مصر ، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي وعرف أحوال القوم كان يترجمه بالولاية الكبرى والقطبية والعرفان ، وترجمه ابن أسعد الباقى بالعرفان والولاية ، ولقبه أبو مدين شعيب بسلطان العارفين . ألف نحو أربعمائة كتاب . طبع منها الفتوحات المكية والفصوص والرسائل وغيرها . وقد أفرده كثير من المفكرين بالتأليف في الشرق والغرب . وقد حققناه كتاب « العبادلة » وفي صدد إخراجة .

داود الطائي

كان عظيم الشأن في الزهد والورع ، دخلوا عليه في مرض موته فوجدوا عتاع بيته دنا صغيراً فيه خبز يابس ، ومطهرة ، ولبنة هي وسادته . وكا

يؤكد طريقة على أصحابه فيقول لهم : « إياكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب إلى البلاد البعيدة » . مكث أربعة وستين سنة أعزب فقيل له : كيف صبرت عن النساء ؟ فقال : « قاسيت شهوتن عند إدراكي سنة ، ثم ذهبت شهوتن من قلبي » . وكان لا يسأل الجنة حياة من الله ، ويقول : « وددت أن أنجو من النار فأصير رمادا » . ويقول : « لقد مللنا الحياة لكثرة ما نفعل من الذنوب » .

محمد بن اسماعيل المغربي

كان أستاذ إبراهيم الخواص ، وإبراهيم بن شيبان . صحب على بن رزين وعاش مائة وعشرين سنة . ودفن مع أستاذه ابن رزين على جبل الطور . عام ٢٧٠ هـ . كان زاهدا شديدا مسلكت . إذ كان يأكل أصول الحشائش دون ما تصل إليه أيدي بني آدم . كان يمجّد عمل أهل التجريد فيقول : « الفقير المجرد من الدنيا إن لم يعمل شيئا من أعمال الفضائل أفضل من هؤلاء المتعبدن ومعهم الدنيا . بل ذرة من أعمال الفقير المجرد أفضل من أعمال أهل الدنيا . وكان يعتقد الخمول فيقول : « لله عباد أسبغ عليهم باطن العلم وظاهره ، وأخل ذكركم فلا يعدون قط مع العلماء . أولئك لهم الآمن وهم مهتدون » .

أبو الحسن بنان الجمال

أصله من واسط ، ثم سكن مصر ومات بها . قال الشعراني : دفن بالقراة ، بالقرب من الجبل ، تجاه جامع محمود عام ٣١٦ هـ . صحب الجنيد وهو أستاذ الثوري . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا بنان . قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : من أكل بشره نفس أعمى الله عين قلبه ، فانتبهت وعقدت عهدا ألا أشبع بعدها أبدا ، وكنت قد أكلت في تلك الليلة رغيفين وطبقا من العدس . وقال : اجتمعت بأبي جعفر الحساد الفرجي بمصر ، فقلت له : اختصر لي من العلم كلمة

انتفع بها ، فقال : « عليك بأخذ الأقل من الدنيا ، وارض فيها بالذل »
فقلت : حسبي حسبي .

على بن سهل الأصفهاني

من قدماء مشايخ أصفهان . كان يرأسل الجنيد ، لقي أبا تراب النخشي
وكان إذا بلغه أن أحدا من المسلمين عليه دين ، يرسل فيوفى عنه الدين
بغير عليه ، فيأتي صاحب الدين فيقول له : قد وفى الله عنك ، ولم يعلم أحد
بذلك إلا بعد موته . وكان يقول . « الناس من وقت آدم إلى الآن يقولون :
القلب ، القلب . وأنا أريد رجلا يصف لي أى شيء هو القلب فلا أرى ،
وكان يقول : لما استولى على الشوق في بدايتي ألهماني ذلك عن الأكل
والشرب والنوم .

أبو بكر الطمستاني

روى المؤرخون أنه كان منفردا بحاله لا يشاركه فيه أحد . صحب
ابراهيم الخواص وغيره من مشايخ الفرس ، ورد نيسابور ، ومات بها عام
٣٤٠ هـ . كان يقول : « خير الناس من رأى الحق في غيره ، وعلم أن السيل
إلى الله غير السيل الذي هو عليه ولو ارتفع في المرتبة ، وذلك ليرى تقصير
نفسه عما كلف به . » ويقول : « اليقظة لأهل اليقظة لعارة الآخرة ،
والغفلة لأهل الغفلة لعارة الدنيا . » ويقول : « النفس كالنار إذا أطفئت
في موضع تأججت في موضع ، كذلك النفس إذا هدمت من جانب تأثرت
من جانب آخر ، .

أبو العباس الدينوري

صحاب يوسف بن الحسين ، وعبد الله الخراز ، وأبا محمد الجريري ،
وابن عطاء ، ورويعا . دخل نيسابور وأقام بها مدة ، وكان يعظ الناس ،
ويتكلم بلسان المعرفة ، ثم رحل إلى سمرقند ، ومات بها . كان يقول :

« العلماء متفاوتون ، فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله ، فشاهدوا الأشياء من حيث الأشياء ، ثم رجعوا عنها إلى الله ، وقوم رجعوا من الله إلى الأشياء من غير غيبتهم عنه ، فلم يروا شيئاً إلا رأوا الحق قبله ، وقوم بقوا مع الأشياء لأنهم لم يكن لهم طريق منهم إلى الله . » وكان يقول عن أهل زمانه : « نقضوا أركان التصوف ، وهدموا سبيلها ، وغيروا معالمها بأسماء أحدثوها ، سمو الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصاً ، والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة ، واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولا ، وسوء الخلق صولة ، والبخل حلاوة ، والسؤال عملا ، وبذاءة اللسان سلامة ، وما كان هذا طريق القوم ، إنما درجوا على الحياء والأدب والزهد في الخطوط . »

سعيد بن سلام المغربي

يكنى : أبا عثمان ، من قرية « كوكب » بالقيراون ، أقام بمكة زمنا ، وشيخه أبو علي بن السكاكيب . صحب حبيبا المصري ، وأبا عمر الزجاجي ولقى النهرجوري ، وغيره . كان يقول : « العاصي خير من المدعي ، لأن العاصي يطلب طريق التوبة ، والمدعي يتخبط في خيال دعواه . » وكان يقول في معنى حديث : « أكثر أهل الجنة البله » : « الأبله في دنياه ، الفقيه في دينه . » ويقول : من آثر صحبة الأغنياء على الفقراء ابتلاه الله بموت القلب . ويقول : « من لم يسمع من نهيق الحمار مثل ما يسمع من صوت العود فهو كذاب . »

أبو القاسم النصراباذي

شيخ خراسان في وقته . نيسابوري الأصل والمنشأ . كان مرجعا في حفظ السنن وجمعها ، والتاريخ ، والحقائق ، صحب الشبلي والمرعشي والروذباري وغيرهم ، كتب الحديث ورواه ، وكان ثقة ، كان يقول : إذا بدا لك شيء من بوادي الحق ، فلا تلتفت معه إلى جنسة ولا ناز ، ولا

تخطر هما بقلبك ، فإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظم الله ، . وقيل له :
إن بعض الناس يجالس النسوان ، وأنا معصوم في رؤيتهن ، فقال . « مادامت
الاشباح قائمة فالأمر والنهي قائمين ، . وكان يقول : « نهايات الأولياء
بدايات الأنبياء ، . ويقول : « الزاهد غريب في الدنيا ، والعارف غريب
في الآخرة ، .

أبو الحسن الحصري

سكن بغداد ، ومات بها عام ٣٧١ هـ . وكان شيخ العراق في وقته ،
كان شيخا في التوحيد والتجريد والتفريد ، كان يقول : « عرضوا ولا
تصرحوا ، فالتعريض أستر ، . صاحب الشبلى ، وإليه كان يلتمى . وهو
أستاذ العراقيين . وبه تأدب كثير من الشيوخ رضى الله عنه ،

أبو الحسن بن بندار الصوفي

من عظماء مشايخ نيسابور ومقدميهم ، كتب الحديث الكثير ، وكان
ثقة . وكان يقول لمن يدخل بلده ، ويبدأ بالمحدثين والعلماء قبله : « شغلتك
السنة عن الفريضة لأن الصوفية ينظفون محل العلم من قلبك ، ليصلح
قلبك لإقامة العلم فيه ، . وكان ذا حال عظيم في الأدب ، فإذا لقي
أحدًا من لقي من المشايخ من لم يلقه هو يقبل يده ، ولا يمشی إلا وراءه ،
ويقول : « إنك لقيت فلانا ولم ألقه ، .

عبد القادر الجيلاني

حسنى السبب ، وقد أفرد العلماء بالتأليف ، وهو من الأربعة
المؤسسين للطريق . تجرد زمانا ولكنه كان في آخر أمره يتطيلس ويلبس
لباس العلماء ، ويركب البغلة ، ويتكلم على كرسي عال ، ويروى أنه كان
يخطر خطوات في الهواء على رموس الناس ثم يرجع إلى كرسيه . سئل عن
صفة الواردات الإلهية والطوارق الشيطانية ، فقال : « الوارد الإلهي لا يأتي

باستدعاء ، ولا يذهب بسبب ، ولا يأتي على نمط واحد ، ولا في وقت مخصوص ، والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالبا . وسئل عن الهمة فقال « هي أن يتعري العبد بنفسه عن حب الدنيا ، وبروحه عن التعلق بالعقبى ، وبقلبه عن إرادته مع مولاه ، ويتجرد بصره عن أن يلمح الكون ، أو يخطر على سره . أقام في صحراء العراق وخرائبها خمسا وعشرين سنة مجردا سائحا لا يعرف الخلق ، ولا يعرفونه ، وقال عن نفسه في تلك الفترة : كانت تأتيني طوائف من رجال الغيب والجن أعلمهم الطريق . وهو أشهر من التعريف به رضى الله عنه وطريقته « القادرية » مشهورة بالمغرب وغيره من الأقطار .

أبو العباس الرفاعي

هو سيدى أحمد الرفاعى شيخ الرفاعية . سكن « أم عبيدة » بأرض البطائح إلى أن توفي بها ، وانتهت إليه الرئاسة في علوم القوم وشرح أحوال القوم ، وكشف مشكلات منازلهم . وتلمذ له خلق لا يحصون . قال عن نفسه : لما مررت وأنا صغير على العارف عبد الملك الخرنوقى أوصانى وقال : يا أحمد « احفظ ما أقول لك ، ملتفت لا يضل ، ومتسلل لا يفلح ، ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان » فخرجت من عنده وجعلت أكررها سنة ، ثم رجعت إليه ، وقلت : أوصنى ، فقال : « ما أتبع الجهل بالآباء ، والعلة بالأطباء والجفاء بالآحباء » . فجعلت أكررها سنة وانتفعت بموعظته . قال خادمه يعقوب : نظر سيدى أحمد إلى النخلة ثم قال : يا يعقوب ، أنظر إلى النخلة لما رفعت رأسها جعل الله حملها عليها ولو حملت مهما حملت ، وانظر إلى شجرة اليقطين لما وضعت نفسها ، وألقت خدها على الأرض جعل الله ثقل حملها على غيرها ، ولو حملت ما حملت لاتحس به ، وكان يقول : « طريقنا مبنية على ثلاثة أشياء : لا نسأل ، ولا نرد ، ولا ندخر » . كان يخرج إلى الطريق يتلقى العميان ليرشدهم إلى الطريق وإذا سمع بشيخ كبير يذهب إلى جيرانه ويوصيهم به خيرا . وإذا قدم من

سفر وقرب من أم عبيدة يشد وسطه ، ويجمع خطبا ويحمله على رأسه ،
 فيفعل أصحابه كلهم هكذا ، فإذا دخل فرق الخطب على الفقراء والزمنى
 والآرامل والمساكين . أفسد المحدثون جوهر طريقه الصافي بما أحدثوه
 من تهريج .

أبو مدين المغربي

اسمه : شعيب ، وهو من أعيان شيوخ المغرب ، وولده مدين هو المدفون
 بجامع الدشطوطى فى مصر كما يروى الشعرائى ، أما هو فدفن بتلسان فى
 جبانة العباداة . وكان سبب دخوله تلسان أن أمير المؤمنين لما بلغه خبره ،
 أمر بإحضاره من بجاية ليتبرك به . فلما وصل إلى تلسان قال : مالنا
 وللسلطان ، الليلة نزر الإخوان . ثم نزل وتوضأ واستقبل القبلة وقال :
 ها قد جئت وعجلت إليك رب لترضى ، ففاضت روحه . أجمع المشايخ
 على تعظيمه ، وكان ظريفا جميلا متواضعا زاهدا محققا . ومن كلامه :
 « ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها » . و :
 « ما وصل إلى صريح الحرية من بقى عليه من نفسه بقية » . و : « من عرف
 أحدا لم يعرف الآخر ، والحق ما بان عنه أحد » .

الحسن البصرى

كان من أهل مقام الخوف ، وهو أشهر من التعريف . من أقواله قوله
 « ذهبت المعارف وبقيت المناكر ، وقوله : « شر الناس للميت أهله ، يكون
 عليه » ولا يهون عليهم قضاء دينه » وقوله : « لا تشتروا مودة ألف رجل
 بعبادة رجل واحد ، قيل له مرة : إن الفقهاء يقولون كذا . فقال : وهل
 رأيتم فقيها قط ، إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، البصير بذنبه ، المداوم على
 عبادة ربه » . وقال : « إذا أردت عداوة رجل فانظر فإن كان مطيعا فأياك
 وإياه ، فإن الله لا يسلبه إليك أبدا وإن كان عاصيا فقد كفيت مؤنته ، فلا
 تتعب نفسك بعبادته » . وقال : « ما رأيت أحدا طلب الدنيا فأدرك بها
 الآخرة أبدا » .

أبو بكر الوراق

أصله من ترمذة ، وأقام يبلخ ، له تصانيف مشهورة في المعاملات والرياضات ، قال : « لو قيل للطمع : من أبوك ؟ لقال : الشك في المقدور . ولو قيل له : ما حرفتك ؟ لقال اكتساب الذل . ولو قيل له : ما غايتك ؟ لقال : الحرمان ، وقال : « الناس ثلاثة : العلماء والفقراء والأمراء . فإذا فسد الأمراء فسد المعاش ، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق ، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات » . وقال : « خضوع الفاسقين أفضل من صولة المطيعين » . وقال : « إذا فسد العلماء غلب الفساق على أهل الصلاح ، والكفار على المسلمين ، والكذبة على الصادقين ، والمراءون على المخلصين . وتلف الدين كله ، لأن العلماء هم الزمام » .

محمد بن منازل النيسابوري

شيخ الملامتية في نيسابور . صاحب حمدون القصار وتلقى عنه طريقته وكان متفوقا في علوم الظاهر ، وكتب الحديث كان صاحب مذهب فكري عبر عنه بقوله : « عبر بلسانك عن حالك ، ولا تكن حاكيا لأحوال غيرك » . وكان يقول : « من رفع ظل نفسه عن نفسه عاش الناس في ظله ، ويقول : « من ألزم شيئا لا يحتاج إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه » . ويقول : « لم يضيع أحد من الفقراء فريضة إلا ابتلاه الله بتضييع السنن . ولم يبتل أحد من الفقراء بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع » .

أبو بكر الأبهري

من كبار مشايخ الجبل ، ومن أقران الشبلي . صاحب يوسف الرازي . ومظفر القرميسيني . قال : إن الله أطلع فيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده في أمته من الخلاف وما يصيبهم في إلا الدنيا ، فكان إذا ذكر ذلك وجد غانة في قلبه فاستغفر لأمته . « وقيل له : ما بال الإنسان يحتمل من

معلمه مالا يحتمل من أبويه ؟ فقال : لأن أبويه سبب حياته الفانية :
ومعلمه سبب حياته الباقية .

أبو حفص الحداد

عمر بن سالم الحداد النيسابورى . من قرية يقال لها « كورذباذ » فى باب نيسابور على طريق بخارى ، من كبار المشايخ المشار إليهم ، قيل له : إن فلانا من أتباعك يدور حول السماع فإذا سمع بكى وصاح ومزق ثيابه . فقال : « ماذا يعمل . الغريق يتعلق بكل شىء يظن فيه نجاة » . وقال : « فساد الأحوال دخل من ثلاثة أشياء : فسق العارفين ، وخيانة المحبين ، وكذب المرئيين » . وفسر أبو عثمان الخيرى فسق العارفين بإطلاق الطرف واللسان والسمع لأسباب الدنيا ومنافعها ، وخيانة المحبين اختيار أهوائهم على رضا الله فيما يستقبلهم وقال : « إذا رأيتم ضوء الفقير فى ملابسه فلا ترجو خيره » .

أبو القواس الكرماني

هو شاه بن شجاع كان من أولاد الملوك . صحب أبا تراب النخشبى وأبا عبد الله البسرى . قال : « من صحبك ورافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فأنما صحبك لراحة الدنيا لا غير » . وقال : « لأهل الفضل فضل ما لم يروه ، فإذا رأوه فلا فضل لهم ، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها . فإذا رأوها فلا ولاية لهم » . وقال « ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى ، فإذا أحب الأولياء أحب الله تعالى ، وإذا أحب الأولياء أحبه الله تعالى » . وقال : « إذا كان العالم فى هذا الزمان قد صار فى ظلمة علمه فكيف بالجاهل المقيم فى ظلمة جهله . مع أن ظلمة العلم أشد ، لكونها غلبت نور العلم » .

أحمد بن أبي الحواري

من أهل دمشق . قال عنه الجنيد : إنه ريحانة الشام . كان يقول :

«الدنيا مزبلة ، وطلابها أقل من الكلاب . من علق همتة بها ، وخاصم أصحابه من أجلها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته وينصرف ، والمحب لها لا يتركها بحال ، وكلما بلغ منها مبلغا طلب ما بعده » . وقال : علمني الخضر رقية للوجع فقال : « إذا أصابك وجع فضع يدك عليه وقل : وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . فلم أزل أقرأها على الوجع فيذهب لساعته .

أبو العباس المرسى

قيل إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلى غيره . سار على منهجه فلم يؤلف كتباً . وكان يقول : « علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحتملها عقول الخلق » . توفي عام ٦٨٦ هـ . قال عنه شيخه أبو الحسن : « عايكم بالشيخ أبي العباس ، فوالله إنه ليأتيه البدوى يبول على ساقه فلا يمشی إلا وقد أوصله إلى الله . ووالله ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحسبه وحظه من الله تعالى » . قدم إليه رجل طعاما فيه شبة ليمتحنه . فامتنع وقال : « كان للشيخ المحاسبي عرق يضرب في إصبعه إذا مديده إلى طعام فيه شبهه ، وأنا في يدي ستون عرقا تضرب ، فتأب الرجل على يديه . وقال : « والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق ، ولقد رأيت يوما كلبا ومعى شيء من الخبز فوضعت بين يديه ، فأبى ، ولم يلتفت إليه ، فقربته من فيه فلم يلتفت إليه ، فأبى لمن يكون الكلب أزهد منه ، كان يكره من الأشياء أن يأتيهم المريد فيقال لهم : قفوا ساعة ، ويقول : « المريد يأتي إلى الشيخ بهمته المتوقدة ، فإذا قيل له : قف ساعة انطفأت همته ،

فرقد السنجى

كوفى ، ومات بالبصرة ، وكان من كبار المشايخ في عصره . قال : رأيت في المنام مناديا يقول : يا أشباه اليهود كونوا على حياء من الله عز وجل . فإنكم لم تشكروا إذ أعطاكم ، ولم تصبروا حين ابتلاكم » . وقال : إن

عابدا من بنى إسرائيل مر على كئيب من الرمل ، وقد أصابت بنى إسرائيل
بجاعة ، فتمنى أن يكون هذا الرمل دقيقا يتصدق به ، فأوحى الله إلى بنى
ذلك الزمان : قل للعابد : قد أوجبت لك من الأجر ما لو كان الرمل
دقيقا فتصدقت به .

محمد بن واسع

كان يلبس الصوف ، فدخل يوما على قتيبة بن مسلم ، فقال له قتيبة :
ما دعاك إلى لبس الصوف ؟ فسكت ، فقال : أكلبك فلا تجيئني ؟ فقال :
أكره أن أقول : زاهد فأزكى نفسى ، أو فقير فأشكور ربى . وكان يقول :
من زهد فى الدنيا فهو مالك الدنيا والآخرة . . ويقول : من أقبل بقلبه
على الله تعالى أقبل بقلوب العباد إليه . . وقال : أدركت ناسيئامون مع
زوجاتهم على وسادة واحدة ، ويكون حتى تبتل الوسادة من دموعهم
ولا تشعر نساؤهم بذلك .

مراجع التحقيق والتعليق والملاحق

- ١ - القرآن الكريم . ٢٠ - صحيح البخارى . ٣ - صحيح مسلم .
- ٤ - جلال الدين السيوطى . اللآلئ المصنوعة .
- ٥ - الفتنى . تذكرة الموضوعات .
- ٦ - الشعرانى (عبد الوهاب) . الطبقات الكبرى .
- ٧ - عبد الرحمن بن الجوزى . صفوة الصفوة (ط . حيدر أباد) .
- ٨ - أبو نعيم الأصفهاني . حيلة الأولياء .
- ٩ - سراج الدين بن الملقن . طبقات الأولياء . (مخطوط . مصر) .
- ١٠ - سراج الدين بن الملقن . خصائص النبي ﷺ (مخطوط) .
تحت الطبع لنا .
- ١١ - الحارث المحاسبى . الوصايا . تحقيق : عبد القادر أحمد عطا .
- ١٢ - الحارث المحاسبى . آداب النفوس . (مخطوط) تحت الطبع لنا .
- ١٣ - الحارث المحاسبى . الرعاية لحقوق الله .
- ١٤ - على وفا السكندرى . نفائس العرفان (مخطوط) تحت الطبع لنا .
- ١٥ - أحمد بن عجيبة الحسنى . إيقاظ الهمم فى شرح الحكم .
- ١٦ - محيى الدين بن عربى . الفتوحات المكية .
- ١٧ - محيى الدين بن عربى . الفتوحات المدنية . (مخطوط) بمكتبة
الشيخ أحمد الخيارى بالمدينة المنورة .
- ١٨ - محيى الدين بن عربى . حلية الأبدال (مخطوط . مصر) .
- ١٩ - محيى الدين بن عربى . الخلوة (مخطوط . مصر) .
- ٢٠ - محيى الدين بن عربى . الروح (مخطوط . مصر) .
- ٢١ - محيى الدين بن عربى . التدبيرات الإلهية (ليدن) .
- ٢٢ - محيى الدين بن عربى . مواقع النجوم .

- ٢٣ - سيدى مصطفى البكرى . شرح ورد السحر . (مخطوط مصر)
- ٢٤ - سيدى مصطفى البكرى . تعلية الأحزان . نشر : سيدى عبد الخالق الشبراوى .
- ٢٥ - سيدى مصطفى البكرى . السيوف الحداد .
- ٢٦ - سيدى مصطفى البكرى . العرائس القدسية ، المفصحة عن الدسائس النفسية (مخطوط . مصر)
- ٢٧ - سعد الدين الفرغانى . منتهى المدارك .
- ٢٨ - عبد الغنى النابلسى . خمرة الحان . ورنه الألحان .
- ٢٩ - عبد الغنى النابلسى . الرد المتين على منتقص العارف محي الدين (مخطوط . مصر)
- ٣٠ - محمد بن عبد الجبار النفري . المواقف والمخاطبات .
- ٣١ - عبد الكريم الجلى . الإنسان الكامل .
- ٣٢ - أبو القاسم القشيري . مدارك التنزيل (مخطوط . مصر)
- ٣٣ - أبو العباس أحمد زروق . قواعد التصوف .
- ٣٤ - عبد العزيز الدرينى . الروضة الأنيقة .
- ٣٥ - أبو حامد الغزالى . أحوال القرآن . (مخطوط . الأزهرية)
- ٣٦ - عبد الغفار القوصى . الوحيد ، فى سلوك أهل التوحيد (مخطوط . مصر)
- ٣٧ - القاضى عياض . الشفاء ، فى التعريف بحقوق المصطفى .
- ٣٨ - القاضى عياض . منهاج العوارف (مخطوط . مصر)
- ٣٩ - ملا على القارى . شرح الشفاء .
- ٤٠ - ملا على القارى . عين العلم ، وزين الحلم .
- ٤١ - الشهاب الخفاجى . نسيم الرياض .
- ٤٢ - أبو بكر البنانى . مدارج السلوك ، إلى مالك الملوك .
- (٧ - ملاحق روضة التمرىف)

- ٤٣ - العربي بن أحمد الدرقاوى . شور الهدية . (مخطوط . مصر)
- ٤٤ - الشهرستانى . الملل والنحل . ٥٠ - ابن حزم . الفصل .
- ٤٦ - التنبكى كفاية المحتاج (مخطوط . عارف حكمت بالمدينة المنورة)
- ٤٧ - ابن خلدون . التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً
- ٤٨ - ابن خلدون . المقدمة - ٤٩ - ابن أسعد الليافى . مرآة الجنان .
- ٥٠ - ابن خلكان . وفيات الأعيان .
- ٥١ - الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد .
- ٥٢ - ابن عساكر . تاريخ دمشق .
- ٥٣ - ابن إياس . بدائع الزهور ، فى وقائع الدهور .
- ٥٤ - الزيدى . شرح الرسالة القشيرية .
- ٥٥ - السراج الطوسى . اللمع .
- ٥٦ - الذهبى . سیر أعلام النبلاء . (مخطوط مصر)
- ٥٧ - الذهبى . تاريخ الإسلام . (مخطوط مصر)
- ٥٨ - ابن فورك . مشكل الحديث .
- ٥٩ - الهجویری . كشف المحجوب .
- ٦٠ - ابن عباد النفري . مجموع الرسائل . ط . بيروت .
- ٦١ - أحمد الرفاعى . قلائد الجواهر . ط . الشام .
- ٦٢ - أحمد الرفاعى . النظام الخاص .
- ٦٣ - عبد القادر أحمد عطا . الصلاة مدرسة الوعى الحضارى .
نشر : بمكتبة القاهرة بالازهر .
- ٦٤ - عبد القادر أحمد عطا . الوحدة العالمية (تحت الطبع)
- ٦٥ - عبد القادر أحمد عطا . تحرير الإنسان (تحت الطبع)
- ٦٦ - أبوطالب المكي . علم القلوب . تحقيق عبد القادر أحمد عطا .
- ٦٧ - عباس محمود العقاد . الله .
- ٦٨ - مجلة الإسلام والتصوف . القاهرة
- ٦٩ - عجم بلت النفيس البغدادية شرح المشاهد (مخطوط مصر)

- ٧٠ - أبو طالب المسكى . قوت القلوب
- ٧١ - البيرونى . ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة
- ٧٢ - صدر الدين القونوى . تفسير الفاتحة (مخطوط . مصر)
- ٧٣ - المقرئ . نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب
- ٧٤ - ابن طرخان السنوى . حياة القلوب (مخطوط . مصر)
- ٧٥ - أبو حنيفة النعمان . الفقه الأكبر
- ٧٦ - أبو حنيفة النعمان . العالم والمتعلم
- ٧٧ - سيدى عمر الشبراوى . تنوير الصدر
- ٧٨ - سيدى عمر الشبراوى . مفتاح المریدین
- ٧٩ - محمد أبو زهرة (الأستاذ) . الإمام زيد
- ٨٠ - أبو سعيد الخراز . الصدق . تحقيق . د . عبد الحليم محمود
- ٨١ - ابن قتيبة الدينورى . المعارف
- ٨٢ - ابن القيم . الروح
- ٨٣ - ابن مفلح المقدسى . الآداب الشرعية
- ٨٤ - أحمد بن زيني دحلان . تاريخ مكة
- ٨٥ - الحسين بن منصور الحلاج . الطواصين
- ٨٦ - الطبرسى . مكارم الأخلاق
- ٨٧ - أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين
- ٨٨ - الهروى . منازل السائرين
- ٨٩ - التقي السبكي . شفاء السقام
- ٩٠ - عمر بن الفارض . الديوان

الفهرس

الموضوع	الصحيفة
التصدير - بقلم فضيلة الأستاذ مصطفى الشبراوى	٦
مقدمة المحقق	١٨
مقدمة المؤلف	٧٩
برنامج الكتاب	٩٧
الجملة الأولى، فى صفة الأرض وأجزائها	١٠٨
الرتبة الأولى، الأطباق المفروضة	
الطبق الأول . طبق القلب	١١٠
الطبق الثانى . طبق الروح	١١١
الطبق الثالث . طبق العقل	١١٣
الطبق الرابع . طبق النفس	١١٥
الرتبة الثانية، رتبة العروق الباطنة، والشعب الكامنة	١٢٠
الفصل الأول، فى العروق المعدنية	
الفصل الثانى، فى التقارير العينية	١٢٦
الفصل الثالث، فى البحوث البرهانية	١٢٩
الفصل الرابع، فى المدبرات البدنية	١٣٤
الجملة الثانية	١٤٠
الاختيار الأول فىما يصلح للاعتبار من هذه الأرض	١٤١

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول ، في النفس المطمئنة	
الفصل الثاني ، في النفس الأمارة	١٤٣
الفصل الثالث ، في النفس اللوامة	١٤٥
الاختيار الثاني ، في محركات العزيمة للفلاحة الكريمة	١٤٧
الفصل الأول ، في الجذبة	
الفصل الثاني ، في اليقظة	١٤٩
الفصل ، في ذم الكسل	١٧٢
الاختيار الثالث ، في جلب الماء لسقي هذه الأرض	١٧٤
الفصل الأول ، جدول النقل	١٧٨
الفصل الثاني ، جدول العقل	١٨٠
الفصل الثالث ، في المقدار المحتاج إليه من هذا الماء	١٨٨
الفصل الرابع ، في غبار التكوين ، وسبب التلوين	١٩١
الاختيار الرابع ، في الحرث	١٩٢
القسم الأول ، في القلب الأول	
القسم الثاني ، إعادة السكة	١٩٥
القسم الثالث ، في الطهارة	١٩٦
الاختيار الخامس ، في تنظيف الأرض المعتمرة	١٩٨
الفصل الأول ، في قلع الأصول المفسدة	

الموضوع	الصفحة
جدرة قدم العالم	
جدرة علم الله الجزئيات	١٩٩
جدرة الحلول والإتحاد	٢٠١
جدرة الكسب والجبر والقدر	٢٠٤
جدرة مذهب الإباحية	٢٠٨
جدرة القول بالتناسخ	٢١٠
الفصل الثانى ، فى إزالة العشب التى تضر بالشجرة	٢١٣
قسم العشب السبعية	٢١٤
قسم العشب الشيطانية	
الإختيار السادس ، فى أمور ضرورية لهذه الفلاحة	٢١٦
الفصل الاول ، فى أمور تطرأ على الأرض من جهة الطبع	
الفصل الثانى ، فى اختيار أعوان هذه الفلاحة وأجزائها	٢١٩
الفصل الثالث ، فى الأدعية التى تلىق بأفخاص الفلاح وأصحاره	٢٢٤
الفصل الرابع ، فى اختيار الوقت للغرس	٢٢٧
الأسباب ، فى الحب اللباب	٢٣٣
المقدمة العلوية من جرثومة الأسباب	٢٣٤
البيان الذى يشرح الجرثومة ويفصلها	٢٣٧
الأصل الأول من الباطن ، فى الكلام على النبوة	٢٤٤
الأصل الثانى من الباطن . فى الإيمان	٢٤٨

الصفحة	الموضوع
٢٥٨	الأصل الثالث من الباطن ، في البقظة والتوبة والرجاء
٢٦٥	الأصل الرابع من الباطن ، في العناية والتوفيق
٢٦٨	الأصل الخامس من الباطن ، في السماع والموعظة
٢٧٣	ظاهر الجرثومة
	الأصل الأول ، جزء الفلسفة العلى
٢٧٦	الأصل الثانى من الظاهر ، في سلامة الفطرة
٢٧٩	الأصل الثالث من الظاهر ، في الكلام على النبوة من حيث النظر
٢٧٨	الأصل الرابع من الظاهر ، في الاعتبار الخاصى
٢٨٨	الأصل الخامس من الظاهر ، في معنى الجمال ، وفي سر الجمال والكمال
٢٩٣	الأصل السادس ، في التشبه بالمبدأ الأول
٢٩٤	باسط الذكر ، وهو الصاعد من أدنى المدردة إلى
	أعلى الشجرة
	المقدمة في الذكر
٣٠٣	الفصل الأول ، من الباسط ، في أصل الدعوات والأذكار
٣٠٧	الفصل الثانى من الباسط ، في الأسماء
٣٢٨	الفصل الثالث من الباسط ، في السيمياء
٣٣٤	العمود المشتمل على القشر والعود ، والجنى الموعود
	الظاهر من القشر الذى يكسو ويحدو
	اشتقاق المحبة - الهوى - العشق - الصباية - العلاقة - الخلقة

الموضوع	الصفحة
الشغف - التميم - التبتل - الولوع والغرام - الهيام والهيوم - التدله الوله - الألفة - الإرادة	
باطن القشر الذى ينمو ويغزو ، فى الثناء على المحبة طبعاً وعقلاً	٣٥١
فصل فى أن الوجود كله أصله المحبة	٣٥٦
فصل فى أن كل ما فى الوجود محب عشاق	
خاتمة فى تنبيه النفوس الصبة على حكم المحبة	٣٦٩
فقر فيها حكم تنثال ، وتجري مجرى الأمثال :	٣٧٢
الحشب الذى يتخذ منه النشب	٣٧٥
القسم الأول ، فى الحدود والمعرفات	
القسم الثانى ، فى معقول معنى المحبة وإيضاح سناها	٣٨٣
القسم الثالث ، فى أن كل محبوب إنما هو لكل محب ذاته	٣٩٧
القسم الرابع ، فى أن المولى هو بالحب أولى	٤٠١
القسم الخامس ، فى بيان الجدوى فى معرفة الله عاجلاً وآجلاً	٤٠٥
خاتمة ، فى تفاوت الناس فى المحبة والمعرفة	٤٠٧
القسم الخامس ، فى لزوم المحبة للمقامات	٤٠٩
خاتمة ، فى اكتساب المحبة	٤١٤
الفرع الصاعد فى الهواء ، على خط الاستواء	٤١٦
القشر اللطيف ، وفيه فصول :	٤١٧
القسم الأول ، فى مقامات المعرفة	
شروط المعرفة وعلاماتها	٤١٩

الصفحة	الموضوع
٤٢١	فصول في المعرفة
٤٢٣	القسم الثاني ، في ذكر العارف
	حاله في الحظوظ وترقيته عنها
٤٢٩	القسم الرابع ، في علوم العارف
٤٣٨	القسم الخامس ، في أقسام العارفين بالله
٤٤١	الجرم الشريف . من الفرع الباسق المنيف
	القسم الأول ، الظاهر ، في الكلام على الأخلاق
٤٤٧	فضل الخلق الحسن ، ودم الخلق السيء
٤٤٨	الكلام في علاج الأخلاق
٤٥٦	القسم الثاني ، باطن الجرم الشريف ، في أن التمتع بالنظر إلى الله
	هو نهاية السعادة
٤٦٦	القسم الثالث من الجرم ، وهو قلبه ، وفيه المجاهدات والرياضات
٤٧٥	الرياضات
٤٧٧	الغصن الأول ، غصن فروع البدايات ، وفروعه عشرة
	اليقظة - التوبة - المحاسبة - الإنابة - التفكير - التذكر - الاعتصام
	الفرار - الرياضة - السماع
٤٧٩	الغصن الثاني ، غصن فروع الأبواب ، وفروعه عشرة
	الحزن - الخوف - الإشفاق - الخشوع - الإخبات - الزهد
	الورع - التبتل - الرجاء - الرغبة
	الغصن الثالث ، غصن فروع المعاملات ، وفروعه عشرة
	الرعاية - المراقبة - الحرمة - الإخلاص - التهذيب - الإستقامة
	التوكل - التفويض - الثقة - التسليم

الصفحة	الموضوع
٤٨٣	الغصن الرابع ، غصن فروع الأخلاق ، وفروعه عشرة الصبر - الرضا - الشكر - الحياء - الصدق - الإيثار - الخلق التواضع - الفتوة - الانبساط
٤٨٥	الغصن الخامس ، غصن الأصول ، وفروعه عشرة القصد - العزم - الإرادة - الأدب - اليقين - الأنس - الذكر الفقر - الغنى - مقام المراد
٤٨٧	الغصن السادس ، غصن الأودية ، وفروعه عشرة الإحسان - العلم - الحكمة - البصيرة - الفراسة - التعظيم الإلهام - السكينة - الطمأنينة - الهمة
٤٩٠	الغصن السابع ، غصن الأحوال ، وفروعه عشرة الحبة - الغيرة - الشوق - القلق - العطش - الوجد - الدهش الهيان - البرق - الذوق
	الغصن الثامن ، غصن الولايات ، وفروعه عشرة اللحظ - الوقت - الصفاء - السرور - السر - النفس - الغربة الغرق - الغيبة - التمكن
٤٩٣	الغصن التاسع ، غصن الحقائق ، وفروعه عشرة المكاشفة - المشاهدة - المعاينة - الحياة - القبح - البسط - السكر الصحو - الإتصال - الانفصال
٤٩٥	الغصن العاشر ، غصن النهايات ، وفروعه عشرة المعرفة - الفناء - البقاء - التحقيق - التلبس - الوجود - التجريد التفريد - الجمع - التوحيد

الصفحة	الموضوع
٥٠٣	القسم الرابع ، فى السلوك بالذكر
٥٠٤	مراتب الذكر
	القسم الخامس ، فى الزهرات
	اللوامع - البواده - الهواجم - الواردات - أنوار التجريد
٥١٩	القسم السادس ، فى الولاية
٥٢٣	تفرع ضخام الغصون ، من شجرة السر المصنوع
٥٢٤	الغصن الأول . غصن المحبوبات
	فن الرب المحبوب
٥٢٧	فن العبد المحبوب
٥٣١	فن الدنيا المحبوبة
٥٣٨	فن الآخرة المحبوبة
٥٤٢	الغصن الثانى . غصن المحبين . وأصنافهم المرتبين
	المقدمة
٥٥٣	الفن الأول ، فى رأى القدماء من الفلاسفة
٥٦٣	الفن الثانى ، فى رأى أهل الأنوار من الأقدمين
٥٧٢	الفن الثالث ، فى رأى الحسكاء الإسلاميين
٥٧٧	طريق الصوفية
٥٨٢	الفن الرابع فن من بعدهم من المكلمين
٦٠٢	الفن الخامس ، فى رأى أهل الوحدة المطلقة
٦١٣	الفن السادس ، فى رأى الصوفية

الموضوع	الصفحة
خاتمة ، تشتمل على إشارات ، وتختال من الحق في شارات	٦٢٢
الغصن الثالث . في علامات المحبة	٦٣٠
الفن الأول ، فيما يرجع إلى حقوق المحبوب	٦٣١
الفن الثاني ، فيما يرجع إلى باطن المحب	٦٣٩
ورقة طاعة المحبوب	٦٤٢
ورقة الهيبة والتعظيم	٦٤٣
ورقة كتم السر	٦٤٤
ورقة مداومة ذكر المحبوب	٦٤٥
ورقة الولوع	٦٤٧
ورقة الغيبة والذهول	٦٤٨
ورقة الغيرة	
ورقة الانس	٦٥٠
ورقة الحزن	٦٥١
ورقة الحياء	٦٥٢
ورقة الخوف والرجاء	٦٥٣
الفن الثالث ، فيما يرجع إلى ظاهر المحبة	٦٥٤
ورقة حب الخلوة	
ورقة امتحان المحبوب بحبيبه	٦٥٥
ورقة الصفرة والنحول	٦٥٧
ورقة البسكاه	٦٥٩
ورقة الزفير	٦٦٢

الصفحة	الموضوع
٦٦٣	ورقة السهر
٦٦٥	ورقة الذل والانكسار
٦٦٦	ورقة السكر والصحو
٦٦٧	الغصن الرابع في أخبار المحبين وأصنافهم
٦٦٩	الفرع الأول ، حكايات المجاهد الصريح
	ورقة المناجاة - ورقة الأدب
٦٧٠	ورقة الخول والتواضع والانكسار
٦٧٢	ورقة الغيرة ، غيرة الحق عليهم
٦٧٣	ورقة الحكم والإشارات
٦٧٤	ورقة من الإشارات
٦٧٦	ورقة في تسترهم بالعمل
٦٧٧	الفرع الثاني في حكايات المثبت الجريح
٦٨٠	الفرع الثالث في حكايات الصريح الطريح
٦٨٩	الجوائح التي تطرق الشجرة والجنى
٦٩١	الرياء - الملل - السلو - التبذل - البوح بالأسرار - موجبات الغيرة - اليأس
٦٩٣	الريح الأول ، ريح خاطر الرحمان
٦٩٤	الريح الثانية ، ريح خاطر الملوك
٦٩٥	الريح الثالثة ، ريح خاطر النفساني
٦٩٦	الريح الرابعة ، ريح خاطر الشيطاني

الموضوع	الصفحة
طائر على الشجرة صاوح	٦٩٨
شكر وتقدير وإهداء	٧٠٣

الملاحق

- الملحق الأول، دراسات حول بعض موضوعات وردت في روضة التعريف .
- الملحق الثاني، تعريف بأعلام الصوفية الذين ورد ذكرهم في روضة التعريف .
- مراجع التحقيق والتعليق والملاحق .
